مصر الفراعنة



تأليف

سير ألن جاردنر

مصر الفراعنة

تأليف : سير ألن جاردنر

ترجمة : دكتور نجيب ميخائيل ابراهيم
مراجعة : دكتور عبد المنعم أبو بكر



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٣

هذا الكتاب مترجم عن

EGYPT OF THE PHARAOHS
An Introduction
by
Sir Alan Gardiner

المطبوع في اكسفورد ، مطبعة كلارندون عام ١٩٦١

لذكرى
چيمس برستد

مقدمة ..

انني انما استجيب الى رغبـــة طالما أبداها زملائي حين أقدم ثمرة دراسات العمر كله لجمهور خارج نطاق المتخصصين ، ذلك أن هؤلاء الزملاء ادركوا أن المؤلف العظيم HISTORY OF EGYPT الذى كتبه برستد أصبح من نواح كثيرة قديمـا ، كمـــا أنهم وجـــدوا أن مؤلف • هــول • « ANCIENT HISTORY OF NEAR EAST شديد التعقيد بالاضافة الى أنه يعالج ميدانا أكبر من أن يناسب المتحدثين بالانجليزية الذين لجئوا الى يسألون النصح • ومع ذلك فان هذه الآراء التى كان لها ما يبررها حين دار البحث حول مشروعى لم تعد كذلك تماما بعد ظهور هذه المؤلفات الرائعة العديدة فى أمريكا والتى لا أتردد مطلقا فى أن أوصى بها خيرا•هذا الى ان ما أنا بصدد عرضه يختلف عنها كثيرا من ناحية الهدف والمحتويات بحيث أرجو لحد ما أن أســـد الحاجة التى يستشعرها أصدقائى ، ولقد كنت منذ البداية أقل حرصا على هدف محدد منى على تجنب طرفى نقيض : ذلك ان الشعبية المطلقة لم تكن هدفى من ناحية بحال من الأحوال كما ان الأوصاف المتداولة لأرض الفراعنة العجيبة كثيرة ولم أشأ أن أندد بهـــا ولكننى أكرر أن هدفى كان مخالفا لذلك تمام المخالفة ، ومن ناحية أخرى فان محاولة ضغط موجز فى خمسمائة صفحة لمصر القديمة بكل مظاهرها لا يعدو أكثر من مقال مطول فى موسوعة ، وأنا أتخيل ان من يقرءون مثل هذه المقالات الممتعة قلة من الناس ••• فى هذا الوضع استعدت الى ذاكرتى لهفتى قرابة نهاية أيام الدراســة وتذكرت اننى فى هذه السن كانت الرغبة تتملكنى لاصبح واحدا من دارسى المصريات وكانت هوايتى المتفتحة تتجه الى مجرى وطرائق الكشف كما تكمن فى الكشوف نفسها • وكانت أطماعى ـ كأطماع « ننفر كابتاح » فى القصـــة الديموطيقية تستـهدف قراءة النصوص الهيروغليفية وادراك الكلمات الصحيحة للأقدمين • ولم يكن الفن أو الآثار بعيدين تمـــاما عن مجـــال اهتمامى بل اننى أعترف

انه كان لهما مكانهما وان كان ثانويا • وهكذا حدث ان كتابى هذا كتب منوجهة نظر لغوية واضحة، ومن ثم كانت الاقتباسات العديدة منالنصوص الأصلية التى استخدمتها بحرية أكثر مما كنت أفعل لو أننى كنت أقدم كتابا للدارسين المتقدمين أو المتخصصين • وكان الحيز الذى رأيته صالحا مما حتم على تحديدا ضروريا لمايسمي ـ ان أحسنت التعبير ـ ب «التاريخ المصرى» ولئن كنت قد كرست الكثير للمناقشة فيما بقى من مانيتو لدى مقتبسات الكتاب المتأخرين ، ان ذلك ليس مدعاة لأى اعتذار لأولئك الذين مارسوا تطور العلوم لدينا ، ذلك أنه ليس هناك دارس للمصريات استطاع أن يحرر نفسه من ربقة الأغلال التى فرضتها عليه الاسرات الثلاثون لصاحب الحوليات الوطنى بل ان هذه ستظل دائما فى أغلب الامر الاطار الذى لا غنى عنه فى معروضاتنا الحديثة ••• وهناك نقد له ما يبرره لجهدى الحالى هذا ، قد يشير الى نقصه الواضح ، وهى صورة سلمت بها فى العنوان الفرعى ••• اننى لا أقدم تاريخا كاملا متكاملا بل اننى آمل ان يكون هذا مما يغرى بعض القراء ليتعمقوا فى ميدان الدراسة الذى استحوذ علينا ، ومن أجل هؤلاء الدارسين الجادين عرضنا هذه الاشارات المكتبية •

أما الهوامش فقد اجتزأتها بقدر ما وسعنى حتى أجنب صفحاتى التشويه ، وأما العناوين الكاملة للمراجع والدوريات المشار اليها فانها موجودة كاملة فى قائمة المختصرات فى أول الكتاب أو فى المراجع التكنيلية فى نهايات الفصول •

ولقد كانت مشكلة اختيار أحسن الطرق لكتابة أسماء الأعلام مما ضاق به كثيرا حتى الكتاب الكلاسيكيون ، والأمر أكثر حدة بالنسبة للمستشرقين وأكثر أولئك ضيقا به هم دارسو المصريات : ذلك ان الهيروغليفية تكتب بغير حروف متحركة كما أن الاستعانة بسد هذا النقص من القبطية أو غيرها ليست ميسورة دائما ومن ثم أصبح لا مفر من الحدس والتخمين بل انه ضرورى لأن الكتابة بغير حروف متحركة عسرة انهضم على القارىء • هذا الى أن الحروف الساكنة فى اللغة المصرية لا تمت بصلة لحروفنا الساكنة فللكتابة القديمة نوعان من حرف H واثنان من حرف K واثنان من حرف KH ،اثنان من حرف S وليس أقل منأربعة أنواعمن حرفى T و A كما أن من بينخصائصها ومميزاتها حروفا حلقية تشترك فيها العبرية والعربية ومنها الـ « ع » وقد بينت فى أكثر من واحد من كتبى ومقالاتى المنشورة ما يبدو لى من انه الطريقة

المعقولة لمجابهة هذه الصعوبة وانى لأرى انه من المرهق أن أعاود تكرار ذلك . وأما من ناحية هذا المؤلف فقد قررت – بعد اعمال الفكر – أن أحتفظ بكافة العلامات المميزة وبخاصة في مثل الأسماء المصرية القديمة ک « بتحوتر » « ما ع كرع » أما الأسماء الاغريقية أو المتأغرقة فان مجالا أفسح لا يبدو مسموحا به فحسب بل مستحبا حتى لتقبل متناقضات مثل «حوريس» ، «تيفون» «كوبنوس» ، «الفنتين» بغير تردد . أما بعد فان للطلاب الذين يرون فى العلامات المميزة حذلقة لاتتفق وأمزجتهم مطلق الحرية لتجاهلها فى كتاباتهم أو مذكراتهم . وهناك تجديد سمحت لنفسى به ربما لا يلقى ترحيبا جماعيا ، وذلك أن تاء التأنيث فى نهاية الكلمات تختفى من النطق منذ الدولة القديمة رغم ظهورها فى الكتابة ، وانا لنلقى مثل هذه الظاهرة فى العبرية والعربية . ومن ثم فقد وضعت مكان « بونت » و « واوات » و «حتشبسوت» الكلمات «بوينى» و «واواه» و «حاشبسوه» وأخيرا أحسست فيما يتصل بأسماء الأماكن العربية أننى لا أستطيع أن أقدم خيرا مما قدم « بديكر » ومتابعته فى هذا الميدان وهو النشر الذى يثير الاعجاب والذى يبدو ما قدمه صحيحا لا يحتمل تغييرا بقدر ما وسعنى مراجعة ما كتبه .

وقد قررت فى اللحظة الأخيرة أن أستبعد الفهارس الخاصة الكاملة التى كنت قد قمت بعملها على أن أحل محلها فهرسا واحدا عاما محدود المدى ، فقد حفزنى الى هذا القرار ادراكى ان خطتى الأصلية كانت ستضيف أكثر من ثلاثين صفحة الى كتاب متخم دون أن أعوض القارىء الذى كتب الكتاب من أجله بمزايا أخرى ، ولكن الفهرس المختار ، الأقصر طولا ، الذى احتل مكانه ليس مرضيا تماما وان كان يمتاز بأنه يشغل حيزا أقل . وقد يحلو للنقاد أن يلومونى من أجل حذف الفراعين أنفسهم ولكن هذا يبدو أمرا يمكن التغاضى عنه ما دامت الأسماء المركبة وكذا قراءتها المانيتونية المشوهة قد قدمت كاملة جميعا فى قائمة الملوك فى الملحق بآخر الكتاب .

ويبقى بعد ذلك الاعتراف بالمعونة التى تلقيتها من نواح كثيرة : أما ديونى الصغيرة فكانت من الكثرة بحيث أن ايرادها هنا لا يؤدى الهدف من وراء ذكرها ، وانني أعتقد أن الشكر الشفوى يغدو مناسبا ، ومع ذلك فان هناك حالات هامة استشعرت فيها حاجتى لاستشارة جهات ذات شأن وكم أجدت كثيرا تعليقاتهم على الصفحات التى قدمتها لهم بقصد نقدها أو طلب الموافقة عليها ، وهنا يجب على أن أشيد خاصة ب « أ اندروز » و « أ . ج . اركل » ، و « ر . كامينوس » و « ج . جورنى »

و « و ٠ ك ٠ هيز » و « ك ٠ س ٠ ساندفورد » و « ر ٠ د ٠ ج ٠ ويزمان » ٠
أما بالنسبة للوحات ، وهى قليلة العدد نسبيا ، فيبدو أنه لم يكن من السهل اختيارها ما دامت ستمثل الناحية المصرية المميزة ، ومع ذلك فان العون المباشر الذى لقيته من عدد من زملائى كان له قيمة كبيرة ٠ ويجب على بخاصة ـ بالاضافة الى الاعتراف بالجميل الذى ذيلت به اللوحات من أن أذكر « ك ٠ الدرد » (١٥) ، « نينا ديفيز » (٢ ، ١٢) ، « دوز دنهام » (٦) ، « لبيب حبشى » (٩ ؛ ١٠ ؛ ١٤ ؛ ٢٠ ؛ ٢١ ؛ ٢٢) ، « ج ٠ ف ٠ لاور »(٤) ، « ج ٠ سان فارجارنو » (١٩) و «أ٠ سموتزى» (١٧) ثم « و ٠ د ٠ فان وينجاردن » (٨) كما أعد من حسن طالعى الحصول على لوحة صدر الكتاب للتمثال الرائع للملك « امينيس الثالث » فى متحف موسكو ، وهو فضل أدين به لمدير المتحف «ف٠ف٠ بافلوف» والى عناية « مدام م ٠ ماتيو » ٠ كما أدين لـ « يونسكو » بالصورة الممتازة التى تحلى الغلاف والتى تمثل أكثر المعبدين العظيمين شهرة فى « أبو سمبل » لرمسيس الثانى اللذين يبدو أنه قدر لهما أن يغرقا فى مياه خزان اسوان الجديد ، وأخيرا فاننى أقدم أصدق شكرى لكل من أسهموا فى اخراج الكتاب بصورة أو بأخرى ٠ وكانت المعونة التى قدمتها « مس بربارا سيويل » تفوق بكثير أمر النسخ على الآلة الكاتبة أو الفهرسة ٠ كما أن العناية والصبر من جانب مطبعة كلارندون التى تمشت مع رغباتى الصحيحة تجل عن الثناء ٠ وهناك اسمان يستحقان تسجيلا خاصا هما «ك٠سيسام» السكرتير السابق للمفوضين٠وكان أول من حرضنى على كتابة هذا الكتاب ثم خلفه « ك روبرتس » الذى لم يكتف بمتابعته فى هذه الناحية بل كان يجابه كل نزوة بأقصى تسامح ٠

اختصار أسماء المراجع

Abh. Berlin	Abhandlungen der Königlichen Preussischen Akademie der Wissenschaften, Berlin.
Ag. Stud.	O. Firchow, Agyptologische Studien, Berlin, 1955.
AJSL	American Journal of Semitic Languages and Literatures.
Am.	Cuneiform letter from El-Amârna. See p. 211.
Amenemhet	Nina de G. Davies and A.H. Gardiner, The Tomb of Amenemhet, London, 1915.
ANET	Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament, edited by J. B. Pritchard, Princeton, 1950.
Ann. Serv.	Amales du Service des Antiquités de l'Egypte, 56 vols., Cairo, 1900-59.
Anthes	R. Anthes, Die Felsinschriften von Hatnub, Leipzig, 1928.
Arab.	Arabic.
Baedeker	K. Baedeker, Egypt and the Sûdân, 8th edition, Leipzig, 1929.
Ball, Contributions	J. Ball, Contributions to the Geography of Egypt, Cairo, 1939.
BAR	J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt, 5 vols., Chicago, 1906-7. See p. 69.
von Beckerath, Tanis	J. von Beckerath, Tanis und Theben, Glückstadt, 1951.
Beiträge	K. Sethe, Beiträge zur altesten Geschichte Agyptens See p. 70, n. 1.
Bibl. Or.	Bibliotheca Orientalis, 17 vols., Leyden, 1944-60.
Borchardt, Mittel	L. Borchardt, Die Mittel zur zeitlichen Festlegung von Punkten der ägyptischen Geschichte, Cairo, 1935.
Borchardt, Sahure'	L. Borchardt, Das Grabdenkmal des Königs Sahure' Leipzig, 1913.
Bull. Inst. fr.	Bulletin de l'Institut français d'Archéologie orientale, 57 vols., Cairo, 1901-60.
Bull. MMA	Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, New York, 1915 ff.
Bull. soc. fr. d'Eg.	Bulletin de la société française d'Egyptologie, 29 nos., Paris, 1949-59.

c. circa, about (with dates).

CAH The Cambridge Ancient History, 6 vols., Cambridge, 1923-7.

Caminos Misc. R.A. Caminos, Late-Egyptian Miscellanies, London, 1954.

Chron. d'Eg. La Chronique d'Egypte, 68 nos., Brussels, 1925-59.

Cl.-V. J.J. Clère and J. Vandier, Textes de la première période intermédiaire et de la XIme Dynastie, I. Brussels, 1948.

CoA (Various authors). The City of Akhenaten, 3 parts, London, Egypt Exploration Society, 1923-51.

Couyat J. Couyat and P. Montet, Les Inscriptions hiéroglyphiques et hiératiques du Ouâdi Hammâmât, Cairo, 1912-13.

D. el B. E. Naville, The Temple of Deir el Bahari, 6 vols., London., 1895-1908.

Daressy, Cerc. G. Daressy, Cercueils des cachettes royales, Cairo, 1909.

Davies, Am. N. de G. Davies, The Rock Tombs of El Amarna, 6 parts, London, 1903-8.

Davies, Ramose N. de G. Davies, The Tomb of the Vizier Ramose, London, 1941.

Davies, Rekh-mi-re' N. de G. Davies, The Tomb of Rekh-mi-re' at Thebes, 2 vols., New York, 1943.

Dyn., Dyns. Dynasty, Dynasties, the lines or families of kings into which Manetho divided his history of Egypt. See pp. 46-47.

Edwards, Pyramids I. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, West Drayton, 1947.

Eg. Egyptian.

Eg. Gr. Alan H. Gardiner, Egyptian Grammar, 3rd edition, 1957.

Elliot Smith, RM. G. Elliot Smith, The Royal Mummies, Cairo, 1912.

Emery, GT W. B. Emery, Great Tombs of the First Dynasty, vol. i, Cairo, 1949; vol. ii, London, 1954; vol. iii, London, 1958.

Erman, Lit. A. Erman, The Literature of the Ancient Egyptians, translated by A.M. Blackman, London, 1927.

Festival Hall E. Naville, The Festival-hall of Osorkon II in the Great Temple of Bubastis, London, 1892.

fl. floruit, flourished in or about the year named.

Franfort H. Frankfort, The Mural Painting of El-'Amarneh, London, 1929.

Gardiner, Late-Egyptian Stories Alan H. Gardiner, Late-Egyptian Stories, Brussels, 1932.

Gardiner, Mes	Alan H. Gardiner, The Inscription of Mes, in K. Sethe, Untersuchungen zur Geschichte und Altertumskunde Aegyptens, iv, Leipzig, 1905.
Gauthier, LR	H. Gauthier, Le Livre des rois d'Egypte, 5 vols, Cairo, 1907-17.
G.K.	Greek.
Gurney	O. R. Gurney, The Hittites, Harmondsworth, 1952.
Hayes, RS	W. C. Hayes, Royal Sarcophagi of the XVIII Dynasty, Princeton, 1935.
Hayes, Scepter	W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, 2 vols., Cambridge, Mass., 1953, 1959.
Hdt.	Herodotus.
Hist. Rec.	W. F. Edgerton and J. A. Wilson, Historical Records of Ramses III, Chicago, 1936.
Huy	Nina de G. Davies and A. H. Gardiner, The Tomb of Huy, London, 1926.
JAOS	Journal of the American Oriental Society, Baltimore.
JEA	Journal of Egyptian Archaeology, 45 vols., London, 1914-59.
Jéquier	G. Jéquier, Le Monument funéraire de Pepi II, 3 vols., Cairo, 1936-40.
JNES	Journal of Near Eastern Studies, 19 vols., Chicago, 1942-60.
Junker, Turah	H. Junker, Bericht über die Grabungen .... in Turah in Denkschriften der kaiserlichen Akademie der Wissenschaften in Wien, vol. lvi, Vienna, 1912.
Kawa	M.F. Laming Macadam, The Temples of Kawa, 4 vols., Oxford, 1949, 1955.
Kémi	(Periodical), 12 vols., Paris, 1928-52.
Kienitz,	F.K. Kienitz, Die Politische Geschichte Agyptens, vom 7 bis zum 4. Jahrhundert vor der Zeitwende, Berlin, 1953.
Kraeling	E. G. Kraeling, The Brooklyn Museum Aramaic Papyri, New Haven, 1953.
Kuentz	Ch. Kuentz, La Bataille de Qadech, Cairo, 1928.
Kush	(Periodical), 6 vols, Khartoum, 1953-8.
Lefebvre, Grands prêtres	G. Lefebvre, Histoire des grands prêtres d'Āmon de Karnak, Paris, 1929
Lefebvre, Romans	G. Lefebvre, Romans et contes égyptiens, Paris, 1949.
Leps. Denkm.	R. Lepsius, Denkmäler aus Agypten und Aethiopien, 6 vols., Berlin, 1849-58.
Luckenbill	D. D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, 2 vols., Chicago, 1926-7.

Med. Habu	Medinet Habu, ed. J. H. Breasted and others, 5 vols., Chicago, 1930-57.
Mercer	S. A. B. Mercer, The Tell el-Amarna Tablets, 2 vols., Toronto, 1939.
Mes	See above under Gardiner, Mes.
Mitt. Kairo	Mitteilungen des deutschen Instituts für ägyptische Altertumskunde in Kairo, 15 vols., Augsburg and Wiesbaden, 1930-59.
Nachr. Göttingen	Nachrichten von der Kgl. Gesellschaft der Wissenschaften zu Göttingen.
OLZ	Orientalistische Litteratur-Zeitung, 53 vols., Berlin, 1898-1959.
Onom.	A. H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, 3 vols., Oxford, 1947.
PM	B. Porter and R.L. B. Moss, Topographical Bibliography. See p. 17.
Parker	R. A. Parker, The Calendars of Ancient Egypt, Chicago, 1950.
Peet, Tomb-robberies	T. E. Peet, The Great Tomb-robberies of the Twentieth Egyptian Dynasty, 2 vols., Oxford, 1930.
Petrie, History	See p. 68.
Petrie, Royal Tombs	W. M. F. Petrie, The Royal Tombs of the First Dynasty, 2 vols., London, 1900-1.
Petrie, Scarabs	W. M. F. Petrie, Scarabs and Cylinders with Names, London, 1917.
Posener	G. Posener, La première domination Perse en Egypte, Cairo, 1936.
PSBA	Proceeding of the Society of Biblical Archaeology, 40 vols., 1879-1918.
Psu.	P. Montent, Les constructions et le tombeau de Psousennès à Tanis, Paris, 1951.
RAD	Alan Gardiner, Ramesside Administrative Documents, London, 1948.
Rec. trav.	Recueil de travaux relatifs à la philologie et à l'archéologie Egyptiennes et Assyriennes, 40 vols., Paris, 1870-1923.
Rev. d'Eg.	Revue d'Egyptologie, II vols., Paris, 1933-57.
RT	See above under Petrie, Royal Tombs.
Rylands	See under F. Ll. Griffith, p. 383.
Sandman	M. Sandman, Texts from the Time of Akhenaten, Brussels, 1938.
Säve-Söderbergh	T. Säve-Söderbergh, Aegypten und Nubien, Lund, 1941.

Seele, Coregency — K. C. Seele, The Coregency of Ramses II with Seti I, Chicago, 1940.

Sethe, HP — K. Sethe, Das Harschepsut-Problem. See p. 211.

Sinai — See p. 146.

Thuc. — Thucydides.

Untersuclungen — See p. 70, n. I.

Urk. — See under Historical texts, etc., p. 69.

Vandier — See under E. Drioton and J. Vandier, p. 69.

Winlock, Excavations — H. Winlock, Excavations at Deir el Bahri, New York, 1942.

Winlock, Rise — H. Winlock, The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes, New York, 1947.

Wiseman — D. J. Wiseman, Chronicles of Chaldaean Kings, London, 1956.

Wreszinski — W. Wreszinksi, Atlas zur altägyptischen Kulturgeschichte, 2nd part, Leipzing, 1935.

WZKM — Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes, 56 vols., Vienna, 1886-1960.

ZAS — Zeitschrift für ägyptische Sprache und Altertunskunde, 84 vols., Leipzig, 1863-1960.

الكتاب الأول

تمهيد

١ دراسة علم المصريات قديما وحديثا

كان أول الكتاب الذين زودوا مواطنيهم بأوصاف مستفيضة عن مصر والمصريين أيونيين من المدن الواقعة على الشاطىء الغربى لآسيا الصغرى فلقد كان يسكن هناك فى أيونيا فى القرن السادس قبل الميلاد جنس من الناس أكثر تعطشا للمعرفة من أى شعب آخر عاش فوق الأرض ولكن كانت هناك دوافع معينة جذبت انتباههم واهتمامهم الى مصر بخاصة ، فقبل منتصف القرن السابع كان الايونيون والكاريون يعملون كمرتزقة فى جيش الملك الساوى بسمتكوس الاول الذى كان يجهد فى تدعيم سلطانه على وادى النيل كله وليس من شك فى أن التجار والسياح العاديين جاءوا فى أعقاب المحاربين ثم حملوا الى أوطانهم قصصا كثيرة عن الأشياء الغريبة التى شاهدوها وتعلموها فى أرض تختلف كثيرا عن بلادهم وكانوا يدهشون المستمعين برواياتهم عن بلد قل أن تسقط به الأمطار وأن حقوله يزيد خصبها بفضل الفيضان السنوى لنهر عظيم ٠

لقد جاءوا من قبل الى مصر وفى أذهانهم انهم سيجدون بها مايشبه من نواح كثيرة ما كان معهودا لديهم فى بلادهم حتى ان كثيرا من الاسماء التى أطلقوها على الاماكن والاشياء التى مروا بها أو مرت بهم ظلت عالقة بها حتى الآن ، ووجدوا أنهم حين اقتربوا من ناحية البحر أمام مساحة مثلثة ضخمة ذكرتهم برابع حروف الهجاء لديهم وعند وصولهم الى رأس الدلتا شاهدوا مدينة ممفيس العظمى وهى اسم بديل لـ « حكوبتاح » ـ

مقر روح (الاله) بتاح — الذى ربما أوحى الى هومير بكلمة « ايجبتوس » (ايجبت) التى استخدمها لتعبر عن كل من النهر والارض التى يرويها ٠ ودهش الزوار عند منف حين شاهدوا المنشآت الضخمة التى أطلقوا عليها مداعبة اسـم Pyramids وتعنى « كعك الحنطة » كما أثار اهتمامهم بالقرب من هليوبوليس تلك القطع الحجرية المفردة القائمة من الجرانيت والتى لم يجدوا من تسمية أقرب اليها من Obelisks وتعنى « السفود الصغير » وعند تقدمهم صاعدين النيل بالقرب من قناة تؤدى الى بحيرة « مويرس » — وهى الفيوم الحالية — شاهدوا مبنى ضخما متعدد القاعات قيل لهم ان بانيه ملك يدعى لاماريس أو لاباريس ليكون قبرا له ، وهذا الملك هو المعروف اليوم لنا تحت اسم « أمينمس الثالث » من ملوك الاسرة الثانية عشرة ٠٠ ثم ذكروا أخيرا ان هذا المبنى كان « لابيرنت » آخر وهو صورة طبق الأصل من مبنى المتاهة التى صممته عبقرية ديدالوس الكريتى ووصلوا بعيدا الى الجنوب الى مدينة هامة يشير اسمها المصرى الى مشابهتها بمدينة « ابيدوس » فى الهلسبونت ٠ وكانت تقوم فى الاتجاه مصعدا فى النهر بعد ذلك مدينة كبيرة تعلن صروحها الكثيرة ، انها ليست سوى المدينة التى عناها شاعر الالياذة ب « طيبة » ذات المائة بوابة ، وكانت نرى مقابلها تماما عبر النيل على حافة الصحراء الغربية معابد تذكرنا أسماء بناتها — كما هى الحال فى المعبد الكبير فى ابيدوس — بالبطل الأثيوبى ممنون الذى ذبحه أخيل أمام أسوار طروادة ومن ثم فانه من الواضح ان توصف هذه الابنية وكأنما هى « ممنونيا » ، ولكن أعجب خيال طرأ على ذهن الزوار الايونيين هو ان الآلهة والآلهات التى عبدها المصريون ليست سوى معبوداتهم كرونوس وزيوس وهيفايستوس وابوللو وافروديتى وبقيتهم وكان من المحير مع ذلك ان نجد زيوس — أو أمون كما عرفه المصريون — يصور كخروف ، وأن يصور ابوللو — حورس (أوروس) المصرى يلبس رأس صقر وكان لا بد لهذه الانحرافات من أسباب خفية عميقة ، وكانت كثرة العجائب التى تشاهد فى مصر ثم قدمها الذى لا ينازع ، مما يبعث الرهبة فى نفوس أولئك السياح الذين قدموا عبر البحر المتوسط ومن هنا كانت بذور تلك الحكمة الاسطورية للمصريين ٠ وهى عقيدة ظلت مسلما بها مدى الالفى عام التالية ٠

واذن فاذا كان بين هؤلاء الزوار مصادفة من كان أدق ملاحظة أو أكثر قدرة على ملكة الوصف من الآخرين فانه من الواضح ان يجد مادة يكتب عنها أكثر من غيره ٠٠ وكان من هذه الطائفة المؤلفان: هيرودتس وهيكاتيوس ويسبق هيكاتيوس المليتى (٥١٠ ق٠م٠) صاحبه ويبدو انه كان أكثر

اهتماما بمشاكل فيضان النيل وتكوين الدلتا ومزروعات البلاد منه بالسكان وتاريخهم وقد ضاع « تخطيط الارض » الذى ناقش فيه كل هذه الأمور ولكننا نذكره هنا بسبب أسبقيته من الناحية الزمنية وانه لمن الصعب أن نتخيل ان مثل هذا الكتاب لو كان لا يزال بين أيدينا لم تكن أهميته لتتضاءل الى جانب كتاب هيرودوتس الهاليكارناسوسى (حوالى ٤٨٤ ـ ٤٣٠ ق٠م٠) فنحن ندين لهذا العبقرى بأول عرض رحيب عن مصر ظل سليما حتى اليوم ٠ أما كتابه الثانى الذى سماه « يوتربى » متابعة لل Muse فانه غير مطرد وقصصى كما انه يميل الى الانحراف الذى يتسلل الى رواية ملحمة الكفاح بين الفرس والهلينيين ونراه يحاول أن يعفى نفسه من اللائمة عن طول روايته بالاشارة عن مصر وقوله : ان « عجائبها أكثر عددا منها فى أى بلد آخر ، وما بها من مصنوعات يبلغ من الضخامة أكبر مما يحتمل التعبير » ٠ ولقد ارتحل هيرودوتس عقب ٤٥٠ ق ٠ م ٠ مباشرة كسائح حتى الجندل الأول وان رأى المحدثون من النقاد ان رحلته ربما لم تستغرق أكثر من ثلاثة شهور ولعل هذا يفسر عدم الاستطراد أو الوصف المطول لطيبة وآثارها وان كانت هناك أشياء أخرى مشابهة قد حذفت مثل الاشارة الى أبى الهول وهذه يمكن أن تنسب الى محاباته للأشياء العجيبة الطريفة وهى عن الخصائص التى دعته أن يقص فى تطويل روايات نقلها اليه التراجمة الوطنيون وخدم المعابد الذين ظنهم خطأ من طائفة الكهنة ، اولواقع أنه بسبب وصف هيرودوتس لمصر على الأغلب قامت ضده الاتهامات بالافك فى العصور القديمة والحديثة على السواء ، والحق يقال : انه ليس هناك من سبب للطعن فى حسن نيته وعلى الطالب أن يحذر مما يوضع أمامه بحسبانه تاريخا وهو من التراث الشعبى فى معايير غير دقيقة الرواية وتأكيدات بها نواة الحقيقة وان غلفت بالمبالغة والتحريف ، وانا لنكاد لا نجد أى مظاهر للحياة المصرية لم تثر اهتمام هيرودوتس فروايته عن الملكية المصرية العتيقة تدعو للأسى رغم أنه كان يعلم أن «مين» (مينيس) هو من مبدعها هذا الى أنه كان فى قدرته أن يقدم فى صورة مشوهة قليلا أسماء بناة أهرام الجيزة وهم كيوبس وكفرن وميسرينوس ومن أكثر الاخطاء الشائعة مع ذلك أن يضع قبل هؤلاء ـ بدلا من أن يضيفه بعدهم ـ الملك سيزوستريس الذى كان واحدا من عدة حكام يحملون اسم سنوسرة يرجعون الى عهد الاسرة الثانية عشرة لمانيتو والذين امتدت فتوحهم ـ وهو أمر فاقت المبالغة فيه كل حد ـ حتى اسكيديا وآكوالشس على الشاطىء الشرقى للبحر الاسود ٠ ومع ذلك فان معالجة هيرودوتس لأمر ملوك مصر ابتداء من بسامتكوس

الأول (٦٦٣ ــ ٦٠٩ ق٠م٠) يمكن الوثوق بها كما ينتظر من رجل كان بعد كل شيء ــ كما يدعوه شيشرون ــ أب التاريخ وأول من استطاع أن يميز بين هذا الفن وبين الرواية الشعرية ٠ أما فيما يتصل بالجغرافيا فان هيرودوتس يقدم بعض المعلومات القيمة وبخاصة فيما يتصل بالدلتا٠ أما فيما وراء الفيوم جنوبا فانه لا يذكر سوى مدن قليلة فهو لا يذكر فى مصر ذاتها سوى خميس (اخميم) وطيبة وسيين والفنتين ثم نيوبوليس الغامضة ٠ ومن بين الأقاليم الثماني عشرة التى يورد ذكرها لا نستطيع تحديد أكثر من نصفها بسهولة ومع ذلك فان قائمتـه تحوى أسـماء لا نجدها في غيرها من المصادر وربما كان مرجع ذلك الى سوء فهم للواحد أو للآخر ٠ وأما روايته عن الديانة المصرية فرغم ما تتسم به من افاضة فانها تدعو الى اليأس وهو يعلن نيته فى أن يلزم الصمت بالنسبة لهـذا الموضـوع ونراه يذكر لبعض المعبودات (أمون ٠ بوباستس ٠ ايزيس أوزيريس ٠ أوروس) بأسمائها المصرية ولكنه يفضل ــ كقاعدة ــ مقابلاتها اليونانية لأنه كانت تملكه الفكرة بأن الهيلينيين لم يستقوا من مصر الكثير من اخيلتهم (ملاحظاتهم) الدينية فحسب، بل الآلهة أنفسهم كذلك ٠ وقد حفظت لنا أوصاف الأعياد المحلية الكثير من التفصيلات الصميمة ، والحق يقال : ان ما قدمه مشحون بكل أنواع الحقائق الطريفة التى لا نستطيع أن نلقاها فى مصادر أخرى ٠ ولعل من أكثر ما يستحق الاهتمام مثلا الفقرة (٢ : ٣٥ ــ ٣٦) حيث يعـد الملامح التى يختلف فيهـا المصريون عن بقية الشعوب ، وانه من النادر أن نستطيع أن ندينه بخطأ محدد مثل قوله: بأنه ليست هنـاك كروم فى مصر (٢ : ٧٧) حين نراه يعـارض نفسه (٢ : ٣٧ ، ٣٩) ٠

ولم يبق من كل ما كتب عن مصر فىالقرون التالية سوى القليل ، وليس هناك مؤلف آخر ذو خطر يمكن ايراده حتى عصر افلاطون (٤٢٨ ــ ٣٤٧ ق ٠ م ٠) الذى نلتقى فىكتاباته من وقت لآخر ببعض الاشارات التى لا تخلو من أهمية فهو يعرف مثلا اسم « نيت »الهة « سايس » كما يحدد تحديدا صحيحا اختصاصات «تحوت» اله الآداب والعلوم والفلك وكذا لعبة الداما ، وما دمنا لا نزال نسـعى أساسا وراء المؤلفين مما لا تزال أعمالهم باقية لدينا فاننا نسـتطيع أن نمر مر الكرام على الملاحظات المبعثرة فى الجزازات القليلة لكتاب القرن الرابع مثل هيكاتابوس الأبديرى ٠

وبعد الاسكندر الاكبر ــ تحت حكم البطالمة ــ احتشدت مصر بالاغريق الذين حطوا رحالهم بها وشغلوا بأعمالهم التجارية وبالزراعة أكثر من ابداء

الاهتمام بالعادات الغريبة لجيرانهم من المواطنين . ولدينا من عصر يوليوس قيصر اشارة عن مصر أطول بقليل مما وصلنا من هيرودوت وأن كانت أقل أهمية ، وانا لنلقاها في الكتاب الأول للمؤلف اليوناني ديودوروس الصقلي عن التاريخ العام General History فلقد قام برحلة سياحية في مصر لمدى قصير في ٥٩ ق.م. وهو يروى مرة أو اثنتين من تجاربه الشخصية واما مصادره الاصيلة فكانت على أية حال الكتـــاب الذين سبقوه مثـــل هيكتايوس الأبديرى (٣٢٠ ق . م .) وأجاثاركيدس السفودى الجغرافى المؤرخ (القرن الثانى قبل الميلاد) وهو لم يستطع أن يتجنب الاستعـــانة بهيرودوتس على نطاق واسع وان انساق وراء جمهرة نقاده ، وأما الموضوعات التى عالجها كل من هيرودوتس وديودورس فمتشابهة وان ذكر الواحد الكثير مما حذفه الآخر ، واما فيما يتصل بالقدرة الادبية فالبون بينهما شاسع بل هما قطبان متباعدان فديودورس ليست له قدرة التمييز الفردى السريع كما انه ليس لديه ذلك الاحساس للقصة الطيبة وهما أمران جعلا من مؤلف هيرودوتس شيئا له قيمة ضخمة . والكاتب الأخير يسير فى كتبه على وتيرة واحـــدة وهو فى الوقت نفسه متباطىء ممل ومن ثم فمن السهل تحليله وان كان يبعث السأم عند القراءة . وان كان مجملا مختصرا للتطور الكونى يؤدى الى وصف للعقيدة المصرية فيه وأساسها فى ادراك الآلهة وقد كرست مساحة أكبر للاله أوزيريس الذى أضيفت لسوء الحظ تفصيلات أصيلة قيمة تتصل به عن طريق رواية مفردة غير مصرية عن حملاته الحربية . ويلى ذلك تسجيل مصطنع تماما عن المستعمرات المصرية فى بابل وكولشس وبلاد الاغريق ثم يتبع هذا قسم مستفيض عن أرض مصر ونهرها والحياة الزراعية والحيوانية بها وفى نهاية الامر نلتقى بمناقشة مستفيضة عن أسباب الفيضان. وهكذا بعدفقرة قصيرة عن طعام المصريين ينتقل ديودورس الى تاريخهم . أما ميناس (مينيس) فهو يسلم به كأول ملك ولكن حـــكم اثنين وخمسين من خلفائه لايلقى لهم بالا ولا يشار اليهم ولو اشارة عابرة . ويلى ذلك تعريف بـ « بوصيرص » المجهل وهو المؤسس الاسطورى لطيبة التى تنال قسطا كبيرا من الوصف يبلغ ذروته مدعما بالمعالم القديمة البالغة الدقة لآثار « أوزيمانٰدياس » (رمسيس الثانى) المعروف اليوم باســـم الرمسيوم . وانا لنرى ديودورس يقلب نظام ترتيب الأحداث حين يجعل تأسيس ممفيس تاليا لتأسيس طيبة ولحكم « أوزيمانٰدياس » ، والواقع أن بقية روايته الطويلة عن التاريخ المبكر تبدو بوضوح بعيدة عن التتـــابع الحقيقى أكثر مما فعل هيرودوتس رغم تسجيله عددا من الأســـماء فى دقة يعوزها الصـــقل . وقد خصصت مســاحة غير متناســـبة لمآثر وتوفيق

« سيزووسيس » (سيزوستريس) الذى تحدثنا عنه من قبل • والثلاثون فقرة الأخيرة من كتابه الأول بالغة الطرافة وهى تتناول طائفة من الموضوعات من بينها حياة الملوك التى تسير على نسق الطقوس ثم ادارة الاقاليم ونظام الطوائف ثم العدالة والقوانين فالتعليم فالطب فعبادة الحيوان فدفن وعبادة الموتى وأخيرا مايدين به الاغريق لمصر • والحق يقال : ان ماكتبه ديودورس عن القرنين : الخامس والرابع قبل الميلاد يجعل كتابه بالغ الأهمية فهو يقف فى هذا المضمار جنبا الى جنب مع ثيوسيديدس واكسنفون كمؤرخ حجة ، أما عن العصور القديمة فان كثيرا مما يرويه لا يمكن التحقق منه عن طريق مصدر آخر ، ولما كان مؤلفه يعد تجميعا فانه يصبح بطبيعة الحال ذا قيمة لا تبارى • وهنا ـ كما هى الحال فى تقدير الكتاب الكلاسيكيين قاطبة ـ نرانا تجاه معضلة : ذلك انه حيث يؤكد تفصيلا من التفصيلات بدليل مادى خارجى موثوق به ، نجد أن هذا التأكيد يجعل القضية المعروضة سطحية بصورة ما ، وحين يعوزنا الدليل لا تكاد ثقتنا تصبح كافية لجعله مقنعا •

ومع ذلك فهناك استثناء جزئى لهذا التعميم وذلك فيما يتصل ب « سترابو » وهو من مواطنى بونتس يتحدث اليونانية وعاش فى الاسكندرية لبضع سنوات ثم صحب صديقه الوالى الرومانى ، اليوس جاللوس ، فى حملة الجندل الأول حوالى عام ٢٥ ـ ٢٤ ق•م• وكتاب سترابو عن مصر قصير نسبيا يتضمنه الكتاب السابع عشر والاخير من مؤلفه Geographica رغم أن بعض الفقرات التى تحوى معلومات تتصل بالبلاد تتردد فى أجزاء أخرى من المؤلف • وهو يبدأ بحديث موجز عن النيل ثم يتابعه بوصف مفصل عن الاسكندرية والاقليم المتاخم لها شرقا • وهو يتابع بعد ذلك الكتابة تبعا للترتيب الطبوغرافى • وتنال اقاليم ومدن الدلتا حظا من التفصيلات الكاملة ، وهذا الضغط على الدلتا يستحق أكثر الترحيب لأن الوثائق الوطنية والآثار شحيحة فى هذه الناحية ولقد كان اهتمام سترابو بخاصة جغرافيا • وانا لنراه بالاضافة الى بعض الانحرافات التاريخية لايعدم الوسيلة ـ حين تسنح له الفرصة ـ من تقديم تفصيلات هامة فيما يتصل بالابنية والعبادات وكذا موضوعات أخرى طريفة • وهاك مثلا من دقة سترابو حين يتحدث عن بئر أبيدوس فهو يقول عنه : « انه يقع على عمق بعيد حتى لينزل المرء اليه من طريق سراديب مقببة من قطع مفردة من الحجارة ذات أحجام وصناعة تفوق الوصف » وهذه اشارة واضحة الى البركة التى كشف عنها نافيل (١) فيما نسميه نصب سيتوس الاول •

(١) J.E.A. i, 159 ff & PMvi, 29

وكان سترابو أول من أشار الى ممنون الصوتى فى طيبة وهو واحد من التمثالين الفخمين الجالسين ، والباقيين حتى اليوم على السهل الى غرب الاقصر (لوحة ١٢) والذى كان يصدر عنه عند الفجر صوت كان يستطيع تمييزه الكثيرون من الزوار الاغريق والرومان (١) • ثم هو يحدثنا كذلك عن مقياس النيل فى الفنتين وهو نموذج مشهور من طراز من الدرج كانت تسجل على جدرانها سنويا الارتفاعات التى يصل اليها فيضان النيل • واما ملاحظات سترابو على التاريخ والعادات الدينية فخاضعة بطبيعة الحال للنقد نفسه المحاذر الذى أشرنا اليه بالنسبة للمؤلفين السابقين ، وأما من ناحية الجانب الجغرافى البحت فى كتابه فانه رصين تماما • وهو لا يذكر فى حـدد مصر المعروفة اليـــوم (أى حتى حدود السودان على بعد حوالى ٣٠ ميلا شمال وادى حلفا) أقل من ٩٩ مدينة ومحلة يمكن تحديد مواقع معظمها بدرجة طيبة من التأكيد • وفى الختام علينا أن نسجل أن سترابو كان كاتبا مرحا لا تعوزه المهارة •

أما موســـوعة Historia naturalis لـ « بلينى الاكبر » (٢٣ ـ ٢٩ ميلادية) فتجميع ضخم لقدامى المؤلفين عالج فيها المواد التى ليست من الانتاج الصناعى للانسان • ولكنه يحمل الاختراعات البشرية والمعاهـــد عبء الكثير من الانحرافات وتنال مصر هنا نصيبها الوافى من اهتمامه• ويعد بلينى ـ كحجة عن جغرافية مصر ـ عنصرا هاما رغم أنه لا يصل فى مستواه الى «سترابو» أو «كلوديوس بتولمايوس» الذى أخرج كتابه « الجغرافيا » حوالى عام ١٥٠م • والأجزاء من كتاب بطلميوس التى تتناول مصر والنواحى المتاخمة لها قصيرة وتحوى أساسا قائمة من المقاطعات فقط ومع كل مقاطعة دائرتها الاقليمية ومدن قليلة أخرى • وانه لمن غير الضرورى أن نعلق هنـا على المصادر الاخرى لجغرافية مصر فى العصر اليونانى الرومانى ما دام بين أيدينا كتاب بالانجليزية للمرحوم دكتور « ج• بول » يستطيع أن يزود القارىء الذى يهمه بكل ما يريد معرفته عن الموضوع •

بل نحن لسنا فى حاجة لأن نطيل أكثر من ذلك فى ان نتابع التقاط موجز عن المعلومات التى تتصل بالمظاهر المصرية الدنيوية للحياة والتاريخ من وراء المؤلفين اليونان والرومان • وبافتراض أن أهم ما كتبه مانيتـو لا يزال محتفظا به لمناقشـة ستأتى فيما بعد ننتقل الآن الى ما كتبه الكتاب الكلاسيكيون والمتاخرون وما يروونه لنا عن الدين المصرى : حين ســقطت أرض الفراعنة فى قبضة اليونان ـ ومن بعدهم الرومان ـ وبسطوا عليها

(1) Beadeker, 345 F.; PM ii, 160;

نفوذا قويا أخذت الحكمة الوطنية التقليدية تنسحب أكثر فأكثر الى أيدى الكهنة الذين رأوا من مصلحتهم أن يصروا ويؤكدوا عمق حكمة أسلافهـــم ومعرفتهم السرية • وقد حلا لبعض المتهكمين أمثال جوفنال (١) (٤٧ ـ ١٢٧ م •) أن يحقروا قوما أقاموا على عبـــادة القطط والتماسيح ولكن الكثيرين حتى من بين أقدر كتاب ما بعد العصر الاوجسطى رأوا أنهم كانوا أوسع معرفة • وبانهيار العقيدة فى آلهة الاوليمب القدامى سقط أهـــل روما والاقاليم فريسة سهلة لما تعلقت به أنظارهم من عقيدة المشرق وانتشرت عبادة ايزيس في أرجاء الامبراطورية قاطبة رغم أنه حتى أولئك الذينمجدوا هذه السرية أكبر تمجيد تحيروا فيما يمكن ان تكون ولعل من أكثر الامور اثارة للاهتمام كدليل على حيرتهم ذلك المؤلف الذى كتبه بلوتارك الخيرونى» (٥٠ ـ ١٢٠ م) وعنـــوانه : De Iside et Osiride وفى بعض الفصول ـ ليس بعيدا من مقدمته ـ تراه يروى فى لغة بسيطة قصةأوزيريس الملك الصالح الذى قتله غيلة أخوه الشرير تيفون (ست) ثم انتقم له •• كنتيجة لذلك ـ ابنه حوريس الذى كانت قد نشأته فى عزلة خفية أمـه ايزيس • وتتفق القصة التى يرويها بلوتارك ـ والتى كان قد رواها من قبله ديودورس مع القصة التى يمكن بناء هيكلها من النصوص المصرية وان حملت بالكثير من التفصـــيلات التى استقى بعضـها على الأقل من بعض مصادر وطنية لم تصل الينا • ولعل حيرة بلوتارك غير الارادية تصبحواضحة جلية حين يتناول الامور بالشرح والتفسير فهو يصر على الا تؤخذ الاسطورة بحرفيتها ، ويمكن تشبيه الصور المتعددة التى تتضح الحقيقة من ورائها بالألوان المتعددة لقوس قزح كانعكاس للشمس ، وهو مرة يجعل أوزيريس مساويا للنيل فيقترن بايزيس كما يقترن النيل بالأرض ولكنه عندئذ يحدق به البحر (تيفون) أو يغرقه • وهو مرة أخرى يرى فى أوزيريس الرطوبة المنتجة كما يرى فى ايزيس الارض وفى ابنهما حوريس البلل الطقسى الذى يحل بالدلتا فى أوانه ، ومرة ثالثة يكون تيفون قوة الجفاف ، بينما يكون حوريس المطر الذى ينتصر عليه • ولكن البعض يرون فى تيفون الشمس القاسية وأوزيريس ضوء القمر المندى •• وهكذا يســـير الأمر بالكتاب من صفحة الى أخرى بشرح مجازى وباستعارة تفسح المجال لأختها ولسنــــا نستطيع أن نجزم بأن هذه التفسيرات أو الشروح ليست من أصل مصرى ولكننا اذا تناولناها جملة فانا نراها تحمل بصمة لا يخطئها النظر من ناحية الاصالة التأملية التى تقترن بالغرب •

(١) جمعت الفقرات فى كتاب

Th. Hopfner, Fontes historiae religionis Aegyptiacae, Bonn, 1923, pp. 281-4.

وبانتشار المسيحية أخذت المعبودات الوثنية تختفى تدريجيا ووجدت ايزيس ملجأ أخيرا على جزيرة فيلة وراء الجندل الأول حيث لم تختف عبادتها الا فى القرن الخامس • ورغم ان الدين الوطنى لمصر زال الا ان الاعتقاد فى المعرفة الخفية العميقة لكهنتها القدامى ظل مكينا بل شجعت عليـــه اشارات في التوراة عن (حكمة مصر) (ملوك • الأول ٤ : ٣٠) ثم ممارسة سحرتها العجيبة لفنهم (خروج ٧ : ١١ ــ ٢٢) وكانت العقيدة فى هذا التراث الاخير لا تزال قائمة حتى أنه ــ كأثر لها ــ جلس إلفلاســفة الاوائل لليونان مثل « تاليس » و « فيثاغوراس » كتلاميذ عند أقدام الكهنـــة المصريين (١) •

ولكن ربما كان أشد المؤثرات قوة لتخليد وجهات النظر نفسها المبالغ فيها هو المظهر الغامض للهيروغليفية وليس من شك فى أن هذه الصور المصغرة للبشر والحيوان والنبات والاجرام الســـماوية والبيوت والأثــاث ليست بالضرورة سوى رموز لمبادىء خفية عميقة وخاصة ما دامت تشاهد وهى تغطى كل جدران المعابد المصرية الكبرى ولقد تفرد قدامى الكتاب اليونان بالصمت فيما يتصل بطبيعة الهيروغليفيـــة (٢) وقد كان ديودورس (٣ : ٤) وحده واضحا وصريحا فى هذه النقطة فقد أكد أنهــا ليست نطقية بل هى مجازية على وجه التحقيق وقد تابعه فى ذلك « خايريمون » معلم « نيرون » فى كتاب لم تصلنا منه ســوى مقتطفات موجزة (٣) وعلى ذلك فان أضخم ما وصل الينا من هذا النوع عن الناسخين المتأخرين هو كتاب عن الهيروغليفية كتبه واحد يدعى « حورابوللو » وهو على الاخص أديب مصرى من القرن الثامن الميلادى ، وهاك نموذجا منقولا عن واحد من فصوله :

كيف يعرفون الروح

« وأكثر من ذلك فان الصقر يوضح مكان الروح ، من دلالة اسمه ، ذلك لأن الصقر يدعى لدى المصريين « بايث » وحين تقطع هذه الكلمة

---

(١) Th. Hopfner, Orient und griechische philosophie Leipzig 1925.

(٢) الفقرات المناسبة تلقاها فى كتاب P. Marestaing : Les Ecritures égyptiennes et l'antiquité classique, Paris 1913.

(٣) S. Birch in Trans. Royal Soc. Literature, III (1850). Ser. 2 Vol. 3, 385 ff.

نجدها تعنى الروح والقلب ، ذلك لأن كلمة «باى» تعنى الروح و «يث» تعنى القلب ، والقلب ـ طبقا للمصريين ـ هو وعاء الروح ، ومن ثم كان الاسم فى تركيبه يعني « الروح فى القلب » ٠

والواقع ان بعض الحقيقة يكمن فيما جاء فى هذه الفقرة لأن كلمة « روح » كانت تكتب لدى المصريين بعلامة تمثل طائرا ، ولكن التفسير المجازى غير صحيح مطلقا بل هو مضلل لأبعد الحدود ، وهناك فقرةٌ فيما كتبه القس العالم « كليمان السكندرى » (١) يبدو انها تستطيع أن تشير الى تقدير أدق لطبيعة الهيروغليفية ولكن تعبيراته تبلغ فى غموضها حدا يجعلها لا تلتقى والافكار الخيالية لدى الغالبية ٠

وبحلول القرن السابع ران الظلام على أوربا ، أما مصر فانتقلت الى يد سلطان الفاتحين المسلمين ولم يقدر للاهتمام بآثار هذه البلاد أن يوقظ من سباته حتى بعد عصر النهضة ٠ وكان السياح الذين غامروا بالسفر اليها فى طريقهم فى أغلب الامر الى الاراضى المقدسة ولم يذهب سوى قلة منهم الى ما وراء القاهرة العظمى وأما أكثرهم اقداما فكان يتقدم حتى سقارة وهناك يرشــو بعض المواطنين ليقوموا باستخراج بعض الموميــات للاستمتاع بها ولم يعد منهم الى بلاده بمعلومات جديدة ذات قيمة سوى القليلين وربما كان من أهم هؤلاء اليسوعى « سيكار » (١٦٧٧ــ١٧٢٦) وهو أول من وصل الى أسوان من أولئك الذين سعوا وراء البحثوالتحرى من المحدثين نسبيا ٠ وقد أعاد الكشف عن موقع طيبة وهو يزعم انه زار أربعة وعشرين معبدا وأكثر من خمسين مقبرة صـــخرية ملونة أو منقوشة ٠ ولكنه لسوء الحظ لم ينشر سوى القليل ٠ ولعل أهم ما أسهم به هو الخريطة التى استخدمها بعد ذلك « دانفيل » أساسا لخريطتـــه عن مصر التى ظهرت فى عام ١٧٦٦ ٠ ومن بين أهم كتب السياحة التى تجدر الاشارة اليها هنا كتاب « نوردن » الدانمركى (١٧٠٨ ـ ١٧٤٢) ثم مواطننا « ريتشــــارد بوكوك » (١٧٠٤ ـ ١٧٦٥) وكذا « جيمس بروس » (١٧٣٠ ـ ١٧٩٤) ومع ذلك فقد نشر قبل عصرهم بزمن طويل مقال عن الاهرام هو « البيراميدوجرافيا » للفلكى «جون جريفز» (١٦٤٦) من اكسفورد ٠

---

(1) Rec. Trav. XXXIII. 8 ff.

ويلاحظ ان الرسوم التى تتضمنها كل هذه الكتب غير صحيحة بدرجة ملحوظة . وكان من أكثر الاشياء فائدة للدارسين بالخارج تلك المخطوطات القبطية التى بدأت ترد الى أوروبا منذ أوائل القرن السابع عشر . وقد انتقل العديد منها مما كان فى حوزة « بيترو ديللافالى » فى مصر الى يد الاب اليسوعى العالم « اثناسيوس كيرشر » (١) الذى يؤكد كتابه المسمى Lingua Aegyptiaca restituta (١٦٤٣) نقطة البدء الحقيقية للدراسة الجدية لهذا المظهر الاخير من اللغة المصريةالقديمة التى كتبت بحروف الهجاء اليونانية مع اضافة حروف أخرى قليلة . والواقع انه لولا معرفة طيبة بالقبطية لما أتيح لحل رموز الهيروغليفية أن يتقدم تقدما سريعا وأنه لمن الأسف أن كيرشر الذى يستحق كل تقدير لم يستطع أن يمنع نفسه من التردى فى تفسيرات خيالية بالغة الغرابة للهيروغليفية ومن أمثلة ذلك اسم الفرعون « ابريس » الذى كتب على مسلة رومانية فهو يعنى لدى « كيرشر » (٢) « ان مزايا أوزيريس المقدس يمكن ادراكها بواسطة احتفالات مقدسة وعن طريق سلسلة من الجن حتى يمكن الحصول على مزايا النيل » .. وفى الوقت نفسه نجد ان هذا العالم المجهد ــ شأنه فى هذا شأن عالم آخر جاء من بعده هو « ب . أ . يابلونسكى » (١٦٩٣ ــ ١٧٥٧) وشأن «ج . زويجا » فى نهاية القرن الثامن عشر ــ جمع فى مجلدات ضخمة كل ما قاله اسلافه أو فكروا فيه بالنسبة لمصر . ولم يسر التقدم قليلا الى أبعد من ذلك حتى أصبحتالبلاد نفسها مفتوحة وحتى تم الكشف عن المفتاح للكتابات القديمة .

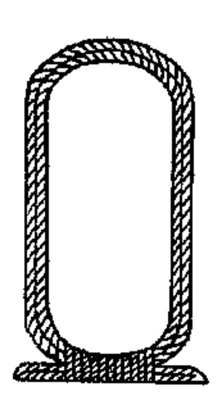
هكذا ــ باختصار وبكثير من الحذف ــ كانت دراسة المصرياتفيما قبل عصر نابليون (ان أمكن استخدام هذا الاصطلاح لفرع من فروع المعرفة) غير مجدية وغير علمية تماما . وقد بدأت المرحلة الجديدة بحملة بونابرت على مصر (١٧٩٨) وكشف حجر رشيد المكتوب بلغات ثلاث فى العام التالى . وكان مضمون ما جاء به مرسوم اذاعه لجميعالكهنة فى مصر تمجيدا لبطلميوس الخامس ابيفان عام ١٩٦ ق.م. وأما النصان : اليونانى والديموطيقى فيكادان أن يكونا كاملين . وأما النص الهيروغليفى فلم يكن كذلك وسرعان ما ثبتأن هذه الوثيقة الثمينة تتيح فرصة لحل الرموز أكثر مما أتاح أى شىء آخر قبلها وطالما ترددت قصة النجاح النهائى : كانت أول خطوة هى تلك التى اتخذها الدبلوماسى السويدى « اكربلاد »

---

(١) Chron. d'Eg. No. 35, 240 ff.

(٢) Obelisci Ægyptiaca inter pretatio, Rome 1666, p. 53.

الذى ركز جهوده على الكتابة المختزلة المنقوشة تحت الهيروغليفية مباشرة مدركا إنها الديموطيقية التى أشار اليها هيرودوت (٢ : ٣٦) وبعد أن وثق عن طـريق المقارنة باليونانية من مكان أسماء الأعلام استطاع أن يميز حوالى نصف حروف الهجاء وأن يستوثق من أن اللغة المستعملة هى التى عاشت بعد ذلك تحت اسم القبطية وقد نشر اكربلاد مقاله عام ١٨٠٢ ولكن لم تبذل جهود أبعد من ذلك حتى عام ١٨١٤ حين أقدم على ذلك العالم المشهور «توماس يونج» صاحب نظرية التموج فى الضوء ولقد كان « يونج » رجلا عميق المعرفة له عدة مناح اهتم بها وكان دائم الاستعداد لمعالجة أية معضلة جديدة وسرعان ما أدرك صلة القرابة الشديدة بين طرائق الديموطيقية والهيروغليفية ولاحظ أن القسم اليونانى من حجر رشـــيد كان مليئا بكلمات تتكرر وقد نجح فى تقسيم الديموطيقية الى ست وثمانين مجموعة كلمات ، معظمها صحيح · وأما بالنسبة للهيروغليفية فقد كانت نقطة البداية عنــده ــ قبل أن يقيم هــذا الفرض بزمن طويل كل من « جوينى » و « زويجا » ــ ان الخراطيش أو « الحلقـــات الملــكية » : (شــكل ١) تحوى أسماء الملوك والملكات وانه (طبقــا لما ذكره المرحوم الأستاذ جريفث) « استطاع فى حذق ــ ولحسن حظه كذلك ــ أن يتوصل الى معرفة خرطوش برنيس بالاضافة الى خرطوش بطلميوس المعروف ، ثم اقترح ــ وكان مصيبا فى ذلك ــ خرطوشا آخر نسبه الى تحوتمس الذى ذكره مانيتو من ملوك الأسرة الثامنة عشرة هذا الى أنه استطاع أن يميز فى الهيروغليفية حرفى « ف »، «ت» وال « مخصص » الذى يســـتخدم فى النصوص المتأخرة لنهاية الكلمات المؤنثة كما تعرف عن طريق المتنــوعات فى البرديات الى أن الحـــروف المختلفة تســـتطيع أن تكون لها القـــوة نفسها ــ وباختصـــار توصل الى مبـــادىء الجناس · وقد كان هــذا كله مختلطا بكثير من الخاتمات الزائفة ولكن الطريقة التى اتبعها أدت من غير شك الى حل نهائى للرموز » · ولما كانت الحيرة قد تملكت « يونج » ممـــا منعه من أى تقدم آخر ثم انغماسه فى أعمال أخرى منوعة ، فانه قنع بالتخلى عن موضوع الهيروغليفية لشاب لامع كان يعمل مدرسا فى جرينوبل وكان هذا الشاب يؤمن منذ باكورة شبابه بأن قدره قد هيأه لحل هــذه المشكلة وقد أعد « جان فرانسوا شامبليون » (١٧٩٠ ــ ١٨٢٣) نفسه للعمل بأن جعل فى متناوله كافة المصـــادر الكلاسيكية ثم أتقن القبطيـــة اتقانا تاما · وقد ظل حل المشكلة يروغ منه زمنا طويلا بل انه ظل مترددا مدى سنة بعد اكتشافه الخالد فى الجزم بأن الهيروغليفية ــ بعد ذلك ــ ليست كتابة رمزية خالصة · ورغم تردد شامبليون فانه اثبت عن طريق

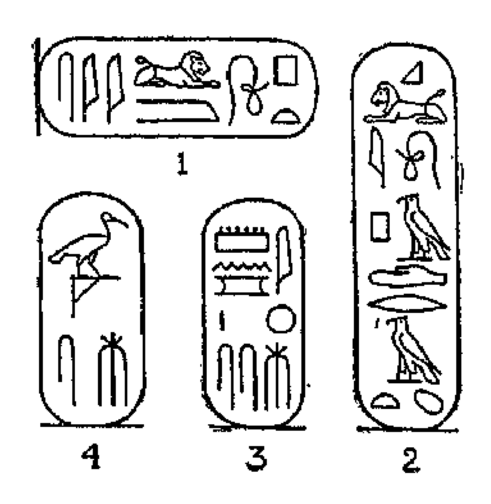


شكل (١)

مقارنة العلامات الديموطيقية بنظائرها فى الخرطوش ان الهيروغليفيـــة تستطيع كذلك ، ولو فى بعض المناسبات ، أن تصبح هجائية ٠

وقد وصل الى الدليل الحاسم عن طريق مسلة كانت مقامة على قاعدة مغطاة بكتابات يونانية تمجيدا « لبطلميوس فسكون والكليوباترتين » ٠ وكانت المسلة والقاعدة قد نقلتا الى انجلترا فى عام ١٨١٩ لتزيين حديقـة « و ٠ ج ٠ بانكس » فى كنجستون لاسى فى دورسيه وقد طلب بانكس فى عام ١٨٢١ طبع النقوش اليـونانية والهيروغليفية بالليتوجراف (طبع على الحجر) ووصلت نسخة مما طبع الى يد شامبليون فى يناير من العام التالى ، وقد شاهد فيها مع خرطوش بطلميوس خرطوشا آخـر لم يتردد فى ادراك انه خرطوش كليـوباترة ما دامت تتردد فى الاثنـين الحروف الهيروغليفية المقابلة ل « ب ، و ، ل ٠ » فى الأماكن نفسها التى توقع أن تكون بها ٠ حقا ان حرف «ت» كان يختلف فى الحالتين ولكن هذا أمكن تفسـيره ببساطة عن طريق نظرية الجنـــاس ٠ وقد أمد الخرطوشـان شامبليون بثلاثة عشر حرفا تقابل اثنى عشر صوتا ٠ وكان هذا السلاح الجديد مما جعله يقدم على تمييز الكتابة الهيروغليفية للكتابات التى تحمل أسماء الكسندر ، برنيس ، تيبريوس ، دومسيان ، تراجان الى جانب الألقاب الرفيعة مثل أوتوكراتور ، قيصر ، سباستوس ٠

وهكذا أمكن الوصول الى حل فيما يتصل بخراطيش العصر اليونانى الرومانى ولكن ماذا عن الخراطيش التى تنتسب الى العصور الاقدم ؟ فى الرابع عشر من سبتمبر ١٨٢٢ تلقى شامبليون من مهندس معمارى نسخا من نقوش من المعابد المصرية استطاعت أن تبدد كل شكوكه ٠ وقد وجد فى



شكل (٢)

خراطيش اعتمد عليها شامبليون فى حل الرموز :
١ ـ بطلميوس
٢ ـ كليوبترة
٣ ـ المحبوب من امون ـ رعمسس
٤ ـ توثموزس

نهاية واحد من الخراطيش علامة مكررة مرتين استطاع أن يتعرف عليها من حروف الهجاء وأن يدرك انها تمثل حرف « س » وتفصلهما عن علامة هيروغليفية مبهمة دائرة الشمس المعروفة بالقبطية « رع » وسرعان ما طرا على ذهنه الاسم الملكى رعمسيس أو رعمسس لأنه فكر فى أنها تقرأ « رع » ؟ ـ « س٠س » وتحول الشك الى يقين حين طالع خرطوشا آخر بعد بضعة دقائق برزت فيه صورة الايبيس تحوت فى صدره وبينه وبين الـ « س » علامة ادرك انها تقرأ « م » (١) وقد أكد لنفسه ان هذا هو اسم الملك توثموزيس (الذى يقرأ خطأ فى أكثر الاحيان فى الكتب التى بطل استعمالها « ثوثمس » وهو أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة لمانيتو • وقد جاء تأكيد قيمة العلامة المبهمة فى حجر رشيد حيث انها كانت جزءا من المجموعة التى تقابل الكلمة اليونانية لـ « يوم الميلاد » وهى بالقبطية « ميسى » أو « موزى » بمعنى « يلد » •

ومنذ تلك اللحظة كان كل يوم يبشر بثمر جديد « وحين أدرك شامبليون أن ليس من داع لوقف نشر كشوفه قرأ فى أكاديمية باريس فى التاسع والعشرين من سبتمبر مقاله المشهور «خطاب الى السيد داسيه» Lettre à M. Dacier وهو لا يشير فى هذا الخطاب الى اسماء رعمسيس أو ثموزس محتفظا بتعليقه على حد رموزها لبحثه الرائع : Precis du système hieroglyphique الذى ظهر عام ١٨٢٤ وقد شغلت زياراته الى تورين ومصر جانبا كبيرا مما بقى من حياته القصيرة • وقبل أن

(١) كان منطق شامبليون سليما وان لم يؤد الى نتيجة سليمة تماما • ذلك أن الحرف الهيروغليفى الغامض يقرأ « مس » وليس « م » •

يموت فى الحادية والاربعين استطاع أن يكشف عن المعنى العام لمعظم النقوش التاريخية . والحق أن معجزة العمل العظيم الذى أداه شامبليون لا تقع فى الكشف الرئيسى بقدر ما تقع فى الاستخدام الرائع له الذى مكنه من أن يفيد منه ، ذلك انه لكى يستخدم المفتاح الذى أمكن التوصل اليه استخداما تاما كانت الحاجة ماسة لمادة أغزر ولنسخ خير من النسخ الموجودة فعلا ، وكانت الحماسة التى نجمت عن ذلك مما أكدت أن الأمر يجب أن يكون فى متناول اليد فى وفرة وكان شامبليون الرائد الأول لشخصه ومن ثم كانت ثمرة رحلته المصرية بصحبة الايطالى الأستاذ روسيلليني » مجموعة ضخمة من الرسوم نشرت فى مجلدات من الحجم الكبير ثم تلت ذلك بعثة بروسية تحت رياسة العالم الكبير رتشارد لبسيوس (١٨١٠ — ١٨٨٤) بزت الجهود السابقة بالمجلدات الاثنتى عشرة الضخمة لل Denkmäler (١٨٤٩ — ١٨٥٩) ولم تكن بريطانيا متوانية فى هذه المرحلة فقد برز فيها أكثر الأعلام أهمية : روبرت هاى من لنبلوم ، جيمس برتون و (سير) جون جاردنر ويلكنسون ، وقد عمل هؤلاء الثلاثة معا أحيانا ، وأحيانا أخرى اشتركوا مع غيرهم ثم أنتجوا مجموعات لا نظير لها من جزازات للنقوش واللوحات الملونة والكتابات التى لا تزال لها قيمتها الكبيرة حتى اليوم ، لأن أصول كثير منها بليت أو نالها الكثير من التلف . ولم ينشر من هذا الجهد الذى تم فى العقدين الثانى والثالث من القرن الماضى سوى جانب صغير رغم ان كتب ويلكنسون أمدتنا بلوحات فى كتابه المشهور :

Manners and Customs of the Ancient Egyptians (1837)

وقد شهدت الفترة نفسها الاسس الاولى للمجموعة الضخمة من الآثار المصرية أكثرها أهمية ما يوجد بالمتحف البريطانى وبمتحف اللوفر وفى تورين وفلورنسا وبولونيا وليدن وقد زود هذه المتاحف بها قناصل فرنسا وانجلترا والسويد : دروفتى وسولت وانستاسى ، ولكن الحفائر التى قاموا بها أو أوعزوا بها لم تكن أكثر من عملية نهب وان لم يكن من واجبنا أن ننحى باللوم على هذا الاهمال من متابعة مبادىء علمية لم تكن قد عرفت بعد . ولكن عملية الحفر على نطاق واسع وبطريقة أكثر تنظيما ودقة بدأ بها منذ عام ١٨٥٠ العالم الفرنسى أوجست مرييت (١٨٢١ — ١٨٨٠) الذى استطاع أن يكون له تأثير على الخديو سعيد باشا حتى قام بتأسيس متحف بولاق (١٨٥٨) .(١) ، وهو الذى تطور فيما بعد الى

---

(١) اسم ناحية من نواحى القاهرة .

دار المتحف القاهرى العظيم مثار اهتمام كل زائر بمصر اليوم ٠ والحق ان الحفر العلمى بدأ متباطئا فى أول الأمـر وظل كذلك حتى عـام ١٨٨٤ حين استخدم فلندزر بيترى ـ وربما كان أنجح الحفارين جميعا ـ آكثر الوسائل دقة كما كان مثلا طيبا ـ لم يحتذ الا فى القليل النادر فيما بعد ـ للنشر السريع لنتائج بحوثه ٠ وانه لما يثير ملل القارىء (ومع ذلك فانه ليس من العدالة أن نغض الطرف عمن لم يتناولهم الذكر) أن نسجل أسماء أهم الحفارين فى العصر الحديث ومع ذلك فمن المستحيل أن نجاوز فى صمت اسمى العالمين الأمريكيين : جورج ريزنر وهربرت ونلوك ثم اسم مكتشف قبر توت عنخ آمون الدكتور هوارد كارتر ٠

وتقتضى الصراحة أن نضيف الى أنه كانت هنـاك ، ولا تزال حفائر كثيرة جدا وبخاصة حين تركت بغير ان ينشر عنها شىء أو كان ما نشر عنها سيئا وان العلم المتزايد كان من الممكن أن يخدم أكثر اذا بذلت عناية أشد للدعـوة الصـــادقة لنقل النقوش على الآثار الباقية فوق الأرض التى قام بحفرها فى عام ١٨٨٩ العالم الكبير فرنسيس لولن جريفث (١٨٦٢ ـ ١٩٣٤) ويرجع الى همته فضل تأسيس Egypt Exploration fund والتى تحولت الى جمعية فيما بعد عـام ١٨٨٢ وقد وزعت نشاطها فى مصر فيما بعد الى شعبتين ٠ وقد دخلت أمريكا الميدان متأخرة وان استطاعت أن تعوض ما فاتهـا من زمن حتى لنشهد النشر الرائع لمقابر طيبة الذى قام به متحف متروبوليتان للفن فى نيويورك Metropolitan Museum of Art in New-York الذى يرجع أكبر الفضل فيه الى العالمة الانجليزية N. De G. Davies ويكاد يبزها مع ذلك فى أهميتهـــا العمـــل فى المقـــابر الذى قام به معهـــد الدراســـات الشرقية فى جامعة شيكاجو Oriental Institute of the University of Chicago وهو المنظمة الأثرية الـكبيرة التى تدين بوجـودها الى همـــة العـــالم جيمس هنرى برستد (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥) والى اريحية جون ٠ روكفللر (الصغير) ٠

وقد تابع عدد من العلماء المتعمقين فى بريطانيا العمل الذى كان قد بدأه شامبليون ففى مقال نشر عام ١٨٣٧ استطاع رتشارد لبسيوس أن يسكت نهائيا أصوات أولئك الذين كانوا لا يزالون يرتابون فى صـحة حل الرموز ٠ وكان من أوائل الباحثين فى هذا المضمار صموئيل برش (١٨١٣ ـ ١٨٨٥) وادوارد هنكس (١٧٩٢ ـ ١٨٦٦) وبعد ذلك بقليل ظهر ك ٠ و ٠ جـودوين فى انجلترا ثم ا ٠ دى روجيه ٠ و ف ٠ ج ٠ شاباث ، وث ٠ ديفيريا فى فرنســا ، ثم أعظم الجميع هينرش بروجش (١٨٢٧ ـ ١٨٩٤) فى ألمانيا ٠ وهكذا بدأ الجدول الصغير للبحث فى

الدراسات المصرية يمتلىء تدريجيا حتى أصبح يجرى قويا بحيث أصبح من المستحيل على أى دارس أن يتابع كل ما يكتب الا على حساب التخلى عن كل أمل للاسهام الشخصى • ومن بين الاسماء المتأخرة يكفى أن نذكر اسم ادولف ارمان (١٨٥٤ ــ ١٩٣٧) الذى استطاع مع تلاميذه ، وبخاصة كورت زيته ، أن يضع حدودا مميزة بين المظاهر المختلفة للغة وأن يضع أسس قواعد علمية لكل منها ، وما قام به جريفث الذى برزت عبقريته الممتازة كعالم فى الكتابات القديمة مكنته من قراءات مختلف الخطوط الهيراطيقية والديموطيقية بصورة بذ بها كل من سبقوه •

ولكن الجامعات أبطأت فى تكريم هذا النمط الجديد • كان شامبليون أول من شغل كرسيا فى « كوليج دى فرنس » الذى أنشىء له عام ١٨٣١ وربما كانت جوتنجن ثانى مركز للعلوم قام بتعيين أستاذ للدراسات المصرية ووقع الاختيار على بروجش (١٨٦٨) واما انجلترا فقد تأخرت حتى عام ١٨٩٤ حين استطاعت توصية من الروائية اميليا •ب• ادواردز أن تمنح بيترى كرسى الأستاذية فى University College فى لندن • واليوم لا تكاد توجد جامعة تحترم نفسها ليس بها أستاذ أو محاضر فى هذه الناحية من الدراسة •

لقد كرست هذه الصفحات الأخيرة رغما عنى لسلسلة من الأسماء ، اما بقية الكتاب فسيكرس فيما أمكن الحصول عليه من معلومات هى ثمرة جهود أصحاب هذه الأسماء •

مراجع مختارة

اتبعنا هنا ـ كقاعدة ـ تقديم المراجع المكتوبة بالانجليزية ، اما الكتب الأجنبية فلا تذكر الا حين تمس الضرورة . وهناك من المراجع التى لاتقدر .

1 — **B. Porter and R.L.B. Moss**: Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Paintings, 7 vols. (Vol. 1 in course of revision, Oxford, 1927-51.

2 — **J.M.A. Saussen**, Annual Egyptological Bibliography, 9 vols. Leiden, 1948-56.

وللبحث عما كتبه علماء مختلفون يمكن الرجوع الى

I. A. Pratt, Ancient Egypt, New York Public Library, 1925, Supplement 1925-41

وهناك مظاهر متعددة للدراسات المصرية مصورة من مجموعات المتاحف ، والناشر

R. Engel bach

لكتاب Introduction to Egyptian Archaeology with special reference to the Egyptian Museum, Cairo, Cairo, 1946

ثم **W. S. Smith**, Ancient Egypt as represented in the Museum of Fine Arts, Boston, 1942

و **W. C. Hayes**, The Scepter of Egpyt, Part I, New York, 1953 Part II, Harvard University Press, 1959

الكتاب الكلاسيكيون

نصوص اصلية بترجمة انجليزية :

Herodotus, Diodorus Siculus, Strabo, Pliny the Elder, Plutarch

وكلها فى مجموعة

Loeb Classical Library, London & Cambridge, Mass.

وانظر كذلك **W. G. Waddell**, Herodotus, Book II, London, 1939.

Harpollo, text and commentary, F. Sbordone, Hori Apollinis Hieroglyphica Naples

وترجمة فرنسية فى

Chronique d'Egypte, No. 35 (1943) pp. 39 ff.; 199 ff.

وبالنسبة لتاريخ دراسة المصريات :

F. LL. Griffith, The decipherment of the Hieroglyphs, in J.E.A xxxvii. 38 ff.

وبالنسبة لتسجيل ملخص لسيرة الحياة :

W. R. Dawson, Who was who in Egyptology, London, 1951

وهناك موضوعات لم تعالج بخاصة في هذا الكتاب

ا ـ في الديانة المصرية :

J. Cerny, Ancient Egyptian Religion, London, 1952

S. A. B. Mercer, The Religion of Ancient Egypt, London, 1949 ; Id., The Pyramid Texts 4 vols., New York, 1952 ;

E. A. Wallis Budge, The Book of the Dead, 3 vols. London, 1898 ;

وهناك مؤلفات بالفرنسية للعالمين J. Vandier and J. Sainte Fare Garnot

وبالالمانية للعلماء A. Erman, K. Sethe, H. Kees

ب ـ الفن

W. Stevenson Smith, The Art and Architecture of Ancient Egypt, Pelican History of Art, Harmonds worth, 1958

C. Aldrea, Art in Ancient Egypt : Old Kingdom, London, 1949 ;
Middle Kingdom, 1950
New Kingdom, 1951

Nina M. Davies, Ancient Egyptian Paintings, 3 vols, Chicago, 1936

جـ ـ العمارة

S. Clarke and R. Engelbach, Ancient Egyptian Masonry, Oxford, 1930

د ـ التحنيط والطقوس الجنازية

G. Elliot Smith and W. R. Dawson, Egyptian Mummies, London, 1924

E. A. Wallis Budge, The Mummy, 2nd. ed., Cambridge, 1925

Nina de G. Davies and A. H. Gardiner, The Tomb of Amenemhet, London, 1915.

هـ ـ الآثار

مجموعة كبيرة من الكتب تصور قطعا مختلفة وذلك في مجموعة Edwards, University of London, by W. M. Flinders Petrie

٢ اللغة المصرية والكتابة

كانت اكتشافات الانسان المتتابعة ــ فى فترات متباعدة جدا للفنون المتصلة بالكلام والكتابة ــ المرحلتين الرئيسيتين اللتين مر بهما فى سراه نحو الحضارة · وقد يسر له استخدام الأصوات الواضحة تبادل الأفكار والرغبات والاستفسارات مع بنى جنسه · وكانت الكتابة التى قامت على الأساس نفسه بديلا مرئيا للعلامات المسموعة وهكذا وسعت من نطاق اتصالاته من ناحيتى المكان والزمان · وفى محاولة تلخيص تاريخ واحدة من أقدم الحضارات الشرقية ، ولعلها أكثرها ازدهارا ، نجد انه من المناسب أن نبدأ بموجز عما نالها بسبب الضغط عليها من هاتين الناحيتين الفنيتين بقدر ما تستطيع المعرفة أن توصلنا اليه · ومن سوء الحظ أن أصل **اللغة المصرية** يحتل مكانا سحيقا فى الماضى المبهم حتى لا نجد سوى القليل مما يستطاع قوله فى هذه الناحية بطريقة مؤكدة · ومادام لايكاد الاجماع يستقر عليه من ناحية أن أقدم سكان مصر كانوا من أصل افريقى فانه يمكن أن نتوقع أن لغتهم يجب أن تكون افريقية كذلك والواقع انه وجدت قرابة كثيرة باللهجات الحامية وبخاصة البربرية لا فى المفردات بل فى التركيبات الفعلية وغيرها · ومن ناحية أخرى كانت الصلة بالسامية (العبرية والعربية الخ) كذلك لا تخطئها الملاحظة ، ان لم تكن أشد · وقد تباينت آراء الدارسين فى هذا الأمر تباينا واضحا ولئن أمكن التوفيق حتى الانتهاء الى مكان أو أمكنة يشار اليها كأنما هى أصول فانه تبقى بعد ذلك مشكلة التأريخ (التوقيت) ، ومن أجل ذلك نرى أننا مضطرون دون توان الى دراسة الكتابة المصرية التى نستطيع أن ندرس تطورها تفصيلا ·

كانت زخارف الأوانى والأشياء الأخرى الجارى استعمالها نوعا من الاتصال المرئى يبدو أشد وضوحا وبخاصة حين استخدمت صور الناس والحيوانات والمراكب · ولقد بدأت الكتابة حين أضيفت علامات مرئية أجبرت تماما على الترجمة الى أصوات اللغة ، وقد صار هذا التجديد ملحوظا فى مصر قبل ظهور ممفيس بفترة قصيرة ويميزه ادخال الصور الصغيرة المنعزلة التى تتميز بوضوح عما يحيط بها من الرسم التصويرى الخالص ، والصور واحدة فى الحالتين وتعكس كل أنواع الأشياء المادية

كالأسلحة الصغيرة والنباتات والحيوانات والبشر وحتى الآلهة أنفسهم ·
وكان يرجع ظهور الهيروغليفية ــ كما تسمى العلامات الصغيرة ــ الى أنه
كان هناك الكثير مما أراد الناس أن ينقلوه ولم يكن من المستطاع اظهاره
مرئيا كالأعداد وأسماء الاعلام والمظاهر العقلية · وقد ثبتت هذه الميزة
الاضافية جنبا الى جنب مع غيرها طوال التاريخ المصرى حتى انه ــ كما
حدث فى أغلب الأمر ــ حين زودت مناظر النقش بايضاحات من نصوص
هيروغليفية أمكن أن يقال ببساطة عن الأخيرة انها تعبر عن السابقة أكثر
مما يكون الأمر عكس ذلك · وكانت هناك مع ذلك تطورات هامة أبعد من
ذلك سيكون من مهمتنا أن نقوم على تفسيرها ، بل انه جاء وقت لا يسبق
قيام المسيحية بكثير ــ ظهرت فيه ثلاثة أنواع مختلفة من الكتابة المصرية
تبودل استعمالها فى مختلف الأغراض ، بينما استعمل الاغريق الذين كانوا
يتملكون البلاد اذ ذاك حروف هجائهم فى كل أغراض الحياة الرئيسية ·

هيروغليفية

هيراطيقية

ديموطيقية

شكل (٣) الأنواع الثلاثة الرئيسية للكتابة

ولا تزال الأنواع الثلاثة من الكتابة (شكل ٣) التى ذكرناها تحمل
التسميات نفسها التى عرفها بها شامبليون ومعاصروه رغم اشتقاقها من
مصادر مختلفة ورغم أن استخدامها مقصور على العصرين: اليونانى
والرومانى وحدهما ·

وكلمة **هيروغليفية** التى استخدمها كليمنت السكندرى فى فقرة مشهورة سلفت الاشارة اليها (صفحة ٢٣) تعنى حرفيا النقوش المقدسة ٠ وهى تعنى هذه التسمية فقط ؛ لأنها فى العصور المتأخرة كانت تستعمل كلية فى غالب الأمر فى النقوش المحفورة على جدران المعابد ٠ وهى تطلق الآن ــ تبعا لذلك ــ على كل الكتابة المصرية التى لا تزال تتكون من صور ابتداء من الكتابة المفصلة ذات العلامات الملونة الواضحة التى تزين المقابر حتى النماذج المختصرة المكتوبة بقلم القصب على البردى والتى تتضمن نصوصا دينية ٠

والواقع أن الهيروغليفية هى من غير شك النوع الأصيل من الكتابة الذى تطورت منه كل الأنواع الأخرى ٠ وهى تقرأ أحيانا من أعلى الى أسفل ، وأحيانا أخرى من اليمين الى اليسار ولكنها تقرأ فى بعض الأحايين كذلك من اليسار الى اليمين ، وهذه هى الطريقة التى نمارسها فى كتب القواعد التى ننشرها ، وحين تكون الكتابة من اليمين الى اليسار تتجه العلامات الى ناحية اليمين ٠

ويحدثنا «كليمنت» ان كلمة **الهيراطيقية** أطلقت على أسلوب الكتابة الذى يمارسه الكتاب الكهنة فى كتبهم الدينية ٠ وهى اشتقاق من الهيروغليفية المختزلة المذكورة فى الفقرة السابقة ، ولكن دارسى المصريات مدوا استخدام هذا الاصطلاح الى عدد أكبر كذلك من أنواع مختزلات الكتابة التى عثر عليها فى النصوص الأدبية أو النصوص المتصلة بشئون تجارية ويغلب على هذه الكتابة « التشبيك » أى ان العلامات مربوطة بعضها ببعض وهى فى أغلب الأمر ممدودة جدا اللهم الا فى العلامات الأولى التى تتجزأ الى خطوط تقريبا ٠ وتسهيلا للدراسة تحولت الهيراطيقية عادة الى هيروغليفية رغم ان ذلك يصبح فى حكم المستحيل فى النماذج البالغة المد ، وأما اتجاه الكتابة عادة فمن اليمين الى اليسار ٠

وأما النوع الثالث من الكتابة المصرية فيسمى «انكوريال» (وطنى) على حجر رشيد كما يسميه كليمنت « ابيستولوجرافى » (كتابة الخطابات) وأما الدارسون المحدثون فقد احتفظوا بتسمية هيرودوت له « ديموطيقى » (شعبى) وقد تطورت هذه الكتابة من الهيراطيقية حوالى عصر الأسرة الأثيوبية (حوالى ٧٠٠ ق ٠ م ٠) وهى تقدم ميزات كبيرة

وتتطلب في الوقت نفسه دراسة متخصصة عميقة · ولقد كانت فى العصر البطلمى والعصور الرومانية الكتابة المعتادة للحياة اليومية وأما مرتبتها فى الاستخدام فخير ما توصف به انها غير دينية ·

وتتدرج بين طرفى النقيض : الهيروغليفية والديموطيقية ، منوعات كثيرة متوسطة ولقد كان الدافع الرئيسى الملحوظ هو الرغبة فى زيادة السرعة وقد كان يمكن الوصول الى ذلك فقط عن طريق تقليل تدريجى للشكل التصويرى بحيث تضيع التفصيلات ، وهناك عامل آخر ساعد على التطور هو أن سطح الكتابة نفسه قد تطور : ذلك ان الهيروغليفية كانت تكتب بالضرورة على القطع التذكارية فنحتت فى الحجر بأزميل وكانت ترسم بالحبر أو الألوان على جدران هيئت لذلك خصيصا ، وكانت الهيراطيقية كذلك قديمة قدم الهيروغليفية ولكنها كانت تستخدم ـ كالديموطيقية للكتابة على البردى أو على ألواح خشبية تغطى بطبقة من الجص أو على قطع من الفخار أو اللخاف أو قطع الحجر الجيرى ·

ولما بدأت المسيحية تحل محل الوثنية الفرعونية أصبحت الحاجة ماسة الى وسيط أكثر سهولة لفهم ترجمة الكتاب المقدس ، وكان هذا هو سبب ظهور **القبطية** التى سلفت الاشارة اليها (صفحة ٢٧) كآخر مظهر للغة المصرية · وكانت تكتب بحروف يونانية مع اضافة بضعة حروف قليلة من الديموطيقية · أما الأدب القبطى فملىء بالكلمات اليونانية · والواقع أن مجمل التركيبات يجعلها شيئا أقرب الى الرطانة منها الى وريث طبيعى للغة القديمة ·

ان الدارس الجاد لا يقنع بغير تفصيلات أكثر عن الهيروغليفية التى زادت المعرفة بها عن طريق كشف شامبوليون حتى أمكن تقديم صورة منتظمة دقيقة وتاريخية عن الحضارة القديمة ولقد سلفت الاشارة الى أن الكتابة الهيروغليفية ثمرة مباشرة للرسم التصويرى وفى هذا الصدد كانت تشبه الكتابة البابلية ، والواقع انه ليس من غير المحتمل انه كانت هناك علاقة فعلية بينهما رغم انه ربما لم تزد عن أكثر من معلومات سماعية من أن أصوات اللغة يمكن التعبير عنها بواسطة صور مناسبة مختارة · وأما التطور التالى مع ذلك فيختلف اختلافا بينا فى الحالتين فالكتابة البابلية تستخدم الحروف المسمارية (الاسفينية) التى سرعان ما اختفت فيها الصور، بينما احتفظت الهيروغليفية المصرية بمظهرها التصويرى عبر القرون ولم تفقدها الا جزئيا عن طريق مشتقاتها الهيراطيقية والديموطيقية · وبفضل ذلك ظلت علامات كثيرة تعنى ما تمثل رغم أن الأشياء المقصودة التى كان يشار اليها بطبيعة

الحال فى الحديث كانت تحمل أسماءها المصرية ، والعـلامات التى كانت تستخدم بهذه الصفة كان يطلق عليها « الكتابة التصويرية » Ideograms

مثـــل 𓀉 Law « رجل مسن » و ● re « شمس » ومع ذلك

فان علامات كثيرة مثل 𓉐 Por بيت » (وهذا إستخدام تصويرى)
كان من الممكن أن تستخدم فى كلمات ذات نطق مشابه وان لم تكن تعنى مطلقا أية صلة بالشيء المقصود ، ويطلق على الهيروغليفية حين تستخدم بهذه الصفة اسم علامة صوتية وهكذا فان 𓉐 توجد فى هجاء الكلمة الهيروغليفية 𓂻𓇿𓉐𓂋 pery « خرج » 𓉐𓂋 proyet « شتاء »

𓉐𓂋𓏏 peret بذور» • ولم تظهر بالكتابة المصرية ـ شأنها فى ذلك شأن العبرية والعربية ـ المتحركات ومن ثم كان النطق الذى تقدمه ليس موثوقا به تماما مادام مجرد التزام برأى أولئك الأكثر تعمقا فى مثـل Pry, pr(y)t, prt شيئا غير مستساغ وسنرى انه فى أمثلتنا الثلاثة كان لـ 𓉐 القوة للساكنين ب + ر ومن ثم فهى علامة ثنائية والمبدأ المختفى وراء ذلك هو مبدأ الألغاز والأحاجى ، فمرة تبدو صورة الشيء ولكنها تعنى شيئا آخر • ولكن المصريين استطاعوا فى زمن مبكر جدا من أن يصطنعوا مجموعة علامات مفردة وهى حروف هجائية من ٢٤ حرفا ف 𓂋 مثلا تصور فما ، وهى حين يصحبها خط صغير 𓂋𓏤

تعنى غالبا كلمة râ « فم » وهى لديهم تمثل حرف « ر » وسنشير فيما بعد حروف هجائية أخرى • وكانت هناك كذلك علامات ثلاثية مثل 𓄤 nfr

𓆣 hpr ومن مساوىء طريقة الهيروغليفية فى الكتابة أن الصـــور الصغيرة التى كانت تستعمل كانت عرضة للبس من ناحية الصوت والمعنى فنحن نجد مثلا ان علامة 𓏞 التى تصور لوحة الكاتب وقدر المـاء وجعبة القصب قد لا تمثل هذه المجموعة فحسب وهى التى تقصد بها كلمة m nhd «منخد» بل انها تعنى كذلك عملية الكتابة (S s) «سش» والكاتب المحترف وأشياء أخرى الى جانب ذلك • ولتيسير ذلك الأمر والتخفيف من حدته كانت هنـــاك علامة أو علامات أخرى يمكن اضافتها فحين تكون

تصويرية كما هى الحال فى ss سش «كاتب» فان العلامة الاضافية تستخدم كمخصص ، أما حين تكون منطوقة كما فى nfr + f + r بمعنى « طيب » ، جميل ، أو hpr + r (bpr) « أصبح » ، « صار » فان العلامة أو العلامات الاضافية تعرف كأنما هى تكملة نطقية • وهناك ثلاثة أنواع من المخصصات :

١ ـ محدد (عينى ، واضح) كما فى كلمة « كاتب » السالفة الذكر •

٢ ـ شامل (نوعى) وذلك حين تشير العلامة الى نوع الفكرة المقصودة مثل وهو رجل ضارب يستخدم فى كلمة hwi بمعنى ضرب وكذا فى كلمات مثل ith بمعنى « جر » وكذا « الشمس » كما فى hrw « نهار » و wbn « أشرق » •

٣ ـ نطقى وهو نوع نادر مثل علامة ، وتمثل صغير الماعز فى فعل ibi « عطش » التى توضع بها كلمة ib « صغير الماعز » • قبل المخصصات النوعية للماء والأفعال التى يمارسها الفم • ومجمل القول ان الكتابة الهيروغليفية عند المصريين كانت مزيجا يضم علامات صوتية وعلامات ذات مغزى ولعل الجملة القصيرة التالية التى يصحبها نطقها بالحروف اللاتينية ثم ترجمتها تبين أن التحليل السابق قد يفى بالمقصود •

hd.n.f r niwt hr inw nb nfr

بمعنى أبحر الى المدينة بكل الهدايا الطيبة أبحر (فى اتجاه التيار)

ففى هذه الجملة نجد ان

من حـــروف الهجـــاء التى تقـــابل ف ، ن ، ر ، خ ، ت ، د ، ٠ على التوالى ٠

أما فمقاطع ثنائية لـ « ان » ، « نب » ، « خر » على التوالى ٠

وأما فمقطع ثلاثى ٠

وأما « ر » بعد « خر » فتكملة نطقية وكذا ف + ر بعد « نفر » ٠

وأما فمخصصات ٠

وأخيرا فان تشير الى قرية بها شوارع متقاطعة وهى لفظ تصويرى ٠

وعلى الدارسين ألا يستهويهم التفكير فى ان الكتـابة الهيروغليفية فيها شيء من السرية ٠٠٠ انها كتابة أصيلة تحوى الكثير من المركبات من غير شك ولكن لها مزايا التى تســترعى انتباه العين والعقل معا ٠ ولمـا كان عدم وجود الحروف المتحركة يجعلها غير منطوقة فان البعض قد ينتهى الى القول بانها لا تمثل لغة على الاطلاق أو انها لغة بغير قواعد نحو وصرف ٠٠٠ وليس شيء أبعد عن الحقيقة من هذا الأمر وان كنا نميل الى الاعتراف بأن جهلنا بالتصويت بها عائق خطير ، أما مراوغات زمن الفعل وصيغه فانه يمكن استنتاج ذلك من مضمون النص فى أغلب الأمر مادامت هذه تتحكم فيها تغيرات داخلية أكثر مما تتحكم فيها مقاطع تضاف الى الكلمة ٠ وأما اللغة المصرية بالنســبة للدارسين الكلاسيكيين الذين اعتادوا المفردات التقليدية للغات ، فان الأمر يبدو لهم مربكا ، وقد أثبتت القبطية انهـا لاتستطيع أن تمدنا بقدر ماكنا نأمل من عون٠ومع ذلك فان المخصصات قد

استطاعت أن تؤدى خدمة بالغة الأهمية بالنسبة لادراك معانى الكلمات وكذا بفصل الكلمات عن بعضها البعض . كما كانت المناظر التى تصحب النصوص ذات فائدة من الناحية التى قصد وضع النص بسببها ، وأكثر من كل هذا قيمة وبخاصة فى النصوص التاريخية والقصص منطق الموضوع نفسه ، وعلى الجملة فانه من الممكن أن يقال ان الترجمة التى نقدمها فى الفصول التالية مؤكدة الى حد بعيد ، ومع ذلك فمن العدالة أن ننبه القارىء الى اننا تصرفنا بحرية أكثر مما كنا نفعل لو كنا نقدم الكتاب لدارس متخصص ، فقد حذفنا علامات الاستفهام . أما الكلمات المهشمة أو الغامضة فقد أحللنا فى جرأة غيرها محلها وقد غضضنا النظر أحيانا عن جمل وفقرات كاملة وانا لنرى ان هذا الأسلوب لا بأس به بالنسبة للهدف المقصود هنا .

وآخر مثال موجود للهيروغليفية المصرية هو كتابة وجدت على جزيرة فيلة وراء الجندل الأول ترجع الى عام ٣٩٤ م . حيث لجأ كهنة ايزيس الذين طردوا من نواح أخرى من مصر وقد وجدت فى المكان نفسه كتابة ديموطيقية ترجع الى عام ٤٧٠ م . ومع ذلك فهناك أكثر من احتمال للقول بأن الهيروغليفية عاشت ــ ولو فى صورة محورة ــ فى حروفنا الهجائية . ذلك أن فلندرز بيترى أجرى حفائر فى عام ١٩٠٥ بالقرب من مناجم الفيروز فى شبه جزيرة سيناء عثر فيها على عدد من النقوش المشوهة بها بعض علامات منقولة عن الهيروغليفية المصرية استخدمت فى كتابة لغة أخرى ــ ربما كانت سامية ، وعدد هذه العلامات التصويرية ثلاثون على الأكثر ، ومن الواضح أنه كلما قلت العلامات المختلفة فى النص كانت الفرصة أكبر لتكون هجائية ولكن أهم ما يلاحظ فى هذه العلامات ان ستا منها تمثل مظاهر ترجع الى معانى أسماء حروف تمت الى الهجائية العبرية واليونانية ومنها ما لا يعتوره الشك مثل رأس الثور [رمز] لتقابل حرف الألف (ألفا باليونانية) وتعنى « ثور » فى العبرية ، ثم علامة متموج [رمز] تشبه الحرف المصرى [رمز] لتعنى « الماء » لابد انها كانت حرف « م » مادامت « ميم » فى العبرى هو اسم الحرف الذى

يعنى «ماء» . هذا الى أن الفينيقيين واليونان يكتبون حرف « م » بصورة مشابهة . أما الكلمة الواضحة على صورة العين [رسم] فى النص السينائى فتذكرنا باسم ـ الحرف العبرى « ع » ويعنى « عين » وهى دلالة يمكن التعرف عليها فى يسر من الدائرة فى حرفى الهجاء نفسيهما . وأكثر دلالة من هذه جميعا مع ذلك تكرار متعدد لمجموعة من أربعة حروف [رسم] يمكن قراءتها ـ بالفكرة نفسها .... بعلات ـ ولما أمكن ادراك أن «بعلات» (سيدة) هى مؤنث « بعل » وهو اسم يطلقه الساميون دائما على الالهة المصرية حتحور وهى الربة نفسها التى كانت تعبد فى المكان نفسه الذى وجد فيه بيترى النقوش فان الشك يبدو ضئيلا فى انه أمكن الاهتداء الى أصول حروفنا الهجائية ، ومع ذلك فمن سوء الحظ ان بقية النقوش أثبتت مناقضتها للتراجم المزعومة وقد يرجع هذا الى تأثرها بالعوامل الجوية ولكن حتى يخرج الى الضوء دليل أكثر وضوحا ، من نوع حاسم ، فانه سيكون هناك دائما مرتابون أو متزعمون لنظريات أخرى أقل قبولا من الناحية الفعلية .

مراجع مختارة

اللغة المصرية

صلتها بالعامية :

E. Zyhlarz, Ursprung und Spraehcharakter des Altägyptischen, **Berlin,** 1933

وكذا مقاله فى Z. A. S. LXX. 107-22

صلتها بالسامية :

T. W. Thacker, The Relationship of the Semitic and Egyptian Verbal Systems, **Oxford,** 1954.

الكتابة وقواعد اللغة

A. H. Gardiner, Egyptian Grammar, 3rd. ed. **Oxford** 1957
G. Lefebvre, Grammaire de l'Egyptien classique, 2nd. ed. Cairo, 1955

المفردات :

الكلمات الأكثر شيوعا فى Gardiner, Eg. Gr.

فى كل العصور ، وله أهمية أساسية :

A. Erman and H. Grapow, Wörterbuch der ägyptischen Sprache, Text, 5 vols ;

والمراجع فى خمسة مجلدات طبعت فى **Leipzig,** 1926-53

الخطوط والكتابات المختلفة

Hieroglyphic : N. M. Davies Picture Writing in Ancient Egypt, **Oxford,** 1958
Hieratic : G. Möller, Hieratische Paläographic, 3 vols., **Leipzig,** 1909-12
Demotic : F. LL. Griffith, Demotic Papyri in the John Rylands Library, 3 vols., **Manchester,** 1909 :
W. Erichsen, Demotischer Glossar, **Copenhagen,** 1954

وهناك مؤلفات لغوية أخرى عن :

قواعد اللغة المصرية القديمة : **E. Edel, Rome,** 1955

وعن اللغة المصرية فى العصر المتأخر : **A. Erman,** 2nd. ed., **Leipzig,** 1933

وعن القبطية **J. M. Plumley, London,** 1948.

وعن مخطوطات سيناء The legacy of Egypt, **Oxford,** 1942 pp. 55 ff.

الادب

A. Erman وقد ترجمة الى الانجليزية **A. M. Blackman**

The literature of the Ancient Egyptians, **London,** 1927

وكذا

G. Lefebvre, Romans et Contes égyptiens de l'époque pharaonique **Paris,** 1949.

٣ الأرض جيرانها ومواردها

« مصر هبة النيل » هو التعبير الذى يفصح عن حقيقة واضحة لمن يعرفون البلاد ، ومع ذلك فهو بحاجة الى بعض التعليق لمن لا يعرفونها . ومصر ــ كما نرى فى الخريطة فى الصفحة السابقة ــ تشبه نبات البردى الذى يمثل وادى النيل فيه الساق ، أما الدلتا فبمثابة الزهرة كما أن منخفض الفيوم هو البرعم ولئن جرت الألوان على صفحة الخريطة لاستطعنا أن نرى الحقول تبدو فى خضرة لامعة كما تبدو الصحراء المجاورة فى لون أحمر داكن ذهبى . ولقد فكر قدماء المصريين أنفسهم فى مصطلحات تعزز القول المأثور عن هيرودوت حين أطلقوا على مصر كيمى (١) أى « الأرض السوداء » مشيرين بذلك الى الطمى الذى غمرت به الأرض الفيضانات التى لا حصر لها والتى تدين له بخصبها الفذ الذى لا نظير له . أما الصحراء فوصفوها أحيانا بأنها « دشرة » أى الأرض الحمراء . والحق أن المقابلة بين الاثنتين صارخة فأنت تستطيع أن تقف باحدى قدميك فوق الرمال اللامعة وبالأخرى فوق التربة التى تنبت الحب . وفى الوسط يجرى النهر العريض الذى تنتشر فوقه القلوع البيضاء . ويعكس الزرقة اللامعة للسماء . وترتفع الصحراء مباشرة على الجانبين وتتسامى بخاصة من ناحية الشرق الى قنن عالية تشرف على المجرى بحيث لا تدع مجالا لقيام أى لون من ألوان الزراعة . وأما حيث تتراجع الجبال فانها تتلألأ بألوان تتفاوت بين الأحمر الوردى واللبنى فى الصباح الباكر ، وهى أرض تكاد تستمتع دائما بضوء الشمس مع أمطار قليلة لا تكاد تسقط الا قرب البحر المتوسط ولا يزيد معدل سقوطها فى القاهرة سنويا على بوصة ونصف ثم لا تسقط مطلقا عند أسوان وهكذا فان محصولات مصر تعتمد تماما على فيضان النيل الناجم عن الأمطار الغزيرة فى المناطق المدارية الواقعة بعيدا فى الجنوب والتى يتوالى هطولها على المرتفعات

---

(١) هكذا تنطق بالقبطية ..

الحبشية من يونية الى سبتمبر ، مما يسبب ارتفـاع مياه النيل الأزرق والعطبرة ارتفاعا سريعا • وتحس أسوان عند الطرف الشمالى للجندل الأول بأول آثار الارتفاع فى الأسبوع الرابع من يونية وأما أقصى ارتفاع فيصل الى القاهرة قرابة نهاية سبتمبر •. وبعد أسبوعين يبدأ ماء الفيضان فى النزول ولكن النهر لا ينزل الى أدنى مستوى له حتى نهاية ابريل وهناك اختلاف ملموس بين تواريخ وكميات الفيض • ولقد كان النيل المنخفض فى العصور القديمة يعنى مجاعة بالنسبة لسكان البلاد المتكاثرين ولكن مثل هذه الكارثة أصبحت مستحيلة بفضل الخزانات الضخمة التى شادها المهندسون الأوربيون فى أسوان واسنا وأسيوط والقاهرة وغيرها خلال الستين سنة الأخيرة على الأقل (١) • وأمكن عن طريق هذه الخزانات والسدود تحقيق زراعة مستديمة مادام الماء يحجز ثم يوزع فى قنوات حين يراد ذلك • ومنذ أقدم العصور مارس المصريون لونا من ألوان التحكم فى المياه وذلك عن طريق رفع ضفتى النهر الى حد يحصر أعلى فيضان • كما كانت السدود تقطع فى الوقت المناسب • ومع ذلك فانه كان من الطبيعى حتى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر أن نشاهد وادى النيل كله يتحول الى بحيرة واسعة تبرز فيها أحراش النخيل والقرى كالجزر فى وسط الماء ولا يربط بعضها بعضا سوى طرق ترتفع فوق مستوى ماء الفيضان •

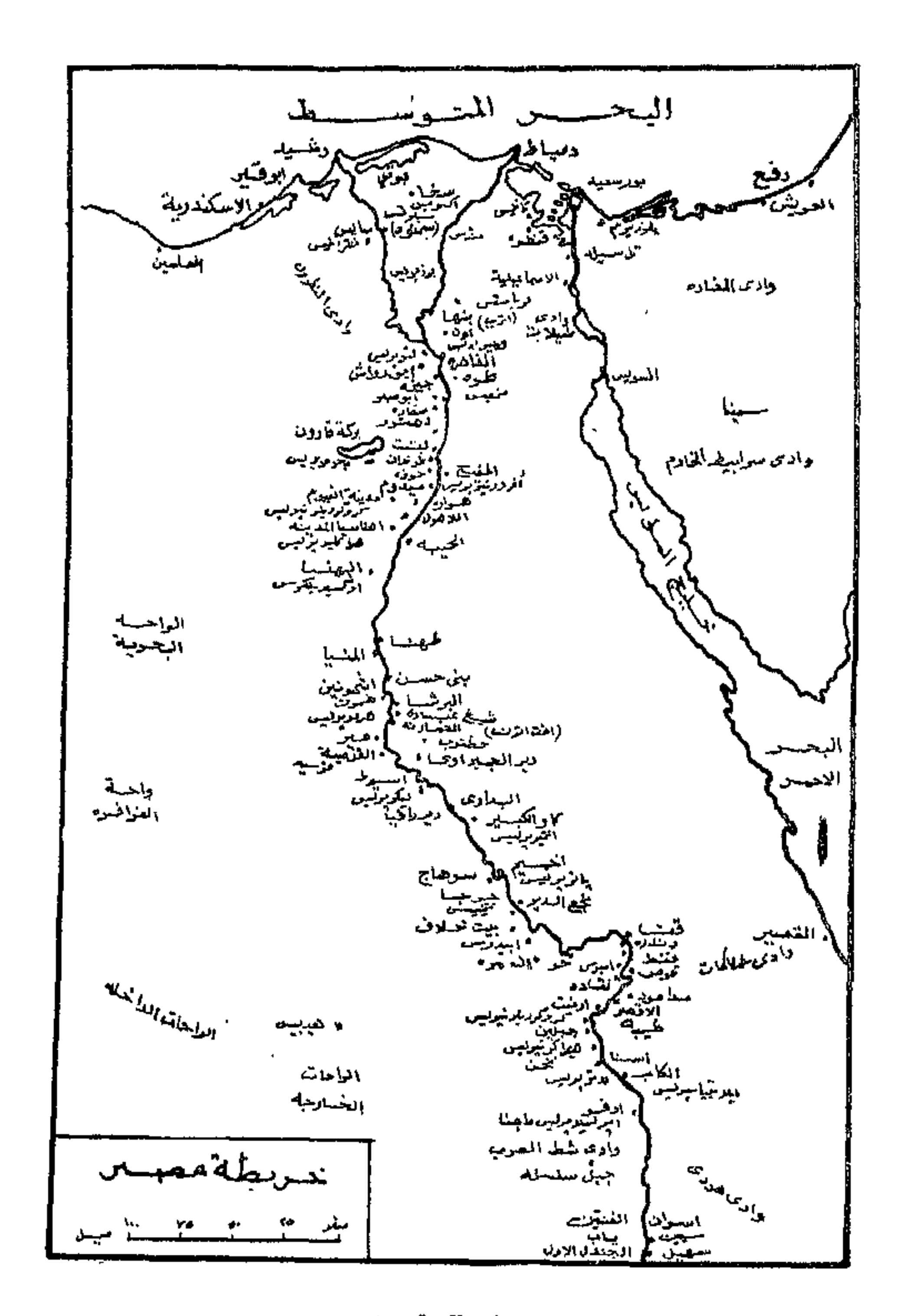
وتشغل مصر فى العصر الحاضر مستطيلا أضخم من أية دولة أوربية فيما عدا روسيا ولكن سكانها العشرين مليونا (٢) تزدحم بهم البقعة الزراعية التى تمثل ١٢٫٥٠٠ ميل مربع ، وأما البقية فصحراء يستمر امتدادها من ناحية الغرب دون انقطاع الى ناحية المحيط الأطلسى • وأما الدلتا فلا يمكن أن يزرع أكثر من نصفها وتشغل النصف الآخر بحيرات ضحلة ومستنقعات وأراض منخفضة مالحة لم تستصلح بعد (٣) • ويشير

---

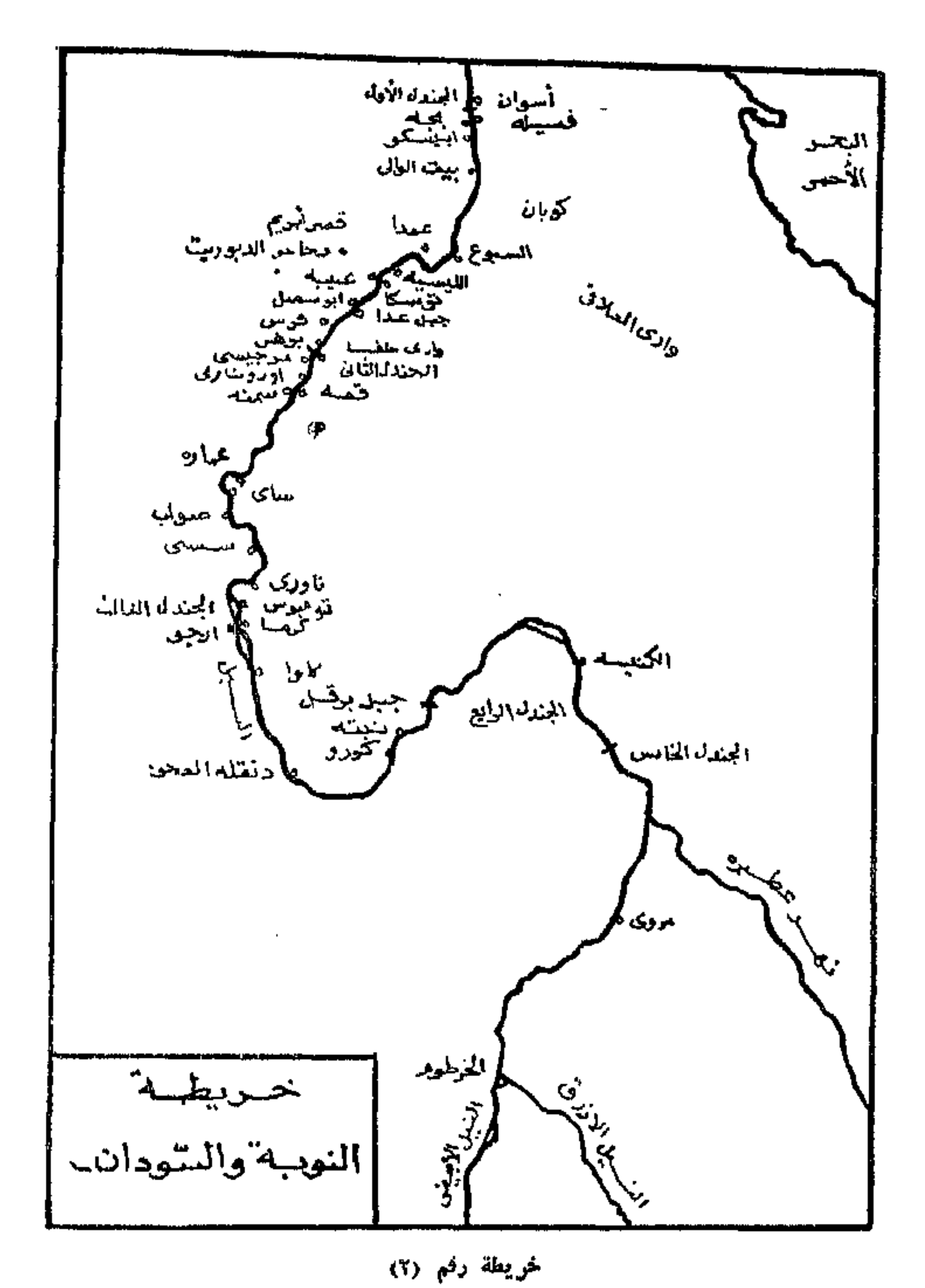
(١) فى هذا تجن واضح من المؤلف • فالخزانات أقيمت بسواعد مصرية وأموال مصرية ولكن حاول المؤلف أن يشير الى ثمرة طيبة للاستعمار بدعوى أنه استعمار وليس « استخرابا » فانى احيله الى معجزة الثورة ، **السد العالى الذى يزرى بكل** نظائره فى العالم اجمع — المترجم •

(٢) ربما يعدل هذا الرقم اربعة امثال من كانوا يعيشون فى الحقبة التى يتناولها بحثنا هذا •• ومع ذلك فهذا مجرد حدس •

(٣) يبدو ان المؤلف يجهل المشروعات التى قامت بعد الثورة فهناك المشروعات التى تمت باستصلاح جانب جديد من أراضى الدلتا ومن أهمها مشروع مديرية التحرير ومشروعات الاصلاح الزراعى الأخيرة فى غربى الدلتا وشمالها وهى المشروعات التى انشئت من أجلها وزارة خاصة للاصلاح الزراعى — المترجم


البحر المتوسط
دمياط
رشيد
ابوقير
الاسكندرية
بورسعيد
رفح
العريش
السويس
سينا
البحر الاحمر
الواحة البحرية
خريطة مصر

خريطة رقم (١)



خريطة رقم (٢)

النيل فى مصر العليا ، منظر يطل غربا على التلال الطيبية

هيرودوت الى انه كان للنيل سبعة فروع اختزلت الآن الى فرعين يصب الغربى منها عند رشيد ـ وأما الآخر ـ الأطول ـ فهو الشرقى ويصب عند دمياط ومع ذلك فالقنوات تمتد فى كل مكان • ومن بين الـ ٧٥٠ ميلا من مجرى نهر النيل شمال أسوان حتى مصب رشيد نجـد انه ليس هناك أقل من ٦٠٠ ميل منها تخص الوادى ، ومع ذلك فان المساحة المزروعة منها تماثل تقريبا المساحة المزروعة فى الدلتا ، وذلك لان عرض الوادى لا يزيد فى أى مكان على ثلاثة عشر ميلا • ويلاحـظ أنه فى بلد مستطيلة بهذه الصورة يكون من الطبيعى أن تتباين درجة الحرارة تباينا ملحوظا • ففى الدلتا قلما يكون الطقس ـ بل هو لا يكون فى أغلب الأمر ـ غير محتمل الحرارة وأما عند أسوان خلال شهور الصيف فانه يكاد لا يكون محتملا الا بسبب جفاف الهواء • وأما الأقصر فيما بين ديسمبر ونهاية مارس فان للسائح أن يتوقع فترة تعدل خير شهور انجلترا رغم ان الترمومتر يسارع فى النزول عقب الغروب ، وأما حرارة النهار فانه يخفف منها ما أطلق عليه السكان الأقدمون « النسيم العليل لريح الشمال » وأما من مارس الى مايو فان الاقليم يتعرض لرياح محملة بالرمال من الجنوب والجنوب الغربى وهى المسماة بالخماسين ويعد هذا الموسم غير ملائم للصحة نسبيا ولكنه ليس أسـوأ من أواخر الخريف حين يساعد تصـاعد الأبخرة من الأرض المشبعة بماء الفيضان على انتشار الدوسنتاريا والأمراض الأخرى ولذا كان الخوف يسرى دائما من الثعابين والعقارب التى تعد الكوبرا (Gk. ouraios) والحية ذات القرنين (Gk. kerastes) أخطرهما جميعا كما ان الرمد الذى تنشره أسراب الذباب بالملايين كان دائما لعنـة مصر • وفيما عدا هـذا فان المناخ صحى بصورة تميزه كما أن الأهلين لم يتوقفوا يوما عن التغنى بمزايا ماء النيل حتى لنلتقى دائما برغبة طالما تتردد فى النصوص « أن يشرب الماء من دوامة النهر » •

كانت مصر بعزلتها فى اطار من صـحراوات لا تحد ، تعتمد فى معاشها فى أغلب الأمر على مواردها الذاتية • وكانت الزراعة المتوسعة حرفة السواد الأعظم من الشعب رغم أن الفيضان خلال شهور أخريات الصيف كان عائقا مؤقتا دون ذلك مما حول نشـاط العاملين الى انناحية البناءة والصناعات اليدوية • ولقد كان طمى النيل الكثير سببا لخصب شديد ولكن الافادة منه لم تكن تتم الا عن طريق الكد الذى تلهبه الحماسة فلا يفتر •• ويبدأ الحرث والبذر بمجرد انخفاض المياه كعملية تتم فى وقت واحد ، وأما بالنسبة للحرث فان الأداة البدائية التى كانت تستخدم هى التى كانت لا تزال معروفة فى أوائل القرن الحالى وقد اتخذت احتياطات

محكمة لتجنب خطر الفيضان الزائد ولتحويل المياه الى قنوات لتوزيعها على أرض ربما كان يقدر لها أن تصبح قاحلة لولا ذلك الاجراء رغم انه يبدو انه من أجل تحقيق هذا الهدف الأخير لم يستخدم الشادوف ـ وهو الأداة المعروفة اليوم لكل زائر لوادى النيل ـ استخداما على نطاق واسع حتى انه قلما يشاهد مرسوما على نقوش الجدران وكان يعنى طبعا بالسدود وموالاة رعايتها كما كان يعنى بحفر القنوات • وأما موسم الحصاد فكان ينتقل بهم الى نشاط متجدد • وهناك العديد من الصور التى تمثل حصاد القمح وضرب الكتان ثم حمل المحاصيل على ظهور الحمير الى ساحة الدرس حيث توطأ بوساطة الثيران ، وأخيرا بعد التذرية التى تلعب فيها المرأة دورا كبيرا يتم النقل برا أو نهرا الى الصوامع المقبية المبنية من اللبن حيث تخزن حين تمس الحاجة اليها • وكان جانب كبير من الانتاج المحلى يؤخذ كضريبة ، وكان الهدف عامة محصولا مضاعفا وكانت محصولات السنين تتطلب جهدا أشق اذا ما انخفضت مياه النيل أكثر من ذى قبل •



شكل (٤) تمثال لاوشابتى

ولئن كانت الزراعة النصيب المعروف للفلاح فان مثل هذا العمل كان يعد بغيضا بالنسبة للأثرياء • وبمقابر السراة فى أغلب الأمر مئات التماثيل الصغيرة المصنوعة من مادة القاشانى أو الخشب وهى المعروفة عادة تحت اسم «تماثيل الأوشابتى» أو المجاوبون (شكل٤). وأما الكتابة القديمة لكلمة « شوابتى » فان معناها يحتمل الشك وهاك ترجمة موجزة للرقية السحرية التى تكتب عادة عليها (١).

« أيها الأوشابتى ، اذا استدعيت أو اذا عينت لأداء أى عمل فى الجبانة •• حتى كالتزام لرجل ، أى لأزرع الحقول أو أغمر ضفاف النهر أو أحمل الرمل من الشرق الى الغرب فعليك أن تقول أنت « هأنذا ! »

---

(١) فصل ٦ من الكتاب المسمى خطأ « كتاب الموتى »

وتبدو هـذه التماثيل غالبا وهى تحمل فأسا وسـلة لتبين بذلك طبيعـة العمل الذى يأمل صاحبها الذى تمثله يتهرب منـه عن طـريق تدخلها . ولقد اعتاد الكتاب الأقدمون أن يباهوا بمهنتهم ويقارنوها بغيرها من المهن ...

وهاك وصفا لمتاعب صغار ملاك الأراضى (١) :

« نمى الى علمى انك هجرت الكتابة وانصرفت الى اللهو وأنك اتجهت الى العمل فى الحقول وخلفت ظهريا الآداب .. ألا تذكر حالة الزارع حين يواجه تسجيل ضريبة المحصول ، حين تقضى الأفاعى على نصف حبـوبه ويفترس عجل البحر بقيتها ؟

ان الفئران تعيش فى الحقول والجراد ينزل عليها والماشية تلتهمها . ان العصافير تسبب الخراب للزراع وأما ما بقى على ساحة التذرية فيسرقه اللصـوص .

ان الثيران تموت فى موسم التذرية والحرث .

ثم يأتى كتبة الأرض على ضفة النهر وهم يزمعون تسـجيل ضريبة المحصول . فيحمل الحجاب هراوات والنوبيون عصى النخيل ويقولون : « سلم القمح » رغم انه لا يوجد هنـاك شىء من القمح . فيضرب الفلاح ويربط ويلقى به فى البئر ويغطسـونه فى المـاء رأسا على عقب وتربط زوجته أمامه ويوضع صغاره فى القيود ويتخلى عنهم جيرانهم ويهربون ...

وهكذا تضيع الحبوب ، ولكن الكاتب على رأس الجميع ...

ان من يعمل فى الكتابة لا يؤدى الضريبة ، ليست عليه التزامات يدفعها ... لاحظ هذا جيدا » .

ولئن اتجهنا الى خارج الحدود المصرية الحقيقية فاننا نتابع المثـال القديم ولنبدأ من الجنوب : ففى وسط الطريق بين ادفو والمناحى الضيقة لجبل السلسلة على مبعدة ٥٥ ميلا شمال أسوان نلاحظ ان شكل الأرض يتغير تماما : فهنا نمر من اقليم الحجر الجيرى الذى يشكل الكتلة الضخمة لمصر الى اقليم خشن من الحجر الرملى يمتد جنوبا الى مسافة ألف ميل فى ناحية السودان ولا يعوق هذه المرحلة سوى خط قصير قبل الجندل الأول وراء الجزيرة الكبيرة المعروفة باسم « الفنتين » مباشرة . ويتكون الجندل من تيارات نهرية بسبب وجود كتل ضخمة من الجرانيت الأحمر أو الأسود تعترض الطريق . وقد جعلت هذه لمصر الفرعونية حدودها الطبيعية رغم

(١) J.E.A. XXVII, 19-20

أن بلاد النوبة تبدأ فعلا بالقرب من سلسلة من الناحيتين : الاثنولوجية والطبيعية ٠

وتقع النوبة السفلى بين جزيرة « فيلة » والجندل الثانى وراء وادى حلفا الذى يعد أطول وأجمل منظرا ، وهى رقعة من الأرض يخيم عليها الفقر وصفت بأنها أرض طولها مائتا ميل وعرضها خمس ياردات ٠٠٠ وهو وصف مبالغ فيه من غير شك ولكن الحقيقة تبدو فى ثناياه حين ندرك ان رمال الصحراء والقنن العالية (مثل قصر ابريم على الضفة الشرقية) و «أبو سمبل» (على الضفة الغربية) تكاد تحاذى ضفة النهر وان التقينا أحيانا من وقت لآخر برقع صغيرة من أرض تزرع بها الحبوب أو بمزارع للنخيل أو السنط النيلى أو أدغال الطرفاء تكون مايشبه الكثبان ٠ وتضم النوبة السفلى اليوم حوالى ١٢٠٫٠٠٠ من السكان (١) كلهم من الجنس البربرى وكذا لغتهم بربرية ، شأنهم فى ذلك شأن الجـانب الأكبر فى التاريخ القديم لقوم كانوا يسكنونها كما يسكنون السودان وأطلق عليهم المصريون اسم « نحسيو » وكانوا يتكلمون لغة تتطلب مساعدة أحد التراجمة لتفسيرها ٠ ويشير اصطلاح « نحسيو » بخاصة فى بعض النصـــوص الى النـــوبيين الذين يعيشـــون على النهر بمقابلتهم بال «مدجايو» سكان الصحراء منجنس أكثر خشونة استعانت مصر بهم فى النهاية كشرطة (٢) ٠

وأما ما وراء الجندل الثانى فان العزلة أكبر فالقرى نادرة والزراعة فى أغلب الأمر تكاد تختفى ٠ ولقد أرسيت الحدود فى وقت ما فى التاريخ المصرى عند سمنة وقمة وهما قلعتان تواجه الواحدة منهما الأخرى جنوب طرف الجندل وكانت تبدأ هناك أرض « كاس »

المعروفة فيما بعد باسم « كاش » وهى « كوش »

---

(١) لم تعد نوبا السفلى المصرية تضم سكانا بعد مشروع السد العالى اذ تم تهجيرهم جميعا الى منطقة بين ادفو وكوم امبو وشـــغلت بحـــيرة ناصر اقليم النوبة السفلى ـ المترجم ٠

(٢) Z.Æ.S. LX—XIII ; 38 ff.

« التوراة » التى تعنى الأرض المعروفة بأثيوبيا لدى اليونان ولقد كانت كوش أصلا منطقة معينة سمع عنها لأول مرة حوالى عام ١٩٧٠ ق٠م ٠ ولكن سرعان ماعم مدلولها بحيث اشتملت كل الأراضى الواقعة بعيدا الى الجنوب حتى تتم المقابلة بينها وبين البلاد التى حملت من عصور أقدم اسم «واوات» [hieroglyphs] وكان هذا فى أول الأمر اسما له دلالة محددة ولكنه استطاع أن يشمل بالتالى الرقعة الواقعة بين الجندلين : الأول والثانى(١) ، وبمرور الزمن قامت مجموعة كاملة من المستعمرات أو مراكز حراسة الحدود الى الجنوب من القلعتين التوأمين السابق ذكرهما تنتهى عند الصخرة العتيدة المعروفة باسم جبل البرقل الذى أصبح فيما بعد عاصمة للمملكة الأثيوبية المستقلة (حوالى ٧٥٠ ق٠م) ومع ذلك فان هذا لم يكن الحد الأقصى الذى وصلت اليه الحملات الفرعونية فبالقرب من الكنيسة على مبعدة ٣٥٠ ميلا فقط من الخرطوم تلتقى بكتلة معروفة من الكوارتز تحمل نصوص الحدود للمحاربين العظيمين : توثموزيس الأول والثالث (حوالى ١٥٣٠ ــ ١٤٤٠ ق٠م) (٢) وينتهى اهتمام علم المصريات عند هذه النقطة فلسنا بعد فى حاجة لترسم خطى النيل فى رحلته من منبعه بالقرب من بحيرة تنجانيقا ويكفى القول بأنه بعد التقاء النيلين : الأزرق والأبيض عند الخرطوم ثم الالتقاء بعطبرة على مبعدة ٢٠٠ ميل الى الشمال لا تمد النهر العظيم أية روافد حتى يصب مياهه فى البحر المتوسط على مبعدة ١٧٠٠ ميل ٠

والرقعة الغربية من مصر تكاد تكون صحراء تماما ولكن علينا أن نقدر مدى الجفاف الذى حل بها خلال الخمسة آلاف عام الماضية ٠ ولقد كان هناك على طول البحر المتوسط على أية حال اقليم مأهول بالسكان تشغل جانبا منه المراعى وتشغل جانبا آخر منه أرض صالحة للزراعة كانت موطنا للبيض ذوى الشعور الحمراء والعيون الزرقاء الذين ــ متابعة منا للاغريق ــ نعرف انهم الليبيون ٠ وهذه التسمية فى الواقع تسمية غير صحيحة ولا تتمشى مع تسلسل الأحداث ذلك لان القبيلة المشهورة المعروفة باسم « لبو » [hieroglyphs] (٣) سمع عنها لأول مرة فى عصر مرنبتاح (حوالى ١٢٢٥ ق٠م) حين قامت على رأس حلف من الغزاة الذين قدموا من أقاليم أبعد غربا ٠ ونستطيع أن نميز فى العصور الأقدم

(١) Kush, VI 39 ff.

(٢) J.E.A., XXXVI, 36

(٣) Onom. I., pp. 121 ff.

مجموعتين : أولاهما ال «تحنيو» (١) وال «تمحو» (٢) اللتان تشبه أولادهما تماما من ناحية الجنس والثقافة المصريين فى غرب الدلتا وان كانوا يعتبرون دائما كأنما هم أجانب وكان الواحد منهم يغمد عورته فى قراب . ويتزين بخصلة شعر تتدلى من أحد جانبى رأسه . ويحمل ريشا فى شعره وانه لمن العسير أن نصدق أنهم كانوا كثيرى العدد ويبدو أكثر احتمالا انهم هم الذين كانوا يسكنون فى الواحات(٣) وهى المنخفضات العجيبة تحت مستوى البحر التى تغذيها الينابيع والتى تقع على مبعدة من وادى النيل وأسماؤها من الشمال الى الجنوب سيوة والبحرية والفرافرة والداخلة والخارجة ولكن سيوة كانت أبعد من أن تحظى باهتمام الفراعين حتى العصر الساوى . وعدد سكان هذه الواحات الخمس اليوم لا يزيد كثيرا على ٤٠٠٠٠ نسمة . وتعد الفيوم كذلك واحة من نوع ما ولكنها أقرب الى مصر من غيرها وقد ألحقت بالنيل منذ عصور مبكرة قبل التاريخ وهكذا تكونت بحيرة كبيرة لا تزال بقاياها ترى فى بركة قارون (١٤٤ قدما تحت سطح البحر) وطبقا لأحدث نظرية تسعى وراء ربط التواريخ عن طريق مجموعة من الجيولوجيين العلماء يقومون بأبحاثهم على ضوء الملاحظة من ناحية ودراسة ماخلفه هيرودوت من ناحية أخرى نراهم يقررون ان البحيرة الأصلية غاصت الى مادون مستوى البحر بسبب سد القناة بالغرين حتى قام ملك من ملوك الأسرة الثانية عشرة بتوسيع القناة وتعميقها وهكذا أعاد البحيرة الى مستوى النهر . وهكذا نشأت البحيرة المشهورة المعروفة باسم بحيرة موريس التى قامت بوظيفتها المشتركة كمهرب لفيضان النيل وكخزان ، وبذا أسهمت لا فى حماية الأراضى فى مصر السفلى من الآثار المدمرة للفيضانات الشديدة الارتفاع فحسب بل زادت فى كميات الماء فى النهر بعد انحسار النهر وانقضاء موسم الفيضان (٤) . وطبقا للنظرية نفسها أنزل صناعيا

(١) Op. Cit., II pp. 116.

(٢) Op. Oit., I. pp. 114 ff

(٣) هذه الكلمة اليونانية مشتقة من الكلمة المصرية

وهى قديما وحات وبالقبطية ōγαϩe.

ونعنى أشتقاقا « قدر او دست » ، انظر . Z.A.S. Lvi, 44 ff.

(٤) J. Ball, Contributions ; 199.

مستوى وحجم البحيرة فى أوائل العصر البطلمى بسبب تشييد مجموعتين من القناطر وهكذا استعيد جانب من الأرض العلوية ٠ هذا الى أن مكان البحر انقص من حجم بركة قارون الى حجمها الحالى وأصبح الاتصال بالنيل لا يتم الا عن طريق بحر يوسف المتعرج الذى يخرج من النهر فى مجاورات ديروط ٠

أما فيما يتصل بالبحر المتوسط الذى يكون الحد الشمالى فانه ليس هناك من كثير يقال سوى ان مصر اصبحت مكشوفة من هذه الناحية وذلك فقط حين أصبح مغامرون من أبناء البحر أكثر جرأة ٠ ولابد ان الاتصال بكريت كان قائما منذ زمن بعيد ذلك لان الثقافة المينووية تقدم دلائل قوية على التأثير المصرى ، أما النشاط البحرى المباشر فى هـذه الناحية فليس لنا عليه من دليـل بل بالعكس فان السـفن المصرية تبـدو كأنما كانت تفضل ملازمة الشاطىء مادامت المراكب الكبيرة التى تصلح لتمخر عبـاب البحـار ، حتى وان ترددت على البحر الأحمر ، كان يطلق عليها اسـم « كبنو » أى « مراكب ببلوس » وذلك نسبة الى ميناء جوبلو أو ببلوس عند سفح لبنان ٠

أما من ناحية الشرق فان مصر كانت مكشوفة ، عرضة للهجوم ، وان كان ذلك فى بقعة محددة بالذات ٠ كان الطريق الى ومن فلسطين يمر بشمال شبه جزيرة سيناء مسيرة قرابة تسعين ميلا (من القنطرة الى العريش) على أرض شاسعة رملية محرومة من الماء (١) ولكن هذه المسافة لم تكن كافية لتعوق أولئك الذين تشدهم الحاجة أو الطمع الى خيرات مصر، ولئن كان حقا ان حضارة الأسرات تدين بالكثير الى التأثير الميزوبوتامى فانه من المحتمل ان أصحابه أتوا من هذه الناحية وقد دارت مناقشة معقولة تشير الى انهم جاءوا الى وادى النيل من ناحية الشمال بدليل ان الكلمة المصرية السامية لد « غرب » تدل فى اللغة المصرية كذلك على « اليمين » ولقد سارت فى الطريق نفسه أو عن طريق بلوزيوم بالقرب من البحر الجيوش الغازية ل أسرحدون وقمبيز والاسكندر ، كمـا سار فى عكس الاتجاه العديد من حكام مصر نفسها ٠ وهنـاك اشارات عن مدى الخطر الذى يتهدد مصر من هذه الناحية يتردد حوالى عام ١٩٧٠ ق ٠ م ٠ فى الحديث عن « أسوار الحاكم » التى شيدت لترد « السيتو » (الاسيويين) ولتقضى على « المتنقلين على الرمال » (٢) ٠ وأما بعيدا الى الجنوب فمصر كانت آمنة تماما ضد أية فرصة للعدوان ؛ ذلك لأن خليج السويس ومن

(١) J.E.A. VI, 99 ff.

(٢) J.E.A. I, 105.

ورائه البحر الأحمر كانا بمثابة خط دفاع بل انهما ، أكثر من ذلك ، كانت تفصلهما عن طريق النيل قنن من الجبال ترتفع أحيانا الى ٤٠٠٠ قدم ولم يكن يعيش فى هذه الناحية قوم لهم من القوة ما يكفى لشق طريقهم اليها • وقد وجد المصريون أنفسهم على أية حال طريقا من كوبتوس (قفط) الى ميناء البحر الأحمر ــ القصير ــ التى استطاعوا أن يرتحلوا منها بحرا الى بوينى (بونيه) Pwene (١) التى ربما كانت الشــاطىء الافريقى المقابل لعدن ، أرض التوابل والمر والمنتجات القيمة الأخرى •

ومجمل القول ان مصر فى عصورها القديمة يسرت لها عزلة ناعمة كأية دولة أخرى ترزق حسن الطالع حتى تستطيع أن تطور ثقافتها الفردية العالية ولم تقلل هذه الظروف المسعدة من فكرتها الطيبة عن ذاتها فقد كان المصريون يعدون أنفسهم « الرجال » الحقيقيين وحدهم ، الشعب الوحيــد حقا الذى يستطيع أن يحمل عن جدارة اسم «رومى»(٢) ، ومن الطبيعى انها كانت تزدرى جيرانها الأقربين الذين كانت تطلق على رؤسائهم لقب « وغد » وهنــاك كاتب من عهــد الدولة الوســطى تحــدث عن النوبيين بقوله : (٣)

« اذا غضب المرء عليه استدبر وان تقهقر المرء بدأ يغضب ••• انهم قوم لا يستحقون الاحترام •• انهم جبناء ضعاف القلوب » •

ويصــــف كاتب قديم الاسيويين الذين يقطنون جنــــوبى فلسطين بقوله : (٤)

« عامو التعساء ! ان سوء الطالع يحل حيث يكونون ! ان بلادهم متعبة فيما يتصل بالماء شاقة بسبب كثرة الأشجار •• انها وعرة الطرق بسبب الجبال ••• وانه لا يستقر فى مكان واحــد بل يطرد الى خارجه بسبب الحاجة فقدماه دائمتا الحركة •• انه يقوم بالمعارك منذ عهد حوريس ومع ذلك فانه لا ينتصر مطلقــا وهو كذلك لا يغلب » • ورغم الاعتزاز

---

(١) يقدم الاسم فى معظم كتب الدراسات المصرية كـ « بونت » وهو نطق خطأ تماما ومع ذلك فان النطق الذى نقدمه هنا تقديرى وظنى •

(٢) كلمة « بيروميس » أى « رومى » مسبوقة بأداة التعريف أوردها هيرودوت (٢ : ١٤٣) بمعنى يقارب كلمة جنتلمان اليوم •

(٣) Eg. Gr. P. 361

(٤) J.E.A, I, 30



شكل (٥) نباتات البردى

بالنفس الذى تنم عنه هذه الفقرات فان مصر غزيت من وقت لآخر بل ان حضارتها القديمة خلال الـ ١٣٠٠ سنة الأخيرة استطاعت أن تغشيها تماما الحضارة الاسلامية ، والحق انه رغم ان زراعتها ظلت تفرض دائما حرفة مستمرة فان ظروف البلاد لم تكن أبدا بحيث تدفع الى تطور حربى يتسم

بالجرأة والبسالة بل انها كانت تستكين ان هي واجهت شعبا أصلب عودا وأقدر على ممارسة الحرب ٠(١)

ولقد كانت موارد مصر المادية ضخمة منقطعـــة النظير في أزهى عصور تاريخها ٠٠٠ وفيما عدا سنى القحط كانت غلالها وفيرة ومحصولاتها الرئيسية الشـعير ونوع آخر من القمح ثم من الخضر والعدس والفول والخيار والكراث والبصل ، ومن الفواكه البلح والجميز والتين والبرساء والى جانبها ــ هبة السماء ــ العنب ٠ وقد عرف المصريون بحبهم للزهور وتظهر على نقوش جدران مقابرهم باقات كبيرة تزين موائد الطعام المتخمة بعديد الألوان ونرى الضيوف في الولائم وهم يقربون اللوتس الى أنوفهم وتحيط الخادمات رقابهم بعقود من الزهور ٠ أما زهرة اللوتس الزرقاء ــ العطرة ــ فكانت تنمو ــ كالزهرة البيضـــاء ــ بكثرة في المستنقعات وكانت تلعب دورا له قيمته لدى المعماريين والفنانين وبصرف النظر عن المتعة الجمالية للزهور ودلالتها الروحانية كرموز للحيـــــاة فانها كانت مصدرا للعسل الذى كان يعوض النقص في قصب السكر ٠ وكان الكتان يزرع بكميات كبيرة وتصنع منه الخيـــوط التى تنسج الى أرق الأقمشة التيلية ٠ وكان هناك محصول تفردت به مصر هو نبـــات البردى الذى استخدم في صناعة الحبال والحصير والصناديق والنعـــال والزوارق الخفيفة ٠٠٠ وأهم من هذا كله سيقانه التى كانت تقطع الى شرائح رقيقة يوضــع بعضها الى جانب بعض طولا وعرضا وتقرب حتى تصـــبح ألواحا تجففها الشمس ثم يستخدمها الكتاب كأداة ممتازة للكتابة وقد ورثهـــا فيما بعد اليونان والرومان ومنها اشتقت الكلمة الانجليزية Paper وأخيرا فهناك شجرة كان يستخرج منها الزيت تدعى (باق) ظن البعض أنها الزيتون وان كان الأرجح أنها شجرة البان (٢) التى كان يستخرج منهـــا زيت ثمرة البـــــان ٠٠٠ وأما عن ندرة الأخشاب فأمر سنتناولهـ بالحديث فيما بعد ٠

وكانت هناك فصائل من الحيوانات المستأنسة أولها وأهمها سلالات عدة من الماشية الافريقية وكانت أطيب اللحوم لحوم البقر وكان الثور حيوان التضحية الرئيسى الذى استخدم في الحقول لجر المحراث ٠ وترى الأغنام والماعز والخنازير في نقـــوش المقـــابر ، ويفخر أصحاب اللوحات

---

(١) المترجم : هذه هى الخرافة التى يحاول الاستعمار دائمـــا أن يصم بهـــا الشعوب المحبة للسلام وهى شبيهة بخرافة الارض الزراعية التى لا تستطيع أن تمارس الزراعة ٠٠ وقد استطاعت مصر دون تحيز أن تثبت مدى التضليل في هذه المزاعم خلال السنوات الماضية في أعقاب الثورة المباركة ٠

(٢) Bull. Inst. fr., XXXI, 130 ff.

الجنازية (ستيلا) (١) بالعديد الذى كانوا يملكونه من هذه الأنواع ٠ وقد استخدمت الماعز ـ وفى النادر جدا الخنازير ـ فى وطء الحبوب ، ومن المؤكد أن الخنازير كانت تستغل كطعام وان كان هناك اتجاه الى عدم الحديث عنها فى هذا الصدد ٠ وكذلك كان السمك ٠ وليس من المحتمل أن الماشية كانت تستغل فى أغراض أخرى مادام التفكير يمنع من استخدام صوفها فى الملابس ٠ وفى العصور الفرعونية ـ كما هى الحال اليوم ـ لم يكن هناك حيوان من ذوات الأربع أصلح للاستخدام عمليا من الحمار سواء لاحضار المحصولات أو حمل الناس ٠

ولم يظهر الحصان فى مصر حتى عهد الهكسوس (حوالى ١٦٠٠ ق٠م٠) حين ادخل من آسيا لجر العربات أصلا ٠ أما الجمل فقد تأخر استخدامه كثيرا ٠



لوحة ٦ ـ لوحة صغيرة من عهد الدولة الوسطى

وكانت المزارع تزخر بأسراب الأوز والبط ، ولكن علينا هنا ان نتوقف عن ترديد وسرد أنواع الكائنات الحية التى اسهمت فى لذائذ الحياة الفرعونية لنوجه اهتمامنا الى موارد لاتدب فيها الحياة من الثروة المصرية ٠

(١) Stélé كلمة يونانية تعنى عمودا من الحجر ويستعمل فى علم الآثار المصرية للأدوات الشائعة التى كانت تستخدم فى المناظر والنقوش الجنازية أو التذكارية وهى فى أغلب الأمر ذات قمة مستديرة (انظر شكل ٦) ٠

ان الحجر الجيرى الرائع من مصر الوسطى وبخاصة من محاجر طره المقابلة لأهرام الجيزة استخدم لتشـييد كل المعـابد والمقابر فى العصور القديمة ما دامت لم تصنع من اللبن المجفف فى الشمس وتنحت فى جرانيت الشلال وانه لما يدعو الى بعض العجب ان الحجر الرملى الاقل جودة استطاع أن يحل محله ابتداء من الدولة الحديثة (حوالى ١٥٠٠ ق٠م٠) اما الاحجار الاغلى والاصعب ممارسة فقد استخدمت فى صناعة توابيت الملوك والنبلاء وبوابات وأعمدة أضرحتهم وهياكلهم وكانت لهفتهم أكثر ما تكون على الجرانيت الاحمر الذى يستجلب من الجندل الأول ولم يكن الجرانيت الرمادى بأقل قيمة فى نظرهم ٠

أما القيمة المعروفة للبازلت الذى يستجلب من الصحراء عند قفط فتؤكدها نقوش الصخور عند وادى الحمامات(١) ٠ والى الشمال توجد محاجر عدة كان يؤتى منها بالمرمر ذى اللمعة نصف الشفافة الذى كانوا يفضلون استخدامه لصنع الجرار والأوانى من كافة الأشكال والأحجام منه ولأغراض البناء الأخرى ، وكان الكوارتز الذى يميل لونه الى الحمرة يستجلب من الجبل الأحمر شمال شرق القاهرة وهو أكثر صلابة ويعد من أجمل أنواع الاحجار التى حاول المصريون نحتها بنجاح ٠ ولم يكتشف الا حديثا ـ نسبيا ـ على مبعدة أربعين ميلا شمال غرب «أبو سمبل» مصدر الديوريت الذى صنع منه التمثال الرائع لكفرين فى متحف القاهرة (٢) ٠ وهناك أحجار أخرى جميلة جىء بها من تخوم مصر مثل البرشيا واليشب والصوان والشست ٠ والحق أنه لا يوجد فى العالم أجمع من كانوا أمهر من المصريين فى معالجة الأحجار حتى ليعد الكمال الذى وصـلت اليه الأوانى التى لاتعد وكذا الجرار والصحاف وغيرها مما وجد بالهرم المدرج معجزة تعدل الهرم الأكبر نفسه ٠

وقد اسـتخرجت المـواد سالفة الذكر اما من بعض الأماكن فى الوادى نفسه أو من الصحراء التى لاتبعد مسـيرة يومين ٠ وكان فى استطاعة قوم لهم هذا التنوع من الموارد ان يجروا أضخم الكتل حتى النيل ومع ذلك فانه كان لايزال هناك بضع مئات من الأميال للوصول الى الموقع المزمع استخدام الحجر فيه ٠ وكان النهر نفسه أكثر العوامل المساعدة فضلا على النظام الاقتصادى المصرى ، ذلك لأن الرحلات البعيدة فى البلاد كانت تتم بواسطة المراكب ، وكان هؤلاء الأقدمون يبلغون درجة من

---

(١) Ann. Serv. XXXVIII, 127 ff.

(٢) P M VII, 274.

المهارة فى بناء السفن تعدل تفوقهم فى كافة الفنون العملية الاخرى ... ومع ذلك فان أخشاب بناء السفن كانت ضرورة أولى وكان عدم كفايتها معيبا ولكن الموقف لم يكن بالسوء الذى يصور به أحيانا لأنه رغم ان المناخ فى الوادى لم يتغير خلال خمسة آلاف عـام فان مرتبة الكفاية فى الرى قد تغيرت ، وحيث تقوم الآن حقول فقط ، كانت هناك على الأرجح أشجار أكثر مما يرى اليوم ... ولكن الحاجة تبدو واضحة من ناحية الكيف لا الكم بالنسبة للاخشاب ، فالنخيل مثلا ـ وهو شائع فى مصر فى مختلف العصور ـ كان تقريبا عديم النفع للبناء اللهم الا لصنع السقوف كما أن أخشـاب نخيل الدوم لم تكن مرغـوبة كذلك ومن هنـا كانت أهميـة تلك الرحلات الدائمة الى ببلوس التى سلفت الاشارة اليها . ونصوصنا مليئة بالاشارات الى خشب « عاش » الذى كان يؤتى به من لبنان ، ولقد أصبح التنديد بترجمة الكلمة الى « أرز » شائعا واستبدالها بكلمـة « صنوبر » ولكن اذا كان يمكن الاعتماد على نطق المختصين المتأخرين وهو غير غامض تماما فاننا قد نستطيع ان نقنع أنفسنا بألا نكون أكثر خطأ من بلينى وأن نتشبث باستخدامه لـكلمة « سدروس » لتشمل العرعر وغيره من الصنوبريات . ولكى نورد على سبيل المثال واحدا من أقدم ماذكر فى نصوصنا يشير الى أربعين مركبا بحرية محمـلة بال « عاش » جىء بها الى مصر فى سنة واحدة من حكم الملك سنوفرو من ملوك الأسرة الرابعة (حوالى ٢٦٢٠ ق.م.) (١)

ولكننا نقرأ كذلك عن سفن من السنط صنعت فى النوبة السفلى بقصد نقل كميات كبيرة من الجرانيت عبر الجندل الأول لاستخدامها فى هرم الملك مرنرع (٢) ونحن نسمع فى مناسـبة أخرى كذلك عن سفينة تم بناؤها على ساحل البحر الأحمر بقصد القيام برحلة الى بوينه (٣) .

وانا لنعلم منذ عصور بالغة فى القدم ان التملك على الذهب كان يعـد مرادفا للثراء وقد بزت مصر فى تملكه كل جيرانهـا وكان المعـدن النفيس متوفرا فى الصحراء الشرقية فى الرمال الفيضـية والحصى وكعروق فى صـخور الكوارتز على السواء ولم يكن ضروريا مدى عصور طويلة السعى وراء البحث عنه مبعدين جنوبا من خط عرض قفط ولم يحدث ذلك الا حين بدأت الكميات فى المناجم تشح أو ان العمل أصبح بالغ المشقة ومن ثم انتقل التعدين الى النوبة السفلى وما وراءها . وهناك

(١) B A R I § 146.

(٢) Op. cit., I § 324.

(٣) Op. cit., I § 360.

بردية فى متحف تورينو تتناول بالوصف الطريق الى واحد من اقاليم الذهب وهذه هى أقدم خريطة فى العالم من غير شك • اما الموقف بالنسبة للفضة فأقل وضوحا ؛ ذلك لأن مصر ـ بقدر ما نعلم ـ لم يكن بها فضة أو خام الفضة رغم ان الذهب المصرى يحوى فضة بنسب متباينة • وليست هناك وثيقة تسجل لنا ان كان الأقدمون قد استطاعوا ان يستخرجوا الفضة من الذهب ويرى البعض ان ما سمى فى النصوص القديمة «حدج» (الذهب الابيض)كان فى الواقع سبيكة طبيعية باهتة اللون اعتبرت كمعدن مختلف عن الذهب وقد اطلق اليونانيون على مثل هذه السبيكة من الذهب والفضة « الكتروم » ويستعمل علماء الدراسات المصرية غالبا تلك الكلمة لترجمة الكلمة الهيروغليفية « جام » التى تبدو على أية حال كأنما هى تعبير أكثر دقة من كلمة ذهب (نوب بالمصرية) ومن المؤكد كذلك ان « حدج » كانت تعنى فى العصور المتأخرة الفضة الحقيقية • ومنذ الأسرة الثامنة عشرة (القرن السادس عشر قبل الميلاد) كان يذكر باستمرار انه يؤتى بهما من سورية وبابل وبلاد الحيثيين فى آسيا الصغرى • وبعد ، فربما كانت تستورد حتى فى العصور القديمة •

وهناك بعض الابهام فيما يتصل بالنحاس كذلك وقد كان شائع الاستعمال نسبيا حتى قبل عهد الأسرات ، وبعد عصر « مينيس » أصبح معدنا لايمكن الاستغناء عنه يستخدم فى الأدوات والأسلحة • وتوجد خامات النحاس مثل الدهنج والزبرجد فى الصحراء الشرقية وان لم يكن ذلك بكمية تكفى لتمد أكثر من الحاجة البدائية • وهناك مع ذلك مناجم واسعة فى شبه جزيرة سيناء ليست بعيدة عن الموقعين : « وادى مغارة وسرابيط الخادم » حيث تسجل نقوش كثيرة زيارات الحملات المصرية سعيا وراء الفيروز • ومن عجب ان الفيروز وحده هو الذى يحظى بالذكر ولكن ـ لأسباب كثيرة ـ نجد ان كلمة « مافكة » المصرية لا تستطيع بالكاد ان تعنى شيئا آخر • ومنذ عصر الأسرة الثامنة عشرة يشار الى سورية كأنما ترسل جزية من النحاس وربما جيء ببعضه كذلك من قبرص أو كيليكيا •

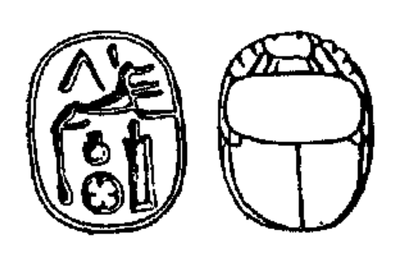
أما الحديد فليس هناك من شك فى أنه استخدمفى الأدوات حتى أول الألف الثالثة قبل الميلاد ويشير وجود خنجر له سلاح من الحديد(١) مزين زينة رائعة فى مقبرة توت عنخ أمون الى المركز الممتاز الذى احتله ذلك المعدن • وقد عثر على حبات من الخرز من أصل شهبى فى واحدة من

(1) J.E.A. XXVIII, pl. I.

مقابر جرزة من عصر ماقبل الأسرات ··· وكان يعثر من وقت لآخر فى مناسبات متفرقة على الحديد أو المعادن الشهبية أو غيرها وان كان هذا غير ذى بال بالنسبة لنا ، خاصة ولأننا نقدم صورة عامة غير كاملة للثروة المصرية ومن أجل ذلك فسوف لا نناقش أمر الرصاص والصفيح اللذين يمكن الرجوع اليهما فى كتاب « لوكاس » الذى يعد مرجعا أساسيا فى هذا المضمار ·

ولم تكن توجد بمصر أحجار كريمة بالمعنى المفهوم من هذا الاصطلاح اليوم ذلك انه كان يكفى صناعة الحلى من اللازورد والفيروز والجمشت (الياقوت ! الاماتست) والعقيق وغيرها وربما كان استخدام هذه الأحجار أقل بهرة للناظر وان لم يكن أقل جاذبية وذلك لأنها كانت لامعة ومصنوعة بمهارة فائقة · وقد تم انتاج التزجيج من عصر ممعن فى القدم ويستطيع هواة المجموعات ان يدركوا القيمة العالية للقاشانى الأبيض والأخضر فى مصر · وكان الحصول على الزجاج أقل سهولة بكثير ، وهناك نماذج منها غير كثيرة رغم العثور على أوان من الأسرتين السابعة عشرة والثامنة عشرة استطاعت ان تجد طريقها الى متاحفنا ·

وقد كان من الطبيعى فى أرض بها الوفير من الموارد الطبيعية وتتطور فيها الحرف سريعا بهذه الدرجة العالية من الكفاية ···كان من الطبيعى ان يوجد بها الكثير الذى يصلح للمقايضة مع الأجانب · وقد عثر على كثير من الصور وخاصة فى مقابر النبلاء فى طيبة لسوريين ونوبيين بل كريتيين حيث يحضرون ثرواتهم المجلوبة (الأجنبية) لتقديمها للملك · وكانت هذه تمثل دائما كأنما هى جزى أو هبات ولكن من الصعب ان نكبت شبهة ان الدفع بالذهب كان هو النظام السائد · ولقد كانت النوبة مصدر الابنوس والعاج الى جانب جلود الفهود وذيول الزراف وريش النعام والقرود ·· الخ وكانت بونيه ـ كما رأينا ـ أرض المر والتوابل · واما سورية فكانت تجىء منها الأوانى ذات الأشكال الغريبة والسيوف والخوذات والعربات والاعنة من الجلد · وهناك أدوات أخرى من الواضح انها من أصل مينووى يجىء بها أحيانا كريتيون يلبسون نقبا ملونة وتحلى رءوسهم خصلات شعر مجعدة تثير الابتسام · وهناك صورة من الجزية تدعو الى الأسى تتمثل فى الأطفال الصغار المخلقين كرهائن ··· ولكن الى جانب هذه المساهمة المباشرة من شعوب



شكل (٧) جعل نموذجى

ارتبط بها المصريون ارتباطا مباشرا نلتقى بمواد ذات أهمية فكثيرا ما عثر فى الحفائر على الجعول (١) والأشياء الأخرى من اللازورد ، وليس هناك حجر شبه كريم تردد ذكره أكثر منه فى النصوص ، ومع ذلك فاننا لا نعرف له من مصدر أقرب من الحبشة أو افغانستان • واما مايعرف باسم الكهرمان فقد لا يكون سوى راتنج مصنوع • أما المعدن الشديد السواد المعروف باسم الاوبسيديون (سبج) فمثل طيب لما يقوم النزاع أو المناقشة حوله هنا ، ذلك لأن هناك نظريات متعارضة عن أصله فالبعض يرى أنه جىء به من الحبشة ، بينما يرى آخرون أن مصدره أرمينيا ، ويبدو انه فى عصور ممعنة فى القدم تسبق ذكرياتنا التاريخية كانت التجارة تدور فى فلك أوسع مما نستطيع ان نتخيل •

---

(١) الجعول (شكل ٧) هى تقليد من القاشانى او اية مادة اخرى صلبة لخنفساء المصرية Scarabaeus sacer وكانت تستخدم كتميمة أو ختم • وقد يحمل السطح المستوى السفلى اسم ملك أو موظف او نقش زخرفى .والجعل من الناحية الرمزية (والاسم المصرى له هو خبرور) يمثل « النمو أو الصيرورة » وهو فى صحبة الموميات يمثل القلب الذى يعد العضو الحساس فى الجسم •

انظر Eg. Gr. pp. 268-9 والاله خبرى يرمز الى الشمس المشرقة •

مراجع مختارة

الأرض :

K. Baedeker, Egypt, 8th ed. 1929
J. Ball, Contributions to the Geography of Egypt, Cairo, 1939; id. Egypt in the Classical Geographers, Cairo, 1942

المدن واسماء الأماكن الأخرى :

H. Gauthier, Dictionnaire des noms géographiques, 7 vols., Cairo, 1925-31
A. H. Gardiner, Ancient Egyptian Onomastica, 3 vols. Oxford, 1907

الشعوب الأجنبية :

النوبة والسودان :

T. Säve-Soderbergh, Agypten und Nubien, Lund, 1941;

ليبيا

W. Hölscher, Libyer und Agypter, Glück stadt, 1937

الجيران الشرقيون

W. Max Müller, Asien und Europa, Leipzig, 1893

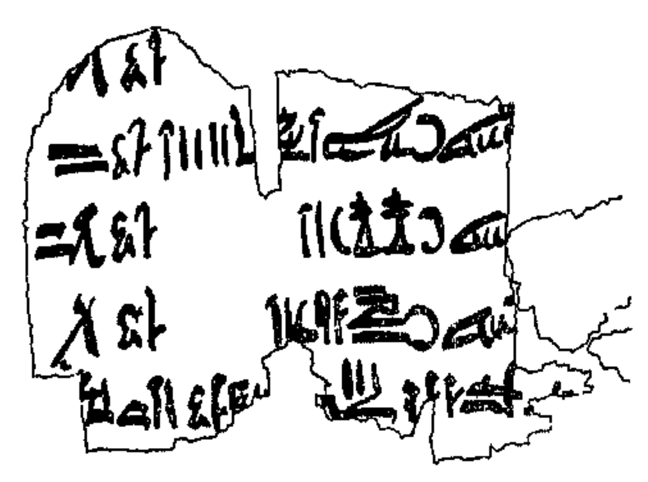
وقد تقادم به العهد ولكنه لايزال مفيدا .

ثروات مصر :

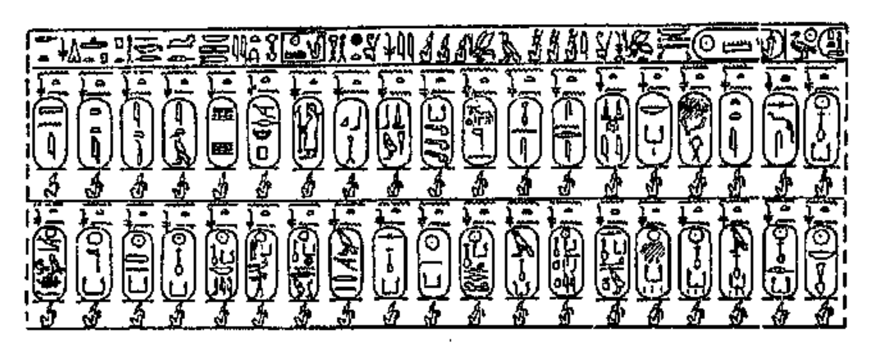
A. Lucas, Ancient Egyptian Materials and Industries: 3rd. ed. London, 1948

٤ أسس التاريخ المصري وطبيعته

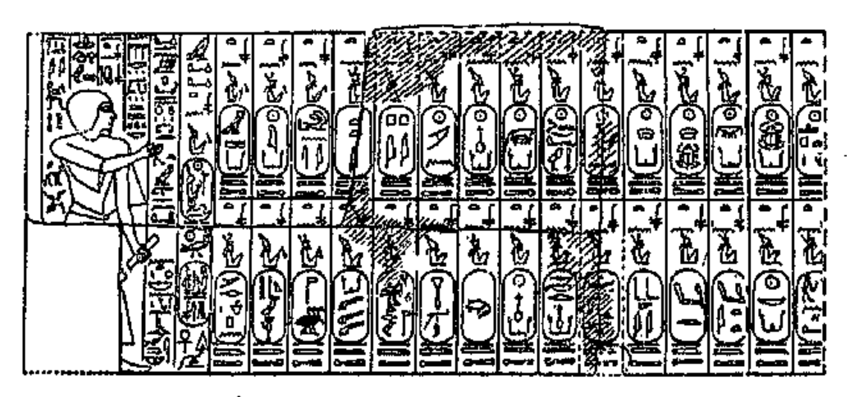
كان أول واجب على من جاءوا بعد شامبليون ان يضعوا النظـــام الحقيقي لملوك ماقبل العصر البطلمي وسرعان ما أدى بهم فك الرموز الى رد الاعتبار أو على الأقل رد الاعتبار الجزئي للكاهن المصرى مانيتو ، وكان الاحترام الذى استشعر قبل هيرودوت وديودور قد ألقى جانبا من الظلال عن تلك المعلومات التى تستحق تقديرا أكبر، وهي التي قدمها العالم المعاصر الأول بطلميوس (٣٢٣ ــ ٢٤٥ ق ٠ م) وقد أخذ مانيتو على عاتقه أمر تدوين تاريخ للملوك المصريين الذى ــ بخلاف الفقرات الكثيرة التى نشرت ومن ثم حفظت على يد المؤرخ اليهودى جوزيفس (٧٠ م) ــ لم يبق منه سوى مختصر مشوه في مؤلفات المؤرخين المسيحيين : سكستوس جوليوس افريكانوس (في أول القرن الثالث الميـلادى) ويوسبيوس (من أوائل القرن الرابع الميلادى) ثم هنـــاك جامع متأخر يدعى جورج الراهب المعروف ب « سنسللوس » ، (حوالى القرن الثـامن) أسهم اسهاما كبيرا فى أمر نقـــل هذه المعلومات ٠ ويقسم مانيتو فى مؤلفه التاريخ الكامل لمصر ــ بعد حـــكم الآلهة وأنصـاف الآلهة ــ الى احـدى وثلاثين أسرة من العائلات الملكية تبدأ بمينيس وتنتهى بغزو الاسكندر الاكبر عام ٣٣٢ ق٠م٠ ورغم كل عيوب هذا التقسيم الى أسرات فانه اتخذ جذورا ثابتة فى تراث دراسة المصريات بحيث لم تعد هناك فرصة للتخلى عنه ــ وفى الصورة التى وصل الينا الكتاب بها نلتقى بأشياء غير مضبوطة بدرجة واضحة تصل الى ذروتها خلال الأسرة الثـــامنة عشرة حيث أصبحت الأسماء والتسلسل التاريخى معروفين لدينا من مصادر أثرية لايرقى اليها الشك ٠ هذا وانا لنجد ان افريكانوس ويوسبيوس قلما يتفقان فأفريكانوس مثلا يعطى تسعة أسماء لملوك الأسرة الثانية والعشرين ، بينما لا يسجل يوسبيوس سوى ثلاثة أسماء ٠ وقد نجد ان كل ما يصـــــل الينا أحيانا هو عدد ملوك الأسرة (كما هو الحال فى الأسرات ٧ ، ١٠ ، ٢٠) والمدينة التى نشئوا بها ــ أما الأســماء الملكية فهى عرضة للتشويه بصورة لاتصدق ف «سنوسرة الأول» من ملوك الأسرة الثانية عشرة جعل مشابها فى اسمه « سيوثكوسيس » لاسم شوشنق الذى جاء بعده بألف



جزازة من قائمة تورين الملكية



جانب من جدول ابيدوس



جانب من جدول سقارة

شكل رقم (٨) نماذج من القوائم الرئيسية الثلاثة

عام ، أما طول مدة الحكم فتختلف غالبا فى النصين كما تبدو خلافات كثيرة فى الاسماء المؤكدة تماما • وقد ثبت من مراجعة النصوص وعمل النقاد الآخرين الذين بذلوا أقصى الجهد لديهم – ان خيرا أو شرا – ان اعادة هيكل ما كتبه مانيتو يظل مشوبا بنواحى النقص بل ان من الامور التى تثير الاهتمام حقا قصة امنوفيس والمجذومين التى نقلها عنه جوزيفوس وكذا قصص الاحداث الغريبة التى تنسب الى بعض الملوك التى تبين انه أفاد لا من المصادر الموثوق بها فحسب بل كذلك من الروايات الشعبية التى تخلو من القيمة التاريخية •••• ومع ذلك فان كتابه لايزال يسيطر على دراساتنا ، وربما يخبىء لنا بعض المفاجآت كما حدث منذ بضع سنوات حين عثر فجأة على اسم ملك مجهول يدعى « نفرخيرس » – كان قد وضعه فى الأسرة الحادية والعشرين – على اناء صغير من تانيس • (١)

وقد قاد شامبليون نفسه أمر تبرير ماكتبه مانيتو ، ففى الطبعة الثانية من مؤلفه المشهور **Précis** الذى نشر عام ١٨٢٨ م أعلن أنه عثر فى آثار مختلفة على خراطيش الملوك المانيتونيين «اخوريس» و «نفريتس» و «بسامتكوس» و «اوسورخو» و «سسونخصس» و « رمسيس » و « توثموزيس » • (للأخيرين انظر صفحة ٢٧ المرسومة بها اشكال ٢) وكذا « امنوفيس » الذى اطلق عليه اليونانيون اسم « ممنون » وقد امكن بمعونة المؤرخ المصرى وضع هؤلاء جميعا فى مكانهم الصحيح ، ولم تتوقف كشوف شامبليون عند هذه المرحلة ، ذلك ان نجاحه الكثير ، وفشله أحيانا ، يقدم قصة رائعة وان كانت قصة يصعب تفسيرها بل انه رغم وفرة المادة التى بين ايدينا اليوم لايزال يتناولنا الشك بالنسبة لترتيب مختلف الحكام ، ولعل اسوأ المراحل جميعا ماسوف نعرفه تحت اسم العصرين الوسيطين : الأول والثانى ثم مابين الأسرات ٢١ ، ٢٤ ، ولقد امدتنا أحيانا النقوش التى تشمل عصور حكام متعددين ببعض المعونة ولكن أكبر ما ساعدنا هى قوائم الملوك التى علينا أن نقدم موجزا عنها الآن (٢) •

ان لدينا بقايا سفر اخبار حقيقى يشابه ما أورده افريكانوس ويوسبيوس عن مانيتو وذلك فيما يطلق عليه قائمة تورين للملوك (شكل ٨) والمتواتر أن البردية الهيراطيقية التى ترجع الى حوالى عهد

---

(1) P. Montet, Tanis, Paris (Payot), 1942, p. 164, with fig. 43

(٢) انظر المرجع فى آخر الفصل •

رمسيس الثانى (١٢٩٠ ــ ١٢٢٤ ق٠م) كانت فى حالة تكاد تكون تامة حين توصل دروفتى للحصول عليها ، ومع ذلك فانه حين بدأ شامبليون ينقب فى ثنايا المخزون من الجزازات الكبيرة التى انتقلت ملكيتها الى متحف تورين اتضح له ان هذه الوثيقة التى تعد أثمن الوثائق المصرية قاطبة لم يبق منها سوى خمسين قطعة هى فى معظم الحالات ناقصة ، وتقدم على الأكثر مابين ٨٠ ، ٩٠ اسما ملكيا ٠ وبعد ذلك بعامين أى فى عام ١٨٢٦ نرى العالم الالمانى جوستاف سيفارث الذى تناوله الشك فيما قدم شامبليون من نتائج يبدأ من جديد فى جمع الجزازات ويضم ما يستطيع ضمه منها بعضه الى بعض وقد عمل منفردا فى معالجة الألياف ومواضع سطور الكتابة على الوجهين حتى توصل الى النتائج الهامة التى تناولها تعديل ملحوظ منذ ذلك الوقت ٠ ويبدأ سفر الاخبار ــ مثل مانيتو ــ بالآلهة وأنصاف الآلهة الذين تنسب اليهم مدد حكم أسطورية ، وهو يتفق وما جاء فى مانيتو والكتاب الكلاسيكيين من الاصطلاح على وضع مينيس مؤسسا للملكية المصرية واما بقية المستند فمجرد قائمة من الأسماء الملكية تبدأ به وتلى كل اسم اشارة بطول مدة الحكم والعمر ولا يقطع هذا السرد الا ذكر المجموع الذى يتفق والهدف نفسه الذى رمى اليه مانيتو من ناحية التقسيم الى اسرات وان كانت النقط التى تبدأ عندها أسرة جديدة لا تتفق دائما تماما فى المصدرين ــ وأما عدد الملوك فيكاد يكون واحدا فيهما : فبردية تورين تورد للست أسرات الأولى اثنين وخمسين اسما ٠ بينما يورد مانيتو تسعة وأربعين، وأما بالنسبة للأسرة الثانية عشرة فكل من المصدرين يقدم سبعة أسماء وبعد هذه الأسرة تأتى قائمة لملوك لا يحكمون سوى فترات قصيرة لايورد لهم مانيتو ذكرا وتلى ذلك جزازات قليلة تحوى أسماء القليل من الدخلاء الأجانب المعروفين بالهكسوس (انظر فيما بعد صفحة ١٦٩) ٠ ولكنها تقدم مع ذلك بعض أسماء غريبة حتى ليبدو كأنما لا تمت بصلة لملوك حقيقيين ٠

وبمرور الزمن ظهرت قوائم ملكية أخرى تكمل مانيتو وبردية تورين وأهمها ماعرف بجدول أبيدوس (شكل ٨) (١) المنقوش على جدران المعبد الكبير الذى يعد أروع مما يستطيع الزائر لمصر أن يراه ، والمنظر يمثل الملك سيتوس الأول (١٣٠٩ ــ ١٢٩١ ق٠م) مصحوبا بابنه الأكبر رمسيس وهو بصدد تقديم القرابين الى ستة وسبعين من

---

(١) PM VI 25 (229) - (230).

أسلافه الذين لاتقدم صورهم الشخصية وانما تمثلهم الخراطيش التى كتبت بداخلها أسماؤهم بالهيروغليفية ٠٠ وهنا مرة أخرى يتصدر مينيس القائمة ٠

وأما جدول سقارة شكل (٨) (١) فقد عثر عليه عام ١٨٦١ فى مقبرة منف لأحد رؤساء الأشغال ويدعى جونيرى وكان يحوى أصلا خراطيش سبعة وخمسين ملكا يمجدهم رمسيس الثانى ولكن تلفا بالجدار أنزل العدد الى خمسين اسما ، وأما جدول الكرنك(٢) المنقوش فى معبد طيبة الكبير الذى يحمل هذا الاسم ويرجع الى عهد توثموزيس الثالث (١٤٩٠ ـ ١٤٣٦ ق٠م) فيحوى ٦١ اسما لم يكن من المستطاع مطالعة اكثر من ثمانية وأربعين اسما من بينها تماما أو جزئيا عند الكشف عنها (١٨٢٥) ولكن هذا الجدول الهام من ناحية ذكر عدد من الحكام الذين لانجدهم فى غيره يعيبه عدم ذكر الملوك فى ترتيبهم المتتابع الصحيح ٠

واما الهدف الذى صنعت من أجله هذه الجداول الثلاثة فلم يكن يستدعى وجودها كاملة ولم يسجل بهـا سوى الملوك الذين اعتبروا شرعيين او رئى انهم يستحقون التمجيد ومن أجل ذلك استبعد حكام الهكسوس للأسرات ١٥ ـ ١٧ ، كما استبعد الملك اخناتون وخلفاؤه المباشرون الثلاثة ، ومع ذلك فان هناك مظاهر فى اختيار الأسماء تتحدى كل تفسير ، فمن المفهوم ان يعنى جدول الكرنك عناية خاصة بالاسرة الحادية عشرة ثم بأسلاف اموزيس (عحموزه الأول) طارد الهكسوس مادام هؤلاء الحكام قد جاءوا من اسرات طيبية ولكن لماذا يذكر جدول ابيدوس عددا من صغار ملوك الأسرة الثامنة الذين يرى من نقلوا عن مانيتو أنهم لا يستحقون الذكر بينما لايرد ذكر مطلقـا للحكام فى الأسرات ١٣ ـ ١٥ وهم والآخرون يتساوون كذلك فى عدم الأهمية ؟ ، كما انه ليس من الواضح أن جدول سقارة يغفل أسماء الملوك الخمسة الأول للأسرة الأولى ويبدأ المجموعة باسم مينيس ٠٠٠ انه لمما يدعو للأسف حقا انه ليست هناك قائمة ملوك بعد عهد رعمسيس الثانى الابن الأكبر وخليفة سيتوس الأول مادامت الأسرة التاسعة عشرة تنتهى بمشاكل ضخمة ، كما ان الأسرات ٢١ ـ ٢٣ لاتزال كذلك صعبة المراس ، وان اهم ما يماثل قائمة الملوك حقا من عصر متأخر عن العصر

---

(١) PM III.192.

(٢) المرجع السابق II, 42

الذى ذكرناه من قبل هو تتابع الملوك المتصل بسلسلة طويلة من الكهنة المنفيين الذين يزعمون انتسابهم الى أسرة واحدة فهنا ينتسب أقدم الملوك الى نهاية الأسرة الحادية عشرة ، وأما آخرهم فهو شوشنق من الأسرة الثانية والعشرين (١) ·

وقد حال دون تحقيق الاسماء فى قوائم الملوك ومطابقتها بالاسماء التى أوردها مانيتو أنه كان لمعظم الملوك ــ كما ذكر شامبليون ــ خرطوشان لا خرطوش واحد ، وهكذا نجد أن قائمة أبيدوس تذكر غالبا الاسم الدينى والملكى بينما يفضل مانيتو ذكر الاسم الملكى ، وقد أمكن التغلب تدريجيا على هذه الصعوبة بالعثور على النقوش التى تجمع بين الخرطوشين ··· هذا الى انه خلال الفترة التى بدت فيها الحضارة المصرية فى اكتمالها كانت الالقاب الملكية اكثر تعقيدا حتى بلغت على الأقل خمسة اسماء متميزة (٢) ·

وهناك لوحة تذكارية من عهد الملوك الفاتحين فى مصر يتصدرها النص التالى : ــ

الحياة لحوريس « الثور القوى الطالع فى طيبة »

السيدتان « الخالد فى الملكية مثل رع فى السماء »

حوريس الذهب « الرائع فى القوة المقدس فى مظاهره »

ملك مصر العليا والسفلى « من خبر رع »

ابن رع « دحوتموزة حاكم الحق » المحبوب من أمن رع الذى يشغل الرئاسة فى ايبت اسوه (الكرنك) ·

ليحيا الى الابد ··· لقد أمر الملك نفسه ··· الخ

وهذا اللغو الذى يبدو غير مفهوم يفقد بعض قدسيته بالنسبة للقارىء الحديث حين يدرك ان العناصر الخمسة التى تسبق الاسماء الفردية المحصورة بين شولات تشير الى الالقاب أو النعوت المشتركة بين كل الفراعين وتسجل فيما عدا الحالة الرابعة ــ علاقته بمعبود أو ببعض المعبودات ، ومن ثم فان تعبير : حورس « الثور القوى الطالع فى طيبة » تشير الى ان توثموزيس الثالث ــ نحن نشير عادة الى دحوتموزة باسمه المانيتونى ــ كان اعادة تجسيد للاله الصقر حوريس فى المظهر المشار اليه ، وان الكلمات التالية للنعت غير المألوف « السيدتان » (نبتى

---

(١) Borchardt, Mittel, pls. 2, 2A.

(٢) Eg. Gr., pp. 71 ff.



شكل رقم (٩) ــ اسم الملك اموزس
على ال « سرخ » (واجهة القصر)

باللغة المصرية ويكتب بالهيروغليفية) يشير الى صيغة معينة لحامل الاسم الثانى بحيث يعد تحت حماية «نخبة» و «ادجو» وهما العقاب والصل (الكوبرا) اللذان يرعيان مصر العليا والسفلى على التوالى ــ اما أسماء « من خبررع » و « دحوتموزه » حاكم الحق فهما الوحيدان من بين الخمسة داخل الخراطيش وأولهما ماقلنا عنه من قبل بأنه اللقب ، واما الثـــانى فهو الاسم وتسبق اللقب بالهيروغيلية التى تنطق انسبيا (١) ، على لوحة بابليه وترجمتها الصحيحة على حجر رشيد هى « ملك الاقاليم العليا والسفلى » اما الاسم فتسبقه التى تشير الى انه هو « ابن اله الشمس » ولكنه يحتفظ باسمه الشخصى الذى كان يحمله قبل ولاية العرش ٠

وهناك خاصية للاسم الحوريسى هو أنه يكتب غالبـا عمـوديا فى مستطيل بالتكسية ذات الفجوات التى تميز المبانى الأولى من اللبن ويعرف هذا الرسم لدى المصريين تحت اسم « سرخ » ومن الواضح انه يمثل واجهة القصر الذى يشغله الملك كتجسيد للصقر الذى يشاهد ٠ وهو

---

(1) Z A S XLIX 17.

يقتعده أو يقبع فوقه (شكل ٩) ـ وتدعونا هذه المناسبة لمعالجة اصطلاح « فرعون » : لقد جاءتنا هذه الكلمة من التوراة فهى ترد فى قصص يوسف وموسى كمصطلح عام للحاكم الذى يحكم مصر ، وفى سفر الملوك الثانى يذكر حاكم من الأسرة السادسة والعشرين كانمـــا هو « فرعون نكو » باضافة الاسم الشخصى كما كان يحدث أحيانا فى التراث الأدبى الوطنى منذ عهد الاسرة الثانية والعشرين ـ أما بالنسبة لأى ملك قبل عهد الاسرة الثامنة عشرة فان استخدامنا بالانجليزية للاصطلاح يعد بمثابة خطأ فى تسلسل تواريخ الاحداث ، وليس هنـــاك من مبرر مطلقا لكلمة الجمع « فراعين » رغم اننا لانود ان نتخلى عن هذه التسمية المريحـــة والتى استخدمناها فى الواقع كعنوان لهذا الكتاب • اما الكلمة المصرية الاصيلة فهى « بر ـ عو » وتكتب وتعنى ببساطة البيت الكبير ، وكانت طريقة من بين الطرائق الكثيرة التى تشير الى القصر الملكى •• ثم حدث خلال عهد توثموزس الثالث أن الاصطلاح بدىء فى اطلاقه على الملك نفسه كما كان يطلق اســـم الباب العالى على حـكومة العثمانيين من ســـلاطين القسطنطينية وقد انتقلت كلمة « فرعون » الى الكتابات العبرانية ومنها الى مفردات لغتنا •

لئن كانت لقارىء هذا الكتاب معرفة سابقة بعلوم المصريات فانه سيصدم من غير شك حين يتصفح قوائم الملوك فى نهاية هذا الكتـــاب وذلك حين يجد بعض الأسماء تقدم فى صورة تخالف ما اعتاده من قبل ••• والامر يدعو للأسف حقا ولكنه ضرورى فى الوقت نفسه وهو لحد ما مرغوب فيه كذلك ، وعلى أية حال فانه يشهد بالمظهر التقدمى لعلومنا واحجامها بالدليل الواضح عن تقبل قراءات غير سليمة فالاسم المعروف نوثمس فى مكان الاسم الذى تقدمه (توثموزس) أو الذى يقدمه برستد « توتموزه » هو خطأ يجب أن يهجر بغير هوادة وليس هنا مجال الدفاع عن اختيارنا ويكفى أن نقرر المبدأ العام وهو استخدام الصيغ التى ذكرها مانيتو حين تشبه شبها كافيا ما تقدمه الهيروغليفية ، فلئن لم يكن الأمر كذلك ـ فاستخدام الهجاء الذى يأخذ فى الاعتبار قواعد النطق التى تقدمها القبطية ومع ذلك فليكن مايلى مفهوما : انه فى اندر الحالات الممكنة ـ وبخاصة حين نلتقى بالمسمارية البابلية ـ نستطيع ان نعرف النطق الصحيح المعاصر •

ومع ذلك فانه ان اكتملت الاستعانة بقوائم الملوك وكذا المصادر الفرعونية الباقية فان الهيكل العام الذى يشتمل الأسرات فى التاريخ المصرى يكشف عن فجوات مؤسية ومعلومات تتناولها الكثير من الشكوك، ولئن صح ذلك بالنسبة للهيكل فكم يكون أكثر صدقا بالنسبة للجسد والدم الذى نتمنى ان نكسوه به . واما النصـــوص التاريخية الطويلة نسبيا فهى فى ندرة الجزر المنعزلة وسط المحيط ، ونستطيع ان نتخيل أهمية كثير من الملوك من وراء العديد من اللوحات(١) والجعول(٢) التى تحمل اسماءهم ، ويجب ألا ننسى مطلقا اننا نتناول حضارة تمتد لآلاف السنين لم يبق منها سوى مخلفات ضئيلة ، واما ما يذاع فى فخر من انه تاريخ مصرى فليس فى الواقع سوى مجموعة من الخرق البالية ، ويجب أن نبـــحث عن سبب معين لندرة المـادة التاريخية الأصيلة ذلك ان تسعة اعشار الحفائر المصرية تمت فى الصحراء حيث شاد الاقدمون « مساكن الابدية » لهم وحيث يحفظ الرمل الجاف اكثر الاشياء عرضة للتلف ومن هنـا كان المظهر الجنزى السـائد لمعظم ما يعثر عليه ، وأما مساكن الاحياء التى كانت تبنى عن قصد من مواد اقل قدرة على الاحتمال فكانت تقام فى وسط الارض الزراعية فالمدن والقرى النائية اليوم مبنية فوق انقاض العصور السابقة ، وحين كانت تنهار المنازل المبنية من اللبن كانت تحل محلها منازل أخرى تقام فوقها ، وهكذا يرتفع مستوى الارض مرة بعد أخرى فوق منسوب الفيضان ، ومن هنا جاءت اصـــطلاحات « كوم وتل » وكلتاهما كلمتان عربيتان تعنيان « ربوة » وكثيرا ما نلتقى بهما فى تركيب اسماء الأماكن فى مصر الحديثة ، وانه لمن الخرق ان نقوم بالحفر فى الاخصاص الحديثة ومن غير المجدى ان يتم ذلك فى أرض رطبة أو حيث يستطيع الماء أن يتسرب فى سهولة فالبلل فى الواقع هو السبب الرئيسى فى ندرة الوثائق من البردى وهو ــ اكثر من ذلك ــ اكبر الصعاب التى تجابه الحفارين ، ومن ثم كان العمل فى الدلتا بحيث لم يستطع ان يعوض ــ كقاعدة ــ كثرة النفقات ، كما ان تفاوت المعلومات المتصلة بشطرى البلاد عامل يجب الا يغيب عن ناظرنا ومع ذلك فالحق يقـال ان هـذا التعميم عرضة للاستثناء . فبوباستس وتانيس مدينتان كبيرتان فى الشـــمال قدمتا نتائج هامة وان كان معظمها من آثار من الحجر استطاعت ان تقاوم عامل الماء وبالمثل كذلك المعابد الرائعة فى الجنوب : الاقصر والكرنك التى تقوم على الارض الزراعية على مرمى حجر

---

(١) انظر صفحة ٥٧ .
(٢) انظر صفحة ٦٢ ــ ١ .

من النيل ... وفى الكرنك بالذات نلتقى بالكشف العظيم لـ « ليجران » عام ١٩٠٥ وهو الكشف الذى اخرج لنا مئات كثيرة من التماثيل الفاخرة المنقوشة والذى تم بعملية فيها الكثير من المهارة والذكاء حتى اطلق عليها ماسبيرو تسمية « صيد التماثيل » ولو ان عيوب الكم فى وثائقنا كان يعوضنا عنهـا تفـوق الكيف لكان ذلك أمرا طبيعيا · ولكن مع الأسف ان الأمر ليس كذلك ، ومع ذلك فلكى نتعجل النقد من ناحية ان العرض الذى نقدمه يدعو الى تشاؤم غير لائق فلنسلم على الفور بأن جزآلة التعبير والثراء فى اللمسات الانسانية فى المستندات المصرية تفوق كثيرا نظائرها من بلاد الشرق القديم ، وان كل ما سنتناوله هنا يشير الى كفايتها من وجهة النظر التاريخية البحتة ، والتاريخ الحقيقى لايدرك بغير معرفة للعلاقات الشخصية ، وفى مصر نفسها نرى أن رواية الاخبار لايام العرب تقدم فى اغلب الامر مشهدا مستمرا للعداوات المريرة وللصراع العائلى والطائفى وللعنف وسفك الدماء ... هذا ان ذكرنا أكثر المظاهر قتامة ــ وفى العصر الفرعونى لم يكن من الممكن ان يكون الأمر غير ذلك أو نحن على أية حال ــ يجب ان نتجاوز الى حد كبير عن الروايات المشوشة للمآثر الايجابية التى تكاد تتشابه ، وانا لنلجأ الى الاستنتاج اكثر منا للحقيقة البينة حين نتحدث عن الصراع بين الملكة حاشبسوه وزوجها الصغير ، ونستطيع أن نترسم ظهور الحكام ، وكلهم حربيون أو على الأقل مجاهدون .. أولئك الذين تصدروا على التوالى أسرات ١٢ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، أما معلوماتنا عن المؤامرات التى أنهت حياة الملك أمنمس الأول وهددت على الاقل حياة رمسيس الثالث فترجع فى الحالة الاولى الى اشارات هى وليدة المصادفة فى نصين أدبيين منفصلين ، كما ترجع فى الحالة الثـــانية الى وجود نص حقيقى يسجل مصير المجرمين ، وعلى العموم فانه يمكن القول ان أى شر أو فشل فى سيرة الفراعنة كان يعنى بقمعه وهكذا نجحت هنا حتى تلك المعلومات التى تعطى للتاريخ لونه ومظهره ، وانها لحقيقة لاذعة أنه رغم ان الخلق الشخصى والمصير كان يعنى باخفائهما جيدا فاننا لانزال نمتلك الاجساد المحنطة لعدد من الحكام(١) · وفى حالة واحدة فقط وهى التى تتصل بأخناتون قرابة نهـاية الأسرة الثامنة عشرة نرى النصوص والنقوش تضعنا وجها لوجه أمام شخصـــية تختلف تمـــاما عن كل الشخصيات التى سبقتها ولكن التقديرات المتفاوتة لهذا المجدد الدينى تؤكد الناحية التى توصلنا للهدف وهى الصورة ذات الوجه الواحد غير

(١) لمعرفة خبيئة الدير البحرى المشهورة راجع صفحة ٣٤٧ ــ ٣٤٨ ·

الحقيقى للحـــكام التى تطل علينـــا من ثنـــايا الوثائق التى خلفوها وراءهم ٠

وانه لمن العجيب أن نلاحظ كيف أن ضـــخامة ما وصل الينا من النصوص التاريخية يتوقف على مدى النجاح الذى استمتعت به مصر من وقت لآخر ، وهناك فترتان متوسطتان كبيرتان تفصلان الدولة القديمة (الأسرات ٤ ــ ٦) عن الدولة الوسطى (الاسرتان ١١ ، ١٢) ثم الدولة الوسطى عن الدولة الحديثة (الاسرات ١٨ ، ٢٠) التى تليها أربعة قرون من الاعتداء الأجنبى قبل أن تحل النهضة على يد حكام سايس (الأسرة ٢٦) واما بالنسبة للعصور الثلاثة المضطربة التى سلفت الاشارة اليها فان آثارها مشتتة ولاتقدم معلومات نافعة بل ان روايات الحوادث لاتزيد كما الا حين ترتقى أسرات جديدة من حكام أقوياء الى السلطان ، ومن الملاحظ ان السجــلات الرســمية عن أعمال الفراعنة فى الدولة القديمة غير قائمة ٠٠٠ كان الملوك آلهة متعالين الى أبعد الحدود وأقوياء بصورة تجعلهم لا يهتمون برواية أعمــالهم حتى تصـــل الى رعاياهم وكانت أهرامهم كافية لتقوم شاهدا على عظمتهم ونفس الشىء ــ مع درجة أقل ــ يمكن أن يقال عن الأسرة الثانية عشرة القــوية التى خلفت لنا كمستند وحيد للدولة تقريرا عن بناء معبد هليوبوليس ، أمر « سنوسرة الأول » بتشييده ٠ (١) وكذا حجر الحدود من اقليم الجندل الثانى الذى يحمل الاشارة الى التصوير المهين للعدو النوبى (راجع صفحة ٥٠ــ٥١) ولقد كان ملوك الاسرة الثـامنة عشرة وملوك الأسرتين التاليتين أقــل تعصبا فيما يتصل بالتمجيد الذاتى ٠ وهذا يرجع من غير شك الى أنهم كانوا أصلا أمراء محليين صغارا لم يكن لديهم منذ البداية ــ كما سنرى ــ عدم الرغبة فى ان يخلدوا على الحجر الاحداث الهامة خلال حكمهم ، وانا لنشـــهد اللوحات التذكارية تقام فى المعــابد بنــاء على الأوامر الملكية وتكثر كثرة ملحوظة فى اخريات الأسرة السابعة عشرة وقرابة نهاية الأسرة العشرين، واما مجال الموضوعات فمحدود جدا ولعل أبرزها بناء هيكل لمعبود مفضل أو اخماد ثورة فى أرض مجاورة ، وهناك صورة تدفع للشك هى التنظيم المثالى الذى اعتادوا أن يعرضوا به رواياتهم ، ففرعون يستدعى حاشيته ويسألهم النصح وهم يجيبون بحديث كله نفاق أو بنصح لا يستطيع مولاهم ان يتقبله وعندئذ يذيع خطته الحكيمة ومن ثم فان الحقيقـــة التقريبية لما يســجل بهذه الصورة تحتمل الشك ومع ذلك فمن المؤكد ان هناك بعض التحريف فى طريقة العرض ، وهنا نجد مثالا للمسحة

(١) Studia Aegyptiaca I, Rome, 1938, pp. 48 ff.

الميزة المصرية للتفكير هي الارتباط العجيب بالتراث التقليدى بمقابلته بالواقع وهو أمر يؤكد الحرص على التعبير التقليدى بصورة لا نجد لها نظيرا في غير مصر من أنحاء العالم فليس هناك شعب آخر يبدى توقيرا أكبر مما تعارفوا عليه عند حديثهم عن « عصر الأسلاف » أو « عصر الاله » أو « المناسبة الأولى » وقد أدى هذا الحب لتمجيد القديم و (للتقليدى) أحيانا الى تمويه واضح ـ كان كل ملك مصرى يمثل كأنما هو غاز (فاتح) سواء كان ذلك فى الكتابات القديمة أو فى النقوش على جدران المعابد ـ واما النموذج فغالبا ما تلقاه فى العصور القديمة ، ويرى الفرعون وهو يمسك بمجموعة من الأجانب من نواصيهم وذراعه الأخرى مرفوعة الى أعلى لتهشم جماجمهم ، وأول طراز نلتقى به من هذا النوع هو اللوحة المشهورة ل « نعرمر » (لوحة ٢١) التى ترجع الى بداية الأسرة الأولى مع فارق بسيط هو ان مايبدو فى هذه اللوحة أسير واحد وليس مجموعة من الأسرى ، وقد بلغ الأمر مداه أحيانا فى عدم الاكتراث بالحقيقة الى ابعاد سخيفة فمن هو ذلك الذى يستطيع ان يصدق ان توت عنخ آمون البالغ من العمر ثمانية عشر عاما يستطيع أن يقود مباشرة عربته ضد جيش اجنبى يقتل منه عشرين من الاعداء بسهامه التى يفوقها من قوسه أو انه يذبح بغيرعون من أحد مجموعة من الأسود ومع ذلك فان هذه المناظر منقوشة على الصندوق الرائع المنقوش الذى عثر عليه بقبره المشهور ... بل ان هناك أكثر من ذلك ، أن ملوكا معينين لم يأخذوا الأحجار بغير اكتراث من مبانى اسلافهم فحسب بل ان كثيرا من النقوش القيمة والمناظر اختبأت كنتيجة لذلك وراء جدران المعبد الذى اصطنعوه لانفسهم بل انهم لم يترددوا فى ان ينسبوا لأنفسهم أعمال البطولة أو التقوى التى اختلسوها من غير شك من آخرين ، فالمعبد الجنزى للملك سحورع من الأسرة الخامسة يصف جماعة من الرؤساء الليبيين الذين جئ بهم كأسرى وهو يحدد عدد الماشية التى تم الاستيلاء عليها كغنيمة(١) والمنظر نفسه نلتقى به فى معبد بيوبى الثانى من الأسرة السادسة(٢) حيث يحمل الأمراء الليبيون الأسماء نفسها ثم فى مرة ثالثة نلتقى بهم بعيدا فى معبد نوبى من عهد الملك الاثيوبى تهرقا (حوالى ٦٩٠ ق.م)(٣) . ومن عصور متأخرة كذلك نجد بعض الصور الحربية

---

(١) Brachardt, Sahureʿ, II, pl. I.

(٢) Jéquier, II, pls. 8, 9, II.

(٣) Kawa II, pl. 9, b.

لـ «رمسيس الثانى»(١) • كما تشبه قائمة القرابين فى مدينة هابو نظيرتها فى الرمسيوم(٢) ، ولم يقتصر هذا اللون من الاستعارة على الآثار الملكية وحدها بل اننا ، نجد فى طيبة فى مقابر ثلاثة من الوزراء الممتازين نفس أسلوب الحـــديث من النصح الموجه اليهم بمنـاسبة تعيينهم(٣) ، وانه لمن المستبعد جدا ان فراعين مختلفين استخدموا نفس الكلمات والتعبيرات حتى فى فترات متقاربة •

ومع ذلك فاننا نجد الروايات التى نلتقى بها فى مقابر النبلاء وبعض الرجال من ذوى الدرجات الاقل ممن حصلوا على ترقيات غير عادية ، نجدها أقل متابعة للتقاليد وأكثر التماعا مما تعكسه النقوش التى تتناول نشاط الملوك فى ادارة دفة البلاد ولكن مثل هذه النعوت ليست كثيرة ، ففى مساطب الدولة القديمة فى الجيزة وسـقارة (٤) والمقـابر الصخرية للأسرة الثانية عشرة فى طيبة ليس هناك من بينها ٢./١ تروى أية أحداث مما أداه صاحبها من أعمال ، ومن ناحية أخرى تتشابه السلسلة الطويلة من الالقاب التشريفية مما يدفعنا الى القول بأنه ليس هناك جنس من البشر أولع بالمظهر الخارجى بهذه الصورة فاستسـلم للزهو بالنعوت المزخرفة ••• ولسنا ننكر بطبيعة الحال ان كثيرا من الألقاب التى نلتقى بهـا تشير الى وظائف ادارية حقة ، وحيث نلتقى بالنصوص التى تروى قصص الحياة نراها تضغط على مباشرة الأوامر الملكية أو على الأمجاد التى سيتعطف بمنحها الحكام المتتابعون وهناك فقرة لاتزال تتردد منذ أقدم العصور « لقد أديت عملى بحيث نلت مديح جلالته » • وأكثرها شيوعا من هذا تلك الفقرات المتكررة التى تعلن فيها فضائل صاحب المقبرة •

« أعطيت الخبز للجائع والملابس للعارى » أو

« كنت محبوبا من أبى ، وكانت أمى تمتدحنى ، وكنت عطوفا على اخواتى » •

وفى عصور تالية نرى مثل هذه التصرفات تشمل ميدانا أوسع فتتنفس فى ثناياها المثل العليا للكرم والتراحم التى لاتكاد تختلف عن

(١) ZAS LXV, 26 ff.

(٢) Med-habu, III, p. IX.

(٣) Davies, Rekh-mi're'. I, pp. 84 ff.

(٤) المسطبة كلمة عربية لمقاعد من الطين تشاهد فى أفنية المساكن الحديثة ، وقد استخدمها عمال الحفائر للتعبير عن المبنى العلوى للمقابر المستطيلة التى لها المظهر نفسه •

مبادىء المسيحية فالمواطنون يلتمسون العدالة والأمن فى كل العصور لدى الرجل العظيم الذى يؤكد هذا بالقول السائر ٠

« انجيت الفقير ممن هو أقوى منه » ٠

وليس هنساك ما يدعو الى التشسكك فى انه فى خير الحالات كانت هذه الدعاوى تقارب الحقيقة وفى أسوئها ، هى شاهد على المبادىء التى كانت تؤدى بها الأوامر الشفوية على الأقل ، ولكن كانت تضاف صيغة للتسجيلات من هذا النوع فتذكر لتدعو المارة الذين تؤثر فيهم مثل هذه الفضائل الدينية أن يقدموا بعض القرابين أو يتلوا على الاقـل الدعوات المعتـادة ولـكى تبرز الصيغة العـامة لهـذه النصوص وطبيعتها شبه التاريخية نقدم هنا ترجمة خطاب له أهمية خاصـة كتبه الملك اليافع بيوبى الثانى وسجله على جدران مقبرته الأمير حرخوف فى أسوان(١) :

« لقد ذكرت لى فى خطابك انك احضرت (دنج) للرقص المقدس من أرض ساكنى الأفق مثل ال « دنج » (٢) الذى جاء به حامل ختم الاله « باوردد » من بوينى فى عصر ايزوزى ، وقد ذكرت لجلالتى ان مثله لم يؤت به بوساطة آخر ممن زاروا يام من قبل ، اننى اعلم حقا انك تعمل ما يحبه مولاك ويمتدحه ٠ حقا انك تقضى النهار والليل تفكر فى ٠٠٠ ان جلالتى سيجيبك الى طلباتك الكثيرة الرائعة حتى يفيد ابن ابنك الى الابد وحتى يقول الناس حين يسمعون مافعله جلالتى لك « اهناك مايشبه الأشياء التى عملت للرفيق الوحيد حرخوف حين عاد من يام من أجـل اليقظة التى أبداها ليعمل ما يحبه مولاه ويمتدحه وما يأمر به ! » عد اذن الى الشمال فورا ـ أسرع وائت بهذا ال « دنج » معك ٠٠ حين ينزل معك فى السفينة ضع رجالا أقوياء من حوله على سطح السفينة وحاذر لئلا يسقط فى الماء وعين كذلك رجالا أقوياء ليقضوا الليل من حوله فى خيمته ثم فتش عليه عشر مرات خلال الليـل ، ان جلالتى يريد أن يرى هذا ال «دنج» أكثر من كل خراج أرض المناجم وبوينى » ٠٠٠ ويصحب هذه الروايات والقصص ذات التجربة الشخصية ، أو تحل محلها ، نقوش على جدران مقابر الدولة القديمة تصب اللعنات أحيانا على من تراوده نفسه على اغتصابها أو الاعتداء عليها أو تسـجل ترتيب وصية تؤكد لصاحب المقبرة ضمان استمرار القرابين الجنازية اللازمة لرفاهيته بعـد الموت ، وعلى ذلك فان أمثلة واضحة للعطف الملكى تبدو كفكرة مشتركة

---

(١) BAR I, 351.

(٢) هو قزم من قلب افريقيا من غير شك كما يبدو من المخصص ، انظر JEA, XXIV, 185 ff.

بين المقابر جميعا ـ ومنها ندرك من وقت لآخر ان الملك وحده هو الذى كانت له السلطة ليهب الجرانيت والحجر الجيرى الابيض الناعم اللازم لمداخل مصاطب نبلائه ، وكان الأمر يتصل أحيانا كذلك بمخلفات طعام القصر الذى كان يوزع على رجال البلاط أو يسلم لكهنة ال « كا » (خدم الروح) ليوضع فوق موائد القربان للموتى (١) . وانه لمما يستلفت النظر ان الصيغة الجنازية التى تتكرر تقريبا فى كل المقابر المنقوشة تبدأ بالكلمات « حوتب دى نزو » « منحة يعطيها الملك »(٢) .

وهو اصطلاح يطبق ، وان كان بصورة أقل شيوعا ، على الافضال الملكية الممنوحة للاحياء خلال حياتهم على الأرض ، ومن الواضح ان سلطان الفرعون كان سائدا فى كل اقليم من الاقاليم فى حياة الدولة القديمة ، وكان الاحترام الذى يقدم لشخصه يشير الى الاتضاع الشديد . وهناك واحد من الاتباع الكهنوتيين يروى لنا كيف ان عصاة الملك مست مصادفة قدمه وكم كانت راحته حين توقف مولاه عن ذلك(٣) ، وهناك كبار موظفى الدولة الذين يفاخرون بأنه سمح لهم بأن يقبلوا قدم الملك بدلا من أن يقبلوا الارض أمامه(٤) ، وبالاضافة الى نقوش المقابر نجد أن الوثائق الوحيدة على الحجر من هذه الفترة توجد فى المحاجر وأماكن التعدين وهى كتابات على الصخور فى الطريق اليها ثم اخيرا بعض المراسيم التى كانت تسجل فى المعابد ، فى قفط وابيدوس مثلا ، والتى تعفى كهنتها من الضرائب ومن العزل التعسفى من وظائفهم . واما من ناحية البرديات فان ما بقى منها قليل جدا وهى بخاصة تتصل بالحسابات أو أجزاء من خطابات(٥) ، وسنناقش فيما بعد حوليات حجر بالرمو ، وأما عن بقية شواهدنا عن الدولة القديمة فانها أثرية خالصة . ولقد كانت سلطة الفرعون المطلقة لاتحتمل التشكيك فيها ، ويروى حجم الاهرام المباهاة التى تتصف بالصلف فالملك كان يحب فى موته ـ كما فى حياته ـ أن يجمع نبلاءه من حوله ، وتدل الشوارع الكثيرة التى تمتد المصاطب على جانبيها محيطة بالمقابر الملكية الى الدرجة العالية من التركيز فى تلك العصور .

---

(١) JEA, XXIV, 83 ff.

(٢) Amenemhet, pp. 79 ff.

(٣) URK I, 232.

(٤) BAR. I, § 260

(٥) انظر فيما بعد (صفحة ٨٢) .

وانه ليس بغير سبب قوى ان المميزات الموجزة للتاريخ المصرى التى سلفت الاشارة اليها تبرز ملامحها وتوتكز اكثر ماتوتكز على الدولة القديمة ؛ ذلك لأن هذا هو العصر الذى يمكن أن نشاهد فيه أبرز المظاهر للحضارة الفرعونية فى اكثر مراحل نقائها وفى خير مراحلها ولقد كانت فترة التكوين الحقيقية تضمها القرون السابقة ولكن هذه القرون بكماء لعدم وجود المادة المكتوبة ، أما فى الدولتين : الوسطى والحديثة ، فقد ظل المظهر العام لمثل هذه النصوص التى يمكن ان يطلق عليها تاريخية على حالته كما لم يتغير رضا الكاتب عن نفسه أو الاستحسان الواضح لمناظر الطبيعة ثم كبت كل شيء ماخلا الاحداث المنعزلة ــ كل هـــــذه الأمور مصحوبة ــ دون تغيير ــ بسلسلة متصلة من الالقاب ونعوت المديح ... اما الآن فكل المادة الثانوية تتقدم لتعلو فوق كل المصادر تحت تصرف المؤرخ من قصص ونصوص تهذيبية ووثائق قضائية وخطابات وحسابات. وترتبط هذه الزيادة فى مستنداتنا بالحقيقة الواضحة وضوحا تاما من ضآلة الفرصة للعثور على وثائق بردية أقدم أو ما يشابهها . والبردى الذى انحدر الينا من عهد الدولة القديمة هزيل بصورة ملحوظة ، اما فيما يتصل بمحتوياته فان المحنة الجديدة من حروب أهلية وغزو أجنبى اعقبها التلويح بالتفاؤل الرصين الذى كان يسيطر على كل وثائق الدولة القـــديمة ، وسنتحدث عن ذلك بافاضة فى الفصـــل السادس . وانا لو تساءلنا أين نجد خيرة مادتنا التاريخية فان الاجابة قـــد تبـــدو متعارضة فى نهاياتها ذلك اننا نلتقى بها فى القصص الروائى المصرى حيث استطاع المؤلفون ان يصفوا الأحوال القائمة وان يكشفوا عن مشاعرهم فى حرية كانت من الاستحالة بمكان حين كان المقصد السائد هو المباهاة ، ولسنا بحاجة هنا لنروى نماذج تثبت ما سلفت الاشارة اليه فاننا سنلتقى بها فى مجرى الحديث فيما بعد .

أما بقية هذا الفصـــــــل فسنخصصه للموضوع العسير الخاص بالتـــاريخ :

لو أن المصريين استخدموا فى تأريخ نقوشـــــهم وأوراقهم البردية تاريخا متصلا مثل التاريخ الذى نستخدمه أو مثل ما يفعل المسلمون حين يحسبون تاريخهم ببداية هجرة النبى من مكة الى المدينة ، لما قامت هناك مشكلة تأريخية هامة ولكن من سوء حظنا نجد ان ابتداء من الاسرة الحادية عشرة يحسب كل ملك سنى حكمه وحده . واما فى الاسرات الأسبق فنلتقى بتعقيدات أشد ، وربما كان ما اختاروه لحسابهم يغدو قليل الأهمية لو أن الحظ ساعدنا فى التعرف على الترتيب الصحيح لكل الفراعين ولآخر

سنى حكم كل ملك فى كل حالة ما دام يمكن تحديد كل أثر تحديدا نسبيا طبقا لطريقتنا فى التأريخ بالاضافة البسيطة أو كما يسمى ب « الحساب الميت » وانه لمن الواضح أن مانيتو استطاع بهذه العملية أن يحصل على مجاميعه ما دام يحدد ــ كما توخى فى تفصيلات الاسرة ــ عدد السنين لكل حكم ، ولقد كان الدارسون للمصريات فى أوائل عهودها يتقبلون مايقدمه مانيتو فى تصديق أشبه بتصديق الأطفال لما يلقى اليهم به ، وكان عذرهم فى ذلك عدم وجود ــ أو نقص ــ مصادر يمكن الاعتماد عليها أكثر من ذلك بل انه لا يزال يوجد حتى اليوم عدد من الدارسين لم يبرءوا بعد من هذه الطريقة الخاطئة من الحساب ، وانه لما لا جدوى فيه هنا أن نكرر ماسبق أن قررناه من قبل بالنسبة الى عدم قابلية ماروراه مانيتو للتصديق فى صورته التى وصلت الينا على الاقل ، ولكن ربما كان مما يهم القارىء أن يقارن بين أرقامه عن التاريخ المصرى عامة ومانصطلح عليه اليوم،فهو يعطى للأسرات: الاحدى عشرة الأولى ٢٣٠٠سنة ومن الأسرة الثانية عشرة الى التاسعة عشرة ٢١٢١ سنة ثم ١٠٥٠ سنة من الاسرة العشرين حتى موت داريوس الذى هزم وأخذ مكانه الاسكندر الأكبر ، وجملة هذه الأرقام ٥٨٠٠ سنة من حكم مينيس حتى مولد المسيح ، نستطيع أن نقارنها برقم أقصاه ٣٢٠٠ سنة يقدمه مؤرخ رصين مثل ادوارد ماير لهذه المرحلة نفسها ٠

ويعد جدول تورين للملوك (راجع صفحتى ٦٥ ــ ٦٦) من أكثر المصادر التاريخية قيمة أو هو كان يمكن أن يكون كذلك لو أنه كان أكثر كمالا أو لو أنه حوفظ عليه فى عناية أدق ذلك انه سجلت به لاسنى كل حكم فحسب بل كذلك عدد الشهور والايام بعد اكتمال السنين ومن الواضح أن جامع هذه الوثيقة كانت لديه مصادر لمعلوماته ليست خالية من الفجوات نسبيا فحسب بل هى الى جانب ذلك دقيقة يمكن الاعتماد عليها ، وأرقام الاسرة الثانية عشرة مثلا تتفق تماما وما تشير اليه الآثار المعاصرة ، أما المجاميع القليلة التى تقدم فقد أمكن الحصول عليها عن طريق « الحساب الميت » وسنستطيع أن نفيد منها فى الافتراضات التى سنختتم بها هذا الفصل ٠ ولسنا متأكدين تماما على أية حال من أن مصادر من تولى جمع هذه الوثيقة تتفق تماما وال « جنوت

[hieroglyphs] المشار اليها فى النقوش ابتداء من

عشرة ، وتعنى هذه الكلمة الوثائق التاريخية القديمة من نوع او آخر

ويترجمها الدارسون عادة بكلمة « حوليات » ومع ذلك فان شيئا من هذا لم يعرفه علماء المصريات حتى بداية القرن الحالى حتى تعرف شسيفر بمساعدة بورخارت وزيته الى حقيقة ما أشرنا اليه من قبل تحت اسم حجر بالرمو وقاموا بدراسته دراسة وافية ، والقطعة الرئيسية من هذه القطعة البالغة الأهمية اتخذت اسمها من عاصمة صقلية حيث توجد اليوم ، وهى من حجر الديوريت تبدو عديمة الأهمية لا يزيد ارتفاعها على سبع عشرة بوصة ولا يزيد عرضها على قدم واحد ، وهى لا تعدو كونها واحدة من عدة قطع لها نظائرها تتصل بالاثر نفسه مباشرة ، أو بآثار أخرى شديدة الشبه به من ناحية التخطيط والترتيب والمقاييس عثر عليها فيما بعد ولاتزال محفوظة بمتحف القاهرة. أما الوجه الرئيسى من قطعة بالرمو (فى لوحة ٣) فانه سيساعدنا على تفهم للوصف الذى سنقدمه ، والنص على الوجه الرئيسى (الصدر) له ما يكمله على الوجه الخلفى ، ولنا أن نتخيل الكتلة جميعها قائمة كلوحة مستطيلة فى معبد ، حتى ترى من جانبيها على السواء وكلا الجانبين مقسم أفقيا الى صفوف مقسمة بدورها الى خانات رأسية تتضمن كل منها رواية بالهيروغليفية ويعدد الصف العلوى من الوجه الرئيسى للوحة أسماء حكام عصور ما قبل الاسرات الذين لا نعرف شيئا عن طول مدة حكمهم أو عن أعمالهم ، وفى بقية الصفوف نجد الخانة تفصل عن الخانة اليسرى لا بخط مستقيم كما هو الحال فى الصف الأول بل بعلامة ، ﴿ ، التى ترمز للسنة ، وبين الصفوف توجد دائما ديباجة أفقية تقدم اسم الملك التى تتصل به النصوص ادناها ويصحب اسمه عادة اسم أمه ، وتحت كل اشارة ارتفاع النيل فى تلك السنة بالذات ، وهكذا فانه من الواضح ان هذا الاثر ـ حين كان مكتملا ـ كان سجلا سنويا مستمرا لكل الملوك المذكورين على وجهيه ٠٠ أما الأول (فى صف ٢) فقد كان بدون شك مينيس ، وأما الأخير فى الوجه الخلفى عند النهاية فقد كان من غير شك « نى وسررع » سادس ملوك الأسرة الخامسة رغم ان آخر اسم احتفظ لنا به الحجر هو ثالث ملوك الاسرة نفر ايركارع ، وتسجل الهيروغليفية فى الخانات دائما بعض الاحداث الهامة أو بعض أحداث العام

من شيء أو أشياء يمكن أن تميزه بحيث يذكر بها ، ولعله مما تجدر ملاحظته انه بينما تحوى كل خانة من الصف الثاني الى الصف الخامس من الوجـــه الرئيسى خانة مفردة مزدحمة بالكتابة اذا بالصف السادس يحوى خانات تتسع لثلاثة أو أربعة أنهار ، وحجم الخانات في الوجه الخلفي أكبر من ذلك أيضا بالنسبة الى زيادة الاحداث المسجلة ، وهناك سببان يمكن أن يعلل بهما هذا الأمر ذلك انه اما أن احداث القرون السحيقة البالغة القدم قد انتقلت الى مرحلة النسيان أو أنها كانت تعتبر قليلة الاهمية ان هى قورنت بالنجاح البارز للعصور الاحدث ، ومهما يكن الأمر فانه من الواضح أنه لو كان أتيح لنا الحظ الكافي ليصل الينا هذا المستند كاملا فان نقوشـــه كانت تستطيع أن تعرفنا بالكثير مما تم في الماضي بقدر ما رغب فراعين الاسرة الخامسة خلفاءهم ان يعرفوا ، ولقد انصب اهتمامهم على الاعيـــاد الدينية وصناعة تماثيل الآلهة والانتصارات على القبائل الاجنبية من وقت لآخر ، وحملات للسعى وراء المعادن ثم بنـاء المعـابد والقصور ، ولعل اهتمامنا بهذا النص يتلخص فى دلالته التأريخية ، وما كان يمكن أن يؤديه للمؤرخ لو كانت اللوحة كاملة . ولو سلمنا بصحة معلومات صاحب الحوليـــات القديم لتحققنا من التتابع الصحيح للملوك جميعا من مينيس الى نى وسررع ومن عدد السنين الصحيح لكل منهم وفوق ذلك كله فان احصاء بسيطا لكل الخانات يستطيع أن يضع بين أيدينا مجموع السنين التى استغرقها حكم الأسرات الخمس الأولى ، وحتى فى حالته الحاضرة المبتورة يمكن استخدام الحجر ـ الى حد ما ـ فى الاغراض التأريخية ـ كما سنرى فيما بعد ـ ومع ذلك فهو لا يحتوى ســوى جزء ضئيل من التاريخ كله ـ كما هو الحال فى مدونة تورين للملوك التى لا تستطيع أن تصل بنا الى عصر التحامســة العظيم ، وابتداء من هذه النقطة نصبح فى حالة ضياع مطلقة حين نحاول أن نرسى أساسا سليما للتأريخ ما لم نلجأ الى طرق أخرى مختلفة تمـام الاختلاف سنتناولها بالشرح فورا :

انه لمن العجيب انها ليست سوى نقطة ضعف تلك التى أمدتنا بهذا العون ، ولكن الضعف فى هذه المرة لا يتأتى عن نقص أو تشويه المســتند التاريخى الذى بين أيدينا ولكن من عيب فى التقويم المصرى القديم نفسه، ذلك أنه فى زمن بالغ القدم كانت السنة المدنية لدى المصريين تحوى ٣٦٥ يوما وتضم ثلاثة فصول (١) بكل منها أربعة شهور ذات ثلاثين يوما لكل ثم أضيفت اليها الخمسة الأيام التى أطلق عليها « أيام النسىء »ولكن مادامت

(١) أسماء الفصول : اخى « الفيضان » ، بروية « الشتاء » ، شـــومى « الصيف » انظر Eg. Gr. p. 2

السنة الفلكية الحقيقية تحوى أكثر بقليل من ٣٦٥¼ يوم ، فان بدء العام الجديد فى السنة الخامسة من النتيجة المدنية يكون به يوم كامل يتقدم بدء السنة الفلكية وعند اسقاط مثل هذه الزيادة ـ كما نفعل فى السنة الكبيسة ـ فاننا نجد ان هذه النتيجة تتقدم بعد ١٢٠ سنة مدى شهر كامل عن السنة الفلكية ، ويبدو التناقض أسوأ فأسوأ حتى يصبح الموقف كما تتناوله بالوصف بردية من عصر الرعامسة جاء فيها :

الشتاء يجىء فى الصيف ، والشهور تنعكس والساعات تضطرب ٠٠

ويقدم مرسوم كانوب المكتوب بلغات ثلاث (٢٣٧ ق٠م) دليلا واضحا على أن المصريين بحرصهم الغريزى على التقاليد لم يسعوا وراء علاج لذلك الموقف ذلك انه فى هذا المرسوم نجد بطلميوس الثالث أورجيتوس يعلن ادخال يوم اضافى الى العيد بعد أيام النسىء الخمسة حتى يمنع الأعياد الوطنية التى تحدث فى الشتاء من أن تجىء فى الصيف ، فان الشمس تتغير يوما كل أربع سنوات وان أعيادا أخرى تقام الآن فى الصيف يجب أن تأتى فى الشتاء فى المرات المقبلة كما كان يحدث من قبل ٠

ولكن محاولة بطلميوس للاصلاح أثبتت عقمها وظلت الأمور على حالها حتى فرض أوغسطس فى عام ٣٠ ق٠م التقويم اليوليانى ذا ال ٣٦٥ ¼ يوم ، وحتى حينذاك ، فان هذه « السنة اليونانية » كما كانت تسمى ، لم يستخدمها أهل البلاد الا بعد اعتناقهم المسيحية ، ومن الواضح ان العلاقة بين السنة المدنية والسنة الفلكية تعود فتتلازم بعد ٤ × ٣٦٥ = ١٤٦٠ سنة بعد أن يكون أى حدث فلكى قد وقع بدوره فى يوم مختلف عنه فى التقويم المدنى ، وقد وضعت نظريات متعددة لتوضيح كيف أن النجم اللامع سريوس (نجم الكلب الذى يرى فيه المصريون ربتهم سوبدة وهو ما يقابل سوثس باليونانية) بدأ يعرف كأنما يقدم أساسا سليما لتعيين أنسب تاريخ ليوم السنة الجديدة ، وربما لوحظ ان النيل يبدأ فى الارتفاع بسرعة معينة حوالى الوقت نفسه الذى يبدو فيه سيريوس ـ بعد أن ظل غير مرئى لزمن طويل ـ فى السماء قبيل شروق الشمس ، وعلى أية حال فان هذا الأمر الأخير الذى يصفه الفلكيون المحدثون كأنما هو الشروق الشمسى لـ سيريوس والذى عرفه المصريون بأنه «ارتفاع سوثيس» اعتبر يوم العام الجديد الفعلى (وبت ـ رنيت [hieroglyph] » الذى يجب أن يوافق فيه « أول شهر الفيضان (الفصل الاول) ، اليوم الاول ، من التقويم

المدنى ، ولدينا عن ســـــنسورينوس ما يقطع بأن الشروق الشمسى ويوم السنة الجديدة توافقا فى عام ١٣٩ م ومن ثم فان توافقات أخرى يفترض أنهـا تمت فى أعوام ١٣١٧ ق٠م ، ٢٧٧٣ ق٠م ولقـد عثر فى نقوشنا الهيروغليفية على نصين يسجلان الشروق السوثى أحدهما يرجع الى سنة ما من عهد توثمورس الثالث (فى ٢٨/١١) (١) والآخر الى العام التاسع من حكم امنوفيس الأول (٩/١١) ومثل ذلك يحدد كذلك للسنة السابعة من حكم سنوسرة الثالث (١٦/٨) فى بردية من معبد اللاهون فى الفيوم والربط بين هذه التواريخ مع غيرها مما سبق ذكره يقدم لنا السنوات المقابلة لها ١٤٦٩ ، ١٥٣٦ ، ١٨٧٧ ق٠م٠ وهناك اختلاف طفيف يرجع لأسباب فنية فى الرأى بين الدارسين بالنسبة للارقام المضبوطة ، ولعل أحدث رأى فيما يتصل بالسنة المقابلة للأخيرة هو عام ١٨٧٢ ق٠م وفيما عدا ذلك يبدو ان الاتفاق تام ٠

ولسنا نستطيع هنا أن نقـوم بمحاولة لوصف الطرق التى سلكها علماء المصريات لتحديد تواريخ الفراعين اللاحقين للأسرة الثامنة عشرة التى يتصل بها كل من امنوفيس الاول وتوثموزيس الثالث ويكفى القول بأنه تم الاتفاق على معظم هؤلاء الملوك بفروق ضئيلة جدا ، ويلاحظ أنه خلال الالف سنة الأخيرة كان هناك توافق عرضى بأحداث فى بلاد الشرق الادنى القديم الاخرى لدرجة انه كان يؤخذ فى الاعتبار فيما يتصل بذلك الامر أبحاث الدارسين فى مختلف الميادين ، واما فيما يتصل بالعهد الوسيط الثانى فان العصر المظلم الذى يتوسط الأسرتين: ١٢، ١٨ لا يقدر له جمهرة الدارسين ـ لأسباب متعددة ـ أكثر من قرنين ، وهنا على أية حال كنا نحس بعقبة كأداء ما دامت برديه تورين تحصى فى هذه المرحلة أكثر من مائة ملك وهو عـدد أضخم من أن يشغل حيز مائتى عـام ، ومع ذلك فان الرقم الذى يعرض أمام أى حكم نادرا ما يزيد على ثـلاث سنوات ، وما دام ليس هناك أى أثر لمجموع فى الاعمدة التى تسجل ذلك فليس هناك اعتراض لا يمكن قهره يستطيع أن يقف أمام افتراض ان كثيرا من الملوك كان يعاصر الواحد منهم الآخر وانهم كانوا يحكمون فى أنحـــاء مختلفة من البلاد ، والبديل لذلك أن نطرح التاريخ السوثيائى للأسرة الثانية عشرة مدى ١٤٦٠ عاما ، ولقد كان هذا هو الحل الذى دافع عنه طويلا السير فلندرز بيترى ، ولكن ندرة الآثار والاعتبارات الاثرية المختلفة

---

(١) للتيسير ، نشير بهذا التعبير الى اليوم الثامن والعشرين من الشهر الحادى عشر او الشهر الثالث من شهور الصيف .

تكافح في عنف ضد وجهة النظر هذه ، وانه من الواضح انه من الخير ان نتقبل عام ١٨٧٢ ق٠م٠ كأنما هو أقدم تاريخ ثابت مؤكد نسبيا فى التاريخ المصرى ٠ ومع ذلك فان الفضول الغريزى لن يرضى إلا بالقيام بقتدير التواريخ المحتملة للملك «منيس» أما الأدلة المستقاة من حجر بالرمو فشديدة التعقيد حتى بالنسبة لأبسط الامور ، وأما الدليل المستقى من آخر النصوص من الوجه الخلفى فيكاد يشير الى أن عرض القطعة الاصلية كان يبلغ تسعة أمثال القطعة التى لا تزال موجودة بمتحف بالرمو ٠ وحين نحاول الافادة من هذه النتيجة لحساب عدد السنين المتضمنة فى النصوص ٢ ـ ٥ من الوجه الأمامي وهو الجزء الذى تشغله الأسرتان الأوليان فان الرقم قد يصل الى حوالى ٢٥٠ سنة ، ولسنا نستطيع الا أن نحذر الدارسين من أن مثل هذه التقديرات لا يؤمن جانبها وانا لنستمسك بالسراب كذلك حين ندعى ان بردية تورين يجب أن يوثق بها ضمنا ، ومن ناحية أخرى فان قيمتها الاثباتية كانت غالبا لا تعطى حقها من التقدير ذلك لأن الارقام الرصينة التى تقدمها كان يجب أن توحى بالثقة أكثر من عكس ذلك ، كما سنحاول الآن أن نبين ٠ ولقد ثار الجدل حول ترميم واصلاح المجموع المفقود فى نهاية الاسرة السادسة والكنليس من شك في وجود مجموع من السنوات يبلغ ٩٥٥ سنة من مينيس حتى تلك المرحلة من التاريخ الفرعونى ٠ ثم يلى ذلك ثمانية عشر حاكما قليلو الأهمية على رأسهم اختويس من هرقليوبوليس (الاسرة التاسعة) وقد ضاعت معظم أسمائهم كما ضاع مجموع مدة حكمهم ، ولنا هنا أن نختار بين تقدير ادوارد ماير وهو مائتا سنة وبين تقدير أقل هو مائة سنة ثم يلى ذلك الأسرة الحادية عشرة وبها ستة ملوك حفظت لنا مدة حكم الأربعة الأخيرين منهم على التوالى ٤٩ ، ٨ ، ٥١ ، ١٢ سنة وجملته ١٢٠ سنة، ومادامت ملكية الملكين الأولين كانت قصيرة من غير شك فان علينا أن نتقبل المجموع الذى سجل وقدره ١٤٣ سنة للأسرة كلها ٠ وهناك صعوبة طفيفة فيما يتصل بالناحية الباليوجرافية (الخطية) ويجب أن يصرف النظر عنها تبعا للحجة السالفة الذكر ، وأما فيما يتصل بالاسرة الثانية عشرة فاننا قد تقبلنا عام ١٨٧٢ ق٠م على أنه يقابل السنة السابعة من حكم سنوسرة الثالث ، وهناك دليل أثرى لا يقبل الجدل يتصل بهذه المرحلة يؤكد ولاية امنمس الاول مؤسس الاسرة فى تمام ١٩٩١ ق٠م أو حوالى ذلك وباضافة هذه الارقام تحصل على ١٩٩١ + ١٤٣ + ١٠٠ (١ر٢٠٠) + ٩٥٥ = ٣١٨٩ أو (٣٢٨٩) ق٠م للملك مينيس أو بداية الاسرة الاولى وهو التاريخ التقريبى لعام ٣١٩٧ الذى يقدمه ماير ٠

والشك الذى يبقى بالنسبة لهذا الحســـاب يتركز كما نرى فى مجموع بردية تورين للاسرات ١ ـ ٦ وهو ٩٥٥ سنة ممـــا يحدو الى استقصاء أكثر ـ أما ال ١٤٩٧ سنة التى يقدمها افريكانوس فنستطيع أن نرفضها دون عناء ما دامت الحجة القوية لبردية الرعامسة لا تحتمل نقاشا، وأما عن الفراعين من الاسرة الاولى الى السادسة فهناك ٥١ مكانا مشغولة الآن ـ أو كان مشغولا ـ بمتوســـط حكم ١٨٪ سـنة لكل ملك ، واما عن الأسرتين : الاولى والثانية فان الحفـائر أماطت اللثام عن أسماء ١٧ ملكا واما بردية تورين فبهـا ١٨ واما قائمة ابيدوس ففيها ١٥ ، ويقدم مانيتو ١٧ اسما ، فاذا كان حجر بالرمو ـ كما أوضحنا من قبل ـ يقدم ٤٥٠ سنة لهاتين الاسرتين فان متوسط الحكم يجب أن يكون ٢٧ سنة وهو رقم مرتفع نوعا ما ـ ولكنه ليس مستحيلا مع ذلك • ومن بين ال ٢١ ملكا التى تســـجلها بردية تورين للأسرات ٣ ـ ٥ لم يحفظ ســوى ثمانية أسماء ، أما طول مدة الحكم فقد ظل سليما فيما عدا أربعة ضاعت ثم اثنين تحتمل قراءة رقم ١٠ فيهما كأنما هى رقم ٢٠ أو ٣٠ وجملة ال ١٥ الباقية هى ٢٠٨ سنة أو ١٤ سنة لكل ، ومع ذلك فنحن نضطرب حين نلقى ١٩ سنة فقط تعطى كمدة حكم لزوسر بانى الهرم المدرج ومعبـده الشاسع • ثم ٢٣ سنة لكيوبس الذى أقام أعلى الأهرام جميعا ، وأخيرا نجد فى الاسرة السادسة أن بيوبى الثانى فى عقده التاسع خلفه ثمانية من الملوك الهزيلين لا يحسب الاربعة الاخيرون منهم سوى خمسة أعـــوام ونصف فيما بينهم •• وهنا تتوازن مدد الحكم القصيرة بالحكم الطويل مما يجعل مدة الحكم المسجلة وهى ١٨١ سنة معقولة بالنســبة لل ١٤ ملكا • والواقع ان التحليل السابق يكون سليما لو أنه أقام الدليل على التماســك الذاتى والادراك الفطرى للبردية فى الفترة التى نناقشها على الاقل ، ومع ذلك فان الحذر يتطلب الا تكون ثقتنا مطلقة فى بردية مفردة من عصر لا يحتمل النقـد ، وليس عجيبا أن كثـيرا من الدارسين أبدوا تشككهم ، واما من ناحيتنا فاننا نرى صعوبة تقبل تاريخ ٢٨٥٠ ق•م كبداية للأسرة الاولى وهو الرقم الذى يقترحه أ ـ شارف معتمدا على تاريخ غير مؤكد كذلك بالنسبة لبابل ، ونحن نميل الى تفضيل عـــام ٣١٠٠ كتاريخ محتمل ثم نسمح به ١٥٠ سنة بالزيادة أو النقص كصمام أمن ، ومع ذلك فربما كان كل عـذر يبدو فى المستقبل أمرا غير كاف •

تذييل

سنى الحكم وطرق التأريخ (١)

لاحظ كورت زيته منذ نصف قرن أن العلامة الهيروغليفية لكلمة « سنة » فى حساب السنين لحكم الفرعون لم تستخدم ـ كما كان يفترض من قبل ـ علامه ● (وتعنى الشمس) التى كانت المخصص للكلمات التى تعنى الزمن ولكنها استخدمت علامة أخرى هى ⊙ وتقرأ « زب » (⊓ ○ ⊂ بالقبطية) وكانت أصلا كلمة مستقلة تعنى « مناسبة » أو ما شبه ذلك وقد ألقت دراسة النقوش وبخاصة حجر بالرمو ضوءا غير متوقع على هذا الاصطلاح ل « سنة الحكم » وقد كشفت لوحات من العاج من عهد الاسرة الاولى عن ان سنى الحكم لم تكن تعد فى البداية ، ولكن كانت تتذكر ـ كما فى بابل ـ عن طريق حادث بارز وقع خلالها ـ وعند منتصف الاسرة الثانية كانت هذه الحادثة هى تعداد الماشية فى مصر ، ولما كان هذا المعيار الادارى يحدث فى سنوات متبادلة فان العدد كان يستخدم للدلالة على أى احصاء معين فى أية سنة ، وهكذا نجد مثلا ان السنة الثامنة من حكم الملك « نى نوتر » كان يعبر عنها فى حجر بالرمو وكأنما هى « المرة » (زب) الرابعة للتعداد • وقد قدمت نقوش الأسرات الرابعة الى السادسة معنى مثل هذا التأريخ فى صور أقل اقتضابا فمثلا صدرت لوحة من عهد نفرايركارع من الاسرة الخامسة بالكلمات « سنة المرة الرابعة عشرة من تعداد كل الثيران والحيوانات الصغيرة » ، بينما نجد التاريخ فى عهد الملك ايزوزى قرابة نهاية الأسرة « السنة بعد المرة الرابعة للتعداد » وهكذا • ومن الواضح أن هذه التواريخ تشير الى العامين : الثامن والعشرين والتاسع على التوالى لهذين الحكمين •• وقبل مرور زمن طويل حذفت كلمة « تعداد » من وقت لآخر حتى أصبحت النصوص تسجل « سنة الوقت كذا » وحين نصل هذه المرحلة لا نلتقى بغير الامثلة المعاصرة التى تشير الى « السنة بعد » مما يقوم شاهدا على أن تعداد الماشية لم يتوقف عن السريان كل عامين • وتسرى الأمثلة بكلمة « بعد » حتى حكم بيوبى الثانى من أواخر ملوك الاسرة السادسة ـ ويجب أن ندرك تبعا لذلك انه خلال الدولة القديمة يعنى اصطلاح « سنة المرة ٢٤ » أو ما يشبهه « العام الثامن والأربعين للحكم » وابتداء من الاسرة الحادية عشرة يصبح من المؤكد كذلك

(١) K. Sethe Beiträge zur altesten Geschichte Aegyptens, pp. 60-100, in untersuchungen Zur geschichte und Altertumskunde Aegyptens, III, Leipzig, 1905.

على أية حال ان [hieroglyph] لا تعنى أكثر من « سنة الحكم » وان الرقم الذى يتبع الاسماء هو السنة الفعلية للحكم ولئن كان تعداد الماشية ساريا حتى هذه المرحلة فان معنى هذا انه أصبح سنويا ٠

وبهذه المناسبة نجد ان للمظهر التقويمى لولاية الملك للعرش أهمية ذلك لأنه فى الجانب الاكبر من التاريخ المصرى نجد أن كل سنة حكم كانت تبدأ يوم عام جديد بمعنى أن يكون هو اليوم الاول من الشهر الاول من فيصل الفيضان وما دام الملك الأسبق ربما عاش مدى بضعة شهور وأيام بعد بداية العام الجديد فان السنة الأولى لخلفه ربما تضمنت فقط ما تبقى من سنة سلفه ،، ولنفترض مثلا أن فرعونا مات فى الخامس والعشرين من الشهر الرابع من الصيف من عامه الثانى والثلاثين فان سنة ابنه الأولى تتضمن فقط الخمسة الأيام الباقية حتى نهاية الشهر وكذا أيام النسىء الخمسة أى عشرة أيام فقط وهناك طريقة أخرى لتقدير هذا الوضع هى أن نقول ان كل ملك كان يضيف ــ لأغراض التأريخ لشخصه ــ كل بقية العام الأخير لسلفه ــ فمن أجل الأهداف التأريخية نجد أن الملك الذى افترضناه يحسب كأنما حكم واحدا وثلاثين عاما ، ومع ذلك فانه فى عهد التحامسة والرعامسة العظام (الاسرات ١٨ ــ ٢٠) حدث بعض التغيير فكان كل ملك يؤرخ سنى الحكم طبقا لتأريخ التقويم الفعلى لولايته،وقد كان أثر هذا التجديد ملحوظا لأنه اذا حدث مثلا أن الولاية تمت فى ٣ ــ ٢٥ فان الحكم الذى تعالجه فى حالة « السنة السادسة » الشهر الثالث من فصل الفيضان ، اليوم ٢٣ يقع متأخرا مدى ٣٦١ يوما عن « السنة السادسة ، الشهر الثالث من فصل الفيضان ، اليوم ٢٧ » ومثل هذه الحالة الشاذة غير المألوفة لا تلبث على أى حال ان تثير الارتباك بالنسبة لكاتب يعمل على أن يضع فى ترتيب متصل سليم مجموعة من الوثائق المؤرخة ، كما هى عقبة كذلك بالنسبة للمؤرخ الحديث الذى يحاول جمع شتات الاحداث فى سنة معينة ومن أجل ذلك وتبعا له نرى انه من المرغوب تعيين أيام الولاية الفعلية لكل ملك فى الدولة الحديثة ٠٠ وقد أعيد العمل بالطريقة القديمة وقتا ما قبيل العصر الساوى (الأسرة ٢٦) وهكذا توافقت السنتان معا : سنة الحكم والسنة المدنية ٠

مراجع مختارة

تاريخ مصر الفرعونية

بالانجليزية : **J. H. Breasted,** A History of Egypt, **New York,** 1905

وقد صدرت طبعة مختصرة فى لندن عام ١٩١١ تستحق الاعجاب وان كانت فى حاجة لتعديل لتتمشى مع أحدث المكتشفات .

W. M. Flinders Petrie, A History of Egypt vols., I, II, III

طبعات معادة فى لندن ١٩٢٤ ــ ١٩٢٥ وهى هامة خاصة بالنسبة لقوائم الآثار .

واما vols. IV, V, VI فتعالج عصور البطالمة والرومان والعرب

H. R. Hall, The Ancient History of the Near East, 7th ed. **London,** 1927

وهو مؤلف ينم عن براعة كبيرة تغطى ميدانا واسعا ، وهناك فصول لنفس المؤلف و ل **J. H. Breasted** ول **T. Eric Peet** فى

Cambridge Ancient History, vols. I, II, III, **Cambridge,** 1923-25.

بالفرنسية :

E. Drioton and J. Vandier, L'Egypte (Clio فى مجموعة) 3rd ed. **Paris,** 1952

وبه ملاحظات تستحق الاعجاب ومناقشات حول النقاط التى تستدعى الجدول

A. Moret, Histoire de l'Orient (**in** Histoire générale, edited by G. Glotz) vols. I, II, **Paris,** 1936

بالالمانية :

Ed. Meyer, Geschichte des Altertums, vols. I (3rd ed.), II, (2nd ed.)

وله اهمية أساسية **Stuttgart** 1913, 1928.

A. Scharff and A. Moortgat, Agypten und Vorderasien im Altertum. **Munich,** 1950

قوائم الملوك : يجدها القارىء فى آخر هذا الكتاب وافية

النص الهيروغليفى لقائمتى **ابيدوس وسقارة :**

Ed. Meyer, Agyptische Chronologie فى Abhandlungen

لاكاديمية برلين عام ١٩٠٤ ، لوحة رقم ١

قائمة الكرنك :

K. Sethe, Urkunden des ägyptischen Altertums, **Leipzig** IV, pp. 608-10

جزازات تورين :

Alan H. Gardiner, The Royal Canon of Turin, Oxford, 1959

وهو مفيد من ناحية اللوحات الفوتوغرافية

G. Farina, Il Papiro dei Re, **Rome,** 1938

مانيتو (فى مجموعا Loeb ، لندن ١٩٤٠) W. G. Waddell, Manetho

موجز شامل لكل العصور **H. Gauthier,** Le livre des rois d'Egypte, V vols. **Cairo,** 1907-17 ; index, Bull. Inst. fr. XV. 1-138

واضافات فى Rec. trav. XL 177-204

التاريخ :

Ed. Meyer, Agyptische Chronologie, also, Die ältere Chronologie Babyloni ns, Assyriens und Agyptens, **Stuttgart,** 1925

L. Borchardt, Die Mittel zur zeitlichen Festlegung von Punkten der ägyptischen Geschichte, **Cairo,** 1935

R. A. Parker, The Calendars of Ancient Egypt, **Chicago,** 1950

وكذا Rev. d'Eg. XI. 85-107

حجر بالرمو :

H. Schäfer, Ein Bruchstück altägyptischer Annalen

فى Abhandlungen لاكاديمية برلين عام ١٩٠٢ والنص مرتبط بنصوص قطع القاهرة وذلك فى **Sethe,** Urkunden, I, 235-49

النصوص التاريخية ، التراجم ، التعليق :

J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt, 5 vols., **Chicaga** 1906-7

وهو لاغنى عنه لكل الدارسين الجادين وان كان قد مضى به العهد نسبيا . وهناك ترجمات حديثة ممتازة قدمها **J. A. Wilson** فى كتاب **J. B. Pritchard.** المعروف باسم Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament, **Princeton,** 1950

وقد جمع **G. Stein dorff** النصوص الهيروغليفية الاصيلية فى Urkunden des ägyptischen Altertums :

نشر **K. Sethe** المجلد الاول بعنوان Old Kingdom

ونشر **H. Schäfer** المجلد الثالث بعنوان Ethiopic period

ونشر المجلد الرابع **K. Sethe** واستكمله **W. Helck** بعنوان Dyn. XVIII

ويعرف هذا العمل باسم Urk. فى العديد من الهوامش المرقومة فى هذا الكتاب .
وأما نصوص الاسرة الحادية عشرة فقام بنشرها **J. J. Clère** و **J. Vandier,** فى Bibliotheca Aegyptiaca, X **Brussels,** 1948

الكتاب الثانى

من بناة الأهرام إلى الإسكندر

٥ الدولة القديمة

ان العموميات التى تناولها الفصل الاخير قد تترك عقل المبتدىء فى حالة من الاضطراب لو لم يتبعها ملخص عن مجرى الأحداث ، أكثر ترتيبا . وسيكون من الضرورى على أية حال أن نؤجل لما بعد أى معالجة لعصر ما قبل الاسرات والأسرتين الأولى والثانية ما دامت هذه العصور السحيقة تستدعى قيام معضلات هى مثار المناقشة والجدل فى هذا الحيز الضيق ، ومن ثم فان البداية هنا ستكون مع الاسرة الثالثة التى تكون مع الاسرات الثلاث التالية الدولة القديمة التى يميزها الصف العظيم من الاهرام التى تمتد على طول الصحراء الغربية ابتداء من قرب مستوى القاهرة الحديثة .

وكان أول ملوك الاسرة الثالثة ذلك الحاكم الذى عرفته الأجيال اللاحقة باسم زوسر وهو الذى تبدو أهميته كمؤسس لعصر جديد باستخدام استثنائى للحبر الأحمر فى بردية تورين وكانت أبرز انجازات زوسر الهرم المدرج فى سقارة الذى يطل على مدينة ممفيس العظمى ، وهو مبنى ضخم يرتفع الى ست طبقات غير متساوية الى ارتفاع ٢٠٤ أقدام (لوحة ٤) وليس بمصر مشهد أرعى للانتباه من المجموعة المكتشفة حديثا نسبيا من لمبانى التى تناولها الترميم ، والتى يتوسطها هذا الهرم ويرجع الفضل فيها على أية حال لا لزوسر نفسه بل لمعماريه المشهور امحوتب (ايموثيس لدى

اليونان) التي أدت شهرته فيما بعد ككاتب ثم كقادر على الاشفاء الى تأليهه والى اقترانه بنصف الاله اليونانى اسكلبيوس ، وانه ليس بغير سبب ان نسب مانيتو الى ايموثيس اختراع البنـــاء بالحجر ما دام الأثر الجنــازى العظيم لزوسر يعد فى الواقع أول اثر مبنى بأكمله من هذه المادة ، ذلك أن المقابر الملكية للأسرات السابقة كانت من اللبن مع اســـتخدام قليل للجرانيت والحجر الجيرى للأرضيات وما شابهها • وكان الهرم المدرج يعد أصلا كمسطبة ، وان كانت القاعدة مربعة وليست مستطيلة ، ولكنه اتخذ فيما بعد مظهره الحالى الوحيد من نوعه عن طريق تغييرات متتابعـــة فى التخطيط ، وقد كشف البحث فى متاهة السراديب السفلية عن عدد من الجدران مزججة بالقاشانى الأزرق تقليدا للحصير ، كما عثر فى أماكن أخرى على آلاف من الأوانى الرائعة الأشكال والصحون من المرمر والبرشيا منثورة فى جهات متفرقة • وتظهر بعض النقوش السفلية الملك فى أوضاع الاحتفالات وتميط رقتها الرائعة عن مدى تملك النحات فى ذلك العصر لناصية فنه التى لا تقل براعة فى ممارسته عن براعته فى نحت التمثــال الجالس النبيل لزوسر الذى عثر عليه كذلك من بين الاشياء الأخرى ، وأما الساحة الكبرى فى الخارج فقد أماطت اللثام عن مبان من الوان من الطرز غير المتوقعة • وبصرف النظر عن غرف المعبد فى الجانب الشمالى وهى الغرف التى كانت تستخدم فى الخدمة اليومية للقرابين وشئون الاحتفالات الاخرى وكذلك صف النواويس الذى يبدو أنه كان يستخدم للاحتفال بعيد سد أو اليوبيل الملكى ، بصرف النظر عن هذه جميعا نرى أنه قد كشف عن عدد من المبانى الرائعة لا يستطاع معرفة أو تخمين الغرض منها ، وقد استخدمت فى بنائها فى كل مكان كتل صغيرة من الحجر الجيرى يمكن أن نقابلهـا بوضوح بالعمارة الضخمة التى فضلتها الأسرة التالية •

وليس من شك فى أن البناء باللبن فى العصر السابق كان لا يزال له أثره فى عقل المعمارى وكانت امكانيات قطع الحجر لا تزال قيد البحث وغير واضحة تماما ، وانا لنلحظ بصفة خاصة الابواب الحجرية نصف المفتوحة التى تحاكى نظائرها السابقة من الخشب ، وهنا نلتقى كذلك للمرة الاولى بالاعمدة ذات القنوات أو الاضلاع وببعضها أوراق مدلاة يبدو انها نقلت عن نبات اختفى (١) الآن ولم يعد له وجود ، ولا تزال هذه الاعمدة على أية حال مرتبطة بالجدران المتاخمة لها ، وكأنما هى فى حاجة الى الثقة فى قدرتها وقوتها كدعائم • ويحيط بالمنطقة كلها سور ضخم مكسو بالحجر

(١) JEA, XXXV, 123 ff.

الجيرى ، وتعلوه شرفات ، يبلغ طوله حوالى ½ ميل من الشمال الى الجنوب وحوالى نصف ذلك الطول من الشرق الى الغرب .

وان نحن تجاوزنا عن بناء مهم في الركن الجنوبى الغربى من السور الذى يبدو الجزء العلوى منه وهو يطل على العالم كأنما هو قبر آخر لزوسر نفسه ، وان كان بحجم أقل ، ننتقل الى أضرحة الملوك الآخرين من الاسرة الثالثة ، لقد أثيرت اللهفة منذ عام ١٩٥١ بسبب الكشف الذى قام به زكريا غنيم عن هرم آخر شديد الشبه لا يبعد كثيرا الى ناحية الجنوب الغربى وهنا مرة أخرى نجد سورا ضخما تدعمه جدران من الحجر الجيرى لهـا المظاهر نفسها تقريبا وان شيدت بشىء من مراعاة الاقتصاد التى تدعـو الى القول بأنها نسخة من عصر متأخر نسبيا ، وانا لنصل الى النتيجـة نفسها لا عن طريق اختيار الموقع الذى يبدو أقل أهمية ، أو استعمال كتل أكبر من الحجارة ، ولكن كذلك بالحقيقة التى تقرر ان هذا الهرم الذى كشفه غنيم صمم على هذه الصورة منذ البداية بخلاف الهرم المدرج الذى كان ثمرة كثير من التردد والتغيير ، ولا تزال الحفائر لم تستكمل حتى اليوم ولسنا ندرى بعد خيبة الامل بالعثور على تابوت فارغ ان كان سيقدر لنا العثور على جزء هام من المعدات الملكية ، وهناك على الاقل ، دلالات واضحة تشير الى أن الاثر لم يهجر دون أن يستخدم ، بل ان الاختام على بعض أغطية الدنان الطينية تكشف عن اسم الملك الذى كان يملكه ،ويحمل اسم (الحورس سخم خيه) وقد أثار هيس أن الاسم قد ورد على نقش فى وادى مغارة (سيناء) كان ينسب من قبل الى سممبسس من ملوك الأسرة الأولى ، ومما يؤكد وجهة نظره تأييدا قويا ان النقش موضوع التساؤل واحد من مجموعة من الوثائق عن حملات فى سبيل البحث عن الفيروز وكلها تخص الاسرة الثالثة ، ولم يمثل زوسر وحده فى هذه المجموعة بل هناك كذلك فرعون يدعى زانخت يرتبط ارتباطا قريبا بزوسر فى بيت خلاف فى مصر العليا حيث يظهر الملكان ولكل منهما مسطبة كبيرة من اللبن تجاور الواحدة منهما الاخرى (١) ، وأما هرم زانخت - ان كان له هرم - فغير معروف ، وقد اقترح «لاور» انه مات صغيرا وان المسطبة التى كانت نواة للهـرم المدرج بنيت أصلا له ، ومع ذلك فهناك هرم آخر نعرفه اليوم بطراز أهرام الأسرة الثالثة كشف عنه «بارزنتى» عام ١٩٠٠ فى زاوية العريان على مبعدة أميال قليلة الى جنوب الجيزة ويعرف باسم الهرم ذى الطبقات (٢) ولكن

---

(١) PM, V, 37.

(٢) P.M. III, 69, 70.

هذا الاثر الذى دمر بصورة تلفت النظر يعزى الى فرعون آخر مجهول كذلك يدعى «خع با» عثر على اسمه على أوان حجرية فى مجاوراته ، واما آخر وأحدث الاهرام التى يمكن أن يوضع فى المجموعة نفسها فيقع على مبعدة بضعة أميال الى جنوب سقارة فى ميدوم فى مكان لا يبعد كثيرا عن مدخل الفيوم ، وهو يشبه اليوم ، بعد ان نزلت عنه كل كسوته الخارجية ، برجا ضخما بجوانب مائلة تعلوه درجتان مرتفعتان قرب القمة ، وتشير كتابة فى معبد صغير بسيط عند قاعدته انه كان يظن فى عهد الاسرة الثانية عشرة أنه يخص سنفرو أول ملك من ملوك الأسرة الرابعة ، ولكن أسبابا سنتعرض لها فيما بعد تدفع الى ابداء وجهة نظر أخرى ٠

لو ان الأسرة الثالثة تبدأ بزوسر فانها تضم أربعة ملوك فقط أو على الأكثر خمسة من الحكام يشغلون فترة لا تعدو طبقا لتقدير تورين خمسة وخمسين عاما ، وتبدو فترة التسعة عشر عاما المقدرة لزوسر قصيرة قصرا غير معقول لا يتناسب واكمال هـذا الأثر الضـخم وقد نقبل التسع والعشرين سنة التى يقدمها مانيتو ، لولا أن أسرته الثـالثة تضم تسعة ملوك لكل منهم فيما عدا توسورثروس (زوسر) أسماء غير مؤكدة ، وجملة مدة حكمهم ٢١٤ سنة ، واما القوائم الملـكية لابيدوس وسـقارة فتدعم بردية تورين بالنسبة لعدد أربعة من الملوك وان كان هناك تناقض مزعج فيما يتصل بالأسماء التى تقدمها وهناك بصفة خاصة شك فيما يتصل بمركز نب كارع(١) الذى تضعه قائمة سقارة بعد خليفة زوسر الذى يحمل اسما مشابها هو زوسر تتى ، بينما تحل أبيدوس محل الملكين المجهولين : سجس ونفر كارع ٠ وتتفق بردية تورين وقائمة سقارة من ناحية جعل حونى السلف المباشر للملك سنفرو ويؤكد هذا نص أدبى مشهور (٢) ٠ وهناك حقيقة قد تدعو فى أول الأمر لارتباك الدارس هى اختفاء اسـمى سـخم خيه وخع با ، وزانخت من قوائم الملوك ، وهى الأسماء التى ذكرناها من قبل للملوك من الأسرة الثالثة ، ولعل السبب فى ذلك هـو أنه فى ذلك العصر كانت الأفضلية لا تزال تعطى طبقا للعادة القديمة بالاشارة للملوك بأسـمائهم الحـورية (انظر صـفحة ٦٨) بدلا من الأسـماء التى كانت تشغل مكانا أقل أهمية حتى حكم سنفرو والتى بدىء فى وضعها منذئذ فى خرطوش ، ولذا فانه أشد احتمالا أن تحقيق شخصية الملوك الثلاثة الذين نحن بصددهم محجوبة فى خراطيش قوائم الملوك ٠ ومن المعروف

---

(١) للمناقشة ، Vandier, p. 200.

(٢) JEA, XXXII pl. 14, L. 7.

أن هذه هي الحالة بالنسبة لزوسر الذى يوصف دائما فى الهرم المدرج وفى بيت خلاف بال « حوريس نترى خيه » واما اسم زوسر فقد سجل لأول مرة على لوحة من العاج ، متأخرة ، يبدو فيها هذا الاسم كأنما هو « اسم نبتى » (١) · ولكن هناك دليلا مؤكدا على أن « نترى خيه » هو زوسر بالهيروغليفية وهو توزورثروس لدى مانيتو نلتقى به فى نص منقوش على الصخر يرجع الى العهد البطلمى فى جزيرة سهيل عند الجندل الأول (٢) · ويروى هذا النقش الملك نترى خيه زوسر بلغ به الحزن مداه من جراء مجاعة أصابت البلاد مدى سبع سنوات ، فطلب النصح من الحكيم أيمحوتب وعلم منه أن فيضان النهر يقع تحت سلطان الاله ذى رأس الخروف : خنوم صاحب الفنتين الذى سرعان ما هدأه زوسر بمنحة هى رقعة كبيرة من أراضى النوبة السفلى المعروفة فى العهد اليونانى باسم « دوديكاشينس » وقد نوقشت مدى صحة محتويات هذه الوثيقة من الناحية التاريخية وظلت موضوع نقاش طويل ولكنه يبدو من غير المحتمل أن هذه الرقعة الكبيرة من الارض كانت تحت سلطان الفرعون فى هذا العهد البعيد ·

ولم يبق من مخلفات الأسرة الثالثة المعاصرة شيء يسجل سوى كتل من معبد بناه زوسر فى هليوبوليس (٣) · وهكذا نستطيع أن ننتقل الى العصر الذى يمثل أوج التاريخ المصرى ·

لو أن أهرامها الخمسة العظيمة كانت هى كل ما تستطيع الأسرة الرابعة أن تقدمه كدليل على قدرتها على التنفيذ ، فان هذه الاهرام تستطيع حتى اليوم أن تكون دلالة على العزم القوى والمقدرة الفنية التى لا مثيل لها فى أى عصر أو ظرف · ولقد أماطت الكشوف خلال الستين سنة الأخيرة عن تعديلات هامة فى فكرتنا عن الهرم ، فالهرم ليس مجرد كومة من الأحجار مشيدة فوق قبر ملكى لها شكل هندسى خاص أو هو بتعريف أدق ، قبر ضخم له قاعدة مربعة ذات أربعة جوانب مثلثة متساوية تلتقى عند القمة بل انه يبدو الآن أكثر من ذلك ، اذ انه يشرف على جبانة

---

(١) م·ز· غنيم « حورس سخم خت » القاهرة ١٩٥٧ ·
«Horus sekhem khet» pl. 65, b

(٢) P. Barguet, La stèle de la famine a Séhel, Cairo 1954.

(٣) W. Stevenson Smith, A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom; Boston, 1946, figs. 48-53.

واسعة ، فيها ـ بخلاف الهرم ـ ثلاثة عناصر مختلفة (١) • فهنـاك أولا بالقرب من حافة الصحراء يطل على الأرض المنزرعة بحيث يمكن الوصول اليه بواسـطة قارب فى زمن الفيضـان معبـد واد مبنى بنسب متوافقة وان كان أقل ضخامة ، ثم هناك ممر مسور يبلغ طوله أكثر من ربع ميل صاعدا الى أعلى •• الى المعبد الجنزى الحقيقى المتاخم مباشرة للهـرم من الناحية الشرقية حيث يوجد « باب وهمى » أو لوحة غائرة تقليدا لفتحة الباب لتمكين الحاكم المتوفى من الخروج ليشارك فى الطعام الوفير المستجلب من الضـياع الكثيرة المتصلة بالمؤسسة الجنازية وكانت جدران العنـاصر الثلاثة معدة لأن تزين بنقوش وكتابات تروى مختلف أنواع النشـاط فى الأنائيم ومدى ما قام به فرعون ثم الطقوس اليومية والمتصلة بالأعياد التى كانت تقام تكريما له • وكانت هناك أهرام أصغر بالقرب من هرمه هى مدافن لزوجاته وبناته ـ ولقد كان الشكل الهرمى من غير شك من مميزات الملكية من ناحية الحجم ومن ناحية المظهر الخارجى ان هو قورن بجلاء بالمساطب ذات السقوف المستوية لأقاربه من الأمراء ولرجال البلاط والموظفين والتى تدور من حوله وتنظم فى شوارع كأنما هى مدينة أحسن تخطيطها ، وليس هنـاك من رمز مرئى خير من ذلك يسـتطيع أن يمثل الصلة التى تدعو الى المهابة بين حاكم بالغ القوة الذى يوصف عادة بأنه الاله العظيم « نترعا [hieroglyphs] » أو الاله الطيب « نثر نفر [hieroglyphs] »

وبين هؤلاء الذين كانوا يوما خدمه وعبـاده • وهناك مظهـر أخـذ يزداد وضوحا فيما بعد هو وجود مركب من الخشب كبير الحجم على جوانب الهرم موسد داخل فجوة مغطاة ، وقد عثر على نظائر لهذه المراكب منذ عهد الأسرة الأولى (٢) • وقد افترض دائما انه يمكن الملك من أن يرتحل عبر السماء فى موكب اله الشمس ، ولكن ما دام قد وجد وهو يواجه الجهات الأصلية الأربع(٣) فمن المحتمل أنها قصد بها فقط أن يمكن صاحب الهرم من أن يرتحل حيثما أراد كما كان يفعل حين كان حيا فوق الأرض(٤) •

وتبدأ الاسرة الرابعة لدى مانيتو بملك أعطى اسـمه مشوشا تحت اسم « سوريس » ولا بد أنه كان يقصد به سنوفرو الذى سلفت الاشارة اليه كخليفة ل « حونى » وما دامت زوجته التى سنشير اليها فيما بعد

---

(١) انظر لوحة ٧

(٢) Emery, Gt III, p. 42 and pl. 44.

(٣) لقد وزعت المراكب الخمسة لكل من خوفو وخفرع على أساس ان ثلاثة منهـا على الجانب الشرقى واثنين على الجانب الجنوبى (المترجم)

(٤) JEA, XLI, 75 ff.

بتفصيل ، كانت تحمل لقب « ابنة الاله » فانه يفترض ان حونى كان أبا لها ، وأن سنوفرو يدين بعرشه لهذه الرابطة ، ومهما يكن من أمر فان أهمية ما بقى لنا من نواحى نشاطه ، ثم أمر تأليهه المتأخر فى مناجم الفيروز فى سيناء تجعل من الطبيعى أن نرى فيه مفتتحا لعهد جديد ، ومن المصادفة الموفقة أن حجر بالرمو وكذا القطعة الكبيرة بمتحف القاهرة قد احتفظتا بتسجيل أحداث ستة من أعوام حكمه الأربعة والعشرين أو أكثر ، فالى جانب بناء كثير من السفن وصناعة أبواب وتماثيل فى قصره يرد ذكر حملة ضد أرض النوبيين حيث يؤكد فيها احضاره سبعة آلاف أسير ، مائتى ألف من الماشية ، وكذا حملة أخرى ضد تيحنو الليبيين حيث حصل على غنيمة هامة وان كانت أصغر ، ولعل أطرف من ذلك ذكر وصول أربعين قاربا محملة بخشب الأرز هى من غير شك من ببلوس عند سفح لبنان ، وأما عن أمور أخرى من النوع نفسه فربما كان هناك غيرها ولكنها تتضاءل بطبيعة الحال أمام المخلدات الرائعة التى خلفها لنفسه وهى لا تزال ترى فى دهشور على مبعدة أربعة أميال جنوبى سقارة ، وانه ليبدو من غير الطبيعى أن ملكا واحدا يبنى لنفسه هرمين كبيرى الحجم لا يبعد الواحد منهما كثيرا عن الآخر ، ولكن حقيقة الأمر يؤكدها مرسوم من عصر بيوبى الاول يعفى الموظفين من خدمات معينة كان رعايا فرعون الأقل حظا يكلفون بها ، وقد عثر على اللوحة التى تحمل هذا المرسوم (١) فيها يظن أنه كان معبد الوادى للهرم الحجرى الشمالى فى دهشور الذى يخص سنوفرو فى أغلب الأمر تبعا لذلك . وقد أثبتت الحفائر الأخيرة أن الهرم الحجرى الثانى على مبعدة ميلين الى الجنوب يخصه كذلك ولما كان من العسير أن نتخيل انه شيد ثلاثة اهرامات فان الأول فى ميدوم ينسب اليوم الى حونى وان وقع عبء اتمامه على سنوفرو واذا كان الأمر كذلك فيمكن الأخذ بنظرية أنه كان لسنوفرو ثلاثة أهرامات ويعرف الهرم الجنوبى من هرمى دهشور باسم الهرم المنكسر الأضلاع بسبب الزاوية السفلى لنصفه الأعلى ، البادية للعيان ، ويبدو أن الهرم الشمالى به العيب نفسه تقريبا فى ميله ولذلك نعتقد أنه الأحدث ، وكلاهما يزيد على ٣١٠ أقدام ارتفاعا وأما من الداخل فهما متشابهان من ناحية وجود غرف دفن عالية جدا ذات رفارف وقد كشفت حفائر أحمد فخرى (٢) فى منطقة الهرم المنكسر الأضلاع عن معبد للوادى به نقوش رائعة مصورة بها حاملات القرابين اللواتى يمثلن اقطاعيات سنوفرو

---

(١) ZAS, XLII, I ff.

(٢) Ann. Serv., LI, 509 ff.

الجنازية فى مختلف أقاليم الوجه القبلى المعروضة فى نظام أصبح نموذجيا بعد ذلك ، ولقد قامت هناك كذلك مجموعة لأقاليم الوجه البحرى لم تبق لنا منها سوى أجزاء قليلة • ولهذه المناظر أهمية كبيرة ؛ لأنها تدل على أنه حتى فى هذه العصور المبكرة كان قد أنشىء الجهاز الادارى العريض الذى ظل قائما حتى العصور اليونانية الرومانية •

وقد خلف سنوفرو وراءه شهرة الحاكم المثالى فى الخير وحسن التصرف (١) • وقد تحرك خط الاهرام من بعده شمالا الى الجيزة فيما يقابل القاهرة تقريبا • وقد ظل كذلك باستثناء وحيد تحرك فيه الى الجنوب ، واما أن نصف أهرام الجيزة بأنها من عجائب الدنيا السبع فان ذلك قد يبدو أقل من الواقع مادام الهرم الأكبر (٢) يفوق فى حجمه أى مبنى أقامه الانسان فى تاريخه ، وأما ارتفاعه (٤٨١ قدما) فلم يفقه فى الآثار المصنوعة من الحجر سوى الأبراج المستدقة الأطراف لكاتدرائية كولن ، وقد سبقت الاشارة الى أسماء خالقى هذه العمالقة المعمارية الممتدة منحرفة عبر صحراء هضبة الجيزة (لوحة ٥) كما قدمها هيرودوتس وهم كيوبس وكفون وميسرنيوس على التوالى ، ورغم انها فى صورها هذه بعيدة عن الصواب فان شيوعها يشفع فى استمرار استخدامها (٣) • وقد وصف الهرم الاكبر فى غير هذا المكان وصفا كاملا طيبا بحيث لا نرى أنفسنا بحاجة الى الافاضة أكثر من أن ترتيباته الداخلية تشير الى استحداث تغييرين كاملين فى التصميم تضمن الأخير منها تشييد السرداب العظيم الرائع الذى يميل مرتفعا الى غرفة الدفن الفعلية وهى قاعة كبيرة من الجرانيت تعرف اليوم تحت اسم غرفة الملك • وهناك ثلاثة أهرامات صغيرة قرب القاعدة من ناحية الشرق أقيمت من أجل زوجات الملك ، وقد صفت أمامها مساطب كبيرة احتفظ بها لأبنائه الرئيسيين، واما المعبد الجنزى فقد تهدم تماما ولكن بعض الكتل وبها نقوش يبدو أنها من بقايا الممر الصاعد (٤) • ولسنا نعرف سوى القليل بعد ذلك عن أعمال هذا

---

(١) G. Poesner, Litterature et Politique, Paris 1955, p. 332.

(٢) PM III, 5 f..

(٣) الأسماء شائعة بالكتابات الأجنبية ولكنها غير شائعة على هذه الصورة باللغة العربية ، ومن ثم فان المترجم يقترح التسمية بالعربية : خوفو وخفرع ومنكاورع ، وهى مطابقة تقريبا للتسمية المصرية القديمة (خوفوى ، خاعافرع ، من كاو رع) •

(٤) W. Stevenson Smith, op. cit., LII 563 ff. p. 157 n-l.

الملك خارجا عن نطاق هذا الشاهد المادى لسلطانه الأوتوقراطى ، واما خرطوشه الذى يحمل اسم خوفوى ــ أو بالصيغة الأكمل «خنوم خوفوى»، فقد عثر عليه فى محاجر متعددة · وفى مقابر أقربائه ونبلائه ، وفى عدد من الكتابات من العصر المتأخر ، ولكن من بين هذه جميعا ليس هناك وثيقة معاصرة تستطيع أن تزعم أصالتها التاريخية الا ما يتصل بدفن أمه « حتب حر اس » · ففى فبراير ١٩٢٥ م كانت بعثة جامعة هافارد برياسة الدكتور ريزنر تقوم بفحص المنطقة الواقعة مباشرة مقابل الضلع الشرقى للهرم الأكبر حيث عثر على مدخل ، بدا الحرص فى اخفائه ، لبئر مقبرة كشف فى قاعها عن أثاث جنازى مهشم ، وان كان كاملا ، لزوجة سنوفرو أم خوفو وقد تطلبت اعادة الأثاث الى حالته الأولى بضع سنوات من الجهد الطويل ، ولكن النتيجة كانت حصول متحف القاهرة على مجموعة من القطع لا نظير لها بالنسبة لجمالها الرقيق ونسبها المتناسقة وليس هنا مجال الأطناب فى وصف السرير المغطى بالذهب والمطعم أو المحفات أو صندوق السدائل أو الكنوز الأخرى لهذه المجموعة الفريدة ، ولكننا نحس بحاجتنا الى أن نتريث قليلا عند الأحجية التى تقدمها ، ذلك أنه رغم العثور على أحشاء الملكة ملفوفة ومحتفظا بها فى صندوق من المرمر من النوع المعتاد استخدامه فى ذلك العصر لهذه المناسبة ، الا انه لم يظهر أثر للجسد المحنط حين تم رفع غطاء التابوت ، وأما الرواية الأليمة التى تخيلها ريزنر ليفسر مثل هذا الحدث العجيب فاننا ننصح بضرورة قراءتها بكلماته هو ، وكل ما يبدو مناسبا للقول بهذا الصدد انه كانت هناك اعادة للدفن تمت بمنتهى السرية وبطريقة تصونه من أى انزعاج ، ويجب أن نضيف الى ذلك أن ريزنر ومساعده ستفنس سميث استطاعا أن يقوما بعمل شجرة لأسرة خوفوى : زوجاته وأولاده بمنتهى المهارة والأصالة ، وان كانت تدعو لتأمل ليس مجاله هنا ، ونحن كذلك ليس لدينا سند سليم نقيم عليه قرارا ثابتا عن طول مدة حكم خوفوى الذى تسجله بردية تورين كأنما استغرق ثلاثة وعشرين عاما ، بينما يسجل له مانيتو ــ ولعله يلجأ الى الحدس وحده ــ ليس أقل من ثلاثة وستين عاما ·

والشىء نفسه يمكن أن يقال عن الستة والستين عاما التى يقدمها مانيتو للخلف التالى ل « خوفوى » صاحب الهرم الثانى (١) ، ولقد رأينا

---

(١) PM, III. 6 f.

ان اسمه لدى هيرودوتس هو كفرن ، ولكن علماء الدراسات المصرية اتفقوا على قراءة خرطوشه ك «خع آف رع» ولكن رانكه أبدى منذ زمن ليس ببعيد أسبابا قوية لقلب عنصري الكلمة المركبة بحيث تصـــبح قراءة الاسم « رع خع اف » (١) فلو كان هذا صحيحا فان علينا أن نفترض ان النطق الصحيح أهمل في العصر المتأخر وحل محله آخر يعكس الترتيب المكتوب للعنصرين ، ولما كان حدس رانكه لم يلق بعد من جماعة علماء المصريين موافقة فانه من الخير أن نلتزم التسمية التي عرفت من بعيد وهي «كفرن» أما أهمية ما قام به كفرن كبناء للهرم فقد حجبتها بغير لياقة أعمال أبيه خوفوى ، ومـع ذلك فان الهرمين متساويان في المساحة وفي الارتفاع ، فليس هناك من فارق كبير بين الاثرين ، ولكن الهرم الثاني بني فوق مرتفع من الأرض ، ومن ثم يبدو كأنما هو الأكبر ، ولا يزال التابوت المهشم المصنوع من الجرانيت المصقول قائما في مكانه من غرفة الدفن ولكن اللصوص لم يخلفوا أثرا لصاحبه الاصلي ، وأما البقايا الجوهرية للثـــلاثة الاجزاء الرئيسية من مبنى الهرم العادى فلا تزال باقية ولعل أبرز ميزة في المعبد الجنـازى لـ ـ « كفرن » هو ضـخامة حجم الكتل من الحجر الجيرى التي استخدمت في بنائه وهي أكبر كتل من نوعها في أى مكان آخر في مصر القديمة ، واما النقوش في هذا المعبد وفي الممر الصاعد فقد دمرت ربما فيما عدا قطعة أو اثنتين ، ولم يعثر على شيء منها في معبد الوادى كذلك حيث كانت مثل هذه الزخرفة لا تستطيع الا أن تنتقص من جمال جدران الجرانيت الاحمر الملساء ؛ولا يزال معبد الوادى قائما وهو الذى كان يسمى خطأ من قبل ، بمعبد «أبو الهول» ويعد واحدا من أكثر المناظر التي تبعث على الرهبة في منطقة الجيزة ، فالابهاء الفسيحة بأعمدتها المربعة الصارمة تعكس البساطة والجمال الأخاذ لعمارة تلك الايام الغابرة ، ولقد عثـــر هناك كذلك بين تماثيل أخرى لـ كفرن على التمثال الرائع المصـــنوع من الديوريت الذى يعد من غير شك واحدا من أعظم القطع الفريدة من صناعة التماثيل التي انحدرت الينا من أقدم العصور .

ويقع (٢) أبو الهول الى الشمال الشرقي مباشرة ، وهو في الخيال الشعبي لكل العصور تجسيد لسر لم يمط عنه اللثام وللحق المبهم وقد اختفى الآن ، بعد أن تم تنظيف هذا التمثال على شكل الاسد برأس آدمي من كل ما يحيط به من الرمال ، الكثير من سحره الخفي ، ومع ذلك فان

(١) JAOS, LXX, 65

(٢) PM, III 8

احجية أصله لا تزال باقية ، ولعل أكثر وجهات النظر احتمالا هي أن كفرن نحته من ربوة من الصخر كانت متاخمة للممر الصاعد صور بها نفسه في صورة تجمع بين الرجل والاسد وليس من شك أن النموذج لم يبدأ به ولكن قدر له أن يصبح شائعا لا في زخرفة العمارة المصرية وحدها بل في الوحدات الزخرفية في العالم أجمع ، ولم يهتم المصريون أنفسهم بالاصل التاريخي لهذا النموذج ؛ وقد كان أبو الهول الجيزة بالنسبة لهم الها أطلقوا عليه •• « حورام أخي » أو « حورس في الأفق » وهو في اليونانية حرماخيس ولكنه من المؤكد أنه كان يعتبر كذلك شبيها بالملك وان هناك كثيرا من الرصانة في مقترح المرحوم الاستاذ جن من أن كلمة Σφιγξ مشتقة من [illegible] شسب عنخ « الصورة الحية ؛ وهي فقرة ربما تتطلب أن يضاف اليها ل «رب العالم» أو (الاله) أتوم التي نلتقي بها أحيانا ؛ ومن الغريب ان هيرودوتس تجاهل السفنكس تماما وأن بليني » (١) كان الكاتب الكلاسيكي الوحيد الذي عرض لذكره •

وأما فيما يتصل بأحداث عهد كفرن ؛ فانه ليس هناك ما يمكن أن يقال عنه أكثر من ذلك كما هي الحال بالنسبة لكيوبس ، وان ما رواه هيرودوتس (٢ : ١٢٤ ، ١٢٨) فيما يتصل بقسوة وعدم تقوى هذين الطاغيتين فربما كان ذلك استنتاجا من ضخامة الأعمال التي فرضاها على رعاياهم التعساء ، وأما دحض الاتهام الخاص بعدم التقوى فيقوم شاهدا عليه كتل ضخمة من الجرانيت عثر عليها في بوباستيس تحمل اسميهما كانت أجزاء من معبد شيد هناك من غير شك • ولقد فصل حكم الملكين عن بعضهما بملك آخر هو « رع جدف » الذي جلس فوق العرش ثماني سنوات فقط ، واختار ــ لسبب خفي ــ مكانا يبعد بضعة أميال الى شمال غرب الجيزة عند «أبو رواش» ليبني هرمه ، وقد تم الكشف عن بقاياه التي لم تكتمل (٢) ، وهناك حكم آخر قصير أو حكمان يتداخلان بين كفرن وميسرينوس اذا سلمنا بأن رقم ١٨ (أو ٢٨ ؟) سنة الموجود في بردية تورين ينسب للأخير ، وينسب الهرم الثالث في الجيزة (٣) الى ميسرينوس أو منكاورع ان نحن أردنا أن ننطق اسمه كما هو مسجل بالكتابةالهيروغليفية وهو مبنى أصغر حجما بكثير كان يستطيع أن ينافس جاريه العملاقين.

(١) Nat. Hist. 36-17.

(٢) PM, III, 1

(٣) Op. cit., III. 7 f.

من ناحية الفخامة لو ان مشروع تكسيته جميعا بالجرانيت الاحمر كانت قد تمت ، وعلى أية حال فان هذا العمل لم يستكمل ، كما يقوم استخدام اللبن فى جانب كبير من الممر الصاعد ومعبد الوادى دليلا على موت صاحبه المفاجىء ، وليست هناك من وسيلة نستطيع التعرف عن طريقها الى كيفية حدوث ذلك الامر ، كما نرى انه من غير الممكن أن نقرر مدى صدق مازعمه هيرودتس من أن ميسرينوس كان ملكا تقيا خيرا ان هو قورن بسلفيه العظيمين وقد أثمرت الابحاث المستكملة التى قام بها ريزنر ومعاونوه فى منطقة الهرم فكشفت عن العديد من تماثيله الرائعة ، ولعل أجمل القطع واحدة بالحجم الطبيعى من الاردواز تمثل ميسرينوس وزوجته الملكة ويضمها اليوم متحف بوستون كواحدة من كنوزه الهامة (لوحة ٦) وهناك الى جانب ذلك مجموعة من قطع من الاردواز من حجم أصغر بكل منها مجموعة من ثلاث تمثل ميسرينوس بين الالهة حتحور وأحد معبودات الاقليم ، وربما كان هناك من نوع هذه المجموعة اثنان وأربعون قطعة ، ولكن لم يعثر سوى على أربعة سليمة كاملة ·

ولقد انهارت الاسرة سريعا بعد موت ميسرينوس فأكمل خلفه شبسسكاف هرمه وقام بتجهيزه ، ويعد شبسسكاف الملك الأخير الوحيد من ملوك الاسرة الرابعة الذى يعد شرعيا من وجهة نظر معاصريه وكذلك من وجهة نظر قائمة ابيدوس وان أضافت القائمة الملكية لسقارة ثلاثة آخرين ضاعت أسماؤهم ، ومن ثم لا يمكن مقابلتها بالأسماء التى يقدمها مانيتو · واما ان شيئا ما حدث فى هذه المرحلة جعل الأمور تسير فى غير طريقها السليم فيبعث الى التفكير فيه اختيار شبسسكاف لجنوبى سقارة منطقة لدفنه وأمره ببناء مقبرة له لا على شكل الهرم بل على شكل المقبرة مع ميل الجوانب الى الداخل وهو طراز التابوت ، تابوت العصر · وأما السقف فمشطوف الحافة مع أطراف مستقيمة قائمة وهذه المقبرة المعروفة لدى الاهلين فى المنطقة بمسطبة الفرعون سرعان مالحقتها بعد ذلك بقليل صورة منها تحاكيها فى منطقة الجيزة على شكل الاثر المسمى بالهرم غير المكتمل أو الهرم الرابع (١) وقد كشفت الحفائر عن أن هذا الأثر الواقع بين الممرين الصاعدين ل كفرن وميسرينوس ينسب الى أم الملك المسماة خنت كاواس التى ظلت عبادتها قائمة خلال الاسرة الخامسة · وقد دار جدل حول النص المنقوش على الباب الوهمى الضخم ، ويرى يونكر انها انتحلت

(١) Mitt, Kairo III, 123 ff.

لنفسها فعلا لقب « ملك مصر العليا والسفلى » وهي دعوى قام بها ثلاث نساء سواها فقط خلال كل التاريخ المصرى · ومع ذلك فهناك ترجمة بديلة لها قوتها من الناحية اللغوية وتصفها كأنما هى أم ملكين لا ملك واحـــد فقط (١) · وعلى كل حال فانه يبدو انه من المتفق عليه أن خنت كاواس كانت السلف المباشر للأسرة الخامسة وان كان هذا الرأى يتعارض مع التراث الموجود فى قصة من أواخر الدولة الوســـطى تروى ان الملوك الثلاثة الأوائل للأسرة الخامسة كانوا ثلاثة توائم أبناء لزوجة كاهن بسيط من كهنة رع فى احدى مدن الدلتا ساخبو (٢) ·

ومهما يكن أصل الاسرة الخامسة فليس هناك من شك بالنسبة الى طبيعتها المتغيرة والمتميزة بالتفرد ، وانا لنرى أنه تبعا لقصة الابن الاكبر ل « رديدة » انه أنبىء انه سيصبح الكاهن الاكبر لاله الشمس فى أون وهى المدينة الكبرى التى عرفها اليونان تحت اســـم هليوبوليس والتى ليست اليوم سوى ضاحية صغيرة الى شمال القاهرة ، وليس هنـــاك ما يؤكد أو ما يدعو الى احتمال ان أوسركاف أول ملوك الاسرة قد مارس هذه الوظيفة وان كان من المؤكد ان الكهانة الهليوبوليتانية بدأت تمارس فى عهده سلطانا لم يعهد من قبل · ولا يسجل حجر بالرمو سوى القليل مثل بعض هبات الأراضى والقرابين لاله الشـــمس رع ولابنتـــه حتحور وللكائنات المبهمة المسماة « أرواح أونو baw-iwnw

ومن المهم أن ندرك على أية حال ان هذه العبادة الشمسية المبالغ فيها لم تكن مقصورة على الشمس كما حدث بالنسبة لاخناتون بعد ذلك بأكثر من ألف عام ذلك لأنه كان من بين المعبودات الاخرى الهات مصر العليـــا والسفلى التى كانت تعد كذلك منتفعة · وينعكس المركز الجديد لسيادة اله الشمس على التطور الجديد الذى وقع على الالقاب الملكية فحتى هذه المرحلة لم يظهر اسم رع الا فى خرطوش رع ددف وكفرن وميسرينوس · وأمـــا فى الأسرة الخامسة فان رع أصبح عنصرا منتظما كما نرى عند سرد أسماء الملوك التسعة فى تتابعهم الموثوق به : وسركاف ، ساحورع ، نفر اير كارع (كاكاى) شبسس كارع (ايزى ؟) رع نفراف ، نى وسررع (ان) ، من كاوحر ، دد كارع (ايزوزى) ، ونيس ، والأسماء التى وضعناها بين الاقواس كانت أسماء شخصية مثلها فى ذلك مثل الاسماء التى توضع داخل الخرطوش وتصبح أخيرا لقب الملك ، بينما يصبح الاسم الذى به كلمة رع هو الاسم العام ، ومما يعد أكثر أهمية ان لقب زا·رع

(١) Ann. Serv., XXXVIII, 209 ff.

(٢) Erman, Lit., p. 43.

« ابن رع » الذى وجد استثناء مع اثنين من الملوك الثلاثة للأسرة الرابعة الذين ذكرناهم من قبل بدأ الآن يصبح أكثر ملازمة اما داخل أو خارج الخرطوش ، وأصبح له فى النهاية مركز ثابت بين الاسم واللقب ، وأما الصيغة النهائية للقب فقد قدمنا لها وصفا وايضاحا من قبل فى صفحة ٦٨٠

ومما يلفت النظر أكثر من ذلك على أية حال الدليل المستقى من طراز جديد للآثار كان — بقدر ما نعلم — من المبتكرات الأصيلة للاسرة الخامسة ، ولم يمتد الى ما بعد حكم ثامن ملوكها ٠ انه ليس من شك فى أن هؤلاء المتحمسين لعبادة الشمس أدركوا أنهم ليسوا بقادرين على تمجيد الههم المختار بقدر الفخامة التى أضفاها ملوك الاسرة الرابعة على تمجيد ذواتهم فحركوا المنظر الذى يمثل نشاطهم المعمارى الى بضعة أميال الى جنوب الجيزة حيث تقل المقارنة التى تثير التحاسد من الوجهة العملية ، فهناك فى منطقة «أبو غراب» التى ظلت دهرا تحمل اسم هرم ريفا، كشفت الحفائر التى قامت بها Deutsche Orientgesellschaft الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية » تحت ادارة المهندس القدير ل ٠ بورخارت (١٨٩٨ — ١٩٠١م) عن معبد كبير للشمس يفترض عقلا انه صورة نسخت عن معبد رع أتوم فى هليوبوليس ٠ والمنظر الخارجى العام يشبه منظر المجموعة الهرمية العادية وله مبنى كمدخل عند الوادى ثم ممر صاعد يؤدى الى مستوى أعلى ، وعند القمة ما يماثل الهرم ومعبده الجنازى الرئيسى واما الفارق الرئيسى ففى استبدال هذين الآخرين بمسلة مقامة فوق قاعدة مربعة مثل الهرم المبتور القمة وتذكرنا المسلة بحجر قديم جدا فى هليوبوليس يعرف باسم بنبن bn bn ربما كان اشتقاقه من «الواحد المشع» ، والذى كان يرمز من غير شك لشعاع أو أشعة الشمس ، ومن المعروف ان ستة من الملوك التسعة للاسرة الخامسة قاموا ببناء معابد للشمس من هذا النوع لكل منها اسمه مثل « متعة رع » و « أفق رع » و «حقل رع» وقد أمكن تحديد مكان اثنين منهما فقط ، أحدهما ينسب الى أوسركاف يجرى كشفه اليوم على يد أحد تلاميذ بورخارت وهو هـ ٠ ركه وهو معبد يبدو متواضعا ، وأما الآخر فهو الذى قام ببنائه نى وسررع الذى كشف عنه تماما بورخارت نفسه(١) وكان اله الشمس يعبد هنا تحت قبة السماء كما يناسب طبيعته ٠ وتوجد عند قاعدة المسلة ، شرفة فى وسطها مذبح كبير من المرمر والى شمال المذبح مسافة شاسعة كانت تقاد

(١) انظر قائمة المراجع فى نهاية الفصل

اليها الثيران حيث تذبح والى شمال هذه الساحة كذلك صف من المخازن واما المرتفع الذى تقوم فوقه المسلة فكان يوصل اليه ممر طويل مغطى فى وزرة الشرفة من ناحيةالجنوب وتزينه مناظر منحوتة ومنقوشة بصورة رائعة وبعضها تمثل فصول السنة بنباتها وحيواناتها التىخلقها اله الشمس، بينما تصف الأخرى عيد سد الذى كان تجديدا دوريا للملكية حين كان يجتمع آلهة نصفى الدولة ليمجدوا الملك ، ولا بد انها كانت لحظة مثيرة للعواطف حين كان يبرز الكهنة فى خلال الاحتفالات من الممر المظلم نسبيا الى ضوء الشمس الساطع الذى ينشره الههم فى الخارج . ولقد أثيرت بسبب هذه المجموعة من الآثار مشاكل خطيرة على أية حال ذلك أنه من المفهوم أن يطمح كل ملك لتشييد ضريح فخم له ، وان كان تفكيرنا العصرى لا يستطيع أن يمنع نفسه من العجب من الفخفخة التى تفوق الحد التى يمثلها بناء الاهرام ، ولكن مما يدعو الى الحيرة أن نجد كل ملك يتلو صاحبه يضيف معبد شمس منفصل من نسب متشابهة كى يؤكد صلة بنوته بالمعبود ولابد أن استنزاف موارده كان ضخما ، كما لابد أن ذلك الأمر تزايد ما دام هناك ما ينهض دليلا على أن منشآت أسلافه لم تهجر بموتهم ، وليس عجيبا ان المسئولية المتراكمة بعضها فوق بعض أصبحت أكثر مما يطيق ايزوزى الذى توقفت فى عهده مثل هذهالمشروعات ولقد دار التفكير مليا وكرس فى العصر الحديث لهذا الامر ولأمور أخرى تتصل بمعابد الشمس (١) وان كان ذلك بنجاح محدود لحاجتها الى أدلة ايجابية .

وقد تبع كشف بورخارت لمعبد الشمس للملك نى وسررع كشفه المتتابع لأهرام الأسرة الخامسة المتجمعة معا فى «أبو صير» على مبعدة ميل الى الجنوب تقريبا ، ولكن قبل أن نناقش ذلك الأمر يجدر بنا أن نقول شيئا عن أهرام الملوك الثلاثة الأولين للأسرة الذين اختاروا شغل مواقع بعيدة إلى الجنوب فى سقارة بالقرب من الهرم المدرج — أما مدفن وسركاف — وهو غير عادى من نواح عدة— فقد وجد مهشما تماما؛ لأنه استخدم كمحجر وجبانة فى العصر الساوى ،وكان قد زود بنقوش سفلية رائعة لعل أشد قطعها جذبا للانظار قطعة تمثل منظر صيد الطيور الذى ربما كان يستخدم كنموذج للرسوم المتشابهة فى المقابر من العصور اللاحقة (٢) ، ولكن لعل خير مكافأة كانت رأسا لتمثال ضخم من الجرانيت الأحمر محفوظة

---

(١) Mitt. Kairo XIV, 104 ff.; WZKM liv. 222 ff.

(٢) W. Stevenson Smith. op. cit., pl. 52.

الآن فى متحف القـــاهرة ، ويظن ان التمثـــال ــ اذا كان جالسا ــ يزيد ارتفاعه على ١٥ قدما(١) · أما مكتشفا هرم زدكارع ، ايزوزى وقد ماتا فى سن مبكرة ، فلم يخلفا أى تقرير عن عملهما وربما كان ذلك فى المجاورات حيث عثر عام ١٨٩٣ على عدد كبير من قطع البردى لم تنشر بعد وتقاسمتها عدة متاحف وكلها مؤرخة بعصر ايزوزى وان كانت تخص الأملاك والادارة الجنازية للملك الأسبق نفر ايركارع كاكاى · ومن بين الموضـــوعات التى تناولتها المدفوعات اليومية لرؤساء الكهنة أو «المتنبئين» (٢) أو لسدنة معبد الشمس ومن بين الأشياء الأخرى كذلك تحويل الايراد الى ضيعة هرم كاكاى ثم القرابين المقدمة الى تماثيله والى تماثيل الملكة الأم خنت كاواس، ومثل هذه الوثائق نادرة جدا فى هذا العصر حتى لنرى لهذه المجموعة أكبر قيمة ، ومع ذلك فالأمر يتطلب الدراسة العميقة لحل رموز كتابتها العسيرة ولتحديد محتوياتها الصحيحة · ويعد هرم ونيس أصغر من أهرام أسلافه جميعا ، ولكن الثمار التى أمكن جنيها من ورائه ذات أهمية ، وأما ممره الصـــاعد فطـوله ٧٣٠ قدما وهــو مزين بنقــوش من أدق الأنواع (٣) وموضوعاتها متنوعة جدا وغير عادية فهى تمثل مثلا النقــل بالمراكب من أســوان لأعمدة الجرانيت على شــكل النخيل ثم السجف المستخدمة فى تشييد المعبد الجنزى ، وهناك كذلك مناظر للعمال يمارسون مختلف الحرف ولكن لعل أعجبها جميعا وأعسرها فهما الصور العجفاء لقوم من الواضح انهم يموتون جوعا ، أما الترتيبات الداخلية للهرم فهى كذلك غير عادية وتقع أهميتها الرئيسية لدارس المصريات فى أن جدران البهو وغرفة الدفن مغطاة بأقدم النصوص الدينية التى بقيت لنا من قدماء المصريين مكتوبة فى أعمدة راسية بالهيروغليفية وتحوى هذه النصوص رقى ، هدفها خدمة صالح الملك فى العالم الآخر وتعرف باسم متون الأهرام لانها لا توجد هنا فقط بل نلتقى بها كذلك فى أهرام أربعة من ملوك الأسرة السادسة وفى أماكن أخرى ·

ولنرجع الآن الى الأهرام التى كشفها بورخارت فى «أبو صير» وهى أهرام ساحورع نفر ايركارع ، نى وسررع ومن بينها نجد ان هرم نفر

(١) Ann. serv., XXLX, 64 ff with pl. I.

(٢) هذا هو الاسم الذى أعطاه اليونانيون لأعلى طبقة من الكهنة المصريين وهم يدعون باللغة الوطنية خدم الآله وحين تســتخدم بهذه الصــورة لا تصبح متضمنة قوة التنبؤ عن المستقبل .

(٣) W. Stevenson Smith; Art and Architecture, HormondsWorth, 1958, pp. 75, 76 with p. 262, nn. 28, 29.

ايركارع لم يكتمل ، كما ان الصف السفلى من ممره الصاعد استخدمه نى وسررع لأغراضه الخاصـــة • ونحن أمام عدم وجود نشر كامل عن هـرم ونيس ، نجد فى هرم ساحورع مميزات الآثار الجنازية للأسرة الخامسة على أكمل صورة • وهما من ناحية الحجم أصغر بكثير من هرم كيوبس وكفرن وأما من ناحية الجمال فهى جميعا فى مســتوى واحد على الأقل ، ولكن الضخامة والبساطة الوعرة أفسحت هنـا مجالا للرشاقة والكمال الفنى وهناك تطور مشابه فى بلادنا (١) لذلك هو التطور من العمارة النورمندية الى القوطية ، ونلاحظ فى الأسرة الخامسة أن الأعمدة المربعة المستوية تحل محلها الأعمـدة الاسطوانية التى تمثل جـذوع البردى المربوطة ببعضها البعض ولها تيجان منحوتة برقة لتحاكى سعف النخيل ، هذا الى ان الثراء فى النقش الذى يزين كل أجزاء المجموعة مذهل رغم اختفـاء جانب كبير منه بسبب نهب الأجيال اللاحقة المتعطشة الى الحجر الجيرى الناعم الذى رأوا انه من الممكن اسـتخدامه فى مبانيهم ونســتطيع أن نتخيل المنظر الوضاء العــام حين ندرك أن الأرضية كانت تصـنع غالبا من البازلت المصقول ، بينما تستقر منحوتات الحجر الجيرى الأبيض اللامعة فوق الأجزاء السفلى من الجدار المصنوع من الجرانيت الأحمر • وهناك تجديد صارخ فى مجموعة ساحورع هو وجود أنبوبة صرف من النحـاس تمر بطول الممر الصاعد كله وهى مسافة لا تقل عن ٣٣٠ ياردة • أما موضوعات النقش فمنوعة جدا ، ولو اننا استطعنا العثور عليها كاملة لكانت كفيلة بأن تبرز كافة نواحى النشاط الطموح للملك ورعيته فى حيوية أكثر مما تستطيع أن تفعل أية رواية مكتوبة ، ومن بين الصور الأقل واقعية مما بقى لدينا واحدة تمثل فرعون وهو يحظى بلقاء الاله خنوم ويرضع من ثدى الربة العقاب لمدينة نخن (هيراقونبوليس) وهناك كذلك حملة قرابين وهميون يجسدون مختلف مظاهر الطبيعة مثل البحر والحبوب ، أو أفكار معنوية مثل الفرح ، ويقابل هذه الأفكار التصويرية البحتة مقابلة شديدة منظر فخم للصيد فى الصحراء وبقايا منظر آخر يمثل القاء شرك لفرس البحر فى النهر ، وان كان الموضوع ــ حتى فى هذا المجال ــ أصبح تقليديا • ومن المستحيل أن نؤكد ان ساحورع نفسه وهب مثل هذا الاستعداد الرياضى، ولقد سلفت الاشارة من قبل صفحة ٧٤ الى حملة ضــد الليبيين كان من ثمارها الاستيلاء على غنيمة ضخمة واخضاع أمراء أجانب وعائلاتهم • ولكن لعل أكثر لفتا للنظر من الناحية التصويرية منظر رائع للسفن العائدة من سورية بالتجارة والآســيويين على ظهـورها وأسلحتهم مرفوعة ولاء

(١) يقصد المؤلف : انجلترا ــ المترجم •

لفرعون ، وربما كان ذلك بمناسبة حملة الى لبنان للبحث عن الخشب القيم جدا من غاباتها • وقد كشفت الحفائر التى أجراها مونتيه ودينو فى ببلوس عن أوان حجرية تحمل أسـماء كثير من ملوك الدولة القديمة وبما ليس بينهـا اسـم ساحورع • وربما كان من المبالغة أن نصف ببلوس بأنها مستعمرة مصرية ولكننا ندرك على الأقل ان الرسل المصريين كانوا يقابلون دائما بالترحاب هناك • وان هـذه المدينة الساحلية كان بها معبد للربة حتحور مقترنة بالربة الوطنية السامية استارته (عشتار) وتذكرنا صورة السفن هذه ان الاشارات الوحيدة فى قطع حجر بالرمو الى أية مشروعات دنيوية لفراعين الأسرة الخامسة لا تعدو مشروعين سجلت فيهما رحلات الى سينا سعيا وراء الفيروز ثم الى بوينى مورد البخور ومختلف التوابل ؛ ويبـدو ان كل المغامرات الخارجية للدولة القـديمة بخلاف الحملة الليبية السالفة الذكر تستهدف النفع وحده • فهى سفرات للحصول على موارد للملك يستطيع عن طريقها أن يرضى نزوته فيما يتصل بتشييد المبانى وأن يزيد من أبهة بلاطه وأن يسد حاجة المعبودات التى يتعبد لها •

والرأى السائد اليوم أن الأسرة الرابعة لم تستمر على العرش أكثر من ستين ومائة عام بينما لا تزيد مدة حكم الأسرة الخامسة على أربعين ومائة عام • وتبدو هذه الأرقام ضئيلة بالنسبة لما تم من أعمال • ولكن يبدو أنه من الضرورى مع ذلك أن تنتقص(١) ؛ لأنه ليس هناك مايدعو الى الشك فى صدق رواية أحد رجال البلاط الذى يزعم انه نال التشريف خلال حكم ستة ملوك من رع ددف الى ساحورع ، أو فيما قاله أمير ملكى ناله تشريف مماثل ولكنه يبدأ بعهد خليفة رع ددف وهو كفرن (٢) ، وفى الوقت نفسه نلقى تغيـيرا صارخا على أية حال بالنسـبة للمصادر التى نستقى منهـا معلوماتنا عن هذه الفترة ، فالطابع الأبكم المكتوم للمساطب السابقة أفسح هنا مجالا الى لهفة لم يكن لها نظير فى أى بلد قديم آخر لوصف وتصوير كل مظهر تقريبا للحياة اليومية ، وليس لنا أن نتخيل بطبيعة الحال ان النحـاتين أو سادتهم كانوا متخلفين عقليا ذلك انه بخلاف الدافع لخلق الجمال اللازم لكل عمليات الخلق الفنية ، نجد هنا أن الحافز كان الاعتقاد فى ان مثل هـذه الصور تستطيع أن تمكن صاحب المقبرة من أن يستمتع بعد موته بكل الأشياء الجميلة التى كانت من نصيبه على الأرض ، وانا لنرى

---

(١) A. Scharff, Grundzüge der Aegyptischen Vorgeschichte, Leipzig 1927, pp. 51 ff.

(٢) Ann. serv., XXV, 178 ff.

لزاما علينـا هنا أن نصف التطور في افاضة أكثر ؛ ذلك أنه فى أوائل الأسرة الرابعة كانت تقام الطقوس الجنازية فى مصليات صغيرة من اللبن تقـام فى الجانب الشمالى من المسطبة ٠ وكانت البينة الوحيدة التى تشير الى شخصية وطموح صاحب المقبرة عبـارة عن لوحة حجرية يمثل فيها جالسا أمام مائدة قربان مصـحوبا بنص هيروغليفى يعدد أنواع الطعـام والشراب التى يأمل فى تناولها ثم أنواع الكتان لكسائه وفراشه وكذا الأوانى والأثاث اللازم لسكناه ٠ ومع ذلك فقد كانت هناك بعـض الاستثناءات لهذا الطراز الأبكم ٠ فهناك مقابر ميدوم من عهد سنوفرو (١) بها لوحات تمثل الحرف فى ضيعة نبيل عظيم وكذا صناعة القوارب وصيد الأسماك والطيور والحرث وذبح الثيران وهكذا ٠ وهنـاك نقوش من نفس العصر تقريبا تسجل ثروة أحد الوجهاء فى الدلتا ويدعى متن (٢) الذى يخبرنا كيف أضاف الى الأرض التى ورثها عن أبيه بشراء أرض جديدة وانه ابتنى لنفسه بيتا من حوله حديقة مسورة وانه شغل عدة مناصب هامة ٠ وهناك روايات بالهيروغليفية من الأجيـال التالية تعـالج موضـوعات مختلفة : مكافأة « خـدم الروح » مقابل القيـام بالخدمة الجنازية المستمرة بعد موت صاحب المقبرة ؛ وصية لتوزيع أراض أوصى بهـا أحـد أولاد كفرن (٣) اسداء العرفان بالجميل لاهتمام فرعون ببناء مقبرة (٤) ؛ وليس من الممكن أن نعد هذه النصوص التاريخية ، ولكنها تعطى أضواء جانبية على حضارة تلك الأيام ٠

وعلى أية حال فان النقطة التى نريد أن نضغط عليها هنا هى ان هذه الأمور بالغة الندرة ، ولكن باقتراب الأسرة الخامسة نجد ان هذه الوثائق سواء تصويرية أو مكتوبة تزداد عددا بشكل ملحوظ ٠ وفى هذا دلالة على الواقعية المتطورة للايمان بأن فرعون رغم دعواه من ناحية الالوهية كان فى الواقع رجلا لا يعلو كثيرا من ناحية التمجيد على رءوس نبلائه ٠ ولقد كانت العطايا والهبات الكثيرة التى كان يقدمها لصيانة سلطان الحكم تصنع أسس النظام الاقطـاعى وبدأت الغرف الداخلية تبنى فى جسم المسطبة تمثل قصور الأثرياء فمقبرة تيى(٥) المشهورة ، بها مثلا بهوان بالأعمدة

(١) PM IV, 90 ff.

(٢) BAR I, §§ 170 ff.

(٣) Op. cit., I §§ 190 ff.

(٤) Ann. Serv., LI, 131 ff.

(٥) اشتهرت لدى السياح باسم مقبرة « تى »

وسرداب جميل ثم قاعة مخزن ضخمة ورواق أخاذ · هذا الى أن النقوش بدأ يتخللها الآن تنوع ملحوظ جدا فى تتابعها فقلما نجد مظهرا من مظاهر الحياة اليومية غير ممثل ، ويستطيع المرء أن يصحب صاحب المقبرة على جدران قبره فى طريقه للتفتيش على الخبازين وصانعى الجعة وعاصرى العنب والطباخين والنحاتين والنجارين والصناع أو يجلس معه يستمتع بالموسيقا والرقص أو يشاركه فى لعب الدامة · وقد تتسلل بعض التفصيلات المجونية (الهزلية) أحيانا الى هذه الصور فنرى مثلا قردا ينفش ريش كركى أو يعض ساق خادم ، كما نرى ان الرواية الهيروغليفية تختزل كل قصة استطرادية بجانب من المحادثات التى تتردد بين القوم الممثلين بها ، وهو أمر يتعارض تماما مع الأفكار التى كانت سائدة من قبل عن قدماء المصريين والتى لاتنسب اليهم أى تفكير عن شيء سوى الموت أو التحنيط ، ولكن علماء الدراسات المصرية يعلمون تماما أنه لم يوجد شعب أحب الحياة أكثر منهم وانه ليس هناك شعب أكثر مرحا أو ابتهاجا ، وهناك مسحة محببة هى المساواة الواضحة بين الجنسين ففى النقوش والتماثيل تشهد المرأة تلف ذراعها حول وسط زوجها كما تمثل الابنة تعامل بالرقة والحنان اللذين ينالهما الابن الصغير على قدم المساواة ·

وقد سجلت بردية تورين بعد ونيس مجموعا لسنى الحكم من ولاية منيس حتى عهده ومن أسف أن الرقم مفقود · ولكن القيد على هذه الصورة يعنى أن فترة كبرى يظن انها انتهت عند هذه المرحلة · ويتفق معها مانيتو فى هذا الصدد فيبدأ الاسرة السادسة ذات الستة ملوك ممفيين عند النقطة نفسها ويطلق على أول ملك اسم اوثويس، ومن الواضح انه تتى الذى تقدمه قائمتا الملوك فى ابيدوس وسقارة خليفة ل أوثيس · ومن الغريب ان مانيتو ــ وهو غير دقيق من غير شك ــ يجعل من الفنتين منشأ للأسرة الخامسة ، ومع ذلك فان الصواب لم يجانبه على أية حال حين وصف الأسرة التالية بأنها ممفية مادامت كل أهرام ملوكها قائمة فى سقارة على مبعدة أميال من بعضها البعض ، والواقع ان هرم ثالث ملوكها بيوبى الأول وهو الهرم المسمى من نفر [hieroglyphs] « بيوبى مستقر وجميل » هو الذى منح اسمه للمدينة العظيمة منف فى وسط الوادى المقابل لسقارة تماما ، وليس من المعروف لم عد تتى مؤسسا لأسرة جديدة ولكننا نعلم انه حوالى ذلك الوقت حدث التغير الخطير فى هيبة الدولة المصرية · لقد ولت المركزية الضخمة التى ميزت العهود السابقة وذلك حين كانت أكبر أطماع كل نبيل أن يقام قبره فى ظل هرم مولاه ــ أما الآن فان كرم فرعون

بالنسبة للمقربين له أصبح لا يلقى الجزاء المناسب ذلك ان ثروته الخاصة لم تستنزف فحسب · بل ان ثروة نبلائه أخذت تزداد تضخما حتى أصبحوا ينافسونه فى القوة والنفوذ · فظهرت فى كل مكان على مقربة من المدن الاقليمية الكبرى جبانات جميلة حيث أخذ ـ لا الأمراء المحليون وحدهم بل كذلك أبرز رعاياهم ، يزودون مساطبهم ومقابرهم الصخرية بشىء من الفخامة التى كانت تمارس فى العاصمة الملكية ـ ويكفى هنا أن نذكر المقابر التى كشف عنها ونشرت مثل المقابر فى نواحى زاوية الأموات وميرودير الجبراوى واخميم ودندرة وادفو وأسوان (١) وهناك كذلك واحدة أو اثنتان فى طيبة رغم ان شهرة هذه الناحية لاتزال بعيدة جدا ·

وهكذا رغم ان أرستقراطية اقليمية قد استطاعت أن تثبت أقدامها ، الا أننا يجب ألا نتخيل ان فراعين الأسرة السادسة كانوا ضعافا ، بل على العكس فاننا نشهد من بينهم بعضا من أعظم الاسماء فى كل التاريخ المصرى ان نحن اتخذنا قاعدة لحكمنا وجود خراطيش فى كل مكان وأصداء نشاطهم ومشروعاتهم التى وصلت الينا · والحق يقال ان آثارهم لا تستطيع أن تنافس من الناحية الفنية أعمال الأجيال السابقة ولا تستطيع كذلك أن تشير الى أصالتها الا بقدر ضئيل · أما أهرامهم فمن غير شك كانت قميئة حتى لنرى ان معظمها قد انهار وتحول الى كومة من أنقاض ، وقد ولت كذلك الحمية الدينية التى تركزت حولها جهود الأسرة الخامسة لتمجيد اله الشمس ، وبدلا من ذلك نجد متون الأهرام تشغل الجدران فى غرف الدفن الخاصة بهم وهدفها الوحيد السعى وراء رفع شأن الاله أوزوريس الذى كان الملك المتوفى ـ كما سنرى فيما بعد ـ مقترنا به تماما ـ وقد يثار اعتراض ربما فيه بعض العدالة ـ مؤداه ان تطورا مثل هذا لابد انه كان تدريجيا وان حكمنا عرضة للشك بسبب ندرة الوثائق الرسمية للأسرة الخامسة ـ ان هى قورنت بوثائق الأسرة السادسة ـ فلدينا مثلا من أبيدوس ميثاق اعفاء منحه نفر ايرـ كارع لكهانة ذلك المكان يشبه نظائر له متأخرة عنه(٢) ومع ذلك فان الاتجاه العام سليم ويتمشى مع تعيين حكام اقليميين بارزين ليكونوا رؤساء لمقاطعاتهم ، فهناك مثلا «ايبى» فى اقليم جبل الحية (٣) الذى أراد فرعون أن يشاركه فى بناء المعابد المحلية واعفاء خدمها من السخرة وهكذا · ولكى نقدم أمثلة قليلة نرى عهودا يقطعها تتى

(١) انظر PM. VI, V تحت هذه العناوين

(٢) BAR I § 377

(٣) PM, V, 40

وبيوبى الأول فى ابيـــدوس (١) وكوبتوس (٢) (قفط) كل منهمـــا فيما يخصه ، وفى بوباستس بقايا هيكل شاده بيوبى الأول (٣) الذى أقام كذلك مبنى هاما فى هليوبوليس (٤) مما يشير الى ان اله هذه المدينة لم يغفل أمره تبعا لذلك وان كان العهد به قد تقادم . وقد ذكر اســـم الحاكم نفســـه فى العصـــور البطلمية فى معبـــد دندرة كما ذكر اســـم مؤسسه (٥) . وعثر له فى هيراكونبوليس على تمثالين من النحـاس وهما من أجمل النماذج فى صياغة المعـادن التى انحدرت الينا من عهد الدولة القـديمة ـ (٦) وحتى لو كانت هنـــاك خلال الأسرة السادسة أقاليم استطاعت أن تبرز بصورة ضخمة فان كثيرا من الأشراف أملت عليهـــم واجباتهم أن يحصل الواحد منهم لنفسه على مقبرة بالقرب من العاصمة . وقد كشفت حفائر لوريه ، كويبل ، فرث حول هرم تتى عما يؤكد ذلك الأمر (٧) . ولقد كان وزيره مرروكا ـ وهو فى الوقت نفسه صهره ـ صاحب واحدة من أجمل المساطب (٨) هذا الى ان كاهنا أكبر فى ممفيس يدعى سابو فاخر بالحماية التى أضفاها على جلالته حين خـرج من قاربه بمناسبات الاحتفالات (٩) . وهناك كاهن آكبر آخر يحمل الاسم نفسه سجل بفخره عند تعيينه (١٠) كما أن هناك موظفا يروى كيف أرسل الى طرة لاحضار الحجر الجيرى لبعض عمليات البناء (١١) ـ وأما وجود زوجتين ل تتى فتســجله مســطبة ممتعة كبيرة ل « خويه » وكذا الهرم المجـاور ل «ايبوه» (١٢) ولقد كانت الملكة الأخيرة أما ل «بيوبى» الأول الذى عمل على تأمين ادارة لا تتوقف لمزار لهـا فى كوبتوس (١٣) (قفط) وأما عن أعمال تتى الشخصية فلانعرف عنها شيئا ، وانه لمن المستحيل أن نعرف ان كان صحيحا مازعمه مانيتو من أنه قتل بيد حرسه .

ومن الواضح أن حكم خلفه وسركارع كان سريع الزوال مادمنا لانلتقى باسمه فى غير قائمة الملوك فى أبيدوس وعلى خاتمين اسطوانيين . أما فكرة العظمة التى يوحيها اسم مرى رع بيوبى الأول فلاتقوم على أثر بالغ الأهمية

(١) PM, V, 40
(٢) Op. cit V, 126 f.
(٣) انظر فى آخر الفصل
(٤) JEA, XXIV, 1 ff..
(٥) Gauthier LRI, 160
(٦) PM, V, 193
(٧) Op. cit. III, 131 ff.
(٨) Op. cit, III, 140 ff.
(٩) Bar I, § 286 ولكن الترجمة مختلفة
(١٠) Op. cit. I § 288.
(١١) Op cit. I, § 290.
(١٢) PM, III, 84, 129
(١٣) Op. cit. V, 126

خلد من عهده ولكن على وفرة وسعة انتشار النقوش التى تذكره • وهناك دلالات أخرى ، منها ــ كما سلفت الاشارة ــ تسمية ممفيس باسم هرمه وكذلك انه ظل يذكر بالتوقير لعدة قرون بعد وفاته • ولقد كان حكمه طويلا • فمانيتو الذى يمكن أن يعتمد على أرقامه التى يضعها لهذه الأسرة أكثر منه فى أى مكان آخر يقدر له ثلاثة وخمسين عاما ، وهناك حملة وجهت الى محاجر المرمر فى حتنوب (١) مؤرخة بالعام الخامس والعشرين لتعداد الماشية وهو التعداد الذى كان يتم كل سنتين فى هذه المرحلة مما يعنى السنة الخمسين للحكم • .ونقوش الصخور نفسها ــ شأنها فى هذا شأن غيرها فى وادى الحمامات ــ (٢) تشير الى المناسبة الأولى لعيد سد الذى ربما احتفل به فى العام الثلاثين • وكان بيوبى فخوراً بهذه المناسبة فخلد ذكراها على أوانى المرمر الموجودة فى اللوفر اليوم ، وفى غيرها وليس هناك ايضاح مرض عن سبب تغير اسمه من نفر زاحور الى مرى رع (٣) • وربما كان الاسم الحوريسى « مرى تووى » أو « المحبوب من الأرضين » يعنى سمعة كان يتوق الى تحقيقها • ولعل ما يكشف عن نظرته غير المتعجرفة زواجه على التوالى من ابنتين لأمير محلى بالوراثة يدعى خوى يبدو أنه كان من مواطنى أبيدوس (٤) وقد حملت كل من الاثنتين نفس الاسم مرى رع عنخ ناس ولئن صدقنا النص الذى يسجل هذا الأمر فان الواحدة أصبحت أما لخلف بيوبى الأولى وهو مرنرع وأما الثانية فأم خلفه الثانى بيوبى الثانى وأما أخوهما زعو فكان يشغل منصب الوزير • ويبدو ان هذه الأرتباطات بالأقاليم تتفق وروح العصر •

كنا نحس فى الفصل السابق أن علينا أن نضغط على تفاهة معظم ما يسمى بنقوش رواية حياة الأفراد فى الدولة القديمة وذلك من الناحية التاريخية • وأما هنا فمن حسن طالعنا اننا نستطيع أن نروى ما يعد استثناء جزئيا على الأقل • فهناك لوح حجرى لا يلفت النظر من مقبرة فى ابيدوس يقص الطريقة التى استطاع بها « ونى » ــ وهو رجل من نشأة وضيعة ــ أن يرتفع الى واحد من أكثر المراكز المرموقة فى البلاد (٥) ، ذلك أنه بعد أن خدم كموظف صغير فى عهد تتى عينه بيوبى الأول «سميراه

(١) PM, IV, 237.

(٢) Op. cit VII, 329

(٣) ZAS, XLIV, 129; LIX, 71.

(٤) BAR I, § 344-9

(٥) انظر قائمة المراجع فى نهاية الفصل

smr أو رجل بلاط مقرب . وقد صحب هذا التشريف تعيينه في مركز كهنوتي في مدينة هرمه . وسرعان ما كسب ثقة الملك الذى عينه عقب ذلك قاضيا ، وقد برز في هذا العمل مظهرا قدرته كمساعد للوزير ليستمع الى قضايا مؤامرة افرخت في الحريم الملكي والستة البيوت الكبرى، وحين أنهى هذا الواجب الهام أحس انه يستطيع أن يلتمس المعونة لتزيين قبره ، وسرعان ما منحه الملك مسألته :

أمر الملك حامل الختم الالهى (سزاؤ ونى نثر)

أن يعبر النيل بصحبة عدد من البحارة تحت امرته وأن يحضروا اليه هذا التابوت من طره . وقد عاد به في مركب كبير ، من مراكب البلاط ومعه غطاؤه وبوابته وأسكفته والعضادتان ، ثم مائدة سكائب ... ولم يفعل من قبل مثل هذا لأى خادم ...

وتعد الفقرات التالية ذات أهمية حيوية كبرى وهى مسجلة فى صورة مصرية أصيلة : حين لم أكن سوى قاض عينني جلالته سميرا وحيدا ومشرفا على مستأجرى ضياع القصر وقد عينت أربعة من المشرفين من المستأجرين للقصر ممن كانوا هناك ، وقد كانت تصرفاتى بما يتفق ورضا جلالته من ناحية تأمين الحراسة وتعبيد طريق الملك وشغل الوظائف التى تتطلب اللباقة ولما أقيمت دعوى سرا فى حريم الملك ضد الملك عينني جلالته لأستمع (للموضوع) وحدى دون أن يكون هناك أى وزير أو أى موظف .. بل أنا وحدى ؛ وذلك بسبب تفوقي ولكوني ثابتا في قلب جلالته ولأن لجلالته ثقة فى .. لقد كنت أنا الذى سجل الأمر كتابة وحدى مع قاض واحد . ثم ان وظيفتى كانت مشرفا على مستأجرى القصر . ولم يحدث من قبل ان مثلى سمع أسرار حريم الملك ولكن جلالته سمح لى أن أستمع اليها لأننى كنت ممتازا لدى قلب جلالته أكثر من أى موظف آخر من موظفيه وأكثر من أى نبيل من نبلائه وأكثر من أى خادم من خدمه .

وحين أراد جلالته أن يوقع العقوبة على الآسيويين والساكنين على الرمال جمع جلالته جيشا من عشرات الآلاف الكثيرة من كل (أرض) مصر العليا ، من الفنتين فى الجنوب الى مزينبيه (١) فى الشمال ، من مصر السفلى ، من جانبى البيت (٢) فى تمامها ، من سد جر ، ومن خن سجرو ، من نوبيى أرثى ومن نوبيى مدجا ومن نوبيى يام ومن نوبيى واواى ومن

(١) اسم أقصى مقاطعة فى شمال الصعيد التى تحمل رقم ٢٢

(٢) من الواضح ان هذا اصطلاح لجانبى الدلتا .

نوبيي كا آو ومن أرض التمحو(١) . وأرسلني جلالته على رأس هذا الجيش، وقد كان به أمراء وحاملو أختام ملك الوجه البحري وسمراء وحيدون من القصر وقواد ورءوس مدن الوجهين : القبلي والبحري ورؤساء تراجمة ورؤساء متنبئين لمصر العليا والسفلى ورؤساء ملحقات المعابد ... على رأس جيوش مصر العليا والسفلى والمدن والقرى التي يحكمونها والنوبيين من هذه البلاد الأجنبية ... كنت أنا قائدهم رغم ان وظيفتي لم تكن سوى وظيفة المشرف على مستأجري القصر ؛ لأنني كنت بحيث أستطيع أن أمنع الواحد من أن يتشاجر مع أخيه وأن أمنع أى واحد من أن يأخذ خبزا أو نعالا من المارة أو يغتصب نقبة من أية قرية وأن أمنع أيا منهم من اختلاس نعجة من الناس . وقد خرجت بهم سريعا من الجزيرة الشمالية ، بوابة أمحوتب ، وساق حورنب ماعه رغم انني كنت فى هذه الوظيفة .. هناك كشف لى عن عدد هذه الجيوش ، وهو أمر لم يكن يكشف عنه من قبل لأى خادم . وعند هذه المرحلة ينتقل النص الى رواية شعرية تمثل مظهرا مفردا فى النص :

عاد هـذا الجيش فى سـلام
بعـد أن خرب أرض ساكنى الرمال
عاد هـذا الجيش فى سـلام
بعـد أن اجتاح أرض ساكنى الرمال
عاد هـذا الجيش فى سـلام
بعـد أن دمر محلاتها المسورة
عاد هـذا الجيش فى سـلام
بعـد أن قطع تينها وكرومها
عاد هـذا الجيش فى سـلام
بعد أن أشعل النار فى كل بيوتهم الفاخرة
عاد هـذا الجيش فى سـلام
بعد أن ذبح عشرات الآلاف من رجال جيوشهم
عاد هـذا الجيش فى سـلام
بعد أن حمل معه جيوشا كثيرة العدد كأسرى

وقد نالنى من مديح جلالته من أجل ذلك أكثر من أى شىء .

وبعد هذه الرواية الشعرية يعود الى الرواية بالنثر فيتابع ونى القصة ويشير الى انه أوفد خمس مرات ليقضى على عصيان سكان الرمال . ثم يلى ذلك تقرير عن تمرد عند أنف الريم وهو اقليم يظن انه جبل كرمل،

---

(١) متكلمون بالسنة اجنبية ليقوموا بعمل المترجمين .

وقد عبر بجيوشه الى ماوراء منطقة التلال حتى شمال أرض سكان الرمال. بينما نصف الجيش يقترب على الطريق الصحراوى ، وقد عول ونى على أن يذبح كل المتمردين ....

عند هذه النقطة تنتقل رواية تاريخ حياة ونى كما يقدمها الى حكم مرنرع . وتعترضنا عند هذه النقطة مشكلة عسيرة . لقد رأينا ونى يشغل فى عهد تتى وظيفة صغيرة ، وقد قدمنا من قبل الدليل على أن حكم بيوبى الأول استغرق أكثر من خمسين عاما ، ولو سلمنا بأن مرنرع لم يعتل العرش الا بعد وفاة أبيه فان ونى كان يبلغ من العمر عندئذ أكثر من ستين عاما حين التحق بخدمة مولاه الجديد . وعلى أية حال فان مهاما تتطلب بذل الجهد والنشاط كانت فى انتظاره .. وهى مهام نرى انه من الصعب أن يعهد الى من كان فى سنه القيام بها ، وربما ذللت العقبة أو قضى عليها تماما لو أن بيوبى كان قد أشرك معه مرنرع فى الحكم بضع سنوات . ومن هنا كانت المهام تتم باسم أحدهما . ولقد كشف عن هذا الاشتراك فعلا. وان كان الدليل واهيا بعض الشيء – يبدو ان ونى لم يكن سوى أمين بالقصر وحامل نعل ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى رقى الى منصب حاكم مصر العليا وكرجل يشغل مثل هذه الوظيفة الضخمة التى تعنى ادارة النصف الجنوبى من مصر كان عليه أن يجمع الايرادات المستحقة وأن يباشر كل الأعمال التى تؤدى الى تحقيق هذا الهدف وقد قام بذلك مرتين قبل أن يوفد الى محجر بعيد فى نوبيا لاحضار تابوت وقمة هرمية نفيسة لهرم الملك . أما عن الفنتين فقد جاء بأبواب من الجرانيت الأحمر وأجزاء أخرى لنفس الأثر . وقد أنجز هذه الأعمال جميعا فى رحلة واحدة . ولنا أن نقدر ما بذل من جهد ولكنه تابع ذلك بالتوجه الى محاجر المرمر فى حتنوب حيث أمر أن تقطع من هناك مائدة قرابين ضخمة تطلب نقلها بناء سفينة طولها ستون ذراعا وعرضها ثلاثون ، ولقد كان ذلك عملا مذهلا أن ينهى هذه المهمة الهائلة فى ثلاثة أسابيع من الشهر الثالث من شهور الصيف حين كانت مياه النهر أقل ما تكون انخفاضا ، ومع ذلك فقد كان هناك عمل آخر ينتظره وهو شق خمس قنوات عند الجندل الأول لتيسير الملاحة ، وكذا بناء سبع سفن من خشب اللبخ الذى جمعه له رؤساء مختلف الجهات النوبية . ويبدو انه كان من العسير على ونى بعد هذه المهمة الطويلة التى تستحق التقدير أن يضطر الى أن ينسب كل هذا النجاح الى مقدرة وقوة عزيمة مولاه .. ولكن ربما كان لا يستطيع الوصول الى هذا المركز بغير صفات تحوى جرعة اضافية من الخنوع .

ويبدو من هذه الرواية أن مصر كان عليها أن تجابه صعوبات من

ناحية الشمال الشرقى أكثر من تلك التى تأتيها من ناحية الجنوب ٠ وحتى لو كان العدو يشار اليه هنا باصطلاح «حريوشع» ومعناه الحرفى « أولئك الذين فوق الرمال » فانه من الخطأ أن نتخيل انه يعنى فقط أولئـك الرحل الذين أضر بهم شظف العيش فى شبه جزيرة سيناء ، فرد مثل هؤلاء لا يتطلب جيشا من آلاف ، وما لم نغفل أمر التين والعنب ونعتبرهما كمجرد خيال فان جزءا معينا من جنوب فلسطين كان من غير شك داخلا فى نطاق العملية ، وربما كانت أكثر التخمينات قابلية للتصديق وهى ان ما وصف بعبارة لطيفة كأنما هو عصـيان وتمرد كان يتضمن فى الواقـع أول موجة من الضغط الآسيوى الذى أزعج مصر بعد ذلك بأكثر من مائة عام وكان تهديدا دائما لها طوال تاريخها ٠

وانه ليبدو من الطبيعى أن تكون العلاقات مع النوبة أكثر سلاما ، فالمزايا التى يمكن الحصول عليها من علاقات ودية كانت مزايا مشـتركة ذلك ان النوبة كانت مصدر سلع للترف قيمة ولا يمكن الحصول عليها من مكان آخر ٠ وكان النوبيون بدورهم يعتمدون كثيرا على جيرانهم الأكثر ثراء وحضارة ، وكانت الحبوب من أهم ما يسعون وراءه ، وان لم يرد لها ذكر فى المستند الوحيد الذى يشير الى ما جاء به المصريون معهم بقصـد التبادل وحيث ذكرت الأنواع المختلفة من زيت وعسل وملابس وقشانى ٠ وكل الأشـيـاء (١) ٠ ولم تطرأ فكرة استعمار النوبة السفلى فى أذهان المصريين الا متأخرة ٠ وقـد تقبلوا فى تعقـل الفنتين كحد جنوبى لهم مدركين ان المنطقة وراء الجنـدل الأول ليس مرغوبا فيهـا كممتلكات وأن حاجاتهم يمكن أن تسد عن طريق رحلات خاصة ـ وقد رأينا كيوبس من ملوك الأسرة الرابعة يطلب احضار الديوريت من محجر فى شمال غربى توشكا(٢) حيث عثر كذلك على مجمـوعة من خراطيش خلفائه ، ولـكن الصـمت الذى كان يلف كل هـذه المشروعات ظل قائمـا حتى الأسرة السادسة ٠ وفى مرسـوم لبيوبى الأول بمنح الحماية لأتبـاع هرمى سنوفرو(٣) نلتقى بفقرات متعددة تحرم التدخل معهم بوساطة «النوبيين المسالمين » وهو اصطلاح يظن انه يعنى رجال البوليس مثل المدجايو فى العصـور المتأخرة ٠ ونستطيع أن نستنتج من قول ونى انه استطاع أن يجد متطوعين لحملاته الآسيوية من بين مختلف القبـائل النوبية وكيف رحب هؤلاء بفرصة وجود عمل فى أرض كانوا يعدونها أنسب من أرضهم كما

(١) BAR I, § 366

(٢) PM, VII, 275

(٣) راجع ما جاء بصفحة ٩٥ ٠

هى الحال بالنسبة للبرابرة الذين يستخدمون فى مصر اليوم كطهاة وخدم وما الى ذلك (١) ٠

وقد زار مرنرع بشخصه اقليم الجندل الأول ليتقبل ولاء رؤساء مدجا وارثت وواواى (٢) ٠ وربما كان لايقدر لنا أن نعرف سوى القليل ـ الى جانب الحقائق السالفة الذكر ـ عن علاقات المصريين من عهد الأسرة السادسة بنوبيا،لولا النقوش التى أمر الأمراء الكثيرون المتعاقبون لـ «الفنتين» أن تنقش على جدران مقابرهم التى حفروها فى التلال الحجرية عند أسوان٠ وربما كان هؤلاء الأمراء أنفسهم نصف نوبيين ٠ وعلى أية حال فانهم كانوا يعرفون لغة أو لغات القبائل التى كان يطلب اليهم زيارتها ٠ كما يبدو كذلك انهم كانوا أكثر صلاحية للسفر الى الخارج من معظم النبلاء المصريين مادامت بوينى وببلوس تذكران كأماكن تردد عليها أحدهم (٣) ٠ بينما أرسل آخر (٤) الى « بلاد الاسيويين » ـ وربما كانت تقع فى مكان ما على شاطىء البحر الأحمر لاسترجاع جسد موظف مصرى ذبح مع كل رفاقه وهو يبنى سفينة لرحلة الى بوينى ٠ ومن المؤكد انه رغم العلاقات الطيبة المعتادة كان من الممكن أن تقوم بعض المتاعب الخطيرة فى نوبيا ، ونحن نعرف ذلك من ببى نخت الذى عرفنا من مقبرته الحادث الذى سلفت الاشارة اليه وسجله على هذه الصورة ٠

« أرسلنى جلالة مولاى لأسارع الى بلاد واواى وايرتى ، وقد تصرفت بما أرضى مولاى وذبحت عددا كبيرا منهم من أبناء الرؤساء وضباط الجيش الشجعان وأحضرت الى العاصمة من هناك عددا كبيرا من الأسرى وكنت على رأس مجموعة من الجنود الأقوياء الشجعان » ٠ وربما كانت أكثر نقوش أسوان تزويدا لنا بالأنباء هى النقوش التى نقلنا عنها الخطاب الخاص بالقزم الراقص (راجع صفحة ٧٦) وهى تبدأ بالطريقة المعتادة بالألقاب والنعوت للأمير رئيس التراجمة حرخوف ثم يلى ذلك(٥):

---

(١) هذه هى نظرة المؤلف لهم ، وان كان المصريون يرون فيهم اخوة تربطهم بهم رابطة الجنس والدين واللغة والآمال ، وهذه هى سياسة المستعمرين دائما حين يدسون السم فى الدسم ليثيروا بمثل هذه اللمحات العابرة ، التى قد تبدو بريئة سخائم النفوس والأحقاد ـ المترجم ٠٠

(٢) BAR, I, § 317

(٣) Op. cit., § 361

(٤) Op. cit., § 360

(٥) Op. cit., §, 333-6.

أرسلني جلالة مولاى مرنرع مع أبى الصديق الوحيد والكاهن المرتل أرى الى يام لأعبد الطريق الى هذه البلاد ، وقد أتممت هذا الأمر فى سبعة شهور وعدت من هناك بكل الهدايا العظيمة النادرة ونالنى المديح من جراء ذلك ، ثم أرسلني جلالته مرة ثانية بمفردى فخرجت على طريق الفنتين وعدت من أرتى ومخر وترروس وأرتيتى فى مدى ثمانية شهور ... عدت وحملت معى هدايا من هذه البلاد فى كميات ضخمة جدا لم يحدث أن جيء بمثلها من قبل ، وقد رجعت عن طريق مجاورات بيت رئيس زاتو وايرتى وفتحت بهذا طريقا الى هذه البلاد ، ولم يحدث أن تم هذا بالنسبة لأى سمير أو رئيس تراجمة ممن توجهوا الى يام من قبل – ثم أرسلني جلالته الى يام مرة ثالثة فخرجت من المقاطعة الثينية على طريق الواحات ووجدت رئيس يام قد ذهب الى أرض التمح ليضرب التمح فى ركن السماء الغربى فذهبت وراءه الى أرض التمح وأرضيته(١) حتى مدح الآلهة من أجل الملك (أرسلت رسولا ؟ ..) يام ... ليخبر جلالة مرنرع مولاى (اننى ذهبت الى أرض التمح) واننى أرضيت رئيس يام (عدت ؟..) فى الطرف الجنوبى من أرتى والطرف الشمالى من زاتو ، ووجدت رئيس أرتى ورئيس زاتو وواواى (هذه البلاد الثلاثة ؟) متحدين معا فى واحد وعدت ومعى ثلاثمائة حمار محملة بالبخور والأبنوس وزيت حنكووسات وجلود فهود وأنياب فيلة وبوميرانج (عصى رماية) وكل المنتجات العظيمة ، ولما رأى رئيس أرتى وزاتو وواواى كم هو قوى وعديد جيش يام الذى عاد معى الى العاصمة مع الجند الذين يصحبوننى بعث الى برسول وأعطانى ثيرانا ومعزا وقادنى فوق مرتفعات أرتى بسبب اليقظة التى أبديتها أكثر من أى سمير أو رئيس تراجمة ممن أرسلوا الى يام من قبل وحين أبحر الخادم المتضع شمالا الى العاصمة أمر خونى السمير الوحيد والمشرف على غرف الحمام المزدوجة أن يخرج للقائى ومعه سفن محملة بنبيذ البلح والكعك والخبز والجعة .

الامير حامل ختم ملك مصر السفلى ، السمير الوحيد ، الكاهن المرتل حامل ختم الاله أمين المهام (الملكية) حرخوف .

وقد ترجمت هذه الرواية (٢) التى تنتهى بالالقاب واسم صاحب

---

(١) أى : دفعت له بالكامل كل الأشياء الجميلة التى كان سينالها .

(٢) آخر من ناقش هذا الامر هو : E. Edel فى Aeg. Stud., pp. 51

المقبرة كاملة لتقدم فكرة أكبر عن أسلوب ومصاعب ما يعرف فى نقوش الدولة القديمة الخاصة برواية الاشخاص لتاريخ حياتهم ومنجزاتهم ولعل المشكلة الكبرى تكمن فى التعريف بالنواحى النوبية المختلفة التى يشار اليها ،فاين بصفة خاصة تقع يام ؟وهى نقطة النهاية فى رحلات حرخوف؟ لقد قام جدل طويل مثمر عن تحديد هذه البقعة التى وصفت بأنها تقع وراء الجندل الثانى ولكن من المستحيل أن نعتقد انها هى كرما التى تقع وراء الجندل الثالث والتى أصبحت فى خلال حكم الاسرة الثانية عشرة حامية معزولة فى قلب السودان ، أما عن الأماكن الأخرى فان واوات تمتد جنوبا من الجندل الأول الى مسافة كبيرة ، واما ارثى فقد تم تحديد مكانها بالقرب من توماس عند منتصف الطريق الى وادى حلفا ، واما مدجا التى ذكرها ونى ولم يذكرها حرخوف فتقع على مقربة من الجندل الثانى .

وقد حكم مرنرع أكثر بقليل من عشر سنوات قبل ان يخلفه أخوه نصف الشقيق ـ بيوبى الثانى ولابد ان الملك الجديد لم يكن سوى صبى اذ ذاك مادامت بردية تورين ومانيتو يتفقان على أنه حكم أكثر من تسعين عاما ، ويبدو أنه كان فى سنيه الاولى تحت وصاية أمه مادامت تذكر معه فى سجل حملة أرسلت الى سيناء فى السنة الرابعة (١) ، وهناك قطع من برديات من عصر متأخر(٢) ، تذكر كيف أنه ضبط وهو يقوم بزيارات سرية لواحد من قواده فى ظلام الليل وهى رواية تتفق مع روح هيرودوت وقد وقعت بعض أحداث المغامرات النوبية التى أشرنا اليها فى الصفحات السابقة فى عهده الذى لانعرف عنه الكثير رغم طوله ، ولقد كان لديه على أية حال كثير من الوقت ليكرسه لبناء هرمه فى جنوب سقارة الذى كان أكبر من أهرام أى من أسلافه المباشرين ، والذى يقدم بفضل الحفائر الممتازة التى قام بها G. Jéquier فكرة أحسن عن طبيعة المجموعة الهرمية فى الدولة القديمة من أى هرم من الاهرام المجاورة ، وفيما عدا ذلك نحس اننا لسنا بحاجة الا لنذكر مراسيم الاعفاء التى سلفت الاشارة اليها وكذا تاريخ حياة أمير من المقاطعة الثامنة أو الثانية عشرة من مقاطعات الصعيد يدعى زعو الذى يزهو بأنه استطاع أن يجهز لأبيه مدفنا فخما وان يسجل حصوله على تمويله من الملك(٣) ، وهى مادة

(١) PM. VII, 342.

(٢) Rev. d'Eg., XI, 119 ff.

(٣) BAR, I, § 380 ff.

لا تشبع المؤرخ على أية حال ، ولكن ما نقرؤه بين السطور في مثل هـذه النقوش جميعا يجعلنا نستشعر الانهيار التدريجي للملكية الذى يرجع جزئيا من غير شك الى ضعف قوة الحاكم نفسه ، وانا لنشـــهد بردية تورين تضيف ثمانية خلفاء قبل أن تصل بالمجموع الى ١٨١ سنة للفترة منذ عهد تتى ، ولم يحفظ لنا من اسماء خلفاء بيوبى الثانى سوى أربعة بينما لاتزيد مدة حكم خمسة من الثمـــانية الآخرين على أكثر من عشر سنوات ، وهكذا يبدو ان الاسرة الســادسة انتهت بمجمــوعة كاملة من الملوك الضعاف كان من الممكن أن نعدهم ضمن ملوك هذه الأسرة ، لولا ان مانيتو يفضل ان ينتهى بالاسرة عند نيتوكريس وهى ملكة جهدت ـ شأنها في ذلك شأن سبك نفرو آخر من حكم فى الأسرة الثانية عشرة ـ فى استخلاص عرش الفراعنة لنفسها ـ أما عن نيتوكريس هذه فيقول مانيتو انهـــا كانت « أنبل وأحب امرأة فى عصرها » وتنسب الى هيرودوتس (٢ : ١٠٠) الرواية الخاصة بانتحارها بعد انتقامها من بعض المصريين بسبب ذبحهم لأخيها كى يحلوها مكـــانه ، واما فى بردية تورين فان « نيتوقرتى » ـ هكذا كتب اسمها هنـــاك ـ فكانت الفرعون الثانى أو الثالث بعد بيوبى الثانى ، واذن فليس من شك فى وجودها من الناحية التاريخية ، ولكن من البعيد ان تكون هى الملكة نيت نفسها التى كشف جكييه عن هرمها فى سقارة (١) ، لأن هذه الملكة كانت كبرى بنات بيوبى الأول ، وكان من الممكن ان تكون احدى زوجات بيوبى الثانى عند بداية حكمه الطويل فقط ، واما مناقشة أمر بقية خلفاء بيوبى الثانى فنحتفظ بها للفصل التالى ، وكل مانريد قوله هنا عن نهاية الأسرة السادسة هى انه من الواضح ان مشاكل الاسرة بدت عقب موت الملك المسن مبـــاشرة وانه ـ كما هى الحال فى الأسرة الثانية عشرة ـ جاءت ملكة مباشرة مستغلة بذلك الموقف القائم ٠

انه من الواضح ان الانتصارات الفنية والمعمارية الضخمة فى الدولة القديمة لم تكن لتتم لولا ادارة قوية منظمة تنظيما دقيقا ، ولكن ادواتنا لاعادة بناء صور مناسبة غير كافية لسوء الحظ ، وقد قامت محاولات باسلة لنفث الحياة والحقيقة الى الالقاب التى تزخر بها المقابر ، ولكن يجب ان نعترف بأن النتائج ذات طبيعة مهزوزة جدا وسنحاول هنا ان نقدم فقط صورة عامة خالية من التفصيلات ترتكز على العقبات أكثر مما ترتكز على المكاسب الايجابية ، هناك عيب خطير هو أنه ـ حتى الأسرة

---

(١) G Jéquier, Les Pyramides des reines Neit et Apouit, Cairo 1933.

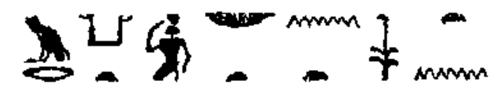
السادسة ـ ظل المصدر الوحيد تقريبا لمعلوماتنا هو المنطقة الممفية حيث كان البلاط ، رغم انه منذ ذلك الوقت بدأت مصر العليا تسهم اسهاما ضخما له قيمته . وقد ظلت الدلتا خلال خير جزء من تاريخ مصر صامتة صمتا مطرداً ، وهناك مؤثر هام هو آنه تزداد حيرتنا أمام الأهمية الحقيقية لازدواج الصــورة الذى يظهر فى مثل ألقاب « المشرف على الشــونتين » و « المشرف على غرفتى تزيين الملك » والتوضيح المعتاد هو ان هذه من بقايا الفترة التى تعقب مباشرة اتحاد مملكتى مصر العليا والسفلى وان كانت النظرية الجديدة التى ظهرت حديثا وانتشرت فى كل مكان هو أنه لم يكن هناك أبدا مثل هذا الاتحاد وان الازدواج موضوع التساؤل كان بدعة من خيال المصريين ترتكز على تكوين شديد الاختلاف لنصفى البلاد، ونحن نعتقد من جانبنا ان الايضاح السابق صحيح الى درجة كبيرة ، ولكن يبقى مع ذلك تساؤلنا عما اذا لم تكن هناك فى عهد الدولة القديمة ادارات مستقلة للشونة لكل من الدلتا والوادى ، وعما اذا لم يكن من واجبنا حقا ان نزعم قيام انفصال بين حكومات مصر العليا والسفلى ، انه يبدو على الأقل أنه لم يكن هناك تشــابه تام ، ولم يكن هنــاك تماثل دقيق بين نصفى البلاد ... كانت مصر العليا زراعية بالضرورة وكانت الدلتــا أراضى للمراعى ، وهناك ما يشــير الى أن الماشية كانت تساق بانتظام الى مراعى مصر السفلى لترعى هناك . ولكى نقدم مثلا للادارات المختلفة للأرضين نقدم لقب « امير شمعو » .

حاكم مصر العليا » وهو لقب لم يكن له نظير ـ فى الدولة القديمة على الأقل ـ فى الدلتا وان التقينا فى الدولة الوسطى فى مناسبات عدة بلقب « امير تامحو » أى حاكم مصر السفلى . وعلينا ان نعترف بجهلنا عن الفترة التى نشأت فيها هذه الوظيفة ، اما فيما يتصل بلقب حاكم مصر العليا ، فهناك صعوبات كثيرة ، وقد دار البحث ـ ربما عن حق ـ حول الرأى القائل بأن الوظيفة انشئت أول ما انشئت فى خلال الأسرة الخامسة لضمان جمع الضرائب من الاقاليم الجنوبية وكذا لايقاف السلطان المتزايد لنبلاء الاقاليم ، ولكن يبدو من المؤكد انه

قرابة نهاية الأسرة السادسة منح هذا اللقب غالبا لهؤلاء النبلاء أنفسهم كلقب تشريفي بحت أو هم اصطنعوه لأنفسهم كحق وراثي ، وقد دارت مناقشات كثيرة حول أي الحالات الفردية يمكن اعتبارها وكأنما تشير الى الوظائف الادارية الفعلية وايها لم تكن فيها التسمية أكثر من نعت شرفي ، ولكن الاحكام التي انتهت اليها هذه المناقشات بدت في أغلب الأمر بالغة التعسف ، وقد قامت مشكلة مماثلة فيما يتصل بلقب ، ربما كان أكثر أهمية يخص شخصية الوزير نفسه ، ذلك ان حامل لقب « تاتى taty » الذى يترجم بوزير كان فى كل عصور التاريخ المصرى أكثر موظفى الدولة قوة وهو الرجل الثانى فى الواقع بعد فرعون ٠ وكان الوزير فى الأسرة الرابعة بانتظام واحدا من الأمراء الملكيين ، ولكن الوظيفة انتقلت فيما بعد الى يد نبيل ، له قدرة فائقة بدأت تتحول معه الى وظيفة وراثية ، وحتى نصف قرن مضى كان يظن تماما ان الوزارة كانت لا تعقد الا لشخص واحد فى وقت واحد ، ولكن هذا الاعتقاد تم التخلى عنه بعد أن ظهر على نقش بالكرنك مؤرخ من عهد توثموزيس الثالث (الأسرة ١٨) يتناول بالذكر عدة وزراء لمصر العليا والسفلى ، وبعد جيل زودنا المعبد الجنازى ل « بيوبى » الثانى بصورةظهر انها تكشف عن مثل ذلك الأمر عند نهاية الأسرة السادسة ، وقد كشفت الدراسة المتعمقة عن وجود عدة أشخاص كانوا يحملون اللقب نفسه فى الوقت نفسه حتى أصبح من المسلم به الآن أنه كان يوجد بجوار وزيرين للوادى والدلتا آخرون منحوا أو انتحلوا اللقب فى صورة تشريفية ٠ بحتة ٠٠ ان الدليل يدعو ــ الى الارتباك ومع ذلك ، فاننا ننتقل الى الكلمة الأخيرة فى الموضوع ٠

ولسنا ندرى على وجه التحقيق كم من المهام التى تنسب للوزير فى التعداد الضخم الذى نلتقى به فى العديد من مقابر الأسرة الثامنة عشرة ٠ كم منها كان موجودا فى الدولة القديمة ومع ذلك فليس هناك ذكر للقب يشغل مكانا بارزا فى نعوت كل الوزراء الاقدمين الا وهو :

imy-r Kat nbt nt nsw



« امير كات نبت نت نسو » ــ « المشرف على كل أشغال الملك » . انه ليس من المعقول أن كثيرا من الوزراء أنفسهم كانوا معماريين مهرة ونحاتين مثل امحوتب ، ولكن كان من بين أعمالهم على الاقل تقديم أقصى عون مناسب ، واما ان الوزير كان القاضى الأعلى فاننا نستطيع ادراك ذلك من نقش ونى كما نراه ينعكس فى النعت الشائع «نبىماعة» (ماعه هى الهة الحق) وهو يفاخر بأن بابه مفتوح لكل الشاكين الذين كان من المعروف انهم يهتمون بأن يسمح لهم بشرح متاعبهم أكثر من أن تضمد جراحهم ويبدو ان كافة الأوامر الملكية كانت تمر بين يدى الوزير ليمارسها ويطبقها الكتاب فى ديوانه وكان هو الذى يبعث بالرسل يحملون الأوامر الى رؤساء المدن البعيدة والقرى ، وكانت السخرة والضرائب واجبة على الجميع الا حين يمنح الملك اعفاء لبعض أفراد الكهانة المحلية ، واما فيما يتصل بمختلف ادارات الدولة فاننا لا نعرف سوى القليل جدا ، ولكن هناك اشارات الى «البيوت» الستةالعظمى «حوتورت» التى تشير الى انه كانت هناك تفرقة صريحة بين مختلف الادارات .

ولسنا بحاجة الى ان نشير الى ان البلاط كان يتطلب تنوعا كثيرا للوظائف ، فمن بين رجال البلاط snyt شنيت «المحيطون بفرعون » . وكان أقرب المقربين هم أولئك الذين يسمون «سمرو smrw أى السمراء أو الاصدقاء ، وبجانب هؤلاء الذين وصلوا الى هذا المنصب بغير مؤهلات ، كان هناك آخرون ينالون التشريف بأن ينعت الواحد منهم بال « وحيد » أو « المحبوب الوحيد » وهناك شك فيما يتصل بالمعنى الأصلى للقب iry-h nzw « ايريخ نزو » الذى ترجم فيما بعد ب « المعروف من الملك » أو «أحد معارف الملك» ولكن يبدو أن الاصطلاح استخدم لأقارب فرعون الذين لميكونوا أبناء حقيقيين له ومن بين الموظفين الذين كان من واجبهم أنيرعوا شخص الملك من حملة النعال وحراس الأثواب والتيجان والحلاقين والأطباء وكان من بين الأخيرين متخصصون تخصصا دقيقا مثل أطباء العيون وأطباء المعدة وغيرهم وكان المطبخ وقاعة الطعام يزخران بجيش من الخدم يعملون

هناك ، كما كان هناك خدم من طبقة أرقى يقومون بحفظ النظام فى الموائد الملكية واما من بقى من هؤلاء فكان يوزعهم موظف خاص يحمـــل لقب hry wdb حرى ازب « ذلك الذى يشرف عى رجوع الهبة للواهب أو ورثتـــه ، وقد كان للملك كذلك من غير شـــك كتـابه الذين يسطرون خطاباته وأوامره التى كانت تختم فى حضرته ، اما الاحتفالات الدينية التى كان الملك محورا لها فقد كان لها ادارتها ، ونستطيع أن نذكر بهذه المناسبة هنا ال « خرى حبت » hry-hbt الكاهن المرتل » وحـــده ٠

أما ما قيل عن الميل لتحويل وظائف الدولة العليا الى وظائف وراثية فينطبق كذلك على من كانوا يشغلون وظائف أقل ، ولقد أصبح من أعز الامانى أن يستطيع المرء ان « يسلم وظيفته لابنه » وعلى كل المستويات فى الجهاز البيروقراطى كان أهم الأمور للسعى للترقية ، ومهمـــا يكن الطريق الذى يتم به ذلك الأمر فانه كان ينســـب، دائمـا الى رضا الملك وهناك كتابان عن الحكمة الدنيوية يقدمان النصح لبراعم البيرواقراطيين، ونستطيع ان نعرف منهما الكثير مما يتصل بالصفات اللازمة للنجاح فيما يســـند اليهم من مهام ، واحد الكتابين جزازة (١) ، ولكن أمثال الوزير بتاح حوتبه (٢) الذى عاش فى عصر ايزوزى من ملوك الأسرة الخامسة أصبحت مشهورة ، وكانت أولى الفضائل طاعة الوالد والرئيس والقدرة على حفظ اللسان فى كل المناسبات ثم ادب الحديث وحسن التصرف فى المجتمعات والأمانة فى أداء الرسالة والاتضــــاع الذى لا يقل كثيرا عن الخضوع ، ولئن كان لعمال الدولة القديمة المدنيين هذه الصفات فان هذا يفسر أسباب نجاح واحدة من أكثر الحضارات التى عرفها العالم حتى اليوم من ناحية التنظيم ٠

---

(١) JEA, XXXII, 71 ff

(١) Erman. Lit. pp. 54 ff.

مراجع مختارة

I. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, **Penguin Series**, London, 1947
J. - P. Laver, Le Problème des Pyramides d'Egypte, **Paris**, 1948.

الأسرة الثالثة :

الهرم المدرج **Edwards**, op. cit. **ch.** II

E. Drioton and J. - P. Laver, Sakkah, the Monument of Zoser 2nd. ed. **Cairo.** 1951

الهرم الجنوبى الغربى
M. Zakaria Goneim, Horus Sekhem-Knet, **Cairo,** 1957

زانخت **J. Garstang**, Mahasna and Bêt Khallâf, **London,** 1902

زاوية العريان **Edwards**, op. cit pp. 67-68

الأسرة الرابعة :

الهرم الأكبر :
W. M. F. Petrie, The Pyramids and Temples of Gizeh, **London**. 1883

قبر الملكة حتب حراس :
G. A. Reisner, A History of the Giza Necropolis vol. II, **Cambridge (Mass.)**, 1955 :

الهرم الثاني :
U. Hölscher, Das Grabdenkmal des Königs Chephren, **Leipzig**, 1912.

الهرم الثالث : **G. A. Reisner**, Mycerinus, **Cambridge, Mass.**, 1931.

وانظر كذلك فيما بعد
G. Jéquier, Le Mastabat Faraoun, **Cairo, 1928, p.** 9 **Fig.** 2

الأسرة الخامسة :

معبد الشمس لـ « ني اوسردع » :
F. W. von Bissing, Das Re-Heiligtum des Königs Ne-woser-Re 3 vols.

الأول بالاشتراك مع بورخارت ، برلين ١٩٠٥

الثاني والثالث بالاشتراك مع هـ. كيس ، ليبزج ١٩٢٣ ، ١٩٢٨

وكذلك Ann. Serv. LIII. 319 ff.

معبد الشمس ل « وسركاف » : Ann. Serv. LIV. 75 ff., 305 ff., LV. 73 ff.

اهرام « ساحورع » ، « نفرايركارع » ، « نى ادسر رع » : — ل. بورخارت وانظر كذلك « ونيس » هرم P.M. III, 73-78

W. Stevenson Smith, Art and Architecture, **Harmonds** worth, 1958. p.p. 75, 76 with p. 262, nn. 28, 28

الأسرة السادسة :

محراب بيوبى الأول فى بوباستس :

Labib Habachi, Tell Basta, **Cairo,** 1947, **pp.** 11 ff.

G. Jéquier, Le Monument funéraire de Pepi II, 3 vols., **Cairo,** 1936-1940

نص ونى : BAR. 1 §§ 291-4 ; 306-15 ; 319-24

وأحدث التراجم لجزء منه فى **ANET**, pp. 227 f.

فن العصر : **W. Stevenson Smith,** A History of Egyptian Sculpture and Painting in the Old Kingdom, **Oxford,** 1946

وكذا فى مجلده من مجموعة **Pelican** لعام ١٩٥٨

الادارة وغيرها :

W. Helck, Untersuchvngen zu den Beamtentiteln des ägyptischen alten Reichs, **Glückstadt,** 1954

M. A. Murray, Index of Names and Titles of the Old Kingdom, **London,** 1908

R. Weill, Les Décrets royaux de l'ancien empire égyptien, **Paris, 1912**

وتوجد النصوص كذلك فى Urk. 1, 280 ff.

٦ قيام وسقوط الدولة الوسطى

يبدو ان مانيتو ـ أو على الأصح مانيتو الذى نعرفه ممن اقتبسوا عنه ـ متعثر عند الحديث عن العصر الوسيط الأول ، أو العصر الذى يفصل ما بين الأسرتين : السادسة والثانية عشرة ، وتضم أسرته السابعة سبعين ملكا من منفيس حكموا مدى سبعين يوما ، وكانت أسرته الثامنة كذلك ممفية وتضم سبعة وعشرين ملكا و١٤٦ عاما للحكم • أما الأسرتان التاسعة والعاشرة فهما من هيراكليوبوليس (أى من أهناسيا) ـ وبكل منهما تسعة عشر ملكا ومجموع كلى قدره ٥٩٤ سنة وأما الأسرة الحادية عشرة ف «ديوسبوليتية» أو من أصل طيبى وعدة ملوكها ستة عشر ملكا بعدد تافه من السنين لايعدو ثلاثة وأربعين عاما •••• هذا هو الملخص الذى يقدمه افريكانوس ـ اما الارقام التى يقدمها يوسبيوس فهى أقل جموحا الى الخيال نسبيا ، ولكنها كذلك لاتوحى بالكثير من الاطمئنان اليها كذلك • ففى طول هذه المرحلة الزمنية لا نلتقى بغير اسم ملك واحد هو اختويس الذى يوضع فى الاسرة الحادية عشرة ـ وتشير اليه المصادر كأنما هو أكثر قسوة من كل اسلافه ولكن كان مصيره فى النهاية ان أصيب بالخبل وافترسه تمساح • ويمكن أن نقارن بوضوح هذه الجذاذة من التاريخ الكاذب بالاساطير التى رويناها متصلة بكيوبس وبيوبى الثانى ونيتوكريس ، ومع ذلك فان وجود اختويس ليس موضع شك ••• ورغم كل المثالب فان صاحبنا مانيتو يقدم هيكلا تتفق معه ثمار البحث تماما كما سنرى من وراء تعداد خمس مراحل مترتبة بعضها على بعض سنتناولها بالمناقشة تفصيلا :

١ ـ التحليل السريع للنظام الممفى القديم الذى تبع الحكم الطويل لـ « بيوبى » الثانى •

٢ ـ اراقة الدماء والفوضى الناجمة عن انهيار الملكية ثم الصراع بين السادة الاقطاعيين الاقليميين أو « أصحاب المقاطعات » واحتمال الاثارة كذلك بسبب تسرب الاسيويين الى الدلتا •

٣ ـ قيام فرع جديد من الفراعنة على رأسه اختوى (هو اختويس عند مانيتو) متخذين من هراكليوبوليس عاصمة لهم •

٤ – التزايد المطرد فى الاهمية لطيبية تحت امرة اسرة نشطة من الامراء الحربيين كان يحمل الاربعـــة الاوائل منهم لقب انيوتف (انتف فى كتب التاريخ القديمة عن مصر) ويحمل الثلاثة الباقون لقب منتوحتبة (مونتوحوتب) ·

٥ – الحرب الأهليـــة مع الهيراكليوبوليتانيين التى برز خلالهـــا منتوحتبة الأول منتصرا وأعاد توحيـــد الأرضين ومهد الطريق للدولة الوسطى – التى تبدأ بالملك امنمس الأول أحد حكام مصر العظام جميعا (الأسرة ١٢) ·

١ – تحدثنا فى الفصل السابق عن الخلفاء الثمانية الضعاف للملك بيوبى الثانى الذى شهدناه يحـــدد فى بردية تورين نهـــاية الاسرة السادسة · واما فى قائمة ابيدوس فيشغل مكان هؤلاء ملوك آخرون عدتهم ثمانية عشر ملكا على الاقل سابقين للقفزة الكبرى عند آخر ملوك الاسرة الحادية عشرة ، وانه ليس من السهل ان نخفى أيا من الاسماء التى تقدمها قائمة الملوك فى ابيدوس وكذا الاسماء الاربعة الموجودة فى تورين ، ولكنه يبدو أن الخرطوش الرابع من النهاية يقدم لقب «ايبى» الموجود فى جزازة تورين والذى كشف جكييه عن هرمه القليل الاهمية فى ســقارة (١) وأما وجـود لقب نفركارع – الذى كان اســما للملك بيوبى الثانى – اما ككل أو كجزء فى ألقاب ستة من الأسماء التى تقدمها ابيدوس فان ذلك يبين مدى احساس تماسك هؤلاء الحكام الصغار بأكثر فراعين الأسرة السادسة توقيرا واحتراما ولكن لعل أوضح دليل على قصر أمد سلطانهم نص كشف عنـــه ريموند فيبى فى كوبتوس (قفط) عام ١٩١٠ – ١٩١١ (٢) ، فتحت انقاض مبنى من العصر الرومانى عثر على عدد من المراسيم مرتبة فى عناية ، وهى منحوتة بالهيروغليفية على الواح من الحجر الجيرى وبعضها يرجع الى حكم بيوبى الثانى ومعظمها تستهدف حماية معبد مين وكهنته من التدخل ومن السخرة وكان من بينها حوالى ثمانية صدرت فى يوم واحد من العام الأول من حكم ملك يدعى نفر كاوحور وهو الملك قبل الاخير فى مجموعـــة قائمة ابيدوس – وكانت المراسيم موجهة فى كل حالة الى الوزير شماى وكان كل امر ملكى يتصل اما به مباشرة أو بواحد من أفراد أسرته ، وأحد هذه المراسيم يثبته فى وزارته فى كل المقاطعات الاثنين والعشرين لمصر العليا ، بينما يسجل آخر تعيين

---

(١) La pyramide d'Aba, Cairo 1936

(٢) PM, V, 126 f.

ابنه « ايدى » فى وظيفة حاكم لمصر العليا على المقاطعات السبع الجنوبية ، وهناك مرسوم ثالث يعطى الأولوية لزوجة شماى المدعوة « نبيه » (١) على جميع النساء الأخريات وتلقب هذه السيدة « الابنة الكبرى للملك » وربما كان من بين المراسيم مرسوم رابع اكثر استرعاء للانتباه يتصل بعمل الاستعدادات الكبيرة للعبادة الجنازية لكل من الزوجين فى كل معابد البلاد ، وليس فى واحد من هذه المراسيم ما يشير من قريب أو من بعيد الى القلق أو الى الاضطراب السياسى ، وان استطعنا ان نخرج منها باللهفة اليائسة من جانب الملك لاسترضاء عظيم معين من العظماء الاقوياء فى مصر العليا ٠

٢ ـ ومن ثم فاننا نفترض أن كل مدد الحكم التى تتصل بالأسرتين : السابعة والثامنة لدى مانيتو ضغطت فى مرحلة ازمنية قصيرة نسبيا ربما لا تزيد على ربع قرن ، اذا كان من المستحيل أن نقرر فى أية لحظة معينة حدوث الاضطراب الخطير ، ولو أن حدوثه أمر لا شك فيه ، وهناك ما يدعو الى الظن بأن الفوضى ظلت قائمة بصفة مستمرة أو متقطعة حتى الاسرة الحادية عشرة ٠ أنها صورة ثورة حقيقية انطبعت فى أعجب وأهم بردية من الادب المصرى الذى استطاع أن يبقى رغم مخاطر الايام ، ولا ترجع هذه البردية الشديدة البلى والمحفوظة فى مجموعة ليدن الى ما قبل الأسرة الثامنة عشرة ٠ ولكن حالة البلاد التى تناولتها بالوصف لا يمكن أن تكون من وصف خيال قصاص أو راوية ولا هى تصلح لان توضع فى أى مكان من التاريخ المصرى سوى الفترة اللاحقة لنهاية الدولة القديمة أما المقدمة فضائعة لسوء الحظ ، وقد فقد معها كذلك تسجيل الظروف التى دفعت المتحدث الى القاء موعظته ، وهناك فى أول الامر مجموعة كبيرة من الفقرات المختصرة تصور حالة الدمار والغزو التى سقطت البلاد فريسة لها نتيجة عدوان مغامرين منحطى الأصول وأسيويين يشقون طريقهم الى الدلتا ، وتكفى بضعة أمثلة لتصوير روح ومادة الرواية ٠

حامل القوس مستعد ٠ فاعل الشر فى كل مكان ٠ ليس هناك رجل الامس ٠ يخرج الرجل ليحرث وهو يحمل درعه ٠ الأخ يضرب أخاه والام ابنها ، الرجال يكمنون بين الاعشاب المرتفعة حتى يتقدم المسافر ليلا ليسلبوه مايحمل ٠ اللص يمتلك ثروات ٠ صناديق الابنوس قضت ٠ اللبخ الثمين شق الى نصفين !

واما ماتجيش به الصدور عامة فيعكسه وصف حالتى الغنى والفقر :

Ann. Serv., LV, 17 (١)

ان من كان لا يملك متاعا أصبح اليوم ذا ثراء • الفقير يملأ جوانحه السرور : ان كل مدينة تقول لنكبت الاقوياء بيننا • ان من كان لا يمتلك نيرا أصبحت له قطعان ، ذوو الملابس الثمينة يسيرون اليوم فى الأسمال • الذهب واللازورد ، الفضة والفيروز مربوطة الى اعناق الاماء • الاماء لهن حرية اطلاق السنتهن • ان تكلمت مولاتهن فان ذلك يضيق به الخدم • أطفال الأمراء يدفعون الى الجدران •

هذه الفقرات التى اخترناها عفوا تستطيع فى الواقع أن تعكس صورة لما آلت اليه الأرستقراطية المنهارة ، ولكن هناك غيرها تصف الاضطراب السياسى لتلك الايام ، والعبث بالقانون والقضاء على الوظائف العامة والوثائق التى لايستطاع تأويلها على الوجه الذى يرونه ، بل يبدو كذلك أن ذات الملك نالها من العنف ما نالها • وان كانت الجملة التى يظهر فيها ذلك قد فسرت تفسيرا لا يعول عليه تماما • وهناك أكثر أهمية من ذلك فقرات قليلة تؤكد الدور الذى لعبه الاجانب بحيث اختزلت مصر الحقيقة الى مصر العليا فقط ، وقد ذكرت بهذه المناسبة الفنتين وثنيس بالذات ــ وتلى الصفحات الكثيرة للنواح الملء بالحنين دعوى الى التقوى والتأمل الدينى ــ وهذه هى الصفحات التى منحت هذه القطع عن حق عنوان « تحذيرات حكيم مصرى » التى يعرف بها المؤلف جميعه ــ وقد اختلفت الآراء بصدد الطريقة التى يستطاع بها فهم بقية أجزاء الكتاب وقد ظن البعض انه قد يستطيع أن يلتقى باشارة الى بيوبى الثانى الذى مات فى أرذل العمر وخلفه طفل أصغر من أن يكون ذا حنكة ، ولكن هذه الاحداث ــ ان أشير اليها حقا ــ فانها كانت ماضيا بالنسبة للكاتب ــ وأما الملك الذى يهيل ايبوور على رأسه اللوم من جراء ضعفه وتراخيه فربما كان من بين آخر فرع للملوك الممفيين •• ومهما يكن من أمر فانه لا نزاع فى أصالة وصدق بردية ليدن من حيث هى وصف لمصر فى العهد الوسيط الأول ، وهنا ــ لأول مرة فى تاريخ الآداب المصرية ــ يتردد نغم التشاؤم الميئس الذى شاع بين كتاب القرون التالية حتى حين لم يعد هناك ما يؤيده من الظروف القائمة •

وهكذا فان علينا أن نصور لأنفسنا المملكة الممفية وهى تضعف تدريجيا حتى لا تعود تستطيع أن تضمن ولاء حكام الاقاليم فى أعالى الصعيد • أما الانباء المباشرة من الدلتا فقد توقفت تماما كما توقف سعى البعثات الى سينا وراء الفيروز ، ولم تستأنف نشاطها حتى اقتراب الأسرة الثانية عشرة ــ ولئن كان خاتم اسطوانى خشن المظهر يحمل

خرطوش خندى (١) ! وكذلك جعل (٢) اسم تررو يستطاع نسبتهما الى الملكين اللذين يحملان الاسم فى قائمة أبيدوس فان فى هذا دلالة على أنهـــما كانا يجب أن يهتما بالمهـارة الســـورية حتى بالنسبة الى مثل هذه الأشياء التافهة • ويبدو ان الامور كانت بالغة السوء وعدم الاستقرار فى أقصى الجنوب ، ولدينا ذكر عرضى لملك يدعى نفركارع ورد فى مقبرة صخرية فى المعلى على مبعدة عشرين ميلا الى جنوب الاقصر يمكن أن يحدد نقش صاحبها عنخ تيفى بين أوائل وثائق ذلك العصر • ـــ كان «عنخ تيفى» الرئيس الأكبر (حاكم الاقليم) لمقـاطعة نخن ، وهى المقـاطعة الثالثة من مقاطعات مصر العليـا التى كانت عاصمتها هيراقونبوليس مقـــابل الكاب • وهو يروى لنا كيف ان حورس رب ادفو اله المقاطعة التالية الى الجنوب (المقاطعة رقم ٢) أمره أن يقر النظام فيها مما دعاه الى اصطناع الرئاسة ثم هدأ الاقليم حتى ان الرجل كان يحتضـــن قاتل أبيـــه أو أخيه ، وهناك كثير من الأحداث التى تشير الى بسالة عنخ تيفى واقدامه يرويها فى جمل موجزة تتخلل النعوت التى تمتدح فضائله ، وأما عن قوته المحاربة الرئيسية فقد كان لديه « جيش حفاى الباسل » وحفـاى هذه تعنى المعلى نفسها أو مدينة لا تبعد عنها كثيرا • وهناك كذلك حديث عن مناوشات بين هذه القـوة وبين طيبة وكوبتوس (قفط) التى هاجم جيشاهما معـا قلاع أرمنت • واشارات عنخ تيفى الى نجـاحه الحربى غامضة غموضا كبيرا ولكن ، ان صدقنا ما يرويه فانه استطاع أن يبعث الذعر فى نفوس الاهلين فى شرق وغرب طيبة حتى ان كل الاحداث التى نتناولها هنا فى عصر سابق لأسرةانيوتف كانت بحيث استطاعت أن تؤمن لها سيادة منيعة • ولعل أبرز من كل هذه الاشارات الى أعمال الشجاعة ما تكرر ذكره عن سنى المجاعة التى يزعم عنخ تيفى انه أمد خلالها مدنا أخرى الى جانب مدينته بالهبات والقروض من القمح ، وقد امتدت دائرة نشاط أعماله الخيرة الى الشمال حتى دندره،ولسنا فى حاجة الى أن نتقبل فى جدية القول بأن « الجنوب كله كان يموت جوعا وكان كل رجل يئد أطفاله » ومع ذلك فان نقوشا معاصرة لأمراء معاصرين تقريبا تتناول جميعها الحاجة الى الجنوب وهى حاجة قد نستطيع أن نحدس بأنها راجعة الى استحالة الزراعة المستقرة كما ترجع الى سنين متتابعة فى الفيضان المنخفض وقد نلاحظ هنا أن الحالة المؤسية لمصر العليـا تنعكس بوضوح

---

(١) JEA, XII, 92

(٢) Petrie, Scarabs, pl. 10, 7 - 10

فى خشـونة وقبح جهودها الفنية ٠٠ حقـا ان الحضارة المصرية كانت فى الحضيض ٠

٣ ـ أما فيمايتصل بنشأة«بيت اختوى»فيحيط بها الكثير منالغموض وتقع مدينة هرقليوبوليس فى نفس منطقة المدينة الحالية اهناسية المدينة وعلى الضفة الغربية من النهر مقابل بنى سويف على مبعدة ٥٥ ميلا الى جنوب منف ، ولم يبق لنا لخاف واحد دليلا محليا ليكشف عن أهميتها السابقة ولكن وصف مانيتو لأسرتيه : التاسعة والعاشرة بأنهما من هراكليوبوليس ينهض كذلك دليلا من ناحية أخرى على هذه الاهمية ٠ وأما فيما يتصل بالملك « اختويس » فهناك على الأقل ثلاثة ملوك احتفظوا لأنفسهم بهـــذا اللقب فى الخرطوش الثانى لهم ٠ أما الملك ـ الذى نظن أنه أولهم ، فقد كان لقبه الحوريسى « مرى ايب تووى » (المحبوب من قلب الارضين) ولم يتردد ـ تأكيدا لدعواه ـ أن يظهر نفسه بألقاب فرعونية كاملة ، ولابد أنه كانت له صفات شخصية غير عادية استطاعت أن ترتفع به الى هـذا المستوى العالى ، وليس لدينا مما يؤكد وجوده سوى موقد نحاسى فى اللوفر وعصا للتوكؤ من الأبنوس عثر عليهما فى مير ثم أشياء أخرى قليلة عديمة الأهمية (١) وهناك اختوى آخر يلقب ب « واح كارع » عرفناه عن طريق تابوت دقيق الزخرف عثر عليه فى البرشا يبدو أن خراطيشــه كتبت عليه فى مكان اسم صاحب التابوت الأصلى وهو مندوب خراج يدعى نفرى (٢) ٠ وهناك كذلك ملك يحمل اللقب نفســه هو اختـوى نب كاورع نعرفه عن طريق ثقل ميزان من حفائر بيترى فى الرطابة (٣) وبورود اسمه فى واحدة من الأعمال القصصية المصرية القليلة التى بقيت لنا كاملة وهى تروى قصة فلاح من الواحة المتاخمة لوادى النطرون كان قد اغتصب حماره كما اغتصبت بضائعه وهو فى الطريق الى هراكليوبوليس ولكنه قذف بشكاواه الى مولى السارق فى فصاحة دفعت الى احتجازه حتى تتـم كتابة توسلاته وعتبه ولومه وسبابه كى يدخل السرور الى نفس الملك ٠

وقد سجلت فى بردية تورين أصلا أسماء مالا يقل عن ثمانية عشر ملكا ينتسبون الى الاسرة المالكة نفسها وكل منها مسبوقا ب «نفرع كارع» (أنظر ما سبق قوله) أما الالقاب المتصلة بالاسم فمهشـمة أو لا يمكن تحديدها ، أو ضائعة ٠ ونسـتطيع أن نجد فى بعض مقابر أسيوط لمحات

(١) Gauthier, LR, I, 204, Ann., Serv. X, 185 Hayes, Scepter I, p. 143.
(٢) Ree, Trav. XXIX, 90 - 92
(٣) Op. cit., XL, 186.

تلقى أضــــواء صادقة على العصر الهيراكليوبوليتاني والنقوش فى هــذه المقابر الثلاث أفسدها العيبان التوأمان اللذان كانا دائما آفة لكثير من وثائقنا الهيروغليفية ألا وهما الفراغ الضخم فى النص ثم معلوماتنا التى لا تزال غير مستوفاة فى اللغة المصرية ، ومع ذلك فان ما تقدمه من معلومات يلقى أضواء هامة ؛ فأقدم أصحاب هذه المقابر الثلاث لم يكن ليستبقى لقبه اختوى لو لم يكن شريكا فى الرواية الهركليوبوليتانية ، اذ يبدو أنه قضى شبابه فى هدوء نسبى فهو يروى انه تعلم السباحة مع أبناء الملك ثم عين حاكما اقليميا وهو لا يزال رضيعا لا يعدو ذراعا فى الارتفاع ورغم انه يذكر انه جند فصيلة من الجند الا ان أهم ما يفخر به من أعمال هــو مشروعات الرى وتشجيع الزراعة وهو ينهى روايته بقوله : « شـــكرت هراكليوبوليس الاله بسببى » وهى طريقة المصريين فى التعبير عن العرفان بالجميل • وفى ثانى أقدم المقابر نلتقى بالأمير تفيبى يزهو بسبب يده الطولى التى لا تعرف التحيز واحساس الأمن الذى يضفيه جنوده •

« حين يحل الليل ــ كان أولئك الذين ينامون على الطريق يمتدحوننى ــ كانوا كأنما يرقدون فى بيوتهم » وفى الوقت نفســـه كانت مقاطعات الجنوب دائمة التحرك وربما كان ذلك تحت امرة أحد أفراد أسرة الأنيوتف الاقدمين • ويروى تفيبى انه دخل معهم فى صدام ولسنا نشك فى نجاحه وان كانت انصاف السطور التى تروى النتيجة من بين أكثر القصص غموضا فى رواية يحوطها الغموض من كل جانب ولكننا نجد فى مقبرة ابنه ــ وهو مرة أخرى اختوى ــ بيانا واضحا للحرب الأهلية ويرد فى هذا النص ذكر لملك هرقليوبوليتانى يدعى مرى كارع مرتين وهو ملك سنسمع عنه كثيرا فيما بعد ــ أما الامير اختوى الذى يوجه إليه الحديث بتعبير المخاطب لسبب لا نستطيع تفسيره فينسب اليه أنه حرض الملك نفسه على التوجه جنوبا •

« أضاء السماء ، الأرض كلها معه ، جاء أمراء مصر العليا وأقطـــاب هرقليوبوليس ــاقليم سيدة الأرضــ ليدفعوا العدوان ، ارتعدت الأرض•• انطلق الناس هاربين ••• المدن •• والخوف يشل أعضاءهم •• مشرعو البيت العظيم يحتويهم الذعر من هرقليوبوليس • أما المقربون فيظهــرون احترامهم لها •

ويبدو أن أسطول الملك وصل الى شاسحوتب ، وهى مدينة تقع الى جنوب أسيوط بقليل ، قبل أن يعود بين مظاهر الفرح الى عاصمته ، وليس من شك فى أن الملك مرى كارع أمر ــ اظهارا للشكر من أجل مثل هــذا التوفيق الكبير ــ باجراء اصلاحات ضخمة فى معبد وب واوة الاله ابن آوى

لاسيوط ولئن كانت هناك ناحية فى مصر هادئة نسبيا خلال هذه الايام العصيبة فانها كانت بغير شك المنطقة الواقعة بين ممفيس وطيبة • وقد قدمت لنا جبانات كثيرة فى المقاطعات الوسطى مثل بنى حسن (١) واخميم (٢) معدات جنزية تنم عن الثراء النسبى ، وليست هناك توابيت من هذه الفترة أمكن الكشف عنها أجمل من توابيت البرشا (٣) ، وقد كانت فى هذه المرحلة مكان الدفن ل « الأمراء العظام لاقليم الأرنب » (المقاطعة ١٥ من مقاطعات مصر العليا) وكانت قاعدة الحكم بها« خمون » التى عرفت فيما بعد بهرموبوليس وهى الأشمونين الحالية ـ وكانت قد قامت هناك أسرة جديدة من الامراء الاقوياء حلوا محل حكام أقاليم الدولة القديمة التى كانت مقابرهم تقع فى الشيخ سعيد الى الجنوب قليلا وكانت هذه النواحى تقع داخل نطاق المملكة الهراكليوبوليتانية ولكن دليلا جديدا وصل الينا يشير الى أن ولاء حكامهم لقضية الشماليين كان أقل منأن يبدو خالصا تماما • وتخلو جدران المقابر من أية اشارات للتوفيق أو التوسط ولكن مثل هذه الاشارات نجدها فى محاجر المرمر فى حتنوب التى تبعد قليلا فى الصحراء الشرقية حيث عثر هناك على عدد كبير من الكتابات بالحبر لا تهيل النعوت المليئة بالزلفى على الحكام الاقليميين فحسب بل نجدها تصحب أسماءهم بصيغ التمنيات مثل « ألا فليعش الى الأبد » أو « حماية الحياة تحيط به مثل رع الى الأبد » وهى صيغ عهدناها من قبل ومن بعد فى أماكن أخرى مقصورة على الفراعين وحدهم ـ ولعل أعجب من هذا أن هذه الكتابات مؤرخة بسنى الحكم لا للملوك المعاصرين بل للأمراء المحليين أنفسهم وهناك نصان ولعلهما من أقدم هذه الكتابات يسجلان العامين : الثلاثين والعشرين للحكم على التوالى • وهذه اشارة مؤكدة الى أنهم لم تلحقهم لعنة الاضطرابات التى حلت بالامراء الأبعد جنوبا حيث قدر للمملكتين المتنافستين أن تلتقيا فى نهاية الامر فى معركة • ومن الامور الشديدة التناقض أن هذه الكتابات تسجل الولاء ل « بيت الملك » وان كان اسم الملك قد طمس بعناية فيما عدا حالة واحدة ذكر فيها نكرة يدعى « مرى حتحور » • وعلى أية حال فيجب ألا نتخيل ان العبارات التى تتضمن المديح خلت تماما من الاشارة الى العصيان وسفك الدماء • فهناك مثلا أمير يشير الى حرب مع مواطنيه (٤) وان كانت التعبيرات مبهمة

---

(١) PM, IV, 141 ff.
(٢) Op. cit., V, 17 ff.
(٣) Op. cit., IV, 177 ff.
(٤) رقم ١٦

كالمعتاد بحيث لا نستطيع تفهم مرماها — وهناك كذلك تناقض واضح يجعلنا فى حيرة كاملة لا نستطيع معها أن نقدم رأيا ثابتا كالحال مثلا مع قائد سفينة كان يعيش فى ظل أمير يدعى « نحرى » يروى لنا انه أوفد فى مهام تتصل بالملك جنوبا حتى الى الفنتين وشمالا حتى مناقع البردى فى الدلتا (١) . وهى مهام خطيرة من المستحيل من غير شك أن تتم فى مثل الظروف السياسية التى كانت تمر بها البلاد اذ ذاك .

بقى لدينا ان نخص بالذكر نصا أدبيا ربما كان يستطيع أن يلقى ضوءا أكثر على مظهر معين يخص السيادة الهيراكليوبوليتانية أكثر من كل ما قدمنا من أدلة أخرى مجتمعة ، لولا أنه وصل الينا فى حالة يرثى لها من التمزق والقدم ، والنص فى ثلاث برديات : الأولى فى ليننجراد والثانية فى موسكو والثالثة فى كوبنهاجن ويرجع تاريخها جميعا الى حوالى نهاية الاسرة الثامنة عشرة وهى جميعا معقدة بسبب الفجوات والغموض من كل نوع . والنص عبارة عن كتاب يحوى النصائح الحكيمة موجهة الى الملك مرى كارع الذى تعرفنا عليه فى مقابر أسيوط ، أما اسم الأب فمفقود ، ولكنه ربما كان أختوى وان لم يكن أول من يحملون اللقب !! وربما لو كان بقى لنا الجزء الاول ،وكان أكثر تماسكا وحفظا لكان أهمها جميعا ما دام يقدم النصح بأنه من الأفضل حسن معاملة الموالى العنيدين الذين يستمتعون بشعبية ملحوظة ، ويضغط النص على القدرة على الكلام الطيب المقنع ثم يوصى بشدة بتقليد النماذج القديمة ومع ذلك فمن المرغوب فيه التطلع للمستقبل وهى مسحة من الخلق كان يفاخر بها بخاصة نبلاء العصر : من الخير أن نجامل الأثرياء لأنهم أقل قبولا للرشوة والفساد من الفقراء ، العدل والعطف على المظلوم ضروريان جدا مادام سيأتى يوم المحاكمة بعد الموت حيث يجازى المرء على أعماله مهما بعدت شقتها فى ماضيه ، تجنيد شباب الجند والهبات من حقول وماشية . احتياط يتسم بالرصانة ، ومع ذلك فليس هناك أهم من الخدمة الموقرة للآلهة وتشييد المبانى تمجيدا لهم .

وانه لما يدعو للأسف أن الأجزاء التى تضم الأحداث المعينة هى الأكثر غموضا وانا لنرى أن بعض الدارسين الذين استخدموها فى ثقة كبيرة تجاوزوا أحيانا ما يسمح به من الناحية اللغوية ومع ذلك فان دعوى الناصح الملكى اتخاذه ل «ثنيس» كأنما هى «مطر شديد قصير المدى» لم تجانب الصواب من الناحية اللفظية . وعلى أية حال فانه يبدو أنه عبر فى الفقرة نفسها عن أسفه للتخريب الذى حدث بسببه لما كان يعد دائما أقدس

---

(١) رقم ١٤ .

اقليم فى مصر قاطبة ـ ومع ذلك فيظهر أن توغل الهيراكليوبوليتانيين جنوبا أعقبته فترة هدوء مؤقتة بين الطرفين المتنازعين ما دام قد ورد فى النص « أنت فى سلام مع الجنوب ، الحمالون يأتونك بالهدايا ٠٠ الجرانيت الأحمر (من أسوان) يأتيك دون عقبات ٠ ولكن لعل ما نراه أكثر تعقيدا هو الفقرة التى تتصل بعلاقات مرى كارع بالدلتا والآسيويين المتبربرين فى الشرق ، وهناك اشارة الى دد ـ اسوى (١) وهى المنطقة الواقعة حول هرم تتى فى سقارة ، ويلاحظ أن ذكر هذا الموقع بالذات حيث كرس كهنة كثيرون للعبادة الجنزية لهذا الحاكم الهيروكليوبوليتانى نفسه يؤكد انه دفن هناك وان كان لم يعثر على هرمه اطلاقا ٠ وقد سلفت (صفحة ٥٣ ترجمة فقرة تصف طبيعة الآسيويين وتكشف عن أن مريكارع كان على علاقة قريبة بهم ، وينتهى الكتاب بالحث على الجد ، مع التأكيد المشدد على مسئوليات الملكية والتحذير من ان الاله ، وان كانت قوته مخبوءة ، الا انه يدير مصاير البشر ؛ لأنه هو الخالق للجميع والحكم بينهم ، وأخيرا نلتقى بالكلمات، «هاك اننى تحدثت اليك بخيرة أفكارى الكامنة ، ضعها ثابتة أمام وجهك » ٠

٤ ـ لم تكن طيبة ـ وهى التى أصبحت فيما بعد العاصمة الجنوبية والتالية فى الاهمية لمنف بين مدن مصر ـ لم تكن فى عهد الدولة القديمة أكثر من قرية عديمة الأهمية على الضفة الشرقية للنيل ٠ والواقع انها ربما كانت فى هذه المرحلة أصغر أربع مدن صغيرة تضمها المقاطعة الرابعة لمصر العليا ، أما المدن الاخرى فهى الطود على بعد عشرين ميلا الى الجنوب الشرقى ، وهرمونتس (ارمنت) مقابل الطود عبر النهر ، و «مدامود» الى شمال طيبة بالقرب من الصحراء الشرقية ، وقد أكدت المدن الأربع جميعا عبادة الاله المحارب ذى رأس الصقر مونتيو (مونتو) فأقامت فى النهاية معابد فخمة تمجيدا له ، ولسنا ندرى كيف استطاعت طيبة أو ـ ويسه كما تسمى بالمصرية ـ أن تتقدم صاحباتها سريعا ، ولكن ربما كان العامل الحاسم فى ذلك هو جمال موقعها ؛ لأننا قد نطيل البحث طويلا فى البلاد كى نصل الى مثل ما يحيط بها من مناظر رائعة ٠ وتقع الصحراء الغربية على بعد ليس بكثير وراء الحقول ويشرف عليها جبل القرنة العالى الذى تقوم من تحته تلال صغيرة تسمح بشق مقابر صخرية لا نظير لها ، والى الشمال فى مقابل معبد مونت بالكرنك تقريبا يدور خانق طويل ضيق فى الجبال هو خانق « بيبان الملوك » (مقابر الملوك) الذى استغل ملوك الدولة الحديثة طرفه فى شق مدافن خفية لهم ، وعلى بعد ميل الى الجنوب

---

(١) J.E.A., I, 32, 11 N. 1.

يوجد التجويف الاكثر قصرا واتساعا والذى يفصل بين القــرنة وذراع «أبو النجا» وهو المسمى بالدير البحرى وهو تسمية منقولة عن دير قبطى كان قائما هناك ، ويؤدى الى قمة راسية ذات ضخامة لا توصف (لوحة ٩) وعلى الضفة الشرقية توجد مساحة واسعة من الحقول الخضراء تكشف من بعيد عن خط من التلال ترتفع الشمس من ورائها بكل بهائها ، ولكن جاذبية طيبة اليوم بالنسبة للسائح الحديث يعلى من قيمتها يسر الوصول اليها وحسن صيانة آثارها وهى مزايا نلتقى بها فى الاهرام وما يحيط بها من مساطب ولكننا للأسف نفتقدها فى المناطق المجاورة لمنف ٠

ومن بين المجموعة الضخمة من المقابر المنثورة بين بيوت قرية قرنة الحديثة لا نلتقى بغير ثلاث فقط ترجع الى عهد الدولة القديمة ، ومن بينها واحدة فقط تخص « الرئيس الاكبر للمقاطعة » وهى ضئيلة الشــأن صغيرة بحيث توحى بأن صاحبها كان شخصية قليلة الاهمية ، وان الجيش الذى رأينا (صفحة ١٣٠) عنخ تيفى صاحب المعلى يغير به على الاقليم حول أرمنت ووراءها يقوى الفكرة من أن الاقليم الطيبى لم يبدأ فى أخذ زمام القيادة بين مقاطعات الجنوب الا بعد فترة طويلة نسبيا ، وكان أول من قام بهذا الامر من غير شك نبيل عرف فيما بعد باسم « أنيوتف الاكبر» المولود من « ايكو » وهو يوصف فى لوحة أخرى بأنه « أمير بالوراثة » ولقد كان من الواضح مؤسسا لسلسلة من الملوك يعرفون لدينا باسم الاسرة الحادية عشرة وهو الامير نفسه بالوراثة « انيــوتف » الذى نلتقى به فى الحصر الغير واضح للملوك الذين يحملون هذا اللقب والمذكورين فى جدول الكرنك صفحة ٦٧ وهنــاك ثلاثة لوحات يمكن أن تعد وثائق معــاصرة لهذا الأمير وعلى اثنتين منها يوصف هو ــ أو آخر يحمل اللقب نفسه ــ بأنه « الرئيس الأعلى لمصر العليا » واما على الثالثة فهو « الرئيس الاعــلى للمقاطعة الطيبية » ولكن لعله يبدو من الأكثر بساطة أن نفترض وجــود سلف واحد فقط يحمل اللقب ، ومهما يكن من أمر فان لنا ان نصــور لأنفسنا « انيوتف عا » (انيوتف العظيم) الذى استطاع أن يخضــع نواحى الجنوب وراء حدود اقليمه وان لم يجرؤ على انتحال الملكية ٠

ولم يترك أول انيوتف غير لقبه داخل خرطوشه آثارا معاصرة ، واذا غضضنا النظر عند ذكره المشكوك فيه فى قائمة الكرنك فانه لايعرف الا عن طريق نقش هام من عهد نب حبت رع منتوحتبة كشف عنه فى معبد طود (١) ــ ويرى هــذا الملك هنا وهو يقدم القرابين الى مونت ، وتقف

(١) Bull, Inst, fr. XXVI, 101 ff.

من خلفه الالهة المحلية تيننتي ومن ورائها ثلاثة ملوك هم من المؤكد اسلاف منتوحتبة المباشرون فى نظام معكوس ، وكل منهم يحمل داخل خرطوش اللقب والاسم « ابن الشمس انيوتف » ولكنهم يميزون فى كتلة أعلى باختلاف ألقابهم الحوريسية : (١) مفقود (٢) واح عنخ (٣) سهرتووى . وهكذا فان سهرتووى « مهدىء الأرضين » كان أول انيوتف ملكى ، وهو اما ابن من نسل الأمير الوراثى صاحب اللقب نفسه ويظن ونلوك (١) - وربما كان على صواب - أنه صاحب المقبرة الشمالية من مجموعة المقابر الثلاث الكبرى ذات الطراز الخاص التى كشف عنها فى السهل على خط وهمى بين معبد مونت فى الكرنك والفتحة المؤدية الى مقابر الملوك، وتسمى هذه المقابر ب « الصف » ؛ لأن لها مداخل تجعلها تبدو كأنما هى محاطة بأروقة من ثلاث نواح ، وربما كانت هذه هى مدافن الثلاثة أنيوتف الاوائل مادام من المؤكد أن أحدها - ربما الأوسط - يخص ال « حورس واح عنخ انيوتف الثانى » ومن المصادفة العجيبة ان هناك اشارة الى هذا الأمر فى بردية ترجع الى عهد رمسيس التاسع (حوالى ١١١٥ ق.م) تصف دورة التفتيش الرسمية لفحص المقابر الملكية التى كان يخشى من أن يكون لصوص المقابر (٢) قد عبثوا بها ، ويقول النص :

المقبرة الهرم للملك سى رع ان عو الذى يقع الى شمال بيت امنحوتبه للحوش والذى انهار هرمه فوقه ولوحته موضوعة أمامه ، وصورة الملك تظهره واقفا على اللوحة ومعه كلبه المسمى « بحكا » بين قدميه .. فحص اليوم ووجد سليما .

وقد وجد مارييت الجزء الاسفل من هذه اللوحة نفسها فى عام ١٨٦٠ ولم يكن مرسوما عليها كلب واحد بل خمسة كلاب ومن سوء الحظ انها تركت لأهل الناحية فنالها من التهشيم ما نالها ومع ذلك فان ما بقى بها من نقوش له أهمية كبرى ذلك ان واح عنخ يروى انه بعد أن أقام أو رمم عددا من المعابد أرسى حدوده الشمالية فى المقاطعة العاشرة عن مقاطعات مصر العليا أو المقاطعة الافروديتوبولية ، ثم هو يتابع القول بأنه استولى على اقليم ابيدوس كله وفتح أبواب معاقلها ، ومما يؤكد اتساع الرقعة التى كان يحكمها ما تسجله الآثار التى خلفها عدد من الموظفين فى اقليمه ولعل

(١) AJSL, XXXII, I ff., وكذا . Winlock, Rise, p. II

(٢) انظر فيما بعد صفحة ٣٢٨ .

يوجد التجويف الاكثر قصرا واتساعا والذى يفصل بين القــرنة وذراع «أبو النجا» وهو المسمى بالدير البحرى وهو تسمية منقولة عن دير قبطى كان قائما هناك ، ويؤدى الى قمة راسية ذات ضخامة لا توصف (لوحة ٩) وعلى الضفة الشرقية توجد مساحة واسعة من الحقول الخضراء تكشف من بعيد عن خط من التلال ترتفع الشمس من ورائها بكل بهائها ، ولكن جاذبية طيبة اليوم بالنسبة للسائح الحديث يعلى من قيمتها يسر الوصول اليها وحسن صيانة آثارها وهى مزايا نلتقى بها فى الاهرام وما يحيط بها من مساطب ولكننا للأسف نفتقدها فى المناطق المجاورة لمنف ٠

ومن بين المجموعة الضخمة من المقابر المنثورة بين بيوت قرية قرنة الحديثة لا نلتقى بغير ثلاث فقط ترجع الى عهد الدولة القديمة ، ومن بينها واحدة فقط تخص « الرئيس الاكبر للمقاطعة » وهى ضئيلة الشــأن صغيرة بحيث توحى بأن صاحبها كان شخصية قليلة الاهمية ، وان الجيش الذى رأينا (صفحة ١٣٠) عنخ تيفى صاحب المعلى يغير به على الاقليم حول أرمنت ووراءها يقوى الفكرة من أن الاقليم الطيبى لم يبدأ فى أخذ زمام القيادة بين مقاطعات الجنوب الا بعد فترة طويلة نسبيا ، وكان أول من قام بهذا الامر من غير شك نبيل عرف فيما بعد باسم « أنيوتف الاكبر» المولود من « ايكو » وهو يوصف فى لوحة أخرى بأنه « أمير بالوراثة » ولقد كان من الواضح مؤسسا لسلسلة من الملوك يعرفون لدينا باسم الاسرة الحادية عشرة وهو الامير نفسه بالوراثة « انيــوتف » الذى نلتقى به فى الحصر الغير واضح للملوك الذين يحملون هذا اللقب والمذكورين فى جدول الكرنك صفحة ٦٧ وهنــاك ثلاثة لوحات يمكن أن تعد وثائق معــاصرة لهذا الأمير وعلى اثنتين منها يوصف هو – أو آخر يحمل اللقب نفسه – بأنه « الرئيس الأعلى لمصر العليا » واما على الثالثة فهو « الرئيس الاعــلى للمقاطعة الطيبية » ولكن لعله يبدو من الأكثر بساطة أن نفترض وجــود سلف واحد فقط يحمل اللقب ، ومهما يكن من أمر فان لنا ان نصــور لأنفسنا « انيوتف عا » (انيوتف العظيم) الذى استطاع أن يخضــع نواحى الجنوب وراء حدود اقليمه وان لم يجرؤ على انتحال الملكية ٠

ولم يترك أول انيوتف غير لقبه داخل خرطوشه آثارا معاصرة ، واذا غضضنا النظر عند ذكره المشكوك فيه فى قائمة الكرنك فانه لايعرف الا عن طريق نقش هام من عهد نب، حبت رع منتوحتبة كشف عنه فى معبد طود (١) – ويرى هــذا الملك هنا وهو يقدم القرابين الى مونت ، وتقف

(١) Bull, Inst, fr. XXVI, 101 ff.

من خلفه الالهة المحلية تيننتي ومن ورائها ثلاثة ملوك هم من المؤكد اسلاف منتوحتبة المباشرون فى نظام معكوس ، وكل منهم يحمل داخل خرطوش اللقب والاسم « ابن الشمس انيوتف » ولكنهم يميزون فى كتلة أعــلى باختلاف ألقابهم الحوريسية : (١) مفقود (٢) واح عنخ (٣) سهرتووى .
وهكذا فان سهرتووى « مهدىء الأرضين » كان أول انيوتف ملكى ، وهو اما ابن من نسل الأمير الوراثى صاحب اللقب نفسه ويظن ونلوك (١) - وربما كان على صواب - أنه صاحب المقبرة الشمالية من مجموعة المقابر الثلاث الكبرى ذات الطراز الخاص التى كشف عنها فى السهل على خط وهمى بين معبد مونت فى الكرنك والفتحة المؤدية الى مقابر الملوك، وتسمى هذه المقـابر ب « الصف » ؛ لأن لها مداخل تجعلها تبدو كانما هى محاطة بأروقة من ثلاث نواح ، وربما كانت هذه هى مدافن الثلاثة أنيوتف الاوائل مادام من المؤكد أن أحدها - ربما الأوسط - يخص ال « حورس واح عنخ انيوتف الثانى » ومن المصادفة العجيبة ان هناك اشارة الى هذا الأمر فى بردية ترجع الى عهد رمسيس التاسع (حوالى ١١١٥ ق٠م) تصف دورة التفتيش الراسمية لفحص المقابر الملكية التى كان يخشى من أن يكون لصـــوص المقابر (٢) قد عبثوا بها ، ويقول النص :

المقبرة الهرم للملك سى رع ان عو الذى يقع الى شمال بيت امنحوتبه للحوش والذى انهار هرمه فوقه ولوحته موضوعة أمامه ، وصورة الملك تظهره واقفا على اللوحة ومعه كلبه المسمى « بحكا » بين قدميه .. فحص اليوم ووجد سليما .

وقد وجد ماريت الجزء الاسفل من هذه اللوحة نفسها فى عــام ١٨٦٠ ولم يكن مرسوما عليها كلب واحد بل خمسة كلاب ومن سوء الحظ انها تركت لأهل الناحية فنالها من التهشيم ما نالها ومع ذلك فان ما بقى بها من نقوش له أهمية كبرى ذلك ان واح عنخ يروى انه بعد أن أقام أو رمم عددا من المعابد أرسى حدوده الشمالية فى المقاطعة العاشرة عن مقاطعات مصر العليا أو المقاطعة الافروديتوبولية ، ثم هو يتابع القول بأنه استولى على اقليم ابيدوس كله وفتح أبواب معاقلها ، ومما يؤكد اتساع الرقعة التى كان يحكمها ما تسجله الآثار التى خلفها عدد من الموظفين فى اقليمه ولعل

---

(١) AJSL, XXXII, 1 ff., وكذا Winlock, Rise, p. 11 .

(٢) انظر فيما بعد صفحة ٣٢٨ .

أجملها ما تحمل اسم حامل الختم المدعو تيتى (١) الذى يفخر أكثر ما يفخر ـ كما يعبر عن ذلك فى عبارات شديدة المبالغة ـ بأنه عهد اليه فى ادارة الثروة الواسعة التى جيء بها لمولاه لا من مصر العليا والسفلى فقط بل كجزية من رؤساء بلاد الصحراء كذلك . وتحدثنا لوحة واح عنخ الجنزية نفسها انها أقيمت فى العام الخمسين من حكمه . وتشير مدة الحكم هذه ـ كما تشير نقوش مماثلة لأمراء مقاطعة الارنب فى حتنوب ـ ان الامور كانت هادئة فى الارض التى تقع تحت سلطانه على الاقل ، وهـــذا أمر مناسب لخبرة الصناع بطبيعة الحال ، وانه لمن الطريف أن ندرك أن نحاتى النقوش فى طيبة قد تطوروا بطرازهـــم الفردى الذى لا بأس به وبخاصة فى صور العـــلامات الهيروغليفية وعلى أية حال فان هذه المهارة الفنية تتمشى خطوة خطوة مع ركاكة كثيرة على لوحات أخرى مما يدل على ان احياء الثقافة لم يكن قد وصل بعد الى مرحلة الثقة بالنفس .

ولم يتردد واح عنخ نفسه أو خلفاؤه طويلا فى استخدام اللقب «ملك مصر العليا والسفلى» رغم انه كان يجب أن تمر بضع سنوات قبل أن يطابق الواقع . وكان الملك التالى سى رع انيوتف آخر من اصطنع لنفسه اللقب الحوريسى الذى يعنى « قوى ، سيد البداية الطيبة » (نخت نب تب نوفه) (٢) ، ومما يستحق الذكر هنا ان مثل هذه الألقاب المخترعة عن قصد غالبا لها دلالة أكبر من أن تكون خاصة بهم ولئن لم يسجلوا وقائع تاريخية فانهم قد يجسدون على الأقل طموحا .. وسنشـــهد أمثلة من الامكانيتين قبل نهاية هذا الفصل ـ أما انيوتف الثالث فكان آخـــر واحد يحمل هذا اللقب لبضعة قرون وكل مايعرف عن أعماله أنه رمم المقبرة الصخرية فى أسوان لامير مؤله هو حقا ايب .

٥ ـ تبع انيوتف الثـالث أول فرعون من سلسلة الفراعين الذين استبدلوا لقب العائلة انيتوتف بلقب منتوحتبه وهو يعنى «مونت راض» وقد كان للاله المحلى أن يكون راضيا حقا ذلك أن مدة حكم منتوحتبـــه الأول الطويلة التى تبلغ أحدى وخمسين سنة شهدت ـ بعد سنين طوال من الصراع ـ اعادة اتحاد مصر تحت سلطان حاكم مفرد ، والواقع أن شخصية هذا الملك العظيم لم تبدأ فى الخروج الى النور من الظلام الذى كان يلفها الا حديثا نسبيا . ونحن ندين بهذا الى شتوك الذى توصل لمعرفة

---

(١) JEA, XVII, 55 ff.

(٢) Mitt, Kairo XIV, 44 - 47

ثلاثة ألقاب منفصلة كانت تنسب من قبل الى ثلاثة من الفراعين مختلفين يحملون جميعا لقب منتحوتبه تخص فى الواقع ملكا واحدا فقط ويعكس كل لقب من الالقاب مرحلة مختلفة من حياته العملية (١) • والواقع ان مثل هذا التغيير الاساسى فى الالقاب فريد فى نوعه تقريبا فى الحوليات الفرعونية ولكن يحمل على تصديقه الاحداث الخطيرة الشأن التى يعكسها ففى بداية حكم منتحوتبه الأول ـ شأنه فى هذا شـــأن الحكام الاوائل لأسرته ـ اكتفى باسم ورضى أن يطلق عليـــه « الحورس » سعنخ ايب تووى (الذى يجعل قلب الأرضين يعيش) وقد يعنى هذا « ذلك الذى يحيى آمالهم • وهناك لوحة فى المتحف البريطانى تعد واحدة من الآثار القليلة التى تسجل هذا المظهر ، وهى تشير الى أنه فى السنة الرابعـة عشرة من حكمه ثارت ثنيس وربما اســتهدفت بذلك أن تعطى الاشارة لتقدم الملك شمالا • وفى المظهر التالى أضاف منتحوتبه اسم نب حبت رع الى كنيته (لقبه العائلى) واستخدم فى الوقت نفسه اللقب الحوريسى نب حدج الذى يعنى « سيد التاج الأبيض » ويحتمل أن هذا كان يقصد به الدلالة الآن على سيطرته التامة على مصر العليا،ولم يصل الينا أى شىء مؤرخ من هذه الفترة ، ولكن اللقب الحوريسى هنا يروى قصته ، ومنذ العـام التاسع والثلاثين ـ وربما قبـــل ذلك بفترة لا بأس بها ـ بدل اللقب الحوريسى الى « سام تاووى » (موحد الارضين) بينما ظل الاسم يقرأ « نب حبت رع » وان كتب بعلامة المجداف بدلا من أن يكتب بعلامة غير معروفة تماما لهذا الشكل وقد أدت هذه الحقيقـة الاخيرة الى الاسم النهائى الذى قرىء خطأ « نب خرورع » ونسب الى منتحوتبه آخر يختلف عن الاثنين اللذين حملا اللقب السالف الذكر ، واذا نبذنا هذا الخطأ فانه بدلا من الخمس منتحوتبة المتميزين الذين يعدهم معظم المؤرخين فى الاسرة الحادية عشرة سنعترف هنا بثلاثة فقط •

ولسنا نعرف شيئا محددا تماما عن الحملات التى اســتطاع عن طريقها منتـحوتبه الاول استعادة التـــاج المزدوج ووضع بذلك نهـــاية للفوضى الداخلية التى أفسحت المجال فى نهاية الامر الى قيـــام ممالك منفصلة فى الشمال والجنوب ـ ولقد كشف ونلوك عن مقبرة فى طيبة تضم جثثا ليست لأقل من ستين جنديا ذبحوا من غير شك فى معركة على مسافة لا تبعد كثيرا عن العاصمة ـ وربما كان الامر محتاجا الى

(١) Op. cit., XIV, 42 ff.

خوض المعارك في الجنوب والشمال على السواء ، وهناك نقش صخرى هام فى الوادى الصغير المعروف بشط الرجال على بعد ميلين وراء جبل السلسلة يظهر فيه منتحوتبه الأول مصحوبا لا بخازنه اختوى فقط بل كذلك بأمه « يوعج » وأبيه « انيوتف الثالث » ونقرأ بالقرب منهم أسماء رجال حاشيته · وربما كانت هذه الزيارة التى أرخت بالعام التاسع والثلاثين مجرد حدث فى تقدم ملكى يزمع أن يمارس سلطانه وقد نقش جندى فى الصخر عند ابيسكو (١) على مسافة قصيرة وراء الجندل الأول معلومات تشير الى أنه صحب مولاه الملكى فى حملة ربما وصلت الى وادى حلفا ـ والواقع أن دور نوبيا فى الفترة السالفة الذكر شديد الغموض ، فهناك ذكر لملك هو وادج ـ كارع قرن فى تردد بواحد يحمل نفس الاسم أشير اليه فى مرسوم كوبتوس (٢) (قفط) ثم هناك اشارات كثيرة الى انيوتف الذى زود نفسه بألقاب ملكية كاملة (٣) ولكن لامكان له فى الاسرة الحادية عشرة كما نعرفها من مصر نفسها · انه لمن الصعب أن نعلل نموذج جيش النوبيين المتطوعين الذى عثر عليه فى مقبرة فى أسيوط (لوحة ١٠) (٤) كما انه من الصعب كذلك تعليل الاشارة فى حتنوب لرجال المدجا والواواى بين أتباع أمير المقاطعة الهرموبوليتانية (٥) ، ومن ثم فانه يبدو أن فرقة الجنود النوبيين كانت فى خدمة الاتحاد الهيرقليوبوليتانى ·

ونحن ندين للجندى الذى خلد وجوده فى ابيسكو بمعلومات أكثر عن الملك نب حيت رع أى منتحوتبه الأول ، فى مظهره الثالث « استولى على الأرض كلها وأقدم على ذبح أسيويى دجاتى » ولا بد أن أمر تهدئة الأرض كلها تم قبل العام السادس والأربعين اذ أن هناك لوحة فى تورين (٦) من ذلك التاريخ تحدثنا بأن « تقدما طيبا تم بسبب منح الاله مونتو الأرضين للملك نب حبت رع » وقبل انتهاء الحكم أصبح من الممكن كذلك لحامل ختم الهى يدعى اختوى من أن يذهب فى رحلة واسعة النطاق الى الخارج وأن يعود بكثير من المعادن والأشجار الثمينة من مختلف الأنواع ، ولكن هذا كله كان يتضمن صراعا أكثر نجاحا مع المواطنين(٧)

(١) Säve Söderbergh p. 58

(٢) Op. cit., p. 43

(٣) Op. cit., p. 47

(٤) Op. cit., p. 50 f.

(٥) Anthes Nos. 16, 25

(٦) L. Klebs, Reliefs und malerei des mittleren reichs, Heidelberg, 1922, p. 22 fg. 14.

(٧)

فملك قوى مثل هذا لم يكن ليستطيع أن يقنع بمجرد مقبرة « صف » مثل أسلافه ، ومن أجل ذلك فان الموقع الذى اختاره لضريحه كان فجوة محدودة بالقنن العالية فى الدير البحرى » (لوحة ٩) • والواقع أنه من المستحيل أن نتصور جوا محيطا له تأثير على النفس أكثر من ذلك ، وهناك ما يشير الى أنه حدثت هنا ـ كما هى الحال فى أغلب عصور التاريخ المصرى ـ تغييرات فى الخطة قبل أن يستقر الرأى نهائيا على الأثر الجنازى الفخم ويوضع موضع التنفيذ ، وليس أقل المظاهر المحوطة بالغموض حجرة الدفن التى نصل اليها بممر منحدر وهى المعروفة بباب الحصان والتى كانت تحوى ـ حين كشف عنها هوارد كارتر ـ تابوتا فارغا وصندوقا يحمل اسم منحوتبه الأول ثم تمثالا ملفوفا بالكتان الرقيق ، وليس أقل غموضا تلك الهياكل الستة لسيدات البلاط من ملكات ومحظيات التى ضمنت واختفت جزئيا فى جسم الحائط الخلفى للممشى ، وكانت بكل هيكل بئر خاصة به تؤدى الى حجرة دفن تحوى تابوتا عنى بزخرفته زخرفة دقيقة ، وقد عثر هنا على عناصر لقب نب حبت رع الذى يعد أول الصور استنتاجا من مكان وجوده ، وأما عن معبد منتحوتبه الاول الذى صممه معماريوه ليخلدوا شهرته ، والذى كشف عنه نافيل وهول ، فلم يبق منه الا القليل ليشير الى عظمته الأصلية ، ولقد امتزج فيه معا التراث والتجديد فى أجمل طراز وكما هى الحال فى أهرام الدولة القديمة كان هناك طريق صاعد من الوادى ولكن مسحة جديدة أضيفت اليه وهى وجود حرش من أشجار الطرفاء والجميز تمتد حتى تصل الى جانبى الطرف الداخلى للبهو الكبير ، وكان هناك منحدر يقطع صفا أدنى من أعمدة مربعة الشكل يذكرنا بصف المقابر ويؤدى الى شرفة لها أعمدة مماثلة فى الواجهة والجانبين • وكانت هناك بوابة توصل الى بهو مغطى ، فى نهايته قاعدة متينة تحمل هرما متناسق النسب ، وهناك الى الغرب ـ محفورا فى الجبل ـ يوجد حوش أضيق ينتهى بصالة ثانية ومحراب دقيق ، وهكذا فان المبنى الذى خلق بهذه الصورة كان من الممكن أن يظل فريدا فى نوعه لولا مبنى آخر أكثر روعة وتأثيرا فى النفس قامت بتشييده الملكة حاشبسوه من الأسرة الثامنة عشرة فى المكان نفسه مقلدة الأفكار هنا ومتطورة بها ، وربما يرجع توقير نب حبت رع مدى قرون طويلة تالية بوصفه حاميا لجبانة طيبة بسبب هذا الرمز المرئى لروعته وفخامته أكثر مما هو بسبب انتصاراته ؛ ومع ذلك فانه كذلك أول ملك منذ الأسرة الثامنة قررت أحقيته لمكان فى قائمتى ملوك ابيدوس وسقارة • وتزخر جنبات معبده الجنزى بمقابر حاشيته • وقد تابع الحفر فيها ونلوك باسم متحف متروبوليتان فى

نيويورك ، فهنا مثلا دفن الوزير اييى والخازن اختوى الذى لا ينسى ولكن ربما كان أكثر اثارة للاهتمام أمر الكشف فى احدى المقابر عن نماذج غريبة تمثل ما يمارسه الناس من نشاط فى الحيـاة اليومية من نسج وصناعة جعة وتعداد ماشية وهى تعرض حيـاة العصر فى وضـوح قد يفوق مناظر النقوش التى قامت بتعريفنا بحضارة مصر القديمة فى واقعية لا نظير لها من أى عصر سالف ٠

ويمكن أن يعتبر منتحوتبه خاتمة لمرحلة العصر الوسيط الأول ـ وعلينا عند معالجة هذا العصر معالجته وكأنما يضم خمس مراحل متداخلة وترجع استحالة الحصـــول على صورة متماسكة الى مدى هـــذا التداخل المجهـــول والى عدم الوثوق من طول المراحل المختلفة ، وقد قامت عـــدة محـــاولات تخطت معظمها حدود ما تقدمه الوثائق ولســـنا ندرى كم مر من الزمن بين الأسرات الممفية الشاردة الأخيرة وبين العصر الذى بدأت عرقليوبوليس ترفع رأسها خلاله ولسنا ندرى كذلك شيئا عن تاريخ ثابت ل عنخ تيفى فى المعلى ٠ ويحيط الغموض كذلك بمركز مرى كارع وان كانت العظات الموجهة اليه تربطه بالحرب المدنية التى نلقى وصفا لها فى أسيوط ٠ وربما يقدم المدعو دجارى الذى كان يعيش فى عهـــد واح عنخ انيوتف الثانى معبرا لثلاث من المراحل حين يقول انه « حارب مع بيت اختوى فى غرب ثنيس » وعلى ذلك فان الصراع الذى نحن بصدده ربما لم يكن هو الذى جاء ذكره فى العظات (التعليمات) نفسها ، وان اصطلاح بيت اختوى بالغ الابهام ٠ أن العقدة الحقيقية فى المسألة عقـــدة تأريخية ، ولئن اتفقت معظم الآراء الحديثة على تقدير الفترة من نيتوكريس الى نهاية حكم منتحوتبه بمائتين الى مائتين وخمسين عاما فان هذا ليس أكثر من مجرد تقـــدير يقـــوم على الحدس (١) أما بردية تورين فلا تقدم لنا عونا فى هذا الصدد ؛ لأن مجموع مدد حكم الملوك الثمانى عشر للأسرات الهيرقليوبوليتانية وخلفائهم ضائع ، ويبدو أن هناك تجاهلا لامكان وجود تداخل فى الاسرة الحادية عشرة ٠

ولم يكن يبدو قرابة خاتمة الحكم المجيد ل « منتحوتبه الأول » أن هناك ما يوحى بأن سلطان الأسرة كان يقترب من النهاية ومع ذلك فان الأمر كان كذلك ٠ ان بردية تورين تقدم ل «سعنخ كارع منتحوتبه الثانى» اثنى عشر عاما كمدة حكم ولكنها تجعل منه ـ وان كان هذا غير صحيح

---

(١) انظر صفحة ٨٤ ٠ 67

تماما ـ آخر ملوك الأسرة الحادية عشرة ، وبالمثل نجد فى قائمتى ملوك ابيدوس وسقارة أن سعنخ كارع هو السلف المباشر ل « سحتب ايب رع امنمس الاول» مؤسس الأسرة الثانية عشرة وما يعرف لدينا باسم الدولة الوسطى ، وهناك كتل مبعثرة عليها نقوش عثر عليها فى مدن من الوجه القبلى تشـــير الى أن سعنخ كارع كان دائب النشاط فى اقامة المعــابد والهياكل ، وهناك نص طويل نقش فى العام الثامن من حكمه على صخور وادى الحمامات يروى كيف أن أحد رجاله المدعو « حنو » أرسل الى هناك ليقتطع أحجارا لتماثيل تقام فى هذه المبانى المقدسة (١) ويروى « حنو » كيف خرج من كوبتوس (قفط) وتحت امرته ثلاثة آلاف جندى مجهزين بعد أن طهرت قوة بوليســه الطريق أمامهم من العصـــاة · وقد حفر فى الطريق الى البحر الأحمر آبارا كثيرة ، وكان هناك ذكر من قبل لأسطول أرسل لاحضار المر من بوينى وقد تمت عملية قطع الأحجار فى طريق العودة · أما مكان دفن سعنخ كارع ففيه مشكلة ؛ ذلك انه يتاخم الدير البحرى من ناحية الجنوب تل الشـــيخ عبد القرنة الذى يتميز باتســـاعه ووضوحه والى جنوب التل يوجد خليج يكاد يشبه الخليج الذى اختاره منتحوتبه الأول ليكون مقبرة له ولكنه أقل جمالا ، ويمكن أن نرى هنا آثار طريق صاعد كبير وبداية ممر منحدر ، ويرى ونلوك (٢) أنه حدث توسيع سريع فى نهاية هذا الممر حتى غرفة الدفن وانه سد بعد ذلك ، ومهما يكن من أمر فان سعنخ كارع لا بد أنه دفن فى مكان ما فى المنطقة المجاورة ما دمنا نلتقى فى المرتفعـــات التى تشرف على الواديين بكتابات لكهنته الجنــــازيين الذين عملوا فى خـــدمة عبادة هذين الملكين اللذين يحملان لقب منتحوتبه · وفى جزازة بردية تورين · نلتقى بذكر ســـبع سنين تالية لسعنخ كارع دون ذكر اسم الملك ، ومن المحتمل أن هـــذه السنين خاصة ب « منتحوتبه ثالث » الذى لم يعد فيما بعد فرعونا شرعيا ·

ونحن نعرف هذا الـ نب تووى رع منتحوتبه الثالث ـ بخلاف قطع من اناء حجرى عثر عليه فى اللشت (٣) ـ من محجرين أرســـل اليهما بعثات كذلك ـ وهناك ثلاث كتابات من عامه الأول وواحدة من عامه الثانى تســجل ايفـــاد موظف للحصـــول على الجمشت (الاماتست) من وادى الهودى (٤) على مبعدة سبعة عشر ميلا الى جنوب شرق أســـوان ، ولعل

(١) BAR. §§ 427. ff.

(٢) Winlock, Op. cit., p. 52

(٣) Hayes, Scepter I, p. 167, fig. 102

(٤) PM, VII, 319

مما يثير الاهتمام أكثر من ذلك مجموعة من النقوش الصخرية في محاجر وادي الحمامات التي سلف ذكرها ، وقد أرسل الى هناك في العـــام الثاني من حكم نب تووى رع وزيره امنمحيه ليأتي له بتابوت ضخم (١) وانه لما يدعو للشك ان عشرين ألف رجل صحبوه فعلا في هذه البعثة ، ولكن ليس هناك ما يدعو الى الريبة فيما يتصل بمعجزتين صحبتا هذه المهمة القصيرة ، وتروى القصة تفصيلا عن غزال يتقدم في غير خوف باديا للعيان أمام العمـــال ليسقط صغيره على كتلة الحجر نفسها المزمع قطعهـــا لتكون غطاء للتابوت (٢) وبعد ثمانية أيام جاءت عاصفة ممطرة كشفت عن بئر مساحتها عشرة أذرع طولا ومثلها عرضا ملأى بالماء حتى الحافة (٣) وشخصية الوزير امنمحيه بالغة الأهمية بالنســـبة للمؤرخ ذي العقليـــة العادية ؛ ذلك لأنه يكاد يبدو من المؤكد أنه ليس سوى امنمس الأول الذى سنلتقي به مستقبلا في اسمه الذى يقدمه لنا مانيتو ٠ وعلينا أن نفترض أنه في فترة معينة تآمر ضد مولاه الملك وربما استطاع أن يعتلي العرش مكانه بعد بضع سنوات من الاضطراب ، وهنـــاك كشف حديث يلقى ضوءا على هذه النظرية ، ذلك ان هناك كتابة من الأسرة الثامنة عشرة منقولة عن الصرح الثالث للكرنك تذكر بعد نب حبت رع وسعنخ كارع «ابالله» يدعى سنوسره نســتطيع أن نعرف من لقبه أنه ليس سوى الأب غـــير الملكي ل « امنمس » (٤) ٠٠ وكانت الأسرة الثـــانية عشرة (١٩٩١ — ١٧٨٦ ق ٠ م) كمـــا ســـنرى مكونة من عدد الملوك كانت تتبادل بينهم ألقابهم امنمحيه أو سنوسرة على التوالي في معظم الأحيان ٠

ونحن نعرف الى جانب الافتراضات السليمة التي ذكرناها كثيرا من التفصيلات الشخصية عن مؤسس الأسرة الجديدة أكثر مما نعرف عن أى فرعون آخر ، وأما مصـــادر معلوماتنا هـــذه فهي عبارة عن روايات وقصص وأشباهها أى انهـــا ليست وثائق رســـمية ، فهناك في متحف ليننجراد بردية ، هدفها تمجيد هذا الحاكم ، ولابد أنها تبعا لذلك ألفت في عهده أو ليس بعده بكثير ، وقد جاء فيها : ان الملك سنوفرو (صفحة ٩٦) كان يسعى وراء ما يسليه فدعا رجال حاشيته ليبحثوا له عن رجل ماهر يســـتطيع أن يقدم التسلية التي يتطلبها ، وكان هناك كاهن مرتل من

---

(١) BAR, I, §§ 439

(٢) Op cit., §§ 436 ff.

(٣) Op. cit., §§ 450 ff.

(٤) Mitt. Kairo XIV, 46, N. 6.

بوباستس يدعى نفرتى وقع الاختيار عليه ولكن سنفرو طلب اليه أن يحدثه عن المستقبل أكثر مما يحدثه عن الماضى فاندفع هذا فى وصف لكارثة مقبلة تذكر بجلاء الصورة التى التقينا بها من قبل تحت عنـوان « تحـذيرات » (صفحة ١٢٨ ـ ١٢٩) ومع ذلك فان الخلاص سيتم فى النهـــاية .

« سيأتى ملك من الجنوب يدعى أمنى ابن امرأة من تاستى ، طفل من خن نخن سيتقبل التـــاج الأبيض وسيلبس التـــاج الأحمر .. وسيسعد من يعيشون فى عصره ، ســـيجعل ابن واحد (بعضهم) اسمه خالدا الى الأبد أبدا » .

وهنا نجد أن النسب غير الملكى لـ «أمنمس الأول» واضح ، لأن اصطلاح « ابن بعضهم » (ابن واحد) كان طريقة شائعة للدلالة على الشخص الذى ينتمى الى منبت طيب وان لم يكن من أسرة ملكية . واما تاستى فاسـم أول مقاطعة من مقاطعات مصر العليا ، وكانت عاصمتها الفنتين ، وكان معظم أهلها من غير شك من العنصر النوبى ، و « أمنى » اختصار مؤكد لاسم امنمحيه وهو الاسم الذى تأغرق على يد مانيتو فأصبح أمنمس كما شهدنا ، ويعنى « أمنحية » أى « أمون فى المقدمة » ويثير هذا الذكر للاله أمون مشكلة لايزال حلها غامضا ، ذلك انه حتى ذلك الوقت كان المعبود الرئيسى للاقليم الطيبى كما رأينا هو الاله الصقر ، المحارب « مونت » ولكن بظهور أسرة جديدة استطاع أمون ، بالرأس الآدمية ، أن يكسب سريعاً السيادة عليه ، وسرعان ماقرن فى اله الشمس رع ، وأصبح فى نهاية الأمر المعبود الوطنى الرئيسى تحت اسم « أمون رع » ملك الآلهة ، ولقد كان أمون طبقا لنظرية معقولة قدمها كورت زيته من بين آلهة هرموبوليس، ولكنه اندمج منذ زمن بعيد باله الطبيعة « من » ذى القضيب المنتصب الذى كان يعبد فى المناطق المجاورة للمقاطعة القفطية ، وهناك بعض الأدلة التى تشير الى أن أمون عرف فى طيبة قبل قيام الأسرة الحادية عشرة ، ومن ثم فان القول بأن الملك الذى قرن اسم الاله باسمه كان من أصـل طيبى افتراض ممكن ولكنه لا يرقى مع ذلك الى مرتبة اليقين بحيث يؤخذ كأساس ومع ذلك فمن المؤكد مهما تكن الظروف ان كلا من أمنمحيه الأول وابنه سنوسره الأول تابع تمجيد طيبة باقامة المبانى بها (١)، وان اختاروا بحكمة عاصمة فى مكان أكثر مركزية يقع بين الدلتا ومصر العليا ، فهناك فى اللشت على الضفة الغربية للنهر أقاموا أهرامهم وأحاطوها بمقابر رجال

---

(١) PM, II, 19-41 & c.

بلاطهم ، وقد فحصت البقايا القليلة بعد الكشف الذى قام به أولا ج٠أ جوتييه وج ٠ جكييه بدقة بوساطة متحف متروبوليتان للفن فى نيويورك ، وقد أصبحت « ايث تووى » (القابضة على الأرضين) ، وهى التسمية المصرية للعاصمة الجديدة ، أصبحت فى أعين الأجيال التالية العاصمة الملكية النموذجية وليست عاصمة الأسرة الثانية عشرة بالذات وان كان شأنها كمدينة قد أهمل بعد الدولة الوسطى ٠

كانت نظرة الأسرة الجديدة للقديم غامضة بعض الغموض ، وانه لمن الواضح أن أمنمس الأول رأى فى نفسه مفتتحا لعصر جديد كما يبدو هذا جليا من اصطناعه اللقب الحوريسى للنعت « وحام مسوى » أى معيد الولادات وهو استعارة مشتقة من اعادة المولد الشهرى للقمر ، ومع ذلك فاننا نرى سنوسره الأول يكرس تمثالا ل « انيوتف الأكبر » المولود من « ايكو » وهو سلف الأسرة الحادية عشرة (١) وكذلك مذبحا ل سعنخ كارع منتحوتبه الذى رأينا قوائم الملوك تختتم نفس الأسرة به (٢) فلو أنه كان هناك لون من ألوان الصراع بين أمنمس الأول وبين أسرة منتحوتبه فان ذلك لم يجد الا فى الفترة القصيرة ل نب تووى رع ، ومع هذا فانه يبدو أن ما يقدمه مانيتو ليس بغير دافع حين يضع أمنمس فى مركز متوسط بين الأسرتين ومن ناحية أخرى نجد أن بردية تورين حاسمة من ناحية بدء قسم جديد للملوك « ايث تووى » ـ ونستطيع أن نعتمد على البردية فى اطمئنان فيما يتصل بالأسرة الثانية عشرة وكذا نستطيع أن نقدر طول مدد الحكم نظرا لانها قد أثبتت بدقة ، ومع ذلك فاننا لا نحب أن تمر هذه النقطة دون أن نذكر بالخير مانيتو لأسباب مماثلة وان كان قد أخطأ مع ذلك فى وصف الأسرة الثانية عشرة بأنها ديوسبوليتيه (من طيبة) مادامت صفتها الرئيسية المميزة ـ بالاضافة الى استقلالها الداخلى كأسرة واحدة ـ هى انتقالها الى مركز جغرافى بعيد الى الشمال ٠

وليس هناك شك فيما يتصل بعظمة سحتب ايب رع أمنمحيه (امنمس الأول) والا فان ابنه وخلفاءه كانوا يصبحون غير قادرين على الاحتفاظ بالملك مدى قرنين كاملين ، وانا لنلاحظ ان الآثار تزداد زيادة ضخمة من الناحية العددية ، كما أن مدد حكم الملوك طويلة فى معظم الأمر وهى علامات بينة تشير الى التقدم والثبات فى أنحاء البلاد، وقد كثرت المعابد المحلية مشيدة أو مضافا اليها بوساطة ملوك الأسرة الثانية عشرة رغم أنه

---

(١) Winlock, op. cit., p. 5, N. 12.

(٢) Gauthier, L.R., I, 245.

لم يبق لدينا — كقاعدة — سوى كتل متفرقة منها فقط ، أما البقية فقد دمرت أو نقلت من مكانها لتفسح طريقا لأبنية من عصور لاحقة ، هذا الى أن اللوحات الخاصة عديدة وبخاصة ما عثر عليه منها فى أبيدوس المحج الذى اشتهر بوصفه مكانا لدفن أوزيريس . ومن الواضح أن أول أمنمس كان يستهدف الاستحواذ على سلطان أوتوقراطى ينافس به سلطان فراعين الدولة القـــديمة ومع ذلك فان اختـــلافا خطيرا يلى ذلك . فحتى ذلك الوقت لم تبد فى الجو مسألة القضاء تماما على سلطان حكام الأقاليم ، ويجب علينا أن نأخذ فى الاعتبار عدم وجود ظروف مماثلة فى كل أنحاء مصر ولكن النقوش الرائعة على جدران المقابر الصخرية فى بنى حسن تكشف عن أن كبار أمراء مقاطعة أوريكس (المقاطعة رقم ١٦ من مصر العليا) كانوا سادة صغارا فى ممارسة حقوقهم ، وهناك كثير من الموظفين تذكرنا ألقـــابهم بالوظائف التى كانت تتصـــــل بالقصر الملكى من أمناء ومشرف على قاعة العدالة ومشرف على المخازن وخزنة بل قائد فرقة كمـــا نلتقى كذلك بحملة الجزية الأجنبيـــة ، واننا لنشـــهد فى مقبرة الحاكم خنم حتبه الذى كان مقربا من أمنمس الأول ليبيين فى زى مزخـــرف يضعون الريش ويحضرون معهم قطعان الماعز ، وكذا نشـــهد فى مقبرة حفيده الذى يحمل الاسم نفسه — وان لم يصل الى مرتبة الحاكم مطلقا — اسيويين يحملون هدايا خضاب العين ، وان كان السلطان قاصرا على مسافة محدودة — وهناك كتابة طويلة هامة فى مقبرة الأخير تقدم دليلا قاطعا عن الخلق الوراثى لهؤلاء النبلاء وأصل بعضهم وارتباطهم بصـــلات عن طريق التزاوج من بنات حكام الأقاليم المتاخمة لهم ، ومع ذلك فليست هناك محاولة لاخفاء قيام تبعية كل هذه الاقطاعات والالتزامات على رغبة الملك وتفضله عليهم بها ، ويشار الى أول تشريف أضفاه أمنمس الأول على الحاكم الأصلى خنم حتبه الأول بالقول (١) بأنه :

عينه ليكون أميرا وراثيا وحاكما ومحافظا للصحراوات الشرقية فى منعت خوفوى ، لقد ثبت حجر حدوده الجنوبية وأمن حدوده الشـــمالية كالسماء . انه قسم النهر الكبير على ظهره حتى أصبح نصفه الشرقى من نصيب اقليم أفق حوريس حتى الصحراء الشرقية . وذلك حين جاء جلالته ليقمع الثورة فقام مثل أتوم نفسه حتى يصلح ما كان مخربا ، وليعيد الى مدينة ما اغتصـــبته من أخـــرى ، وليجعل كل مدينة تعرف حدودها مع غيرها وقد ثبت أحجار حدودها كالسماء وعرفت مياهها طبقا لما جاء فى

---

(١) BAR, I, 625 .

الكتابات وحققت طبقــا لما كان قائما فى القــدم ٠٠٠٠ كل ذلك بسبب عظمة حبه للعدالة ٠

وهكذا نجــد ان الانجــازات العظيمة التى قام بها مؤسس الأسرة كانت تستهدف اعادة التنظيم الكامل للبلاد ٠ أما بالنسبة لفخامة بيته وتنظيم بيروقراطيتــه فان الحاجة كانت ماسة الى موارد وفيرة ٠ ويروى لنا أمينى (١) الذى عينه ابنه سنوسرة الأول حاكما خلفا له ختم حتبه قوله :

« قضيت سنين كحاكم فى اقليم أوريكس وقمت بأداء كل الخدمات المطلوبة لبيت الملك ، لقد عينت مشرفين واداريين على ضياع اقليم أوريكس وبها ثلاثة آلاف من الثيران المفرزة ، وقد نالنى المديح فى بيت الملك بسبب ذلك عند كل سنة تعداد ، وقدمت كل انتاجها الى بيت الملك ولم يحدث أن أثير ضدى ما يشير الى عجز فى أى مكتب من مكاتبه » ٠ ويتابع أمينى القول بأنه رغم كل ما فرضه بسبب ولائه ، فانه كان يحكم اقليمه بعدالة لا تنحرف محترما ابنة الفقير والأرملة عاملا على طرد الفقر وفلح الأرض فى مثــــابرة وكد حتى لم يكن هنـــــاك جائع فى أيام المجــاعة ٠ ومن الواضح انه كان هناك ميزان يقام بين السلطة الملكية واعتزاز الأمراء بذواتهم ٠ وكانت مصر اذ ذاك دولة اقطاعية فى صورة كاملة لم تعرفها من قبل أو من بعد ٠ ومع ذلك فان هناك دلالات على أن الضرورة كانت ماسة لاتخاذ احتياطات واسعة للحفاظ على سلطان فرعون ، وربما كان أمنمس يقرب من أواسط العمر حين اعتلى العرش وقد أشرك معه فى الملك ابنه الأكبر سنوسرة الأول فى العـــــام العشرين وحكما معا عشر سنوات بعد ذلك وقد اتبعت هذه السنة بعد ذلك طوال حكم الأسرة ٠ ومع ذلك فربما لم يكن ذلك فى بداية الأمر تجديدا كاملا ، لأننا لدينا ما يشير الى أن بيوبى الأول من ملوك الأسرة السادسة ربما فعل مثــل ذلك الأمــر (p. 97) ٠ وعلى أية حال فانه فى الدوائر الأقل شـــأنا كان المســـنون من ذوى المـركز والثراء يرون انه من الفطنــة أن يشغلوا ب « عصـــا الشيخوخة » وهى التسمية الطريفة التى اتخذها هذا الوضع ، وأما فى حالة الملكية فقد قامت على أية حال صعوبة تدعو الى الحيرة ذلك أنه اذا كانت النظرية المعتمــدة للملكية المصرية صحيحة فان الطبيعة المقدســة الالهية للاله الصقر حوريس تنزل من الابن الى الابن كما أن الملك الميت

---

(١) Op. cit., 522 f.

يتنحى عن هذه الصفة ليصبح أوزيريس ومعنى الارتباط الناجم من وجود اثنين من الحوريس يعملان معا فى آن واحد يجعل هذه المبادىء لغوا ، ومع ذلك فليست هناك اشارة الى أن المصريين استشعروا ريبة فى هـذا المجال ٠٠٠ ان المنطق لم يلعب دورا كبيرا فى أمور الدين كما أن ازدواج أو تمثيل المعبودات أو تداخلها فى بعضها أضفى من غير شك سحرا خفيا فى علومهم اللاهوتية ٠

ولدينا من نهاية الحكم نصان أدبيان يسهمان معا فى تقديم صورة متماسكة تستحق الاعتبـار ٠ وكان الموضـوعان محببين للدارسين فى المدارس المصرية وقد نسخا وأعيد نسخهما مرارا فى القرون التالية ، وان كان ذلك قد تم بعدم دقة متزايدة ٠ ويوصف موت أمنمس الأول فى حلم يكشف فيه عما يجول فى نفسه لابنه وخليفته كى يقدم له النصح الخالص وهو يحذر سنوسرة من أن تكون له صلات ود قوية برعاياه ثم يؤكد نصحه بتذكر تجربته الشخصية :

« كان ذلك بعد العشاء حين حل الليل ، اقتطعت لنفسى ساعة للراحة وأنا ممدد فوق سريرى كنت مجهدا واستشعر قلبى النعاس ٠ وفجأة تراشقت الأسلحة وسمعت حديثا يدور حول شخصى فظللت فى مكانى كثعبان الصحراء ثم قمت لأحارب وحدى وأدركت أن هـذا هجوم دبره الحرس ٠ لو أننى كنت قد أسرعت بالأسلحة فى يدى لاستطعت أن أرد الأدنياء ولكن ليس هناك قوى فى الليل ولا يستطيع المرء أن يحـارب منفردا وليس هناك مهرب موفق دون حماية ٠

ومن الواضح أن ذلك يشير الى المؤامرة التى أودت بحياة أمنمس الأول تعيش ذكراها ـ وان نسبت الى ملك آخر ـ فيما يقرره مانيتو من أن أمنمس الثانى قتله خصيانه ، وأما ما يلى ذلك فيرويه أروع ما وصل الينا من الأدب المصرى القديم وهو القصة المشهورة ل سنوهى ، والفقرة التالية مترجمة هنا بأكملها :

« السنة الثلاثون، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم السابع ـ صعد الاله الى أفقه ، ذهب ملك مصر العليا والسفلى سحتب ايب رع عاليا الى السماء وأصبح متحدا بقرص الشمس ٠ امتزجت أعضاء الاله بمن صنعه ، أما العاصمة فقد حل بها الصمت ، القلوب يجللها الحزن والبوابات الكبيرة مغلقة ورجال البلاط يربضـون ورءوسهم بين سيقانهم ، النبلاء محزونون ٠ كان جلالته قد أرسل جيشا الى أرض تيمح (الليبيين) وكان ابنه الأكبر قائدا لهـذا الجيش وهو الاله الطيب سنوسرة ٠ كان قد

أرسل ليضرب البلاد الأجنبية وليقوم بأسر السكان فى أرض تيحنو ، وكان فى طريق العـودة ومعه أسرى أحيـاء من التيحنو وأنواع من الماشية بغير عدد وأرسل رفقاء القصر الى الجبهة الغربية لينهوا الى ابن الملك أمير الموقف الذى جد فى القصر الملكى ولقيه الرسل على الطريق وكانوا قد وصـلوا ليلا فلم يتلكأ لحظة ، طار الصقر مع اتباعه دون أن يدع جيشه يعلم بالأمر وأرسل فى طلب أبناء الملك الذين كانوا يصحبونه فى هذا الجيش • ثم استدعى واحدا منهم • »

كان سنوهى شابا نشىء فى البلاط ، وتصادف أنه كان واقفا حين أنهى السر الكبير — وذعر أشد الذعر فهرب مسرعا ولم يتوقف حتى وجد نفسه فى فلسطين حيث لقى رعاية لدى أمير رتنو العليا ورغم التشويق الذى يسرى فى بقية القصة الا أننا سوف لانتابعها مادام معظم ما نتطلبه منها هو أنها « قائمة على حقيقة » •

وليس هنا على أية حال مجال غير مناسب، نلخص فيه معاملات مصر مع جيرانها فى الشـمال الشرقى خلال عهد الأسرة الثانية عشرة • ان نبوءة نفرتى (p. 126) أكدت فى قوةأكثر من الموضوعات الانشائية المشابهة تسرب الأسيويين (عامو) الى الدلتا ، وأشارت — كما أشارت قصة سنوهى — الى أسوار الحاكم التى أقيمت لترد الـ ستيو ولتسحق سكان الرمال (١) — أما أين كانت تقع تلك الأسوار التى أقامها أمنمس الاول فغير معروف ولكن يكفى ذكرها مرتين ليجعلنا ندرك مدى الخطر المتوقع من هذه الناحية ، ولقد كانت العلاقات ودية على أية حال فى هذه المرحلة ، وقرابة نهاية الأسرة كان أخ أمير رتنو يقدم يد المساعدة فى عهد أمنمس الثالث الى المصريين فى العمل فى استخراج الفيروز من سرابيط الخادم فى شبه جزيرة سيناء (٢) ولم تتم هذه الأعمال من غير شك فى رتنو نفسها • اذ أن رتنو العليا ربما امتدت شمالا حتى خط عرض ببلوس ، ومن الشاهدين المشار اليهما نسـتطيع أن ننتهى الى القول بأن حاكما قويا مفردا كان يسيطر تقريبا على معظم فلسطين ومع ذلك فان هنـاك ما يعارض هذا الدليل • فالمصريون — وبخاصة فى العصور القديمة — كانوا على استعداد لأن يروا فى الأجانب أعداء طبيعيين وقد القى ما عثر

---

(١) انظر صفحة ٥٣ •

(٢) Sinai II, p. 19

عليه حديثا أضواء هامة على أسماء الأشخاص والأماكن مكتوبة بالهيراطيقية على الخاف أو تماثيل من الحجر الجيرى لأمراء محليين تمثلهم كأسرى ربطت أذرعهم خلف ظهورهم ، ولا يمكن تحديد معظم أسماء الأماكن وان وجدنا من بينها ما يحتمل أن يكون عسقلون وششم وكان المصريون فى ذلك العهد يأملون من غير شك فى أن القوة السحرية لهذه الأشياء تنتزع من أعدائهم القدرة على حمل السـلاح ، وتبين لوحة نسمونت (١) المؤرخة من الحكم المشترك لأمنمس الأول وسنوسرة الأول انه كان على هذا القائد أن يشهر الحرب على الأسيويين الرحل ويدمر حصونهم ولكننا لا نعرف الى أى مدى بلغ نشاطه فى الأقاليم الأجنبية · وفى عهد سنوسرة الثالث ارتحل الملك نفسه للقضاء على الأسيويين ووصل الى اقليم سكمم الذى يرى فيه معظم الباحثين ناحية ششم فى منطقة السامرية الجبلية (٢) ، وهنا قام أحد رجاله المحاربين ويدعى سبك خو بمغامرة مشهورة يرويها على لوحته ، وهناك وثائق أخرى مشابهة بالغة الابهام بحيث لا تفيـد من الناحية التاريخية ، ولعل ما تخلفه من فكرة عامة هو أن فلسطين كان يسكنها حتى ذلك الوقت قبائل صغيرة أو جماعات يحكم كل منها أمير من أهلها ، وهناك أدلة يعتد بها على أنه اذا بعدنا الى ناحية الشمال نلتقى بما يشير الى التغلغل المصرى خلال الدولة الوسطى ، ومن أجل ذلك فان أثريا محنكا مثل « سير ليـونارد وولى » يؤكد أنه لا بد ان كانت هناك حملات أكيدة قد تمت حتى نلتقى بمثل هذا العدد مما عثر عليه من الأشياء التى تنسب للأسرة الثانية عشرة ، فهناك ملكان من ببلوس تلقيا هدايا قيمة من أمنمس الثالث والرابع على التوالى (٣) · كما عثر فى طود على كنز ثمين من مصنوعات من الذهب والفضة واللازورد تشير بوضـوح الى يد الصانع العراقى والايجى ، وقد نقشت عليها خراطيش امنمس الثانى(٤) · ومن المحتمل أنها هدايا من حكام ببلوس ، كما كشف فى قطنه (٥) الى شمال حمص عن تمثال لأبى الهول يحمل اسم ابنة أمنمس الثانى ، وغير ذلك فى أوجاريت بالقرب من المدينة التى عرفت باسـم « لا يودسيا » فيما بعد (٦) على عدد من التماثيل المشابهة · كمـا عثر على تمثال شخصى لوزير عرف اسمه كذلك من مصـادر أخرى ، وأما أقصى الأماكن الى الشمال التى عثر بها على مثل هذه الأشياء فهى اتخانا (٧)

(١) BAR, I, 469 ff.
(٢) Op. cit., I §§ 676
(٣) PM, VII, 386
(٤) Vandrier p. 256
(٥) PM, VII, 392
(٦) Op. cit., 393 - 4
(٧) Op. cit., VII, 395.

التى لا تبعد كثيرا عن مصب الأورنت ، ويلاحظ أنه فى حالة غياب دليل مكتوب تعد أهمية هذه المكتشفات وأمثالها مجرد تخمين ، ويلاحظ كذلك بهذه المناسبة على أية حال أن ذكر الأسرى الأسيويين يزداد على اللوحات والبردى وان لم تكن هناك وسيلة لتعريفنا ان كانوا أسرى حرب أو هم تسربوا الى مصر لحسابهم وعلى مسئولياتهم الخاصة (١) ٠

والحيل السحرية نفسها التى قاومت بها مصر أذى جيرانها فى الشمال الشرقى استخدمتها كذلك ضد الجنوب ولكن الأسماء القبلية هنا كذلك لا أمل من ورائها لشدة غموضها ، ومن ناحية أخرى نجد أن الدليل المكتوب والدليل الأثرى عن العلاقات بين فراعين الأسرة الثانية عشرة وبين النوبة والسودان أغزر نسبيا ـ ولقد سلفت الاشارة الى جزازات خداعة من عهد منتحوتبه الأول ، ولكن واحدة أكثر تشويها من غيرها يبدو أنها تزعم ضم بلاد الواوات والواحات المتاخمة الى مصر العليا (٢) ، ومنذ عهد أمنمس الأول تبدأ وثائق أكثر صحة ، وفى هذا العصر حل جنس جديد يعرفه الأثريون باسم مجموعة جـ فى النوبة السفلى ولكنهم لم يكونوا زنوجا ولا يمكن تحديد ارتباطهم واحتكاكهم بالمصريين قبل الأسرة الثامنة عشرة (٣) أما الاصطلاح الذى أطلق على سكان نوبيا فظل كما كان من قبل « نحاسيو » وهو اسم نلتقى به فى فينحاس (النوبى) فى التوراة ، ولا يزال موجودا فى الاسم اليهودى الحديث « بنكوس » وعلى أية حال فانه وجد الآن لأول مرة الاسم الجغرافى كوش الذى يعنى فى الدولة الحديثة اقليما اداريا متميزا عن الواوات يمتد الى الجنوب وراء الجندل الثانى بينما يقصد به فى التوراة اثيوبيا عامة ، ولقد كان الجندل الاول عند منطقة الشلال الحد الشمالى ل واوات فى كل العصور ٠ أما الحد الجنوبى فى الاسرة الثانية عشرة فغير مؤكد وقد نستطيع من غير شك أن نرجع الفضل فى اخضاع النوبة السفلى الى أمنمس الأول ٠ وهناك نص من عامه التاسع والعشرين فى كورسكو يسجل وصوله « لقهر واوات » (٤) « وكانت وادى حلفا فى عهد ابنه وشريكه فى الحكم سنوسرة الأول فى قبضة المصريين وأحلت بها حامية هناك وقد أقام قائد يدعى منتحوتبة لوحة (٥) من الحجر الرملى صور فيها الاله

---

(١) G. Posener in syrio XXXIV, 145 ff.

(٢) Save. Soderbergh pl. 39 ff

(٣) H.F. LVTZ, Egyptian Tombs steles. Leipzing, 1927, pl. 34, No. 66

(٤) BAR, I, §§ 472 f.

(٥) Op. cit., I §§ 510 ff.

مونت اله طيبة ـ ويلاحظ أنه لم يكن أمون بعد ـ يقدم الى سنوسرة أسرى من عدد الأراضى السودانية وعلى رأسها كوش ـ وأما أن الأمر لم يكن مجرد شهوة فتح ـ الأمر الذى أصبح الآن الهدف الرئيسى ـ فان ذلك يتضح من الرواية التى كتبها على بوابة قبره فى بنى حسن أمينى الذى سبق ذكره ـ وهو حاكم مقاطعة أوريكس (١) وهو يصف كيف أنه بعد أن حل محل أبيه المسن أبحر جنوبا « وراء كوش » ووصل الى « نهايات الأرض » وكان سنوسرة فى هذه المناسبة على رأس الجيش بنفسه وعاد من الحملة دون خسائر ، وبعد ذلك صحب أمينى سميه ابن الملك الأكبر وهو من غير شك أمنمس الثانى فيما بعد ، لاحضار كنوز الذهب لجلالته وقد أتم هـذه المهمة بنجاح وناله ثنـاء كبير فى القصر الملكى ، ولم يكن الذهب من النوبة يذكر اطلاقا فى عهد الدولة القديمة ، وربما كانت المناجم فى شرق مصر قد استنفدت فى عهد الأسرة الثـانية عشرة أو ان مطـالب الفراعين أخذت تزداد ، وعلى أية حال فانه منذ عهد الدولة الوسطى أصبحت النوبة هى المنطقة الأولى المنتجة للذهب ، ولم يكن الذهب وحده بأية حال من الأحوال الانتاج الوحيد الذى يسعون وراءه فى هذه الناحية اذ انه كانت هناك مواد أخرى قيمة يؤتى بها من السودان ذكرناها فى الفصل الثالث (p. 44) كانت معظم هذه الاشياء يتم الحصول عليها عن طريق المقايضة من المواطنين وبخاصة المدجايو من وراء حدود الجنـدل الثانى ، وانه من الواضح على أية حال أن الغزو من ناحية الجنوب كان مصدر خوف دائم ، ورغم أن الحملات الى النوبة السفلى والصحراوات المجاورة أصبحت الآن كثيرة فانها كانت دائما تتسم بشىء من المغامرة ، ولم تكن هناك الا بعض المحاولات القليلة لما يمكن أن تسميه استعمارا ـ وهناك بردية (٢) تقدم قائمة بها ثلاث عشرة قلعة بين الفنتين وسمنة عند الطرف الجنوبى للجندل الثانى • ومعظم هذه أمكن التعرف عليها وتخطيطها ـ أما تلك التى تقع الى شمال وادى حلفا فمقامة على الأرض السهلة ومن الواضح أنه كان يقصد بهـا أن تكون نقط مراقبة يقظة على المواطنين ، وهناك على الاقل سبع قلاع واقعة فى الرقعة التى تمتد مدى أربعين ميلا من الجندل الثانى معظمها فوق روابى وعدد منها فوق الجزر ، وقد صممت بغير شك لتكون مواقع دفاعية كما يتضح من أسمائها « التى تطرد القبائل » و « التى تكبح الصحراوات » وهى منشآت ضخمة لها جدران سميكة من اللبن تدور حول مسافة تكفى لايواء العديد من الموظفين والكتاب وكذا الحاميات اللازمة، ولسنا

(١) Op. cit., I, §§ 519 f.

(٢) Onam, 1 pp. 10 f.

مقتولين ومدفونين مع مولاهم ليقوموا على خدمته فى العــــالم الآخر (١)
وقد عثر فى احدى الكومات على تمثال رائع لـ « حب دجفاى » (زفاى)
الذى ربما كان حاكما ، وآخر لزوجته ، ونحن نعرف هذا الرجل من
مقبرة له فى أسيوط فى الاقليم الثالث عشر من أقاليم مصر العليــا ،
ونعرف عنه أنه كان يعيش فى عصر سنوسرة الأول · أفكانت هذه اذن
محطة دائمة للتجارة والصناعة ، وكيف كانت تستطيع أن تسد حاجاتها
مادام خط القلاع فى الجندل الثانى يبدو انه يعنى أن كل الاقليم وراءه
كان بطبيعته معاديا ؟

وكانت مطالب المعماريين والنحــاتين وصانعى الحلى تتطلب دواما
متابعة النشاط الاستغلالى لموارد الصحراء والبلاد المحيطة بمصر ، وحيثما
تستطيع الصخور المطلوبة أن تسهم فى ذلك الأمر ، فان النقوش كانت
تســجل أســماء المبعوثين الملكيين ، وقد استغل فى ذلك بازلت وادى
الحمامات ومرمر حتنوب والديوريت من شمال غربى أبو سمبل استغلالا
كبيرا وظل وادى الهودى يزود البلاد بانتاجه من الجمشت (اماتيست)
أما فى شبه جزيرة سينا فان أعمالا جديدة بدىء فيها على نطاق واسع فى
سرابيط الخادم حيث بنى معبد للمعبودة « حتحور » « سيدة الفيروز » ·
وقد ناقشنا من قبل العلاقات مع فلسطين واما العلاقة الأكثر تعقيدا مع
كريت فلايمكن تجاهلها ذلك أنه لم يعثر فى ذلك المقر الكبير للثقافة المينووية
على كثير من الأدوات المصرية(٢)ولكننا نشهد قرائن من هوارة فى الفيوم ومن
غيرها من عهد الأسرة الثانية عشرة تشير الى فخار مصرى مزخرف من صناعة
كريتية مؤكدة ولعــل أكثر ما يلفت النــظر اناء رائـــع كشـــف عنه
«جارستانج» فى أبيدوس (وهو الآن فى متحف اشموليان فى اكسفورد)
ولا يزال هناك سؤال حائر هو : هل كفتيو تعنى الاسم المصرى لكريت،
وهل هى كفتور التى جاءت فى التوراة ؟ ان النقاش لا يزال قائما حول
اجابة هذا السؤال (٣) ــ اما بعيــدا الى الجنوب الشرقى فان البعثــات
المصرية كانت لا تزال تتردد على بوينى وشاطىء الصـــومال ، واما من
وادى جاسوس على مسافة الى شمال القصير ، ميناء البحر الأحمر ، فقد
وصلت الينا لوحة ترجع الى العام الثامن والعشرين من حكم أمنمس الثانى

---

(١) Dows Dunham, Museum of Fine Arts, Boston, The Egyptian Department and its excavations, Boston, 1958, pp. 82. ff.

(٢) PM, VII, 405.

(٣) Onom. I, p. 203*

تسجل قيام مثل هذه البعثة (١) ، كما وصلتنا لوحة أخرى من السنة الأولى للحاكم التالى تشير من غير شك الى مهمة مماثلة ومعها الكلمات « يوطد آثاره (أى الملك) فى أرض الاله » · ومن عجب أن قليلا من الاهتمام كرس للتساؤل عن أى اله يقصد ، ذلك أن اصطلاح « أرض الاله » لا يوجد هنا فحسب بل هو كذلك يتصل بالبعثات الآسيوية وما دامت هذه توجه دائما وعلى رأسها موظف « حامل ختم الاله » أو الخازن فانه يبدو كذلك ان المعبود المقصود ليس سوى فرعون نفسه ومن ثم فان الفكرة من وراء ذلك هى دعوة متعمدة لامتلاك ثروات كل البلاد الأجنبية ·

ورغم أن أمنمس الأول اختار اللشت (ات · تووى) كموقع هرمه الذى بنى سنوسرة هرما له يجاوره الا أن بقية ملوك الأسرة الثانية عشرة فضلوا أماكن أخرى ، فعاد أمنمس الثانى الى دهشور ، الى جوار هرمى سنوفرو الكبيرين ، ولم تكشف الخرائب التى قام بدراستها ج · دى مورجان عام ١٨٩٤ (٢) عن شىء غير عادى سوى طريقة البناء ، كما لم يمكن التوصل الى اسم صاحبها الا عن طريق المساطب القريبة ـ أما الأسباب التى حدت بالملك التالى سنوسرة الثانى الى اقامة هرمه على بعد أكثر من ثلاثين ميلا الى الجنوب وعلى مسافة عشرة أميال من النيل فنستطيع أن نتخيلها : ذلك ان المكان المختار ، اللاهون ، يقع الى شمال البقعة التى ينحرف فيها بحر يوسف غربا ليشق طريقه الى واحة الفيوم (p. 132) وقد أبدى سنوسرة الأول اهتمامه الخاص بهذا الاقليم الخصب فأقام فى ابجيج أثرا جنازيا يبلغ ارتفاعه خمسين قدما كان يوصف دائما كأنما هو مسلة ولكنها ربما كان يعلو قمتها تمثال الملك (٣) ولسنا ندرى على وجه التحقيق أينسب اليه أم الى أحد خلفائه أمر تنظيم وتحسين وسائل الرى التى أشار اليها هيرودوتس وسترابو· ولكن من المؤكد انه منذ ذلك الوقت أصبحت المناطق المجاورة لبحيرة مويريس المشهورة مقرا طيبا للفراعين الذين أشبعوا فيها هوايتهم من صيد السمك وصيد الطيور (٤) ويشير هرم سنوسرة الثانى (٥) الى

(١) PM, VII, 338

(٢) Op. cit. III, 234

(٣) Op.cit ., IV, 99, Ann., Serv. XXVI, 105 ff.

(٤) R.A. lominos, litreary fragments, Oxford, 1956, pp. 22, ff.

(٥) PM, IV, 107 ff.

تجـديد تمت محـاكاته فى هرمين آخرين من أهـرام الأسرة . ذلك أن التجربة أثبتت أنه من النـادر أن يفلت الهـرم من النهب مادام المدخل المؤدى الى غرفة الدفن يشغل مكانه الطبيعى فى الجانب الشمالى من المبنى العلوى ومن ثم فان مهندس سنوسرة رأى أن يضع المدخل خارج الهرم نفسه (١) ، ومع ذلك فان هذه الخطة أثبتت على أية حال عدم صلاحيتها للغرض الذى صممت من أجله لأنه اتضح عند الوصـول فى النهاية الى غرفة الدفن أنها نهبت من غير وازع ضمير حى ولم يبق من كل المعدات الجنازية الثمينة التى كانت تملؤها أصلا من غير شك سوى تابوت رائع من الجرانيت الأحمر مع مائدة قربان من المرمر ، ومع ذلك فاننا لا ننكر عبقرية المهندس التى كلفت فلندزربيترى شهورا طويلة مضـنية حتى استطاع الوصول الى البئر التى تنزل الى الممر المؤدى الى المدخل ، وقد استلزم الأمر نفس الوقت بعد ذلك بخمس سنوات (١٨٩٤) حين قام ج . دى مورجان بأبحاثه فى أهرام سنوسرة الثالث وأمنمس الثالث فى دهشور . وكان اللصوص هنا كذلك قد استطاعوا أن يغلبوا البنائين ، وفى الوقت نفسه أن يضيعوا أملا يعلقه الأثريون المحدثون عن امكان العثور على دفنة فرعونية سليمة ، ومع ذلك فان لونا من التعويض قدمه كل من هرمى دهشور واللاهون (الأخير فى ١٩١٤) عن طريق الحلى الرائعة التى كشف عنهـا فى مقـابر الأميرات الملكيات داخل الأسوار المحيطة بالهرم ، فالصدريات والتيجان والمعاضد والقلائد ... الخ التى تمثل أرقى أنواع الصناعة والتركيب على الذهب بأحجار شبه كريمة مثل اللازورد والجمشـت (الامتيسـت ــ حجر أزرق) والعقيـق الأحمر والفلسبار ، وهى جميعا من بين كنوز متحفى القاهرة ونيويورك ؛ ولئن لم تكن للتصميمات البساطة العذرية للأمثلة النادرة من الدولة القديمة فانها تخلو على أية حال من عدم التناسق الذى نشهده فى الحلى التى عثر عليها فى مقبرة توت عنخ أمن .

ومع أمنمس الثالث نلتقى من جديد بظاهرة تملك فرعون لأكثر من هرم ــ كان الأثر الذى أمر أن يقام بالاضافة الى هرم دهشور يقع فى هوارة على مبعدة بضعة أميال الى غرب اللاهون بجوار قناة من العصر العربى ، وهناك اتخذت كذلك خطى واسعة لاحباط مساعى اللصوص ، ولم تكن جهود بيترى للوصول الى مكان الدفن الحقيقى (١٨٨٦) أقل

---

(١) لكل ما يلى أنظر Edwards; Pyramids pp. 183 ff.

دقة مما اتبعه فى اللاهون فى العام التالى ومما تجدر الاشارة اليه عثوره على المعبد الجنازى لهرم هوارة ذلك الذى كان يشتمل اللابيرنث الذى وصفه باسهاب كل من هيرودوتس وديودورس وسكلوس وسترابو • وقد فحص بيترى المكان فحصا سطحيا فى نفس الوقت الذى فحص فيه الهرم • ثم أعاد الفحص فى عام ١٩١١ فكشف عن مساحة واسعة من شظايا الحجر الجيرى مع بقايا قليلة تحمل أسماء أمنمس الثالث والملكة سبك نوفرو التى سنتعرف عليها أكثر من ذلك فيما بعد ، ويحول اتساع هذه المساحة وشكلها المربع دون التفكير فى أن هذا المعبد الجنزى يمكن أن يكون من الطراز المعتاد ، والواقع أنه يمكن أن نتقبل فى ثقة ما قدمه الكتاب الكلاسيكيون حيث انهم لم يغالوا كثيرا • فهيرودوتس (٢:١٤٨) يتحدث عن المبنى كأنما هو أعجوبة فاقت حتى الأهرام ، وسترابو (١٧ ، ١ : ٣٧) يصفه كأنما يحوى عددا ضخما من الأبهاء المتصلة بعضها ببعض عن طريق ممرات دواره لا يستطيع الغريب أن يحدد مساره خلالها ، وأما كيف أن هذا البناء المصرى اتخذ الاسم الأناضولى (لابيرنث) فان هذا الأمر أوضحناه فى الفصل الأول ، ونستطيع أن نذكر بهذه المناسبة هرمين زعم هيرودوتس (٢ : ١٤٩) أنه رآهما يرتفعان من بحر موبريس ، وليس من شك أنه كان يعنى بذلك التمثالين العملاقين لأمنمس الثالث اللذين شهدهما بيترى يطلان على البحيرة عند بياهمو (١) ، ولا بد أن هذين العملاقين ــ بما فى ذلك القاعدتان ــ كان يزيد ارتفاع الواحد منهما على ستين قدما ، ويفترض انهما كانا قائمين فى حوش قريب جدا من قمة السد ولم يعثر على ما يماثل هذا الأثر فى مصر كلها الا اذا أخذنا فى الاعتبار مسلة ابجيج التى سلفت الاشارة اليها •

ومما تجدر ملاحظته أن المقابر الاقليمية الكبرى التى التقينا بها فى بداية الأسرة تختفى عقب حكم سنوسرة الثالث ، ويرجع ادوارد ماير ــ لاحتمالات تستحق التقدير ــ ذلك الأمر الى أن الملك مهد السبيل على الأقل ــ ان لم يكن عن طريق الاكراه ــ الى تغيير جذرى للنظام الاقطاعى، ومهما يكن من أمر فانه من العسير أن نغمض عيوننا عن الازدياد الكبير للسلطان الملكى ، فأهازيج الثناء تطرى فضائل كل من سنوسرة

(١) PM, IV, 98

الثانى (١) وأمنمس الثالث (٢) — وقد حكم الملك الأخير أكثر من خمسة وأربعين عاما ، أما خلفه أمنمس الرابع فلم يحكم — طبقا لبردية تورين — سوى تسع سنوات وثلاثة أشهر وسبعة وعشرين يوما — وان كان عامه السادس هو آخر سنة سجلت له فى سيناء ، وقد جاءت « سبك-نوفرو » فى ختام الأسرة وهى التى ينسبها مانيتو — وربما كان على حق — الى آخر امنمس بوصفها أخته — وتقدم لها بردية تورين ثلاث سنوات وعشرة شـــهور ، رغم أن قائمة ابيدوس تتجاهلها فان قائمة ســقارة تذكرها باسمها سبك كارع كخليفة لأمنمس الرابع • وهناك خاتم اسطوانى فى المتحف البريطانى يحمل القابها الملكية الكاملة تقريبا (٣) وهناك مايشير قطعا الى أنها كانت تشارك فى الوقت نفسه على العرش أمنمس الثالث ، الذى يحتمل أنه كان أباها ، كما أن هناك دليلا أكثر تأكيدا على اشتراك أمنمس الثالث وأمنمس الرابع كذلك لفترة ما ، بينما لا نجد اشارة الى اشتراك فى الحكم بين أمنمس الرابع وسبك نفرو (٤) وأمام مثل هـــذه الملاحظات نرى أنه من الخطر أن نقدم نتائج ايجابية — ولكن هناك احتمال مقبـــول عن امكان وجود نزاع فى الأسرة خرجت منه « سبك نوفرو » منتصرة •

وهكذا فانها تكون ثانى مرة فى تاريخ مصر تنجح فيها امرأة فى أن تجعل من نفسها « ملك مصر العليا والسفلى » ولكن مثل هـــذا الموقف الشـــاذ كان يحمل بذور الكارثة فبعد سبك نفرو — كمـــا حدث بعـــد نيتوكريس — تعاقبت سلسلة من الملوك لم تزد مدة حكم أحدهم — كما نرى — على ثلاث سنوات ، ومهما يكن السبب فان الدولة الوسطى المجيدة انهارت نهائيا •

ولو وضعنا فى الاعتبار العدد الضخم من اللوحات الخاصة التى يمكن أن تنسب عن ثقة الى الأسرة الثانية عشرة فانه مما يدعو الى اليأس أن القليل منها يستطيع أن يلقى ضوءا على الأحداث الفردية أو الظروف القائمة وقلة منها مؤرخة ومعظم الباقى يقنع بالتمنيات التقليدية « لكل الطيبات والأشياء الطاهرة التى يعيش عليها الاله » متبوعة بلقب واسم

(١) Erman, lit., pp. 134 ff.

(٢) Op. cit., pp. 84 f; Wilson in ANET, p. 431.

(٣) Gauthier, L.R., I, 341.

(٤) JEA, XXIX, 74 ff.

صاحبها واحصاء لأفراد أسرته ، وليست النعوت التمجيدية بغير شائعة ، ولكن الادعاءات مثل كون صاحب اللوحة « المحبـوب حقـا من مولاه » و « المستمسك بطريق من أعطاه زينته » غالبا ما تكون كل ما تتاح لنا معرفته عن الشخص ؛ أم من الوهم أن نفترض أن يد الملك أصبحت اليوم أثقل على رعاياه الأذلاء مما كانت في القدم ؟ • وان عبادة الشخصية كانت تقـاوم عن عمد في ظـل الأوتوقراطية الجديدة ؟ ان علينا على أية حال ألا ننشط في المبالغة ، وانه ليبـدو من الملائم هنا أن نشير الى بعض المصادر القليلة التي تلقى ضـوءا على مختلف مظاهر الحيـاة في ذلك العصر ، وان بقي لهؤلاء الأكثر مغامرة أن يحاولوا الربط بينها ليقدموا صورة يستطاع فهمها ، وهنا مرة أخرى نرى في الخيال والوهم المصدر الأكثر بهاء ؛ فليس هناك ما هو أكثر روعة من النص الذي يشـير الى عودة سنوهي الى مصر ، فبعد حياة مجيدة جـدا في فلسطين طغى عليه الحنين ليدفن في الأرض التي ولد فيهـا فسـطر التماسا متواضعا الى سنوسرة الأول الذي يجلس على عرش فرعون اذ ذاك ، وقد ناله عفو شامل عن هربه الذي اتسم بالتهور قبل ذلك بأعوام كثيرة ، ولقيته عند الحدود سفن محملة بكافة الأشياء الطيبة ، وعند وصوله الى «اث-تووى» اقتيد وهو في وعثاء السـفر الى الحضرة الملـكية حيث رحب به الملك بكلمات قليلة عطوفة لم يكد يعيها من شدة الروع •

« ادخل الأطفال الملكيون ••• ثم قال جلالته للزوجة الملكية
هاك سنوهي الذي أقبل ك « عام » من نسـل قوم « ستيو » ••
فصرخت عاليا وهكذا فعل كل الأطفال الملكيون بصوت واحد •••
وقالوا لجـلالته : حقـا انه ليس هـو ••• وقال جلالته : بل انه هـو
هو حقا • »

وفي هذه القصة نرى أنفسنا أقرب الى الواقعية منا في أية قطعة أخرى من الكتابات القديمة ، ويجب ألا نسمح لبقية القصة أن تحتجزنا •• وهناك لمحة عن قضـية قانونية في نص منقوش على جدار مقبرة الأمير « حب زفاى » في أسيوط ــ وقد سجلت هنا فقرات مسـتفيضة عن عقود بينه وبين كهانة الاله المحلي (١) • كان « حب زفاى » قد عين « خادم روح » ليشرف على عبادته الجنزية بعد موته مع تسجيل هبات

---

(١) J.E.A. V, 79 ff.

من أراض وعبيد وما أشبه كمغريات للوفاء في الاخــلاص بواجبــاته ، وكانت التقدمات الى تمثاله مؤكدة خلال العام كله عن طريق سلسلة من التبادل مع الكهنة ولا يستطيع المرء أن يقرأ هذه الارتباطات المسهبة لهذه العقود دون أن يدرك القواعد الدقيقة عن الملكية التى تكمن وراءها ، فهناك مثلا فرق بين ما يملكه الأمير عن طريق الوراثة وما يملكه عن طريق الوظيفة ، ويمكن جمع الكثير مما يتصل بالادارة الداخلية للمعابد — عن طريق الدراسة الأدق — من مجموعة من البردى التى عثر عليها فى غرفة من مدينة هرم اللاهون ونستطيع أن نقدم مثلا يشار فيه الى المدفوعات اليومية الى مختلف الأعضاء من موظفى المعبد ، فقد سجل مثلا (١) ان المشرف عليهم يتقاضى ستة عشر رغيفا مختلفة الحجم ، وثمانى أوان من الجعة ، أما مدفوعات الموظفين (٢) فعبارة عن سدس الايراد اليومى للمعبد وأما الباقى فلـ « خدم الروح » ··· ولكن لأيهم ؟ لسنا ندرى ··· وهنا جزازة أخرى من البردى تهتم بالنــاحية الادارية عثر عليها فى حرجة ، وهو موقع يرجع الى الأسرة الثانية عشرة ولا يبعد أكثر من ميلين عن هذه المنطقة (٣) والجزازة تحوى مذكرة عن أيام استغرقها قياس الحقول وتقدير الضرائب وتقــديم تقرير عن ذلك الى صاحب الأرض فى الاقليم الشمالى · وانه لمما يتفق والعادة المصرية ان ما كان يسجل عن واجبات الوزير التى نقشت علىجدران عدد من مقابر الأسرة الثامنة عشرة(٤) يشير فعلا الى ماكان قائما قبل ذلك بأربعة قرون ··· ولكننا لسنا على ثقة من ذلك الأمر ، ذلك أن تشتت المادة لدينا ، والمرحلة التى وصلنا اليها فى دراستنا تجعل أية محاولة للملاءمة لا يؤمن جانبها ·

وقد أثبت موقع اللاهون الذى قام بيترى بالحفر فيه أنه بالغ الأهمية اذ أنه أماط اللثام عن بقايا مدينة كلها من عصر واحد كما كشف عن مرحلة غير متوقعة لتخطيط المدن ، وكمية من الأثاث والأدوات والحلى تكاد تكون فريدة فى نوعها فى أرض الفراعنة · وكانت بيوت الأثرياء كبيوت الفقراء مبنية من اللبن ولكل منها قاعة كبرى ذات عمد بها حوض من الحجر الجيرى فى الوسط (وكان السقف عادة من كتل خشبية فوقها حزم

(١) JEA, XLII, 119

(٢) ZAS, XL, 113 ff.

(٣) JEA, XXVII, 74 ff.

(٤) Davies, Rekh-mi-rê, pp. 88 ff. See above p. 104
انظر صفحة ١٢٠ — ١٢١ ·

من القش المغطى بالطين ولا تزال سقوف مقبية من اللبن فى مكانها؛ بعضها كامل وبعضها لم يبق منه سوى الجزء الأسفل ٠ أما الأبواب، فعقود من اللبن ، ونحن نعرف على وجه اليقين أنهم لم يعرفوا العقد والقبو فحسب ولكننا نعلم كذلك ان استعماله كان شائعا منذ أمد بعيد لدى المصريين(١) وكان هناك سور يدور من ثلاثة جوانب حول المدينة التى تنفتح على سهل النيل الى الجنوب ، وكان هناك شارع رئيسى فى الداخل حوله المجموعة الرئيسية من المبانى كما ان هناك شوارع أصغر تتخلل المبانى ـ والى جانب مجموعة حسابات المعبد والرسائل التى عثر عليها فى المعبد نفسه ، أمكن العثور على كمية من البردى تتناول موضوعات مختلفة ، وقد أمكن جمعها من كثير من المنازل ، وكانت مهمة العالم الكبير جريفث فى حل رموزها أحد الأعمال التى يستحق الاعجاب ، فمن بينها ورقة طبية تتناول أمراض النساء وجزازة عن الطب البيطرى، ثم هناك وصايا نستطيع أن نستنتج من ورائها معرفة أن المرء يستطيع أن يورث من يشاء لا بيته ومتاعه فحسب بل كذلك وظيفة مثل وظيفة مدير هيئة الكهنة العاديين ، وفى حالة أخرى نرى من بين ما تركه الرجل زوجة وأربعة من العامو وبضعة عبيد أسيويين ٠ وكانت مثل هذه الوثائق تتطلب شهودا من الناحية الرسمية وتودع فى بيت التسجيل ، كما أن عمليات الاحصاء المنزلية كانت تسجل كذلك ـ وهكذا فان الحياة الدائبة لهذه المجموعة المحلية الهامة كانت تنظم عن طريق معايير ادارية دقيقة نستطيع أن ندرك مداها ومراميها من لمحات فيما بقى من هذه المخطوطات ٠

وفى غير ذلك نلتقى بجدار أو لوحة تصور جانبا من الحياة لم نعرض لهما ٠ فهناك موظف يروى أنه أوفد الى الواحات ليعود ببعض الهاربين (٢) ، وهناك منظر مشهور فى البرشا يصور جر تمثال ضخم الى حيث أزمعت اقامته ٠ ويبدو فى المنظر ١٧٢ جنديا شابا على الأقل من مقاطعة الأرنب يعملون فى تنفيذ ذلك الأمر (٣) ٠ وكان الجند الذين يمتازون بالشجاعة يتلقون هدايا قيمة من الملك ربما كانت خنجرا وقوسا محلى بالذهب ف « سبك خو » الذى برز فى فلسطين **(p. 36)** لم يكافأ بهذه فحسب بل منح كذلك ستون عبدا ٠ وكان يعهد بالبعثات

(١) Petrie, Ten Year's Digging in Egypt, London 1893, p. 115.

(٢) ZAS, LXV, 108 f.

(٣) BAR, I, §§ 694 ff.

الهامة الى موظفين ذوى أهمية خاصة ، وهكذا نرى أن سنوسرة الثالث يوفد رئيس خازنيه « ايخر نوفر » الى أبيدوس ليزود معبد أوزيريس بالأثاث الفخم المحلى بالذهب والفضة واللازورد ، وهو يقوم فى نفس المكان بالاشراف على الاحتفالات التى تمثل مأساة الاله الذى قتل (١) ٠

ويجب أن نشير قبل أن نختم هذا الفصل الى أهم آثار العصر التى لم ينلها التدمير فهناك في هليوبوليس مسلة مفردة لا تزال قائمة كشاهد على المعبد الكبير الذى أقامه سنوسرة الأول هناك(٢) كما هو مسجل كذلك على وثيقة من الجلد سلفت الاشارة اليها (٣) ، وهناك فى الكرنك كتل لامعة من الحجر الجيرى أعيد استخدامها فيما بعد فى تشييد الصرح الثالث ، أعيد تجميعها فكونت معا مصلى جميلا ليوبيل الملك نفسه ولعل بعد الشقة هو الذى حفظ معبدا بسيطا كشف عنه الايطاليون فى مدينة ماضى فى اقليم الفيوم وفى حالة خير من نظائره من الهياكل من النوع نفسه ٠

وأما فن الأسرة الثانية عشرة فانه من العسير أن نميز ملامحه بصورة مرضية هنا ٠ وان كان من الممكن أن يقال على الأقل انه يمثل الوانا تختلف عن كل ما شهدناه من قبل فى صورة تستطيع حتى العين العادية أن تلمسها ، أما التقاليد الفنية فلم تتغير وكذا النماذج ومع ذلك فهناك فروق واضحة ، ويستطيع المرء بخاصة أن يلاحظ تمثيل النحات للعبوس وقوة التصميم فى ملامح الفرعون ٠ ولعل أروع القطع النموذجية هى رأس أمنمس الثالث من حجر الاويسيديان التى كانت موجودة فى مجموعة ماك جريجور(٤) ، وكذا تمثال صغير للملك نفسه فى موسكو قدمنا صورته فى آخر الكتاب ٠

---

(١) Op. cit., §§ 661 ff.

(٢) PM, IV, 60

(٣) راجع صفحة ٧٧ ٠

(٤) J.E.A. IV, 71

مراجع مختارة

العصر الوسيط الأول :

H. Stock, Die Erste Zwischenzeit Agyptens, **Rome,** 1949

Bibl. Or. VIII. 165 ff. **G. Posner** وعلق عليه

A. H. Gardiner, The Admonition of an Egyptian Sage, **Leipzig,** 1909

ANET, pp. 441 ff. في **J. A. Wilson** واحدث ترجمة قدمها

A. H. Gardiner, The Story of the Eloquent Peasant, in J.E.A. IX. 5 **ff.**

A. H. Gardiner, The Instruction for King Merykare, in J.E.A. I. 20 ff.

Anet, pp. 414 ff. في **J. A. Wilson** واحدث ترجمة قدمها

مراسيم كوبتوس (قفط) ، قائمة بها مع تعليق :

W. C. Hayes in J. E. A. XXXII. 3 **ff.**

J. Vandier, Moalla., **Cairo,** 1950

La Famine dans l'Egypte ancienne, **Cairo,** 1936, **pp.** 3-16

H. **Brunner,** Die Texte avsden Gräben der Herak leopolitenzeit von Siut, Glückstadt, 1937

R. Anthes, Die Felsenin schriften von Hatnub, **Leipzig,** 1928

الأسرة الحادية عشرة :

H. E. Winlock, The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes, **New York,** 1947

, Excavations at Deir el Bahari, **New York,** 1942

J. J. Clère & J. Vandier, Textes de la première période intermédiaire et de la XIme Dynastie, I, **Brussels,** 1948

J. Couyat & P. Montet, Les Inscriptions hiéroglyphiques et hiératiques de Ovadi Hammamat, **Cairo,** 1912-13

E. Naville, The XIth. Dynasty Temple at Dair el-Bahari, 3 vols., **London,** 1907-13

H. E. Winlock, Models of Daily Life in Ancient Egypt, **Cambridge, Mass.,** 1955

الأسرة الثانية عشرة :

اللشت . P. M. IV. 77 ff.

اللاهون : op. cit. IV. 107 ff.

مدينة ماضى ـ تقارير كتبها فوليانو ، ميلانو ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧

دهشور : P. M. III, 229 ff.

الفيوم : op. cit. IV. 98 ff.

بنى حسن : op. cit. IV. 141 ff.

الكرنك :

P. Lacav & H. Chevrier, Une Chapelle de Sésostris I, **Paris,** 1956

الأدب :

G. Posener, Littérature et politique dans l'Egypte de la XII dynastie, **Paris,** 1956

نبوءة نفرتى **A. H. Gardiner** in J.E.A. 1, 100 ff.

وأحدث ترجمة قدمها **J. A. Wilson** فى ANET pp. 444 ff.

A. H. Gardiner Notes on the Story of Sinuhe, **Paris,** 1916

وأحدث ترجمة قدمها **J. A. Wilson** فى ANET, pp. 18 ff.

تعاليم امنمس الأول ، احدث ترجمة قدمها **J.A. Wilson** فى ANET pp. 418 f.

برديات من اللاهون **F. Ll. Griffith,** The Potrie Papyri, 2 vols. **London,** 1898

ومقالات مختلفة نشرها **L. Borchardt** فى **Z. A. S.**

وخطابات نشرها **A. Scharff** فى ZAS LIX. 20 ff.

العلاقات بالأماكن والشعوب الاجنبية

سيناء **A. H. Gardiner & T.E. Peet,** The Inscriptions of Sinai, 2nd. ed. by **J. Cerny,** 2 vols. London, 1952-5

نصوص اللعنات :

K. Serhe, Die Aechtung feindlicher Fürsten, Völker und Dinge **in Abh. Berlin,** 1926

G. Posener, Princes et pays d'Asie et de Nubie, **Brussels,** 1940

نوبيا :

T. Säve Soderbergh, Agypten und Nubien, **Lund,** 1941.

٧ من الانهيار إلى البعث

مادام سرى الزمان لا يظهر انقطاعا لسلسلة الاستمرار فليس سوى حادث ذى أثر ، أو تتابع لأحداث هى التى تستطيع أن تجعل من حكم ما فاتحة لعصر جديد ، ومن المؤكد أننا سوف لا نعرف السبب الذى من أجله اعتبرت سبك نفرو ــ أو ســبك نفرو رع كما تسميها المصـــادر المتأخرة ــ خاتمة للأسرة الثانية عشرة وبينما نرى بردية تورين وقائمة ملوك سقارة ومانيتو تجمع على هذه النقطة اذا بقائمة أبيدوس تنتقل مباشرة من أمنمس الرابع الى أول ملك من ملوك الأسرة الثامنة عشرة • وأما تاريخ اموزس مؤسس الأسرة الثـامنة عشرة فثابت • ويجب أن نتقبل الفترة من ١٧٨٦ الى ١٥٧٥ ق•م• كمرحـلة استغرقها العصر الوسيط الثـانى وهو عصر تعد مشكلاته أشد مراسا من مشكلات العصر الوسيط الأول • وقبل أن ندخل فى التفصيلات يجدر بنا أن نشير الى أن الشكل العام لهاتين الفترتين المظلمتين يكاد يكون واحدا ، فكلتاهما تبدأ بمجمـوعة مضطربة من الحـكام الوطنيين الذين لا يعتـد بهم ، وفى الحالتين نرى المعتدين من فلسطين يلقون بظلالهم على الدلتا بل على الوادى نفسه وفى الحالين يأتى الخلاص أخيرا على يد أمراء طيبيين أشداء يستطيعون القضاء على التفرق الداخلى وأن يطردوا الأجنبى ويبدءوا عصرا جديدا من المنعة والنجاح •

ولقـــد أشرنا من قبـل (p. 66) الى الصعوبات التى تواجهنا هنا • ولكن علينا الآن ان نناقشها بالتفصـــيل • ونحن نبدأ كعادتنا ب مانيتو ، فالأسرة الثالثة عشرة عنده كانت أسرة ديوسبوليتية (طيبية) تضم ستين ملكا حكموا ٤٥٣ عاما ، وأما عدد ملوك الأسرة الرابعة عشرة فستة وسبعون ملكا من خويس ، سخا الحالية فى وسط الدلتا ، ومجموع مدة حكمهم ١٨٤ سنة ، أو فى قراءة أخرى ٤٨٤ سنة ، وأما فيما يتصل بالأسرات الخامسة عشرة الى السابعة عشرة فهناك تفاوت بين افريكانوس ويوسبيوس ، بينما نجد بيانا أكثر بساطة لدى المؤرخ اليهودى جوزيفوس فى فحوى النص الحرفى المنقول عن كتاب مانيتو نفسه ، ويكفينا لتغطية هدفنـــا الحالى اللجـوء الى ما يقـدمه أفريكانوس من تواريخ • فأسرته

الخامسة عشرة تحوى ستة من الأجانب يطلق عليهم « رعاة » أو ملوك هكسوس استمر حكمهم ٢٨٤ سنة ، أما الأسرة السادسة عشرة فتضم ملوكا رعاة كذلك وعددهم اثنان وثلاثون حكموا ٥١٨ سنة ، وأخيرا نلتقى فى الأسرة السابعة عشرة بملوك رعاة وملوك طيبيين حكموا بالاتفاق معا وعدة كل فرع منهما ثلاثة وأربعون ، واستغرقت مدة الحكم المشترك ١٥١ عاما ، ولو أضفنا بعض هذه الأرقام الى بعضها الآخر متخذين أقلها من حيث عدد السنين بالنسبة للأسرة الرابعة عشرة فان المجموع يصبح ٢١٧ ملكا حكموا مدى ١٥٩٠ عاما · وهو رقم يعادل سبعة أضعاف ماتم الاتفاق عليه بالنسبة للتاريخ السوثيائى الوارد فى بردية اللاهون (p. 56) ولو تنازلنا عن عام ١٧٨٦ ق · م · باعتباره العام الذى انتهت فيه الأسرة الثانية عشرة (١) فان هذا يعنى انا ننجرف مع التيار عند نقطة ثابتة وهو أمر تكون له آثار خطيرة من الناحية التاريخية لا فى مصر وحدها بل فى الشرق الأوسط كله ·

وليس هنـــاك بين قوائم المـلوك الأثرية ما يحصى ملوك هـــذه الفترة سوى قائمة الكرنك ، وهى فى حالتها المهشمة تستطيع أن تقدم ثلاثين اسما وهو رقم يقرب من نصف العدد الذى تؤكده الآثار الفعلية الباقية وانا لنجد من سوء الحظ أن هذه الأسماء مبعثرة بين أسماء ملوك الدولة القديمة والوسطى فى صورة غير منتظمة تجعل من العسير علينا أن نقدم من ورائها تتابعا سليما ، وأما بردية تورين فرغم حالتها المهلهلة فهى مصـــدر ذو قيمة كبيرة (٢) · والجزازات فى الصـــورة التى قام بترميمها ايبشر تتناول الملوك من الأسرة الثالثة عشرة حتى ما بعدها فى اتجاه الأسرة الثامنة عشرة فى حوالى ستة (أعمدة) انهار يحوى كل منها قرابة الثلاثين اسما وانه ليبدو بعيدا عن الحكمة على أية حال أن نقرر أن الوثيقة كانت تضم ــ حين كانت سليمة ــ مائة وثمانين ملكا وخاصة أن النهر العاشر والحادى عشر يضمان مجموعة تتناولها الشكوك كما أن بعض الأسماء فيها ــ كما هى الحال كذلك فى النهر (العمود) التاسع ــ ذات مظهر يدفع الى التشكك ، وليس هناك فى الواقع أكثر من حوالى ستين اسما محفوظة بحالة مقبولة تجعل الاطمئنان اليها مؤكدا وليس من بين هذه الا حوالى الثلثأمكن التأكد منه عن طريق الآثار الأخرى.

---

(١) Parker, P. 69

(٢) مترجمة باكملها فى نهاية هذا الكتاب

هذا الى أن الآثار تقدم لنا عددا لا بأس به من الأسماء التى تمت الى هذه المرحلة ولكن ــ لسبب أو لآخر ــ لا نلتقى بها فى البردية ، ومن المؤكد ان هذا لا يرجع الى حالة البردية المهشمة ، وقد تكلف جمع هذه المادة والسعى وراء احلال الملوك المختلفين فى ترتيبهم التاريخى الصحيح الكثير من العنـاء • ومن أجل ذلك كانت طرز الجعول التى عثر عليهـا تحمل خراطيش ملكية، ثم مظهر تركيب الأسماء نفسها، وكذا أدلة أخرى دقيقة، من أهم الأشياء التى استعان بها العلماء لتحقيق ذلك ، وعلى ذلك فانه حين تم هذا كله كانت النتائج ذات طبيعة فرضية تتسم بسوء الحساب، حتى لا تستطيع أن ترضى ســـوى أكثر الدارسين ميلا الى المجازفة ، وسنرضى أنفسنا هنا بشىء أكثر بقليل من التدقيق فى بردية تورين نفسها ، وليس من شك أن صاحب عملية التجميع فى عصر الرعامسة كان يظن نفسه قادرا على تقديم المائة ملك أو حوالى ذلك ممن عرفهم فى مجموعة مفردة متتابعة مع تسجيل طول مدة الحكم لكل منهم ، ولدينا رقم السنين فى حوالى تسع وعشرين حالة وجملة المجموع ١٥٣ بخلاف كسور الشهور والأيام ويدخل فى هــذا المجموع ستة ملوك (سنذكر أسماءهم فيما بعد) ممن تزيد مدة حكم كل منهم على عشر سنوات وهم فى جملتهم يحكمون ١٠١ ســنة وان كانت قراءة الأرقام ليست دائما مؤكدة بالصـــورة التى نتمناها • ومعنى هذا أنه يبقى للملوك الثلاثة والعشرين الباقين ما لا يزيد على ٥٢ سنة بمعدل ما لا يزيد على عامين لكل منهم ، وانه لمن الواضح انه فى الحالات النادرة التى أرخت بها الآثار قلما يرتفع التاريخ عن العام الأول والثانى أو الثالث ، فلئن تذكرنا الجدل فى الفصـــل السابق الذى دار حول أن طول مدة الحكم فى مصر دلالة مؤكدة على تقدم البلاد فاننا نستطيع الآن أن نزعم العكس ونقرر أنه خلال الفترة التى تقابل فى بردية تورين مابين الأسرات ١٣ ، ١٥ لدى مانيتو كانت البلاد فى حالة دمار فظيع واضطراب وفوضى وكان الحكام يقتل بعضهم بعضا ويحلون الواحد محل الآخر فى سرعة بالغة ، وتذكر البردية حالتين أو ثلاثا (١) لم يكن بالبلاد ملك وقد استمرت حالة منها ست سنوات ، وفى أربع (٢) حالات نلتقى بصيغة يترجمها ادوارد ماير ــ دون سند قوى فى الواقع ــ وكأنما تشير الى قيـــام أسرة جديدة ، ولكن يحدث مرتين خلال ذلك أن تتردد كلمات تحتوى واحدة قبلها ،

---

(١) Turin Canon 6.6;8. 12, 14.

(٢) Ibid, 6.5 ; 73 ; 8, 4, 2

ولعله أكثر دفعا للاهتمام من الفقرة (المجموع ، خمسة ملوك ٠٠٠) في ١١ ـ ١٥ جزازة لم ترقم توصل اليها سيفارث وأعاد كشفها من جديد بوتي واستطاع ايبشر وفارينا أن يحـددا مكانها وسـط النهر العاشر وهي تتبع مباشرة سطرا يجب أن يقرأ بعد ترقيمه واعادته لأصله (رئيس بلد أجنبية) « خامودى » تأتي بعدها (مجمـوع رؤساء) بلاد أجنبية ، ٦ ، مجموع ١٠٨ سنوات ٠ وهؤلاء من غير شك هم المغتصبون الأجانب الذين أشار اليهم أفريكانوس فيما يتصل بالأسرات ١٥ ، ١٦ ، ١٧ لدى مانيتو ، وسنتناول ذلك الأمر فيما بعد ، أما هنا فنحن نعالج أمور التاريخ وحـدها ، ويضطرنا التدوين المشـار اليه أن ننتهي الى القول بأن البردية تحوى أسرات متعاصرة تحكم فى أنحـاء متفرقة من مصر حتى اذا لم يكن من قام بجمع المادة قد غفل عن هذه الحقيقة ذلك انه اذا طرحنا ١٠٨ سنوات من ٢١١ وهى كل ما يمكن أن نسمح به للعصر الوسيط الثانى فاننا نجد أن مائة ملك أو أكثر يتزاحمون فى مدى قرن أو أكثر بقليل ، وهو أمر غير معقول طبعا ، ويصبح الأمر أكثر اسفافا حين نأخذ في الاعتبار أمر الـ ١٠١ سنة السالفة الذكر التى أشرنا اليها كأنها تخص ستة ملوك ومن ثم فان الـ ١٠٨ سنوات لحكام الهكسوس لايمكن أن تطرح بهذه الصورة ويجب أن نشير الى السيطرة على مكان ما بالدلتا ، وعلى ذلك فان وجهة النظر الأخرى التى يتقبلها كافة المحدثين من دارسى المصريات هى أن الحصر الاحصائى للبردية يضـم ملوكا كثيرين كانوا موجودين معا فى وقت واحد ومن المحتمل انهم كانوا فى أنحاء متباعدة من البلاد ـ ويبدو أن مانيتو كما رأينا عن اشارته الى خويس لم يكن غافلا تماما عن هذا الأمر وان اعتبر هو أيضا هذه الأسرات وكأنما هى أسرات متعاقبة ومن سوء الحظ أننا نادرا ما نلتقى فى قائمة تورين بملك نستطيع أن نحدد مكانه فى بقعة معينة وربما كانت الأسرة التى حملت لقب « مرمشع » أى « القائد » (٦ ـ ٢١) كانت لها السيطرة على الشمال مادام لا يعرف ـ فيما عدا البردية ـ الا عن طريق تمثالين عثر عليهما فى تانيس ومثل هذا يصدق على نحاسى ـ (النوبى) (٨ ـ ١) الذى يبدو أنه يمت للدلتا رغم لقبه ، واذا كان مما يسترعى النظر أن نصف ملوك النهر (العمـود) السـادس خلفوا آثارا وقطعا من آثار فى مصر العليـا فان عددا قليلا جـدا من الآثار عثر عليه لملوك بقيـة الأنهر (الأعمدة) وسنرى انه مما يدعو للأسى أننا سنلجأ للحدس والتخمين حين نناقش مثل هذه الأمور ٠

وقد قام حوار بارع فى محاولة تجميع ملوك العصر بطريقة تخالف ما تقدمه بردية تورين وانه لمن الغبن أن نستبعد هذه الفروض باعتبارها ميئوسا منهـا اذا أنه ليس يبـــدو فى أى مكان أن ترتيب الأسماء أثبت بصورة قاطعة انه بعيد عن الصواب ، ففى الملاحظات التى تلى تتـابع البردية نتقبل الأمر لا لسبب سوى أننا فى حاجة لشىء يقوم على أساس أكثر ثباتا ، وعلى أية حال فليس هناك شك فيما يتصل بأول ملكين من ملوك الأسرة الثالثة عشرة فهما على التوالى سخم رع خوتووى ، سخم كارع • وهما لم يحكما فيما بينهما أكثر من عشر سنوات تليهما فجوة ست سنوات خالية من الملوك ومن الواضح ان كلا منهما باشر سلطته على الأرض كلها من الفيوم حتى الجندل الثانى وما وراءه ، وكون الأول قد اتخذ لنفسه لقبا أمنمحية سبك حوتبه ، وان الثانى ربما اصطنع لقب أمنمحية سونب أف فهذا يشير الى أنهما تعلقا باستماتة فى أمل الاعتراف بهما خليفتين شرعيين للأسرة الثانية عشرة ، وهذا الأمل نفسه يعرض لنا فى صورة أكثر دعوة الى الأسى فى لقب سعنخ ايب رع سادس ملوك الأسرة الذى لم يكن يرضى بشىء أقل تفخيما من لقب أمنى ـانيوتفـ أمنمحية وقد سبقه مباشرة ظهور لقب شعبى هو أفناى (انه لى) كما يظهر فى أكثر من ستة أماكن بعد ذلك حاكم آخر يحمل كذلك اللقب الشعبى رن سونب ولم يجلس على العرش أكثر من أربعـة شهور ، ويلاحظ كذلك أن أكثر من ستة من ملوك هذا العصر انتحلوا لقب سبك حوتبه (سبك راض) بالاشارة الى الاله التمساح بالفيوم الذى مجـد لأول مرة فى خرطوش الملكة سبك نفرو ، وسنرى فيما بعد ـ فيما نرى أنه يخص الأسرة السابعة عشرة ـ ان ملوكا وملكات يحملون لقب سبك أم سا اف (سوبك يضفى عليه حمايته) مما يشير الى أن ارتباط الاله التمساح بالملكية ظل قائما ، ولكن الرابطة بالفيوم كانت قد انفصمت على أية حال اذ ذاك ، ونحن نستشعر الميـل لربـــط هـــذا المعبود بـ «كروكوديلولونوليس» أخرى لا تبعد أكثر من خمسة عشر ميلا الى جنوب طيبة(١) ولقد كان يستخدم أحيانا هذا الاستمرار فى التسمية ، وربما عن حق ، كدليل على قصر العصر الوسيط الثانى وان كانت هناك مظاهر أخرى مثل التغييرات الطفيفة فى الفن والمواد تظـل هى الاخرى شاهدا قويا على ذلك •

وسنتوقف مؤقتا عند هذه النقطة بسبب المناقشة الموحشة الكثيبة

---

(١) هى سميئو بالمصرية وتقرن حاليا بالرزيقات على الضفة الغربية •

التى تتصـــل بالملوك سريعى الزوال لهـذا العصر ، فنحول انتباهنا الى وثيقة تنقلنا الى صميم الحقائق الحيوية ـ وهذه الوثيقة عبارة عن بردية كشف عنها فى دراع أبو النجا (١) منذ مائة عام فى مقبرة كانت للحريم الملكى وتتضمن الوثيقـة قائمة حسابات البلاط الطيبى مدى أكثر من اثنى عشر يوما خلال السنة الثالثة من حكم واحد من الملوك يحمل لقب سبك حوتبه وقد سجلت بدقة ايصالات وتوزيع الخبز والجعة والخضر من يوم لآخر ، ونستطيع أن نميز بين مصدرين للايراد فهناك أولا الدخل الثابت اللازم للقيام بأود حريم الملك وموظفى الدولة الخ .. ، وكان هذا يصدر عن ثلاث ادارات (أواعره) وهى ادارة رئيس الجنوب ومكتب عطايا الشعب وادارة الخزانة ، وكانت أولى الادارات تسهم تقريبا بضعف ما تسهم به كل من الادارتين الأخريين ، وكانت هناك ثانيا اضافات يطلق عليها « اينو » وهو اصطلاح يستخدم للجزية فى غير هذا الصدد كما يستخدم كذلك ل « الهبات التكريمية » التى كانت تستغل للأغراض الاستثنائية كالولائم لاعلام الدولة وهيئة موظفى ما يعرف باسم « بيت المرضعات » أو كمنح مقابل خدمات خاصة ، وأما النوع الأخير من الايراد الذى ربما كان الوزير أو أى موظف كبير مسئولا عنه فكان يتراوح بين ما يعادل المورد السابق كله ثم يتضاءل حتى يصبح لا شىء تقريبا ، ومن ثم فلا يمكن اعطاء فكرة عامة عن كميته ، ونحن نعلم من ناحية أخرى أن الحاجات اليومية لبيت الملك كانت تتطلب تقريبا ألفى رغيف وأنواعا مختلفة من الخبز وفيما بين ٦٠ ، ٣٠٠ اناء من الجعة ، أما اللحوم فيبدو أنه كان يحتفظ بها لمناسبات خاصة وهناك تفصيل يدعو للدهشة وهو انه على معبد أمون أن يقدم بأمر الملك مائة رغيف يوميا ـ وكانت الكميات الفعلية التى توزع تختلف اختلافا طفيفا طبقا للميزان الذى يؤتى به فى اليوم السابق ... وهذا النص المدهش يســـتطيع أن يمدنا بكل المعلومات الطريفة أو ربما كان يستطيع ذلك لولا العوائق المعتادة من حالة التمزق وصعوبات نقله وترجمته فهناك مثلا ما يشير الى امتداد وليمة لمجمـوعة صغيرة من حـرس مدجا النوبيين أسـبوعين ، وكانت المجمـــوعة تضم قائدين انضم اليهما ثالث جاءوا جميعا لتقـديم ولائهم ويبدو أن هؤلاء المتبربرين لم يكن ليسمح لهم بالدخول الى وليمة كبيرة فى بهـو القصر ذى العمد التى كانت تضـــم ستين شخصا بما فيهم

(١) لتحديد هـــذا الموقع فى غرب طيبة انظر صفحة ١٣٦ وتعرف البردية باسم بردية بولاق ١٨ نسبة الى ناحية من نواحى القاهرة حيث شيد ماريبت متحفه عام ١٨٦٣ ويمكن مراجعة نشرها ومناقشتها فى ZAS, LVII, 51 fff

الموسيقيون ، ولم تكن الملكة أو أخوات الملك حاضرات بهذه المناسبة التي أقيمت الوليمة من أجلها ألا وهي بدء الاحتفال بعيد الاله مونت (رب) مدامود في ليلة آرتحال تمثاله الزائر من العاصمة . وكان كل الضيوف المدعوون ذكورا وعلى رأسهم الوزير وقائد الجيش والمشرف على الحقول ، وهنـاك اشارة في مكان آخر للاستقبال في البلاط لقـــادة هرمونتس (ارمنت) والقوصـــية (وتقع الأخيرة على مبعدة ٢٥ ميلا الى شـــمال أســيوط) ومن المهم أن نلاحظ أنه لم يعــد هناك ذكر في ذلك الوقت للامارات الاقطاعية أو الأقاليم وان الاشارة بدلا من ذلك للمدن وهكذا فان كلمة « حاتي عو » التي كانت تعني من قبل – عن حق – « أمير » أو « سيد اقطاعية » أصبحت خير ترجمة لها من الآن « عمدة » .

والوزير « عنخو » الذي كان يرأس أكثر من مرة الموظفين الذين يتقبلون هبات الطعام بأمر ملكي ، معروف لدينا من عدة مصادر أخرى ، وواحد من هذه المصادر هو بردية في متحف بروكلين (١) جاء فيها : أمر كتابي موجه اليه من الملك الذي حكم مدى خمس سنوات على الأقل ، وتذكر البردية نفسها ملكا آخر يعرف عادة باسم سبك حوتبه الثالث والذي ترك أشياء كثيرة خلدته أكثر من غيره من صغار حكام تلك الأيام المضطربة ، ومع ذلك فالرابطة بين المصدرين غامضة ، ويظهر صاحبنا عنخو كذلك على واحدة من لوحتي اللوفر (٢) ، التي تســجل ترميمات واسعة النطاق في معبد ابيدوس على يد كاهن يدعى امينى سونب وكان ذلك في عهد خندجر الذي يبدو من اسمه مظهر خارجي وربما كان من أصل أجنبي ، وقد استطاع جكييه (٣) في عـــام ١٩٣١ أن يتعرف الى صاحب هرم صــغير في سقارة ذكر أنه يخص ملكا هو خندجر الذي يحمل لسوء الحظ اسما يختلف عن الاســم الموجود على لوحة اللوفر ، أفكان هناك اذن ملكان يلقب كل منهما خندجر الواحد في الشـــمال والآخر في الجنوب ؟ انه يبدو أقرب للاحتمال افتراض أن يكون الاثنان واحدا يتأرجح بين اللقبين ، والمشكلة نموذج للصعوبات التي تقدمهـا هذه المرحلة ، وانا لنلتقي بـ خندجر سقارة مدرجا من غير شك في بردية تورين (٦ – ٢٠) ولئن كان سبك حوتبه هو المقصود – كما نعتقد – عند قيد الأربعة أماكن التي نجدها بعد ذلك (٦ – ٢٤) فاننا ربما نكون

---

(١) W.C. Hayes, A Papyrus of the late Middle Kingdom, Brooklyn 1955 ; Helck in JNES, XVII, 263 ff. وانظر كذلك مرجعا أحدث هو

(٢) B.A.R. 1, No. 781 ff.

(٣) Deux Pyramides du Moyen Empire, Cairo, 1933.

أمام ظاهرة عجيبة هي وجود وزير واحد يشغل وظيفته خلال عهود خمسة ملوك قصار الحكم ربما كانوا حكاما معادين ـ وقد قدم هيس الدليل (١) على أن العاصمة الفرعونية كانت لا تزال في اللشت خلال عهد الأسرة الثالثة عشرة ، حوالى العمود (النهر) السادس من البردية، وان كان البلاط ينتقل أحيانا الى طيبة ، ويعزز هذا الرأى من غير شك وجود الهرم السالف الذكر وأمر ابن الوزير الذى قدم يد العون ل أميني سونب فى عمليات الترميم بابيدوس ثم ابحاره شمالا الا بعد انجازها .

وطبقا لبردية تورين نجد أن خلف سبك حوتبه الثالث هو ملك يدعى نفر حوتب (٦ ـ ٢٥) حكم أحد عشر عاما وقد خلف آثارا عديدة نسبيا ـ شأنه فى هذا شأن سلفه ـ وتؤكد كثير من النقوش الصخرية عند الجندل الأول زيارة له هناك وتوحى لوحة من الستياتيت عثر عليها عند وادى حلفا أن نفوذه امتد الى هناك ، ولكن لعل أكثر هذه الآثار أهمية نقش كشف عنه بعيدا فى ببلوس على الشاطىء السورى ويصور الأمير المحلى وهو يقدم الخضوع لشخصه (٢) ، وهناك صورة له محفوظة على هيئة تمثال صغير جميل فى متحف بولونيا (٣) وأما بالنسبة لدارس الهيروغليفية ، فان أهم أثر من عهده هو لوحة كبيرة كشف عنها ماريبت فى أبيدوس وتركت لحالها مهملة فى المنطقة بالنسبة الى حالتها المشوهة (٤) تشويها بالغا . ولا يزال مرماها العام واضحا رغم النسخة الوحيدة التى بين أيدينا ، المليئة بالعيوب مع ذلك . وتعد ثانى أقدم مثال كما تعد أكثر النماذج اتقانا لطراز الكتابة الملكية المشار اليها من قبل ويصور الملك وهو يستشير حاشيته منبئا اياهم أنه يود أن يصوغ تماثيل للاله أوزيريس وتاسوعه فى أشكالهم الحقيقية وهو يسألهم أن يقوموا بعمل اللازم لكى يفتش فى الكتب القديمة التى تسجل فيها مثل هذه الأمور ، ويوافق رجال البلاط فى خضوع واضح ثم يرسل موظفا الى أبيدوس ليمهد الطريق فيقوم بعمل الترتيبات كى يظهر أوزيريس فى الموكب فى قاربه المقدس ثم يصل الملك بشخصه ويشرف بنفسه على صناعة الصور ويسهم فى الابادة التقليدية لاعداء الاله . وأما بقية النص فمخصص للملق ، الذى يتسم بالتقوى ، للمعبود

---

(١) J.E.A. XXXIII, 10-11.

(٢) P.M., VII, 389.

(٣) Petrie, History, I, 221 fig., 127, 222 fig, 128.

(٤) B.A.R. I, No. 753 ff.

ولتهديد من تسول له نفسه مستقبلا أن يحول دون تذكر مثل هذا الملك الخير العظيم ·

خلف هذا الـ «نفر حتب» ـ ويبدو أن هناك آخر لا نستطيع تحديد مكانه يحمل اللقب نفسه ـ سيحتحور (٦ ـ ٢٦) الذى لم يمكث على العرش أكثر من ثلاثة أشهر ثم تلاه أخ لـ «نفر حتب» من الأبوين نفسيهما غير الملكيين وهو خع نفررع سبك حوتبه المعروف برابع من يحمل اللقب (٦ ـ ٢٧) وقد ضاعت مدة حكمه فى فجوة وان بقيت لدينا لوحة (١) تسجل العام الثامن من حكمه ، ومن الواضح أنه كان كذلك حاكما قويا ان نحن اعتمدنا فى اصدار ذلك الحكم على آثاره الباقية من عصره وانه لمن العسير أن نعرف معنى وجود تمثال له بغير رأس فى جزيرة أرجو (٢) جنوب كرما مباشرة خاصة وهناك نقش فى المتحف البريطانى يشير الى وجود حركات مناوئة فى هذه الناحية (٣) ، أفكان من أهداف هذا الملك من ملوك الأسرة الثالثة عشرة أن يبعث برسله أو جنده وراء الجندل الثالث ؟ هناك كذلك سبك حوتبه خامس (٧ ـ ١) سجلت له بردية تورين أربع سنوات فقط ، وقد تلاه واح ايب رع ياع ايب (٧ـ٢) الذى حكم عشر سنوات ثم جاء من بعده مرنفررع (٧ـ٣) ومدة حكمه ٢٣ سنة ··· ونحن لا نكاد نلتقى من مخلفات الأخيرين بغير لوحة عتب باب وأسكفة وبعض الجعول ، ولكن مادام قد استطاعا أن يطمئنا الى ولاء رعاياهما هذه السنين الطوال فانه لا يمكن أن يكونا تافهين ··· وبعد مرحتب الملقب ايناى (٧ـ٤) ، والذى نعرفه كذلك من لوحة ومن جعل واحد ، يخيم الظلام على المنظر التاريخى فلا يخلف مما يرى فى الغسق سوى القليل من وراء الأسماء الملكية التى تقدم قائمة بها مرفقة بآخر هذا الكتاب والتى نرى أنه من الضرورى الرجوع اليها ·

ويتركز اهتمامنا فيما يلى حول المسألة الخطيرة الشأن ··· مسألة الحكام المعروفين بالهكسوس · أما فيما يختص بهؤلاء الأجانب فان المؤرخ اليهودى جوزيفوس فى مجادلاته « ضد ابيون » يزعم أنه يروى الكلمات الأصيلة لمانيتو :

---

(١) Alliot, fouilles des Tell-Edfou (1933), Cairo, 1935. pp. 33.

(٢) P.M., VII, 180.

(٣) Säve Söderbergh, pp. 119-120.

توتيمايوس وفى عهده ، لسبب لا أعرفه حلت بنا ضربة من الله ٠
وفجأة تقدم فى ثقة بالنصر غزاة من اقليم الشرق ، من جنس غامض الى
أرضنا واستطاعوا بالقوة أن يتملكوها فى سهولة دون أن يضربوا ضربة
واحدة ، ولما تغلبوا على حكام الأرض أحرقوا مدننا بغير رحمة وقوضوا
أرض معابد الآلهة وعاملوا المواطنين بعدوان قاس فذبحوا بعضهم وساقوا
زوجات آخرين وأطفالهم الى العبودية ، وأخيرا عينوا من بينهم واحدا
ملكا يدعى ساليتس وكان مقره ممفيس ففرض الضرائب على مصر العليا
والسفلى وكان يخلف وراءه حاميات فى الأماكن الهامة ٠٠٠٠ فى المقاطعة
السيثوريتية وجد مدينة ذات موقع طيب جدا تقع على الضفة الشرقية
من الفرع البوباستى للنيل وكانت تسمى أفاريس تبعا للتراث الدينى
المصرى ٠ فأعاد بناء هذا المكان وحصنه بأسوار ضخمة ٠٠٠٠٠ ومات
ساليتس بعد أن حكم ١٩ عاما وخلفه ملك آخر يدعى بنون حكم ٤٤ عاما
تلاه بعدها أباخنان الذى حكم ستة وثلاثين عاما وسبعة شهور ثم أبوفيس
الذى حكم واحدا وستين عاما ومن بعده ياناس مدى خمسين سنة وشهرا
واحدا وأخيرا جاء أسيس الذى حكم تسعة وأربعين عاما وشهرين ، وهؤلاء
الملوك الستة وهم أول من حكم منهم ، كانوا يعملون جاهدين أكثر فأكثر
لاستئصال العنصر المصرى ، وكان جنسهم عامة يسمى هكسوس أى
« ملوك الرعاة » ، لأن « هيك » تعنى فى اللغة المقدسة « ملك »
و « سوس » تعنى فى اللغة الدارجة « راعى » ٠

ويتابع جوزيفوس اشتقاقا آخر لاسم هكسوس من مصدر آخر
فيذكر أنها تعنى « الأسرى الرعاة » لأن كلمة « هيك » بالمصرية تعنى
« أسير » وهو يفضل هذا الاشتقاق لأنه يعتقد ـ كما يعتقد كثير من
دارسى المصريات كذلك ـ أن قصة التوراة عن دخول الاسرائيليين الى
مصر ثم الخروج بعد ذلك لهما أصولهما فى احتلال الهكسوس ثم طردهم
فيما بعد (١) ٠ والواقع أنه رغم وجود أسس لغوية سليمة للاشتقاقين
فانهما جانبا الصواب معا ، وكلمة هكسوس مشتقة من غير شك من
اصطلاح « حيق ـ خاسة » أى « رئيس البلد الأجنبية الجبلية » التى
كانت تعنى منذ عهد الدولة الوسطى مشايخ البدو ـ وقد عثر على جعول
بها هذا اللقب وان كانت كلمة بلاد بالجمع ـ مع عدد من ملوك الهكسوس
لا يحتملون التشكك فى أمرهم والبرهان الأخير فى بردية تورين كما

---

(١) يمكن الرجوع الى دراسة علمية مفصلة عن مشكلة الخروج ـ وان كانت لا تتفق
ووجهة نظر الكاتب هنا لى مؤلف
H.H. Rowley, from Joseph to Joshua, London, 1950.

رأينا ، ومن المهم أن نلاحظ على أية حال ان الاصطلاح يشير الى الحكام وحدهم وليس ـ كما يظن جوزيفوس ـ الى الجنس كله . وطالما أخطأ الدارسون المحدثون فيما يتصـــل بهذا الأمر بل ان بعضـــهم يرى أن الهكسوس جنس معين من الغزاة شقوا طريقهم الى مصر أخيرا بعد أن تم لهم غزو سورية وفلسطين ، وليس هناك ما يؤكد وجهة النظر هذه حتى وان بدا أن كلمات مانيتو نفسها قد تشير الى ذلك ؛ حقا انه حـدث قبل ذلك ببضعة قرون أن الضغط كان يزداد من شعوب أجنبية نازلة على سورية . وكان الحوريون من اقليم قزوين من أوائلهم وهم من مهدوا الطريق للحيثيين الذين جاءوا بعدهم من الشمال الغربى فى نهاية القرن السادس عشر ، ولكن هذه التحركات لم ينتج عنها أكثر من انعكاس بعيد على الحدود المصرية . وأما غزو الدلتا عن طريق جنس جديد محدد فانه أمر مســلم به . وربما كان من الواجب علينـا أن نفكر فى تسرب الفلسطينيين الذين كان يسرهم أن يجدوا مأوى فى ناحية أكثر أمنا وخصبا ، وكان بعض الفلسطينيين ـ ان لم يكن معظمهم ـ ساميا . والمعول من ذلك العصر جاءت بهـــا أسماء رؤساء مثل « عنات هر » و « يعقوب هر » ومهما يكن من معنى « هر » هـذه فان « عنات » هى الربة السامية المعروفة وانه من الصعب أن نرفض وجهة النظر القائلة بأن الأب يعقوب قد خلد ذكره فى الاسم الآخر (١) وانه لمن المستحيل من غير شك أن نمنع الاستعمال الخاطىء لكلمة هكسوس كأنما تشير الى جنس معين ولكن يجب أن ندرك أن المصريين كانوا يستخدمون بالنسبة لهؤلاء المتطفلين ، الذين لا يرحب بهم ، أصطلاح «عامو» الذى نترجمة عادة فى غير دقة كثيرة « أسيويين » والذى استخدم من بعد ليطلق على أسرى الفلسطينيين أو المأجورين المقيمين فى مصر كخدم .

ولكن ما مقدار ما نســتطيع أن نتقبله من القصـــة التى يرويها جوزيفوس من النــاحية التــاريخية ؟ ان كلمته الأولى تثير مشـكلة و « توتيمايوس » ليست فى الواقع غير تصحيح أحد الدارسين ـ حتى ولو كانت الكلمة صحيحة فان هناك أسسا قوية تتصل بالنطق السليم تجعلنا لا نقرن حامل الاسم بالملك « دجدموسى » الذى نعرف أنه يمت لهذا العصر . ومن بين حكام الهكسوس الستة الذين ذكرهم افريكانوس كذلك ، وان كان بصـــورة متفاوتة بعض الشىء ، لا نلتقى بغير ابوفيس وحده معروفا لدينا بغير شك فى الهيروغليفية ، فهناك ملوك اتخذوا من

(١) J.E.A., XXXVII, 62, No. 5.

ابوبى لقبا لهم ، واما أسماؤهم على التوالى فهى عاقننرع ، عاوسررع ، نب خبش رع ، والأخير أقل أهمية مادامت ليست له الألقــاب الفرعونية الكاملة مثــل الآخرين وأما ما عثر عليه مما يحمل أســماء هؤلاء الملوك فقليل ولكنه يكفى مع ذلك ليبين على الأقل أن عاقنن رع ، عاوسررع كانا يعتبران ملكين مصريين حقيقيين ، وهنـــاك معبد من عاقنن رع مكرس « كأثر له لأبيه ست رب أفاريس » • وهنـاك تمثال للملك مرمشع عثر عليه فى تانيس يبدو أنه اغتصبه منه • ، وسنعرف عن عاوسررع أكثر من ذلك فيما بعد ، ولكن علينا هنا أن نشير الى لوحة منحها الى الكاتب الذى أشار اليه بلقب يوحى بعرفانه للجميل وصفه فيه بأنه « الصورة الحية للاله رع على الأرض » ولعله من الطريف كذلك أن نشير الى أن بردية رند الرياضة الموجودة الآن بالمتحف البريطانى مؤرخة بالعالم الثالث والثلاثين من حكمه •

وأقل تأكيدا ـ وان كان محتملا مع ذلك ـ أن نقرن ياناس لدى مانيتو ب « رئيس البلاد الأجنبية خيان » الذى يعرف بهذا الاسم على عدد من الجعول وان كان يوصف بها أحيانا كأنما هو «ابن رع ساوسر ان رع» والاسم واللقب مشتركان فى خرطوش واحد على « غطاء من المرمر عثر عليه ايفانز فى كنوسوس فى كريت كما نجد الاسم « ســاوسران رع » على صدر سفنكس صغير جيء به من تاجر فى بغداد ويشــير تمثال من عصر الدولة الوسطى كشف عنه فى بوباسته الى اغتصابه اياه بما يشبه الاغتصاب الذى ، قام به « عاقنن رع » فى تانيس وهو يستخدم هنا اللقب الحوريسى « محتضـن الأرضين » ويعلن عن نفسه فى جرأة أنه « المحبوب من كاه » (أو روحه) وهناك كتلة عثر عليها فى جبلين عليها لقبه كذلك ، سنشير اليها فيما بعد مرة أخرى ؛ على هذا الأساس الواهى ، أقام بعض الدارسين افتراضهم أن خيان أقام لنفسه امبراطورية عالمية تضم كل النواحى السالفة الذكر ، ولكننا نستبعد هذا الزعم لانه خيالى وان كان يبدو انه لا بأس من أن نرى فيه أنه كان من قبل رئيسا فلسطينيا محليا وفرعونا مصريا ، ومهما يكن من أمر فانه يستطيع أن يزعم لنفسه مكانا بين حكام الهكسوس الستة الرئيسيين •

ويجب أن تراعى وجهة نظر مختلفة تماما خاصة ببعض مدعين آخرين للعرش ليس لدينا عنهم أكثر من جعول أو أختام أسطوانية عثر عليها فى أجزاء بعيدة مثل فلسطين الجنوبية أو مراكز مراقبة الحدود عند كرما فى السودان ، وأما دعواهم بكونهم ملوك هكسوس فاننا نلتقى بها لدى واحد

أو اثنين منهم مثل « عنات هر » و « سمقن » حيث يستخدمان لقب « الرئيس » ولكن آخرين مثل « مروسر » و « ماعاى ايب رع » يضمنان اسميهما داخل خرطوش كما يصطنع « ياعمو » و « شيشى » لقب « ابن الشمس » · فيفاخران ويزهوان به بينما ليس لهما فيه حق أكثر مما يقدمه طراز القطع التى تحوى الأسماء ، فليس هناك أثر أو نقش على الصخور ينهض شاهدا على حكمهم ، وأما الانتشار على نطاق واسع للأدوات والأشياء التى يسهل نقلها وحملها كالجعول فهو بطبيعته عديم القيمة كدليل ، وقد أصبح من المعتقد أن نميز اليوم بين مجموعتين من الهكسوس: تضم الأولى ستة ملوك ذكرهم مانيتو وتحوى الأخرى شخصيات معتمة سنقوم بمناقشتها (١) ، والمجموعة الأخيرة تتطلب بعض الايضاح وسنقوم بهذه المحاولة فيما بعد ، ولكنهم من المؤكد لم يصلوا الى المرتبة الفرعونية التى أضفيت على بعضهم أحيانا ·

انه يبدو من المحتم ـ كما سلفت الاشارة ـ أن نقرن ملوك الهكسوس الستة الذين قدمهم مانيتو على أنهم « رؤساء البلاد الأجنبية » ، والمشار اليهم فى الجزازة البالغة الأهمية من بردية تورين ·وقد كانت هناك فكرة فى وقت ما أن مكانين للقيد فى آخر العمود (النهر » التاسع جاءت بهما أسماء حكام من الهكسوس أحدهم هو (بنون) لدى مانيتو ، ولكن اتضح ان الهيراطيقية أسيئت قراءتها وان وجود أسماء لهم فى الخراطيش مما يحسم الأمر ضد هذا الافتراض ، وأما المجموع الذى يقدمه من قام بتجميع البردية (انظر صفحة ١٦٧ ـ ١٧٠) فانه يشير من غير شك الى أنه عرف ستة من الهكسوس وليس أكثر من ذلك وربما وضعهم فى قائمة الملوك المصريين على مضض ولأنهم كانوا معروفين بحيث لا يمكن تجاهلهم تماما واننى أعتقد أنه كان هناك ستة حكام حقيقيين من الهكسوس لاغير وان تقدير ١٠٨ سنوات يكفى لتدعيم هذا الرأى ، ولقد قدمنا أن الفترة ما بين نهاية الأسرة الثانية عشرة وولاية اموزيس مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ومطاردة الهكسوس هى ٢١١ سنة فقط ، فلئن كانت السنة الرابعة ل أموزيس هى نهاية الاحتلال الأجنبى وقمنا بطرح ١٠٨ سنوات من المجموع وقدرة ٢١٥ سنة فان ما بقى وهو ١٠٧سنوات تخلص لأسرتى مانيتوالثالثة عشرة والرابعة عشرة ، وأما المرحلة الكبيرة التى ترجع بالاحتلال الى الأسرة الرابعة عشرة فيبدو انه شغلها حكم نفرحوتب الذى امتد سلطانه كما

---

(١) قام بدراسة أخيرة Säve Södrebergh, J.E.A., XXXVII, 62-63.

رأينا مبعدا الى ببلوس ، ونحن نختم القول بأنه لا يكاد يكون هناك مجال لأكثر من ستة من الهكسوس الأقوياء ليغتصبوا عرش الفراعين ، وفي هذه الحالة فان وصف مانيتو لهم بأنهم « أول الحكام » مضلل ويجب في هذه الحالة أن تختفي الأسرتان السادسة عشرة والسابعة عشرة . وهناك دلالة أقوى مقنعة هي وجود « ابوفيس » بين أول الحكام لدى مانيتو ، وذلك يعني أن نفس الاسم هو للهكسوسي الذي حاربه أخ اموزيس وسلفه المباشر كاموزة ، وهكذا فان الستة الملوك لا يلحقون بأول الاحتلال الأجنبي فقط بل بآخره كذلك وليس لنا أن نغفل الدليل الذي تقدمه لوحة سلفت الاشارة اليها (صفحة ٦٨) من عصر متأخر تسجل سلسلة طويلة من الكهنة الممفيين يذكرون أنهم مارسوا الوظائف الكهنوتية من الأب الى الابن ابتداء من الأسرة الحادية عشرة . وكما هي الحال دائما مع متون الانساب نرى ان المعلومات التي تقدمها هذه الوثيقة الثمينة ليست مما يعتمد عليه تماما ، ولكن لا يمكن أن تثار الشبهة حول ترتيب الملوك المذكورين بها . ونحن نجد فيها أن الملك السابق لـ اموزيس هو أبوبي الذي يتبع بدوره واحدا غير معروف هو شارك الذي كان من غير شك واحدا من أواخر الهكسوس ، وفي المكان السادس قبل شارك نجد « عقن » خلفا مباشرا لملك يدعى ايبي الذي يشير اسمه الى انه من مولد مصري والذي ربما كان هو الفرعون صاحب هذا الاسم المسجل في منتصف النهر (العمود) السابع من بردية تورين ، وهناك افتراض به بعض الجرأة قد يؤدي بنا الى أن نقرن عقن بـ عقنن رع أبوبي الذي قدمناه في صفحة ١٧٨ ولكن يجب أن نلجأ لتحقيق ذلك الى قطعة من الدعاية المصرية الفجة فـ « عاقن » كما تكتب على اللوحة تعني « الجحش القوي » بينما نعني « عاقنن رع » « رع عظيم وقوي ، وعلى أية حال فان النقطة الهامة فيما يتصل بهذه اللوحة الممفية هي أنها تغطي كل عصر الهكسوس ، وتستطيع تبعا لذلك ألا تشير لأكثر من ست مدد للحكم ان سلمنا أن طول كل مدة منها عادي .

وليس من الممكن أن نوغل في أمر الاعتماد على مانيتو دون أن نقدم بعض البيانات عن الأمراء الطيبيين الذين استطاعوا في نهاية الأمر أن يردوا الغزاة الأجانب ومادام أمامنا الكثير الهام مما يمكن أن يقال فاننا سنضحي بتقديم غير الملائم على أن نقدم في اسهاب تعاقب الحكام الذين شغلوا كل النصف الأخير من العصر الوسيط الثاني ، وهناك حوالى اثنى عشر ملكا وانه لما يميز مانيتو وأثره أن الجدل لا يزال قائما حول أيهم

يمت للأسرة السادسة عشرة وأيهم ينسب للأسرة السابعة عشرة ، واننا بالكاد نستطيع أن نحدد تعاقبهم الصحيح ولكن من المستحيل لحد ما — كما هي الحال في الأسرة الحادية عشرة — أن نرجعهم الى سلف مشترك، وانا لنجد أنه من المريح أن نبدأ بملك يدعى رع حوتبه ذكر في قائمة ملوك الكرنك وربما كذلك في بردية تورين (١١ — ١) وتوجه اليه حاشيته الحديث في لوحة مكسورة من قفط (١) الملق المعتاد كما أن هناك واحدا من موظفيه يتحدث في نقش من أبيدوس (٢) عن اصلاحات قام بها في جدار معبد أوزيريس ، وقد ذكر هذا ال « رع حوتبه » كذلك في قصة من عصر متأخر جدا . ومن المحتمل أن يكون الملك التـــالى في البردية (١١ — ٢) الذى جاء عنه أنه حكم ستة عشر عاما هو « سبك ام سا اف » ورد ذكر لعامه السابع على كتابة شهدها لبسيوس في وادى الحمامات(٣) ، وبعد ذلك بقليل نقرأ من « نبيريراو » الذى ترجع أهميته الى تاريخ لوحة كبيرة (٤) أقيمت في عهده رغم أنها تتناول موظفين من الناحية الشخصية الا ان هذا الملك أمر باقامتها في الكرنك كسجل دائم — ويبدو أن هناك من يدعى كبسى كان قد كلف نفسه دينا كبيرا يبلغ ستين دبنا من الذهب (٢٥٠٠ جنيه بعملتنا الحالية) لقريب يشغل مركزا كبيرا يدعى سبك نختة ولما لم يستطع الدفع وافق على أن ينقل لدائنه عمودية مدينة الكاب الهامة مع عائداتها ، وتوضح الرواية الأصلية كيف أن كبسى نال هذه الوظيفة . وهناك كل التفصيلات المتعلقة بالاجراءات القضائية التى تمت وبمحكمة الوزير ثم بالقســم النهائى الذى أداه الطرفان .. وهنـــاك بعض الأمور الغامضة ، ولكن هذا لايمنع من القول بأن هذا المستند يلقى أضواء على نموذج من التصرف الادارى في مصر أكثر من غيره مما بقى لنا من العصور الفرعونية .

وقد وصل الينا معظم معلوماتنا عن صغار الملوك التالين مما عثر عليه في منطقة دراع أبو النجا على الضفة الغربية لطيبة ونحن مدينون للأبحاث الرائعة للأمريكى هـ . ونلوك (٥) بالنســبة لكل من الحفائر في

---

(١) P.M., V, 129.

(٢) المتحف البريطانى ، Hieroglyphic Texts. IV, pl. 24.

(٣) P.M., VII, 332.

(٤) P. Lacau, Une stèle juridique de Karnak, Cairo 1949.

(٥) أنظر بخاصة مقالة في J.E.A., X, 217 ff.

الموقع المذكور ولجمع المعلومات من مختلف المصـادر ، وقد ألقت السرقات التى ارتكبها بعض العرب فى أوائل القرن التاسع عشر الضـوء على مقبرة فرعون كان قد اتخذ لنفسه اللقب الذائع فى الأسرة الحادية عشرة وهو لقب انيوتف ، وقد نقل تابوته المذهب الى المتحف البريطـانى عقب ذلك ، ويلاحظ أنه ، كما هى الحال فى توابيت العصر المذكور ، يبدو الملك فى ثوب ريشى ، ونحن نعرف ملكين آخرين بلقب انيوتف يرجعان كذلك الى هذا العصر ونعرفهما من تابوتين ريشيين مشابهين نقلا الى اللوفر فى النهاية وكان صاحباهما أخوين، كان تابوت أحدهما منحة من أخيه، ولدينا من الأسباب مايدعونا الى ترجيح ان الانيوتف الذى يوجد تابوته فى متحف لندن هو نوب خبرو رع الذى نعرفه من نقوش وجدت فى ابيدوس (١) وقفط (٢) وهناك نص غير عادى عثر عليه فى الموقع الأخير هو عبارة عن مرسوم ملكى يحرم ثائرا موظفا بالمعبد يدعى تتى بن منحوتبه من وظيفته ويهدد بالعقوبة كل ملك فى المستقبل أو أى صاحب سلطان يعفو عنه أو عن أى فرد من أفراد عائلته أو نسله ، ومن المصادفة أن مقبرة هذا المدعو « نوب خبرو رع » كانت واحدة من المقابر التى تم التفتيش عليها ووجدت سليمة وذلك بوساطة موظفين عينهم رمسيس التاسع بعد حوالى خمسمائة عام ليحققوا اتهامات السرقة التى أثارها عمدة طيبة « بسيور » نكاية فى زميله على الضفة الغربية (٣) ، وقد أفاد ونلوك من المعلومات التى تقدمها بردية أبوت المشهورة والموجودة بالمتحف البريطانى وقرر أن الهيئة لم تنتقل من الشمال الى الجنوب لتؤدى هذا العمل فحسب بل ان مقـابر الملوك التى أشير اليها حددت أماكنها كذلك ، ولئن كان هذا صحيحا فانه من المحتمل أن تعاقب الكثيرين من هؤلاء الفراعين يمكن أن يحدد على وجه الدقة . وقد قامت على الفور أبحاث تستهدف الاستيثاق من رأى ونلوك وأمكن العثور على بقايا أهرام تبدو قليلة الأهمية وكان يقع هرم نوب خبرو رع عند أقصى الشمال منها . وأما المقبرة الملكية التالية الى الجنوب فربما كانت لأحد الاثنين اللذين يحملان لقب انيوتف .. وأما بعد ذلك فنلتقى بالهرم الوحيد الذى نهب فعلا وهو هرم « سخم رع شد تووى

---

(١) P.M., V, 48.

(٢) Op. cit., 125, BAR. I, No. 773 ff.

(٣) انظر فيما بعد ٣٢٨ ومابعدها لمراجع كل مايلى .

ســبك ام سا اف » وانا نترك للهــامش ادناه (١) أن يروى قصــة الكشف التى تقرب من الخيال عن النصف المفقود للبردية التى تسجل محــاكمة اللصــوص • ويروى هنــا رئيس العصــابة المدعو « أمن بنوفه » ، كيف اقتحم هو وزملاؤه طريقهم الى القبر وعندما شاهدوا تابوتى الملك والملكة « نوب خاع اس » جردوهما من الذهب والفضة والحلى ثم أحرقوا كل شيء • وقد ثارت الشكوك حول صحة هذا الاعتراف وعلى أية حال فاننا نستطيع أن نثق ان اعتراف « امن بنوفه » لم يكن بالصــورة المبسطة التى قدمها الكاتب ، ولكنه انتزع منه تدريجيا عن طريق استخدام الاكراه بالضرب بالعصا على الأقدام (٢) ، وكانت الزيارة التاليه ــ طبقا لما جاء ببردية أبوت ــ للمقبرتين الخاصتين بالملكين اللذين يحملان لقب سقنن رع تاعو ، ولكن هذا بعيد الاحتمال جدا ، ورغم ان اللقب تاعو قد يكون واحدا فى الحالتين فان ثانيهما هو الذى كان يحمل اسم « سقنن رع » (٣) الذى نستهل به الأسرة السابعة عشرة والذى بدأ بطرد الهكسوس ، وهناك قصة (٤) لم يبق لدينا الا الجزء الأول منها تربط بين هذا الملك الطيبى ومعــاصره من الهكســوس ورغم ان الفكرة فى مجمــوعها خيالية الا أن تركيبها يقدم صورة قد تقارب الحقيقة ؛ وتقول الفقرة الأولى منها :

وعندئذ حلت بمصر محنة رهيبة ، ولم يكن هناك حاكم يحكمها كملك فى ذلك الوقت ، وكان « ســقنن رع » حاكما على المــدينة الجنوبية (٥) •••• بينما كان الرئيس أبوفيس فى أفاريس ، وكانت كل الأرض تدفع له الجــزية كاملة وكذا كل الأشــياء الطيبــة من

---

(١) كانت هذه الوثيقة التى عرفت من قبل باسم بردية امهرســت حتى نشرها « شاباس » ١٨٧٣ تحوى الانصاف السفلية لأربع صفحات مكتوبة كتابة متقنة بالهيراطيقية، وفى فبراير ١٩٣٦ أتيحت للعالم كابار الفرصة ليفحص بعض الآثار المصرية التى جاء بها من قبل دوق باربان عام ١٨٥٤ وهى المعروضة الآن فى متحف بروكسل • وقد مد كابار يده الى تجويف فى داخل تمثال خشبى صغير واخرج منه مايثبت أنه النصف العلوى المفقود من الملف ، ولم يكن أمرا غريبا بالنسبة للأهلين فى مصر ممن يعثرون على البردى ان يقطعوه الى جزئين ذلك لان بيع ملفين يأتى بربح أكبر من بيع ملف واحد ، ولما ضم النصفان بعضهما الى بعض بقصد التصوير والنشر خرجت من وراء ذلك وثيقة رائعة لا يعادلها فى الاهمية الا نظائر قليلة جدا •

(٢) J.E.A. XXIV, 59 ff.

(٣) Op. cit., X, 243-4.

(٤) Op. cit., V, 40 ff., Gardiner, Late Egyptian Stories, 85 ff.

(٥) طيبة

تيموريس (١) واتخـذ الملك أبوفيس سـوتخ (٢) الها له ، ولم يحترم الها في الأرض كلها سوى سوتخ وقام ببناء معبد جميل أبدى بجوار بيت الملك أبوفيس ، وكان يقوم كل صـباح ليقـدم الأضاحى لسوتخ وكان موظفو الملك يحملون أكاليل الزهور كمـا كان يحدث تماما فى معبد حاراختى .

ويتوالى سرد القصة لتروى أن حاكم الهكسوس أراد أن يلقى الاتهام ضد « سقنن رع » فلفق اتهاما سخيفا مؤداه أن عجل البحر فى طيبة كان يصدر خوارا فى الليل يمنعه من النوم ... وأما ما يلى ذلك فمفقود ، ولكننا نعلم ان الصراع انتهى بنصر « سقنن رع » وان لم يكن صراعا من النوع الحربى ، ومن المحتمل ان خصمه كان هو أبوفيس نفسه الذى أصبح كما سنرى عدوا لخلفه كاموزه ، وأما عنه شخصيا فانه رغم أنه لم يمكن تحديد مكان مقبرته بصفة نهائية الا أن ونلوك استطاع ـ بمقتضى الأسس السابقة ـ أن يحدد مكانها التقريبى ، ولعل مما تجدر الاشارة اليه العثور على جثته (٣) ، ذلك أنه فى السـنة العاشرة من حكم سيامون من ملوك الأسرة الحادية والعشرين (٤) كان قد بلغ نهب الجبانة الطيبية حد أن الأمر استدعى أن ينقل كل ما يمكن نقله من التوابيت الملكية ومحتوياتها الى مقبرة الملكة « انحعبى » بالقرب من الدير البحرى حيث كشف عنها عام ١٨٨١ وكان الكشف مثيرا بطريقة لا نظير لها فى الدراسات المصرية الحافلة بالكثير من الأشياء المثيرة (٥) ، ذلك أنه لم توجد هنا التوابيت فقط بل كثير من الجثث المحفوظة كذلك لفراعين الأسرات الثامنة عشرة الى العشرين وان جردت من حليها والمعادن الثمينة التى كانت تزينها يوما ما ، وأما جسد « سقنن رع » فقد كان متقلصا كأنما كان يقاسى الألم من سكرات الموت ، وقد ظهرت به جروح قاتلة فى الرأس والعنق ، ويفترض البعض أنه مات فى معركة ضد الهكسوس ومع ذلك فليس هناك من دليل على ذلك ، وعلى أية حال فانه لم يكن قد تجاوز الثلاثين من عمره .

ولنرجع من جديد الى « جوزيفوس » وما نقله عن مانيتو . فمن

---

(١) اسم لمصر .

(٢) لكتابه اسم الاله ست انظر صفحة ١٨٥ .

(٣) G. Elliot Smith; R.M., p.p. 1-4.

(٤) لتحديد التاريخ انظر J.E.A., XXXII, 24 ff.

(٥) انظر فيما بعد صفحة ٣٤٨ وما بعدها .

الواضح انه عرف الشيء الكثير عن أفاريس وهي المعقل الذى اختاره الهكسوس من أول الأمر قاعدة لهم وهى طبقا لما جاء فى كتابات ذلك المؤرخ اليهودى كانت تقع فى ذلك الجزء من شرق الدلتا المعروف بالمقاطعة السثروتية ، وقد اختلفت الآراء فى تحديد موقع « حاوعرة » وهو اسم أفاريس باللغة المصرية ، ويعتقد أغلب الباحثين (١) ان هذه هى التسمية القديمة لما عرف فيما بعد تحت اسم المدينة العظيمة تانيس وان كان غيرهم (٢) يفضل موقعا بالقرب من قنطير على بعد أحد عشر ميلا الى الجنوب ، وكان الهكسوس يعبدون فى أفاريس الحيوان الاله الغريب الشكل ست الذى يرسم هكذا فى نقوش المعبد وفى أماكن أخرى ، وقد أشرنا اليه من قبل (صفحة٢١) كعدو وقاتل للاله الطيب أوزيريس ولكن الهكسوس اختاروه ليتجاهلوا هذا المظهر الذى يدعو للأسف كما كان يحدث فعلا من قبل فى هذا الركن من الدلتا من أقدم العصور (٣) • وأما ترجمتهم لمنطوق الكلمة ست التى تكتب بالبابلية كأنما تنطق سوتخ فكانت من غير شك أسيوية فى مظهرها أكثر منها وطنية الأصل اذ يحمل فى ثنايا ملابسه ورداء رأسه تشابها مميزا للاله بعل السامى ، وهناك أكثر من دليل على أن الهكسوس جاملوه أكثر من كل المعبودات المصرية وان لم يكن هناك ما يبرر فعلا اتهامهم باحتقار واضطهاد هذه المعبودات ، وهناك فيما يتصل بست أوسوتخ الهكسوسى لوحة هامة كشف عنها ماريت فى تانيس ثم قام بردمها حتى رفع الرمال عنها ب • مونتيه (٤) ، وربما كانت لهذه اللوحة أهمية تاريخية وقد رسمت فى المنظر العلوى فوق النص الهيروغليفى صورة لرمسيس الثانى يقدم القرابين للاله الذى يوصف هنا كأنما هو ست نوبتى أى ست انبو أو أومبوس وهى المدينة التى اعتبرت الموطن الأصلى له فى مصر العليا ـ ثم يروى النص بعد ذلك كيف أن والد رمسيس الثانى وهو ستى الذى أصبح فيما بعد الفرعون سيتوس الأول ولم يكن اذ ذاك سوى قائد حربى ووزير ، كيف أنه جاء فى السنة الأربعمائة الاله ليقدم له الولاء ، وقد دار جدل حول احتمال كبير لأن يشير هذا النص الى وصول الهكسوس الى أفاريس ، وما دام الاحتفال المذكور حدث خلال حكم حرمحب حوالى

(١) Onom., II, pp. 171* ff.

(٢) انظر فيما بعد p. 258

(٣) Ann. Serv. XLIV. 295 ff.

(٤) Kêmi IV 191 ff. وترجمت فى A.N.E.T. p. 235

١٣٣٠ ق٠م فان الاحتلال الأول لهذا المكان يؤرخ في هذه الحالة بعام ١٧٣٠ بعد أقل من ستين سنة بعد بداية فترة العصر الوسيط الثاني ولئن ربطنا هذه الأرقام بما عرضناه من قبل فان الهكسوس ربما يكونون قد استولوا على أفاريس أكثر من خمسين عاما قبل أن يستطيع واحد منهم أن يستشعر من القوة ما يجعله ينصب نفسه فرعونا شرعيا ، ومن المناسب أن نلاحظ أن تاريخ بنـاء تانيس يتردد طويلا ففي سفر العـدد ١٣ : ٢٢ يشار الى أن « حبرون » بنيت قبل صوعن (تانيس) في مصر بسبع سنوات » وهذا يكاد يؤكد ان تانيس وأفاريس شيء واحـد ، ولكن فحوى هـذا التأكيد لا يزال موضع جدل شديد ٠

لم يحدث كشف أثرى في السنوات الأخيرة عن الآثار بين العلماء مثل ما أحدثه الكشف في الكرنك ١٩٥٤ عن لوحة كبيرة تروى في افاضة الجهود الحربية التي قام بها كاموزة خليفة «سقنن رع» ضد ملك الهكسوس عاوسررع أبوبي (١) ، وكانت حفائر اللورد كارنارفون قد كشفت قبل ذلك بخمسين سنة تقريبا عن لوحة كتبت بالهيراطيقية تروى المراحل الأولى للصراع (٢) ٠ وقد ظن البعض في أول الأمر بانها ليست سوى موضوع أدبي ، ولكن العثور على قطع قليلة مكسورة في الكرنك في عام ١٩٣٥ أثبت أن لوحة كارنارفون نسخة نقلها كاتب عن نص تاريخي أصيل أقيم في المعبد (٣) ، ولا نزال ننتظر من لبيب حبشي أن ينشر الوثائق الثلاث وهو ممن يرجع الى جهوده الفضل في العثور على لوحة كاملة فعلا وان كان من الواضح انها ليست سوى متابعة للنص المكتوب بالهيراطيقية ، وهاك فقرة مختصرة من فحواها ٠

في العام الثالث للملك القوى في طيبة ، كاموزه الذي عينه رع ملكا حقيقيا ومنحه القوة في رضا تام تحدث جلالته في قصره الى مجمع الكبراء الذين في حاشيته قائلا : « أريد أن أعرف ما معنى قوتي هذه حين يكون هنـاك رئيس في افاريس وآخر في كوش وأنا أجلس مرتبطـا بأسيوى ونوبي ، وكل منهما يتملك شريحته في مصر هذه وأنا لا أسـتطيع أن أتجاوز ممفيس ٠ هاك انه يضع يده على خمون (٤) وليس هناك توقف عن النهب بسبب العبودية للستيو ، انني سأصارعه وأبقر بطنه ، ان رغبتي هي أن أخلص مصر واضرب الأسيويين » وعندئذ قال كبار مجلسه

(١) Ann. Ser. LIII, 195 ff.

(٢) J.E.A., III, 95 ff.

(٣) Ann. Serv., XXXIX, 245 ff.

(٤) هيرموبوليس ماجنا ، الاشمونين الحالية ٠

« هاك أن الجميع موالون للأسيويين حتى القوصية ونحن مطمئنون في نصيبنا من مصر ، الفنتين قوية ، والقسم الأوسط معنا حتى القوصية والناس يحرثون لنا أجمل أراضينا وماشيتنا ترعى في مناقع البردى . ان الحبوب يرسل بها الى خنازيرنا وماشيتنا لا تستلب » .

ومعنى هذا أن الحاشية كانت ترى انه ربما كان من الأنسب لظروف معينة ألا يبادأ بالعدوان ، ولكن كاموزه أعرب عن عدم رضاه عن هذه النصيحة التي تتسم بالحرص وأعلن تصميمه على استعادة مصر كلها وعندئذ نرى النص يستكمل بضمير المتكلم :

أبحرت شمالا في عزم وقوة لأغلب الأسيويين بأمر أمون أعدل الناصحين ، وكان جيشي القوى أمامي كلفحة اللهب وكان جند المدجا النوبيون يقفون عاليا فوق قمراتنا ليراقبوا الستيو ويدمروا مواقعهم . كان الشرق والغرب يتملكان خيرة ما كان لهم وكان يتم تموين الجيش بكل شيء في كل مكان .

ويبدو أن كاموزه وجه عقب ذلك فرقا من المدجايو لمعاقبة من يدعى تتي بن ببي الذى كان من الواضح مصريا بارزا اعتزل في نفروزى (١) الذى جعل منها وكرا للأسيويين ، وقد أجل سحق هذا العدو للغد على أية حال:

قضيت الليل في سفينتي وقلبي سعيد ، ولما أضاءت الأرض انقضضت عليه كالصقر - كان ذلك وقت تطهير الفم (٢) فهزمته ودمرت أسواره وذبحت قومه وجعلت زوجته تذهب الى ضفة النهر - كان جنودى كالأسود مقابل فريستهم فاقتسموا فيما بينهم ممتلكاتهم من العبيد والماشية واللبن والدهن والعسل .

وبعد بضع جمل غامضة يتهشم النص الهيراطيقى ... ثم تستأنف الرواية في استهلال اللوحة المكتشفة حديثا ، فنرى كاموزه بالقرب من قلعة أفاريس يقرع عدوه بالمفاخرة والتهديد ، وقد سجل تتابع الأحداث في اسهاب وفى لغة بليغة جدا ، ولسنا نستطيع أن نذكر هنا سوى فقرات قليلة بارزه ... كان أبوفيس قد طرد من غير شك من مصر الوسطى لاننا نجد بين الكلمات التى قالها كاموزه :

---

(١) قرب خمون في شمالها بقليل ، راجع Onom. II, p.p. 83*, p.p. 84*

(٢) ساعة وجبة نصف النهار (الظهيرة) .

ان قلبك معطل أيها الآسيوى الوضيع الذى اعتاد أن يقول « أنا سيد » وليس هنـاك من هو ند لى من خمـون وبى حتحور (١) حتى أفاريس ٠

وإما أن المحارب الطيبى لم يكن بحال من الأحوال يشعر بالخجل من جراء قسوته ضد مواطنيه فيتضح من قوله :

أجتحت مدنهم وحرقت مواطنهم حتى أصبـحت خرائب حمراء الى الأبد وذلك بسبب التخريب الذى كانوا قد ألحقوه بمصر ولانهم جعلوا من أنفسهم خدما للأسـيويين وتخلوا عن مصر سيدتهم ٠

ثم تلى ذلك فقرة بالغة الأهمية :

قبضت على رسول له متجه عبر الواحات الى الجنوب نحو كوش يحمل رسالة مكتوبة ووجدت ان كاتب الرسالة من أفاريس يقول « أنا عاوسررع بن رع ، أبوبى احيبى ابنى رئيس كوش ٠٠لم أصبحت رئيسا دون علمى؟ ألم تشهد مافعلته مصر ضدى ٠٠ ان كاموزه القوى الرئيس الذى بها قد طردنى من أرضى ولم أستطع الوصول اليه ٠٠ بعد كل ما فعله ضدك باختيـاره للأرض التى يجتاحها ٠٠٠ أرضى وأرضك يدمرهما ٠٠٠٠ اقبل فورا الى الشـــمال ولا يتملكك الجبن ٠ هاك انه هنا معى ٠٠٠ سوف لا أدعه يفلت منى حتى تحضر وعندئذ سنتقاسم مدن مصر هذه بيننا ٠

أما الواقعة الكاملة غير المتوقعة التى برزت فى هذه الفقرة فهى أن أبوفيس الذىكان يحاربه كاموزه هو نفس عاوسررع الذى ينهض لقبه على معبد فى جبلين مع لقب خايان (٢) دليلا أساسيا على أن الهكسوس لم يبعدوا الى هذه الناحية جنوبا ٠ ان كل سياق النص الضخم يؤكد فى وضوح أن أبوفيس هذا ـ الذى يحتمل انه آخر من حمل اللقب ـ لم يمتد نفوذه الى أبعد من خمون اللهم الا فى احتلال مؤقت قصير لاقليم جبلين (بى حتحور) وليس هناك دليل حقيقى أن غيره من جنسه قد تم له ذلك الأمر ـ وقد كشفت مقدمة لوحة كارنارفون عن شىء لم يكن معروفا من قبل هو قيام مملكة كوشية منفصلة وهو الذى يوضح هنا موضع التأكيد ؛هذا الى أنه كشف أخيرا عن بعض لوحات فى وادى حلفا كرسها بعض ضباط

(١) لا بد أن بى حتحور هذه مدينة قرب جبلين ، انظر *.Onom. II, p.p. 17 ff

(٢) ,P.M , V. 163

يحملون أسماء مصرية كانوا يعملون فى هذه المرحلة فى خدمة رئيس كوش (١) ولكن حاشية كاموزه أكدت فى اجابتها عليه ان الفنتين فى قبضتهم المكينة · ومن الواضح انه لم يكن فى هذه المرحلة قلقا من ناحية جيرانه النوبيين ، وبطبيعة الحال كان الأمر كذلك فى الرقعة الممتدة شمال الجندل الأول حتى خمون وان كل تفكيره كان مركزا على طرد الأسيويين ، وتتحدث خاتمة اللوحة الجديدة عن عودة كاموزه منتصرا الى عاصمته حيث جن الناس به فرحا — ومع ذلك فان القدر لم يكتب له أن يكون هو القاهر النهائى للهكسوس ذلك ان هذا العمل المجيد ادخره لخلفه « عاحموزه » الأول (اموزيس لدى مانيتو) الذى مجدته الأجيال اللاحقة كمؤسس للأسرة الثامنة عشرة واما تفاصيل سقوط أفاريس فنقشت على جدران مقبرة فى الكاب لجندى يدعى « عاحموزه » بن أبانا (٢) وقد خلف هذا الرجل فى صدر حياته أباه « بابا » الذى كان يعمل تحت امرة « سقنن رع » · وبدأ خدمته العسكرية فى عهد أموزيس حين أبحر الملك شمالا ليهاجم العدو ثم أخذ يرتقى بفضل شجاعته من سفينة الى سفينة كما حارب راجلا فى حضرة مولاه ، وأنعم عليه فى مناسبات متعددة لا بأسرى ذكور واناث فحسب بل كذلك بوسام يدعى « ذهب الشجاعة » · ويبدو ان حصار قلعة الهكسوس لم يكن أمرا سهلا وقد تبعه حصار آخر لم يستغرق أقل من ثلاث سنوات عند « شروحين » وهو موقع فى جنوب غربى فلسطين جاء ذكره فى سفر يوشع (١٩ : ٦) ويظهر أن هذا الموقع كان حد حملة أموزيس فى القطاع الفلسطينى ، لأنه كان لايزال عليه أن يكافح المغتصب فى النوبة كما كان عليه أن يقضى على اثنين من الثوار كانا لا يزالان فى مصر العليا ، وقد صحبه تابعه الكابى الشجاع فى كل مكان وهو يسجل ما أداه من أعمال التقتيل والذبح فى كل المعارك وما ناله بعد من مكافآت بما فى ذلك بعض الحقول فى مدينته — وانا لنلقى مثل هذه الأعمال الباهرة — وان كان ذلك باختصار — على يد قريب شاب من الاقليم نفسه دعى « عاحموزه بن نخب » الذى يمتد نشاطه كجندى نشيط وكأحد رجال البلاط عبر خمس مدد حكم متتابعة (٣) وهناك دليل فى مكان آخر على ان الملك أموزيس عامل كل جنوده بسخاء كانوا يستحقونه من غير شك — وأما الخمس والعشرون سنة التى يقدرها له مانيتو فمن الواضح أنها

---

(١) J.E.A., XXXV, 50 ff.; Kush IV, 54 ff.

(٢) J.E.A., V, 48 ff. « ابانا » كان اسما لأمه ·

(٣) B.A.R., II, No. 17-25, 344.

لا تبعد كثيرا عن الرقم الصحيح ــ وقد تابع ابنه وخلفه امنوفيس الأول (امنحتبه كما يكتب بالهيروغليفية) سياسة أبيه مع بعض الاختلاف ذلك أنه حتى هذه المرحلة كان الهدف اعادة مصر الى حدودها الشرعية ، ولكن انبثقت في هذه المرحلة رغبـة « توسيع الحدود » وهـذا اصطلاح شاع استعماله منذئذ وان لم يستخدم من قبل الا مرة أو اثنتين في عهد الأسرة الثانية عشرة ، وقد شغل امنوفيس أكثر ما شغل بالنوبة في حملة نشهد فيها الجنديين الكاتبين يلعبان دورا هاما ، فيزعم ابن ابانا انه نقل الملك الى الجنوب وانه بعد القبض على رئيس الأعداء عاد بمولاه الملك الى مصر في مدى يومين (١) ، فلئن كان هذا صحيحا فان معنى ذلك ان الملك لم يجازف بالابتعاد كثيرا نحو الجنوب ، ولكن يبدو مع ذلك أن الرأى قد استقر نهائيا على استعمار النوبة ، ونحن نلتقى في خلال حكم هذا الملك للمرة الأولى باللقب الذى تبلور فيما بعد الى « ابن الملك في كوش » ونحن نلتقى في عهد أموزيس بالوالى المقبل (نائب الملك) تورى « قائد بوهن » (وادى حلفا) وهو يلقب في عهد أمنوفيس بـ «ابن الملك» وهى صفة أضيف اليها فيمابعد لقب «حاكم الأراضى الجنوبية» وبرغم أن اسمه «عاحموزه» ، وليست كلمة « تورى » سوى كنية الا انه ليس هناك ما يدعو الى التفكير في انه هو أو أى واحد آخر ممن اصطنعوا اللقب المذكور كانوا أبناء حقيقيين للفرعون الحاكم • ونحن نلتقى في حوالى هـذه الفترة في الكاب التى شـهدناها تزودنا بالجنود الشجعان بلقب مبهم هو « أول ابن للملك في نخبة » (٢) (أى الكاب) وانه لمن العسير أن نصدق ان هذه الصفة لها علاقة بتعاقب ولاة النوبة ويشجع على هذا الرأى مانشهده بعد قرنين فيما يتصل بنخن وهى هيراقونبوليس المقابلة للكاب من أنها تعرف بنقطة البدء الشمالية لاداراتهم (٣) •

ولئن رجعنـا الى الوراء لنلقى نظرة على ما كشفت عنـه المصـادر المعاصرة فيما يتصـل باحتلال الهكسوس الذى اتسم بالاذلال لنجد ان ماذكره مانيتو في الصورة التى يرويها جوزيفوس يحوى الحق والباطل معا في معايير متعادلة ، ولقد كان فايل (فيبى)R. weill (٤) أول من أصر على التحريف الذى يرجع الى طراز الرواية الأدبية التى أصبحت تقليدا ثابتا

---

(١) Op. cit., II, No. 39

(٢) Ann. Serv. X, 193 ff.

(٣) Huy, p. 11.

(٤) هو ما سبقت الاشارة اليه من قبل في (صفحة ١٨٤) •

من تقاليد الكتابة التاريخية المصرية : فترة من الخراب والفوضى ملونة فى كثير من المبالغة بألوان مغرية تستخدم عادة لتمجيد الحاكم الذى ينسب اليه خلاص البلاد ، وتمثل رواية مانيتو المرحلة الأخيرة لعملية التزييف التى بدأت بعد جيل من نصر أموزيس ، وبعد حوالى ثمانين عاما من طرد العدو نجد الملكة حاشبسوه (١) تصـــور اغتصـــابهم فى نفس الصـــورة التى تقدمهـــا تقريبا قصـــة « سقنن رع » وأبوقيس وهنـــاك نظائر من هـــذا كله من عصر « توت عنخ آمن » و «مرنبتاح» و « رمســـيس الرابع » ، وليس لنـــا أن نصـــدق أن جحـــافل قوية من الغـــزاة الأســـيويين انحـــدروا الى الدلتـــا كاعصـــار فاحتلوا ممفيس وأنزلوا بالأهلين كل لون من ألوان القسوة ، ان البقايا القليلة مما خلفه ملوك الهكسوس تشير الى محاولة جدية لاسترضاء المواطنين ولتقليد صفات ومظاهر الفراعين الضـــعاف الذين قاموا بخلعهم ، والا أفكانوا يتخـــذون الكتابة الهيروغليفية ويصطنعون لأنفسهم ألقابا يدخل فى تركيبها اله الشمس رع؟ اما أمر جبايتهم للضرائب من مصر العليا ومصر السفلى على السواء فموضع شك على الأقل ؛ لأنه ـ كما رأينا ـ ليست وجهة نظر احتلال الهكسوس للبلاد كلها سوى وهم قضى عليها النص الكبير لـ كاموزه الذى يتضمن فى وضوح ان الغزاة لم يتقدموا اطلاقا فيما وراء جبلين والذى يشير الى أنهم اضطروا بعد قليل الى ارساء حدهم الجنوبى عند خمون ، وحتى قبل العثور على هذا الكشف نجد ان « سيفه زيد دبرج » (٢) قد استخلص من كلمات رجال الحاشية على لوحة كارنارفون ان جانبا كبيرا من السكان قد استسلموا للاحتلال الآسيوى وأنهم وجدوا أنه من الممكن أن يتأملوا مع الغزاة على أسس مشتركة يفيد منها الطرفان وتدعم وجهة النظر هذه بقوة المعلومات التى تقدمها اللوحة الكبيرة بل انها تشير الى أن التدمير الذى قام به الرجل القوى الذى ثار فى طيبة أضخم مما فعله المهاجرون الهكسوس ، ويجب أن نضع فى أذهاننا ان الأمراء الطيبيين استطاعوا دائما أن يستحوذوا على السـلطان فى مقـاطعتهم حتى وان اضطروا لفترة قصيرة أن يرضخوا لوضعهم بوصفهم موالى بالاكراه ، وذلك حتى تتم كشوف أخرى تستطيع أن تقدم وجهة نظر تخالف هذا الرأى .

ولم تكن قصة الهكسوس بغير تغييرات معينة تناولت الحضارة المادية لمصر (٣) وكان أهمها استخدام الحصان والعربة التى يجرها الحصـــان

---

(١) J.E.A., XXXII, 45, 47-48

(٢) J.E.A., XXXVII, 69-70

(٣) للتفصيلات انظر المرجع السابق .57 ff

والتى لعبت دورا هاما فى التاريخ التالى للبلاد · وليس من الثابت ان هذه المستحدثات أسهمت لدرجة ملحوظة فى نجاح الأسيويين ولكنها كانت من غير شك ذات أثر كبير فى مساعدة المصريين أنفسهم · فى حملاتهم المقبلة ـ ويجب أن ندخل فى الحساب كذلك ألوانا جديدة ـ الخناجر والسيوف وأسلحة البرنز والقوس الأسيوى المركب ـ من بين المزايا التى كان من الممكن أن تعد فى وجهها الآخر كارثة قومية ، وفى مؤلف ذى طابع لغوى أكثر منه أثرى كهذا المؤلف يكون من نافلة القول أن نركز على الطراز الجديد من التحصـينات التى استحدثها العـدو فى البلاد ، واما عن فخار تل اليهودية الذى تردد ذكره فى هذه المناسبة فان على القارىء أن يستخلص فكرة من المصادر الأكثر صلاحية لتقديم ذلك ، وأخيرا فانه يبقى لنا أن نفى بما وعدنا به من تقديم بعض المقترحات التى تتصـل بشخصـيات الهكسوس الاضأل شأنا والذين عرفناهم من الجعول والأختام الاسطوانية ، ويبدو ان هؤلاء كانوا أول المعتدين الذين أملوا فى السـيادة قبل أن يستطيع الملكان خيان وأبوفيس أن يصلا الى هـذا الهدف ، ولكن هناك افتراضا آخر هو أن هذه الأشياء التى أشرنا اليها كانت جميعا من أصل فلسطينى وقد خلدت ذكر رؤساء أضأل شأنا اصطنعوا الألقاب الفرعونية ـ دون حق ما ـ ومع ذلك فهذه كلها افتراضات ويجب أن نكرر ان الأسرة السادسة عشرة لدى مانيتو تبدو ملفقة تماما وان أسرته السابعة عشرة يمكن أن تعد عنوانا ينضوى تحته الأمراء الطيبيون ·

وأما منقذو مصر الطيبيون فيمكن أن نعدهم أسرة مترابطة الأواصر لعبت فيها النساء دورا بالغ الأهمية سواء عن طريق جاذبيتهن الشخصية أو بسبب ادراك انهن وحدهن اللواتى يعترف بهن كأنما يستطعن نقل السلطان ·· وتتمثل وجهة النظر الثانية فى تتى شيرى وهى من أوائل الملكات ما دامت بعض قطع كفنها التى عثر عليها فى الخبيئة الكبرى للدير البحرى تشير الى انها ابنة واحد من عامة الشعب (١) ، وقد عثر لها على تمثالين لابد انهما كانا فى مقبرتها الطيبية ، وأما فيما يتصل بهذه المقبرة وصلاتها بالأسرة فهناك المعلومات الهامة التى تقدمها لوحة عثر عليهـا بيترى فى ابيدوس (٢) · وفيها يوصف الملك اموزيس كأنما يجلس الى زوجته فاحموزه نوفرتيروى يفكران فيما يسـتطيعان عمله لأسلافهما :

---

(١) J.E.A., X, 246

(٢) B.A.R., II, No. 33-37.

قالت أختـــه (١) وأجابته « لم تتذكر هـذه الأمـور ٠ ماذا فى قلبك ؟ » وأجابها الملك نفســـه قائلا : ــ لقد تذكرت أم أمى وأم أبى الزوجة العظمى للملك وأم الملك تتىشـــيرى المتوفاة ٠ ان لها اليـوم غرفة دفن وضريحا فوق أرض المقاطعة الطيبية ومقاطعة أبيدوس ولكننى أقول لك ذلك لأن جلالتى انتوى أن يصنع لها هرما ومصـــلى فى الأرض المقدســة بالقرب من آثر جلالتى » ٠ هكذا قال جلالته ووضعت هــذه الأمور موضع التنفيذ ٠

والنقطة الهامة هنا هى أن الملك أموزيس يؤكد أن والديه كانا من أم وأب واحد وهو مثال كلاسيكى للزواج بين الأخ والأخت ، ونحن نعرف هذين الأبوين فأم اموزيس هى عاح حوتبه زوجة سقنن رع تاعو الثانى ٠ وأغلب الأمر اذن ان تتى شيرى كانت زوجة لـ تاعو الأول الذى تم التفتيش على قبره كما تم التفتيش على قبر تاعو الثانى فى عهد رمسيس التاسع ووجد سليما ــ وقد أشرنا من قبل الى ما حدث لـ «تاعو الثانى» ٠ وأما عن تاعو الأول فلا نعرف أكثر من ذلك ، ولكن يظن ان اسمه كان « سنخت ان رع » ٠

وكانت شهرة « عاح حوتبه » زوجة تاعو الثانى أوسع من شــهرة أمها ، وهناك لوحة عثر عليها فى الكرنك (٢) تتناول بعد ازجاء الثناء على ابنها اموزيس الأول ، الذى كرس اللوحة ، حث جميع الرعايا على تقديم الاحترام لها ٠ وهى تمتدح فى هذه الفقرة العجيبة بوصفها تلك التى جمعت قوى الجيوش فى مصر ولانها وضعت حدا للعصيان والتمرد ٠ أيشير هذا الى فترة حرجة بعد موت كاموزه الذى يفترض انه الأخ الأكبر لأموزيس ولكنه لم يعمر طويلا ؟ ان قبر كاموزه (٣) هو آخر من فتشه فى الصف موظفو عصر الرعامسة ولكن الجثة نقلت من تابوتها بعد ذلك الى ناحية تقع جنوب مدخل الوادى مباشرة وتؤدى الى مقابر الملوك حيث عثر عليها عمال مارييت عام ١٨٥٧ ولم يكن التابوت مذهبا ولكنه كان من الطراز الريشى الذى كان للشخصيات غير الملكية فى ذلك العصر وقد تحولت الجثة الرديئة التحنيط الى كومة من التراب عقب الكشف عنها مباشرة وان عثر ، من بين ما عثر عليه من حلى أخـرى ، على خنجـر فاخر محفوظ الآن فى

---

(١) هنا ــ كما هى الحال فى اغلب الأمر ــ بمعنى زوجة

(٢) Urk IV, 14-24. ومترجمة جزئيا فى B.A.R., II, No. 29-32.

(٣) لكل ما سيجىء بعد ذلك ، راجع ونلوك فى J.E.A., X, 252 ff; 259 ff.

بروكسل . وبعد أقل من سنة كانت عصابة أخرى من الفلاحين تبحث بالقرب من المكان نفسه حيث عثرت على تابوت « عاح حوتبه » ومومياتهـا مزينة بحلى فاخرة هي اليوم من بين خير كنوز متحف القاهرة .

وبصرف النظر عن قطع قليلة تحمل اسم كاموزة نجد أن هـــذه الحلى كانت هبة من ابنها أموزيس الذى يرى خرطوشه على معظمها ، ولابد انها كانت عجوزا فى الثمانين أو أكثر حين كانت تهيل المكافآت على أحد رجالها المدعو « كارس » فى السنة العاشرة من حكم امنوفيس الاول (١). وقد اضطرت قبل ذلك بزمن طويل أن تتنازل عن مركزها المرموق الى زوجة أموزيس وهى عاحموزه نوفرتيروى .

واننا لندرك من وراء مطالعة العديد من النقوش المعاصرة والمتأخرة التى يظهر فيها اسم هذه الملكة الشابة ، انه كان لها من الشهرة وذيوع الصيت ما لم يكن لغيرها فى تاريخ مصر — وتوحى ألقابها بوصفها ابنــة ملك وأخت ملك ، انها ربما كانت ابنة كاموزه وبالتالى ابنة أخ زوجها (٢). وقد منحها أموزيس ، أو باعها فى سنة غير محددة من حكمه ، وظيفـة الكاهن الثانى لأمون فى الكرنك ليكون لها ولنسلها الى الابد (٣) ، وهى تشاهد على لوحة من محاجر الحجر الجيرى بالقرب من طره خلف زوجهـا وهو يفتتح بهوا سردابا جديدا فى عامه الثانى والعشرين (٤) والماشية تجر الزحافة ومن فوقها كتلة حجرية كبيرة ويشار الى الماشية وكأنما تـم الاستيلاء عليهـــا فى حملته الآسيوية ، وأما موقع مقبرته فغير معروف ولكن عثر على تابوته ومومياته فى خبيئة الدير البحرى (٥) ونلاحظ بعد موته الارتباط الوثيق يشتد بين عاحموزة نوفرتيروى وابنهـا أمنوفيس الأول الذى عثر على مقبرته فى مكان مرتفع من التلال جنوب الوادى المؤدى الى مقابر الملوك (٦) وربما كان يشاركها فى هذه المقبرة ، كما أن له معبدا

(١) B.A.R., II, 49-53 مالم تكن هى كذلك زوجة للملك التى تحمل الاسم نفسه .

(٢) Gauthier L.R., II, 159 No. 2; 183 No. 2.

(٣) Bull. Soc., fr. d'Eg. No. 12 (1953)

(٤) B.A.R., II, No. 26-28.

(٥) P.M., I; 173.

(٦) J.E.A., III, 147 ff.

جنازيا في الوادى الى الجنوب مباشرة (١) ، وأما تابوتاهما وكذا المومياءان ـ وان كانت مومياؤها موضع شك ـ فقد عثر عليهما من بين ما وجد في الخبيئة الكبرى (٢) .

وأسماء عاحموزه وعاح حوتبه تشيع كثيرا في هذا العصر لا بين الملوك وحدهم بل كذلك بين الافراد مما يثير مشكلة ليس من اليسير حلها حلا يطمأن اليه ، وتعنى هذه الاسماء « القمر يولد » و « القمر راض » على التوالى مما يجعل من المحتمل افتراض قيام عبادة للقمر في المنطقة التى جاء منها ملوك الاسرة السابعة عشرة ، ولقد كان عضو الثالوث الطيبى الثالث في الكرنك هو الاله القمر المسمى خونس ، وأما لقب توثموزس (دحوت موزه باللغة المصرية) الذى حمله بضعة من فراعين الجيل التالى فيبين أن الصلة القمرية بأسلافهم كانت مع ثوث أكثر منها مع خونس وليس هناك ما يدعو للظن بأن الملوك والملكات الذين نحن بصددهم لهم علاقة ما بخمون ـ هرموبوليس ـ المركز الرئيسى لعبادة ثوث ويمكن أن تفترض هنا ان موطنهم الاصلى كان يقع الى الجنوب قليلا من مدينة حابو على الضفة الغربية حيث لايزال قائما معبد صغير من العصر البطلمى المتأخر مكرس ل ثوث ك قمر ويعرف باسم قصر العجوز (٣) ، وفى القرية التى لا تبعد كثيرا والمعروفة باسم دير المدينة ، وهى كانت تؤوى بعد بضعة قرون العمال الذين يعملون في المقابر الملكية ، نجد أن أفراد الأسرة جميعا ابتداء من الملكين المعروفين ب «تاعو» كانوا يعبدون بوصفهم « سادة الغرب » وهناك على جدران مقابر هؤلاء العامة أسماء أخرى لكثير من الأمراء الى جانب الأسماء الملكية المذكورة ويطالعنا من بينها منتحوتبه الأول من الأسرة الحادية عشرة كحالة شاذة خارج نطاق عائلة عاحموزه ، وقد أعطيت الأولوية هنا للملكة عاحموزه نوفرتيروى التى رسمت لسبب لا نعرفه بسحنة سوداء وأحيانا باللون الازرق ، ولئن كانت ابنة لكاموزه فانه ليس هناك دم أسود يجرى في عروقها ـ هذا الى اننا نشهد دورا أكثر أهمية في الجبانة يقوم به امنوفيس الاول الذى كرست له عدة مصليات تميز بين بعض خصائصه ك « امنوفيس المدينة » و « امنوفيس المحبب لأمون » و « أمنوفيس المتصل بالبهو الأمامى » (٤).

---

(١) P.M., II, 147

(٢) P.M., I, 174.

(٣) P.M., II, 193-7

(٤) Bull. Inst. fr. XXVII, 659 ff.

وقد قدمت لهؤلاء المعبودات المحبوبات جدا أدعية فى أزمنة الاضطراب أو توسلات لوحيهم حين كانت الحاجة ماسة لفض نزاع ٠

وهناك فلكى يدعى امنمحيه يروى فى نص بقبره الطيبى انه عاش احدى وعشرين سنة فى عهد أمنوفيس الأول (١) وهذا يعدل فترة أقل بقليل من مدة الحكم كلها ما دام ذلك يتفق تقريبا مع الرقم الذى يقدمه من نقلوا عن مانيتو بالنسبة لمن يدعى امنوفيس الذى جعلوا منه الملك الثالث للأسرة الثامنة عشرة بدلا من أن يكون الملك الثـانى ، وأما عن قبره وموميائه فقد أشرنا اليهما من قبل ٠

(١) L. Borchardt, Geschichte der Zeitmessung, Berlin, 1920, pl. 18

مراجع مختارة

ملوك العصر الوسيط الثاني :

H. Gavthier, LR II. 1-153

R. Weill, La fin du moyen empire égyptien, 2 vols., Paris, 1918

H. Stock, Studien zur Geschichte und Archäologie der 13. bis 17 Dynastie Agyptens, Glückstadt-Hamburg, 1942 —

J. Vandier, Clio, 313-17

L. Borchardt, Geschichte der Zeitmessung, Berlin, 1920, pl. 18.

الهكسوس

تسجيل رائع للاحداث قدمه باهور لبيب

Pahor Labib, Die Herrschaft der Hyksos in Agypten und ihr Sturz, Glückstadt, 1937

Stock, op. cit. 63 ff.

Vandier, op. cit. 317-18

الحكام الطيبيون المندرجون تحت الاسرة السابعة عشرة

H. Winlock, The Tombs of the Kings of the Seventeenth Dynasty at Thebes J. E. A. X 217-77

Stock, op. cit., 75-81

Vandier, op. cit. 297-8 ; 318-21

ابن الملك من كوش

G. Reisner in J.E.A. VI. 28 ff. ; 73 ff.

تعليق متكملة ــ تقديم H. Ganthier فى Rec. Trav. XXXIX. 182 ff.

حلى الملكة عاح حوتبة

F. W. von Bissing, Ein Thebanischer Grabfund aus den Anfang des Neuen Reichs, Berlin, 1900

٨ السيادة الطيبية

عنـــد موت امنـــوفيس الأول (حوالى ١٥٢٨ ق٠م) كانت الدولة الحديثة ، أو الامبراطورية كما يطلق عليها أحيانا ، تشق طريقها ، وقد تبع ذلك أكثر من قرن ونصف من نجاح مستمر ، وكانت طيبة أعظم مدن مصر وكان أمون رع المعبود الرئيسى فى الكرنك يدعم حقه أخيرا فى لقب « ملك الآلهة » الذى ظل يحمله دهراً طويلا ٠ ويرجع بعض التحريف فى رؤيتنا للأمور الى ندرة الآثار من ممفيس وهليوبوليس والدلتا وان كانت القواعد الحربية قائمة فى الشمال ومع ذلك فاننـــا لا نكاد نخطىء فى الضغط على السيادة الطيبية ؛ ذلك لأن التماثيل والنقوش فى المعبد الكبير بالكرنك كانت معينا للمعلومات وأما الجبانة الرئيسية على الضفة الغربية فقد تحركت جنوبا ومعهـــا سلسلة من المعابد الجنازية تمجيدا للفراعين ولمعبودهم الحامى على حافة الأرض الزراعيـــة ، كما ان المقـــابر الصخرية للنبلاء تقدم نموذجا أجرى حفره فى تل الشيخ عبد القرنة (انظر لوحات ١١ ، ١٢) وكان يحتفظ عادة بجدار واحـــد من القاعد الخارجية لهـــذه المقابر لوصف نشاط صاحب المقبرة ، وكان جدار آخر يحمل أحيـــانا لوحة تقدم سردا مكتوبا لأهليته وكفاءته ومغامراته ، وطبيعى ان أماكن أخرى لا تخلو تماما من مادة للمؤرخ من بقايا المعابد الاقليمية ثم الكتابة على الصخور عند الجنادل وأخيرا سجلات نشاط التعدين فى سينا وغيرها وان كانت الكتابة على البردى بالغة الندرة ، ومع ذلك فان نحن جمعنا كل هذه المخلفات المشتتة فان طيبة تحتفظ بمكانتها بوصفها المصدر الرئيسى للمعـــلومات ٠

كان الملك الجديد توثموزيس الاول ابنا لامرأة من دم غير ملكى تدعى « سنى سونب » وربما كانت دعواه الوحيدة للوصول الى العرش زواجه من الأميرة « عاحموزة » ٠ ومن الواضـح انها كانت سيدة من أصل عريق جدا ، وهناك ولدان صورا فى مقبرة باحيرى عمدة الكاب حيث

يظهر والد ذلك النبيل كأنما هو « المربى » أو « المؤدب » (١) لهما ، ويوصف امنموزه — الذى ربما كان أكبرهما — على لوحة مهشمة مؤرخة بالسنة الرابعة (٢) كأنما يمارس الصيد فى الصحراء بالقرب من أبى الهول الكبير ، ولئن صدق القول بأنه كان اذ ذاك « قائد الجيش الكبير لأبيه » فلا بد ان زواج الملك حدث قبل أن يلى العرش بزمن طويل ، أما الابن الآخر واسمه « وادج موزة » ، فهو شخصية غامضة تدعو للاهتمام ما دام كرم بعد موته تكريما غير عادى بأن شيد له مصلى أنيق الى جنوب الرامسيوم (٣) ، وهناك رجل يدعى امنحتبه كان يحمل لقب « أول ابن للملك عاخبر كارع (اسم توثموزس الأول) » ولم يكن ابنا حقيقيا للملك لأن اسمى أبويه ذكرا — (٤) ومن المهم أن نذكره هنا لأن هذه المناسبة تبين الصعوبة الرئيسية فى معالجة مشاكل الانساب المصرية . فالمرء لايدرى مطلقا ان كان علينا أن نأخذ كلمات « ابن » و « ابنة » و « أخ » و « أخت » حرفيا أم لا .

كان أول عمل رسمى ل توثيموزس الأول هو ارسال مرسوم ينبىء « تورى » أمر ولايته للعرش وكان تورى لا يزال واليا على نوبيا — وفى هذا المرسوم سجل فى افاضة الالقاب التى يود اعلانها والتى كان يجب أن تستخدم فيما يتصل بالقرابين التى يقدمها للالهة كما تستخدم فى الحلف باسمه (٥) ويقال ان احدى النسختين الموجودتين لدينا جىء بهما من وادى حلفا ، ولكن أطماع توثموزس الأول لم تقف عند هذه المدينة القلقة فهناك نقش كبير يرجع الى عامه الثانى محفور على الصخر المقابل لجزيرة تومبوس وراء الجندل الثالث (٦) ويعتبر أكثر غنى من ناحية ألفاظه المفخمة وعباراته الفصيحة من مرسوم التولية الجاف ، وهناك تقرير أكثر رصانة عن الحملة يقدمه صاحبنا « عاحموزه » الكابى الذى يروى كيف أبحر بأسطول الملك عبر مياه النيل المضطربة حين كان جلالته هائجا كالفهد يرشق صدر الرئيس عدوه بسهمه الأول ويحمله الى طيبة معلقا

---

(١) Urk, IV, 110

(٢) Op. cit., IV, 91

(٣) P.M., II, 157-8

(٤) Urk, IV, 105-6.

(٥) B.A.R. II, No. 54-60

(٦) Op. cit., II No. 67-73; P.M. VII 174-5

ورأسه الى أسفل في مقدم سفينته الملكية (١) وهناك مأثرة حربية أعظم من هـذه هى الحملة التى اخترقت منطقة الفرات الى بـلاد ناهرين (٢) حيث يحكم ملك ميتانى وحيث أقيمت لوحة تذكارية (٣) وحيث حدثت مذبحة ضخمة وأخذ الكثيرون كاسرى ، وهنا كذلك أسهم جنديا الكاب وتسلم كل منهما جائزة لطيفة مقابل الحصان والعربة التى استولى عليها(٤) واحتفل الملك فى رحلة العودة بنجاحه بصيد فيل فى اقليم المستنقعات عند « نى » التى تقع بالقرب من « أباميا السورية » ولم يحدث سوى مرة أخرى مدى عدة قرون ، فى عهد توثموزس الثالث ، ان استطاع جيش مصرى أن يندفع بعيدا فى الشمال الشرقى مما يجعلنا نقدر اننا لا نخطىء أن نحن نظرنا الى توثموزس الاول وكأنما لا يقل عبقرية حربية عن حفيده ٠

ولسنا ندرى على وجه التحقيق كم استغرق هذا الحكم وربما لم يزد على عشر سنوات ولكن آخر تاريخ مؤكدهو السنة الرابعة ٠ وهناك لوحة كبيرة (٥) تعدد أعماله فى معبد أوزيريس فى أبيدوس ضاع منها تاريخها ان كان قد سجل يوما ما ــ ولئن كانت المومياء التى عثر عليها فى الدير البحرى تخصه فانه لا بد انه كان فى الخمسين من عمره ، وقد تابع من ناحية الترتيبات الجنازية التجديد الذى استحدثه أمنوفيس الأول فى عمل فاصل فراغى بين المعبد الجنازى والقبر الفعلى وهو أمر تابعه فيـه خلفاؤه ، ولم يعثر على المعبد فعلا ما لم يكن متداخلا فى معبد ابنته الذى سنتحدث عنه كثيرا فيما بعد ، وأما مقبرته فهى أقدم المقـابر جميعا فى الوادى البعيد المعروف باسم بيبان الملوك (مقابر الملوك) وتحوى مدخلا بدرج ينزل الى أسفل نزولا وعرا وهناك غرفة جانبية وصالة دفن تتفرع منها غرفة مخزن صغيرة وهو جهد متواضع جدا ــ ان هو قورن بما تم من هذا النوع فى عهد خلفائه ــ وكان التابوت من الكوارتز موجـــودا بداخل المقبرة وقد نقل الى متحف القاهرة وكان من الواضح ان الذى وضعه فى مكانه من المقبرة فيما بعد هو حفيده توثموزس (٦) ، وهناك موظف هام يدعى « اننى » (٧) أشرف من قبل على الأبنية الفخمة فى

---

(١) B.A.R., II, No. 80

(٢) يعنى هذا الاسم السامى « بلاد النهر » انظر Onom. I, p.p. 171* ff.

(٣) B.A.R. II, No. 478.

(٤) B.A.R., II, No. 81, 85.

(٥) Onom. I, p.p. 158* ff.

(٦) B.A.R., II, No. 90-98

(٧) Hayes, R.S., p.p. 138 ff.

الكرنك ومن بينها المسلتان اللتان لا تزال احداهما قائمة ، وقد عهد انيه بحفر المقبرة وهو يشير الى ذلك العمل بقوله : ـ

« أشرفت على حفر ضريح التل لجلالته سرا ، بحيث لم يرني أو يسمع بى أحد » ونستطيع أن نستنتج من وراء ذلك أن الهدف كان السعى بقدر الامكان لوضع مومياء الملك وأثاثه الثمين بعيدا عن متناول اللصوص وهو طموح عقيم كما ثبت فيما بعد ، وقد كوفىء «اننى» بمنحة هى عبارة عن عدد من العبيد ومقررات يومية من الخبز من مخازن الغلال الملكية ٠٠ ثم يلى ذلك قوله :

« ذهب الملك يستريح من الحياة ، وصعد الى السماء بعد أن أكمل سنية فى هناء » ٠ وأما الرعاية التى كان « أننى » يلقاها فانها كما هى بل زيدت فى عهد توثموزيس الثانى ابن توثموزيس الاول من ملكة أقل شأنا هى « موت نوفرة » ٠ وربما كان حكمه قصيرا ما دام « اننى » يعلن عن نفسه ، أنه كان مسنا اذ ذاك ومع ذلك استطاع أن يصف الأحوال فى عهد خلف توثموزيس الثانى ، ورغم هذا فليس هناك من سبب قوى فى تاريخ السنة الثامنة عشرة الموجودة على لوحة مكسورة قام «دارسى» بنسخها (١) ولا يعرف مكانها الآن ٠ وأما أهم آثاره فلوحة نصر مؤرخة بالسنة الأولى أقيمت على الطريق بين أسوان وفيلة (٢) وهى تروى فى تفصيلات كثيرة غير معتادة كيف وصلت أنباء تمرد فى النوبة ٠

« جاء من ينهى الى جلالته ان كوش الخسيسة ثارت وان من كانوا عبيدا لسيد الأرضين قد ذبروا العصيان لينهبوا أهل مصر وليسرقوا الماشية من القلاع التى كان قد بناها عاخبر رع فى انتصاراته ليصد الأراضى الثائرة والقبائل النوبية فى خنت حن نوفه (٣) ٠ والآن جاء رئيس فى شمال كوش الخسيسة وتآمر على العصيان مع قبيلتين من تاستى من نسل رئيس كوش الخسيسة الذى كان قد هرب أمام سيد الارضين فى يوم الذبح العظيم للاله وقسمت هذه الارض الى خمسة أجزاء وتملك كل واحد نصيبه ٠

ولما سمع الملك ذلك ثار كالفهد ـ كما فعل أبوه من قبل ـ وأقسم

---

(١) Ann, Serv., I, 99

(٢) B.A.R., II, No. 119-22.

(٣) اسم آخر لنوبيا ٠

الا يترك من بينهم واحدا حيا وعندئذ تقدم جيشه وقضى على هؤلاءالاجانب ولم يستحى منهم سوى واحد من أطفال الرئيس النوبى عاد به الى طيبة كأسير بين مظاهر الابتهاج العام • ولسنا نعرف أعمالا أخرى عن توثموزيس الثانى سوى ما يرويه عاحموزه الكابى الصغير من انه صحبه الى فلسطين وأخذ العديد من الاسرى (١) وانه أظهر عطفه على المدعو « نبأمون » الذى أصبح فيما بعد وكيل خراج للملكة « نبتو » وقائدا لأسطول الملك (٢) ويعلن « اننى » المسن موت توثموزيس الثانى وولاية خلفه فى الكلمات التالية (٣) :

« صعد الى السماء وأصبح متحدا بالآلهة وأخذ مكانه ابنه كملك على الأرضين وحكم من فوق عرش من أنجبه ، بينما كانت أخته الزوجة الالهية « حاتشبسوه » تحكم البلاد وكانت الارضان تحت أمرتها وكان النـاس يعملون من أجلها ومصر تحنى الرأس لها • »

ورغم الطريقة السديدة التى سجلت بها هذه العبارة فانه ليس هناك ما يدعو الى أن نظن أن توثموزيس الثانى مات ميتة غير طبيعية • وهناك قبر يكاد يكون غير مزخرف فى بيبان الملوك (٤) يحوى تابوتا ، ليست به كتابة ، قريب الشبه جدا من تابوت توثموزيس الأول بصورة تدعو الى أن ينسب عن ثقة الى الابن ، ويبدو من اهمـاله احتمال عدم عناية أحـــد كثيرا بمصيره • أما معبد الجنازى (٥) الذى كشف عنه الفرنســـيون فى عــــام ١٩٢٦ فهو عمـــل تافه ـــ وهنـــاك لوحة ربما كان مصــــدرها هليوبوليس (٦) تصوره فى صحبة الملكة عاحموزه أرملة توثموزيس الاول وكذا فى صحبة ابنتها « الزوجة الملكية العظمى حاتشبسوه » ومن ثم فان الاخيرة زوجت من غير شك من توثموزيس الثانى ، وما دام أبوهــــا هو توثموزيس الاول فان دعواها للعرش بالغة القوة ، ومع ذلك فقد كان هناك دعى آخر قوى يبرز لنا فى صورة ابن توثموزيس الثانى من محظيـــة هى ايزه (ايزيس) التى قنعت بلقب (أم الملك) (٧) وهناك مايؤكد قيام

---

(١) B.A.R., II, No. 124

(٢) Urk, IV, 150-3

(٣) B.A.R., II, 341

(٤) Hayes R.S., p.p. 7 ff

(٥) C. Robichon and A. Varille, Le Temple du scribe royal amenhotep, I, Cairo 1936, p.p. 31 ff.

(٦) Sethe, Hp., p. 14, fig. I; J.E.A. XV, 60, No. 4.

(٧) Sethe, op. cit., No. 9.

جماعة ذات نفوذ استطاعت أن تنجح فى تأكيد حقوق الشاب توثموزيس الثالث وليست حجتنا فى ذلك نصوص تاريخ حياة « اننى » كما يرويها بنفسه فى مقبرته ولكن هناك كذلك نص متأخر من الكرنك (١) يروى فى لغـة بديعة قصــة ارتقائه العرش فقد جاء فيه أنه كان مجرد مراهق يخدم فى معبد أمون بالكرنك ولم يكن قد ارتقى بعد الى مرتبة كاهن (خادم اله) وذات يوم بينما كان الملك الذى يحكم يقدم الاضاحى لأمون قام الاله بدورة حول الاعمدة ليبحث عن الامير الصغير فى كل مكان ولما عثر عليه توقف أمون أمامه ثم أقامه من وضعه المتكىء ووضعه أمــام الملك ثم جعله يقف فى المكان الذى يشغله الملك عـادة ، والضــمائر المستخدمة فى هذه الفقرة تثير كثيرا من الصعوبات ولكن يبدو ان الغرض كان واضحا من ناحية تقديم توثموزيس الثالث كملك معين عن طريق الوحى الالهى خلال حياة أبيه ٠ وما دام النص قد كتب ربما بعد اثنين وأربعين عاما فان صدقه المطلق موضع تساؤل ولكن ما نراه مؤكدا على أية حال هو أنه جاء الى العرش تحت وصاية زوجة أبيه حاشبسوه التى استطاعت أن تجعله ينزوى عددا طويلا من السنين ٠

ولئن بدا هنا أن جانبا غير متناسب سيكرس لمشكلة فى أسرة واحدة فان عذرنا فى ذلك هو : أولا أهمية الشخصيتين الكبيرتين اللتين تواجـه الواحدة منها الاخرى فى وسط مسرح الاحداث وثانيا : لأنه ليست هناك احداث فى التاريخ المصرى استطاعت أن تثير مثل هذا الجدل الشديد ، ان هدف هذا الكتاب ليس احياء الماضى المصرى فحسب ولكن القاء ضوء كذلك على الطرق التى اتبعها علماء الدراسات المصرية مع عـدم اغفــال الاشارة الى الحجج التى لعبت دورا كبيرا (٢) ٠ كان من عادات الفراعين السيئة أن يأمروا بازالة الاسماء المنقوشة لأسلافهم الذين لا يحبونهـم ولكن هذه الاسماء كانت عرضة لأن يعاد وضعها فيما بعد أو يســتبدل بها غيرها وهكذا كان من أثر العداوة التى آثارتها « حاشبسوه » ان محى خرطوشها بصورة منظمة من كثير من آثارها ولم يدخل فى العصــور التالية فى أية قائمة ملكية ٠ وقد حدث ان حل فى أغلب الامــر لقب توثموزيس الاول اوتوثموزيس الثانى محل لقبها ٠ فمن هو المسـئول عن المحو ثم اثبات الاسماء الاخرى ؟ فى مقال محكم نشره كورت زيتـه فى عام ١٨٩٦ ثم اعاد كتابته وتنظيمـه فى عام ١٩٣٢ ناقش الامــر

---

(١) B.A.R., II, No. 131-66.

(٢) راجع آخر الفصل فيما يتصل بالمراجع ٠

وانتهى الى أن اعادة كتابة الأسماء لا يمكن أن تتم الا بوساطة أصحاب الخراطيش الثانوية ـ ومعنى هذا ان كلا من الحاكمين عاد من غير شك الى العرش لفترة قصيرة بعد دكتاتورية حاشبسوه الأصلية وليس هذا على أية حال هو كل شيء بل ان هناك نظرية معقدة جدا بدأت تظهر فى الافق وتتناول مشكلة تعاقب التحامسة ؛ ذلك أن « نافيل » وهو الذى كشف معبد الدير البحرى العجيب الذى أقامته « حاشبسوه » وقام بأمر النشر أجاب على وجهة النظر السابقة مشيرا الى أن الترميمات تمت فى عصر الرعامسة ، ولكن المؤرخ ادوارد ماير والأثرى ونلوك رفضا وجهتى النظر السابقتين وعاد هذان العالمان الى آراء أكثر بساطة كانت قائمة قبل أن يقدم زيته افتراضه الذى يتسم بالمجازفة . وفى عام ١٩٣٣ م قام « ادجارتون » باعادة دراسة كل الخراطيش التى أمكن الوصول اليها فى عناية وأدرك انه يستطيع أن يزعم ان كل ما محى تقريبا ثم أعيدت كتابته كان من عمل توثموزيس الثالث الذى استهدف أن يبرر دعواه فى الانتساب للأسرة ، بينما كان لدى « حاشبسوه » غرض مماثل فى أية حالات ظهرت فيها القاب توثموزيس الاول وتوثموزيس الثانى أصيلة وسليمة على الآثار التى أقامتها ، وأخيرا وافق « هيس » على النتائج التى وصل اليها « ادجارتون » وذلك عن طريق دراسته لكل توابيت العصر ، ومن الواضح ان صدى هذا كله قد يؤدى الى مخاطرة ما دام التنوع الضخم للآراء على هذه الصورة يوحى بمظهر لا يطمئن اليه كثيرا فى شهادة من هذا النوع ولذا فان النتائج المستقاه من المحو والاثبات يحسن أن تحسم حتى هذه النقطة بقدر الامكان .

كانت الألقاب الكاملة التى تحملها « حاشبسوه » خلال حياة توثموزيس الثانى هى « ابنة الملك ، أخت الملك ، زوجة الاله والزوجة العظمى للملك » . كانت لاتزال اذ ذاك مجرد ملكة رئيسية ، شأنها فى ذلك شأن من سبقنها ، ولم تكن هناك فكرة ما عن حفر مقبرة لها فى هذه البقعة المنعزلة الرهيبة التى بدىء فى تخصيصها للفراعين ، وقد وجد لها قبر يرجع الى هذه المرحلة وبداخله تابوت سليم على ارتفاع كبير فى قمة عالية على مبعدة ميل ونصف ميل الى جنوب الدير البحرى (١) وكان عليها أن ترضى نفسها فى السنين الاولى لادارتها للحكم بكونها ملكة بل ان هناك نقشا مؤرخا من العام الثانى لابن أخيها (٢) وان كان يحتمل الا يؤخذ كمصدر معاصر ، وانا لنراه بعد سنى حكمه فيما بعد ـ كما

(١) J.E.A., IV, 114 ff.

(٢) J.E.A., IV, 114 ff.

تعـــد هي سنى حكمها ، منذ بدء حكمها المشترك ، وعلى أية حال فان أطماعها لم تكن بأية حال في الوقت نفســـه ساكنة فلم تنقض بضـــع سنوات حتى أخذت لنفسها الخطوة الحاسمة منتحلة التاج المزدوج — ولقد حدث مرتين من قبل في مصر في تاريخها السابق ان اغتصبت ملكةالعرش ولكن الجديد هنا ان أنثى ظهرت بمظهر الرجال وارتدت زيهم ، ولم يحدث هذا التغيير بغير بعض‌التردد؛لأن هناك على الأقل نقشا واحدا تظهر فيه كملك لمصر العليا والسفلى ومع ذلك فانها ترتدى زى النساء (١) ، ولكن هناك أماكن متعددة في الكرنك (٢) تبدو فيها « حاشبسوه » في زى الذكور وتتقدم توتموزيس الثالث الذى يظهر حقا كملك ولكن بوصفه شريكا ، وهي تزهى في نصوص كثيرة بالألقاب الكاملة وان كانت قد تعرضت في آثارها وآثار نبلائها الى الاشارة لشخصها بضمائر المؤنث أو وصفت بألقاب ذات نهايات تأنيث ، وهناك نص لم ينشر بعد يحدد تاريخ تتويجهـــا كملك بالسنة الثانية (٣) . ومنـــذ ذلك الوقت حتى عشرين سنة تالية لم يعد هناك شك فيمن هو الفرعون . وفي السنة الأخيرة نرى الاثنين على أية حال يمثلان على قدم المساواة (٤) .

وليس لنا ان نتخيل على أية حال ان امرأة مهما تكن بهذا المظهـــر المسترجل تستطيع أن تصل الى مثل هذه الذروة من القوة دون عون من الرجال — ولا يزال بالجبانة الطيبية الكثير من المقابر الفاخرة لموظفيها وكلهم يتحدثون عنها في عبارات تتســـم بالانقياد المهين ، ولكن يقوم من بينهم رجل واحد مميز ، ويبدو أن «سننموت» لم يكن من منبت ممتاز ؛ ذلك لأنه يتضح من القبر السليم لأبويه —وهو الذى كشف عنه لانسنج وهيس—(٥) ان أباه لا يحمل لقبا بل كنية مبهمة تعنى « ألوجيه » أما أمه فهى مجرد « ربة دار » ومع ذلك فانه خلال خدمته المتألقة استطاع أن يضع يده على عشرين وظيفـــة مختلفة على الأقل وبعضـــها كان مما يعـــود عليه بالربح الجزيل من غير شك ، أما لقبه الرئيسى فكان « وكيلا لخراج أمون » مما يضع بين يديه الثروة الهائلة لمعبد الكرنك ، ونستطيع أن نلمس العطف العظيم الذى يستمتع به ويلقاه من مولاته الملكية من تعيينه وصيا على

---

(١) Ann. Serv. XXXIV, pl. 4

(٢) Op. cit., XXIV, P.M. 3

(٣) Nachr. Göttingen, 1955, p. 212

(٤) Sinai, pl. 57 No. 181.

(٥) Bull, M.M.A., Eg, exped., 1933-1936 p.p. 5 ff.

الاميرة رع نفرو الوريثة الثانية للعرش ثمرة زواج أمها عن توتموزيس الثانى ومن بين العشرة تماثيل أو أكثر مما بين أيدينا لسننموت(١) نلتقى بستة على الأقل تصوره وهو يمسك بالطفلة بين ذراعيه أو بين ركبتيه ورغم أنها عاشت من غير شك طويلا بعد أن بدأت حاشبسوه بناء معبدها الضخم المعروف بالدير البحرى الا اننا لا نسمع عنها بعد السنة الحادية عشرة (٢) ، ولئن صدقنا دعوى « سننموت » على تمثال عثر عليه فى معبد موت فاليه يرجع الفضـــل فى بنـاء كثير من المنشآت الطيبية (٣) فى عهد الملكة وان كان ما يقال عادة من أنه كان المعمارى الفعلى ، يحتاج الى ما يدعمه ٠

وقد ذكرنا من قبل صفحة ١٣٦ ان المعبـــد الجنازى لحاشبسوه فى الدير البحرى كان واقعا داخل نصف دائرة كبيرة من القنن العالية وهو يدين بكثير من وحيه الى أثر منتحوتبه الأول الأكثر بساطة ، والواقع على الخط نفســه الى جنوبه ، ولم تبق سوى آثار للممر الصـــاعد فى رفق الى الاسوار التى يؤدى مدخل بها الى بهو واسع يرى فيه الزائر فى مواجهته رواقا بالاعمدة فوق رواق بالاعمدة كلما صعد من المنحـــدر الرئيسى الى المستوى العلوى ، ويستطيع صف من الاعمدة من الحجر الجيرى الوضاء الى الشمال من وسط البهو أن يكشف عن جمال المبنى قبل أن يحوله الزمن والتدمير البشرى الى حالته الراهنة من الدمار ٠ ومع ذلك فليس فى مصر اليوم عمارة فى مثل هذا السمو يمكن رؤيتها ؛ والنقوش المنحوتة خلف الأعمدة المستديرة أو المربعة للأروقة ذات أهمية فريدة ، ففى الرواق السفلى منظر رائع للسفن التى تحمل مســـلتين كبيرتين من الجرانيت الأحمر من الفنتين الى الكرنك (٤) ٠ ويظن (٥) انهما المسـلتان اللتان كلفت حاشبسوه مهندسها سننموت أن يقيمهما خارج الجـدار الشرقى واللتان لم تبق منهما الا أجزاء وليس لنا أن نخلط بينهما وبين مســـلتين أخريين وضعتهما بين الصرحين الرابع والخامس فى الســـنة السادســـة عشرة من حكمها والتى يبلغ ارتفـاع أحداهما أقل بقليل من مائة قدم لا تزال قائمة فى مكانها ــ أما الرواق التالى الى أعلى ففيه منظر أكثـر

---

(١) A.J.S.L., XLIV, 49

(٢) Sinai, pl. 58, No. 179

(٣) B.A.R., No. 361

(٤) D. El B. (VI) pl. 154

(٥) J.N.E.S., XVI, 88 ff.

تشـــويقا فعلى الجانب الجنــوبى منه مثلث الرحلة الى بوينى صفحة ٥٤ فى السـنة التاسعة كما مثل على الجانب الشـمالى حمل أم الملكة بها ــ عن طريق معجزة ــ ثم ولادتها ؛ وتشـــهد فى المجموعة الســـابقة من الصور (١) سفن الملكة حاتشبسوه ــ وهى تبدو فى هذه المرحلة كملك ، تصل الى هدفها عند باب المندب ثم يتقدم لتحيتها رئيس ملتح وزوجته المشوهة تشويها فظيعا .. وهناك عدد من الرؤساء أقل أهمية يخرون على وجوههم أمام شعار الملكة :

انهم يتحدثون ... يلتمسون السلام من جلالتها ... المجد لك ... أى ملك مصر أيتها الشمس الأنثى التى تضىء كقرص الشمس .

ويعيش الأهلون وسط أشجار النخيل وفى أكواخ ذات قباب مستديرة يستطاع الوصول الى أبوابها عن طريق سلالم ، وقد أقام الرسول المصرى خيمته فى ناحية قريبة ثم قدم هدايا من الجعة والنبيذ واللحوم والفواكه كأمر « حاتشبسوه » . ولكن من الواضح أن جيوشها أفادت أكثر ما يمكن من عملية التبادل فهناك صور متقنة لكل الأشياء الثمينة التى حملت من هناك الى الســـفن ومن بين هذه المنتجات أشجار المر والأبنوس ثم العاج والذهب والقردة وجلود الفهود ، ويرى الأسطول فى الصف العلوى وهو يبدأ طريق العودة الى الوطن وقد تجاهل الرسام أمر الانتقال عبر الصحراء الى النيل .. وعلى أية حال فان الطبيعة الخيالية لهذه النقوش العجيبة هى دون ما نراه على الجانب الآخر من المنحدر (٢) فهناك ــ عن طريق أسطورة نلتقى بآثارها منذ الأسرة الثانية عشرة ــ يسند الى الحاكم أصل الهى واما مقدمات عملية الولاة فمبينة فى دقة اذ ترى صورة الملكة عاحموزة وهى جالسة على وسادة أمام الاله آمون ، وفى المنظر التالى يظهر الطفل الملكى مصحوبا بقســيم (صــورة منه مماثلة له) لا يمكن تمييزه يمثل ال « كا » الخاصة به أو روحه يقوم بصياغتها على عجلة الفخار الاله خنوم ذو رأس الكبش ، وتقاد بعد ذلك الملكة الأم الحامل الى مكان الولادة حيث يكون فى انتظارها معبودات أقل شأنا ــ وقد محيت كثير من هذه المناظر بسبب حقد توثموزيس الثالث فيما بعد ، وأنه لما يتفق والتفكير اللولبى للعقل المصرى أن أبوة آمون موضـــع الفخر لا تســـمح بالتنازل عن أبوة توثموزيس الأول ؛ ذلك لأن هناك دليلا قويا على اصرار حاتشبسوه على هذه

---

(١) D. El B. (III) pls. 69-76

(٢) D. El B. (II) 47-51

البنوة البشرية ، وهناك نص طويل فى الدير البحرى (١) يبتدع اجتماعا رسميا للبلاط يعلن فيه الملك ولاية ابنته ، وهناك نص آخر فى الكرنك بالهيروغليفية (٢) يسجل الشكر لآمون لأنه صادق على هذا الحادث السعيد ، ومن الواضح أن هذه الادعاءات مزيفة لأنها تتدخل فى حكم توثموزيس الثانى من ناحية ولأن « حاشبسوه » كانت من ناحية أخرى لا تزال تنتحل فى الأيام الأولى من حكمها لقب « الزوجة العظمى للملك » .

ولقد حلت النقمة بـ « سننموت » فى النهاية ، انه ليس جديدا على أسماعنا بالنسبة لفرعون أن يخلد كبار موظفيه على جدران أثره الجنازى وبيوبى الثانى فعل مثل ذلك الأمر فى جنوب سقارة كما فعلته « حاشبسوه » فى الدير البحرى ، ولكن الحظوة التى لا نظير لها من قبل لرجل محبوب من رجال البلاط ــ مهما بلغت قوته ــ هى أن يستخدم معبد مولاه لأغراض تعبدية تتصل به ، فهناك فى بعض مصلياته مشكاوات صغيرة أو غرف صغيرة لحفظ الأشياء التى تستخدم فى الاحتفالات وكانت لهذه المشكاوات أبواب خشبية تخفى ، حين تنفتح ، جوانب الحائط خلفها (٣) وقد أمر « سننموت » أن تحفر صورته هنا وهو يبدو متعبدا من أجل رفاهية مولاته الملكة ، وكان يأمل أن يظل ما أمر به غير ملحوظ . وان زعم أنه نال الاذن بذلك من مولاته (٤) ، ولكن هذه الحيلة كشفت لسوء الحظ فمحيت النقوش بغير رحمة وان بقيت مصادفة أربعة منها دون أن تكشط . وقد لقيت المصير نفسه توتيباته من أجل ضريحه ، ذلك أنه فى أوائل عهده بوظيفته كان قد بدأ حفر سرداب للمقبرة الرائعة فى الشيخ عبد القرنة وهى اليوم مخربة تماما ولكنه رسم الخطة ، حرصا على سلامته أن يدفن فى غرفة صغيرة بالقرب من الطرف الشمالى للفناء الكبير لمعبد حاشبسوه ويوصل الى هذه الغرفة سلم ينزل الى عمق حوالى مائة ياردة (٥) ، وقد كشف عن هذا المدخل ونلوك فى عام ١٩٢٧ م وقد شهد صورته ملونة فى كل مكان وان ترك اسم « حاشبسوه » دون أن يمس ويبدو أن غضبا أشد أنزل بتابوته المصنوع من الكوارتز والذى كان موضوعا

(١) Op. cit., (III) pls. 60-73; B.A.R. II, 232-9

(٢) B.A.R., II, No. 243-5; P.M. II, 57 (34)

(٣) Winlock, Excavations, p.p. 105-6 with pl. 45

(٤) Mitt, Kairo, XV, 80 ff.

(٥) Winlock, op. cit., p.p. 137 ff.

بالقرب من قبره العلوى اذ وجدت بقاياه مبعثرة الى مسافات بعيدة ، وكان آخر ما نسمعه عن سنثموت فى السنة السادسة عشرة ولكن من المؤكد أن حاشبسوه نفسها عاشت بعد ذلك بمدى خمس أو ست سنوات أخرى ، وما دامت قد أعلنت نفسها ملكا فلم يكن هناك ما يمنع من أن تحفر لها مقبرة فى بيبان الملوك وهى المقبرة التى كشف عنها هوارد كارتر عام ١٩٠٣ (١) ومن الواضح أنه قصد أن تحفر تحت الجبل بحيث تكون حجرة الدفن تحت معبدها ولكن الصخر المفتت حال دون ذلك ٠ وقد عثر على تابوتين يظن أن أحدهما كان ثمرة فكرة طارئة لديها لنقل جسد توثموزيس الأول اليه حين فكرت أن تنقله من مقبرته حتى يقيما معا فى العالم السفلى (٢) وليس من المؤكد أن هذا الهدف قد تحقق ٠٠ ولسنا ندرى على وجه التحقيق كيف كانت ميتتها ولكن ذلك لا يبعد كثيرا عن الوقت الذى بدأ توثموزيس الثالث فيه يمحو اسمها حيثما وجد ، وقد خلفت الكثير من الآثار ولكن ليس بينها آثار فى الشمال سوى فى سينا ٠ وهناك نص طويل أمرت أن ينقش على واجهة معبد اقليمى سماه اليونانيون سبيوس ارتميدس (٣) جاء فيه أن موضع فخارها كان فى ترميم هياكل مصر الوسطى التى ظلت مهملة حتى عصرها ٠

« كان الأسيويون فى أفاريس فى شمال البلاد وكانت من بينهم حشود تقوم بهدم ما سبق تشييده ، كانوا يحكمون بغير مشورة رع ولم يحدث أن تم التصرف طبقا للأمر الالهى حتى عصر جلالتى » ٠

والدعوى مبالغ فيها من غير شك وهى بعيدة عن الانصاف فيما يتصل بجهود أسلافها ٠٠٠

وأصبح توثموزيس الثالث رجلا مكتملا وأطلقت يده أخيرا ، ومن الواضح أنه انتوى ألا تتفوق عليه زوجة أبيه المتوفاه التى كان يشابهها فى تصميمها من ناحية الرغبة فى الحصول على ذيوع الصيت عن انجازاته وكما استخدمت هى معبدها فى الدير البحرى واستغلت مسطح جدرانه من أجل هذا الغرض استخدم هو معبد أمون رع فى الكرنك مما أتاح له أن يعبر على التوالى عن عرفانه للمعبود الذى كان قد أصبح اذ ذاك الاله الوطنى ٠ كان الهيكل الذى بناه أول ملكين من ملوك الأسرة الثامنة عشرة

---

(١) P.M., I, 28, No. 20.

(٢) Hayes, R.S., p.p. 2, 11-12

(٣) J.E.A., XXXII, 43 ff.

عملا متواضعا ولكن منذ بدء الأسرة الثامنة عشرة أضيف الكثير ، وقد أسهم في هذا الأمر أمنوفيس الأول وتوثموزيس الأول وحاشبسوه مساهمة فعالة ومع ذلك فقد ظل مبنى الدولة الوسطى الحد من الناحية الشرقية ـ أما الى ناحية الغرب فان المبنى لم يمتد على طول المحور الرئيسى الى أبعد مما يعرف الآن بالصرح الرابع ـ وكان يجب أن تنقضى بضعة قرون قبل أن تبنى هذه المجموعة الضخمة من المعابد التى لا تزال بقاياها قائمة حتى اليوم ، وأكثر الاضافات وضوحا للعيان هى تلك التى قام بها توثموزيس الثالث ومنها بهو الأعياد الجميل الى الشرق والصرح السابع الى الجنوب ، أما ما شاده من أسوار وجدران وبوابات ففى كل مكان وتغطيها كلها مناظر ونقوش تنهض دليلا على تقواه وانتصاراته بل انه أمر أن ترسم فى صالة الأعياد النباتات العجيبة التى عرفها فى سورية وان كان تعريف هذه النباتات كفيلا بأن يدخل الحيرة والارتباك الشديد الى نفس عالم النباتات . وانا لنرى أنفسنا تظهر الشجن كعادتنا من جراء اختفاء كتل تكمل يوما هذه الروايات . ومع ذلك فان ما بقى يمكننا من أن نحكم على طبيعتها العامة وأهدافها ، ومما يثير الدهشة أن نجدها أكثر واقعية وأقل تفخيما من النقوش المماثلة للكثيرين من الفراعين الآخرين ، فهنا نرى أنه يمكن تقبل المعلومات فى ثقة كبيرة . وعلى أية حال فيجب أن نلاحظ أن معظم النقوش خاصة بأحداث سابقة لم تسجل الا بعد أربعين سنة من حدوثها حين أنهى توثموزيس من عمره سنى النشاط الحربى المتحمس ، وهناك بالاضافة الى نصوص الكرنك لوحتان تلخصان شجاعته الجسمانية وفنون اقدامه ، وقد أقيمت كبراهما وأكثرهما أهمية فى معبد بعيد جدا فى نبته (جبل البرقل) عند الجندل الرابع (١) ، وأما الأخرى فهى فى أرمنت (٢) ، وهى أصغر وأقل كمالا وان كانت تساوى أختها من ناحية تغطية الموضوع ، ولقد كان الحادث الذى يكرره توثموزيس ويعيد تكراره مرارا هو الحادث الذى كان يعده أساس كل مراحل نجاحه التالية ألا وهو انتصاره فى مجدو وهى مدينة قوية التحصين تطل على سهل أزدريلون وقد تم هذا النص فى العام الثالث والعشرين الذى يعادل العام الثانى من الحكم المشترك . وانا لنشهد القصة نفسها تروى على بعض جدران نالها التهشيم فى قلب معبد أمون رع (٣) .

---

(١) Z.A.S., LXIX, 24 ff.

(٢) Mond and Myers, Temples of Armant, London, 1940, pl. 103.

(٣) P.M., II, 33 (37) ff., 37 (73) ff.

لقد خلا حكم « حاشبسوه » من أى مشروع حربى اللهم الا غارة غير هامة ضد النوبة (١) • وكان من أثر ذلك أن صغار الأمراء فى فلسطين وسورية رأوا الفرصة مناسبة لطرح النير الذى كان ألقاه عليهم توثموزيس الأول ، وكان أمير قادش على رأس الثائرين • وقادش مدينة كبيرة على نهر الأورنت ترجع أهميتها الى موقعها الحربى عند الطرف الشمالى لما يعرف بالبقاع (الوادى) وهى الرقعة الضيقة الواقعة بين لبنان ولبنان الداخلية (٢) ، وقد اتجه توثموزيس الثالث عند نهاية الشهر الثامن من عامه الثانى والعشرين خارجا من قلعة الحدود « زل » (٣) قرب القنطرة الحالية على قناة السويس وهدفه كما يقول :

أن يقهر العدو الخسيس وأن يمد حدود مصر وفق أوامر أبيه أمون رع (٤) •

وبعد عشرة أيام كان فى البقعة التى عرفت فيما بعد بالمدينة الفلسطينية غزة التى استولى عليها • وكان هذا اليوم يوافق يوم الاحتفال بعيد توليته أى اليوم الأول من عامه الثالث والعشرين ، وغادر غزة فى اليوم التالى ووصل بعد عشرة أيام الى مدينة يحم وهى تبعد على التحقيق كثيرا عن الحافة الجبلية التى كان عليه أن يعبرها قبل أن يستطيع أن يصل الى الالتحام بالعدو ، وهنا دعا مجلس الحرب وخاطب ضباطه قائلا :

ان هذا العدو الخسيس من قادش قد دخل الى مجدو وهو هناك فى هذه اللحظة •

انه قد ضم اليه أمراء كل البلاد التى كانت موالية لمصر حتى نهرين ••• من سوريين وشعب قودى بخيلهم وجنودهم وشعوبهم وهو يقول (كما يزعمون) اننى سأقف لأحارب جلالته هنا فى مجدو « فخبرونى عما فى قلوبكم وأجابه الضباط على هذا بقولهم :

كيف يستطيع أى انسان أن يسير على هذا الطريق البالغ الضيق ؟ انه يشاع ان العدو يقف فى الخارج وانه أصبح كبير العدد ••• أليس من المفترض أن يسير الحصان خلف الحصان والجند والناس كذلك ؟ هل ستبدأ الجبهة المعركة ، بينما لا تزال المؤخرة واقفة هنا فى عاروىا لا تحارب ؟

---

(١) J.N.E.S., XVI, 99 ff.

(٢) Onom. I, pp. 137* ff.

(٣) Op. cit., II, p.p. 202* ff.

(٤) النصوص فى Urk., I.V. 647 ff. اما الترجمة وغيرها فانظر المراجع فى آخر الفصل•

ان هناك طريقين : أحدهما ينفتح عند « تاعاناخ » والآخر الى ناحية الجانب الشمالي من دجفتي (زفتي) يوصلاننا الى شمال مجدو فليتقدم مولانا الى حيث يقوده قلبه ، ولا يدعنا نتابع السير في هذا الطريق الوعر .
وجاءت تقارير جديدة بوساطة الرسل ، فرد جلالته قائلا :

طالما أنا حي وطالما يحبني رع ، وطالما يعطف على أبي أمون ،وبوصفي مجدد الشباب بالحياة والقوة فان جلالتي سيتقدم على طريق عارونا ، فليذهب من يشاء منكم عن الطريق التي تحدثتم عنها وليتبع جلالتي من يريد . لاتدعوا هؤلاء الاعداء الذين يمقتهم رع يقولون : أيتقدم جلالته عبر طريق آخر لأنه يخافنا ؟ لأنهم سوف يقولون هذا .

وأجاب الضباط في تذلل .

ليتجح الاله أمون رأيك ، هاك اننا في حاشية جلالتك حيثما تتوجه جلالتك ... ان الخادم يتبع مولاه .

وتقدم المقتطفات السابقة فكرة عن أسلوب هذه الرواية التاريخية وهي أول وصف كامل عن أية معركة حاسمة ومع ذلك فانه بدون اضافة الكلمات المفقودة هنا وهناك فان القليل الذي يبقى تستطاع ترجمته ، من هذه النقطة يزداد الفراغ حتى نجد أنفسنا في كثير من أجزاء النص لا نفعل أكثر من أن نشير الى المقصد العام ، لقد اختار توثموزيس الطريق المباشر وان كان الأصعب واقسم ان يسير على رأس جيوشه ، وبعد ان استراح ثلاثة أيام في قرية عارونا انطلق الى الشمال وهو يحمل أمامه صورة أمون لتشير الى الطريق وحين وصل الى مدخل الوادي اكتشف الجناح الجنوبي لقوات العدو عند تاعاناخ على حافة السهل ، بينما كان الجناح الشمالي منتشرا بالقرب من مجدو ، وكان من الواضح أنه من المتوقع أن يأخذ أحد الطريقين السهلين وادرك انه بالنسبة لهذا الخطأ فان الحلفاء معرضون للهزيمة من جراء ذلك ، وانتشرت جبهة فرعون الأمامية على الوادي في جنوب الرافد المعروف باسم قينا وعندئذ قال الضباط لمولاهم : —

هاك ان جلالته قد خرج مع جيشه المنتصر وقد ملأوا الوادي . ليصغ مولانا المنتصر الينا هذه المرة الوحيدة وليدعنا مولانا ننتظر مؤخرة جيشه وقوته فحين تصلنا مؤخرة الجيش فاننا نحارب ضد هؤلاء الأسيويين وسوف لا يعتورنا القلق على مؤخرة جيشنا .

وعمل الملك بهذه النصيحة وتوقفت جيوشه حتى الظهيرة حين بدأ ظل الشمس يتحول وعندئذ تقدم الجيش كله الى جنوب مجدو على طول ضفة الرافد قينا وكان الوقت السابعة مساء ٠

فنصب المعسكر هناك لجلالته ٠ وأعطيت الأوامر للجيش كله « اعدوا أسلحتكم لأننا سنلتحم بالعدو الخسيس فى الصباح »

وقدمت مواد التموين واعتكف توثموزيس وجنده ليستريحوا ونام الملك فى خيمته الملكية نوما عميقا وفى الصباح أعلن ان الشاطىء خال وأن القسمين : الجنوبى والشمالى للجيش فى حالة طيبة ٠٠٠ كل هذا حدث فى اليوم التاسع من الشهر ، ومن عجب ان يقال ان المعركة لم تحدث الا فى الحادى والعشرين ٠٠٠ وربما كان ذلك بسبب انتظار العيد للقمر الجديد ٠٠٠ وبعد ذلك نسمع عن خروج الملك ٠

(على عربة من الذهب مجهزة بكل عدة الحرب ، مثل حورس الذى يلوح بذراعه سيد العراك ومثل مونت الطيبى) وللمرة الأخيرة يقدم وصف لمكان القوات بالجناح الشمالى الى شمال غربى مجدو ، والجناح الجنوبى على التل الى جنوب رافد قينا والملك فى الوسط بينهما ، وحين قامت المعركة ابدى توثموزيس شجاعة شخصية كبيرة ، وكانت فوضى واضطراب العدو كاملين فهربوا رأسا الى مجدو بوجوه مذعورة مخلفين وراءهم خيلهم وعرباتهم الذهبية والفضية ثم أغلقت بوابات المدينة ورفعوا اليها بجذبهم من ملابسهم ، وهنا نجد كاتب هذه القصة المفصلة يسمح لنفسه بابداء الأسى ٠

لو لم يضع هؤلاء الجند ، جند جلالته ، فى قلوبهم ان ينهبوا متاع الأعداء لاستطاعوا فى تلك اللحظة حين كان يرفع الى الأسوار العدو الخسيس من قادش والعدو الخسيس من هذه المدينة ، وبينما كان الآسيويون المبعثرون منبطحين كالأسماك فى الشبكة كان المصريون يقسمون فيما بينهم متعلقاتهم وهم يقدمون الشكر لأمون ٠٠٠ ولكن كان لايزال أمامهم حصار طويل استغرق سبعة شهور كما تسجل ذلك لوحة نبته ٠ وأما كيف كانت هذه العملية حيوية فاننا نستطيع أن نستشعر ذلك من وراء بضع كلمات كان توثموزه يحرض بها رجاله على المزيد من بذل الجهد ٠

(أن كل أمراء البلاد الشمالية حبيسون فى داخلها ، ان الاستيلاء على مجدو يعدل الاستيلاء على ألف مدينة) ولسنا نستطيع أن ننكر أن

وصف معركة مجدو بالحوار بين الملك وحاشيته يطابق الطراز المألوف ، ولكنه من أجل ذلك لا يقل عنه قبولا للتصديق ، واما الحقائق الطبوغرافية، فقد قام بتحقيقها في مواقعها عالم بالغ الكفاية (١) ، وكان نقده الوحيد المضاد ان ضيق الطريق المختار بولغ فيه بعض المبالغة • ولسنا بحاجة هنا الى أن نقص تفصيلات الحصار التى جاء عنها أنها سجلت على ملف من الجلد أودع فى معبد آمون (٢) ، ويزعم المدعو تجنن الذى كان يعمـــل « كاتب جيش » فى نص مقبرته (٣) انه خلد كتابة الانتصارات التى شهدها بنفسه ، ولكن مادام عمله العسكرى امتد خلال الحكم التالى لـ « توثموزه الثالث » فانه من المستبعد أن يكون قد اشترك فى » حملة النصر الأولى » • اما نتائج الحملة فلم تؤد كما حدث فى نوبيا الى تعيين نائب للملك هنا ، فظروف فلسطين وسورية مختلفة اذ أن كل هذه المنطقـــة كانت بها مدن وولايات مستعدة لأن تدخل فى معارك مع بعضها البعض أو ترتبط من جديد ببعضها البعض ، وكان ولاؤهم للغازى المصرى يهزه دائما تهديد القوات الكبرى الأخرى التى تضغط من ناحية الشـــمال ، وبمعبد الكرنك من هذا العهد مناظر عظيمة للنواحى التى اخضعت ويمثل كل منها أسير مقيد الأيدى من خلف وتعد قائمة رؤساء الآسيويين ثلاثمائة وخمسين اسما على الأقل (٤) كما تذكر لوحة نبته أسماء ثلاثمائة وخمسين أميرا اشتركوا فى الصراع ضد المصريين عند مجدو • ولا نعجب كثيرا من أنه فيما بين العام ٢٣ والعام ٣٩ رئيت ضرورة توجيه أربع عشرة حملة منفصلة بقصد اخضاع كل المناطق الشمالية الشرقية ، وتهتم سجلات الكرنك بالغنيمة أو الجزية أكثر من اهتمامها بالعمليات الحربية ومع ذلك فهناك فى بعض الخانات ما يلقى ضوءا على ما اتخذ منّ خطى وعن السياسة التى اتبعت ، وقد عنى توثموزيس منذ البداية أن يعين أمراء جددا يختارهم بنفسه ويحمل معه الى مصر أخوتهم أو أطفالهم كرهائن (٥) واما الحقول حول مجدو فقد عهد بها الى مزارعين مصريين (٦) وبخاصة تلك النواحى المثمرة التى تزود الجيوش بحصص اضافية لتموينهم (٧) ، وهناك كذلك

---

(١) أنظر فى آخر الفصل H.H. Nelson كمرجع •

(٢) B.A.R., II, No. 433.

(٣) Urk., IV, 1004

(٤) Urk, IV, 779-94

(٥) B.A.R., II, No. 467

(٦) Op. cit., II, No. 437

(٧) Op. cit., II, No. 461

اشارات مشئومة لتدمير المحصولات والبساتين (١) ، وقد كان هذا من غير شك عقوبة للرؤساء الذين يقودون أعمال المقاومة ، وهناك منظر يستحق الالتفات بخاصة هو تزويد الموانى الساحلية بالمؤن مما يوحى بأنه كان يوجد فى الشمال فى جميع الأحوال معدات وربما رجال كذلك من البحارة المنشئين فى سفن بنيت فى الأحواض الكبيرة بالقرب من ممفيس (٢) ولم يكن من الممكن لمثل هذا التنظيم الناجح أن يفشل فى التأثير على حكام الولايات الهامة التى قد تستشعر التهديد ••• ونحن نقرأ عن هدايا كان يرسلها ملوك آشور (٣) وسنجار (بابل ، شنعار التوراة) (٤) وحتى خاتى العظمى (الحيثيون) (٥) فى هذه المرحلة الأقل خطرا •

أما حجر العثرة الحقيقى ضــد خطط التوسع ل توثموزيس الثالث فكانت على أية حال قوى نهرين التى سلفت الاشارة اليها عند الحديث عن توثموزيس الأول (صفحة ٢٠٠) وكان عبور الفرات ثم هزيمة ملك ميتانى العمل الذى توج الحملة الثامنة فى العام ٣٣ (٦) حوالى ١٤٥٧ ق • م) وهاك وصفا تفصيليا جاء على لوحة نبته •

عبر جلالتى حتى ابعد الحدود فى آسيا ، وأمرت ان تبنى قوارب كثيرة من الأرز على تلال أرض الاله فى مجاورات « سيدة ببلوس » (٧) ، ووضعت فوق عربات (أى عربات ذات عجل) تجرها ثيران وسافرت أمام جلالتى لكى تعبر هذا النهر العظيم الذى يفيض بين هذه البلاد ونهرين•• كلا •• ولكنه ملك يفاخر به بالنسبة للاستعدادات التى قام بها جيشاه فى المعركة ذلك الذى عبر الفرات لمطـاردة من هاجمه ، وكان على رأس جيشه فى السعى وراء ذلك العدو الخسيس على جبال ميتانى حين هرب خوفا أمام جلالته الى بلاد بعيدة •• عندئذ أقام جلالتى لوحة على ذلك الجبل فى نهرين قطعت من الجبل الواقع على الجانب الغربى للفرات •

---

(١) Op. cit., II, No. 416-465

(٢) T. Säve-Söderbergh, The Navy of the Eighteenth Egyptian Dynasty, Uppsala 1944, p. 33 ff.

(٣) B.A.R., II, No. 446-9; Onom. I, p. 191*

(٤) B.A.R., II, No. 484; Onom. I, p. 209*

(٥) B.A.R., II, No. 485; Nom. I, p. 127*

(٦) B.A.R., II, No. 476 ff; J.E.A. XXXII, 39 ff.

(٧) هذا النعت للربة بعالات أو حتحور يستخدم هنا كاسم للاقليم نفسه •

وهناك أوصاف أخرى لتلك الحملة (١) ، ولكن ليس من بينها ما يعدل هذه من ناحية التفصيلات ، ولئن كان الطريق من ببلوس يمر عبر قطنة وتونب (قرب حلب) وقرقميش فان معنى نقل هـذه القوات قطع أكثر من مائتين وخمسين ميلا كما ان استخدام عربات تجرها الثيران من ذوات الأربع عجلات ظاهرة غير متوقعة تماما ، ومع ذلك فربما لم يكن النصر عظيما بالصورة التى اشير اليها لأنه بعد عامين حدثت الحرب من جديد مع أمير نهرين (٢) وان لم يكن هذا فى الاقليم نفسه ، وهناك بعض الأحـداث فى رحلة العـودة تستحق الذكر ، ذلك ان وقت الفراغ لدى الفراعين لم يكن أقل ورودا فى النصوص من فنونهم ولسنا فى حاجة لأن تسـتولى علينا الدهشة حين نعلم ان توثموزيس الثالث شأنه فى هـذا شأن جده (صفحة ٢٠٠) اتجه نى بقصد صيد الفيلة (٣) وهناك مصدران متميزان يشـيران الى أنه اعترضـه هناك قطيع من الفيلة ، عدته مائة وعشرون فيلا على الأقل ، وفى هذه المناسبة نزل أحد أتبـاعه الشجعان ويدعى امنمحاب الى الماء وقطع خرطوم أضخم هذه الحيوانات • وتروى قصـة حيـاة الرجل الذى كتبها على مقبرته فى أسلوب حماسى من بين ما تقصه من أحداث أخرى قطعة غير عادية من الخطط الحربية من جانب أمير قادش ذلك ان فرسا اطلقها كانت كفيلة ان تثير الاضطراب بين خيول العربات المصرية لو لم يتابعها امنمحاب ويرميها بسكينه ثم يقدم ذيلها الى فرعون ، وقد دمرت مدينة قادش فى العـام الثلاثين ثم تمت زيارة جديدة لها بعد ذلك ودمرت أسوارها الجديدة •• وحتى هذه المرحلة لم تكن هذه المناطق المجاورة قد أخضعت تماما وذلك لأننا نعرف عن ثلاث من قراها بأنها نهبت فى العام الثانى والأربعين (٤) •

ونحن نحتاج فى الواقع الى حيز أكبر بكثير من المخصص هنا لنسجل النجاح الحربى للملك توثموزيس الثالث ان نحن أردنا أن نكون موفقين فى معالجتنا لذلك الأمر ، وعلينا كذلك أن نمر مرور الكرام على الحملات الاقل اثارة للاهتمام فى النوبة الا فيما يتصل بذكر صيده هناك لخرتيت وهو أمر نادر جدا فى النصـوص المصرية(٥) ، ونحن هنا كذلك لانستطيع

---

(١) لكل ما يلى انظر *.Onom. I, p.p. 153 ff

(٢) BA.R. II, No. 498-9

(٣) Op. cit., II, No. 588, f.

(٤) تقرأ ثلاث قرى بدلا من كلمة «مدن» B.A.R., II, No. 531
انظر كذلك Urk, IV, 730

(٥) A.N.E.T., p. 244; Urk, IV, 1246, 1248

أن نتحدث بالتفصيل عن نشاطه البنائى أو أعيـــاده التى أقامها تكريما للآلهة بل يكفى أن نقول ان قليلا من المدن هى التى لم تنعم باحسـانه ، أما المعبـد الجنازى (١) الذى بنـاه لنفسه على حافة الصحراء الغربية فى طيبة فقد دمر تماما تقريبا ولكنه لايبدو أن به شيئا معينا يثير الاهتمام ، واما قبره فى بيبان الملوك فلا يختلف كثيرا عن قبور أسلافه (٢) ، وفى المقبرة يرد ذكر اسماء لا اسم أمه ايزه فحسب وانمـــا اسم زوجته الرئيسية كذلك وهى مريت رع التى كانت تسمى حاشبسوه الثانية ، ثم كذلك زوجتين أخريين (٣) ، هذا الى أنه كانت هنـاك ثلاث أخريات يحملن أسماء أجنبية ـ ليس من غير المحتمل أنها آسيوية ـ عثر عليهن بحليهن الثمينة فى قبر بعيد ظل سليما من غير شك حتى اكتشفه وسرقه المواطنـون المصريون عـام ١٩١٦ (٤) ، وقد وجد تابوت الملك كما وجدت مومياؤه فى خبيئة الدير البحرى (٥) . ولئن صدق ما يزعمه «فرشوه» من أن مظهر الملك يبدو شابا فان معنى هذا أنه لم يكن سـوى طفل حين ادارت زوج ابيه شئون الحكم تحت اسميهما المشترك وهو يرى انه مات وهو فى الرابعة والخمسين من عمره (٦) .

ولم يكن هناك من بين نبلاء عصره من هو أعظم من رخميرع الذى يزور كل السائحين مقبرته فى طيبة ، والمحفوظة فى حالة جيدة ، وكان يشغل وظيفة وزير فى « المدينة الجنوبية » ولسنا نستطيع سوى الاشارة العابرة لمناظر الأجانب والضياع التى تزين الجدران ولكن هناك صورا لا يمكن أن نتغاضى عنها هى صـور المدن الكثير ة من سنموت ، جزيرة بجا عند الجندل الأول ، حتى أسيوط فى المقاطعة الثالثة عشرة من مقاطعات الوجه القبلى ويظهر فى هذه الصور فى معظم الحالات العمدة ومسجل الناحية وبعض الكتاب وجماعة من صغـار الموظفين يأتون بمختلف السلع كالتزامات واتاوات تدفع لمكتب الوزير . وقد خصـص

---

(١) P.M., II, 148

(٢) Hayes, R.S., p.p. 22 ff.

(٣) P. Bucher, les textes des tombes de Thoutmosis III et d"Amenophis II, Cairo, 1932, pl. 24

(٤) H.E. Winlock, The Treasure of Three Egyptian Princesses, New York, 1948.

(٥) P.M., I, 175 No. 16

(٦) B.A.R., II, No. 592

أحد الجدران لتكريس ومديح رائع لوظيفة هذا الرجل العظيم مع وصف مختصر لتقديمه للحضرة الملكية ولكن ما هو أكثر أهمية نصان طويلان يتكرران فى مقابر عدة وزراء التقينا بواحد منهم فى أوائل هذا الكتاب يسجل الحديث الذى يفترض ان يوجهه فرعون فى يوم تعيين رئيس قضاته فيقال له مثلا ان الوزارة ليست عملا حلو المذاق ولكنها مرة كالعفص وأن الشاكى يفضل ان يسمح له بأن يستمع الى مأساته أكثر من ان توضع موضع العدالة ، ورغم ان هذا النص قيم من الناحية السيكلوجية الا انه ليس له من الناحية التاريخية ما للنص الآخر الذى يحدد واجبات الوزير المتعددة ، والمشكلة الوحيدة هنا هى اننا لا نستطيع ان نتأكد من التاريخ الذى كتبت فيه هذه الموضوعات الحيوية جدا وليس ممـا لا يستطاع تصوره انها ربما ترجع الى عهد الدولة الوسطى .

وأما عن الشخصيات الأخرى البارزة التى عرف عنها انها ازدهرت فى هذا العهد فان عددها لا يمكن أن يقل عن مائة وللكثيرين منهم مقابر رائعة فى تل الشيخ عبد القرنة حيث تسجل الرسوم الملونة والنقوش نشاطهم المتنوع ، وكان يعدل رخميرع فى الأهمية الكاهن الأكبر لأمون رع المدعو « من خبررع سونب » الذى كان واجبه قبل المعبد الكبير ، الكرنك يتطلب تجميع الثروات من كل العالم ، والجدران الملونة فى مقبرته يظهر فيهـا الأمراء الحيثيون والسـوريون وهم يحضرون جزاهم من أوان غالية ، بينما يقدم الموظفون من قفط الذهب حلقات وفى أكياس اسهاما من الصحراء الشرقية وكوش ، وتتحدث النقوش عن المسلات وساريات الاعلام التى كان من واجبه أن يشرف على اقامتها ، وهناك كذلك صور نجارين وفلاحين يضمون نصيبهم الى ثروة الاله ، وانه لمن المستحيل هنا أن نفعل أكثر من أن نشير الى واحد أو اثنين من الموظفين البارزين فى العصر مادام ليس فى الاستطاعة تقديمهم جميعا فى صورة مترابطة نرتاح اليها ؛ ان مقبرة من يدعى دحوتى ، الذى كان يشـغل وظيفة المشرف على الأقاليم الشمالية كما كان قائدا ، لم يكتشف عنها بعد ، ولكن يوجد بمتحف اللوفر طبق فاخر من الذهب أهداه اياه الملك وكذا نلتقى فى بعض المتاحف ببضعة أشياء تخصه(١) وهو كذلك بطل لقصة تشبه كثيرا قصة « الاربعين حرامى(٢) » . وهناك صعوبة نحس بها

(١) F. Chabas, Œuvres Diverses, I, 225 f. The Devéria, oeuvres Diverses, I, 35; Urk IV, 999 ff.

(٢) J.E.A., XI, 225 f.

غالبا وذلك حين نجد موظفا يشغل بأعمال لا صلة لها بوظائفه الأصلية ، فهناك مثلا منموزة وهو المشرف على الاعمال الذى نظم الانشــــاءات البنائية فى أكثر من اثنى عشر معبدا نجــده يصحب توثموزيس الثالث فى حملاته الى نوبيا وسورية ويقوم بجمع الضرائب لمولاه ٠٠ هذا الى انه عين كذلك مشرفا على الكهنة فى المعبد الذى كان يعمل به (١) ٠

ويلاحظ أنه خلال الاثنتى عشرة سنة الأخيرة من حــكم توثموزيس الثالث لم يسجل ارسال حملة الى سورية وبالرجوع للوحة نبته من السنة السابعة والأربعين لانراها تقدم جديدا فى هذه الناحية سوى التسليم السنوى للاخشاب التى يقوم بسحبها الى الشاطىء أمراء لبنان والتى كانت تحمل على المراكب بعد ذلك الى مصر ٠ وفى العام الخمسين أثناء عودة الملك من النوبة مر فى الجندل الأول وفعل مثل ما فعل من قبــل سنوسرة الثالث وتوثموزيس الأول اذا أمر بتطهير القنـــاة التى كانت قد سدتها الأحجار (٢) ٠ وربما كان آخر مظهر نشــاط فى حياته هو اهتمامه بتصميم عمائر جديدة والاســـتمتاع بالثروة الهائلة التى جمعها ، ولكن ماذا كان يحدث فى نفس الوقت فى الشمال الشرقى الدائم الاضـــطراب ؟ ان خاتى (٣) كانت تمر فى أزمة طــويلة بسبب الصراع والتفرق الداخلى ، ولم تكن بعد فى مركز يسمح لها بمد نفوذها الى أبعد من حلب التى هاجمها ملكها تودهالياس الثانى ودمرها فى تاريخ غير محدد فى أواسط القرن الخامس عشر ، وكان الخط الرئيسى بالنسبة للنفوذ المصرى فى هذه الفترة يكمن فى ميتانى التى ذكرت فى النصوص الهيروغليفية منــذ حكم أمنوفيس الأول (٤) ، وكانت تحــكم هذه المملكة القوية أسرة من الجنس الآرى فرضت سلطانها على الحوريين فى جبال أرمينيا ، ولسنا ندرى على وجه التحقيق الى أى مدى استطاع الميتانيون أن يزحفوا الى سوريا الشمالية ، ففى النصوص الهيروغليفية نجــد ان اصطلاحى ميتانى ونهرين يعنيــان الشىء نفسه وان كان لفظ نهرين يستخدم غالبا للاشارة المحددة الى الأرض وراء الفرات ٠ وعلى أية حال فان المباهاة المستمرة بأن الاقدام وطئت نهرين لاتدع مجالا

---

(١) Urk, IV, 1441 ff.

(٢) B.A.R., II No. 649-50

(٣) Gurney, p. 26.

(٤) فى النص المذكور فى p. 175, No. 3

للشك في الاحساس بأول المحرضين على العصيان والاضطراب فى سورية وفلسطين ولقد كان تهديد ميتانى فعلا بعد قهرها على يد سوبيللوليوماس عام ١٣٧٠ ق٠م٠ ثم من خلفائه من الحيثيين وفيما بعد الاشوريين ، حتى اننا لانرى مدى ثمانمائة عام تقريبا جيشا مصريا يشق طريقه حتى يصل الى الفرات ٠ وهذه القوى المصرية التى أخذت تهن تدريجا لم تقم عائقا على أية حال فى عهد ابن توثموزيس الثالث دون محاولة محاكاة انتصارات أبيه ٠

كان أمنوفيس الثانى (١٤٣٦ - ١٤١٣ ق٠م) ابنا لحاشبسوه مريت رع التى ذكرنا من قبل انها كانت الزوجة الرئيسية ل توثموزيس الثالث ، وقد ولد فى منف(١) ، وقد شغل فى سنه الباكرة بالاشراف على تسليم الأخشاب لترسانة السفن الكبرى فى « برونوفه » بالقرب من ممفيس ، ويبدو انه كان يشغل فى الوقت نفسه وظيفة « ستم » أى الكاهن الأكبر فى العاصمة الشمالية (٢) ٠ وهناك لوحة كبيرة (٣) لم ترفع عنها الرمال بعد بالقرب من أبى الهول ، تقدم بيانا مليئا بالمبالغة فى الثناء على ماقام به من أعمال ٠ ولقد كانت قوته الجسمانية غير عادية اذ يقال أنه كان فى استطاعته أن يصوب نحو هدف معدنى سمكه قبضة يد فيخرقه بحيث يبرز سهمه من الناحية الأخرى ٠ ومن سوء الحظ ان مثل هذا الأمر يحكى كذلك عن توثموزيس الثالث وان كان بتفصيلات أقل (٤) ، ومن ثم فلنا عذرنا فى التشكك ، وعلى أية حال فان هناك أمثلة أخرى لبسالته واقدامه الرياضى وهو أمر ينفرد به بحيث لا نستطيع أن ننحيه جانبا ، ذلك انه لما بلغ الثامنة عشرة كان قد برع فى كل فنون مونت اله الحرب ، كان مجدفا يستخدم مجدافا طوله عشرون ذراعا فيعدل فى تجديفه مائتى رجل ويبعد فى تجديفه ستة أمثال ما يفعلون دون توقف ، وكان خيالا رائعا حتى عهد اليه أبوه توثموزيس بخيرة جياد حظائره التى مرنها بحيث كانت تستطيع قطع مسافات طويلة دون أن يتصبب منها العرق ، وهناك نص عجيب من سمنه يؤرخ بالسنة الثالثة والعشرين (٥) يشير الى طباعه فى أخريات حياته ، وبقدر

(١) Urk, IV, 1366

(٢) ZÄS LXVI, 105 ff. L. XVIII, 7 ff.

(٣) A.N.E.T., p. 244

(٤) Op. cit., p. 243

(٥) Urk. VII, 65 ff.

ما نستطيع أن نفهم من النص يبدو انه كان فى مجلس شراب فانطلق لسانه باظهار الاحتقار لأعدائه الأجانب معلنا بأن الشماليين بما فيهم « عجوز أرباخ » و « قوم تخسى » (١) لا جـدوى منهم ولكنه يأمر نائبه فى النـوبة أن يحذر القوم هناك وكذا سـحرتهم ، ويحرضـه على أن يستبدل أى رئيس يشتم منه المعارضة بآخر وضيع النشأة ٠

وقد تابع امنوفيس الثانى النشاط المعمارى الذى كان قد بدأه أبوه ، ففى الكرنك كان قد بولغ فى تمجيد أمون رع فرأى امنـوفيس الثانى أن يكرس مظاهر تقواه للأقاليم دون اهمال الاله الطيبى العظيم كلية ٠ وهناك لوحة صخرية فى طره تشير الى أنه فى السنة الرابعة من حكمه كان منموزة لا يزال مشغولا بمعابد الدلتا (٢) وفى عمدا ـ وهى مدينة هامة فى وسط النوبة السفلى ـ لا يزال يرى الكثير من المعبـد الجميل الذى بدىء فى بنائه فى عهد سلفه ، وكان المعبود المحلى « حورس ميعـام » وقد تضـاءل أمام الهى الدولة الـكبيرين رع مـراختى وأمون رع (٣) ، وقد رسمت تحت صـورهما ـ وهما جالسان فى قارب وكأنما يزوران المكان ، يقصـفان بالنبيـذ الذى يقدمه الملك ـ رسـمت لوحة لا تزال قائمة فى حالة جيدة ظلت طويلا مصـدرا لمعلوماتنا عن أعمال الملك ، فبعد النعوت التى لابد منها والتى تشير الى قوته ، نجد تقريرا عن المنشآت فى المعبـد التى تقـام صورة طبق الأصل من نسخة منقولة عن معبد خنوم فى الفنتين (٤) ، وتلى ذلك فقرات تسـجل عملا من أعمال السربرية التى كانت تعد فى مثل الجو الخلقى الفج لذلك العصر الحربى ٠ موضع فخار ٠٠ ولقد جاء فيها : ـ

بعد ان عاد جلالته من رتنو العليا ، وبعـد أن قهر اولئك الذين لم يستشعر حبهم له وبعد أن مد حدود مصر فى حملة النصر الأولى له ، عاد جلالته فرح القلب الى أبيه أمون بعد أن قتل بهراوته الرؤساء السـبعة الذين كانوا فى ناحية تخسى ووضعهم مقلوبين على مقدم سفينة جلالته التى كان اسمها « عاخبررع ـ مثبت الأرضين » وقد علق ستة من هؤلاء الأعـداء على واجهة جدار سـور طيبة ٠٠ أما السـابع فقد أرسـل

---

(١) انظر صفحة ٢٢٥ ٠

(٢) Urk, IV, 1448.

(٣) P.M., VII, 65 ff.

(٤) A.N.E.T., pp. 247-8.

بسفينته الى النوبة وعلق هناك على جدار سور نبتة ليكون عبرة تريهم قوة انتصار جلالته الى الأبد ٠

وقد ارخت لوحة عمدا بالسنة الثالثة وتوصف الحملة السورية المقصودة هنا بأنها أول حملة نصر ، وقد أثار هذا الاصطلاح الكثير من الحيرة عند العلماء ؛ لأن الكلمات نفسها استخدمت في لوحة كبيرة أخرى من السنة السابعة ، ـ وهو أمر غير بعيد الاحتمال ـ (وتخسى لا تبعد كثيرا عن قادش على الاورنت ، وهي الحملة نفسها التي جاء ذكرها على تمثال لـ منموزة عثر عليه في مداموت (١) ، يشير فيه أنه شهد جرأة واقدام مولاه حين « غزا ثلاثين مدينة في ناحية تخسى » والملك الذي يشار اليه هنا هو من الناحية الشكلية توثموزيس الثالث ، ولكن ربما كان صاحب هذه الفعلة امنوفيس الثاني الذي كان يعمل بدلا من أبيه ـ ان هناك حقا بعض الدلائل التي يشك فيها والتي تشير الى قيام اشتراك في الحكم في أخريات عهد توثموزيس الثالث (٢) ـ وان كان هذا يتعارض وما ذكر من قبل في رواية المحارب امنمحاب ٠

ولقد عرفنا من زمن بعيد لوحة مهشمة الى أجزاء ، كثيرة العيوب ، عثر عليها بالكرنك تتناول بالوصف انتصارات امنوفيس الثاني وقد ظلت هذه اللوحة غير ذات أهمية من الناحية العملية حتى عام ١٩٤٢ حين عثر على لوحة مماثلة في ممفيس (٣) هي من ناحية صورة طبق الأصل ثم هي مكتملة من الناحية الأخرى ، وبالرغم من وجود بعض الاختلاف الا أن النصين يكمل احدهما الآخر ، والشائبة المشتركة بينهما ترجع الى أن كثيرا من الجمل قام بمحوها شركاء الملك المتعصب اخناتون وهو تشويه لم يستطع اصلاحه العلماء الذين استخدمهم سيتوس الأول ـ المصلح الأكبر لآثار السابقين ـ وهاك ترجمة مطلقة غير مقيدة لبعض المقتطفات التي تبين رواية من أكثر الروايات حيوية في التاريخ المصري ٠

يعد التاريخ بالسنة السابعة ثم النعوت التي لا يمكن تحاشيها

---

(١) انظر .P. 197, No. 3

(٢) توجد خراطيش الملكين الواحد الى جانب الآخر لا في « معبد عمدا » وحده بل في مقبرتي طيبة اللتين تحملان رقمي ٤١ ، ٢٠٠ ، ومع ذلك فعلينا أن نحذر القارىء من التمادي وراء مثل هذا النوع من الأدلة ٠

(٣) A.N.E.T., p.p. 245-7 انظر المراجع آخر الفصل ٠

والتي تمتدح شجاعة الملك ، نلتقي بفقرة تصف تدمير مكان يدعى شمس أدوم لا يبعد أكثر من مسيرة يوم من قطنة وهي مدينة هامة على بعد أحد عشر ميلا الى شمال شرقي حمص (١) ، وخلف النصر السريع في أيدي المصريين عددا قليلا من الآسيويين والماشية .. عند هذه النقطة تبدأ الرواية الفعلية :

عبر جلالته الاورنت فوق مياه مضطربة كالاله رشف ثم استدار ليستطلع مؤخرة جيشه فشهد بعض الآسيويين الذين كانوا قد جاءوا خلسة من مدينة قطنة ليهاجموا جيش الملك ، وكان جلالته مزودا بأسلحة القتال فانقض جلالته على ظهورهم كما يطير الباشق المقدس فتراخوا وسقطت قلوبهم وارتمى كل منهم فوق صاحبه بما في ذلك قائدهم ، ولم يكن هناك أحد مع جلالته سوى شخصه وذراعه القوى . لقد ذبحهم جلالته دفعة واحدة .

وبعد اشارة مختصرة الى ارتحال الملك والى الاستيلاء على الغنائم نجد نص الكرنك يتابع ذلك بفقرة كاملة جاء فيها : ـ

الشهر الثاني من فصل الصيف ، اليوم العاشر ، العودة من جديد الى الجنوب .. تقدم جلالته بعربته الى مدينة نى وكان اسيويو المدينة رجالا ونساء على الأسوار يعبدون جلالته ويظهرون اعجابهم بالاله الجميل .

ولقد أشرنا من قبل مرتين الى نى عند منظر صيد الفيل ، وذكرها هنا له قيمته لأنه يرتبط بوجهة النظر القائلة بأن هذا المكان ليس على الفرات كما كان يظن البعض ، وأما الفقرة التالية فمصدر صعوبة من ناحية ما يجب أن يفهم على وجه التحقيق ذلك لأن مدينة اوجاريت تحتاج الى وقفة لابد منها ، واوجاريت هي التي تعرف اليوم باسم رأس الشمرة على الشاطىء الى شمال لايودشيا بقليل ، وهي الناحية التي قام شيفر فيها بحفائر موفقة . وكان من بين ما عثر عليه الكثير من الألواح الطينية المكتوبة بالحروف الاسفينية : ـ

« ونما الى علم جلالته ان بعض الآسيويين الذين كانوا في مدينة اوكات يبحثون عن طريقة لطرد حامية جلالته خارج مدينته وليحطموا وجه الأمير الذي كان مواليا لجلالته . وعلم جلالته بهذا الأمر في قلبه

---

(١) Onom., I, p. 166*

فأحاط كل من تحداه في هذه المدينة وذبحهم على الفور وهكذا أخمد هذه المدينة وهدأت الأرض كلها · »

وكان لابد من بعض الراحة بعد هذه الشدة ، وبعد أن استراح في خيمته انطلق الى المناطق المجاورة لمدينة جالخي (١) وخرج الملك لغزو بعض القرى واتجه الى أخرى ليتقبل خضوع رؤسائها ، وعند وصوله الى قادش جاء بعض الأمراء ومعهم أطفالهم ليقسموا يمين الولاء له ولكي يستعرض مهارته وفي الوقت نفسه يظهر قوته ·

سدد بعد ذلك نحو هدفين من النحاس في حضرتهم على الجانب الجنوبي للمدينة ثم قاموا برحلات الى ريبى في الغابة ، وعادوا بمالا يحصى من الغزلان والثعالب والأرانب والحمر الوحشية ·

ولكن كانت أمامه مهام أشــق ، وتقص لوحة ممفيس بقية حملة أمنوفيس الأولى في الكلمات التالية :

تقدم جلالته على عربته الى خشـــبو (٢) وحيدا بغير رفيق ثم عــاد بعد فترة قصيرة ومعه ستة عشر أسيرا مقيدين الى جانب عربته وكذا عشرين يدا على جباه خيله وستين من الماشية مسوقة أمامه وقدمت هذه المدينة الخضوع الى جلالته · والآن بينما كان جلالته متجها جنوبا الى سهل شارون (٣) وجد رسولا من أمير نهرين يحمل لوحا من الطين في رقبته فأخذه أسيرا حيا على جانب عربته · ثم انطلق جلالته عائدا الى مصر ومعه اثنــان من ·· والمريانو كأسير حي على عربة واحــدة معه · وصول جلالته الى ممفيس بفرح قلب كثور منتصر ·

حصيلة هذه الغارة : ماريانو ٥٥٠ وزوجاتهم ٢٤٠

كنعانيون ٦٤٠

أبناء أمراء ٢٣٢

بنات أمراء ٣٢٣

---

(١) انظر *Am. 126, 5, Onom., I, 165

(٢) Am. 174-4

(٣) قرب الشاطيء بين الكرمل ويافا وقد تردد ذكرها عدة مرات في اشـعيا وفي فقرات أخرى في التوراه ·

موسيقيات لأمراء من جميع البلاد ٢٧٠ ومعهم آلاتهم من الفضـة والذهب •

المجموع ٢٢١٤ (١)

ومن الخيل ٨٢٠

ومن العربات ٧٣٠ ومعهم كل أسلحة القتال الخاصة بهم •

وشهدت زوجة الآله ، زوجة الملك ، ابنة الملك (الاسم مفقود) انتصارات جلالته وتمت الحملة التالية في السنة التاسعة وكانت على نطاق أضيق من الأولى ، ولم يقد الملك الجيش المصرى الى أبعد من بحر الجليل ، وقد ذكرت بضـــعة أسماء لأماكن مثل ايحق ويحم وســوخو واناهارات وهى مما سبق ذكره في قوائم توثموزيس الثالث أو في التوراة أو في كليهما ، وقد حددت أماكنها تحديدا فيه كثير من احتمال الصحة ، والرواية عن الحملة تسير على النسق نفســه للحملة الأولى وان ظهرت بها بعض التجديـدات ، فقد ذكرت من جديـد ليلة الراحة فى الخيمة الملكية ولكن الاله أمون يظهر هنا فى حلم ويعـد بالنصر وبعـد العملية الهامة من قبض على الأسرى ونهب نقرأ عن احاطة المعسـكر بحفرتين كبيرتين ملئتا بالنار وظل فرعون يقوم بالحراسة الليل كله لا يقوم على خدمته سوى تابعه الخاص •• وهذا الاصرار على شجاعة الملك الشخصية فى غياب جيشه أمر شائع فى مثل هذه النقوش ، وهو من مميزات العنصر الكبير من الأسطورة التى تحويها هذه النصوص ، وقد قام « ايدل » بتحليل دقيق لمجمـوع ما نهب فى كل حملة ، وقد كشف من وراء ذلك عن تفصيلات هامة لا نستطيع التعليق هنا سوى على القليل منها ، وتضم القائمة فى نهاية اللوحة الممفية نتائج لا الحملة الثانية وحدها بل الحملة الأولى كذلك ، ومن هنا نستطيع أن نفسر أمر ال ١٥٠٧٠ أسيرا من ناجاسو لأنه من الواضح أن هؤلاء هم ال نوخاشى فى الوثائق المسمارية الذين عرف عنهم انهم كانوا يحتلون الاقليم الواقع بين حمص وحلب (٢) والرقم الذى نراه مسجلا يدعو للعجب ، شأنه فى ذلك شأن بقية الأرقام عنالشموسو أو البدو وعن الخورين الذين اشتق اسمهم ـ الذى اشتمل فيما بعد كل الفلسطنيين والسوريين ـ من الغزاة الحوريين من الشمال ، وتسبق هذا مباشرة اشارة الى ال « عابيرو » ،

(١) من الواضح ان هناك خطأ حسابيا (المترجم)

(٢) Onom. I, p.p. 168* ff.

وهو اصطلاح نوقش كثيرا ولا نستطيع أن نتجاهله (١) ، فمنذ سنوات قليلة مضت كان هناك من يؤكد في ثقة ان هؤلاء الاقوام هم أنفسهم العبرانيون في التوراة ، ولكن هذا الأمر لا يتقبله اليوم سوى قلة من العلماء وانه من المسلم به عامة على أية حال انهم هم الخابير (أو على الأصح الخابيرو) الذين جاء ذكرهم في ألواح العمارنة ، ويبدو أنه اصطلاح شامل أطلق على ال «منبوذين» أو «العصابات» التي لا تنتسب الى أية مجموعة جنسية محددة وهم يظهرون في النصوص المصرية كأسرى أسيويين يستخدمون في المحاجر ، أما فيما يتصل بكلمة ماريانو الذين تردد ذكرهم في لوحاتنا ، فتكاد الآراء تتفق عليهم • ذلك ان هذه الكلمة الهندوايرانية تشير الى أعلى طبقة من المحاربين في مدن سورية وهم أولئك الذين كان يعهد اليهم بالعربات وبخيولهم الشخصية •

وتنتهي لوحة ممفيس بفقرة تستحق أن تترجم كاملة :

والآن حين سمع أمير نهرين وأمير خاتي وأمير سنجار بالنصر العظيم الذي تم لي تنافس كل منهم مع صاحبه بكل وسائل الاهداء من كل البلاد وتحدثوا في قلوبهم الى اب آبائهم ليسأل لهم السلام من جلالته مقابل أن يمنحهم نسمة الحياة « جئنا الى قصرنا بجزيتنا يا ابن رع امنوفيس حاكم الحكام والأسد الغضوب في كل البلاد وفي هذه الأرض الى الأبد » ، ولعل من المهم هنا تلك الاشارة الى القوى الثلاث الكبرى الشمالية (٢) التي ربما كانت ترنو بعين جشعة الى الاقليم السوري وفي الواقع ربما كانت منافستهم فيما بينهم هي التي منعت أيا منهم من السعي لاخراج المصريين مما بقي من فتوح توثموزيس الثالث الآسيوية ، وفي خلال السبع عشرة سنة أو العشرين سنة الباقية من حكم امنوفيس الثاني لا نلتقي باشارة الى مناوشات حربية كما أنه في مدة حكم ابنه توثموزيس الرابع الذي يقدر له مانيتو ــ وهو في هذا صادق في تقديره في أغلب الأمر ــ تسع سنوات ، نجد أن اخماد ثورة نوبية في العام الثامن (٣) هي كل ما يسجل تقريبا ، وفي خلال هذا الربع قرن الذي يكاد يخلو مما يزودنا بمعلومات تاريخية نجد الشخصيات البارزة من الأشراف يزينون مقابرهم بالقرنة بصور ملونة فاخرة فهناك رجل على سبيل المثال يدعى قنامون (٤) كان الوكيل الاول لأمنوفيس في مركز

(١) المراجع في آخر الفصل •

(٢) انظر صفحة ٢٠٠ •

(٣) B.A.R., II, No. 823-9; Urk. IV, 1545 ff.

(٤) P.M. I, 123, No. 93

صناعة السفن الممفى فى «برونوفه» وكان من بين واجباته أن يقدم للملك فى مناسبة العام الجديد خيرة انتاج مصانعه ، وقد صورت على جدران المقبرة تماثيل وأوان ودروع وعربات وأثاث من كل نوع وكلها رسمت ملونة فى عناية ودقة ، وهناك لوحة من السنة الأولى من عهد توثموزيس الرابع (١) تروى كيف انه بينما كان يصيد ، وهو يافع فى المناطق المجاورة لأبى الهول فى الجيزة ، تلقى فى حلم الوعد من حرماخه (حرماخيس) (وهو الاله الشمسى الذى يجسده) بأن يكون ملكا · وكان عليه فى مقابل ذلك أن يخلص المعبود من الرمال التى تثقل عليه ـ وأما النهاية المفقودة فلابد أنها تروى كيف انه قام بوفاء هذا الواجب ، وليس هناك من هذا العهد سوى القليل مما يستحق أن يسجل بالاضافة الى هذه الاقصوصة الخالية ومع ما ذكر فيجدر بنا أن نذكر أكبر المسلات جميعا وارتفاعها ١٠٥ أقدام وهى قائمة الآن أمام كنيسة سان جون لاثيران فى روما ، وكان هذا الأثر مهملا فى الكرنك حتى أخذ توثموزيس الرابع على عاتقه أمر اقامته (٢) أما المعابد الجنازية لكل من توثموزيس (٣) وأبيه (٤) فتشغل مكانها الطبيعى على أطراف الصحراء الغربية عند طيبة وان لم يبق منها شىء تقريبا ، وقد كشف لوريه فى عام ١٨٩٨ عن مقبرة أمنوفيس الثانى فى ببيان الملوك ، ولا تزال تحوى تابوت الملك وكانت المومياء بداخله ولكنها لعبت بها أيدى العابثين وسرقت (٥) ، وبعد خمس سنوات كشف هوارد كارتر مقبرة توثموزيس الرابع (٦) وكان بها كذلك تابوته الضخم وقطع كثيرة من أثاثه الجنزى ، وهناك مومياء يبدو أنها له عثر عليها داخل تابوت من العصر المتأخر فى مقبرة امنوفيس الثانى وكانت الجثة ـ كما يرى اليوت سميث ـ لشاب نحيل لم يكن يعدو الثامنة والعشرين من عمره ·

وبولاية أمنوفيس الثالث للعرش (حوالى ١٤٠٥ ـ ١٣٦٧ ق·م) تصل الأسرة الثامنة عشرة الى قمة مجدها وان كانت شهرة هذا الملك

(١) B.A.R., II, 810-15

(٢) Urk., IV, 1548 ff.

(٣) P.M., II, 159

(٤) Op. cit., II, 149

(٥) Op. cit., I, 29, No. 35; Hayes, R.S. pp. 23-25

(٦) P.M., I, 30, No. 43; Hayes, op. cit., p.p. 25-27

لا تقوم على أى عمل حربى ، والواقع اننا نشك فى أنه أسهم شخصيا فى أية حملة حربية ، وقد قامت ثورة فى بلاد النوبة فى العـــام الخامس كان يجب أن تخمد ، ونحن نعرف أمرها من ثلاث وثائق تتسم بالمبالغة وجدت على صخور بالقرب من الجندل الأول (١) ، ولكن اذا كانت هى المناســبة نفسها التى وصفت فى رصانة على لوحة بالمتحف البريطانى (٢) ، فان الجيش المصرى كان تحت قيادة نائب الملك الذى تردد ذكره من قبل وهو منموزة ، وحين يقال ان « الذراع القوية لأمنوفيس قبضت على العــدو » فليس هذا بحاجة الى أن يعنى انه كان حاضرا بشــخصه ، واما منظر النصر ففى ناحية « ايبهة ايب حات » التى حصل منها مرنرع من ملوك الأسرة السادسة على أحجار لهرمه ، وكان عدد الأسرى الذين أخذوا قليلا لم يزيدوا على ١٠٥٢ ، ومع ذلك فان الاقليم النوبى يشهد بقوة على عظمة أمنوفيس الثالث فهو لم يبن هناك معابد ضـــــخمة فى سدنجـــا (٣) وصولب (٤) ــ على مسافة قليلة الى شمال الجنــدل الثالث ــ فحســب ولكن « الصورة الحية » ، له كانت تؤدى لها العبادة فى المكان الأخير ، كما كانت تؤدى لزوجته تيى فى المكان الأول ·

وقد استحدثت طريقة جديــدة فى عهده لتخليد الأحــداث الهامة للحكم وذلك بصناعة جعول ضخمة تحمل نصوصا بالهيروغليفية ،وحتى هذه المرحلة كانت المعلومات التى تستقى من الجعول مقصورة على كلمات قليلة قصيرة وأما الآن فانهـــا كثرت وطالت لتتضمن قصـــة كاملة أو ما يشبه ذلك وقد وصل الينا خمسة أشكال (٥) تربط كلها امنوفيس بزوجته المشهورة تيى التى يذكر اسم أبويها فى حالتين فهما : أب الاله كاهن مين فى اخميم المشرف على الجياد « يويا » والسيدة الرئيسية فى حريم أمون تويا ، ونلتقى بألقابها فى القبر الذى كشف عنه ديفز فى ببيان الملوك عام ١٩٠٥ م (٦) وهو قبر فاخر الأثاث ، وهـــكذا فلا مكان للنظريات القديمة التى تنسب الملــكة تيى الى أصـــل أجنبى ، وهنــاك صعوبة تعترضنا فى ذلك فى أنه فى الجعل الذى يسجل يومين من الصيد

(١) B.A.R., II, No. 842-5; Urk, IV, 1661 ff

(٢) B.A.R., II, No. 851-5.

(٣) P.M., VII, 166-7

(٤) Op. cit., 169-72; B.A.R., II, No. 893-8.

(٥) B.A.R., II, No. 860 ff.; Urk. IV, 1737 ff.

(٦) P.M., I, 30-31, No. 46

أمكن خلالهما الاستيلاء على قرابة مائة ثور برى يشار اليها كملكة ، بينما يرجع تاريخ الجعل الى السـنة الثانية ومن هنا دار النقاش حـول أن أمنوفيس الثالث لا يمكن أن يكون ابنا للملك توثموزيس الرابع ما دامت جثة الأخير التى عثر عليها كما سلفت الاشارة فى مقبرة أمنوفيس الثانى تبين أنها لشاب لا يعدو الثامنة والعشرين من عمره (١) ، وقد وجدنا الاجابة الكافية لمثل هذا الجدل وغـيره (٢) ، أما أكبر دليـل على أن امنوفيس الثالث هو ابن توثموزه الرابع فنجده فى المعبد الكـبير الذى بنـاه أمنوفيس فى الأقصر ، وحيث تنسب المناظر المنقوشة مولدا الهيا للحاكم ، وكما كانت الحال مع حاشبسوه فى الدير البحرى نرى موت ام ويا أم أمنوفيس تمثل زوجة للاله أمون الذى يقال انه « انتحل صـورة زوجها الملك من خبرورع » وهو اسم توثموزيس الرابع (٣) .

وأما صيد الملك نفسه لد ١٠٢ من الأسود المتوحشة فى خلال عشر سنوات فربما كان أكثر قبولا للتصديق من الصورة المرسومة على صندوق توت عنخ آمون (صفحة ٦٦) ، ولكن لعل من الأمور التى تثير اهتمامنا أكثر مع ذلك ذلك حفرة لبركة لهو للملكة تيى ، ويقدم الجعل الذى يسجل ذلك الأمر مساحتها ب ٣٧٠٠ ذراع × ٧٠٠ ذراع وهى أرقام ليست غير معقولة اذا وضعنا فى الاعتبار أن البركة المذكورة هى بركة حابو الواقعة الى جنوب معبد مدينة حابو الكبير فى طيبة والمتاخمة لشرق موقع قصر أمنوفيس مباشرة ، وأما أن هذه البحيرة تم حفرها فى خمسة عشر يوما فانه أمر يصعب تصديقه ، والقصر (٤) أو مجموعة القصور ، بالغ الأهمية بوصفه واحدا من المقار الملكية القليلة التى لا تزال باقية بعض أجزائها ، وكان مبنيا كله من اللبن ، شأنه فى ذلك شأن كل المبانى المصرية التى كانت تخصص للأحيـاء ، ومع ذلك فان الجـدران المغطاة بالجص كانت مزخرفة بلوحات منقوشة ملونة صورت بها طيور ونباتات مائية وما شابه ذلك (٥) ، وكانت توجد هنا كذلك صالة الاحتفالات التى أحيى فيهـا أمنوفيس أعياد « سد » الخاصة به أو يوبيلاته فى أعوام حكمه الثلاثين والرابع والثلاثين والسابع والثلاثين ، وأما طبيعـة الأعيـاد المذكورة

---

(١) راجع Vandier p.p. 383-4 بخصوص هذا الجدل .

(٢) Z.A.S. LXV, 98 ff.

(٣) A, Gayet, Le Temple de Louxor, Cairo, 1894 pl. 63 fig. 205.

(٤) J.N.E.S., X, 35 ff.

(٥) H. Frankfort. The Mural Painting, London 1929.

فلا تزال غامضة (١) وان كان من الواضح أنهـا كانت تحيى فى صورة ما تجديد القوة الملكية وكان يؤتى بصور لمختلف الألهـة الاقليمية الى العاصمة حيث كانت تقام الاحتفالات · ويقدم حجر رشـيد فى نصـه اليونانى اصطلاح « عيد العام الثـلاثين » والواقع أن الكثـيرين من الفراعين احتفلوا بأول عيد سد لهم فى العام الثلاثين ومع ذلك فهناك شذوذ لهذه القاعدة لا يمكن توضيحه ·

ونلتقى على الجعل المعروف ـ بغير حق ـ بجعل الزواج بأسماء تيى ووالديهـا وتتبعها الكلمـات ـ هى زوجة الملك المنتصر الذى تمتـد حدوده الى كاروى وحدوده الشمالية الى نهرين ·

وربمـا كانت كاروى (٢) تمتـد الى ما وراء نبته وكانت الحـد الجنوبى للاقليم الادارى لنائب الملك ، وأما فيمـا يتصـل بنهرين فان الادعاء بذلك ربما كان صادرا عن طموح أكثر منه عن حقيقة ، ومع ذلك فان علاقات الود بين امنوفيس وبين أمير ميتانى بلغت من الأهميـة حد اصداره جعلا آخر مؤرخا بالسنة العاشرة ليسجل :

معجزة ، جىء الى جلالته بابنـه سـورتارنا أمير نهرين ، كرخيبـا ونساء حريمها وعدتهم ٣١٧ امرأة ·

وقد القيت أضواء شديدة على العلاقات بين مصر وميتانى والبـلاد المجاورة خلال هذا الحكم والحكم التالى وذلك عن طريق كشف عجيب سنتناوله بالوصف ، ذلك انه فى عام ١٨٨٧ كانت احدى الفـلاحات تجمع السبخ من خرائب العمارنة وهى قرية تقع على مبعـدة ١٩٠ ميلا الى جنوب القـاهرة فعثرت على عـدد كبير من الألواح الطينية محفورة بحروف أسفينية الشكل ، ولم يكن شىء مثل ذلك قد عثر عليه من قبل فى مصر اطلاقا ومن بين هذه الأشياء الغريبة والتى بدت عديمة القيمة بيع البعض مقابل مبالغ تافهة كما كسر البعض وحطم وضـاع الكثير مما بقى ، وقد قدر أول أثريين وقعت بين أيديهم هذه القطع أنهـا مزيفة ولكن ادركوا حقيقتها بعد مناقشات طويلة ومقارنة بما هو موجود فى مختلف المتاحف·أدركوا حقيقتها وعرفوا أنها مراسلات بين أمنوفيس الثالث وخلفه

---

(١) الحقائق الرئيسية H. Bonnet, Reallexikon d. äg. Religionsgeschichte, Berlin, 1952, p.p. 158-60.

(٢) T. Säve Söderbergh, op. cit., Index under kari

وبين مختلف الحكام الآسيويين فى عصرهم ، كبارهم وصغارهم (١) ، وكانت الكتابة بالبابلية الاسفينية التى كانت تستخدم فى المعاملات الدبلوماسية اذ ذاك ، وفى هذه الألواح يظهر أسماء الأميرة وأبيها «جيلوخيبا» (٢) و «شوتارنا» (٣) ، بينما الفرعون الذى نعرف اسمه بالهيروغليفية ب «نب‌ماعرع» يطلق عليه «نيموريا» وهى تسمية قريبة من النطق الصحيح ، وأما الكاتب فهو توشراتا ، وهو ابن سوتارنا الذى اعتلى عرش ميتانى بعد قتل أخيه الأكبر (٤) . وينبئنا أحد خطابات توشراتا ان جده ارتاتاما كان قد زوج ابنة له من توثموزيس الرابع وان كان ذلك بعد أن طلبها عدة مرات (٥) ولسنا نسمع بعد ذلك عن جيش الوصيفات اللواتى جاء ذكرهن على الجعل من انهن صحبن «جيلوخيبا» ، الى مصر ولكن من الواضح أن الهدايا اللازمة من الجانبين كانت تقترن بمثل هذه الصفقات الزوجية المرغوب فيها كثيرا وعلى العموم فان العلاقات بين امنوفيس الثالث وتوشراتا كانت ودية ولكنها لم تكن بهذا القدر بينه وبين كادشمان انليل الأول ملك بابل لأن الأخير يشكو من عدم توفيقه فى معرفة آن كانت أخته ــ وهى سيدة أخرى أرسلها كزوجة الى مصر ــ لا تزال حية أم ماتت (٦) ، ولسنا نلتقى بخطابات فى ذلك العهد بين مصر وآشور التى كانت قد غدت من موالى ميتانى اذ ذاك ، كما أنه ليست هناك كذلك مراسلات مع الحيثيين وان التقينا بخطابات من امنوفيس الى أمير ارزاوا ــ وهى من أراضى الأناضول الداخلية ــ .. ومن وراء كل هذا النشاط المتصل بالرسائل نجد دافعين يقاومان فى وضوح هما تزايد الاعتداد الذاتى والرغبة فى الحصول على مقابل ثمين . فبابل مثلا كانت تبعث بالخيل المجهزة وباللازورد والمواد الأخرى الغالية ، بينما كانت الاسيا ــ وهى قبرص على الأغلب ــ تبادل النحاس بالذهب الذى كانت كل هذه البلاد تظن أن معين مصر منه لا ينضب ، أما الصراحة التى كانت تتم بها هذه العمليات التجارية فتدعو الى الدهشة ، فالحكام الآسيويون يعاملون « أخاهم » المصرى على

---

(١) انظر المراجع فى آخر الفصل

(٢) A.M. 17, 5. 41

(٣) A.M., 24, I, 47; 29, 18

(٤) A.M., 17, 11-20

(٥) A.M., 29, 16-18

(٦) Am. I, 10-14

قدم المساواة التامة ، ومع أن الخطابات لم تخل مطلقا من التحيات التقليدية التى تستلزمها المجاملة الا أنه تعوزها تماما المداراة فيما يتصل بالسؤال المغلف بالملق والمداهنة والذى ينقلب أحيانا الى اتهام بالبخل ، وعلى العموم فان الطابع الذى يخلفه كله كان على أية حال دبلوماسية تدرك المنافع المشتركة التى يمكن الحصول عليها من وراء تقارب وصداقة ثابتة ، ويختلف عن ذلك تماما ماتنبئنا به رسائل تل العمارنة عن العلاقات بالأقاليم الصغيرة فى سوريا الشمالية ، وسنرجىء الى ما بعد أمر الانشقاق العنيف الذى حدث هناك حتى تكتشف أسبابه من وراء السياسة التى جلبت الكوارث فى عهد خلف امنوفيس الثالث .

وكان فى البلاط المصرى رجل واحد (١) اعترف بمركزه وقدرته الهامة فى ذلك العصر بل انتهى الأمر فيما بعد الى تأليهه كما حدث بالنسبة للحكيم ايمحوتب (صفحة ٩١) ذلك هو امنحتبه بن حابو الذى ولد من أبوين قليلى الشأن فى الدلتا فى مدينة أتريب (بنها الحالية) ورغم أنه يعد من خيرة من مجد من خدم أمنوفيس الثالث الا أنه لم يصل الى وظيفة من وظائف الدولة العليا ، وتصوره التماثيل العديدة التى سمح عطف الملك أن تقام فى معابد أمون وموت فى الكرنك - ك « كاتب ملكى » جالس على الارض وبردية مفتوحة على ساقيه وكان لقبه الرئيسى « الكاتب العظيم للشباب » وهو اصطلاح يستخدم عادة لوصف الموظفين المنوط بهم البحث عن المتطوعين السليمى البدن للخدمة الحربية ، وللأغراض الأخرى ، واما النقوش المحفورة حول التماثيل الجالسة القرفصاء فليست قاطعة بصورة ما فيما تقدمه من بيانات ومع ذلك فلا تدع مجالا للشك فىمسئوليته عن نقل واقامة التمثالين العملاقين الجالسين اللذين يمثلان امنوفيس الثالث ولا يزالان يريان بالقرب من الطريق المؤدى للصحراء الغربية من النيل أمام الأقصر (٢) وقد قطعت أحجارهما من الجبل الأحمر فى شمال شرق القاهرة وهو مصدر الحجر الرملى البلورى ذى اللون الأحمر الرقيق الذى كان يستخدم فى ذلك العهد ، وليس ضئيلا أو تافها أمر نقل زوج من التماثيل بمثل هذه الضخامة - اذ يبلغ ارتفاع الواحد منها قرابة سبعين قدما - من هليوبوليس السفلى الى هليوبوليس مصر العليا ، ولا تزال مدفونة تحت الأرض الزراعية بقايا المعبد الجنزى الضخم الذى كان يقوم التمثالان عند

---

(١) انظر المراجع آخر الفصل - وكذا النص الأصلى فى B.A.R., II, No. 911-20

(٢) احدهما ممنون الصوتى المذكور من قبل فى صفحة ٢٥ وانظر كذلك لوحة ١٢ .

واجهته ، ومن أجل هذا العمل وغيره من المآثر الباهرة كافأ الملك سـميه بمعبد ضخم يلى معبده مباشرة الى الغرب (١) ومنذ ذلك الوقت حتى العصر اليـونانى الرومانى لم تذو عبـادة أو ذكرى امنحتبه بن حابو ـ ولقد كان فى الثمانين من عمره ـ كما يذكر لنا قبل موته ـ وكان يقوم بدور بارز فى الاستعدادات بعيد سد الأول لأمنوفيس الثالث ، ونحن نشك كثيرا فى أنه صاحب الحكم التى نسبت اليه فيما بعد لأن البقايا القليلة منها تشير الى أنها من أصل يونانى ·

كان النصف الأول من حكم أمنوفيس الثالث الطويل عصر تقدم لم تستمتع طيبة بمثله من قبل وكانت أعلى منتجات النوبة أو آسـيا تفيض على المدينة الجنوبية فى سيل لا ينقطع جريانه ، ويبـدو أن كريت بل ميسينى أسهمتا فى ذلك الأمر كذلك ، ونحن نعرف الكثيرين من علية القوم من هذا العهد عن طريق المقابر الجميلة والتماثيل التى صنعت لأصحابها أو أختام الجرار التى كانت تحوى الطعام والجعة والنبيذ التى كانوا يقدمونها للقصر الملكى (٢) ، وحتى لو دار بخلدنا أن كبرياء فرعون كان يدفعه الى التفكير أولا فى تفخيم معبده الجنزى والقصر المجاور فان هذا لم يمنعه من أن يلبى مطالب المعابد فى عاصمته الجنوبية · وتروى النقوش المطولة (٣) ما أسداه لمعبـدى الكرنك والأقصر ، وهنـاك نص تكريس يقدم كذلك بيانات مفصلة عن الذهب والأحجار شـبه الكريمة التى خصصها لتزينهما (٤) ، ولسنا بحاجة الى القول بأن الأرقام التى تشير الى ذلك لا يمكن تصديقها تباعا ، ولابد أن ثروة معبد أمون رع كانت طائلة جدا ، وكان كاهنه الأكبر بتاح موزة أول من استطاع أن يضيف الى سـلطانه الكهنوتى ذلك السـلطان الذى يصحب مرتبة الوزير (٥) ·

ولم يكن نبلاء طيبة يستطيعون أن يتكهنوا بالعاصفة التى قدر لها أن تزعج أمنهم وتسلط عناصر الدمار على أعز مثلهم وعقائدهم ·

---

(١) P.M., II, 160

(٢) انظر مقاله Hayes المشار اليها فى آخر الفصل

(٣) B.A.R., II, No. 878-92; 899-903; the teets; Urk. IV, 1646 ff; 1722 ff.

(٤) Urk. IV, 1668

(٥) G. Lefebvre; Grands Prêtres; p.p. 99 ff; Z.A.S. LXXII, 62-63
وكذلك ZAS, LXXII, 62-63.

مراجع مختارة

مقابر وتوابيت العصر :

W. C. Hayes, Royal Sarcophagi of the XVIII Dynasty, **Princeton,** 1935

الجدل حول حاتشبسوت :

K. Scthe, Das Hatschepsut — Problem in Abh. **Berlin,** 1932

W. F. Edgerton, The Thutmosid Succession. **Chicago,** 1933

Hayes, op. cit. p. 3, no. 14

Vandier, pp. 381-3

سيرة سننموت :

Winlock, Excavations, pp. 145-53

حوليات توتموزس الثالث :

أحدث الترجمات **ANET,** pp. 234 ff.

مناقشات **H. H. NELSON,** The Battle of Megiddo, **Chicago** 1913

R. O. Faulkner, in J.E.A. XXVIII. 2 ff.

H. Grapow, Studien zu den Annalen Thutmosis des Dritten, in Abh. **Berlin,** 1949

أسماء الأماكن الفلسطينية :

J. Simons, Handbook for the Study of Egyptian Topographical Lists, **Leyden,** 1937

M. Noth, Der Aufbau der Palästinaliste Thutmoses III in **ZDPV** LXI (1938), 26-65

قبور كبار الطيبيين المعاصرين لتوتموزس الثالث :

N. de G. Davies, The Tomb of Rekh-mi-re at Thebes, 2 vols., **New York** 1943

Nina is Norman de G. Davies, The Tombs of Menkheperrasone b, & c. **London,** 1933

الحملات الآسيوية لامنوفيس الثاني :

Urk. IV. 1299 ff.

E. Edel, Die Stelen Amenophis II aus Karnak und Memphis in **ZDPV** LXIX (1953) 98-176

The Apiru people : ibid., p. 170

R. Borger, ZDPV LXXIV (1958), 121-3 **and** T. Sâve-Söderbergh وكذا in Orientalia Suecana, 1, 1 ff.

امنوفيس الثالث

W. C. Hayes ; Inscriptions from the Palace of Amenophis III. in **JNES** X (1951) 35-40 ; 82-104 ; 156-83 ; 231-42

رسائل العمارنة

S. A. B. Mercer, The Tell el-Amarna Tablets, 2 vols. **Toronto**, 1939

معتمدا على :

J. A. Knudtzon & O. Weber, Die El-Amarna Tafeln, 3 vols. **Leipzig**, 1915

امنحتبة بن حابو :

W. Helck, Der Einfluss der Militärführer in der 18. ägyptischen Dynastie, **Leipzig**, 1939, pp. 2-13.

C. Robichon and A. Varille, Le temple du scribe royal Amenhotep, I, **Cairo**, 1936.

٩ الثورة الدينية وما بعدها

يبدو ان السنوات الاخيرة من عهد امنوفيس الثالث كانت تتبع مجرى طبيعيا من بعض النواحى ، ذلك أنه كان محوطا بكل ما تستطيع الثروة أن تمنحه اياه ، فظل يقيم فى قصره الفاخر على الضفة الغربية من طيبة ويتابع اتصالاته بالملوك الآسيويين ورؤساء فلسطين الأقل شأنا ، وليس من شك فى أن الملكة تيى كانت تمارس نفوذا قويا على تصرفاته وكان يظهر عطفا خاصا على واحدة من بناتها هى ستامون التى يبدو انها منحت امنحتبه بن حابو — وكيل أعمالها — دارا خاصة بها فى منطقة القصر (١) • وما دامت ستامون هذه تضيف الى لقبها « ابنة الملك » لقب «زوجة الملك العظمى» بل ان هناك كرة من القاشانى يظهر بها خرطوش تيى وخرطوشها متقابلين وكل من الخرطوشين مسبوق بهذا اللقب مما جعل كثيرا من الباحثين يرون أن الملك المسن تزوج من ابنته (٢) • ونحن نرى أنه من الصعب معارضة هذا الرأى ولو اننا لا نرحب به ، وعلى أية حال فان هذا لم يكن ليتعارض وحريمه الكبير الذى كان به من قبل أخت ملك بابل والذى كان قد بعث فى طلب ابنته كذلك(٣) ، وأما عن جيلوخيبا فلسنا نعود نسمع عنها سوى تحياته من أخيها توشراتا (٤) ، وهناك خطابات أخرى عديدة تتناول على أية حال مفاوضات عن زواج الملك المصرى ب «تادوخيبا» ابنة الملك الميتانى نفسه(٥)، ونرى انتوشراتا يصر فى هذه الحالة على أن تصبح زوجة لامنوفيس و «سيدة مصر» وأرسل معها — لاقناعه بهذا الامر — أنواعا فاخرة من الهدايا احصيت فىتفصيلات كثيرة(٦) • وقد تأخر وصول العروس كثيرا ولكن توشراتا كان فى ذات

(١) J.N.E.S., X, 35-36

(٢) P.S.B.A., XXIV, 246; Ann. Serv. XL, 651-7; XLV, 123-4.

(٣) A.M., I, 11-14

(٤) A.M., 17, 5-6; 19, 6

(٥) A.M., 20, 8-12

(٦) A.M., 22

الوقت يفخر بأن يعلن نفسه سلفا صهر (١) فرعون ، وربما لم تتم هذه الزيجة اطلاقا لأن امنوفيس الثالث كان اذ ذاك قد تقدم به العمر وتملكه المرض وسلك توشراتا في سبيل تحقيق أمل شفائه خطة لها نظائر سابقة في مصر اذ أرسل الى طيبة تمثال « عشتار نينوى » راجيا أن تنال من المعاملة الكريمة مثل ماحدث في فرصة سابقة على أن تعاد بعد ذلك سالمة الى بلادها (٢) . ويؤرخ خطاب العمارنة الذى يسجل هذا الأمر بالعام السادس والثلاثين ، ونحن نعرف من مصادر أخرى أن امنوفيس الثالث ظل حيا حتى أكمل عامه السابع والثلاثين ، ان لم يكن قد أتم عامه الثامن والثلاثين على العرش (٣) . ومع ذلك فقد كانت هذه هي النهاية ،ونلتقى بالخطاب التالى من توشراتا موجهـا الى الأرملة تيي المطلقة النفـوذ مذكرا اياها بالعلاقات الطيبة التى كانت وطيدة بينه وبين زوجها المتوفى ومعربا عن أمله في أن تصبح علاقاته بابنها عشرة أمثال هذه العلاقات القلبية (٤) وقد حفر قبر من الطراز العادى لأمنوفيس الثالث في الفرع الغربى من ببيان الملوك (٥) . وهناك أكثر من سبب يدعونا الى تأكيد أنه دفن هناك، وعلى أية حال فانه لم يقـدر لضريحه أن يظل مرقـده الأبدى ما دامت مومياؤه ــ التى تظهر بها آثار واضحة لما قاساه من ألم في الأسـنان ــ قد وجدها لوريه في مقبرة أمنوفيس الثـانى الذى نقلها اليها الكاهن الأكبر لأمون « بى نوجم » بعد ثلاثة قرون ونصف القرن (٦) .

وتعد خطابات توشراتا من غير شـك خير مرجع لدينا عن مرحلة الانتقال الى حكم امنوفيس الرابع ويستدل بوضوح من هذه الخطابات الموجهة الى الملكة تيي أن الملك الجديد لم يعتل العرش الا بعد وفاة أبيه ، ونرى الأمر نفسه يؤكد في وضوح أكثر في خطاب الى الملك الصغير من الحاكم الحيثى العظيم سوبيللوليوماس (٧) ، ومن ثم فان الاشتراك في الحكم الذى طالما أشير اليه ليس الا وهما ، وهناك ملخص بالهيراطيقية لما يحتمل أن يكون أول خطاب (٨) موجه الى نبخوريا من توشراتا ، ونبخوريا

(١) A.M., 20, 1-3; 21, 1-6

(٢) A.M., 23

(٣) انظر صفحة ٢٢٩ .

(٤) A.M., 26

(٥) Hayes, R.S., pp. 27-30.

(٦) Bull. Inst. Eg. 1898, 109, 111; Elliot Smith, R.M., 46-51

(٧) A.M., 41 ومن العجيب أن هذا الخطاب يلقب الملك ب « خوريا »

(٨) A.M., 27

هو التعبير بالمسمارية عن اسم امنوفيس الرابع « نفر خبرورع » يرجع الى الســـنة الثانية ويقرر أن البلاط كان لا يزال فى العاصمة فى طيبة الغربية ، ونعلم كذلك أن واجبات تادوخيبا الزوجية قد انتقلت من الأب الى الابن (١) ، وقد وضع موضع الافتراض أحيانا أن هذه الأميرة الميتانية ليست سوى الجميلة نفرتيتى التى عرفها العالم الحديث من وراء نموذج رأسها الملون الرائع المحفوظ فى متحف برلين (٢) · ولكن مما يقف عقبة دون تقبل هذه النظرية على أية حال هو أنه من المعروف انه كانت هناك أخت لـ «نفرتيتى» بمصر(٣) وان تى زوجة الضابط المتقدم فى السن «آى» والذى أصبح ملكا فيما بعد ، تزعم انها كانت مربية لها (٤) ·

ومن الواضح أن ابنا فى مثل مظهر امنوفيس الرابع من الصعب أن يكون مولودا عن أبوين طبيعيين تماما ، ورغم ان تماثيله الأولى لاتكشف عن سحنة أو صـــورة تختلف عن نظائرها من أمراء مصر الســابقين الا أن تصويره بعد سنين قلائل (انظر لوحة ١٤) فى صور واضحة البشاعة صادقة بصفة عامة بما لا يدع مجالا للشك · فالرأس المستطيل ينحدر الى الأمام فوق رقبة طويلة رفيعة ، والوجه ضيق وبه أنف بارز والشفتان غليظتان والذقن مستديرة ناتئة ، أما من ناحية الجسد فالصدر غائر والمعدة منتفخة والافخاذ ضخمة وبطن الساق رفيعة ·· وكل ذلك يتنافى ومظاهر الرجولة الحقة ، وانا لنرى اخناتون ــ كما فضل فيما بعد ان يطلق عليه ــ فى المنحوتات المنقوشة يظهر غالبا وهو يتدلى فى تخنث من فوق كرسى ذى وســـائد ومع ذلك فان التمثال الضخم الواقف فى بهو الأعمدة فى الكرنك يحمل صورة العزيمة المتعصـــبة التى أبان عنها تاريخه اللاحق المشئوم · ومن أجل ان نقدر فى عدالة الثورة الدينية التى اســـتحدثها نرى انه من الواجب أن نلخص ، ولو من جانب واحـد مؤقتا ، المظـاهر الرئيسية للعبارة التقليدية التى اســـتبدلها لفترة بتوحيد واضـح من ابتكاره هو وحده ·

كان الدين المصرى ــ كما ظل طوال ألف وخمســـائة عام ــ ثمرة تداخل عدد كبير من العبادات القبلية الأصيلة وكان لكل مدينة معبودها الخاص الذى كان يظهر أحيانا على صورة رمز مقدس (فتيش) مادى ولكن

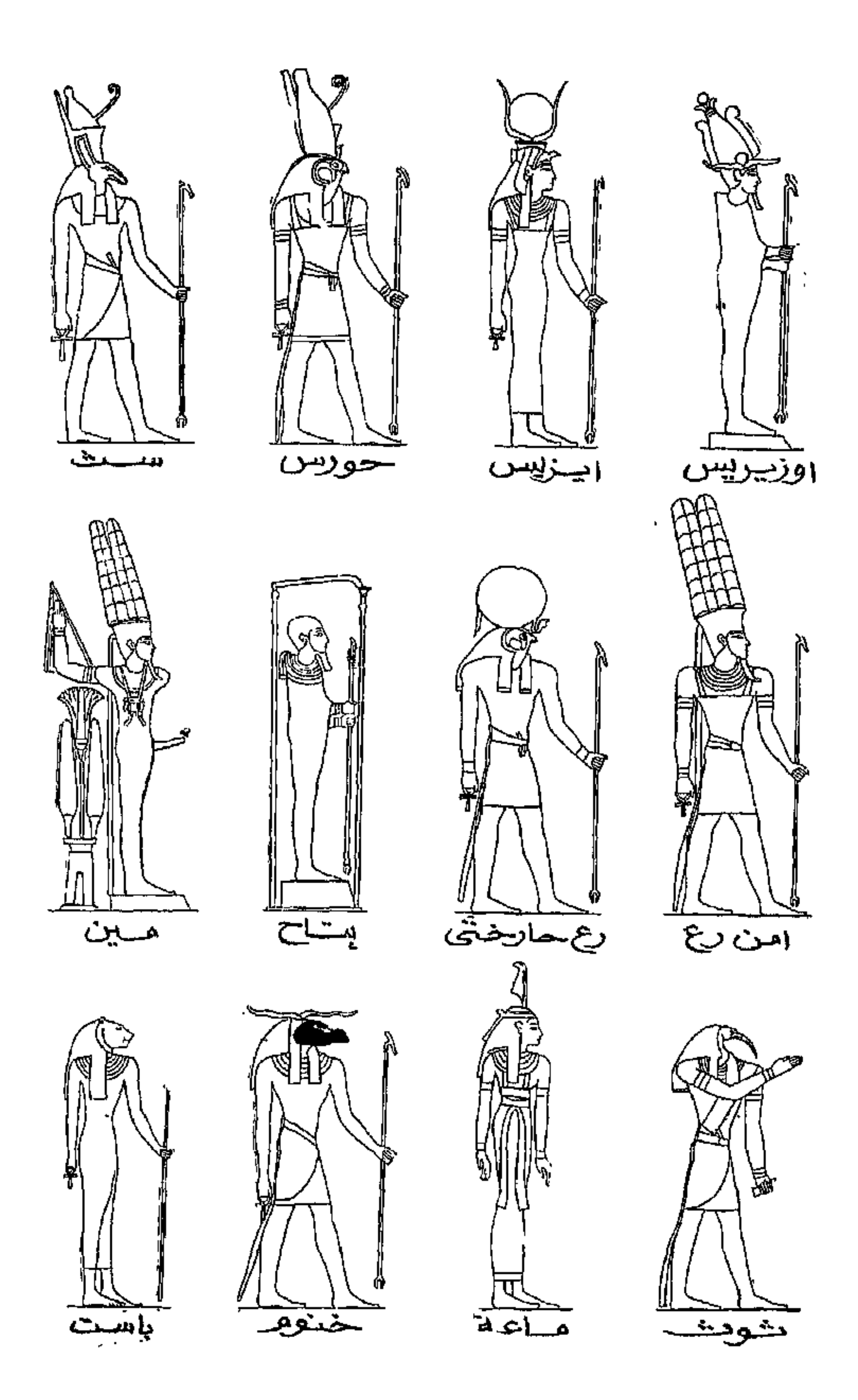
---

(١) A.M., 28, 8; 29, 3

(٢) لمناقشة ذلك الأمر راجع Vandier, 384

(٣) Benremût, Davies, A.M., VI, Index, p. 39

(٤) J.N.E.S., XIV, 170-1.



شكل (١٠) - بعض المعبودات المصرية الرئيسية

فى أغلب الأحيان فى صورة حيوانية . وهكذا كانت الالهة القطة باست فى بوباستس والالهة الصل ادجو فى بوتو (كوم الفراعين الحالية) والايبس ثوث فى هرموبوليس ماجنا (خمون فى المصرية) أو وب واوه (اوفويس) الاله ابن آوى فى ليكوبوليس .(ساوتى بالمصرية وهى أسيوط الحالية) وحين تجمع الآلهة معا زودت هذه المعبودات الحيوانية بأجساد وأعضاء الآدميين العاديين ونسبت اليهم بعض الصفات وألوان النشاط الآدمية ، وقد مهدت طبيعتهـــا المزدوجة الناجمة عن ذلك الطريق الى اتجاهين متضادين فمن ناحية كان الحفاظ الغريزى على التقاليد المصرية تقوى منه الرابطة الوطنية القوية المحلية مما حال دون الغاء الفروق الفردية فبقيت رءوس الحيوانات ولم يتوقف النظام العـــام للتعدد ، ومن ناحية أخرى كان هنـــاك حافز قوى نحو التفرد والتوحيد فلم يعلن اله المدينة بوصـــفه الوحيد القوى فحسب بل ضـــغط على مطابقته لآلهة مدن معينة أخرى بالعــــديد من الوســـائل المختلفة وهكذا فان سوبدو من المقاطعة الغربية وحمن من اسفينس وعانتى من انتيوبوليس كانوا جميعـــا صورا من حورس لأنهـــم شاركوه فى نفس صورة الباشق ، وأحيانا كان الاسم هو المظهر العام بينما يختلف التجسيد فهناك مثلا البقرة الالهة حتحور فى دندرة لم تكن فى الواقع سوى حتحور التى تقوم عبادتها بالقرب من منف فى شجرة الجميز ، وكان تغير الصور الذى يبدو مع بعض المعبودات عجيبا فمثلا ثوث كان يرمز له بالطائر أبيس أو رأس أبيس على جسد آدمى ، ولكنه كان من الممكن أن يكون كذلك قردا أو ان يبرز نفسه كقمر ، وربما كنا نتوقع من طبقة المعبودات التى تتجسد مختلف قوى الطبيعة ان تظـــل بمنأى عن مثل امكانية التحول هذه ، ولكنها لم تبق كذلك فاله الأرض جب اتخذ صورة الكبش خنوم فى هسيليس ، وشو ، التجسيد الذكر للفراغ الذى باعد ما بين الســـماء والأرض ، كان فى ثنيس الاله المحارب أونوريس ، ومن بين القـــوى العظمى التى باشرت نفوذها على الحيـــاة الأرضية كانت الشمس وهى التى ظهرت على وجه التأكيد أكثرها دواما واستقرارا كما كانت أقلها حاجة لصـــور متغيرة ، ومع ذلك فان القوم كانوا يتخيلونها حرختى (حورس الأفق) برأس الباشـــق أو هى ملك آدمى يحمل لقب آتوم ، أو ربمـــا هى جعـــل يدحرج كرة الروث أمامه (خوبرى) ولم يكن هذا كل شىء بل انهم أدركوا أن أهمية الاله المحلى قد ترتفع اذا اردفت اليه كلمة رع – أكثر القاب اله الشمس شـــيوعا – كنعت له ، ومن هنا نلتقى بالاله التمساح سوبك فى أناشيده يلقب :

« سوبك رع » ، وفوق هذا كله كان أمون العظيم فى طيبة منذ الدولة الوسطى يذكر فى كل مكان كأنما هو أمون رع ·

ولقد كان للتزايد المحير لمجاميع الآلهة ـ كما احكم تدبيره كهنتهم الاقوياء ـ رد فعل ، ذلك ان الحاجة كانت ماسة من أجل الحديث اليومى وبسبب الميل للوحدانية الى كلمة لـ « الشـمس » ليس لهـــا ارتبـاطات دينية أو انسانية ـ آلهية أو النزول بهذه على الأقل الى أدنى مســتوى ممكن ، ومن هنا كانت كلمة اتن   التى تعنى بها عادة « أتون » أو قرص الشمس ، وانه من الصعب غالبا ان نحدد متى كان له ، أو لم يكن له ، ارتباط دينى من نوع ما ، فهناك مثلا قصة سنوهى (صفحة ١٤٩) تتحدث عن موت أمنمس الأول فتقول :

صعد عاليا الى السماء وأصبح متحدا بالقرص ، واندمجت أعضاء الاله بمن صنعه ·

وانه لمن العبث ان نناقش ان كانت كلمة « اتن » تشير الى المعبود أم لا ، كما أن هناك العبارة المبهمة كذلك « سيد كل ما يحيطه القرص » وهى نعت يســتخدم غالبا (وبطريقـــة بالغة الغرابة) لـ « أتون الحى » الذى كان موضع عبادة اخناتون ، والكلمة التى تترجم هنا الى « قرص » تشير بوضـــوح الى الجسم النورانى المرئى ، ويشـير الفحص الدقيق للنصـوص من عهد أمنوفيس الثالث (١) الى استخدام أوســع نطاقا للاصطلاح أكثر من ذى قبل وانه لمن العدالة ان نرى فى هذا الأمر توقعا للمذهب الذى سينتحل عن قريب هذا المظهر العام ، وهناك اشـــارة صغيرة للدلالة على ذلك فى لقب « أتون يشع » الذى اطلق على القارب الذى كانت الملكة « تيى » تتريض فيه فوق البحـيرة التى حفرت تكريما لها (صفحة ٢٢٩) وهناك مقبرة فى طيبة (رقم ٤٦) ، لم تنشر بعد ، ترجع من غير شك الى عهد امنوفيس الثالث ويحمل صاحبها لقب « الوكيل فى قصر اتن » وانه لمن الصعب أن نترجم هذا بغير أن يكنى عن أن أتون كان يتلقى بالفعل عبادة فى طيبة ، وهناك دليل من نوع آخر وجد باللوحة المشـــهورة من العهد نفسه ، التى تسجل أنشودة طويلة لاله الشمس أنشأها المعماران التوأمان ســوتى وحور (٢) ويخاطب الاله هنا كـ «أمون»

(١) Z.A.S., LIX, 109 ff.

(٢) Bull. Inst. fr., XLI, 25 ff.

وك « حرختي » ويشبه التعبير كثيرا النشيد المشهور لاخناتون مما لا يدع أمامنا من مجال سوى القول بأن الثورة كانت على الأبواب » ·

ومع ذلك فان الأمر تطلب تجارب مبدئية حتى يستطيع المذهب الهرطقى أن يأخذ شكله النهائي وحتى يمكن للنتائج العملية من أن تجعل الجميع يستشعرونها · وكان امنوفيس الرابع لايزال يستخدم فى اسمه حتى السنة الخامسة (١) الكلمات المميزة « أمن حتبو » (امنحتبه) التى كان قد ورثها من ثلاثة من أسلافه ، وأما اللقب الكامل الذى يضمن فى نهايته اضافة مميزة كذلك فكان يعنى « أموض راض » ، «الحاكم الاله لطيبة» وهو يرى تحت هذا اللقب وهو يتعبد الى أمون رع فى محجر الحجر الرملى فى جبل سلسلة (٢) · وأما السبب فهو أن الكتابة أسفل ذلك تتناول المبانى التى ستقام فى فناء معبد الكرنك حيث عثر فى الواقع على قطع كثيرة من معبد لاخناتون نالها التدمير فى قسوة ، ومن عجب ان الملك الشاب يصف نفسه فى النص المذكور بأنه « الكاهن الأول لرع حرختى المتهلل فى الأفق فى اسمه ضوء الشمس (شو ، بالمصرية) الذى هو اتن » والتسمية المحكمة هنا لاله الشمس هى تلك التى أصبحت فيما بعد أول رواية للقب اتن وان وزعت هناك بين خرطوشين كى تؤكد الحالة (٣) الجديدة الملكية للمعبود · وأما الى أى مدى اعتمد هذا العمل المبكر على العبادة القديمة ل هليوبوليس فانه لا يرى من تكريسه لرع حرختى فحسب بل كذلك فى ذكره ل « مسلته الكبرى فى الكرنك » ذلك لأن القطعة المفردة القوية التأثير التى تعرف باسم « بنبن » أو « مسلة » (صفحة ١٠٢) كانت من مميزات المكان ، ومن أجل ذلك أيضا نلتقى فى العام السادس عشر (٤) من حكمه بالكاهن الأكبر لأتون واسمه مرى رع وهو لايزال يحمل اللقب الهليوبوليتانى المجد من قديم « كبير الرائين » وأما الصعوبة فى الافلات كلية من التراث القديم فكامنة فى استمرار الضغط على الاحساس بها مهما اشتدت الرغبة فى تقبلها نظريا ·

كان لابد للعقيدة الجديدة فى اله الشمس ، التى بدت نذرها فى لقب رع حرختى الطويل من ان تظهر نتائجها المرئية على الفور وهى النتائج

(١) Gauthier, L.R. II, 343-5

(٢) P.M., V, 220

(٣) J.E.A. IX, 168 ff.

(٤) Petrie, Tell El Amarna, pl. 22, 3

التى استهدفت القضاء على أعز أحاسيس الكهانة ، وكان من الممكن أن التغيرات الأساسية التى توشك ان تحول المظهر الكلى للفن المصرى تمر غير ملحوظة من الناحية العملية لفترة قصيرة ٠ كان رع حرختى لايزال يأخذ الصورة الانسانية ولكن برأس الباشق يعلوها قرص الشمس ، وكان الملك الصغير لايزال قانعا بأن يصور فى الهيئة التقليدية الجامدة (١) ولكن هذا التوافق مع التقاليد لم يقدر له أن يدوم وذلك لأن الثائر الملكى كانت له الأهداف الشخصية الجمالية والدينية وسرعان ما فرض طرازا جديدا على فنانى البلاط ، فقرص الشمس المجنح لحوريس البحديتى الذى كان يشرف حتى هذه المرحلة فى صرامة على المناظر والنقوش ، اختفى الآن وحلت محله الشمس الذهبية تبعث بأشعتها المنعشة على الملك والملكة فوق موائد قرابين يقومان بأداء الخدمة الدينية امامها كما تبعث باشعتها على صور المعبد والقصر ، وكان من المستحيل صرف النظر تماما عن كل ارتباط للمعبود بالانسان ٠ فالأشعة كان يجب أن تظهر منتهية بأيد تمسك ☥ 𓋾 رمزى «الحياة» و «السلطان» أو القوة ، وأما الطبيعة الملكية للجسم النورانى المرئى فمثلت عن طريق الصل أو الكوبرا التى تتدلى من دائرة مضيئة كما كانت حالها دائما من قبل حين كانت تزين جبهة فرعون ولسنا نستطيع ان نلتقى فى أى مكان آخر بالتباين بين الطرائق القديمة والحديثة ممثلا خيرا مما نجده فى مقبرة الوزير رعموزه فى طيبة حين نجد هنا نقوشا منحوتة بالغة الجمال تزين الجانب الأكبر من الجدران ترجع بجلاء الى عهد امنوفيس الرابع الذى يصور فى الهيئة التقليدية القديمة (٢) ثم يحدث التغيير فجأة — فعلى الجانب المقابل للباب نرى الملك نفسه ومعه زوجه نفرتيتى يرسمان فى الطراز الجديد وهما يتكئان من فوق شرفة تحت أشعة أتون ويمنحان عقودا من الذهب لكبير قضاتهما (٣) ، وفى المنظر موظفو الحريم الملكى ومختلف الخدم يقفون فى الخدمة ، ويلاحظ ان مظهر هؤلاء الأشخاص جميعا يختلف عما نشهده فى بقية المقبرة كما نستطيع أن نتخيل ، ومن الواضح أن هناك حيوية مبالغا فيها واهتماما عاطفيا يستطاع مطالعته ؛ وهناك شجاعة فى رسم الخطوط لاظهار الظهور الأكثر انحناء مما يضغط على زيادة الاحترام الواجب للملك ، ومن الصعب أن يخدع المرء فى

(١) Z.A.S., LII, 73, fig. I.

(٢) Davies, Ramose, pl. 29

(٣) Op. cit., pl. 33

الطابع الذى خلفته المميزات الجسدية الخاصـــة لاخناتون من ناحيـــة تقليدها في صور رعاياه وهناك منظر رائع مرسوم يمثل الاتباع الأجانب لم يكن قد عمل فيه بعد ازميل النحات ٠٠ وبعد هذا نجد فراغا فالمقبرة لم تستكمل كما لانعرف شيئا عن تاريخ رعموزة التالى لهذه المرحلة ، وقد صحب اختفاؤه فى الوقت نفسه اختفاء كبار رجال الدولة الآخرين من عصره ، وقد بذلت الجهود لكسر حـــدة الصـــمت الذى يخيم فوق السنوات التالية وذلك عن طريق مايستطاع استنتاجه من الألقاب التى وجدت على تماثيلهم أو من النقوش والكتابات ولكن النتائج كانت نظرية الى أبعد الحدود وكل مانستطيع ان نضع يدنا عليه ونحن مطمئنون هو العبادة الثورية وتعبيرها الفنى ويدخل فى نطاق الأخير التماثيل العملاقة العجيبة التى سلفت الاشـــارة اليها التى اقحمت على الكرنك فلم تلبث ان أثارت غضب الكهانة الطيبية وكراهيتهم وحقدهم على اخناتون وكل ما اوحى به من أعمال عامة ٠

ثم يرتفع الستار بعد ذلك بعيدا عن طيبة وذلك فى السنة السادسة من حكم اخناتون ، وكانت العمارنة ــ وهى التى ورد ذكرهـــا فيما يتصل بالألواح الأسفينية التى عثر عليها هناك ــ هى المركز الذى اختير لتجديد ثورى قام به الحاكم العنيد ، البالغ الشجاعة مع ذلك ، وفى منتصـــف الطريق بين القاهرة والأقصر تتراجع الجبال الشرقية مخلفـــة سهلا على شكل الهلال طوله ثمانية أميال وعرضه ثلاثة ٠٠ وكان هذا مكانا يتسع لمدينة كبيرة بينما كانت هناك على الضفة اليسرى وراء النيل مســـاحة أوسع تفسح مجالا للزراعة التى تحس جماعة كبيرة من السكان حاجتها اليها ٠ وكان الاسم الذى اختاره اخناتون لمدينته هو اختاتون أى « افق أتون » والاسم الحديث الشائع اليوم هو « تل العمارنة » ويربط خطأ بين قرية التل الحالية فى الشمال بقرية قبيلة بنى عمران التى تقطن تلك الناحية ، ولكن لعل الجميع يتقبلون اليوم التســـمية الأكثر دقة وهى « العمارنة » وقد أجرى فلندرز بيترى حفائر فى أول الأمر هناك فى عام ١٨٩١ ظلت مستمرة لم يقطعها الا قيام الحرب العالمية الأولى وتابعتها من بعد انتهائها الى عام ١٩٣٧ بعثة ألمانية فى أول الأمر ثم تلاهم جماعة من الأثريين البريطانيين (١) ، وقد كشفت عن عدد كبير من المبانى من اللبن ــ أو بالأحرى بتخطيط أرضى لها ــ وأما المبـــانى الحجرية فلم يبق منهـــا سوى القليل ٠ ومع ذلك فقد عثر على كمية ضخمة من الآثار القيمة ولعل

(١) P.M., IV, 192 ff.

أكثرها أهمية واثارة للهفة هى الألواح الاسفينية التى كانت مخزونة فيما تشير اليه قوالب الطوب التى استخدمت بأنه « قصر رسائل فرعون » (١) وكذا التمثال بالشكل الطبيعى الذى كشف عنه فى محترف (اتلييه) المثال الأول « دحوتموزه » (٢) وأنه لمن المستحيل هنا أن نحصى حتى ولو جزءا من المنشآت العظيمة التى أمكن التعرف اليها من قصـــور ومعابد ودور للموظفين وقرية للعمال وأنصاب صحراوية للقرابين أقيمت تمجيدا لأتون ، ولكى نعطى فكرة عن ضخامة بعض هــذه المبانى فأننا نذكر أن المعبد الكبير لأتون كان يبلغ طوله قرابة ٢٠٠ ياردة .

ومع ذلك فهناك دلائل كثيرة تشير الى السرعة التى كانت تتم بها اقامة هذه المبانى فعملية الأنشاء فى كل مكان تشير الى اصطناع ابرازها خير مما هى فى واقع الأمر ، وان اخفيت حقيقتها بالجمال الذى تضفيه الصـــور الطبيعية الرائعة للطيــور والنباتات التى رسمت ملونة فوق الجدران والأرضيات من الحصى ، وربما كان من أكثر الأشـــياء أهمية لتزويدنا بمعلومات عن سير الحياة هنا هو النقوش التى نحتت فى مقابر الموظفين التى حفرت فى جوانب التلال الشرقية والسجل الوحيــد لها من عمل ــ « ديفيس » . وهى فى كل مكان قد نالها من التهشـــيم قديما وحديثا مايدعو الى الأسى ، وأخيرا فاننا يجب أن نشير الى مقبرة الأسرة التى أمر اخناتون أن تجهز على مبعدة أربعة أميال فى الصحراء الشرقية(٣) وقد دفنت بها ابنته الثانية ، ماكت اتون التى ماتت فى سن مبكرة . ومن الواضـــح أن والديها أو أية واحـــدة من أخواتها لم يتم دفنهن هناك وأما الآراء المتصلة بمصير اخناتون فسنتناولها فيما بعد .

وقد أشار اخناتون نفسه الى أصل تأسيس الموقع على لوحات حدود كبيرة عددها أربع عشرة على الأقل ، محيت نقوش العديد منها ، منحوتـة على جوانب التلال الشرقية والغربية للنهر (٤) . وهناك نسـختان من النص أحدهمـا طويل والآخر قصــير ، والنص القصير محفــوظ خير من الآخر ، وقد جاء به أنه فى اليوم الثالث عشر من الشهر الثامن من السنة السادسة أعتلى الملك عربة مذهبة وأبحر شمالا من الخيمة المزينة التى

(١) Petrie, op. cit., M. 42; P.S.B.A. XXIII, 219

(٢) P.M., IV, 202-3

(٣) P.M., IV, 235-6

(٤) Op. cit., IV, 230-2

كان قد قضى الليل بها ، وذلك بقصد تثبيت حدود مدينة أخت أتون التى كان قد تم تصميمها ، وبعد تقديم الأضاحى الى الاله توجه جنوبا الى بقعة كانت أشعة الشمس التى تضىء من فوقه تحدد المكان الذى يجب أن تكون عنده أقصى حدوده الجنوبية ، وهنا أقسم بأبيه أتون وبأمله فى أن تصل الملكة وابنتاهما الكبريان الى العمر الطويل بأنه لن يتخطى هذا الحد كما أقسم ألا يتخطى حدين آخرين الى الشرق وثلاثة أخرى الى الغرب . وأما كل الأرض داخل هذه الرقعة فهى لأتون وأنه سيصلح من كل تلف أو تهشيم يحل باللوحات التى تحددها وأقسم على أن يعيدها الى حالتها الجيدة ، وأخيرا يرد ذكر لتجديد القسم فى العام الثامن ، ولابد أن النص الأطول على بعض لوحات الحدود الأخرى يرجع الى التاريخ نفسه مادامت تتناول فى دقة الوقائع نفسها مع اضافة كثير من التفصيلات الهامة ومع ذلك فمن سوء الحظ أن فقرات كثيرة قد ضاعت ضياعا لا يستطاع تعويضه ، وقد جاء بها بعد الاشارة الى أول مسح للمنطقة والى التضحية الكبرى التى تبعت ذلك أن اخناتون استدعى رجال بلاطه وقواده العسكريين وشرح لهم رغبة أتون فى أن أخت أتون يجب أن تبنى ، وتابع قوله بأنه لم يكن هناك من يعرف الموقع سوى أتون نفسه ، ومن ثم فأنه له ، وله وحده . وفى نهاية الأمر يجيب رجال البلاط ويؤكدون للملك ان كل البلاد ستأتى حاملة هداياها فوق ظهورها لتقدمها الى أتون. وبعد مديح كثير للاله يردد قسم اخناتون الذى يتضمن أنه لن يمد حدود المدينة ولن يسمح لزوجته أن تغريه بذلك ، ثم هو يحصى بعد ذلك عدد المعابد التى سيقوم ببنائها فى أخت أتون وينتهى بالاشارة الى قبر الأسرة السالف الذكر ذاكرا انه سيدفن به هو وزوجته وبناته حتى أن وافتهم منيتهم فى مدينة أخرى ، وهناك اشارة غريبة جاء فيها ان عجل منيفس فى هليوبوليس يجب أن يدفن هو كذلك فى مدينة أتون وهى دلالة أخرى على اعتماد الاتونية الجديدة على واحدة من أقدم العبادات الدينية فى مصر .

وتلقى النقوش المنقوشة التى لخصناها هنا فيضا من الضوء على أهم عمل من مهام اخناتون وأن كان يثير عددا من المشاكل ويخلق كثيرا من الأسئلة بغير جواب ، وليس من شك فى أن التصميم على خلق عاصمة جديدة فى العمارنة كان يدفع اليه الاعتراف والتسليم بأن عبادتى أتون وأمون رع لا يمكن أن تقوما جنبا الى جنب بعد اليوم ، وعلى ذلك فان الظلام يظل يلفنا فيما يتصل بالصورة الحقيقية التى استلزمها هذا الفصل ولابد أن ذلك كان فى اللحظة التى غير فيها الملك الصغير لقبه

من امنحتبه الى اخناتون التى تعنى « الصـــالح لخدمة آتون » وليست هناك أية علامات تشير الى خصومة لأبيه المتوفى وأن كان هو الآخر يحمل لقب امنحتبه بل نجد على العكس من ذلك أن نقوش المعبد فى صولب فى النـوبة (١) ، وكذا لوحة فى هيراقونبوليس من مصر العليا يصور فيها أمنوفيس الرابع وهو يقـــدم القرابين الى أمنوفيس الثـالث المؤله وهى حالات نادرة ترجع الى مرحلة تسبق الثورة مباشرة من غير شك مادام حرختى ذو رأس الباشق المرسوم على اللوحة مزود بالخراطيش والنعوت الدينية لأتون وهناك بالمثل دلالات على الولاء البنوى من ناحية اخناتون تبدو فى كتابات معينة حيث ترك اسم أبيه نب ماع رع دون أن يمحى كما استخدم مرة ثانية بشكل خشن ليحل محل اللقب (٢) المقوت ، واما لقب نب ماع رع فكان يلقى قبولا لدى اخناتون لأن معناه « سيد الحق (ماعه) هو رع » ذلك لأنه هو شخصيا كان يفاخر بأنه ينعت « ذلك الذى يعيش على الحق » وعلى أية حال فانه يجب أن نلاحظ أن ماعة التى لا نستطيع تجنب ترجمتها الى « حق » لاتعنى حب الحقيقة وان كان الميل للواقعية واضــــح تماما فى « الفن الجـديد » لدى اخناتون ، ولقد بين « انثس » ان ماعة ، فى نصوص العمارنة ، ، تعنى « الكيان المرتب الحسن التنظيم » وأنها لا تشير الى الحـــق (بمعنى الصدق) الفعلى اطلاقا(٣) ٠ وأما فيما يتصل بـ « تيى » أم اخنـــاتون فانه من الواضح أنه ظـل على أطيب العلاقات معها وربما جاءت لتعيش فى نهاية الأمر فى العمارنة حيث تظهر صور لها فى مقبرة حويا ــ وكيل ضياعها ــ وهى تتناول الطعـام مع ابنها وزوجته وان كان لايمكن التأكد مما اذا كانت هذه زيارة قصيرة أو اقامة دائمة (٤) ٠

والأقســام التى خلفهـــا اخناتون ومؤداها الا يقـوم بتوسيع اقليم أتون لغز ٠٠ أيعنى هذا أن الخلافات بينه وبين كهانة أمون رع أمكن تسويتها وديا فى أول الأمر وقنع هو بأن يعيش ويتعبد على طريقته فى مكان يختاره بنفسه ؟ انه ليس هناك على أية حال اشارة الى حرب أهلية بل أنه يرى كذلك امكان أن يموت هو أو أحـــد أفراد أسرته فى مدينة أخرى ٠٠ ان الحاجة الى كتابة مؤرخة عقبة كأداء فى سبيلنـــا ٠ ولدينـــا

---

(١) P.M., VII, 169-70

(٢) J.E.A., XL, 14; No. 8.

(٣) J.A., O.S., 1952; Supplement

(٤) Davies, Am. III, Pl. 4.

بردية من العام الخامس (١) عثر عليها فى كوم مدينة غراب عند مدخل الفيوم كان لا يزال يستخدم فيها لقب امنحتبه وجاء بها ذكر ل بتاح وتقدمات لآلهة والهات غيره ، وربما لم تكن هرطقة أتون قد وصلت بعد الى هذه الناحية شمالا ، وتؤكد النقوش الصخرية للمعمارى «بك» Bek فى أسوان أنه حتى مرحلة معينة من الحكم كانت المحاجر هناك تستغل « للآثار العظيمة القوية للملك فى بيت أتون فى أخت أتون » (٢) وهناك فى أسوان ووادى حلفا (٣) وجدت وثائق سجلها نائب الملك اخناتون فى النوبة ويدعى « دحوتموزه » وهناك كذلك اسم « جم أتون » (وجود أتون) الذى أطلق على موقع « كاوا » الهام وراء الجندل الثالث مما قد يشير الى تأثير نفوذ اخناتون هناك (٤) ٠

واما عن الشخصيات التى منحها اخناتون فيما بعد مقابر صخرية فى العمارنة فلسنا نعرف من بينهم سوى واحد يتبعه من طيبة وهو ساقيه « بارننوفه » (٥) الذى زين جانبا من مقبرته الطيبية (٦) وقد هجرت بعد ذلك — بنقوش من العهد البائد بينما رسم فى جزء آخر أتون فى طراز العمارنة الحقيقى ، وأما بقية المقربين من أخناتون فيبدو أنهم جدد لم تستطع الا قلة ضئيلة منهم أن تصل الى الوظائف العالية — وقد عثر على منزل الوزير نخت (٧) بين الانقاض ولكننا لا نعرف من أين أتى أو مدى سلطاته القضائية واما عمدة أخت أتون فكان يحمل لقبا متميزا يترجم بما معناه « اخناتون خلقنى » (٨) وكان العديدون منهم كهنة كما كان هناك اثنان من المشرفين على شئون الحريم الملكى وكذا كبير أطباء ، وكان لا بد أن يكون هناك بطبيعة الحال قائد جيش (٩) وكذا حامل لواء (١٠) من بين ضباطه ، وأما — «آى» الموقر الذى سنسمع عنه الكثير فيما بعد فكان مشرفا على جياد الملك (١١) ، وكان الأمر يتطلب وجود قائد بوليس (١٢) لحفظ النظام فى المدينة وأما صاحب المركز المرموق

---

(١) انظر P. 217 — No. 3.

(٢) B.A.R., II, 973-6.

(٣) J.E.A., VI, 34-5

(٤) Säve Soderberg p. 162

(٥) Davies, am VI, pls 2-10

(٦) J.E.A., IX, 133 ff. with pl. 23

(٧) P. M., IV., 206

(٨) Davies. Am., IV, pl. 37

(٩) Op. cit., pl. 35

(١٠) Op. cit., pl. 39

(١١) Op. cit., VI, pls. 22

(١٢) Op. cit., IV, pls. 14 ff.

حقا فهو المشرف على الخزانة (١) . ومناظر الحياة فى المدينة زاهية بصورة غير عادية ولسنا نستطيع أن نستوثق لبعد الزمن عن مدى أصالة الاعتقاد والاهتمام الشخصى من ناحية أعضاء الحاشية التى كانت تحيط باخناتون .. انه كان يهيل عليهم من غير شك العقود الذهبية ويزودهم بالطعام من مائدته الخاصة .. وهناك على الأقل واحد من موظفيه يعترف بأنه رفعه من وظيفته الوضيعة الى مركز كان يمكنه من مصاحبة النبلاء (٢) ، وليس من شك فى أن اخناتون كان يعد نفسه حوارى المعتقد الجديد ، وهناك نقوش عديدة فى المقابر تنهض دليلا على الاستعداد للاستماع الى مذهبه وهاك مثلا نموذجيا منها (٣) .

ما أكثر نجاح من يستمع الى مذهبك فى الحياة ومن يملأ ناظريه بمشاهدتك ولا تتوقف عيناه عن النظر لآتون كل يوم كما أن الملك نفسه يقول لكاهنه الأكبر مرى رع وكذا لحاجبه توتو (٤) .

انت خادمى العظيم الذى تستمع الى مذهبى . وان كل عمل تؤديه يرضى قلبى عنه وأنا امنحك هذه الوظيفة حتى تستطيع أن تأكل من أطعمة فرعون السيد فى بيت أتون .

وتكفى هذه المقتطفات القليلة لتبين كيف أن هذا النظام الجديد لم يتناول بالتغيير سوى القليل من العلاقة بين الملك والرعية ، ولكن الفارق الرئيسى فى الواقع هو ابراز أقوى للذلة التقليدية ، وليس هناك مقابر فى مصر أكثر ازدحاما بالنصوص المنقوشة من مقابر العمارنة وهى جميعها تتناول بالمديح على وتيرة واحدة أتون أو الملك أو ما أضفاه من نعم على صاحب المقبرة ، ولا يعوز اللغة الجمال تماما ولكننا لا ننكر انها مصحفة فى تعبيراتها ، وقد اشتهرت عن حق الانشودة الكبرى فى مقبرة آى (٥) وربما كان من الحق كذلك نسبتها الى اخناتون نفسه وهى لا تختلف كثيرا عن غيرها من نظائرها فى الجبانة ، وفيما يلى ترجمة حرفية تقريبا لها :

---

(١) Op. cit., I, pl. 15

(٢) Sandman, 61, 12-16

(٣) Op. cit., 92, 8-9; 60. 6

(٤) Op. cit., 1. 7-9; 80.17-81.1

(٥) Sandman, 93-96

« أنت تشرق في بهاء في أفق السماء أي أتون الحي ، يا بادىء حين تشع في الأفق الشرقي وتملأ الأرض بجمالك ، انت جميل وعظيم ومتلألىء وعال في كل أرض ، اشعتك تحتضن البلاد الى حد كل ماصنعته انت بوصفك الشمس وأنت تصل الى حدودهم وتخضعهم لابنك المحبوب — أنت بعيد جدا ومع ذلك فاشـــعتك على الأرض ، أنت في وجـــوه البشر ومع ذلك فتحركاتك لا ترى ، حين تغيب في الأفق الغربي تصبح الأرض في ظلام كالموت ، الليـــل ينقضي في غرف النوم والرءوس مغطـاة ولا ترى عين صاحبها ، تسرق أمتعتهم حتى وان كانت تحت رءوسهم فلايدركون ذلك ، الأسود تخرج من أوجارها والثعابين تعض . الظلام هـــو الضوء الوحيد بينما الأرض في صمت لأن صانعها يســـتريح في الأفق ، الأرض تلمع حين تشرق في الأفق وتضيء مثـل أتون في النهـار ، أنت تطرد الظلام وتضفي أشعتك . الأرضان في عيد تستيقظان وتقفان على أقدامهما لأنك أقمتهما ، انهم ينظفون أعضاءهم ويلبسـون ملابسـهم ويرفعون أيديهم مديحا لبزوغك الرائع ، الأرض كلها تقوم بعملها ، كل الماشية في سـلام على مراعيهـا ، الأشجار والمراعي تخضر . الطيـور تخرج من أعشاشها وأجنحتها تقدم المديح لروحك . كل الحيوانات تتـوثب ســـــرورا فوق أقدامها ، كل ما يطير أو يحط يحيون حين تبزغ لهم ، السفن تبحر شمالا وجنوبا على السواء ، كل الطرق تنفتح عند ظهورك ، الأسماك في النهر تقفز أمام وجهك . أشـــعتك في الأخضر العظيم (١) ، أنت يامن تجعل سائل الذكر ينمو في المرأة ومن يصنع الماء في البشر ، أنت يامن تأتي بالحيـاة للابن في جسد أمه ، أنت يامن تسكته بتوقف دموعه ، أنت يامن رعيته في الجسد ثم تعطي الهواء ليعيش كل من صنعت ، انه ينزل من الجسد ليتنفس في يوم مولده ، أنت تفتح فمه تماما وتخلق له مقومات الحيـاة ، الكتكوت في البيضة ، أنت تكمله حتى يكسرها ، يكسر البيضة ، ثم يخرج من البيضة ليفصح عن كماله ، ويسـير على قدميه حين يخرج منها » .

ما أكثر أعمالك انها خفية لدى أعين البشر ، أنت الاله الوحيـــد الذي ليس له من نظير ، أنت خلقت الأرض طبقا لرغبتك ، وكنت وحدك .. خلقت البشر جميعا والقطعـان والجحافل وكل ما على الأرض ، كل المخلوقات التي تدب على قدمين والتي تحلق عاليا مرفرفة باجنحتهـا ،

(١) الاسم الذي يطلق عادة على البحر .

وبلاد خور (١) وكوش وأرض مصر . أنت ترى كل انســـــان فى مكانه وتمكن لهم من مقومات الحياة .. لكل طعامه ، ودورته فى الحياة محسوبة .. الألسن تتنوع فى الحديث واللهجات كذلك .. الوانهم متباينة لأنك ميزت بين بلاد وبلاد » .

« أنت تصـــنع فيضـــان النهر فى العالم الســـفلى وتأتى به كرغبتك ليهب الحياة الى البشر ، أولئك الذين صنعتهم لذاتك أنت مولاهم جميعا أولئك الذين يكدون معهم ، مولى كل أرض تشرق من أجلها ، أنت أتون النهار ، العظيم فى جلاله كل البلاد البعيدة أنت منحتها الحياة ، أنت صنعت فيضـــان النيل فى السماء (٢) وهو ينزل منها ويصنع أمواجا على الجبال مثل الأخضر العظيم ليبلل حقولهـــم فى قراهم . كم هى فعالة خططك ! أى سيد الأبدية ! فيضـــان نيل السماء هو هبتك للبلاد الأجنبية وللحيوانات التى تدب على أقدامها فى كل بلد ، ولكن فيضان النيل يخرج من العالم السفلى لأرض مصر ـ الأشعة تغذى كل مرعى .. حين تشرق يحيون وينمون من أجلك » .

« أنت تجعل الفصول منتظمة لينجح كل ما صنعت . الشتاء ليبردها وحرارة الصيف ليتذوقوك ، أنت جعلت السماء بعيدة لتضىء فيها ولترى كل ماصنعت ، وأنت وحيد تضىء فى مختلف صورك كاتون الحى وتبدو رائعا ومشعا وأنت بعيد وقريب ـ أنت تجعل ملايين الصور من ذاتك وحدك ، مدنا وقرى ، حقولا وطرقا وأنهارا .. كل عين تشهدك أمامها .. أنت قرص النهار » ..

« ليس هناك آخر يعرفك سوى ابنك نفر خبرورع وعانرع . أنت جعلته يبرع فى طرقك وفى قوتك . الأرض تصبح كائنة على يدك كما صنعتها . أنت أشرقت وهم يعيشون ، أنت تغرب فيموتون ، انك أنت العمر ، والرجال بك تعيش ؛ العيون فى حضرة الجمال حتى تغيب ، كل عمل يهمل حين تغرب على اليمين (٣) بالاشراق تجعلهم يفلحون .. من أجـــل الملك ، حركة فى كل ساق منذ أسست الأرض ، أنت ترفعهم من أجل

---

(١) فلسطين وسوريا ، انظر . Onom. I, 180 f.

(٢) يعنى المطر

(٣) كان المصريون ينظرون عادة الى الجنوب ومن ثم فكلمتا « الغرب »،و « اليمين » متعادلتان

«ابنك الذى خرج من جسدك ، ملك مصر العليا والسفلى . الذى يعيش على الحق ، سيد الأرضين ، نفر خبرو رع وعانرع ، ابن رع ، الذى يعيش على الحق سيد الظهور البهى اخناتون العظيم فى خلوده ، مع زوجة الملك العظمى التى يحبها ، سيدة الأرضين ، نفر نفرو اتن نفرتيتى الا فلتعش ولتزدهر الى الأبد أبدا » .

وتجسد هذه الأنشودة التى طالما أشير الى مشابهتها الصــارخة بالمزمور ١٠٤ ، كل عقيدة اخناتون تقريبا من الجانب الايجابى ولكنها تحوى قليلا مما لم يرد من قبل فى أناشيد اله الشمس ، وتدور الفكرة حول القوة المنعمة للشمس كقوة طبيعية ، وقد عمل المصـــلح كل مافى وسعه ليخلص هذه القوة من الارتباطات البشرية الالهية ، كان معبوده هو الكوكب المضيء العظيم نفسه الذى يباشر تأثيره المنعم بمنحة الحيــاة عن طريق الأشعة التى لا يوجد من لا يحس التماعها ودفأها ، ومثل هذا المعتقد يستطاع تقبله عن طريق الرؤية الى ابعاد كبيرة ، كما أنه ليست هناك صورة منحوتة قدمت أتون فى الهيئة الانسانية ، ومع ذلك فأن المعتقد الجديد انهار من الناحية اللفظية مادامت اللغة بضرورتها تصف الأحداث فى اصطلاحات ذات مظهر انسانى ، وحين توجه الأناشيد الى اتن بصيغة المخاطب وحين نلتقى به فى قصيدة أقصر من نفس السياق يدعى « أم وأب » كل الأشياء المخلوقة (١) ، وحين يعامل اخناتون نفسه كابن محبوب جاء من أشعة اتن فان التناقض يكون واضحا . ان الأتونية لم تكن مجرد نظرية طبيعيــة ولكنها كانت توحيــدا أصيلا ، وان العظمــة الحقيقية لهذا المصلح تكمن فى الشجاعة الخلقية التى جاهد بهــا ليزيح تجمعات النفايات الأسطورية الموروثة من الماضى .. ولقد كانت هــذه من غير شك عظمة سلبية ولكنها كانت عظمة ليس من العدالة أن ننكرها عليه ، فانه لايمكن مناقضة القول بأن سلوك اخناتون كان أكثر الأمور فاعلية لاثارة سخط أعدائه ، وكان كلما ازداد قوة ازدادت الحماســة التى يعمل بها على اضطهاد التقاليد التى ظلت دهرا موضع التمجيد . وفى لحظة معينة أبعد ذكر رع حرختى من الخرطوش الأول اتن أو من الاسم (انظر صفحة ٢٤٠-٢٤١) واحل محله حاكم الأفق ».أما فى الخرطوش الثانى فانه رغم أن كلمة « شو » لا تعنى أكثر من « ضوء الشـمس الا أنه أبعـدها كذلك لتشابهها بلقب اله « الفضاء » (٢) ولكن حماسة اخناتون

---

(١) Davies, Am. IV pl. 32, Apy 4

(٢) J.E.A., IX, 168 ff.

الهدامة لم تقف عند هذا الحد ، ذلك لأن المعتقد الحقيقي لم يكن من الممكن ان ينتشر مالم يقم بالغاء العدد الذى لا يحصى من الآلهة والالهات التى كانت تعبد حتى ذلك الوقت · وتبعا لذلك نراه يرسل عماله فى البلاد كلها ليمحو أسماءها حيثما وجدت محفورة أو مكتوبة ومن نافلة القول أن نقرر أن أمون رع كان الفريسة الرئيسية لغضبه الذى استهدف تدمير الصور والتماثيل الدينية بل أن الكلمة البسيطة «أم» كانت تشبه الالهة الطيبية « موت » فأمر بالتخلى عن الرسم الهيروغليفى للعقـــاب وأمر أن تكتب بالحروف بعلامتى م ت ، أما كلمة آلهة فكانت محرمة ، وأما « امنحتبة » لقبه السابق ولقب أبيه فقد تحدثنا عنه من قبل ·

وهناك عــدم تناسب فى النقوش التى وجدت فى منطقة العمارنة أثارت من غير شك ـ اشمئزاز المتشبثين بالتقاليد وكانت صورة اخناتون تتوسط المنظر دائما وكان وضــع خراطيشـــه الى جانب خراطيش اتون مما يدل على انه كان لا ينفر اطلاقا من ادعاء نصـــيب فى الوهية أبيه المقدس ، والواقع أن المرء يستشعر أحيانا أن هذا النصيب كان يقــارب التماثل الكلى ، ودليلنا على هذا الاتجاه ، النعت « ذلك الذى فى عيد سد » الذى أصبح ملازما للقب الاله ذلك لأن « عيد سد » أو «اليوبيل» كان بالضرورة احتفالا ملكيا ، ويبــدو أن الارتباط يجىء من ناحية أن أتون وابنه الشبيه بالاله يبدآن معا طورا جديدا لوجودهما المشترك ، ومما له مغزى كذلك أنه بينما كان اخناتون يتعبد ل أتن كان رعاياه يتعبدون له هو ، ومن ناحية أخرى نجد أن الطريقة التى أعلن بهــا اهتمامه بالأمور المنزلية كانت لا تتجانس وهذه الادعاءات المتعالية فهو يرى مصــحوبا دائما فى المناظر بزوجته نفرتيتى وبعدد من بناته اللواتى بلغن الســتة عددا فى نهاية الأمر ، وترى ف احدى اللوحات طفلة يقبلها أبوها الملك بينما تدلل أخرى على ركبة أمها الملكة (لوحة ١٥) (١) · وقد صور اخناتون وهو يستضيف أمه تيى ـ أو تضيفه هى ـ فى وليمة وهو ينهش ضلعا كبيرا بينما تفعل نفرتيتى الشىء نفسه فى طائر مشوى (٢) · ويبـــدو اعزاز الملك لزوجته ثم لصهره فيما بعد دون أى تكتم ، وكم يبدو هـــذا مخالفا للتصرف الذى يتسم بالوقار فى العصور القديمة حين كان أقصى ما يعرض من مظاهر الألفة وعدم التكلف لا يعدو ذراعا تمتد بفتور حول خصر الزوجة ·

---

(١) Z.A.S., LII, 78, fig. 9

(٢) Davies, am, III, pl. 4

كان هناك عيب في المذهب هو حاجته الكاملة للتعاليم الاخلاقية ، ويرجع سبب ذلك الى حد كبير من غير شك الى اقصاء اوزيريس لا لأن اسطورته كانت تمتاز بعمق روحي بل لأنها كانت تروى قصة انتصار الخير على الشر ، وتتحدث عن اخلاص الزوجة وولاء الابن ولذا احتفظت العبادة الجنازية بكثير من مظاهرها الخارجية ، ولكن هذه جردت الآن من معناها السابق (١) . كانت الجعول الكبيرة لا تزال توضع في المومياء ، ولكن الكتابة التى عليها لم تعد تلتمس من القلب أن يكف عن الشهادة ضد الميت حين توضع أعماله الأرضية فى الميزان .. وكانت تماثيل الأوشبتى (انظر صفحة ٤٨) لا تزال شائعة ولكنها لم تعد بعد لتقوى على اعفاء صاحبها من واجبه فى أداء الأعمال الزراعية فى العالم السفلى ، وانه ليبدو كذلك أن عقيدة اخناتون لم تتغلغل الى ضمائر الجماهير - ولقد كشفت قرية العمال في العمارنة عن آثار متعددة للعبادة القديمة ومن بينها تمائم للاله بس على شكل القزم وللعين المقدسة لحوريس وغيرها - وأما الانتشار الكامل للمعتقد الجديد فيتطلب بحثا أوسع ، ومن المؤكد أنه كان يوجد بممفيس معبد لـ «اتن»(٢) ، وقد عثر على بقايا مبعثرة فى طول البلاد وعرضها - وان لم نجدها الى شمال هيليوبوليس فى الدولتا - لنقوش آتونية ، وأما فيما يتصل بالنوبة فراجع ص ٢٤٨ .

وقد نسبت الى اخناتون فى وقت ما رغبته فى تأسيس دين عام ، ولكن النصوص لاتدعم هذا الافتراض كثيرا .. حقا ان العقيدة الكبيرة التى قدمنا ترجمتها تشير الى سورية والنوبة ، ولكن من الصعب أن يؤمن الجميع بأن الشمس نفسها التى تضىء مصر هى التى تضىء هذه البلاد على السواء ولا أن ما يروى أراضيهم مطر بدلا من فيضان النيل ، ونحن لا ندرى شيئا عن جهود الدعاية فى الشمال بل على العكس نرى أن اهتمام الملك يظهر فى غالب الأمر محدودا . وقد قام الملك بسبب حماسته بأداء الخدمة اليومية بالمعابد فى ضوء الشمس الكامل وليس فى حجرات مغلقة مظلمة كما كانت الحال من قبل ، ومن أجل ذلك لم يكن راغبا فى أن يكلف نفسه عناء الاهتمام بالشئون الخارجية ولهذا السبب نفسه نجد أن اتهام التهدئة أو المهادنة الذى يوجه اليه يحيد عن الهدف ، وقد تكرر كثيرا هذا الاتهام حتى قيل أنه بدد الامبراطورية المصرية العظيمة التى انشأها توثموزيس الثالث فى فلسطين وسورية بسبب تراخيه وكراهيته

---

(١) Z.A.S., LV, 2-4; J.E.A. XLIII, 19

(٢) P.M., III, 220

الحرب .. والأمر كله يتطلب اعادة النظر فى ضوء المعلومات المتزايدة التى أمكن جمعها عن هذه البلاد نتيجة للأبحاث الأثرية ، واللغوية ، بل ان الأمر ليدعو للشك فيما اذا كانت الامبراطورية المصرية التى طالما تناولها الحديث بالفخر قد قامت فعلا .. ان هزيمة توثموزيس الأول لميتانى ربما كانت داعية لقيام محاولة فى هذه الناحية ، ولكن ليس هناك من دليل على أن نجاحه ظل يتابع فى عصر خلفيه ، وانه لمن التعنت أن نقلل من الأعمال الرائعة التى قام بها توثموزيس الثالث ولكنها بدأت بثورة من حلف ضخم من رؤساء الاقاليم الفلسطينية والسورية الصغار - وحتى بعد أن هزمت ميتانى نجد أن الأمر يستلزم تجريد ثلاث عشرة حملة أخرى منفصلة لتمكين السيادة المصرية ، ونستطيع أن نحدس ــ والأمر لا يعدو التخمين ــ انه بينما كانت الموانى فى قبضة حازمة كان الحكام الحربيون معينين فى نقط حساسة . ومهما يكن من أمر فان دويلات المدن الصغيرة الكثيرة التى كانت تنقسم اليها البلاد كانت تعد نفسها فى أغلب الأمر من موالى فرعون الذين كانوا يلتمسون حمايته التى رأوا فيها على الأقل أهون الشرور ، ولقد كان الشقاق فيما بينهم مما حفزهم الى السعى وراء عون ما حيثما يوجد ، ولم تكن مصر دائما فى رأيهم آمن القوى التى يتجهون اليها ، وأنه لمن الخطأ أن نعد اخناتون الفرعون الوحيد المسئول عن ضياع هيبة مصر فامنوفيس الثالث لا يقل نصيبه عنه فى اللوم ، وهناك عدة خطابات موجهة اليه من « أكيزى » صاحب قطنة يشكو فى مرارة من أن فشله فى ارسال جيوش يمكن « ايتوجاما » حاكم قادش من أن ينحاز لصف الحيثيين . ومعه بضعة أمراء محليين صغار ، وهناك أهل تونب فى خطاب آخر (٢) ربما كان لاخناتون ــ يعلنون أنهم ظلوا طوال العشرين سنة السابقة يلتمسون العون ولكن أحدا لم يعرهم التفاتا ، ويزخر عدد كبير من « كتب العمارنة » (٣) بالتوسلات اليائسة التى يبعث بها ربعدى نائب الملك فى ببلوس طالبا العون ضد عبدى شرتا الذى كان ملكا على آمور ، وهى اذ ذاك منطقة ساحلية تمتد من لبنان شمالا حتى أرادوس (ارواد) . ولقد كان عبدى شرتا وأولاده من بعد ذبحه وبخاصة عزيرو ــ رغم بعض الادعاءات السابقة ــ اعداء مزمنين لمصر ربطوا أنفسهم بأعداء فرعون

---

(١) A.M., 53. 11 ff.; 54.26 ff; 55.16 ff.

(٢) A.M., 59. 13 ff.

(٣) Mercer (II) 830-7

المعـــروفين ب الخابيرو (صفحة ٢٢٦) أو ساجاز (قاطعو الرقاب) ثم فيما بعد بالحيثيين .. وقصـــة ربعدى فى محاولة الاستمساك بالولاء نحو مصر تخص تاريخ فلسطين وسورية أكثر مما تخص تاريخ مصر ، ومهما بلغت فتنة هذه المأساة فان تعقيدها أكبر من أن نتابعه هنا ، ولكن مادام علينا أن نتعرف جديا الى القوة العدوانية للحيثيين فيما بعد فأننا يجب أن نخصص فقرة على الأقل لبروزهم على مسرح سورية الشمالية .

ان اللفظ الســـلالى « حيثيون » جاء عن طريق التوراة حيث يعنى المجموعة البشرية التى وجدها الاسرائيليـون تسكن فلسطين حين دخلوا الى أرض الميعاد ، وهذا ليس سوى خيط رفيع من سلسلة الانساب التى تربطهم بالأمة الكبرى خاتى التى سنتعرف اليهـــا الآن ومع ذلك فأن استخدام كلمة حيثيين ظل سائدا لدى الباحثين ولم تقم محاولة للتخلص منها ، ولسنا نستطيع أن نخصص مكانا للخطى التى تم بها التوصل فى شمال سورية الى الكشف عن عاصمة الحيثيين ، «خاتوساس» فى الأناضول على بعد ثمانين ميلا الى شرق أنقرة ، ونصف هذه المسافة الى جنوب البحر الأسود ، وكان من ثمار حفائر هوجو ونكلر التى بدأها فى عـام ١٩٠٦ الكشف فى هذا الحصن الجبلى بالقرب من قرية بوغازكوى عن دار ملكية للمحفوظات تضم قرابة ١٠ر٠٠٠ لوح اسفينى كتبت بلغة ـ أثبت بعد بحث طويل ـ انهـا من العائلة الهندوأوربية . وكانت المحتـويات لحسن الحظ تاريخية الصيغة لحد كبـير واستطاعت أن تزودنا بتفصيلات دقيقة عن العلاقات الأجنبية قبل وبعد الفترة التى نعالجها فى هذا الفصـــل ـ وهكذا انتهى عصر مبهم ـ كانت تعوزنا فيه مصادر المعلومات ـ عن تاريخ غير مؤكد فى أواسط القرن الخامس عشر قبل الميلاد ابتداء من تودهالياس الثانى الذى يعد عادة مؤسس الامبراطورية الحيثية ، ولابد أنه واحد من أسلاف ذلك الذى جاءت رسله بالهدايا الى توثموزيس الثالث كما ذكرنا من قبل (صفحة ٢١٥) وعلى أية حال فانه تلت ذلك فترة جديدة بدأ فيها ضعف الحيثيين واستطاعت ميتانى خلالها أن تسترجع قواها بعد هزيمتها على يد مصر وأصبحت فى واقع الأمر القوة المسيطرة على شمال سورية ، وهكذا وقفت ميتانى فى طريق التوسع الحيثى الى ناحية الجنوب الشرقى كما وقفت ارزاوا فى طريق هذا التوسع غربا ، ولكن اعتلاء سوبيللوليوماس فى عـام ١٣٧٥ ق . م وضع حدا لهذا كله ، وقد كان سوبيللوليوماس جنـــديا عظيماحكم مدة طويلة ميزتها حركاته الدبلوماسية الناجحة ، وانتصـــاراته الحربية البـارزة حتى انتهى الأمر بعـــد مقتل توشراتا بتحول ميتانى الى مركز دولة حاجزة بينه وبين قوة أشور الصاعدة ،

ولم تلبث ميتانى بعد ذلك أن اختفت كدولة معترف بها مخلفة الحيثيين دكتاتوريين حقيقيين فى كل الاقليم الواقع غـرب الفـرات وظلوا كذلك طوال القرن التالى ، وقد كتب سوبيللوليوماس فى أول حـكمه خطابا الى الملك اخناتون عقب موت أبيه امنوفيس الثالث(١) يذكره بوعد لم يتحقق خاص بارسال بعض التـماثيل من الذهب والفضة له • ولئن استثنينا خطابا آخر من الكتب التى عثر عليهـا فى العمارنة لم يكتمل ربما كان من انشـاء سوبيللوليوماس نفسه ــ نجد أن العلاقات المباشرة بين الحيثيين ومصر قد توقفت لفترة ــ وربما كان ذلك لأن سوبيللوليوماس رأى أن النفع قليل من وراء هذا المراسل الكسول •

وأما عن بقية حكم اخناتون فأنه لا تزال تعوزنا تماما الوثائق ذات القيمة التاريخية ونحن نعتمد على ما أمكن استخراجه من خرائب العمارنة ــ وقد ماتت الابنة الثانية ماكت أتون ووصـف الحزن فى جنازتها على جدران المقبرة الملكية الكبرى(٢) ــ ويبدو أن الملكة نفرتيتى مستها فضيحة ما فى العام الثانى عشر أو بعده بقليل ما لم تكن قد ماتت ، وقـد محى اسمها دواما من مبنى خاص يدعى مارو أتون يقع الى جنوب المدينة وأحل محله اسم ابنتها الكبرى مريت امون (٣) الذى خلف زوجها سمنخ كارع حميه اخناتون على العرش لفترة قصيرة ، والعلاقة غامضة بين هذا الملك الهزيل وبين حميه ، وهناك لوحة يظهر فيها الملكان جالسين معا فى مظهر مودة شديد ، ورغم أنه ليست هناك كتـابة هيروغليفية بالخراطيش الا انهما من المؤكد اخناتون وسمنخ كارع ــ وهناك حقيقة معينة هي انه هناك صورة بديلة للقب سمنخ كارع حيث يطلق عليه نفر نفرو اتن المحبوب من وع ــ ان رع (٤) ــ والعنصر الأول هو اللقب الذى كانت تحمله الملكة نفرتيتى أما العنصر الثانى وع ان رع فهو أحد نعوت اخناتون ، ومن تم فانه يبدو كأنما حل سمنخ كارع فى عطف الملك محل الملكة ، وللشك أن يظل قائما فيما يتصل باشتراك فى الحكم بينهما ما دامت ليست هناك تواريخ مزدوجة • وفى مقبرة العمارنة (٥) التى يظهر فيها اخناتون مع زوجته يكافئان صاحب المقبرة بالذهب استبدلت خراطيشهما بخراطيش

---

(١) انظر ما قبله صفحة ٢٣١ •

(٢) P.M., IV, 236

(٣) C.O.A., I, 155 with., No. 3

(٤) J.E.A., XIV, pl. 4

(٥) Ibid, 5. 10 ff.

سمنخ كارع ومريت أمون مما قد ينهض دليلا على أن الملك الأكبر سـنا مات قبل أن يهجر شريكه الأصغر العاصمة الى طيبة ودليلنا على اتخاذ الخطوة الأخيرة كتابة بالهيراطيقية ترجع الى السنة الثالثة وجدت بالقرنة يشار فيها الى المدعو بواح وهوكاتب قرابين لأمون فى قصر عنخ‌خبرورع‌ـ (وهو اسم سمنخ ـ كارع) فى طيبة · والنص تناول أنشودة للاله القديم (١) ومن هنا يتضح أن صهر اخناتون ومحبوبه السابق كان أول من تخلى عن هرطقة أتون ، ومن بين بقايا الحكم القصير عثر على عدد من الحلقات فى العمارنة وكذا على قطع من نقش فى ممفيس (٢) · هذا بخلاف احتمال طفيف لامكان الحصول على مومياء المرتد الصغير ·

كانت السحب العاصفة تتجمع منذ وقت لا بأس به حول شخص المصلح السيىء الحظ ، ولسنا نعرف على وجه التحقيق كيف انتهت مغامرته· ان لدينا أختام جرار من العام السابع عشر ولكن هذا آخر مالدينا وهناك ما يصلح أساسا للقول بأن أمله فى أن يدفن فى مقبرته الفسيحة فى العمارنة التى كان قد صممها لنفسه ولاسرته لم يتحقق ، وقد وجدت الأجزاء المكسورة لأربعة توابيت من الجرانيت الأحمر طريقها من المنطقة الى متحف القاهرة (٣) ، واستطاع بندلبرى أن يستخرج من الأرض أجزاء من صندوق الاحشاء المرمرى لاخناتون (٤) وهو يقرر فى صراحة انه لم يستخدم لأنه لم تكن تلطخه بقايا المادة الراتنجية السوداء التى نراها فى المقابر الملكية الأخرى ، ومن الواضح أن أيدى انتقام الحريصين على التقاليد القديمة لم تكف عن العمل ·· ثم تنتقل المشكلة الى طيبة ، فقد عثر الأثريون الذين يعملون بتمويل من المليونير الأمريكى ديفيس فى عام ١٩٠٧ مصادفة فى بيبان الملوك على مقبرة خربت فى عنف نسبت من أول نظرة سريعة للملكة تيى (٥) ولعل ما دعا الى ذلك هو العثور على بقايا هيكل مزار كبير مغطى بالذهب تشير النقوش عليه أن اخناتون صنعه من أجل أمه · ولكن كان هناك كذلك تابوت مشوه جدا ومرمم يحوى مومياء قدر العالم الفسيولوجى الكبير اليوت سميث انها لرجل ، ولقد كان ظهور

---

(١) Davies, Am., II, pl. 41

(٢) J.E.A. XIV, p.p. 10 ff.

(٣) P.M., III, 220

(٤) Ann. Serv., XXXI, 102, N. 2

(٥) Op. cit., XL, 537 ff.

لقبي اخناتون على التابوت دلالة صريحة على ان شاغله ليس سوى الملك المهرطق نفسه وظلت هذه الفكرة حتى استطاع دارسى (١) فى عام ١٩١٦ أن يقدم دليلا مؤداه أن شاغل التابوت الأول كان امرأة يظن انهـــا تيى وأنه استصلح فيما بعــد لتحفظ به بقـــايا الملك ، وأحس دارسى أنه لا يستطيع بأية حال أن يؤكد وجهة النظر القائلة بأن الملك المذكور هو اخناتون وكان صاحب المومياء فى رأيه هو توت عنخ أمون ، وفى عام ١٩٣١ بدأ انجلباك مناقشة الأمر من جديد (٢) ٠ وكانت مقبرة توت‌عنخ أمون قد تم الكشف عنها قبـــل ذلك ومن ثم كان المرشـــح ليكون شاغل التابوت هو سمنخ كارع ، وقد دعم «درى» وجهة نظر انجلباك وقرر أنه يستطيع أن يجزم بعد دراسة جدية دقيقة للجمجمة انها لا يمكن أن تكون لاخناتون وانها تخص شابا أصغر سنا (٣) ٠٠ ونحن الآن أمام حكمين متعارضين لاثنين من أقدر العلماء الفسيولوجيين لا نستطيع الا أن نقول أن المظهر الخارجى للمشكلة يجب أن يبقى دون قرار نهـــائى ٠ أما من ناحية التابوت نفســـه فان « الدرد » ناقش الأمر بقصـــد الوصول الى حل للمشكلة وقد وضع فى حسبانه المعدات الجنزية الفخمة لتوت عنخ أمون وكذا التوابيت الأربعة وأحدها من الذهب الخالص ــ وهو يرى أنه لا بد من أن اخناتون صنع لنفسه أشياء مماثلة ومن ثم فان التابوت من الدرجة الثانية الذى عثر عليه فى المقبرة الطيبية لا يمكن أن يكون احد التوابيت التى جهزها الملك المهرطق لدفنه ويتابع « الدرد » القول بأن هناك مظاهر أثرية متعددة تؤكد أن شاغل التابوت المزعوم كان امرأة ، وان لم يكن هناك دليل ايجابى باق ليبين أنها من أميرات العمارنة ، ومما له دلالة حاسمة فوق كل شيء لاثبات أن تابوت الانثى جهز ليناسب اخناتون نفسه وجود صل من البرونز يحمل لقبه فى صورته الأخيرة ، وليس من شك فى أن هذا أضيف الى الجبهة فيما بعد ، ويعدل هذا فى الأهمية كذلك ، كدليل ، الأربع قطع من الطوب السحرية التى عثر عليها فى القبر فى أماكنها الصحيحة (٤) ــ وعليها كذلك خرطوش اخناتون ولا يستطـــاع تفسير وجودها الا بان المقصود منها أن تؤدى وظيفتها الحقيقية ألا وهى حماية الملك من الأرواح الشريرة ، وتبعا لذلك فأنه من المؤكد أن من جهزوا

---

(١) J.E.A., XLIII, 10 ff.

(٢) Bull. Inst. fr., XII, 151 ff.

(٣) Ann. Serv. XXXI, 103 ff.

(٤) Op. cit., 115 ff.

أمر الدفن اعتقدوا ــ ان حقا أو باطلا ــ انهم كانوا يقومون بدفن اخناتون نفسه ، وفى رأينا انه افتراض معقول أن يكون قلة من اتباعه الأوفياء استطاعوا أن يستنقذوا من مقبرة العمارنة بقدر ماوسعهم أثاثا جنازيا نقلوه الى طيبة جاهدين فى تجهيز دفنة ملائمة لمولاهم الذى كانوا يحترمونه كاله تقريبا ــ ولئن كان ما يقرره « درى » صحيحا فانهم أخطئوا حتى فى هذا العمل الأخير الذى ينم عن الولاء ، ومن ثم يمكن تقبل الرأى بان جسد اخناتون مزق الى أشلاء وألقى به الى الكلاب ، وأما عن اللعنة التى لاحقته بعد موته بقليل فليس من شك فيها وقد ظل جيلان من بعده يشيران اليه كأنما هو « العدو من أخت أتون » (١) . وقد هجرت العمارنة عقب ذلك ولم تشغل بعد كعاصمة ، ومن هنا كانت أهمية خرائبها التى تكشف عن صورة العاصمة المصرية فى لحظة ثابتة معينة .

كان خليفة سمنخ كارع هو توت عنخ أمون الذى سيظل اسمه مشهورا دواما بسبب ذلك الاكتشاف المثير لمقبرته الذى قام به هوارد كارتر عام ١٩٢٢ . وهو لم يكن يزيد كثيرا عن الثامنة عشرة من عمره عند وفاته ومع ذلك فقد حكم ثمانى سنوات كاملة فان هذا يعنى أنه كان مجرد طفل حين اعتلى العرش ، ولما رفعت اللفائف عن وجه موميائه ــ ذهل المكتشفون حين أدركوا مشابهته لاخناتون حتى دفع بهم ذلك الى الحدس بأن كان ابنا لاخناتون من زيجة غير رسمية ، ورأى بعض العلماء انهم وجدوا بهذه المشابهة القوية الدليل على انه كان ابنا لامنوفيس الثالث .. ولعل من الخير أن نقول انه ليس هناك شىء ثابت فيما يتصل بأمر أبويه ، وربما كان وصوله للعرش عن طريق زوجته «عنخ اس أن أمون » الابنة الثالثة لاخناتون ونفرتيتى . وكانت تعرف خلال حياة أبويها عنخ اسن ان با اتن . ولكنها تخلت ــ كما فعل زوجها ــ عن الاشارة المقيتة لقرص الشمس فى اسمها حالما أدارا ظهريهما للعمارنة ، ولابد أن هذا حدث مبكرا بقدر الامكان ما دام ليس هناك أثر لها فى تلك البقعة سوى جعول قليلة (٢) ، وهناك بعض المصاعب التى تكتنف سن « عنخ اس ان أمون » سنوردها دون أن نحاول حلها ، ذلك أنه وجد بالمقبرة جنينان انثيان فى أغلب الأمر ، هما جنيناها من غير شك ، كما عثر على لوح حجرى بالاشمونين يشير الى ابنة صغيرة تحمل اسمها نفسه ولكن يميزه نعت « الطفلة » الذى أضيف اليه (٣) . وأمام وجود خرطوش أبيها

(١) J.E.A., XLIII, 23

(٢) Gardiner, Mes, 23, N. 82; J.E.A. XXIV, 124

(٣) Petrie, Tell el Amarana, pl. 15

اخناتون على اللوح نفســـه اقترح البعض قيام زيجة بينهما بعـــد موت توت عنخ أمون وهو اقتراح لا مبرر له اطلاقا (١) ، وهناك اقتراح أوهن من ناحية القرائن التى يرتكز عليهـا وهو الاقتراح الذى يشــير ارتباطها بالموظف المسن أى (٢) وفى اعتقاد الكاتب (جاردنر) ان فضيلة هذه الملكة الصغيرة الجميلة قد طعنت بغير حق رغم انها ــ كما سنرى فيما بعد ــ لم تنفر اطلاقا من فكرة زواج ثان ومن أجنبى كذلك ٠

وقد أضاف توت عنخ أمون الى لقبه كنية « حاكم اون الجنوبية » ويعنى هذا أنه كان يعد طيبة عاصمته الرئيسية ٠ وتبعا لذلك فان اللوحة الكبيرة (٣) التى أمر أن تقام بالقرب من الصرح الثالث فى معبد الكرنك تصوره وهو يقدم القرابين لأمون وموت وان كان كملك لمصر جميعا يزعم كذلك انه المحبوب من آتوم حرختى فى هليوبوليس ومن بتـــاح فى ممفيس ، والنص الطويل مسجل بالسطور التقليدية المعتادة ولكن هناك فقرة تتصل فى وضوح تام بالحقيقة التاريخية :

حين اعتلى جلالته العرش كملك كانت معابد الآلهة والالهات ابتداء من الفنتين حتى مستنقعات الدلتا قد انهارت ، وكانت هياكل مزاراتها قد دمرت وأصبحت خرائب تنمو فيها الأعشاب ٠٠ أما المصليات فكأنما لم تكن واما الابهاء فكانت طرقات للمارة ٠ كانت البلاد قـد انقلبت رأسا على عقب وأدار الآلهة ظهورهم للبلاد وان أرسل الرسل الى زاهى (سورية) ليمدوا حدود مصر فانهم لم ينجحوا ، وان اتضرع امرؤ لاله ليلتمس منه سؤالا فانه كان لا يجيبه ، وان قدمت الصلاة لالهة فانها كانت لاتستجيب كذلك ٠٠ ولكن بعد أيام كثيرة اعتلى جلالتى عرش أبيه (٤) وبسط سلطانه على أقاليم حورس وأصبحت الأرض الســـوداء والأرض الحمراء تحت ادارته ٠

ويتابع النص القول بأنه بينما كان الملك فى قصره فى بيت عاخبركارع (توثموزيس الأول) فى ممفيس قام بمشاورة قلبه عن الوســيلة التى يستطيع بها أن يقــوم بدور المصلح مع أمون والآلهة الآخرين ورأى أن

(١) Z.A.S., LXXIV, 104

(٢) J.E.A., XVIII, 50

(٣) P.M., II, 16-17; J.E.A. XXV, 8 ff.

(٤) يجب الا يؤخذ هذا الاصطلاح التقليدى دليلا على أن توت عنخ أمون كان ابنا حقيقيا لاخناتون ٠

تزيين التماثيل وتحليتها بالجواهر وما يماثلها ربما كانت خير طريقة لضمان تجديد رضاها وليس من شك في أن توت عنخ أمون ونصحاءه عملوا ما في وسعهم لاسترضاء السماء الغاضبة فنراه في الاقصر مثلا يزين بهو الأعمدة الضخمة تزيينا رائعا بالنقوش (١) التي تمثل العيد الكبير لأمون رع حين يقوم الاله بزيارته السنوية للمعبد الجنوبي القريب ولكن العناصر الاصيلة لهذا العمل الرائع محيت تقريبـــا على يد خلفه الذي اغتصبها وهناك بعض المباني الرسمية القليلة الأخرى من عهده ، ولكن ليس من بينها ما يستحق الذكر هنا . ومع ذلك فلعل من أبرز الاشياء أهمية على أية حال المقبرة الطيبية المنقوشة بالالوان الجميلة لنائب الملك حوى حيث بينت بدقة تفصيلات الاقليم الذي يديره والذي يمتد من الكاب الى نبته ومنه يتضـــح أن حوى كان يدير المنطقة الرئيســـية للذهب الذي لم تمل كتب العمارنة من توالى ترديد وصف مصر كأرض «الذهب فيها كالتراب» .

وقد كشف مســـاعدو ثيودور ديفيس عن قطعة دقيقة من رقائق الذهب في غرفة مليئة بالطين في بيبان الملوك ، وهي فيما كشفت عنه تبرز الكثير من الأشياء التي تبدو أهم منها (٢) وقد صور فيها توت عنخ آمون تتبعه زوجته وهو يقف متزنا ليذبح عدوا أمسكه من ناصيته ، والى اليسار يقف حامل مروحة ويده مرفوعة كمظهر للعبادة ويشار اليه في أكثر من مكان بأنه أب الاله ، أي ؛ وانه لما يشك فيه كثيرا أن يكون توت عنخ أمون قد شغل اطلاقا بأي عمل حربي أو شبه حربي ، ولـــكن تصـــوير « آي » على هـــذا الشكل يشير الى مرحلة كان هو خلالها القوة الفعالة خلف العرش ، ولم يكن يصطنع لنفسه صـــفة أخرى ، وهنالك قطعة أخرى من المصدر نفسه يلقب فيها بلقب الوزير (٣) ، وقد انتحل « آي » على أية حال الألقاب الملكية قبل موت توت عنخ آمون وظهر كشريك في العرش وقد مثل على هذه الصورة في الرسوم على جدران غرفة دفن توت عنخ آمون حيث يقود جنازة الملك الشاب (٤) .

كان كل فرعون منذ أيام توتموزه الأول ينقر لنفسه مقبرة فخمـــة في بيبان الملوك ولم تنقطع سلسلة المقابر على هذه الصـــورة حتى فعل ذلك

---

(١) W. Wolf, Das schöne Fest von Opet, Leipzig, 1931

(٢) Th. M. Davies, the Tombs of Harmhabi and Toutatankhamanu, London, 1912, p. 128, fig. 4.

(٣) Op. cit., p. 133, 15. 3

(٤) Ann. Serv., XXXVIII, 641 ff.

اخناتون بانتقاله الى العمارنة وقد تابع السلسلة ملوك الأسرتين التاليتين ومع ذلك فلم تسلم واحدة من هذه المقابر من نهب اللصوص ، ولا تزال باقية تلك النقوش التى تمثل أسرار العالم السفلى اذ تزين جدران الممرات الطويلة ، وقد نجد كذلك تابوتا أو تابوتين ، وربما كذلك مومياء ملكية مجردة من أكفانها ، ولكن ليست هنـاك تقريبا قطعة واحدة من كل تلك الكنوز التى أمل الملوك فى اقتنائها فى الحياة المقبلة ، وليس هناك سوى حاكم واحد من هذه الفترة شذ عن ذلك الأمر وقام هناك احتمال أن يكون قبر توت عنخ آمون قد أفلت من أيدى اللصوص ، وكان هذا الاحتمـال البعيد فى ذهن هوارد كارتر الذى كان يعمل لحسـاب ايرل كارنارفون حيث ظل يدافع فى عناد عن ضرورة استمرار الحفر الذى كان قد أثبت حتى تلك اللحظة عدم جدواه ٠ وأخيرا سنحت فرصة تنـازل بها الحظ فبدا مواتيا ٠ وكان هناك باب مختوم يقع فى مكان عميق تخفيه بعض البقايا التى تكونت فوقه منذ حفر قبر رمسيس السادس فى جانب التل، وكان الباب يؤدى الى أربـع غرف منها اثنتـان داخليتان سالمتان تماما تقريبا ، وأما الغرفة الخارجية عند المدخل فكانت تحوى أثاثا أعيد وضعه بسرعة وبغير ترتيب بعد أن حاول اللصوص نهبه ، وأما الغرفة الرابعة التى تقع من ورائها فكانت تسـتخدم مستودعا للبقايا والمخلفات التى لم يكن من اليسير اصلاحها ٠ وكانت المقبرة فعلا مقبرة توت عنخ آمون ، وقد فاقت محتويات الغرفة الامامية كل ما شهده أو حلم برؤيته أى واحد ممن قاموا بعمليـات الكشف عن الآثار فى مصر (لوحة ١٦) فهناك على سبيل المثال أسرة كبيرة وكراس وصناديق ملونة ومطعمة وأوان من المرمر وعرش فاخر وكومة من العربات المقلوبة ٠٠ ولكننا لن نتوقف هنا لنصف تفصيلات هذا الكشف الفريد ، ويكفى القول بأنه حين كسر الحاجز من الجص بعد ثلاثة أشـهر وكان يحرسه على الجانبين تمثالان حارسان ، كشف عن هيكل كبير مذهب ومحلى بالقاشانى وجدت بداخله ثلاثة هياكل أخرى مذهبة كذلك الواحد فى داخل الآخر ، وبداخل أصـغرها تابوت ضـخم من الكوارتز الأصـفر كان يضـم فى داخله ثلاثة من التوابيت الفخمة ، وكان التابوت الأخير من الداخل من الذهب الخالص وبداخله كانت مومياء الملك بقناعها الذهبى الرائع وكذا ثروة ضخمة من الحلى بين اللفائف ، وانه لمن المستحيل أن نقدر أهمية هذا الكشف بالنسبة لعلم الآثار ، وكمثال لما كانت عليه الدفنات الفرعونية الأخرى ، ولكن علينا أن نسلم بأن ما أضافه الى معلوماتنا التاريخية تافه ضئيل ، ولقد أشرنا من قبل الى عمر الملك الصغير وكذا الى أمر خلفه الأب الالهى « آى » يقود

الاحتفالات الجنازية ، وبقى لدينا أن نقرر أنه من الواضح أن هـذا القبر المتواضع نسبيا الذى رسد فيه وسط هذه الفخـامة لم يكن له أصلا ، فالهياكل جمعت فى سرعة حتى أنها وجهت الى عكس الناحية التى كان يجب أن توجه اليها (١) ، كما أن التابوت من الكوارتز لم يكن غطاؤه الجرانيتى مناسبا له ، بل هناك دليل أكبر على السرعة التى وسد بها توت عنخ آمون فيـما كان يتمنى أن يكونه « بيـت أبديته » • وليس لدينا دليل بعد هذا نستطيع أن نقدمه عن الدور الذى لعبه آى فى الأمر كله ولكن من المعروف أنه حكم حتى عامه الرابع(٢) حين خلفه حاكم من طراز مختلف تماما •

وعلينا قبل أن نخلف وراءنا آى أن نشـير الى بعض الحقائق التى تجاهلها كثير من المؤرخين ، بينما ظهرت لبعضهم آراء خاصة بها تتعارض مع بعضها البعض تماما • ان هناك على أية حال قرابة ليسـت موضع نزاع بينه وبين يويا الذى رأينـا فيه أبا للملكة تيى ومن ثم كان حميـا لأمنوفيس الثالث (صفحة ٢٢٨) وقدم كل منهما لاسـمه بكنية « أب الاله » التى تظهر فى بعض الأحيـان للدلالة على مركز أكبر بقليل من الرجل المتقدم السن والذى يستمتع بقدر كبير من الاحترام ، ويحمل يويا فى مقبرته فى طيبة لقب « المشرف على الخيل » بينـما نجد أن آى فى العمارنة هو « المشرف على كل جياد جلالته » وهناك ما يسـتلفت النظر أكثر من ذلك هو الرابطة بين كل منهما وبين بلدة اخميم حيث كان يويا كاهنا للاله مين كما كان مشرفا على ماشية الاله (٣) ، وحيث أقام الملك آى هيكل مزار وخلف نقشا طويلا(٤) ، وكما كانت تويا زوجة يويا أما للملكة تيى كانت الملكة تيى زوجة الملك أى مربية للملكة نفرتيتى من قبـل ، ومن ثم فلا عجب أمام هذه الحقـائق أن قدم نيوبرى النظرية القائلة بأن كل من يويا وآى وكذا تويا و تيى هم نفس الأشخاص(٥) ، ومن المفهوم أن الأسماء التى نقدمها ــ فى صورة تقليدية بحته ــ بهذه الطرق المتفاوتة لا تقـف حائلا حقيقيا أمام هـذه النظرية • وطبيعة الكتابة

---

(١) Ann. Serv., XL, 136 ff.

(٢) P.M. V., 22

(٣) Th. M. Davies, the tomb of Iouiya and Touiyou, London, 1907, p. 5, 7.

(٤) P.M., V, 17

(٥) J.N.E.S., XIV, 168, N. 2.

الهيروغليفية فى هـذه المرحلة تجعلنا لا نؤكد أن ما يبدو فى الكتابة « يويا » لا ينطق « آى » والأمر كذلك بالنسبة لأسماء الزوجات • وأما من ناحية التسلسل الزمنى فى رأى نيوبرى الذى لم يقم بنشره شخصيا فالأمر مستحيل تماما ذلك لأن مومياء كل من يويا وتويا • — ومن الواضح أنهما مسنان — اكتشفتا فى مقبرتهما الطيبية ومن ثم فان علينا أن نسلم بأن « يويا » أو « آى » — كيفما يكن النطق الذى نفضله — اضطر قبل موته أن يتخلى عن لقبه الملكى ويتحول الى وظيفة رجل من عامة الشعب • وقد اقترح « الدرد » (١) رأيا معقولا ، مؤداه أن الملك آى هو ابن يويا ولعل هذا يفسر تشابه القابهما وارتباطهما ارتباطا وثيقا بأخميم ولكن هذا الرأى لا يدعمه دليل قاطع • ولسنا بحاجة الى القول بأن المقبرة التى منحها اخناتون الى آى فى العمارنة لم تستخدم اطلاقا • وعند عودة آى الى طيبة وردته الى المذهب القديم أمر بتجهيز مدفن له فى الوادى الغربى فى بيبان الملوك قرب مقبـرة أمنوفيس الثالث (٢) وهى مقبرة صغيرة ليس بها سوى غرفة صغيرة فى نهاية ممر يستطاع الوصـول اليه عن طريق درج على جانبيه زخارف — وأما المناظر الدينية فتشـبه شبها كبيرا المناظر فى غرفة دفن توت عنخ أمون ، ولكن هناك صـورة للملك وهو يصيد الطيور فى المستنقعات لا نرى نظائر لها الا فى مقابر الأفـــراد الذين لا ينتمون الى الأسرة المالكة • وقد أثار اعجاب الأثريين القدامى تابوته المصنوع من الجرانيت الوردى والذى كسر فيما بعـد الى أجزاء كثيرة ، ويلاحظ كذلك أن خراطيشه محيت من مقبرته •

وعلينا الآن أن نسجل حدثا غير عادى يرجع الى الفترة التى أعقبت موت تـوت عنـخ أمون مباشرة وهى عبـارة عن نص بالمسـمارية (الاسـفينية) (٣) يروى قصـة خطـاب موجـه الى الملك الحيثى سوبيللوليوماس من أرملة شابة لايمكن أن تكون سوى عنخ اس ان أمون رغم أن ما يبـدو أن لقبهـا قد اتخذ صـورة محرفة نتيجة خطأ ما ، وهى تذكر فى الخطاب أنهـا لم ترزق بابن وتلتمس من الملك الحيثى أن يرسل لها واحدا من أبنائه ليتزوج بها وتعد بأنه سيعترف به فرعـونا وقد شك سوبيللوليوماس فى صحة هذا الملتمس وأرسل موظفا للتحرى عن حقيقة الأمر ، واحتجت الأرملة باحتقار على اساءة الظن بها وأخيرا

---

(١) J.E.A. XLIII, 30 ff.

(٢) P.M., I, 28, No. 23

(٣) مترجم فى A.N.E.T., p. 319

أرسل الأمير الحيثي الصغير ولكنه قتل في الطريق ، وقد كان من أثر ذلك اشهار الحرب على مصر (١) • وان كنا لا نعرف شـــيئا من هذا عن طريق المصادر المصرية •

وتقـدم ولاية حرمحـــب للعرش خليفة للمـــلك آى بقية للأسرة الثامنة عشرة لا يورد لها مانيتو ذكرا وربما كان له الحق في ذلك ما دامت أسماء الســتة عشر ملكا التى يقدمها افريكاتوس والأربعة عشر التى سجلها يوسبيوس تبدو فى صورة محرفة بشكل لا يصدق فبعضها غير معروف اطلاقا بل أكثر من ذلك نجـــد أن الاسمين الأخيرين يمــكن أن نقرنهما على وجه التأكيد باسمى رمسيس الثانى ومرنبتاح اللذين يظهران من جديد ــ عن حق ــ فى الأسرة التاســعة عشرة ، وقد ذكر حرمحب مرتين احداهما ك « أورس » الذى يأتى مباشرة بعد الأمنوفيس المشــهور لعلاقته بالتمثال المعروف باسم ممنون الصوتى (صفحة ٢٣٢) وثانيهما أرمايس الذى ساواه اليونانيون ب « داناوس » والذى نســـجت حول شخصه وحول شخص أخيه أسطورة معقدة • وأما عن تتابع ملوك الأسرة الثامنة عشرة فالدليل غير مستقى من الآثار فحسب بل كذلك من قائمتى الملوك فى ابيدوس وسقارة التى تتجاهل ــ وهو أمر مفهوم ــ اخناتون وخلفاءه الثلاثة الموصومين بالآتونية ثم تضعان حرمحب عقـــب أمنوفيس الثالث مباشرة وهكذا تتفقان مـــع « أورس » لدى مانيتو ، ومن العجيب انه بينما نجد مانيتو ، كما نطالبه لدى من اقتبسوا منه ، يبدو به تخبط واضح الا أن مدد الحكم فى حالات عديدة تقارب الحقيقة ، ومن ثم فانهـــا رغم أنه لايمكن أن يوثق بها تماما الا أنه لا يمكن تجاهلها تماما كذلك • وربما كان يوسبيوس أقرب الى الحقيقة حين يقـــدم ٣٦ أو ٣٨ سنة ل أورس ذلك لأن لدينا كتابة ترجع الى عامه ال ٢٧ (٢) ، ومن الواضـــح أنه حين ينحدث نص منقوش من عهد رمسيس الثانى عن قضية كأنما حدثت فى العام التاسع والخمسين من حكم حرمحب فان هذا يتضمن الثمانى والعشرين أو الثلاثين سنة منذ موت أمنوفيس الثالث حتى موت آى • وعلينا أن نتــذكر على أية حال أنه يجب أن نقنع فى هذه المسائل التأريخية (المتصلة بالتسلسل الزمنى) بالتقديرات وحدها • وخطاب عنخ اس ان أمون الى سوببللوليوماس يضيف بعض الاثبات ان هو قورن

---

(١) Op. cit., p. 395. 4

(٢) وهو أمر يحتمل الشك على كل حال ، انظر C.O.A., III, 157-8

بخطاب الملك الحيثى الى اخناتون فى أوائل عهده بالحكم . فان نحن قدرنا لاخناتون سبعة عشر عاما ولتوت عنخ أمون ثمانية أعوام فاننا نجـــد أن الخمس والعشرين عاما تقـــع كلهـــا خلال الأربعين سنة ل سوبيللوليوماس (١٣٧٥ ـ ١٣٣٥) كما يقدرها له أو يفترضها العلماء الذين يعملون فى الحقل المماثل من هذه الدراسة .

وانه ليبدو من المناسب الا نعد حرمحب عضوا فى الاسرة الثامنة عشرة أو فى الاسرة التاسعة عشرة أى هو يحتل مكانا منفردا بينهما ـ أما والداه فغير معروفين وليس هناك من سـبب يدعونا الى أن نفترض أن الدم الملكى يجرى فى عروقه وان كان من الممكن أنه كان يجرى فى عروق زوجته موت‌نوزمة ، وليس هناك ذكر لاولادهما وهكذا فانه لايستطاع تأكيد قيام أية قرابة بأول ملوك الأسرة التاسعة عشرة بل ان الأمر غير محتمل حقا . وهناك تمثال جميل فى متحف تورين(١) يمثل الزوج والزوجة معا مـع نص طويل على القـاعدة تروى فيه قصة ارتحاله الى طيبة ليتوج هناك وذلك بعد مقدمة تتصل بالاحـــداث السابقة ، وأبهم التعبير فيها . ونحن نعلم من النص انه كان مواطنا فى بلدة غير مهمة هى « حنس » على الضفة الشرقية من النيل جنوبى القاهرة بمسافة ١١٠ أميال ، وانه يدين بترقيته الى حوريس اله الصقر المحلى ، واللغة المستخدمة لرواية قصة حياته مبالغ فيها كالمعتاد حتى لتجد صعوبة فى الوصول الى حقائق تاريخية ثابتة من ورائها . وهناك اشارة عابرة الى استدعائه للقصر الملكى . حين حل الغضب بالقصر (ربما تشير الى أنه نجح فى مجابهة غضب اخناتون) وهو يقـــول انه « تصرف كنائب ملك فى الأرضين بضع سنين » والفعل المستخدم هنا يتفق تماما والاسم فى لقب « نائب الملك » الذى نجده فى آثار عدة مما يدفعنا الى الظن بأنه كان يدير الحكومة فى الشمال حين كان الملك المهرطق غارقا فى احتفالاته الدينية بعيدا فى الجنوب .

وترجع مقبرة سقارة (٢) الى ذلك الوقت الذى لم تكن هناك لدى حرمحب فكرة عن شغل مكان فى سلسلة الفراعين العظام ، وهناك الى جانب مركزه الهام ك «القائد الكبير لجيش سيد الأرضين» نلتقى بنعوت مثل « ذلك الذى انتقاه الملك من الأرضين لادارة الاقليمين » و « مبعوث الملك أمـــام الجيش الى الاراضى الجنوبيـــة والشـــمالية » ، ولئن لم ينجح

(١) J.E.A., XXXIX, 13 ff. with pl. I

(٢) P.M., III, 195-7, J.E.A., XXXIX, 3 ff.

هـــذا النعت الاخير فى حملنا على تصديقه بالنسـبة للظروف القــائمة اذ ذاك فان نعتا غيره يدعونا الى الامعـــان فى عـــدم تصديقه وهـــو لقب تقليـدى يصـــوره كأنما « يصـــاحب الملك فى روحاته الى البلاد الجنوبية والشمالية(١) . أما النقوش العجيبة فى المقبرة ــ وهى مبعثرة اليوم فى عدة متاحف ــ فتمثله بخاصة كقائد حربى نشيط مما يجعلنا لا ننكر عليه بعض الصدق فيما ينسبه لنفسه من حملات حربية وان لم يبق نص رصين ينهض شاهدا على ذلك ، ومما له أهمية خاصة صورة يبدو فيها حرمحب محملا بالعقود الذهبية وواقفا أمام الملك ــ الذى لم يبق شىء من صورته أو صورة الملكة ــ يعلن زيارة عدد من الأمراء الأجانب(٢) ثم يلتفت نحو عدد من الضباط والموظفين المصريين وينهى اليهم رسالة فرعون ، ونقتبس من النصوص التى نالها الكثير من التهشيم والتى تلحق بالمنظر السابق الفقرات التالية : ــ

و ... (قيل ان(؟)) بعض الأجانب الذين لايعرفون أين جاءوا (؟) بلادهم جوعى ويعيشون كالحيوانات فى الصحراء و (أطفالهم) ؟ .. العظيم فى القوة سيرسل ذراعه القـوية أمام (جيشه ؟ و ـــ) يحطمهم وينهب منهم ويشعل النيران (فى) .. (و) .. الأراضى الأجنبيـــة ــ (؟) يحل آخرين فى اماكنهم .

وهذه الفقرة نقدمها كما تظهر تماما فى الاصــــل بالهيروغليفيــة ، وليس هناك نموذج خير من هذا لبيان حالة الكثير من النصــــوص التى يعتمد عليها المؤرخ لمصر القديمة للوصول الى معلوماته ــ ولقد كان الكثيرون يشكون فى أوائل عهدنا بهذه الدراسة عمـا اذا كان حرمحب صاحب هـــذه المقبرة التى صنعها لنفســه هو حقا ــ رغم جمالها غــير العادى ــ الملك المقبل ، ولكن الواقع أن الصل الذى أضيف فيما بعد الى جبهته(٣) لايدع مجالا للشك .

واذا كانت المقبرة المنفية ــ كما يبدو مؤكدا فى الغالب ــ ترجع الى عصر اخناتون فان مهام حرمحب كانت حربية بصفة أساسية ــ وهناك قطعة أسىء فهمها تحدثنا عن كيفية ارساله كمبعوث ملكى الى اقليم قرص الشمس المشرق وعودته منتصرا ولكن ليست هناك تفصيلات

(١) Gauthier, L.R., II, 382

(٢) J.E.A., XXXIX, 5, fig. 1

(٣) Z.A.S., XXXVIII, 47 ff.

أخرى . أما فى عهد توت عنخ آمون فقد كان موظفا اداريا وهناك تمثال من ممفيس وآخر من طيبة يصفانه ككاتب ملكى يسجل أوامر مولاه(١)، كما أن هناك موكبا جنزيا يمثل فى نقوش مقبرة يظهر فيها وهو يتقدم وزيرين من عصره(٢) »ـ أما تمثال تورين فلا يشير الى علاقاته بـ آى ، ولكنه يسرد كيف أن الاله حورس تقدم به جنوبا نحو طيبة حيث توجه أمون وتقبل شاراته الملكية ثم عاد بعد ذلك الى الشمال مما قد يعنى أنه قرر أن يجعل من ممفيس عاصمة له ـ أما بقية حيـــاته فيبدو أنها كرست لترميم المعابد المخربة الخاصة بالآلهة وبتجديد الرعاية الطقسية لها وبمنحها حقولا وقطعانا ، وهناك أحد التفصيلات ذات الدلالة : ذلك انه يقال انه عين الكهنة من بين خيرة رجال الجيش وفى هذا مايشير الى ان حرمحب لم ينس تنشئته العسكرية ، وهو فى الوقت نفسه لم يكن على استعداد لأن يتسامح فيما تسببه أعمـــال جنده من اساءات ، وهناك لوحة بالكرنك(٣) مشوهة تشويها يدعو للأسى تصف الاجراءات التى اتخذها لتأمين العدالة فى البلاد ، ومن آسف أنه ليست هناك جملة مكتملة بحيث تســـتطيع أن تقـــدم فكرة واضـحة عن الأذى الذى كان يسببه الجنود ونستطيع على الأقل ان نرى ان التصرفات الجائرة كان من أثرها على المواطنين العاديين حرمانهم من قواربهم وحمولاتهم أو ضربهم وسرقة الجلود الثمينة ـ وكانت العقوبات المفروضة بالغة الشدة، وكان المسيئون فى أسوأ الحالات يعاقبون بجدع الانف وينفون الى قلعة مدينة زل على الحدود الآسيوية ، وفى الحالات الأقل شأنا كانت العقوبة الضرب مائة جلدة وفتح خمسة جروح ، ولو كانت هذه النصوص الفريدة قد حفظت لنا فى حال خير من هذه فاننا ربما كنا استطعنا أن نعرف الكثير عن اعادة تنظيم البلاد مثل المحافظة على النظام عن طريق تقسيم الجيش الى قوتين رئيسيتين الواحدة فى الشمال والأخرى فى الجنوب وكل منهما تحت امرة قيادة منفصلة ، أو مثل نظم المحاكم فى المدن الكبرى وبهـا كهنة المعابد وعمد المدن كقضاة .. ومكافأة الذين يؤدون واجبهم بأمانة مكافأة مناسبة يمنحها الملك نفسه .

ولقد كان البنـــاء الشغل الشاغل لحرمحب خلال سنيه الأخيرة من غير شك ، ففى الكرنك اتخذ الخطوة الأولى فخلق بهو الاعمدة الكبير

(١) J.E.A., X, 1 ff.

(٢) Z.A.S., XXXIII, pl. 1, LX, 56 ff.

(٣) U.R.K., IV, 2140 ff.

التى كان اكمالها من نصيب رمسيس الثانى(١) كما تحدث عن نفسه كمشيد للصرحين : التاسع والعاشر الى الجنوب(٢) ، وقد أتاح له الأول الفرصة التى رحب بها لتدمير المنشآت التى أقامهـا اخنـاتون فى أول مراحل حياته الملكية ، هذا الى أنه يبدو ان طريق الكباش الممتـد من الكرنك الى الأقصر يرجع تنفيذه اليه كذلك — وقد اغتصب فى الأقصر من توت عنخ أمون النقوش الرائعة التى كان توت عنخ أمون بدوره قـد اغتصبها لنفسه أو أكملها من امنوفيس الثالث(٣) • ونحن — دون محاولة احصاء أعمـال حرمحب فى أماكن أخرى — يجب مع ذلك أن نشـير الى ال « سبيوس » الرائع فى جبل السلسـلة (٤) حيث وصف — ان صـدقا أو ادعاء — نصره على النوبيين • وقد شيد على الضفة الغربية من النهر فى طيبة معبدا جنزيا كان « آى » قد بدأه(٥) لم يبق منه سوى الأساس ، وقد مول ديفز الحفائر فى بيبان الملوك وأدى ذلك الى الكشف عن مقبرة حرمحب الشاسـعة (٦) التى تغطيها زخارف تركت دون أن تستكمل ، أما التابوت الضخم الذى يشبه تابوت آى شبها كبيرا فلا يزال يحتل مكانه المختار فى غرفة الدفن •

---

(١) P.M. II, 62.

(٢) Seele, Coregency, 7 ff.

(٣) P.M., II, 59 ff.

(٤) Op. cit., II. 102-3

(٥) P.M., V, 208 ff; Wresyinski, II, pl. 161-2

Hölscher, Temples of the Eighteenth Dynasty, pp. 63 ff.

مراجع مختارة

J. D. S. Pend le berry, Tell el-Amarna, **London,** 1935

وهو ملخص عام عن التاريخ والحفائر

N. de G. Davies, The Rock Tombs of El Amarna, 6 vols. **London,** 1903-8

والنصوص فى هذا المرجع الأساسى مذكورة أكثر سهولة فى كتاب :

M. Sandman, Texts from the Time of Akhenaton, **Brussels,** 1938

الحفائر التى اجرتها **Egypt Exploration Society** فى العمارنة ، عدة مؤلفين عن

The City of Akhenaton, 4 vols. **London,** 1923-51

وفي المجلد الثالث مناقشات واسعة للنصوص يقدمها **H. W. Fairman**

واما عن الاشتراك فى الحكم بين امنوفيس الثالث وامنوفيس الرابع فيمكن الرجوع الى

Fairman in **CoA** III. 152-7

فن العمارنة :

The **Mural** Pointing of El Amarnah ed. **H. Frankfort, London,** 1929 :

وهناك مقالات كتبها **H. Schäfer** فى ZAeS LII. 73 ff.; LV. 1 ff.; LXX. 1 ff.

مقبرة توت عنخ امون :

H. Carter, The Tomb of Tutankhamen 3 vols., **London,** 1923-33

Penelope Fox, Tutankhamun's Treasure, **London,** 1951

تابوت اخناتون :

A. H. Gardiner, The so-Called tomb of Queen Tiye **in JEA XLIII,** 10 **ff.**

ولكن انظر كذلك XLV. 10

بعض المقالات الحديثة الجدلية :

K. C. Seele, King Ay and the close of the Amarna Age in JNES XIV. 168 **ff.**

C. Aldred, The End of the ELAMARNA Period, **in** JEA XLIII. 30 ff.

P. van der Meenr, The Chronological Determination of the Mesopotamian Letters in the El-Amarna Archives, **in** Ex Oriente Lux, Joarbericht **No.** 15. 75ff.

حر محاب :

K. PFLUEGER, Haremhab und die Amarnazeit, **Zwichau, 1936**

ثم مقالات كتبها **A. H. Gardiner** سلفت اليها الاشارة في النص في

JEA XXXIX, 13 ff. with Pl. 1

JEA XXXIX. 5 f.g. 1

واما مرسوم الكرنك ففي **W. Helck in ZAS** LXXX, 109 ff.

النوبة :

Nina de G. Davies and A. H. Gardiner The Tomb of Hay, Viceroy of Nubia,, **London**, 1926

الحيثيون :

O. R. Gurney, The Hittites (Pelican Book) **Harmondsworth**, 1952.

١٠ عصر الرعامسة

١ - الأسرة التاسعة عشرة

أصبحت مصر بعد أن أفاقت من الثورة الدينية عالما مختلفا ، وانه ليس من اليسير أن نحدد طبيعة هذه التغيرات تحديدا دقيقا بالنسبة لوجود استثناءات كثيرة ، ومع ذلك فانه من المستحيل ألا ندرك الانهيار الملحوظ للفن والأدب ثم الثقافة العامة للشعب فاللغة التي يكتبونها كانت قريبة جدا من الدارجة وتحوى كلمات أجنبية كثيرة ، ونسخ النصوص القديمة يشيع فيها الاهمال بصورة لا تكاد تصدق وكأنما فشل الكتاب تماما في تفهم مضمونها ، وفي طيبة لم تعد تظهر بالمقابر المناظر المرحة ذات الألوان الزاهية للحياة اليومية وهي المناظر التي تعد من خصائص الأسرة الثامنة عشرة ، ولكنها أصبحت تتركز على المخاطر التي تجابه الانسان في العالم الآخر ، وكانت محاكمة القلب أمام أوزوريس فكرة محببة ، وانا لنرى كتاب البوابات يصور العوائق التي تقابل الميت في رحلة الليل خلال العالم السفلي ، وهناك بقايا ليست كثيرة عثر عليها في منف تظهر بها نقوش أكثر رشاقة من هذه قليلا ٠ أما المعابد في الأماكن الأخرى فعلى جدرانها صور تمثل الحروب وان كانت عملية النحت خشنة نسبيا كما أن الأساطير التي تشرحها يغلب عليها في غالب الأمر عنصر المداهنة أكبر من عنصر الرواية ، ورغم كل شيء فان مصر لا تزال تقدم مظهرا للعظمة الرائعة تجعل للكثرة الوافرة لآثار هذا العصر شهرة لدى السائح اليوم أكثر من الانتاج الأكثر دقة في العصور السابقة ٠

وقد عثر على تمثالين بالكرنك في عام ١٩١٣ (١) يمكن ربطهما باللوحة المشهورة للأربعمائة سنة التي كشف عنها في تانيس قبل ذلك بخمسين سنة (صفحة ١٨٥) وهي جميعا تثبت أن مؤسس الأسرة التاسعة عشرة هو رجل من الركن الشمالي للدلتا كان قد رفعه حرمحب الى وظيفة الوزير - لقد كان براعمسة وهو اسمه قبل ان تسقط اداة التعريف في أول الاسم ليصبح الملك المعروف رمسيس الأول - رجلا من اسرة ضئيلة الشأن نسبيا ولم يكن أبو ستي سوى « قائد جيوش » عادي ٠ ونستطيع أن ندرك

(١) Ann., Serv. XIV, 29 ff.

لماذا رغب حرمحب فى أن يختار معاونه من سلكه الحربى نفسه ، ويصور التمثالان ـ الواحد منهما نسخة طبق الأصل من الآخر ـ براعمسة ككاتب ملكى جالسا القرفصاء كعادة الكتاب ، وتعدد البردية نصف المفتوحة على فخذيه مختلف الوظائف العالية التى رقاه مولاه اليها ـ وقد تضمنت الى جانب الوزارة وظائف المشرف على الجياد وقائد القلعة والمشرف على مصاب النهر وقائد جيوش مولى الأرضين الى جانب العديد من الوظائف الكهنوتية، ولكن لعل أكثر ما يلفت النظر من بينها جميعا دعواه بأنه كان « نائب ملك مصر العليا والسفلى » كما كان حرمحب من قبل . ولقد كان براعمسه رجلا مســنا اعتلى العرش ولم يكن مقدرا له أن يستمتع بسلطان الملك طويلا . فمانيتو ـ كما نقل عنه جوزيفوس ـ لايقدم له سوى عام واحد وأربعة شهور كمدة حكم ، وهى فترة لا تتعارض بالضرورة وتأريخ فى السنة الثانية على الأثر الوحيد المؤرخ من عهده وهو عبارة عن لوحة عثر عليها فى وادى حلفا وموجودة الآن باللوفر (١). ويبدو ان هذه أقامها كذلك ابنه وخلفه ستى (سيتيوس الأول) الذى أقام فى المكان نفســـه لوحة تكاد تماثلها تماما فى فحواها وقد أرخت بالسنة الأولى من حكمه (٢) ، وتسجل هاتان الوثيقتان تأسيس معبد فى بوهن (وادى حلفا) وكذلك تقدمات جديدة للمعبود «من أمون» الذى عين له كهنة عبادة وكهنة عاديون مع عبيد واماء من بين « اسرى جلالته » وعلينا الا نحمل محمل الجد هذه العبارة الأخيرة وذلك بالنسبة لقصر مدة الحكم والواقع أن السلم ربما كان مستتبا فى النوبة حين كان لا يزال بسيور (٣) ابن الملك فى كوش فى عهد حرمحب فى وظيفته ، وآثار رمسيس الأول فى غير هذا المكان بالغة القلة فهناك نقوش قليلة تحمل اسمه على الصرح الثانى بالكرنك وبالقرب منه تشير الى أنه رضى أو اقتنع بالتغير الهائل الذى تم هناك فى بهو حرمحب المفتوح ، الذى يتوسطه صف مزدوج من الأعمدة الضخمة كتلك القائمة بالأقصر فى الصالة الكبرى التى تعد من بين أهم العجائب الخالدة من مصر الفرعونية (انظر لوحة ١٨) (٤) . أما مقبرته فى وادى الملوك فقد صممت لتنافس مقبرة سلفه من ناحية الحجم ولكن العمل توقف فيها بسبب وفاته من غير شك ويمكن أن يرى حتى الآن تابوته عند نهاية الدرج الثانى(٥) . أما التابوت

---

(١) P.M., VII, 130; B.A.R., III, No. 74 ff.

(٢) P.M., VII, 129

(٣) J.E.A., VI, 36 ff.

(٥) P.M., II, 16 (25) - (26), Seele, op. cit., No. 22 ff.

(٤) Bull., Inst. fr. LVI, 189 ff.

الداخلى والمومياء فقد لقيا من المصير ما لقى غيرهما من موميات الفراعين الآخرين فنقلا من مقبرته الى مقبرة سيتوس الأول فى بداية الأمر ثم نقلا من هناك الى خبيئة الدير البحرى الكبرى ٠ (١)

كان الملك العظيم الذى شغل العرش مدى الخمسة عشر عاما التالية أو أكثر ، مشربا بالحب الحقيقى والولاء لأبيه ، ولكن للتقوى البنوية حدودها ، ذلك انه فى المعبد الجنزى الهام الذى بناه سيتوس الأول لنفسه فى القرنة عند أقصى شمال خط المعابد المتاخمة للصحراء الغربية فى طيبة لم يكرس سوى عدد قليل من الغرف لرمسيس الأول(٢) ، واما فى أبيدوس فانه أضاف على أية حال الى معبده الكبير مصلى صغيرا تحليه نقوش ملونة جميلة(٣) ولوحة جميلة فاخر فيها بفضائل سلفه(٤) ، ومع ذلك فلم يكن عرفان الجميل الذى كان سيتوس مستعدا لابدائه نحو أبيه، لم يكن لينفو من اعتبار نفسه مفتتحا لعهد جديد ، وقد ابرز هذا عن طريق اصطلاح « اعادة الولادات » التى أردفها الى تواريخ العام الأول والثانى من سنى حكمه والتى أحلها فى النقش المتصل بلقب « نبتى » (سيدتيه) وأحيانا فى لقبه الحوريسى كما حدث من قبل بالنسبة لأمنمس الأول فى بداية الأسرة الثامنة عشرة (صفحة١٤٦) ولكن ربما كان هناك أيضا سبب اضافى لهذا٠ذلك انه لو كان حساب المؤرخين الفلكيين سليما فان فترة سوثيائية(٥) بدأت حوالى ١٣١٧ ق٠م عقب اعتلاء سيتوس الأول للعرش مباشرة ، ويشير الرياضى السكندرى ثيون الى الفترة السوثيائية بأنها عصر الـ «منوفريس» وقد أوضح « شتروفه » وتابعه « زيته » (٦) ان هذا اللقب الملكى صورة مشوهة قليلا من الصفة « مرى ان بتاح » أى « المحبوب من بتاح » التى نلتقى بها عادة فى بداية الخرطوش الثانى لسيتوس وقد يكون هذا الافتراض سليما أو غير سليم ٠ كان سيتوس غريبا من أقصى الشمال لا يسبقه تسلسل ملكى يستند اليه ومن أجل هذا نراه يقوم بمغامرة حتى لا يبدو كمحدث نعمة ، لم يكن آلهة الأرض قد برئوا تماما مما أصابهم به شركاء اخناتون وقد وجد سيتوس هنا فرصة لاكتساب شعبية ، وليس من شك أنه

(١) J.E.A., XXXII, 27 ff.

(٢) P.M., II, 146 (XXIX)

(٣) Op. cit., VI, 31-33

(٤) Ann, Serv., LI, 167 ff., Rev. d'Eg., XI, 1 ff.

(٥) انظر صفحة ٨٢ ٠

(٦) Z.A.S., LXIII, 45 ff., LXVI. 1 ff.

بهذا الخاطر فى ذهنه عول على ترميم الكتابات المشوهة منعهد أسلافه، ولكن لعـل ابرع حركة قام بها هى اقامة معبد ينافس فى فخامته اعظم هياكل ومصليات المدن الرئيسية ، ولقد كانت أبيدوس المقر المشهور لأوزوريس وظلت دوما المركز المفضل للنشاط المعمارى لدى الفراعين ، ولكن لم يحدث ان واحدا من اسلاف سيتوس استطاع ان يمجد المنطقة بالقدر الذى فعله • فمعبده (١) ، مع الضريح الغامض من خلفه ، ظل حتى اليوم محجا لايستطيع واحد من الزوار المهمين أن يغفله عن قصـد ولا تزال النقوش على الجدران تحتفظ فى كثير من الأحوال بلمعان ألوانها الأصلية وتبدو فى رقة وكمال صناعة تدعو للدهشة ، ونحن على أبواب عصر اضـمحلال لا شك فيه ، ويشير اللقب المتوارث وهو «ستى» ويعنى «الستى» (المنتسب الى ست) الى ولاء لنفس الاله الذى كان قاتلا للمعبود المحلى الموقر ، وكان كل ما رآه واجبا عليه هو أن يترضى أوزوريس أو بمعنى أصح كهانته القوية ، ورغم كثرة ما أنفق على هذا الأثر العظيم فان المعماريين الذين استخدمهم لميعنوا بأن يخصصوا مكانا لـ ست من شاغليه المقدسين، بل انه خلال كتابتهم للقب الحاكم استخدمت صورة أوزوريس فى مكان الصورة الحيوانية لخصمه اللدود ، ومع ذلك فانه لم يسمح لأوزوريس أن يعبد هنا بنوع خاص على حساب ست ، ذلك أن المعبد كان يعتبر بمثابة مصلى وطنيا فقـد أقيمت الى جانب أوزوريس مصليات منفصلة لزوجته ايزيس ولابنه حورس وهؤلاء الثلاثة هم ثالوث ابيدوس القديم ، ولكن كان هناك الى جوار مصلياتهم مصليات أخرى من الحجم نفسه وبالأهمية نفسها كرست للآلهة الثلاثة الهامة فى المدن الرئيسية : لأمون اله طيبة ولبتاح اله منف ثم لرع حراختى اله هليوبوليس ، ولم يكن سيتوس الأول بالرجل الذى يفصل ما بينه وبين هذه الصحبة الفخمة ومن ثم فقد أمر أن يكرس لعبادته الهيكل السابع الواقع الى أقصى الجنوب ، وقد يبدو هذا العمل بالنسبة الى التفـكير الحديث كانما هو وقاحة غير محتملة ، ولـكن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة الى فرعون مصرى • ألم يكن هو منذ زمن بالغ القدم الها عظيما ان لم يكن أعظم الآلهة قاطبة فكيف لا يجب أن يكون له ضريح فى اقدس مكان من الأرضين ؟ وأخيرا يجب ألا ننسى مطلقـا أن الدين الأول اعتنق اعتناقا عاما مقبولا لدى الجميع وان الآلهة جميعا ليذبلون ما لم يعن فرعون بلتبية الاحتياجات اللازمة لقيام عباداتهم •

---

(١) P.M. VI, 1 ff.

وتأسيس المعبد أو بالأحرى اعادة تكريســه كاملا تماما حين ينتهى البناء الفعلى فيعين به كهنة من مختلف المراتب وكذا خدم عاديون لتنفيـذ الواجبات المعتادة لصيانته وتموينه وتخصص له رقعة كبيرة من الأرض لامداده بالموارد اللازمة له ، وفى مقابل ذلك كان يصدر مرسوم ملكى ليحدد حقوق المؤسسة المقدسة وموظفيها • ولقد أشرنا من قبل الى مراسيم ترجع الى نهاية الدولة القديمة كانت تستهدف حماية معبد مين فى قفـــط من التدخل الخارجى ، وقد حفظ لنا لحسن الحظ مرســوم ـ أو أجزاء من مرسوم ـ بما منحه سيتوس الى معبده الجديد العظيم فى أبيدوس ، ومن عجب ان هذا المرسوم نقش على صخرة عالية فى نورى على مسافة قليلة الى شمال الجندل الثالث (١) •• وقد جاء فيه بعد وصف الثراء وجمال المعبد الواقع على مبعدة ستمائة ميل الى الشمال ، فى استهلال شـــعرى طويل الأوامر الصريحة الموجهة الى :

الوزير والموظفين ورجال البلاط ومجالس القضــاء وابن الملك فى كوش وقواد الجيش والمشرفين على الذهب وعمد ورؤساء قرى مصر العليا والسفلى وقادة العربات ورؤساء الاسطبلات وحملة الألوية وكل وكيـــل لبيت الملك وكل شخص ممــن أوفدوا فى مهمة للعرش •

وانه ليكفى هنا أن نشير الى بعض الوســـائل التى كان يمكن عن طريقها نقض امتيازات موظفى المعبد ، ذلك انه كان من الممكن هنا أن يقبض عليهم وان ينقلوا من جهة الى أخرى وأن يكلفوا بالحرث والحصـــاد وأن يمنعوا من صيد الأسماك والطيور وأن تسرق ماشيتهم •••• الخ • هــذا الى أن أى موظف لا يبــاشر تنفيذ العـــدالة ضد المعتدى كان هو نفســه يعاقب عقابا شديدا ، وانا لنرى الفقرة تلو الفقرة تتناول هذه الأمور ، ولكن علينا أن نعترف ان المرسوم فى جملته كتب فى اهمال مما يجعلنا نرى فيه مسحة الصناعة فى التشريع أكثر منه تشريعـــا يتسم بالدقة القانونية •

كان من بين الأتبـــاع فى معبد أبيدوس الذين جاء ذكرهم فى نص نورى غاسلو الذهب الذين كانوا يستخدمون فى المناجم المجاورة للبحــــر الأحمر وكان عملهم ممارسة استخراج المعدن الثمين بازالة المواد الأخف من الحجر المسحوق ، وأما الجانب الأكبر من عمال المناجم الفعليين فقد جاء وصفهم فى فقرة ، رواها ديودورس سيكولس (٣ : ١٢ ـ ١٤) عن

(١) J.E.A., XIII, 193 ff; XXXVIII, 24 ff.

الجغرافى أجاثارخيدس ، ولقد كان من الأهمية بمكان أن يصل هؤلاء الى مقر عملهم دون أن يموتوا فى الطريق ويصف سيتوس فى نص طويل يرجع الى السنة التاسعة(١) وجد منقوشا على جدران معبد صـــغير فى وادى عباد على مبعدة ٣٥ ميلا الى شرق ادفو ، الوســـائل التى اتــخذها لمعالجة مثل هذا الموقف • وهاك فقرة مختصرة تتناول بالوصف أسلوب ومادة الرواية •

توقــف فى الطريق ليستشير قلبــه وقال : ما أتعسه طريقا بغير ماء ، كيف يســـتطيع الناس أن يسافروا فيه ، حقا ان حناجرهم تجف فمـــاذا يطفى سغبهم ــ ان الوطن بعيـــد والصحراء واسعة ••• ويل لذلك الرجل الذى يحس العطش فى هذه المهمة ، ألا فلأفكر فى مصلحتهم ولأدبر الوســـائل للحفاظ على حياتهم حتى يباركوا اســـمى فى السنين المقبلة وحتى تفاخر الاجيال القادمة لى من أجل نشاطى بوصـــفى عطوفا على المسافرين وحانيا عليهم •

ثم يروى سيتوس أمر حفر بئر وتأسيس محـــلة فى هذه الناحية وهناك نقش آخر فى آل «سبيوس » Speos (الكهف) يحذر فيه من يجىء بعده من ملوك ورعاياهم من أن يختلســـوا الذهب الذى يقدم الى معبـــد ابيدوس وينهبه بهذه اللعنة :

وأما من يتجاهل هذا المرسوم فان أوزوريس سيطارده وأما زوجته ايزيس وحورس ابنه والعظماء وسادة الأرض المقدسة فانهم سوف يقومون بمحاسبتهم •

وأما مركز مصر بين جيرانها الشـــماليين فكان قد انهار ، وهو موقف انطلق سيتوس للتو لمحاولة اصلاحه ، وهناك مناظر حربية سجلت عـــلى الجدار الخارجى الشمالى للصالة الكبرى بالكرنك (٢) تضيف الى المناظر التقليدية لشـــجاعة الملك الشـــخصية معلومات كثيرة ذات طابع تاريخى أصيل وليست هذه النقوش عملا فنيا هاما رغم الجياد المتوثبة فى عربة فرعون والتقلصات والالتواءات الأليمة التى تبدو على ضحاياه ولكن شيئا فريدا يبدو فى صورة سيتوس وهو واقف على قدميه وتحت كل من ذراعيه

---

(١) J.E.A., IV, 241 ff.

(٢) Wreszinski, II, Rls 34 ff ; J.E.A., XXXIII, 34 ff.

أسيران سوريان في وضع لا يستطيعان معه حراكا ، وهناك مجموعتان من المناظر تتجهان الى البوابة الرئيسية التى يقف بالقرب منها أمون ليرحب بالمنتصر العائد وليشهد رمز القضاء حتى الموت تقريبـــا على الرؤســـاء المنهزمين ، أما الأسرى الأقل شأنا فيتوالون فى صفوف طويلة وقدرهـــم يترقبهم ليصبحوا عبيدا فى مصانع معبد الكرنك ، وعلى الجانب الشرقى من السجل السفلى يرى الطريق الحربى الذى كان على جيش سيتوس أن يمر به قبل أن يصل الى أهدافه الرئيسية فى سورية الشمالية ، وكانت نقطة التحرك كما كان الحال من قبل بالنسبة لتوثموزيس الثالث وغيره هى قلعة زل (سيلة أو سلة باللاتينية)(١) بالقرب من القنطرة الحالية التى عرفها جنودنا فى الحربين العالميتين • ومن هذه النقطة كان الطريق يمر عبر صحراء لا ماء فيها هى شبه جزيرة سيناء وراء قناة صغيرة تشغل مكانها اليوم قناة الاســـماعيلية • وتبين النقوش (٢) فى نظام صحيح المحطات الصغيرة المحصنة التى بنيت لحماية الآبار التى لا يمكن الاستغناء عنها • وهذه المحطات بالاضافة الى مدينة ضاع اسمها يبدو من الواضـــح أنها رفح على بعد ١١٠ أميال من زل ــ تمثـل أقدم ما يمـكن أن نتخيله لخريطة هذه البقعة من العالم القديم ، وعلى بعـد عشرين ميلا بعـد ذلك توصف مدينة بأنها « مدينة كنعان » وهى غزة الفلسطينية على بعد يســير من الحدود الفلسطينية • ولقد اضطر سيتوس قبل أن يصل اليها الى القيام بمذبحة كبيرة بين الرحل الثائرين من الشوسو الذين اعترضــوا طريقه (٣) • وانه لمن العسير أن نقرر الى أى مدى سارت حملة الســـنة الأولى ما دام السجل العلوى على النصف الشرقى من الجدار مفقـــودا ، ولكنه وصل من غير شك الى لبنان حيث يرى الأمراء هناك يقطعون أشجار الارز والصنوبر التى رأى نفسه فى حاجة اليها لصنع القارب المقـدس وساريات الأعلام لآمون الطيبى ، واما النص الهيروغليفى المصاحب لتلك الصور والذى يصف « صعود فرعون للقضاء على بلاد قادش وبلاد امور » فربما تخص سنة أخرى تالية ، وقادش المذكورة هنا هى بطبيعة الحال المدينة البالغة الأهمية على الأورنت ، أما أرض أمور فهى الاقليم السورى الشمالى المتاخم والذى يمتد الى الشاطىء الشرقى للبحر المتوسط ، وفيما بقى من سجلات نلتقى فى نصف الجدار الغربى بإثنين يسجل أوسطهما

(١) J.E.A., X, 6 ff.

(٢) Op. cit., VI, 99 ff.

(٣) B.A.R., III, No. 88.

معركة ضد الليبيين الذين لم يعرف عنهم سوى القليل منذ الأسرة الثانية عشرة ، وأما السجل الأسفل فيمثل سيتوس يتصارع من الحيثيين الذين كانت قوة امبراطوريتهم تنمو باطراد على يدى مورسيلس الثـــانى ابن سوبيللوليوماس ، من الطبيعى أن تمثل النقوش سيتوس منتصرا • وهناك لوحات من قادش نفسها(١) ومن تل الشهاب(٢) فى حوران تحمل لقب سيتوس ولكنها أقل أهمية من نقشين من عصره عثر عليهما فى بيسان (بيت شين فى التوراة) على بعد ١٥ ميلا الى جنوب بحر الجليل وعلى بعد أربعة أميال فقط من غربى الأردن • وكانت هناك بهذه الناحية منذ عهد توثموزيس الثالث قلعة كبيرة الحجم نسبيا تستقر بها حاميـــــة مصرية ، وكانت بمعبدها الصغير لوحات تتحدث عن أعمال سيتوس فى المنطقة المجاورة، وهناك واحدة من هذه اللوحات تكاد يكون من المستحيل قراءتها ، ومـع ذلك فان جردسلوف (٣) استطاع أن يبرز مهارة فى حلها وقد أشار الى أنها تتناول قوم آل «عابيرو» الذين ناقشنا أمرهم من قبـــل فى صفحة ٢٢٦ ، وأما اللوحة الأخرى فمحفـــوظة خـيرا من صاحبتها (٤) وقــد جاء فيها :

السنة الأولى ، الشهر الثانى من الصيف ، اليوم الثانى ، فى هذا اليوم نمى الى علم جلالته أن العـدو الخسيس الذى كان فى مدينة حماه قد ضم اليه الكثيرين واستولى على مدينة بيت شائيل ثم اتصل بسكان بحل ولم يسمح لأمير رحوب أن يخرج ، وعندئذ أرسل جلالته الجيش الأول لآمون « قوى الأقواس » الى مدينة حماه ، والجيش الأول ل «بورع» «العظيم فى الشجاعة» الى مدينة بيت شائيل ، والجيش الأول لـ «سوتخ» « المنتصر فى الأقواس » الى مدينـة ينوعـام ، ثم كانت فترة يوم ، ولم يلبثوا أن سقطوا تحت سلطان جلالة ملك مصر العليا والسفلى منماعرع ، ابن رع ، ستى مرنبتاح ، ليعط الحياة •

وقد أمكن تحديد الأماكن المذكورة هنا بكثير من الاحتمال وليست هناك واحدة منها تبعد كثيرا عن بيسان ، وقد وصف الاســـتيلاء على ينوعام فى نقوش الكرنك ، ولسنا بحاجة الى التعليق أكثر من أن نشـير

(١) P.M., VII, 392

(٢) Op. cit., VII, 383

(٣) B. Grdseloff, Etudes Egyptiennes, II, Cairo 1949

(٤) P.M., VII, 380

الى الجيوش الثلاثة التى تحمل أسماء آلهة طيبة وهليوبوليس ثم بى رعمسه التى تأتى فيما بعد على التوالى · وسنرى هذه الجيوش تعاود الظهور فى حملة قادش فى عهد رمسيس الثانى ويبدو انها تمثل قيام قوات قوية فعلا فى الجهة الفلسطينية ، وربما كان لدى مصر خلال ربع قرن فى بداية الآسرة التاسعة عشرة من الامبراطورية الأسيوية بقدر ما كان لها فى أية فترة أخرى من تاريخها ، ومع ذلك فانه يظهر ان الادارة الرئيسية كانت فى يد الأمراء المحليين ولم يعد للموظفين المصريين ــ فيما عدا قواد الحاميات ــ أى لقب يشير الى السلطان أكثر من «مبعوث الملك الى كل البلاد الأجنبية » وأما فى النوبة من ناحية أخرى فقد كان الحكام الحقيقيون هم أبناء الملك فى كوش ومع الواحد منهم وكيلاه أو نائباه رغم أن سيتوس اضطر هنا كذلك أن يقوم بعمل حربى ضد قبيلة بعيدة فى العامين : الرابع والثامن من حكمه(١) ·

وليست تبدو أعمال سيتوس الأول فيما عدا معابد القرنة وابيدوس التى سلفت الاشارة اليها وكذا ما أتمه من عمل فى بهو الأعمدة الكبير فى الكرنك ذات أهمية ، ومن ناحية أخرى فان الضريح الذى أمر بحفره لنفسه فى بيبان الملوك هو أروع شىء من نوعه فى الجبانة كلها ؛ اذ يبلغ طوله أكثر من ٣٠٠ قدم وهو مزين ابتداء من مدخله بنقوش ملونة ذات ألوان وضاءة تعدل من ناحية النوع نظائرها فى أثره الفخم فى ابيدوس وأما التابوت المرمرى الجميل فهو اليوم فى حيازة متحف سون فى لندن، وكان قد انتزعت منه الجثة التى وجدت طريقها الى خبيئة الدير البحرى (٢) وكان سيتوس الأول متوسط القامة ولكن الرأس المحفوظ جيدا بفكه الثقيل وذقنه العريض القوى تقدم نموذجا يختلف تماما عما عهدناه بالنسبة لملوك الأسرة الثامنة عشرة ·

· ولئن اقتبست عظمة فرعون مصرى بحجم وعدد الآثار التى خلفت لتخلد ذكراه فان ابن سيتوس وخلفه رمسيس الثانى يوضع فى مرتبة مساوية ان لم يبز أشد بناة الأهرام زهوا · فبهو الأعمدة الكبير فى الكرنك يعد أساسا من أعماله كما ان المعبد الجنازى المعروف بالرمسيوم والقائم على الضفة الغربية من طيبة لا يزال يحتفظ بجانب كبير من

---

(١) Säve. Söderbergh, p. 168

(٢) P.M., I; 175. 18.

ضخامته الأصلية ، وأما فى ابيدوس (١) فان معبده يقف على قدم المساواة مع معبد أبيه الذى قام هو باتمامه ، وأما المنشآت فى منف(٢) فقد تناولها بالتدمير المخربون المتأخرون الذين سعوا فى شراهة للحصول على أحجار البناء ولكن بقايا من تماثيل ضخمة لرمسيس الثانى تنهض دليلا على سبق قيام معبد ضخم له هناك ، وأكثر من ذلك نجد أن هذا يشار اليه فى لوحه مشهورة محفوظة بالمعبد النوبى فى «أبو سمبل» حيث يعترف رمسيس بالبركات والنعم التى أسبغها عليه الاله الممفى بتاح (٣) ٠ وأما عن البقايا فى تانيس فسنتحدث عنها فيما بعد ، وعلى أية حال فان جنونه بالدعاية لشخصه تبدو أكثر ما تكون وضوحا فى النوبة ولئن غضضنا النظر عن أربعة معابد صغيرة هامة كانت لا يمكن أن تمر بالنسبة الى غيره دون اثارة الانتباه أو التعليق فانه لا يسعنا الا أن نردد اعجابنا بالمعبد الرائع فى «أبو سمبل» الذى تتقدمه التماثيل العمالقة الأربعة الجالسة مواجهة للنهر تمثل رمسيس(٤) ، ومع ذلك فانه رغم هذه الهمة البناءة لا نستطيع أن ننكر ان قامة رمسيس الثانى قد تضاءلت نتيجة للابحاث اللغوية التى تمت فى النصف قرن الأخير ، ولقد دفعت الكنية « سيسى » التى عرفت له فى بعض النصوص الأدبية المتأخرة (٥) ، ماسبيرو الى القول بأنه ليس سوى الفاتح سيزوستريس صاحب الشهرة المعروفة لدى الكتاب الكلاسيكيين ونحن ندرك اليوم ان هذه الشخصية نصف الاسطورية قامت كنتيجة لمزج ملكين مختلفين من ملوك الأسرة الثانية عشرة (٦) ٠ ولا تزال أقل الدعاوى مطمعا فى أن يكون هو فرعون الاضطهاد المعنى بهذه الكنية قائمة فى دراسات أقدر الباحثين المتحفظين وان كان ذلك فى صورة معدلة تعديلا كبيرا ، وذلك فى الوقت الذى لا نستطيع أن نغفل تماما قلة من المؤرخين تنتابهم شكوك كثيرة فى قصة الخروج (٧) كلها ، وأخيرا فان السحر الذى أحاط برمسيس الثانى كغاز منتصر قد خفف منه الدليل المستقى من وثائق بوغازكوى ، وعلى أية حال

---

(١) Op. cit., VI, 33 ff.

(٢) P.M., III, 218

(٣) Op. cit., VII, 106; B.A.R., III, No. 394 ff.

(٤) P.M., VII, 95

(٥) Z.A.S., XLI, 53 ff.

(٦) انظر صفحة ١٥٥ ٠

(٧) انظر صفحة ١٧٦ ٠

فان أحداث سنى حكمه السبعة والستين معروفة لدينا كما انها تبدو اكثر تشويقا من أحداث غيره من أنداده فى التاريخ المصرى ٠

وأما عن بداية عهده بالحكم فان مصدرنا الرئيسى هو نص بالغ الطول يعرف لدى جمهرة المهتمين بالدراسات المصرية باسم « كتابه تكريسية » Inscription dédicatoire كما عرفها بذلك أول مترجم (١) لها وهو ج ٠ ماسبيرو وهى تشغل جدارا كاملا فى معبد سيتوس الأول فى أبيدوس وتتضمن ـ أصلا ـ بيانا فيه كثير من الزهو عن فضل رمسيس فى اكمال معبد ابيه الفاخر ، أما الجانب الآخر المخصص للقصة الفعلية فضئيل نسبيا ولكن هناك فقرة هامة تتناول أمر ارتقاء رمسيس فى شبابه الباكر الى مركز ولى العهد وبالتالى اشتراكه مع سيتوس فى العرش ٠

" الاله العالمى نفسه(٢) عظمنى وأنا لاأزال طفلا حتى أصبحت حاكما، انه أعطانى الأرض وأنا لا أزال فى البيضة وتشمم العظماء الأرض أمام وجهى ثم تم اختيارى بوصفى الابن الأكبر لأكون ولى العهد على عرش جب (اله الأرض) ٠ وكنت أقدم تقاريرى عن حالة الأرضين كقائد للمشاة والعربات وحين تجلى أبى فى مجده أمام الشعب ، كنت لا أزال رضيعا على فخذيه وقال عنى : «توجوه ملكا حتى أشهد جماله وأنا على قيد الحياة» ودعا رجال البلاط ليربطوا التيجان على وجهى ثم قال عنى وهو لا يزال على الارض : « امنحوه العظيم المفرد (يعنى صل الثعبان) فوق رأسه » ٠

وقد فندت هذه الواقعة وتناولت المناقشة أمر صحتها ولكن مناقضتها للصدق تبدو غير صحيحة ما دامت المناظر فى الكرنك والقرنة تؤكد اشتراك رمسيس فى العرش مع أبيه (٣) ٠ وربما كان على أية حال اصغر سنا مما تقترحه هذه الفقرة حين بدأ الاشتراك؛ ذلك لأن هناك دليلا على أنه صحب سيتوس فى حملاته الحربية ، بينما كان لا يزال وليا للعهد وكذلك لأن الفقرة التى قدمناها جاء فيها بعد ذلك ان سيتوس زوده بنساء للبيت وبحريم ملكى « مثل فاتنات القصر » مما يشير الى أنه كان يبلغ الخامسة عشرة من عمره على الأقل فى هذه المرحلة ، وعندما نخمن طول مدة الاشتراك يجب علينا أن نتذكر أن رمسيس كان لا يزال أمامه أقل

---

(١) B.A.R., III, No. 259 ff.

(٢) تعد هذه هنا كنية لسيتوس الأول

(٣) Seele, op. cit., pp. 23 ff.

بقليل من سبعين سنة اخرى ـ بدة حكم . ذلك لانه اعتبر سنته الأولى لولاية العرش السنة التالية لموت سيتوس من غير شك ، ويقدم لنا نص ابيدوس كذلك بعض المعلومات المتصلة بتصرفاته الأولى عقب ولاية العرش. فقد جاء الى طيبة كما فعل حرمحب ـ ليقوم بدوره في المعبد الكبير لأمون للاحتفال بعيد «أوبه» حين كان الاله يحمل في فخامته في قارب مواكبه من الكرنك الى الأقصر ، وبعد انتهاء فترة الاعياد انطلق عن طريق النيل الى عاصمته الجديدة في الدلتا وتوقف عند ابيدوس في الطريق ليقـــدم الولاء لأوزيريس اونوفريس وليصدر الأوامر لاستمرار العمل في معبد سيتوس ، وقد منحته هذه الزيارة الفرصة ليعين كاهنا أكبر لأمون رجلا كان يشـــغل من قبل وظيفة الكاهن الأكبر للاله أونوفريس في ثنيس ولحاتحور في دندرة وكذا في بعض الأماكن الأخرى البعيدة الى الجنوب وقد كان هذا الاختيار مما رواه بفخر نب اونننف ـ وهو الكاهن المذكور ـ في مقبرته في طيبة (١) . وتابع رمسيس تقدمه شـــــمالا حتى وصل الى « المكان القوى بى رعمسه ، عظيمة الانتصارات » التى أصبحت منذئذ مع منف بالتناوب ـ المقر الملـكى الرئيسى في الشمال خلال الأسرتين . التاسعة عشرة والعشرين (٢) : ومن المتفق عليه أن هذه المدينة ، وهى رامسس في التوراة ، كانت تقع في مكان حصن الهكسوس الكبير نفسه في افاريس (انظر صفحة ١٨٥) وأن معبودها الرئيسى كان سوتخ وهو اسم ست كما كان ينطق غالبا اذ ذاك ويرى مونتيه كما يرى المؤلف انها لا تعنى شيئا آخر سوى تلك المدينة الكبرى التى عرفت فيما بعد باســم دجعنه ، وهى تانيس لدى اليـونان وصوعن فى التوراة ولا يسع امرؤ يكون قد قام بزيارة المنطقة أو قرأ عن آثارها في الكتب الا أن يبدى تأثره بالمخلفات العديدة هناك من عهد رمسيس الثانى . ومن ناحية أخرى نجد أنه على مبعدة احد عشر ميلا الى الجنوب توجد في ختعنا قنطير أجزاء من قصر جميل من عهد رمسيس الثانى (٣) مزين ببلاط من القاشانى الفاخر يحفز لتأكيد الدعوة المناهضة التى تقدمه بوصفه بى رعمسة الحقيقى « بيت رعمسة » ومن بين الباحثين الآخرين عمل لبيب حبشى بجد وتوفيق حتى عثر على لوحات وأدلة أخرى من بعض النواحى المجاورة تجعـــل

---

(١) Z.A.S., XLIV, 30 ff.

(٢) J.E.A., V, 127 ff ; 179 ff.

(٣) P.M., IV, 9

البندول يتأرجح الى هذه الناحية (١) ، وطبقا لهذه النظرية تكون آثار رمسيس الثانى فى تانيس قد تم نقلها الى هذه الناحية بوساطة ملوك الاسرة الحادية والعشرين الذين عرف عنهم انهم اختاروا هذه المدينة لتكون عاصمة لهم ٠ والنقاش لايزال قائما ولا يستطاع الوصول من ورائه الى رأى بالنسبة لأحد الرأيين ٠

وهناك لوحة جميلة ترجع الى السنة الثالثة ، عثر عليها فى قلعة كوبان فى النوبة السفلى وهى تسجل نجاح حفر بئر فى أرض ايكيتا حيث يوجد الذهب بكميات كبيرة (٢) ٠ وقد أكد ابن الملك فى كوش فى التقرير بأنه حين أرسل عمال الذهب الى هناك لم يصل سوى نصف عددهم وأما الباقون فهلكوا عطشا فى الطريق وأضاف الى ذلك أن البئر التى أوصى بها سيتوس الأول هناك ثبت فشلها بخلاف بئر وادى عباد السالفة الذكر٠ وليس من شك فى أن موارد المعدن النفيس بعيدا فى الشمال كانت قد استنفدت ، ومن ثم فقد أصبحت الضرورة ملحة لاستخدام طريق الصحراء لوادى علاقى الذى ينفتح شرقا بالقرب من كوبان ، وعلى أية حال فانه بالنسبة لنا نجد أن لهذا النص أهمية رئيسية فيما يتصل بتعزيز التعيين المبكر لرمسيس كولى عهد ولمشاركته فى المشروعات الملكية منذ طفولته وقد جاء فى النص انه « عمل كقائد للجيش حين كان لا يزال صبيا فى العاشرة من عمره » وهو أمر ليس مستحيلا فى الشرق حين يفهم على ضوء المؤهلات اللازمة ٠

ونحن نلتقى فى بداية الحكم بأول ذكر لدى المصريين لقراصنة ال «شردن (٣) الذين منحوا اسمهم فيما بعد من غير شك لسردنيا وان كانوا يعيشون على الأرجح فى ذلك العصر فى بقعة أخرى من نواحى البحر المتوسط ، وهناك لوحة من تانيس (٤) تتحدث عن قدومهم « فى مراكب الحرب من وسط البحر وأنه ليس هناك من يستطيع أن يقف أمامهم » ولا بد أنه حدثت معركة بحرية فى مكان ما بالقرب من مصاب النهر ؛ ذلك لأنه بعد ذلك بفترة قصيرة نشهد كثيرين من الأسرى من جنسهم فى حرس فرعون حيث يبدون للعيان بقلانسهم ذات القرون ودروعهم

---

(١) Ann. Serv., LII, 443 ff.

(٢) P.M., VII, 83 ; B.A.R., III, No. 282 ff.

(٣) Onom., I, 194* ff.

(٤) Kêmi, X, 63 ff., with pl. 16

المستديرة وسيوفهم الضخمة الذين يصورون بها وهم يجهزون على الاعداء الحيثيين . وبعد قرن أو أكثر بقليل نلتقى بال شردن يباشرون زراعة أراض خاصة بهم كانت من غير شك بمثابة مكافآت منحت لهم من أجل خدماتهم الحربية ولكنهم لم يكونوا الاجانب الوحيدين الذين استخدمهم رمسيس الثانى فى هذا المضمار فهناك بردية أدبية تصور الحياة فى عهده(١) وتصف قوة بعث بها ، قوامها خمسة آلاف رجل من بينهم الى جانب ٥٢٠ من الشردن ثلاثة أمثال هذا العدد من الليبيين من قبائل قحق ومشوش وكذا ٨٨٠ من النوبيين وكلهم كانوا من غير شك أسرى حرب أو أبناء لأسرى الحرب ؛ لأنه ليس هناك من دليل على أن المرتزقة استخدموا فى ذلك العصر كما يشار الى ذلك خطأ .

ولسنا نستطيع بعد ذلك ان نتمهل فى الاشارة الى الصراع بين مصر والحيثيين ... كان رمسيس يطمع فى أن يكرر ما لقيه أبوه من نجاح فى شمال سورية وكان مواتاللس حفيد سوبيللوليوماس مصرا على الاستمساك بالمعاهدات الكثيرة التى كان قد تم عقدها مع صغار امراء الاقليم . حدثت أول « حملة نصر » كما يشار الى الحملات الآسيوية على نطاق واسع فى النصوص المصرية فى السنة الرابعة حين قاد رمسيس جيوشه على شاطىء فلسطين شمالا حتى نهر الكلب على بعد أميال قليلة وراء بيروت حيث أمر باقامة لوحة فى مواجهة البحر (٢) لا يمكن مطالعة شيء منها اليوم سوى التاريخ وينسب الى العام التالى الصراع العنيف الذى مارس فيه رمسيس قوته الشخصية التى لم ينل منه الجهد اطلاقا فى اعلانها لرعاياه على جدران المعابد التى شيدها ، وتروى القصة فى روايتين منفصلتين تكمل الواحدة منهما الأخرى وقد صورتا فى نقوش منحوتة مصحوبة بالتعبيرات اللفظية ، ولقد كان ما اصطلح عليه دارسو المصريات فى أول الأمر بأنه قصيدة بنتاءور عن نص طويل حسن التدبيج يوصف اليوم ببساطة بأنه « القصيدة » رغم انه ليس فيه من القصيدة أكثر مما فى الوثائق التاريخية الأخرى من عهود أخرى ، واما نسبته الى بنتاءور فقد صرف النظر عنها حين عرف أنه لم يكن سوى الكاتب المسئول عن نسخة معينة احتفظ بها فى بردية يشترك فيها اليوم متحف اللوفر والمتحف البريطانى ، وبالنص قصور فى نماذج الهيروغليفية المقررة وقد

---

(١) A.N.E.T., p. 476

(٢) P.M., VII, 385

أمكن تجميعه من ثماني نسخ فى معابد الكرنك والأقصر وأبيدوس والرمسيوم ، اما النص المختصر فيعرف باسم « التقرير » أو « النشرة » ، وجد كذلك فى المعابد نفسها فيما عدا الكرنك ، ولكن يوجد كذلك بالمعبد الكبير فى « أبو سمبل »(١) ٠

عبر رمسيس وجيشه الحدود المصرية عند سيلة فى ربيع عامه الخامس وبعد مسيرة شهر وصل الى مرتفع يشرف علىقلعة قادش على مبعدة خمسة عشر ميلا ٠ وتقع قادش — وهى اليوم تل نبى مند — فى زاوية بين المجرى الشمالى للاورونت ورافد صغير يدخل من الغرب ، واما أهميتها الحربيه فترجع الى مركزها بالقرب من مخرج أعالى الوادى بين جبال لبنان المسمى بالبقاع ، وكل جيش يتجه شمالا عبر هذا الوادى عليه بالضرورة أن يمر — ان هو أراد أن يتجنب الطريق الضيق الذى تعترضه مصاب الأنهار— بالشاطىء الفينيقى— وقد رأينا سيتوس الأول من قبل يستولىعلى قادش ولكنها أسقطت بعد ذلك فى أيدى الحيثيين— وكانت هىالهدف المحدد لرمسيس كما كانت الموقع الذى منح اسمه للمعركة الكبرى التى قدر لها أن تقع وقد قسم الجيش المصرى الى أربعة أقسام تحمل أسماء أمون وبرع وسنتخ الذين التقينا بهم على لوحة لسيتوس فى بيسان (صفحة ٢٧٩) أما الرابع فأطلق عليه اسم بتاح اله منف الذى يظهر هنا للمرة الأولى ٠ وقد قضى رمسيس الليل فوق قمة التل السالف الذكر جنوب قادش وبكر فى الصباح التالى آملا من غير شك فى الاستيلاء على قلعة المدينة قبل حلول الظلام — وقد نزل على رأس جيش أمون مسافة ستمائة قدم الى مخاضة الأورونت الواقعة الى جنوب شبتونا مباشرة — وهى من غير شك ربلة الحالية — وقد جىء له ببدويين اما قبل أو عقب عبوره النهر مباشرة وحين استجوابهما قررا انهما كانا مع الملك الحيثى وانهما رغبا فى النزوع الى فرعون ٠ كما قررا كذلك ان الحيثيين كانوا لايزالون بعيدين فى أرض خالب (حلب) الى الشمال من تونب٠٠٠٠وقد اندفع رمسيس وحرسه مضللين بهذه المعلومات على رأس بقية الجيش وبدأوا فى اقامة معسكر الى شمال غربى قلعة المدينة على بعد ستة أو سبعة أميال من المخاضة ٠ ومن الواضح ان الحكمة كانت تقتضى انتظار وصول بقية الجيش الى الضفة اليسرى حتى تتقدم كل القوات معا ، ولكن رمسيس بدلا من أن يفعل ذلك ترك مسافة بضعة أميال بينه وبين جيش برع ، بينما كل جيش بتاح لا يزال متأخرا

---

(١) B.A.R., III, No. 289 وانظر كذلك فيما بعد ٢٩١

كثيرا ، وأما جيش سوتخ فكان بعيـــدا جدا بحيث لا يستطيع أن يقوم بدور فى المعركة ومن ثم لم يســمع عنه بعد ذلك ، ولم تتكشف حقيقة الامور للملك حتى جلس على عرشه الذهبى فى مكان معسكره النهــائى حيث قبض على حيثيين من فرق الاستطلاع كشــفا له عن أن كل جيش الحلفاء الآسيويين مختبىء الى شرق قادش وهو كامل العدد معد للمعركة ٠ والواقع ان جهاز المخابرات المصرى كان قد وقع فى خطأ شنيع ، ولم يكن لدى رمسيس وقت تقريبا ليؤنب ضباطه : اذ سرعان ماسقط عليه العدو الذى كان قد دار حول المدينــة من ناحية الجنوب ثم خاض النهر وقطــع عليهم طريق الاتصال بجيش رع وعندئذ أرسل رمسيس وزيره ليستعجل وصول جيش بتاح الذى لم يكن قد خلص بعد من الخروج من غابة روبادى، وارسلت رسالة الى الأطفال الملكيين ليهربوا خلف سياج الدروع التى كانت لا تزال تحيط المعسكر الذى لم يكن قد تم اعداده بعد وليبعدوا عن المعركة بمسافة كافية ٠٠ عند هذه النقطة من الروايتين نرى ان رغبة رمسيس فى التمجيد الذاتى تصبح لها الكفة العليا ، ويبدو الاصرار على ابراز شجاعته الشخصية فى افاضة كثيرة فهو يصف نفســـه كأنما هجره الجيش كله وكأنما أحيط بحشد ضخم من الحيثيين الذين جمع ملكهم الأعوان من بعيد ـ من الغرب عند الشاطىء الايونى وكذلك من المناطق المجاورة الرئيسية فى آسيا الصغرى ، ولعل ترجمة جانب من « القصيدة » تكشف عن الأسلوب الذى يقدم به رمسيس مناجزته الشخصية (١) :

عندئذ قام جلالته مثل أبيه مونت وأخذ عدة القتال وتمنطق بدرعه ٠٠٠ كان كبعل ساعته ٠٠٠ وكان زوج الخيل الذى يحمــل جلالته من الاسطبل العظيم ل « اوسى‌ماعرع » ستب انرع المحبوب من أمون يسميان « النصر ــ فى ــ طيبة » عندئذ انطلق جلالته عدوا وتغلغل فى حشد الأدنياء من خاتى ٠٠٠ كان وحيدا بنفسه ولم يكن معه سواه ٠ وتطلع جلالته ناظرا من حوله ووجد أنه يحيط من جانبه ٢٥٠٠ زوج من الخيل بكل الأبطــال من ادنياء خاتى والبلاد الكثيرة التى كانت معها من ارزاوا وماسا وبيداسا وكشكش وأرون وكيزوودانا وخــالب وأوجــاريت وقادش ولــوكا (٢)

---

(١) Kuentz. pp. 237 ff.

(٢) الأسماء الثلاثة الأولى لبلاد تقع جنوب غربى خاتى وكذا الأخيرة (لوكا الليكيون) اما ال كشكش فهم الجاشجاش فى اللوحات المسمارية من أهالى الشمال الشرقى ٠ أما أرون فلا يمكن تحديدها ـ وكيزوودانا فانها تعنى كيليكيا تقريبا ، وخالب هى حلب ، أما بالنسبة =

كان كل ثلاثة رجال على زوج من الخيل ، بينما لم يكن معى قائد أو سائق عربة أو جندى جيش أو حامل درع ٠٠٠ كانت مشاتى ورجال عرباتى قد ذابوا أمامهم ولم يثبت واحد منهم ليحاربهم عندئذ قال جلالته : « ماذا يؤلمك يا أبى ؟ أمن دور الأب أن يتجاهل ابنه ؟ أقمت بعمل شىء بدونك ؟ ألست أسير وأتوقف بأمرك ؟ اننى لم اخالف أمرا أصـدرته لى ٠٠٠ كم تكون كبيرة أن يسمح المولى العظيم فى مصر للأجانب أن يقتربوا من طريقه ! ماذا يضنى فؤادك أى أمون ؟ ألأن هؤلاء الآسيويين أدنياء يجهلون الاله ؟ ألم أقم لك آثارا كثيرة وملأت معبدى بجزاى وشيدت لك « قصر الملايين السـنين » وقدمت لك كل ثروتى كممتلكات دائمـة واهديتك الأراضى جميعا لتزيد من ثراء تقدماتك وأمرت بأن يضحى لك بعشرات الألوف من الماشية وبان تقدم لك كل أنواع الاعشاب ذات الرائحة الزكية ؟ اننى لم اترك عملا طيبا لم أقم بأدائه فى معبدك فبنيت لك الصروح العظيمة ورفعت فيها ساريات الأعلام بنفسى ، وجئتك بالمسلات من الفنتين ، بل كنت أحمل الحجر بنفسى ، وقدت لك السفن على الأخضر العظيم لتحمل لك منتجات البلاد الاجنبية ٠٠٠ ماذا سـيقول الناس ان حدث شىء ولو ضئيل لمن يستمع لمشورتك ؟ ٠

وهناك أكثر من ذلك فيما يتصـل بهذا الجهد قبل ان يحدثنا كيف أن جلالته دحر الأعداء مفردا وطوح بهم الى الأورونت فماذا حـدث فعلا ؟ انه مما لا يحتمل الشك ، أن الملك المصرى أبدى شـجاعة كبيرة فى تلك اللحظة الحرجة ، ولكن كلا من « التقرير » والمنـاظر المنحوتة توحى بأن ما انقذ الملك هو وصول الجيوش الفتية التى ذكرنا من قبل أنهـا كانت معسكرة فى أرض أمور وذلك فى وقت الحاجة اليها ، ولنا أن نظن انهـا قدمت من مجاورات طرابلس على الطريق الذى يعترضه مجرى اليوثيروس، ومهما يكن من أمر فانهم هاجموا مؤخرة الحيثيين واكملوا عملية دحرهم ، وتسمى المصادر المصرية عددا من الحيثيين البارزين التى تشـير الى انهـم غرقوا فى النهر أو وطئتهم أقدام خيول رمسيس ومن بينهم شقيق الملك الحيثى الذى يوصف كذلك بأنه لم يسهم فى القتال ولكنه توارى فى مكان ما فى المؤخرة ، وأخيرا نجد « القصيدة » تشير الى وصـول خطاب يمتدح فيه الحاكم الحيثى شجاعة فرعون فى أسلوب مبالغ فيه وينهيه بقوله : « ان

= ل «اوجاريت» فانظر صفحة ٢٢٣ أما الدردانى المذكورون فى مكان آخر فى (القصيدة) فهم من غير شك الدردانيون لدى هومر ولتفصـيلات أكثر ارجع الى Onom. I, 123 وانظر كذلك خريطة Gurney, pl., XVI .

السلام خير من الحرب » ٠٠٠ امنحنا نسمة « الحياة » (١) ، ولكن ألواح بوغاز كوى تروى لسوء الحظ رواية تختلف عن هذه الرواية تماما (٢) فعلى أحدها يتذكر خاتوسيلاس ، شقيق موتالليس وخلفه ، أحداث السنين السابقة ويروى كيف هزم رمسيس وتراجع الى أرض آبا (٣) بالقرب من دمشق تاركا فى مكانه نائبا له ، وهناك لوح آخر ينبئنا بأن أمور التى ربما كانت خاضعة لسلطان مصر منذ أيام سيتوس سقطت فى يد موتالليس الذى عين فى مكان ملكها آخر اختاره لها ، ومهما يكن من أمر فاننا لو صدقنا ما جاء بالنقوش المصرية فان رمسيس استطاع ان يحرز العديد من النجاح الحربى بعد قادش ٠٠ ففى العام الثامن قهر مجموعة كاملة من القلاع الفلسطينية بما فيها دابور فى أرض أمور (٤) ، ورأى من الضرورى كذلك العصف بأشقلون التى لا تبعد كثيرا عن الحدود المصرية(٥) ، وان كان هناك ما يشير كذلك الى انه حدث ذات مرة حين كان يهاجم مدينة حيثية فى اقليم تونب انه لم يعن حتى بلبس درعه (٦) ، ومهما يكن مدى صدق كل هذه الأعمال الحربية فان كل شىء يشير الى ضرورة انهاء الصراع الذى لم يكن فى مصلحة احد من الطرفين وسنرى ان هذه الضرورة تحققت تماما بعد ذلك ببضع سنوات ٠

ومن أعظم الروايات التى وصلت الينا عن الشرق الأدنى الكشف عن المعاهدة التى أبرمت فى العام الحادى والعشرين من حكم رمسيس الثانى بينه وبين خاتوسيليس والتى وصلت الينا من عدة نسخ منفصلة عثر عليها فى العاصمة المصرية طيبة وفى العاصمة الحيثية بوغازكوى المدينتين اللتين تبعد الواحدة منهما عن الأخرى بمسافة ألف ميل على ناحيتين متقابلتين من البحر المتوسط ٠ (٧) والنص المصرى مكتوب بالهيروغليفية وتستطاع مطالعته على لوحة مثبتة أمام جدار فى معبد (٨) الكرنك ، أما النص الحيثى فهو أقل كمالا وقد عثر عليه منقوشا على لوحين من الطين مكتوبا بالبابلية الاسفينية وهو ليس نسخة طبق الأصل

(١) Kuentz, p. 319

(٢) للمصادر ــ راجع نهاية الفصل

(٣) هى Ube (أوبا) فى ألواح العمارنة ، انظر Onom., I,, 152*, 181*

(٤) B.A.R., III, No. 365 ff; Wreszinski, II, Pls. 90-91, 107-8

(٥) Op. cit., II, pl. 58

(٦) B.A.R., III, 365; Z.A.S., XLIV, 36 ff.

(٧) J.E.A., VI, 179 ff.

(٨) P.M., II, 49. 2

ولكنه يتضمن الى حد كبير عبارات وتعبيرات متماثلة وهو أمر هام ؛ لأنه يؤكد دقة عمل اللغويين فى حقلين متباعدين من الدراســة ، والنصــان يشيران الى قيام حلف هجومى دفاعى بين الحاكمين ويثبت وجود نظير له فى عهــد سوبيللوليوماس كمــا يؤكد بقاء المحــالفة فى حالة موت أحد المتحالفين فلا يغير الواحد على أملاك الآخر كما ان على الواحد منهما أن يكفل مد يد العون فى حالة المهاجمة من طرف ثالث وهناك اشارة الى تسليم اللاجئين الى أى من الناحيتين على ألا يعاملوا كمجرمين عند عودتهم وتختلف الوثيقة المصرية عن الوثيقة الحيثية من ناحية ذكر الشهود بين آلهــة كثيرين فى البلدين وكذلك من ناحيــة وصف الألواح الفضــية التى يتم تبادلها وليس من شك فى أننا كنا نلتقى بهذه الخاتمة فى الألواح الحيثية لو انها حفظت كاملة ٠

ولقد وجد من حسن الســياسة ان تدعم الصــداقة بين القوتين الكبيرتين اذ ذاك بوسائل أخرى كذلك ، وهناك رسائل مليئــة بالحيوية تم تبادلها بين البلاطين ، وتحوى جزازات بوغازكوى تهــانى لمناســبة قيام معاهدة السلام موجهة الى خاتوسيلاس من زوجة رمسيس الرئيسية نوفريتارى ومن أمه تويا ومن ابنــه ستخى خوبش اف وهناك على الأقل ثمانية عشر خطابا من رمسيس نفسه ، وان كان معظمهما فى حالة ميئوس منها ، ولعل من الأمور البالغة الغرابة والتى تدعو الى الاهتمــام كذلك خطابات تكاد تكون متماثلة (طبق الاصل) أرسلت لا الى خاتوسيلاس وحده بل كذلك الى الملكة بودوخيبــا زوجتــه ، ومن الواضح أن الملكة الحيثية كانت تلعب دورا أهم من الناحية السياســية من الدور الذى كان لملكة مصر وأن كان للأخيرة كذلك نفوذها ومركزها البارزان من جميع النواحى ، وكثير مما جاء بالخطابات بين الحاكمين يتناول امور الزواج الذى كانت تعــد ترتيباته بين رمسيس وابنة خاتوسيلاس ، وقد تم هــذا الارتبــاط فعلا فى الســنة الرابعة والثلاثين حين جيء بالأميرة الى مصر ومنحت لقب ماحور نفر ورع أو مانفرورع ٠ وقــد رويت القصــة فى نصوص كثيرة عرضت نسخ منها لأنظار الجماهير فى الكرنك والفنتين و « أبو سمبل » وعمارة وربما كذلك فى معابد أخرى (١) ، وانه لمن العسير أن نتخيل وسيلة أقل من هــذه لعرض تعبيرات المجاملة بالنســبة لملك أجنبى صديق ويلاحظ أن أكثر من نصف النص الهيروغليفى يكرس لتقريظ كامل لفرعون ، وحين يصــل المؤلف المتذلل الى رواية الواقع نجــد ان

(١) Ann. Serv. XXV. 181 ff. ونص مختصر فى Ann. Serv., XXV. 34 ff.

مضمون ما تقدمه بردية يجيء فيه : كان من عادة الأمراء السوريين أن يرسلوا سنويا جزية للملك المصرى بما فى ذلك أطفالهم ، أما خاتى وحدها فقد ظلت متعالية ومن أجل هذا وجد رمسيس نفسه مضطرا لاستخدام السلاح حتى يتم الاذعان وقد تبعت ذلك سنون من القحط قاست خاتى من جرائها حتى قرر ملكها أن يتفاوض مع عدوه المنتصر ٠

عندئذ كتب ملك خاتى العظيم ســاعيا وراء استعطاف جلالتــه عاما بعد عام ، ولكنه لم يعره التفاتا ، وحين رأوا بلادهــم فى حالة من الدمار بسبب القوة العظمى لسيد الأرضين تحـدث ملك خاتى العظيم الى جنده ونبلائه قائلا : ماذا يعنى هذا اذا كانت بلادنا معزولة وربنا سوتخ غاضب علينا والسماء لا تمنحنا الماء الذى نحن بحاجة اليه ؟ لعله يكون من الحكمة أن نجرد من كل أملاكنا ، وابنتى الكبرى على رأسها ، ونقدم الهـدايا التى تنم عن الخضــوع للاله الطيب لعله يمنحنا الســلام حتى نعيش ٠

وأما تنفيذ هذا القرار فيوصف بتفصيل أكثر من هذا ويبدو الضغط واضحا على صعوبات الرحلة وعن الجبال الكثيرة والممرات الضيقة التى كان يجب على المســافرين أن يخترقوها ، وحين أدرك فرعـون من جانبه ضرورة ارسال جيوش للترحيب بالأميرة ، وحاشيتها خشى المطر والثلج المعتاد فى فلسطين وسورية فى فصل الشـتاء ومن أجل ذلك أقام مأدبة كبيرة لأبيه سوتخ ملتمسا منه أن يتعطف بطقس معتدل ــ وهى معجزة تمت فعلا ــ وكان الوصول الى مصر مناسبة لابداء الفرح الكبير ، ويـرى ممثلو الأمتين يأكلون ويشربون معا وكانوا قلبا واحدا كأخوة ولم تكن هنـاك ضغينة أو سخيمة من الواحد قبل الآخر ٠ ومن حسن الحظ لقى جمـال الفتاة الحيثية قبولا فى عين رمسيس وسرعان ما رفعت الى مركز زوجـة الملك العظمى ، ولئن كان التمثال العجيب لزوجها الملك فى متحف تورين (لوحة ١٧) يروى الحقيقـة فانهما كانا زوجين متآلفين ، ومن الصـدفة العجيبة أن لدينا دليلا على أن هذه الزوجة الاجنبية كانت تؤخذ أحيانـا الى الحريم الذى يحتفظ به الملك فى مى ــ ور وهى مدينة عند مدخـل الفيوم ، وقد عثر بيترى على قطعة من بردية بها قائمة بالملابس والكتان الخاصة بخزانة ثيابها (١) ٠

ورغم أن هذا الارتباط الأجنبى كان كمـا رأينا فريدا فى التـاريخ المصرى وربما تكرر فيما بعد فى نفس العهد (٢) الا أنه ظل فى الذاكرة

---

(١) R.A.D., 23, 23a

(٢) B.A.R., III, No. 427-8

طويلا ويرجع ذلك من غير شك الى أهميته البارزة فى ارتباط الفريقين ، وهناك لوحة جميلة فى اللوفر كانت يقصد بها من قبل أن تروى تذييلا لما يعرف الآن بقصة خيالية متأخرة ، هدفها الاعلاء من شأن الاله الطيبى خونس (١) . وهى تروى كيف ان الأخت الصغرى لزوجة رمسيس الثانى الحيثية ، وتذكر هنا على أية حال كانما هى ابنة ملك لبلاد بعيدة تدعى بختتان .. كانت تتملكها روح شريرة وكيف أن رسولا أوفد الى مصر ليسعى وراء المعونة الطبية . وحين فشل الطبيب الماهر دحوتى أم حب فى شفائها أرسل تمثال الاله خونس نفسه وسرعان ما طرد الروح الشريرة وسواء أكانت هذه القصة غير التاريخية من انتاج العصر البطلمى أم ما قبله فان مادتها مصرية حقيقية فى طبيعتها وتعيد الى ذاكرتنا أمر ارسال عشتار نينوى لشفاء أمنوفيس الثالث .

ولقد كان رعمسيس الثانى فخورا بذريته الضخمة حتى لنرى أنه من الخطأ أن نغفل الاشارة الى الاحصاء الطويل لأبنائه وبناته المنقوش على جدران معابده (٢) ففى وادى السبوع فى النوبة السفلى يذكر أكثر من مائة أمير وأميرة ولكن الفجوات الكثيرة تجعل من المستحيل أن تقدر الرقم الفعلى . ويبدو واضحا من العديد من المعابد أن الابن الأكبر كان « امنحى ون ام اف » ولكن أمه مجهولة وقد مات فى سن مبكرة . وعلينا أن نتذكر أن سيتوس الأول أمد شريكه الشاب بعدد كبير من المحظيات وهؤلاء مسئولات عن هذا العدد الضخم من الأطفال الذين لا نعرف شيئا أكثر من ذلك عنهم ، أما أكثرهم تمجيدا فهم بطبيعة الحال المولودون لرمسيس الثانى من زوجاته الملكيات العظيمات على التوالى وكانت «ايسينوفرة» أما لأربعة يرسمون معها ومع زوجها (٣) — وكان فى مقدمتهم «رعمسة» الذى كان فى وقت ما ولى عهد ، ولكن أخاه الأصغر «مرنبتاح» وهو الثالث عشر فى قائمة الرمسيوم هو الذى عاش ليخلف والده . وكان هناك ابن آخر ربما لم يزعم حقا فى العرش وهو «خع أم ويسة» الكاهن الأكبر (ستم) لبتاح فى منف . وقد كانت له شهرة ضخمة كعالم وكساحر وظلت ذكراه قائمة حتى العصور اليونانية الرومانية (٤) ولابد أنه بهذه الصفة عهد اليه بتنظيم أوائل أعياد سد الخاصة بأبيه ابتداء من

---

(١) Lefebvre, Romans, pp. 221 ff.

(٢) Petrie, History, III, 35 ff. 82 ff.

(٣) Lep. Denkm. III, 174c, 175h

(٤) انظر المراجع فى آخر الفصل وكذا Gauthier, L.R. III, 84 ff.

الأول في العام الثلاثين حتى الخامس فى العام الثانى والأربعين وقد عاش رمسيس الثانى ليحتفل بهـذا العيد اثنتى عشرة بل ثلاث عشرة مرة ٠ وكانت هناك ابنة « ايسينوفرة » تحمل لقبا سوريا هو «بنت عنات»(١) التى تهمنا لسبب معين : ذلك أنها كانت تحمل لقب زوجة الملك العظمى خلال حياة أبيها ولسنا نستطيع أن نتغاضى عن احتمال تزويجها منه ولو بصـفه مؤقتة ، وهناك اشـــارات تتردد أكثر من ذلك خاصـة بالملـكة «نوفريتارى مرى ان موت» (٢) وهى المعروفة فى خطاب بوغازكوى باسم «نابتيرا» ويعرفها علماء المصريات بكونها صـاحبة تلك المقبرة الرائعة فى الضفة الغربية من طيبة (٣) حيث بدىء منذ هذه المرحلة دفن نساء أسرة الرعامسة الملكيات هنا ٠ وكان لرمسيس الثانى نفســه مقبرة فى وادى الملوك كانت فى يوم من الأيام فى مثل اتساع وجمال مقبرة سيتى الأول ولكنها مغلقة الآن بسبب خطورة حالتها ، أما مؤمياء الملك العظيم فلقد لقيت مصيرا مشابها لمصائر الكثيرين من أسلافه ثم وجدت مستقرها فى نهاية الأمر فى خبيئة الدير البحرى (٤) حتى نقلت الى القاهرة مع غيرها من الجثث حيث يمكن أن تشاهد وهى تمثل رجلا مسنا متغضنا ذا وجه ضيق وفك ضخم وأنف بارز ، ولكن تبدو أسنانه المتكاملة فى حالة تدعو للاعجاب ٠

٠ أما بالنسبة لمصر نفسها فقد كان عهد رمسيس الثانى يمثل فتـرة تقدم كبير لا شك فيه فآثار هذه المرحلة مؤرخة أو بدون تأريخ عـــديدة جدا (٥) ٠ ولكنها فى أغلب الأمر صنعت لتخليد أفراد ومن ثم فهى تلقى ضوءا قليلا أو هى لا تلقى ضوءا اطلاقا على حالة البلاد ككل ، واما قيمة المحاولات الحديثة لعمل صورة متلائمة عن طريق الألقاب التى كان يحملها مثل هؤلاء الأفراد فأمر لا ينكر ، ولكن النتيجة التى يمكن الحصـــول عليها من وراء ذلك نظرية بحيث لا تستحق أكثر من لمحة عابرة فى هذا المؤلف ولئن ذكرنا هنا فقط أكبر الموظفين الاداريين ، وهيئـة الكهانة على التوالى فانه يجب ملاحظة أن الوزارات كانت عادة فى أيدى أحد العظماء

---

(١) Op. cit., III, 102-3

(٢) Op. cit., III, 15-7

(٣) P.M., I, 45, No. 66.

(٤) P.M., I, 175, No. 17

(٥) Petrie, History, III, 898 ff.

وحده وان كان هناك فى البدء وزير لمصر العليا وآخر لمصر السفلى (١) ·
وكان كبير كهنة أمون رع فى طيبة يحتفظ من غير شـك بالسـيادة فى محيطه الخاص ولكن وظيفته لم تعد بعد وراثية · وليس هناك تحت أيدينا ما يجعلنا نعرف الى أى مدى ازدادت أملاك الاله أو انتقصت منذ الثورة الدينية (٢) ــ وهناك اثنان من هؤلاء الأحبار العظام (٣) يبدو همهما فى تسجيل الخطى التى اتبعاها والسن التى وصلا اليها وهما يتسلقان الى قمة السلم الكهنوتى ، وهناك استثناء لمثل هذه المعلومات التافهة نلتقى به على جدران مقبرة فى سقارة لواحد كان يشـغل منصب كاتب خزانة معبد منف لبتاح وقد سـجلت هنـا بالتطويل اجـراءات محاكمـة كان موضوعها ملكية رقعة من الأرض فى مجاورات منف ــ وكان الشاكى يدعى موسى (٤) وقد زعم أن قطعة الأرض منحها الملك أموزس مكافأة لسـلفه نشى قائد سفينة ، وقد قامت منازعات كثيرة بشأنها فى الأجيال اللاحقة ، وفى عهد حر محب أرسل مجلس القضـاء الأعلى المنعقـد فى هليوبوليس والذى كان يرأسه الوزير ، أرسل مندوبا الى الاقليم الذى تقع به قطعـة الأرض حيث كانت هناك سيدة تدعى ورنيرو معينة لزراعة الأرض كوكيلة لاخوتها وأخواتها وقد اعترضت على هذا الترتيب أخت لها تدعى تاخارو ومن أجل ذلك حدث تقسيم جديد للضيعة التى لم تكن مقسمة من قبل فوزعت بين ستة من الورثة ، وقدم حوى والد موسى التماسا ضد هذا القرار وشاركته فيه أمه ورنيرو ولكن حوى مات عند هـذه المرحلة ولما اقدمت أرملته نوب نوفره على زراعة الأرض الموروثة لزوجها تعرض لها بالقوة رجل يدعى خاعى وكنتيجة لذلك رفعت نوب نوفرة قضية ضـد خاعى أمام المحكمة العليا نفسها ولكن الحكم صـدر ضدها مؤرخا بالعـام الثامن عشر لرمسيس الثانى · ولما وصل موسى لمرحلة الرجولة التمس تعديل الحكم وتبعت شـهادته على الفور شـهادة المدعى خاعى ··· ومن قضيتهما المشتركة نستطيع أن ندرك ما تم ، ذلك أنه عندما فحص الوزير عقود التمليك أدرك أن هناك تزويرا وعندئذ اقترحت نوب نوفرة ارسال مندوب مع خاعى لمراجعة السجلات الرسمية لخزانة فرعون وللشونة فى العاصمة الشمالية بى رعمسة ولكن الخيبة أصابتها حين لم يوجد اسم

---

(١) Von Beckerath, Tanis, pp. 59 ff.

(٢) Lefbvre, Grands Prêtres, pp. 157 ff.

(٣) Bekenkhons, op. cit.,p p. 132 ff. Roma., Roy. pp. 139 ff.

(٤) لقب موسى هنا يحل محل مس المستعمل من قبل (أنظر نهاية الفصل)

زوجها فى السجلات التى جاء بها الاثنان ــ متواطئين معا ــ وتبعا لذلك أصدر الوزير الحكم ــ بعد تحريات أكثر لصالح خاعى الذى تسلم نتيجة لذلك ١٣ اورورا من الأرض ، وأما بالنسبة لموسى الذى أصر على استعادة حقوقه فانه لم يكن هناك من وسيلة لديه سوى ان يقيم الدليل عن طريق شهود الحلف بأنه من نسل نشى وبأن أباه كان يقوم بزراعة الأرض عام بعد عام وانه كان يؤدى الضرائب عنها ، وكانت الشهادة التى قدمها الرجال والنساء الذين ذكرهم بالاضافة الى الدليل المكتوب السابق تقديمه مما لم يدع بعد مجالا للالتباس بالنسبة لصحة دعواه ورغم أن نهاية النص الهيروغليفى قد ضاعت فاننا لا نشك فى أن المحكمة العليا مع المحكمة الأقل شأنا فى منف أصدرت حكمها النهائى باعادة ميرات موسى اليه ٠٠٠ والقصة الواضحة المليئة بالحيوية التى قدمناها هنا تتناول حقا ضيعة صغيرة ودعاوى ليست ذات أهمية ومع ذلك فان فيها من التدبيج ما يجعل دراستها بكثير من العناية أمرا غير ممكن ، ومع ذلك فهناك نقطة هامة تبرز أمامنا هى مساواة الرجال والنساء بالنسبة للملكية ومن ناحية الأهلية أمام مجلس القضاء ٠

ويبدو أن النصف الثانى من عهد رمسيس الثانى خلا من الحروب الكبرى ذلك أن تودهالياس الرابع ابن وخليفة خاتوسيلاس كان مشغولا بحدوده الغربية وبواجباته الدينية عن أى اتجاه لأهداف عدوانية والواقع أن الامبراطورية الحيثية التى بلغت من القوة مداها أخذت طريقها الى الانحدار ، وعلى أية حال فان مصر بحفاظها على السلام مع خاتى كانت فى الواقع تستبدل بخصمها آخر أشد مراسا ولم يعد الأمر أمر احتفاظ مصر بسيادتها على أقاليم نائية لأن حدودها كانت مهددة فعلا وليس من الضرورى أن نفترض أن التحام سيتوس الأول بالتحنو الذى برزت رسومه بالكرنك فعلا كان حملة حربية كبيرة ، وان حجب المتاعب المتوقعة من هذا الركن قبل مرور زمن طويل ٠ وهناك دليل مكتوب بأن الركن الشمالى الغربى للدلتا كانت تحميه من الغزو الليبى سلسلة من القلاع الممتدة على طول شاطىء البحر المتوسط (١) وقد عثر على عدد من اللوحات من عصر رمسيس الثانى بالقرب من العلمين بل فى أماكن أخرى أبعد من ذلك الى الغرب (٢) ٠ وهناك نص من السبوع فى نوبيا السفلى من السنة الرابعة والأربعين يشير الى أسرى التحنو المستخدمين فى بناء المعبد

---

(١) B.A.R., III No. 580-586

(٢) P.M. VII, 368-9

هناك (١) • وقد تجسم الخطر فى السنة الخامسة من حكم مرنبتاح وكان زعيم العصـابة ماراى بن ديد ملك قبيلة الليبو (الليبيين) التى تظهر للمرة الأولى ، وكان من بين الحلفاء من جنسه قحق ومشـوش السابق ذكرهما ، ولكنه كان قد استدعى لعونه كذلك خمسـة « شـعوب من البحر » (٢) • وهم طلائع الهجرة الكبرى التى سيقدر لها أن تنزل على مصر وفلسطين من الشمال والغرب ، وأسماء هؤلاء المتحالفين بالغة الأهمية ذلك لأنهم ــ شأنهم فى ذلك شأن الدردانيين ولوكا (الليكيين) الذين سندوا الحيثيين فى موقعة قادش ــ يقدمون ، أو يبدو أنهم يقدمون لنـا مجاميع بشرية نعرفها من بواكير العالم الهلينى ، فالاتاواشا الذين يرد ذكرهم هنا ، والذين لن نتصـل بهم بعـد ذلك يمـكن كقاعدة أن نعدهم مساوين بلا تردد للآخيين فى اليـونان الميسينية ولكن الكتابة لا تتناسب وكتابة أهيياوا على الألواح الحيثية التى طال الجدل حولها والذين اصطنعوا كذلك دعوى مساوية لهم • أما لوكا فيبدو أنهم لم يلعبوا سوى دور صغير ولم يرد ذكرهم سـوى مرة أخرى فى الوثائق المصرية ضمن لقب أحـد العبيـد (٣) ، وأما ربط «تورشا» بال تيرسينوى الذين طالما تناول التأكيد اعتبارهم أسلافا للأترسكيين فأمر لا يستطاع التخلى عنه فى يسر ، شأنهم فى هذا شأن « شـكرش » أو « شـكلش » الذين يذكروننا فى اصرار بالسـيكلوى أو الصقليين ، والواقع أن افتراض أن بعض التورشـا والشكلش حاربوا فى صـفوف المصريين يرجع من غير شـك الى ترجمة خاطئة ، ومن سـوء الحظ لا نلتقى بنقوش تصـور مظهر أعداء مرنبتاح هؤلاء ، والمفتـاح الوحيد للتحقق من شخصيتهم فيما عدا أسماءهم هو تلك الدلالة التى نشـهدها من ناحية أن الليبيين كانوا لا يختتنون ومن ثم فانهم كانوا يتعرضون للهوان بأن تقطع الأعضاء التناسلية لمن يذبح منهم وتجمع فى كومات لتقدم للملك ، أما الشردن والشكلش والاتاواشا والتورشا فكانوا يختتنون كما يختتن المصريون منذ عهود بالغة القدم ومن ثم لا ينالهم من الهوان ما ينال أولئك فيكتفى بقطع أيديهم وتقديمها بدلا من أعضائهم التناسلية ، وعلى أية حال فان هـذه الدلالة تعقد المشكلة أكثر مما تقدم حلا لها ، وقد نستطيع أن نجمل الاحتمالات فيما يتصل ب « شعوب البحر » هذه بالقول بأنه ما دامت لأسمائهم هذه المشابهة فى العالم الهلينى فان بعض المقاربة المقترحة تبدو سليمة رغم أنه ليس هناك

---

(١) Bull. Soc., Fr. d'Eg., No. 6 (1951) pl. 1

(٢) Omom. I, 196

(٣) Onom., I, 128

ما يؤكد أن القبائل موضوع المناقشة كانت تستقر من قبل حيث رسا بها المطاف فى نهاية الأمر .

وأما تفصيلات النصر الكبير لمرنبتاح على الغزاة فقد جاءت روايته فى نص طويل منقوش على حائط معبد الكرنك (١) ، ولكن الكتل العلوية لأعمدة الكتابة الهيروغليفية الراسية اختفت ولم تعد هناك بقايا تكفى لاطفاء رغبتنا كما ان الموقف لا يمكن معالجته بروايات أخرى من النوع نفسه نلتقى بها مبتورة فى مكان آخر (٢) ومع ذلك فان ما نستطيع أن نلتقطه مشوق للغاية على أية حال ، فالمحاولة لم تكن مجرد غارة سعيا وراء النهب بل رغبة فى الاستقرار فى وطن جديد ، ولقد جاء « ماراى » وحلفاؤه بنسائهم وأطفالهم معهم كما جاءوا بالماشية وثروة من الأسلحة والأدوات التى تم الاستيلاء عليها فيما بعد . ومع ذلك فان الحاجة هى التى دفعت بهم الى هذه المغامرة .. وهاك الكلمات التى جاءت بنص الكرنك .

انهم قضوا اليوم يجوبون فى الأرض ويحاربون ليملأوا بطونهم كل يوم ، انهم جاءوا الى أرض مصر سعيا وراء الطعام الذى يسدون به أفواههم .

كانت هذه هى طبيعة الليبيين كما بدت لمرنبتاح حين سمع عن الغزوة المؤسية التى جابهته ، ولا بد أن الهجوم جاءه من مكان بعيد فى الغرب ، من برقة وربما من ورائها ما دام التحرك الأول « ماراى » كان يستهدف النزول على أرض تحنو واحتلالها ولم يمض وقت طويل حتى غزوا القلاع الأمامية بل ان بعضهم شق طريقة الى واحة الفرافرة ومع ذلك فان النهر الكبير أو الفرع الكانوبى للنيل جعل حدا لتقدمهم ويبدو ان المعركة الحاسمة — حين حلت ساعتها — تمت فى اقليم غير محدد يدعى « بى ير » يقع فى داخل الدلتا من غير شك ، ومن الواضح أن مرنبتاح لم يسهم بشخصه فى القتال ولا بد انه كان طاعنا فى السن حين ولى العرش ومع ذلك فالنصر نسب اليه بعد أن شهد فى الحلم صورة عظيمة للاله بتاح الذى سلمه سيفا وقال له : « استمسك به هنا وتخل عن قلبك الخائر » وكانت ست ساعات من القتال كافية لهزيمة العدو واستطاع التعس ماراى أن ينجو من الأسر بالهرب الى بلاده فى صميم الليل ، وقد بلغ عدد القتلى من الليبيين أكثر من ستة آلاف بخلاف المئات

---

(١) P.M., II, 49 (6); B.A.R., III, No. 569 ff.

(٢) Ann. Serv., XXVII, 19 ff. Z.A.S., XIX, 118

من الحلفاء ، أما الأسرى فكانوا أكثر من تسعة آلاف ٠٠ وهذه على الأقل هى الأرقام التى نستطيع أن نطالعها فى المصادر المشـــوهة التى تحت أيدينا ، وعلينا من غير شك أن نضع فى الاعتبار المبالغة المعتادة ٠

ونستطيع أن نطالع نشيدا ذا فحوى أكثر وجدانية يتنـــاول نصر مرنبتاح على لوحة كبيرة من الجرانيت كان قد اغتصبهـــا من أمنوفيس الثالث وأمر باقامتها فى معبده الجنازى على الضفة الغربية من طيبة (١) ولئن كان هذا الأثر فى حالته الرائعة من الحفظ لا يضيف سوى القليـــل الى معلوماتنا عن الحقائق المادية الا أنه يحمل الدليل على الخلاص الذى استشعرته مصر عند رد مثل هذا الخطر الفظيع ، وانا لنجد صدى ذلك فى التعبيرات التى تنم عن العرفان بالجميـــل فى النعوت التى تنسـب للملك ٠

الشمس التى أزاحت الغمام العاصف من فوق مصر والتى جعلت «توميرى» ترى أشعة القرص تزيح جبال النحاس عن رقاب أبنـــاء البيوتات ومانح الأنفـــاس للعامة الذين كادوا يختنقون ، محرر قلب حيكوبتـــاح (منف) من أعدائها ٠

وهاك بعض الرذاذ الذى علق بـ « مارى » سيىء الطالع ٠

الرئيس الخسيس لليبو الذى فر تحت جنح الليـــل وحيدا بغير ريشة فوق رأسه وقدماه حافيتان وزوجاته مقبوض عليهن أمام ناظريه ، أخذت منه وجبة طعامه ولم يكن هناك فى سقائه ما يحفظ عليه حياته ٠ وجوه أخوته متوحشة للبطش به وقواده يحارب الواحد منهم الآخر ، أما معسكرهم فقد أحرق وتحول الى رماد ٠

ويقارن ذلك بحالة مصر التى تتسم بالهناء :

حل فرح عظيم بمصر ٠٠ وشاع التهلل فى قرى توميرى ٠٠ انهم يتحدثون عن الانتصارات التى تمت لـ مرنبتاح حوتبحى ماعه فى أرض تحنـــو ٠ ما أحب ذلك الحاكم المنتصر ، وكم هو ممجـــد ذلك الملك بين الآلهة ٠٠ ما أسعد السيد القائد ٠٠ كم هو سار ان يجلس المرء ليطلق للسانه العنان ٠٠ ان المرء يستطيع أن يسير حرا على الطريق دون أن يحل الخوف بقلوب الرجال ٠

وانه ليس من اللازم أن نتابع الترجمـــة فى نص يجرى دوامـــا على هذا النسق ، ومع ذلك فان هناك قرب نهايته فقرة مشهورة جاء فيها :

---

(١) P.M., II, 159 وآخر ترجمة لها فى A.N.E.T., pp. 376-8

الأمراء منبطحون يصرخون طـــالبين الرحمة وليس بين الأقواس التسعة من يرفع رأسه ، لقد دمرت أرض تحنو ، خاتى هادئة ، كنعان قد استلبت فى قسوة ، عسقلون تم الاستيلاء عليها ، و «جازر» قد أخذت ، ينوعام أصبحت كأن لم تكن ، اسرائيل أقفرت وليس بهـا بذرة ٠٠ (١) حور عدت أرملة (٢) ل تومیری ٠

ويعد ذكر اسرائيل هنا فريدا فى الكتابة المصرية وهو أمر أقلق الباحثين عند الكشف عام ١٨٩٦ حتى اعتقد معظمهم ان مرنبتاح هو فرعون الخروج (٣) ، وأما الشروح التى تقدم اليوم فبالغة التباين ، فالواقع ان الاسم لا يرد مرة أخرى فى غير مصادر التوراة حتى بعد منتصف القرن التاسع قبل الميلاد حين ذكر ان ميشـع ملك مؤاب حارب اسرائيل (٤) وأما مرنبتاح فقد مارس فعلا بعض النشاط الحربى فى فلسطين فيؤكده نعت « قاهر جازر » الذى نلتقى به فى نقش فى عمدا (٥) ، وفيما عدا ذلك فان سير الامور فى الجبهة الشمالية الشرقية يبدو أنه ظل سليما وعاديا وهناك مقتطفات من يوميات ضابط على الحدود ارخت بالعـــام الثالث من حكم مرنبتاح تحصى توالى ارسال الرسائل الهامة الى مختلف قواد الحاميات وغيرهم من الشخصيات ومن بينهم أمير صور (٦) ، وقـد عثر على هذه المقتطفات الهامة فى واحد من هذه المجاميع للكتابات المتنوعة التى بقى لدينا عدد منها ٠ ومن الواضح انها كانت بمثابة تمرينات على الكتابة بالمدارس ورغم أنه من التعنت وصفها بأنها وثائق تاريخية الا أنها تلقى ضوءا على كثير من جوانب الحياة المصرية فى ذلك العصر ، ومن بين الفقرات الأخرى من مصـدر مماثل وصفت ـ ان صـوابا أو خطأ ـ بأنها تشير الى اقامة الاسرائيليين فى مصر تقرير لموظف آخر جـــاء فيه (٧) :

انتهينا من السماح لقبائل ال « شوسو » (البدو) الأدومية بتخطى قلعـة مرنبتاح التى فى زيكو حتى بحيرات بى توم مرنبتاح التى فى زيكو

(١) فلسطين وسورية ، انظر P. 226, No. 1

(٢) لعب بالالفاظ لكلمة خور

(٣) أنظر من قبل صفحة ١٧٦ هامش رقم ١ ٠

(٤) A.N.E.T., p. 320 يؤكد ما جاء فى لوك الثانى ٣ : ٤ وما بعدها

(٥) Rec. Trav. XVIII, 159

(٦) Caminos, Misc. pp. 108 ff.

(٧) Op. cit., 293

ليظلوا هم وقطعانهم أحياء بفضل احســـان فرعون الشمس المشرقة على كل أرض ·· العام الثامن ، اليوم الثالث من أيام النسىء ، يوم مولد ست ·

وأما بى توم المذكورة هنا فمن الواضح أنهـا بيثوم التى وردت فى سفر الخروج ١ : ٢ ومهما يكن موقعها الحقيقى فمن المؤكد انهـا فى وادى طميلات المنخفض الخصب ، فى الصحراء التى تفصل الدلتا عن الاسماعيلية ، وأما القول بأن زيكو هى سكوث الخروج فأمر يحتمل الكثير من الشك وأن تقبله الكثيرون ·

وهناك بردية أدبية ربما كتبت فى عهد مرنبتاح تحوى لونا من الانشاء له صنعته التعليمية كما أنه مسل (١) · وفحواه رد كاتب يدعى حورى على خطاب كان تسلمه من صديق له هو الكاتب امنموبى ··· وبعد تحيات ومجاملات مكررة مستفيضة نجد حورى يبدى خيبة أمله ثم يستطرد فى مقال تهكمى ينال فيه من كفاية أمنموبى ، فالمعاونون الذين استدعاهم لمساعدته لم يعملوا لتحسين الأمور ، وتقدم عدة مواقف للتدليل على مثار النقد فامنموبى فشل فى مهمتهلتزويد الجيوش بالمؤن وفى بناء منحدر وفى تشييد تمثال عملاق وهكذا · ولكن أكثر ما يلام عليــــه هو جهله لســـورية الشـــمالية ، وتذكر بهذه المناسبة أســـماء لأماكن كثيرة لم يقم بزيارتها هذا المطالب بمنصب « ماهر » Maher أو أماكن حلت به فيها بعض المتاعب ، ويشير الى أنه لم يصل مطلقا الى بيسان أو يعبر الأرض ، وانه لا يعرف شيئا عن ببلوس أو صـــور ، وأن حصـــانه جمح وعربته تحطمت بل انه لا يعرف حتى المدن القريبة مثل رفح وغزة ، ولسنا بحاجة الى القول بأن الأهداف الرئيسية لتسطير مثل تلك الأمور استعراض من كاتبها لمعلوماته التى يزهى بها ، أما من الناحية التاريخية فان النص يثيرنا من ناحية وجود طبقة من الكتاب الاكفـــاء الذين كانت لهم دراية وثيقة بفلسطين وسورية والذين اعتادوا السفر الى هناك دون أن يصيبهم ضر ·

وهناك من أخريات عهـــد رمســـيس الثانى مصـــدر متباين تماما يمدنا بمعلومات ثقافية وتاريخية له أهمية بارزة تبدأ فى الظهور ، فسواء كان الفرعون يعيش فى هذه المدينة من مدن الدلتا أو تلك ، أو لا ، ويدير الحكم من أى من عواصمها فانه كان يحرص دائما على أن يدفن فى جبـــانة

---

(١) احدث التراجم فى A.N.E.T., pp. 475-9

أسلافه فى طيبة ، ومنذ بداية حكمه نشهد عددا ضخما من العمال المهرة يشتغلون باستمرار بحفر وزخرفة قبره فى بيبان الملوك ، وقد كون هؤلاء الرجال وعائلاتهم جماعة تسكن فى قرية دير المدينة فى مكان عال فى الصحراء فوق المعبد الجنازى لأمنوفيس الثالث وقد كشفت عن جميع مظاهر حياتهم وهواياتهم كتابات عثر عليها هنا أو فى مكان العمل اليومى ولما كانت أوراق البردى نادرة نسبيا ولأنها تتكلف الكثير وتتلف كان معظم ما وصلنا منقوشا على شظايا من الحجر الجيرى ولخاف مما نلقاه مهملا فوق الأرض وهو ما يطلق عليه اليوم علماء الدراسات المصرية اسما غير مناسب هو « أوستراكا » وقد نشرت محتويات آلاف القطع ولا تزال الآلاف الأخرى تنتظر دورها فى النشر مودعة فى متاحفنا أو فى المجموعات الخاصة ، وهناك الى جانب الجزازات التى تتضمن موضوعات أدبية ودينية وسحرية قطع أخرى تسجل عمليات مقايضة أو دفع الأجور حبوبا أو نحاسا أو تأجير حمير للأغراض الزراعية أو قضايا أو حضورا للعمل أو انقطاعا عنه أو زيارة بعض كبار الموظفين أو خطابات نموذجية أو فعلية ٠٠ أو مذكرات من كل نوع فى الواقع ، ولسنا نحاول هنا التوفيق بينها ، ولكننا رأينا من الضرورى ان نشير الى مادة ضخمة يستطاع بوساطتها أن توضع تحت أنظار القارىء الحديث صورة معينة وان لم تكن غير هامة عن الحياة فى عهد الرعامسة ٠

كان مرنبتاح طاعنا فى السن حين مات وكان أصلع ممتلىء الجسم ، ويبدو أن نهايته كانت متوقعة منذ العام الثامن حين كانت الاستعدادات لجنازته قائمة على قدم وساق ومع ذلك فان هذا الأمر لم يتم الا بعد عامين (١) ٠ ولا شك فى ان دفن فى التابوت الجرانيتى الذى لايزال غطاؤه الجميل فى مقبرته فى بيبان الملوك ٠ وقد نقلت مومياؤه فى فترة لاحقة الى مقبرة امنوفيس الثانى حيث وجدها لوريه عام ١٨٩٨ ٠ وبموته ننتقل الى فترة تعاقب فيها عدد من الملوك لم يحكموا سوى مدد قصيرة ، وتناول أمر تتابعهم جدل كثير ، وكانت هذه المشكلة من نوع قاسى منه الكثيرون من دارسى الآثار المصرية ، ويبرز هنا من جديد مسألة الخراطيش المستبدلة فنحن نجد اسما ملكيا يحل محل اسم يمحى ، والنقاش حول هذه العملية غير ثابت كما سلفت الاشارة من قبل ٠ ولئن نحينا جانبا مشكلة تقرير أى الأسماء هو أعلاها ٠ فان هناك احتمالا يبقى دائما أمامنا هو امكان القول بأن هذا الاسم لأقدم الملكين وانه أعيد وضعه نتيجة

---

(١) Caminos, Misc., p. 303

لولاء أو عداء لا نستطيع تقدير مداهما ، وعلى القارىء هنا أن يقنع برواية وتقرير مبسطين كما يبدو أكثر احتمالا بالنسبة لمجرى الأحداث : هناك شك قليل فى أن خليفة مرنبتاح كان ابنه ستى مرنبتاح المعروف فى أغلب الأمر بـ «سيتوس الثانى» ، وهناك اشارةعلى أوستراكا تذكر تاريخ اعتلائه العرش وموته الذى يشار اليه بأنه حدث فى العام السادس من حكمه وهنـاك فى الوقت نفســه رجل يدعى نفرحوتب كان رئيس عمــال الجبانة الذى حل محله آخر يدعي بنيب وجه ضده الاتهام فى الكثير من الجرائم شقيق لـ نفرحوتب يدعى أمن نخته أشار اليها فى تهم بألفاظ عنيفة لا تزال البردية التى تتناولهــا محفوظة بالمتحف البريطانى (١) ولئن صدقنا أمن نخته فان بنيب كان قد سرق حجرا لتزيين مقبرته من مقبرة سيتوس الثانى التى كان لا يزال العمل جاريا فيها • هذا بالاضافة الى اختلاس أو اتلاف متاع آخر يخص الملك نفسه • كما انه حاول كذلك أن يقتل نفرحتب رغم انه هو الذى كان قد علمه ، وبعد أن قتل رئيس العمال بوساطة « العدو » قــدم رشوة للوزير برع أم حب ليغتصب مكانه •• ومهما يكن مدى صدق هذه الاتهامات فانه من الواضح انطيبة كانت تمر بفترة عصيبة وهناك اشارات فى أماكن أخرى الى « حرب » حدثت خلال تلك السنوات ، ولكن معنى هذه الكلمة غامض وربما لا تعنى سوى اضطرابات داخلية وعدم رضا ، وكان نفرحوتب قد شكا من التهجم عليه الى الوزير أمن موزه سلف برع أم حب وكان من نتيجـة ذلك أن أنزل أمن موزه العقاب بـ « بنيب » • فقــدم هـذا المشاغب مظلمة أمام « موزه » الذى خلع الوزير من وظيفته ومن الواضح أن موزه هذا كان شخصية هامة ويبدو أنه لا مفر أن نقرنه بالملك امنمسه الذى لم يعمر فوق العرش طويلا ، والذى جاء حكمه القصير أما قبل أو خلال حكم سيتوس الثانى • وهناك مقبرة لـ أمنمسه فى بيبان الملوك (٢) ، ولكنها مقبــرة ضئيلة الشأن محيت معظم نقوشها وان بقى منها ما استطاع أن يعرفنـا باسم أمه تاخاعه التى ربما كانت ابنة لرمسيس الثانى ، وآثار سيتوس الثانى قليلة ولعل أهمها معبد صغير فى حوش الكرنك ، أما أحداث حكمه فلا نعرف عنها شيئا ، وقد محيت من مقبــرته الخراطيش التى تحمل اسمه وأحل غيرها فى مكانها ، وربما كان المحو من عمل امنمسه ، وقد فحص اليوت سميث مومياءه التى عثر عليها فى مقبرة امنوفيس الثــانى وذكر عنه انه كان صغيرا أو فى أواسط العمر •

---

(١) P. Salt 124, See J.E.A., XV, 243 ff.

(٢) P.M., I, 12, No. 10

وكان خلفه المباشر ابن أعطى فى أول الأمر لقب رعمسة سبتاح ثم غيره لسبب خفى الى مرنبتاح سبتاح قبل العام الثالث من الحكم (١) وهو يرتبط ارتباطا قريبا فى معظم نقوشه القليلة بموظف هام دعى «باى» الذى يفاخر بأنه كان « الخازن » الأكبر للبلاد جميعها » وهناك ما يدعو الى ترجيح القول بأن «باى» هذا كان سورى المولد وربما كان أحد موظفى البلاط الذين كثيرا ما كانوا يستطيعون فى ذلك العصر أن يصلوا الى السلطان والنفوذ عن طريق العطف الملكى عليهم ، وانا لنراه فى كتابتين يحمل صفة بالغة الأهمية هى « من أحل الملك على عرش أبيه » . ويكاد يكون من المؤكد انه كان فى الواقع « صانع الملك » والصفة المذكورة تشير الى أن سبتاح كان ابنا لـ «سيتوس الثانى» . ولكننا لا نعرف من كانت أمه وربما لم يكن هو سوى صبى حين اعتلى العرش ما دام لا يزال يبدو صغيرا حين مات بعد حكم ربما لم يزد عن ست سنوات وعندئذ تبدو على مسرح الأحداث امرأة هامة تحمل لقب « توسرة » وقد عثر تيودور ديفس فى خبيئة فى بيبان الملوك على حلى تشير اليها بوصفها الزوجة الرئيسية لـ سيتوس الثانى وهناك سوار صورت عليه واقفة أمام زوجها وهى تصب النبيذ فى كأسه الممدودة اليها . وانه لمن العجب — كما انه أمر ليست له نظائر من قبل — ان ثلاثة متعاصرين تكون لهم مقابر فى وادى قبور الملوك ، أما مقبرة باى فهى صغيرة وغير مزينه ولكن مكانها ينهض دليلا على السلطان الذى كان يمارسه ، واما مقبرة سبتاح التى كانت مومياؤه بها حتى نقلت الى مقبرة امنوفيس الثانى فتبدو أكثر أهمية ولكن الخراطيش محيت من مكانها على الجدران ثم أعيد وضعها فيما بعد كما هى الحال فى مقبرة سيتوس الثانى وأما مقبرة توسرة فهى أكثر بعثا للحيرة فهى تحمل هنا لقب زوجة الملك العظمى بسبب زواجها من سيتوس الثانى ، ولكن هناك منظرا منعزلا تبدو فيه واقفة خلف سبتاح الذى يقوم بتقديم القرابين لاله الأرض وقد محى اسم سبتاح ووضع اسم سيتوس الثانى فى مكانه وما دام لدينا من الأسباب ما يدعونا الى أن نرجح أن سيتوس كان أسبق الملكين فى الجلوس على العرش فان احلال الاسم بهذه الصورة راجع من غير شك الى « توسرة » التى يبدو انها فضلت فيما بعد أن تصور مع الملك الذى كان زوجا حقيقيا لها .

وقد تلا ذلك ان أخذ العرش ست نختة مؤسس الأسرة العشرين.

---

(١) أنظر J.E.A., XLIV, 12 ff. لكل مايلى .

وربما حطم مومياء توسرة بعد ان نقلت حليها الى المكان الأمين الذى ذكرناه من قبل ، والافتراض الوحيد الذى يبدو انه يضىء الطريق أمام هـــذه الحقائق المعقدة هو أن « باى » أكره الشاب سبتاح على قبول العرش وان توسرة اضطرت لقبول هذا الوضع وان ظلت تحتفظ بسلطة كافية جعلتها تصر على أن يكون لها قبرها فى الوادى وهو شرف نالته من قبلها أنثى ملكية واحدة هى حاشبسوه عمة توثموزيس الثالث • وقد حملت توسرة شأنها فى ذلك شأن حاشبسوه القاب فرعون تبعا لذلك وربما حكمت منفردة ، بضـــع سنوات ، وقد أمر سبتاح بأن يبنى له معبد جنزى صغير الى الشـــمال من الرمســـيوم فى طيبة (١) • وهناك يبدو اســـم باى مع اسمه على ودائع الأساس وهى حقيقة واضحة تفسر الأوضاع التى سبق ذكرها ولم يوجد هناك من توسرة سوى جعل متطفل شـــارد ، وربما بدىء فى معبد توسرة الجنزى الواقع الى جنوب الرمسيوم (٢) فى الوقت نفسه أو فى فترة بعد ذلك بقليل•وقد انتحلت هنا خرطوشا آخر عثر عليه كذلك مرتبطا بالخرطوش الأول على لوحة قيل انها وجدت فى قنطير فى الدلتا وهنـــاك كذلك آثار أخرى قليلة من حكمها فى الشـــمال بل وفى مناجم الفيروز فى ســـــينا (٣) • وينهى مانيتو الاسرة التاســـعة عشرة بملك هوثووريس يذكر انه حكم سبع سنوات ، وهناك شك قليل فى ان هـــذا الاسم المحرف ، والجنس الخطأ ، قد يؤدى الى القول بوجود امرأة ثالثة فى التاريخ المصرى بلغت من القدرة وما جعلها تستولى على التاج المزدوج وان لم يكن لها من السلطان ما يجعلها تؤمن لنفسها اســـتمرار خط الاسرة •

---

(١) P.M., II, 149

(٢) Op. cit., II, 159

(٣) J.E.A., XLIV, 20

مراجع مختارة

النقش التكريسي لرمسيس الثاني في معبد سيتوس الاول بابيدوس :

H. Gauthier, La grande inscription dédicatoire d'Abydos Cairo, 1912 ;

id., ترجمة ZAS, XLVIII. 52 ff.

حرب رمسيس الثاني الحيثية :

J. H. Breasted, The Battle of Kadesh, Chicago, 1903

النصوص : CH. Kuentz, La Bataille de Qadech, Cairo, 1928

A. H. Gardiner, The Kadesh Inscriptions of Ramses II, Oxford, 1960

اللوحات المسمارية ترجمها : A. Götze, OLZ XXXII (1929), 832-8

وكذا ANET p. 319 وانظر كذلك :

E. Edel in Zeitschrift für Assyriologie XLIX, 195 ff.

معاهدة السنة الحادية والعشرين :

أحدث التراجم عن المصرية : J. A. Wilson, in ANET, pp. 199-201

وعن الحيثية : A. Götze, ibia, pp. 201-3

رسائل رمسيس وافراد اسرته الى خاتوسيليس وملكته :

E. Edel in Zeitschrift für Indogermanische Forschungen LX. 72 ff.

رسائل بخصوص الزواج الحيثي :

E. Edel in Jahrbuch für Kleinasiatische Forschung, II. 262 ff.

وكذلك في Ge schichte und Altes Testament pp. 29 ff.

الأمير خع ام ويسة :

F. LL. Griffith, Stories of the High Priests of Memphis, Oxford, 1900, pp. 2-5 studies presented to F. LL. Griffith, London, 1932, pp. 128-34

اعياد «سد» لرمسيس الثاني :

R. Mond and O.H. Myers, Temples of Armant, London, 1940, pp. 143-4

كبار كهنة آمون :

G. Lefebvre, Histoire des grand pr tfes d'Amon de Karnak, Paris, 1929

قضية موزى (موسى) :

A. H. Gardiner, The Inscription of Mes, in Untersuchungen zur Geschichte und Altertums Kunde Agyptens, ed. K. Sethe vol. IV, Leipzig, 1905

وانظر كذلك : R. Anthes Mitt. Kairo. IX. 93 ff.

الليبيون : W. Hölscher, Libyen und Agypter, Glückstadt, 1937

شعوب البحر : G. A. Wainwright in J.E.A. XXV, 148-53.

اللخاف الطيبى ، المنشورات الرئيسية ل :

J. Cerny, G. Posener, A. H. Gardiner

، موجز عام ل : J. Cerny في Chronique d'Egypte, No. 12 (1931) 212 ff.

معبد سيتوس الثاني في الكرنك :

H. Chevrier, Le Temple reposoir de Séti II, Cairo, 1940

نهاية الأسرة التاسعة عشرة :

A. H. Gardiner, Only one king Siprah and Twosre not his wife, in JEA XLIV, 14 ff.

١١ عصر الرعامسة

٢ـ الأسرة العشرون

ليس لدى مانيتو ما يرويه لنا عن الأسرة العشرين أكثر من أنها كانت تضم اثنى عشر ملكا من ديوسبوليس (طيبة) حكموا ١٣٥ عاما طبقا لأفريكانوس، ١٧٨ عاما طبقا ليوسبيوس، ومع ذلك فانها كانت فترة احداث مثيرة ظهر بها على الأقل فرعون واحد قوى ، وقد بقى لنا من هذه المرحلة عدد من الكتابات التى زودتنا بمعلومات مطولة وهامة تتطلب مناقشتها حيزا لا بأس به · وكان اعداء مصر فى الوقت نفسه يقتربون منها ويتربصون بها وكأنما هم نذر الذلة حتى نرى مركزها بعد أقل من قرن من الزمان ينحط الى لاشىء تقريبا ، وعلى أية حال فانه كان يبدو فى أول الأمر ان هناك عصرا من الازدهار غير العادى على وشك البزوغ ، وان رجعة تأمل الى الماضى تضع هذا فى المقارنة الى جانب فترة خيالية كبيرة من الاضمحلال السابقة كفيلة بأن تروى · ولو على سبيل المثال ، تقليدا ظل قائما للكتابة التاريخية الفرعونية (١) :

اضطربت أمور أرض مصر وأصبح كل رجل يضع لنفسه قانونه ولم يكن هناك قائد مدى بضع سنوات سابقة حتى كانت مصر فى أوقات أخرى تضم أمراء ورؤساء قرى ، والرجل يذبح صاحبه سواء أكان من الطبقة العليا أم الدنيا ، ثم جاء وقت بعد سنين فارغة حين أصبح ارسو السورى أميرا معهم وجعل البلاد جميعا تحت سلطانه ·

ويتابع النص الحديث عن سفك الدماء الذى تبع ذلك وعن الاهمال الذى لقيه الآلهة حتى اعادوا السلام بتعيين ست نخته ملكا · وانا لنجد فى هذه الفقرة الغريبة ان الأعمال الرائعة التى تمت فى الأسرتين : الثامنة عشرة والتاسعة عشرة تجوهلت تماما حتى لينتقل الأمر بنا الى سير الأمور الى ماقبل عصر الهكسوس ، ولعل الحقيقة المحددة الوحيدة التى تسجل هنا هى بروز سورى استطاع ان يصل الى مركز السيادة على

(١) P. Harris, 75, 2-5, translated A.N.E.T., p. 260

الأرض قاطبة ، وقد دار نقاش طويل حول شخصية هذا الأجنبي .
ولعل اطرف اقتراح هو مايراه شيرني من انه تبدو هنا اشارة محجبة
ل « صانع الملك » باى الذى سلفت الاشارة اليه في الفصل السابق،
ومع ذلك فان الهدف الوحيد للكاتب هنا هو ان يتناول بالتقريظ الحاكم
الجديد لمصر • ولسنا نعرف سوى القليل عن ست نختة فهو أب رمسيس
الثالث ، وكانت زوجته تدعى تيى مرن ايزه ، ولدينا ما يدعو الى الظن
بأن الفترة بين نهاية الأسرة التاسعة عشرة وولايته العرش كانت
قصيرة وربما لم تزد على عشر سنوات وربما حكم أقل من عامين ، وقد
اغتصب مقبرة توسره ودفن فيها من غير شك ، وقد عثر على تابوته فى
مقبرة أمنوفيس الثانى(١) ولكن لم يعثر على موميائه •

ومهما يكن ادعاء صاحب فكرة الرجوع الى الماضى فان رمسيس
الثالث نفسه كان يقدر عظمة اسلافه الكبار المشهورين فى الأسرة
التاسعة عشرة لأنه حاكى فى لقبه وكنيته واسمه سلفه العظيم رمسيس
الثانى ، وقد أفعمت سنيه الأولى بالأخطار الفظيعة •• حقا ان الجنوب
لم يكن به ما يخيفه ذلك لأن النوبة كانت قد تحولت الى اقليم مصرى ،
واما المناظر التى تمثل معركة فى هذه الناحية فيبدو انها تقليد استعير
من النقوش السابقة (٢) ، واما الصراع الحقيقى الخطر الذى كان على
رمسيس الثالث أن يجابهه فان معلوماتنا عنه مستقاة من كتابات ونقوش
على جدران معبده الكبير فى مدينة هابو وهو المعبد الجنزى الوحيد الذى
يعد خير وأهم ما بقى لنا من نوعه على الضفة الغربية من طيبة • ويقع
هذا الأثر الفخم بصروحه الضخمة وابهاء أعمدته الرائعة داخل أحواش
داخلية وخارجية تقيم الى جانب المصلى الرئيسى نفسه مدينة كاملة من
مساكن الكهنة واتباعهم وكذا حديقة وبحيرة • أما حائط السور الخارجى
من اللبن فكانت توصل اليه قناة تخرج من النيل ، وكان ارتفاعه ٥٩
قدما وسمكه ٢٥ قدما ويزيد طوله من المقدمة الى الخلفية على ٢٠٠ ياردة •
وفى وسط الجانب الشرقى مظهر فريد على هيئة بوابة عالية بنيت
لتمثل احدى القلاع السورية التى طالما شهدتها الجيوش المصرية فى
حملاتها الآسيوية ، ولكن الغرض لم يكن هنا حربيا فالطبقات العليا
كانت مخصصة لسكنى فرعون مع نساء حريمه ، واما القصر الحقيقى
فكان متاخما للجانب الجنوبى من البهو الأول للمعبد وكانت له شرفة

(١) P.M., I, 29, No. 35

(٢) Säve Söderbergh, pp. 173 ff.

يسنطيع ان يخرج الملك اليها ليوزع هداياه على من يود ان يمنحه الشرف من نبلائه ، وليست هناك جدران معبد آخر عليها مثل هذه النقوش البالغة الأهمية ، والنقوش الدينية هي الغالبة طبعا ولكن مناظر الحروب كثيرة كذلك وهي تكمل الروايات المكتوبة في صورة قيمة جدا ، ولعل أهميتها تبرز ما دامت هذه تزداد تضخما ، بينما تكاد تختفي الفقرات الروائية وسط هذه التخمة من البلاغة التي تتسم بالمداهنة والرياء ٠

وتتحدث النقوش الطويلة للسنة الخامسة في أول الأمر عن حملة ضد الجيران الغربيين لمصر المعروفين بالتحنو (١) ، وقد استثير هؤلاء الاقوام بسبب فرض حاكم جديد اختاره فرعون ويبدو أن حكمة الملك التي تردد الثناء عليها في النصوص الهيروغليفية لم تقدر حق قدرها، وتبين الألوان على بعض النقوش أسرى لهم لحى حمراء وخصلات شعر جانبية وأثواب طويلة مزينة وقد ذكرت ثلاث من القبائل هم الليبو أو الليبيون ، الذين لايزالون خالدين في الاسم الذي يطلق اليوم على كل الركن الشمالي الشرقي لافريقيا خارج مصر ثم ال « سبد » الذين لانعرف عنهم شيئا ، وأخيرا ال « مشوش » الذين جاء ذكرهم للمرة الأولى في عهد امنوفيس الثالث(٢) والذين يلعبون منذ هذه اللحظة دورا يزداد أهمية في وثائقنا التاريخية ويظن عادة انهم هم ال « ماكسييس » الذين يحدد هيرودوت (٤ : ١٩١) مناطقهم بجوار تونس (٣) وأما التهديد التالي لمصر فكان أشد عنفا ولم يكن سوى محاولة من احلاف تكونت من مجموعات من الشماليين الذى اعتادوا التجول في البحر للاستقرار في أراضي المراعي الغنية لا في الدلتا وحدها بل كذلك في سورية وفلسطين ، وكان الاستقرار الدائم هو هدفهم وقد جاءوا معهم بنسائهم وأطفالهم في عربات ذات عجلات تجرها ثيران ذات سنام (٤) ٠ ولقد شهدنا من قبل هجمة من هذا النوع اشتركت فيها شعوب البحر والليبيون متحالفين وقد طردهم مرنبتاح ، وتوصف حرب البحر المتوسط الآن ــ وان كانت معاصرة للحرب الليبية في العامين : الخامس والحادي عشر ــ كحادث منفصل ولكنها لم تكن أقل خطرا ، وقد أدى العدوان الرئيسي المؤرخ بالعام الثامن الى نزولهم برا وبحرا في

---

(١) Hist. Rec., pp. 19 ff.

(٢) Onom., I, 119* ff.

(٣) J.N.E.S., X. 91

(٤) Med. Habu (1), pl. 34

الوقت نفسه ، وكان ال « شردن » مرة أخرى بين القوات المعـــادية ونشـــهد للمرة الثانية من جديد جنودا محاربين من هذا الجنس يمثلون وهم يحاربون في صفوف المصريين أو ضدهم ـ اما الامبراطورية الحيثية التي كانت تحتضر منذ زمن طويل فقد تم اجتياحها ولقي المصير نفسه أعوانها الأناضوليون الذين اسهموا في معركة قادش ؛ ومن بين الاعداء الذين وقفوا أمام مرنبتاح كان لايزال الشكلش يلعبون دورا في أغلب الأمر ، اما ذكر قبيلة جديدة تدعى « وشش » فربما لم يكن ســـوى اسم من أسماء الأعلام (١) ولعل مما يثير انتباه دارسي الحضارة الاغريقية والمستشرقين ثلاثة شعوب جديدة تبرز هنـــا للمرة الأولى وان كان من الممكن أن يكون دانو أو دانونا ـ وهم الداناوى في الالياذة ـ هم الذين ورد ذكرهم مرة في خطابات العمارنة (٢) • وأكثر أهمية من هؤلاء على أية حال ال « بلست » وال « زكار » لأن دخول هذه القبائل الى فلسطين نجح الى حد ما واتخذ صفة الاستمرار والاستقرار • وهناك رواية ترجع الى مابعد ذلك بقرن تقريبا تصف الزكار (٣) كأنما هم قراصنة بحريون يحتلون ميناء دور ولكننا لانعرف عنهم أكثر من ذلك أو أكثر من الاسم الذي يحملونه ، أما البلست (٤) فهم الفلســـطينيون الذين نعرف عنهم فيما بعد صراعهم مع الاسرائيليين وهزيمتهم على ايديهم أو هزيمتهم لهم وهم من منحوا اسمهم لفلسطين والذين تتناولهم أحاديثنا اليوم بطريقة تدعو الى الانتقاص من قدرهم بغير حق ، ومن المتواتر أنهم جاءوا من كفتور أو كريت ولكن ربما كانت هذه مرحلة فقط من مراحل تجوالهم في هجراتهم • وهم يبدون في نقوش مدينة حابو مع الزكـــار وهم يضعون ريشا في غطاء رءوسهم ويحملون دروعا مستديرة •

وقد وصفت هذه الشعوب المعادية لمصر وصفا رائعا في النقوش المصرية ، ونخص بالذكر الصور التي سجلت المعركة البحرية الفريدة في نوعها وقد امتزجت النصوص المكتوبة بحديث ملء بالزهو موجــه من رمسيس الثالث الى ابنائه ورجال بلاطه والمقتطفات التالية حذفت منها جمل لا نستطيع أن نخلص منها بحقائق تاريخية (٥) •

(١) J.E.A., XXV, 148 ff.

(٢) Onom. I, 124* ff. ولكن انظر كذلك Gurney, pp. 42-43

(٣) Onom, I, 199* f.

(٤) Op. cit., I, 200* ff.

(٥) Hist. Rec. pp. 53 ff.

قامت البلاد الأجنبية بمؤامرة فى جزرهم ، وقد زعزعت المعركة وبعثرت البلاد كلها فى وقت واحد ، ولم تكن هناك أرض تستطيع أن تقف أمام أسلحتهم ، وقد ابتدوا بخانى وقودى وقرقميش وارزاوا وألاسيا ... اقيم معسكر فى مكان فى أمور وقضوا على شعبها وأرضها فأصبحوا كان لم يكن لهم وجود من قبل .. ثم جاءوا ، واللهب معد أمامهم متقدمين نحو مصر وكان حلفهم مكونا من بلست وزكار وشكلش ودانو ووشش متحدين جميعا ووضعوا أيديهم على البلاد جميعا الى محيط الأرض كلها وقلوبهم تردد فى ثقة « لقد نفذنا خطتنا » ولكن قلب هذا الاله ، سيد الآلهة ، كان مستعدا ومجهزا لاقتناصهم كالطيور ، لقد دعمت حدودى فى زاهى (١) وأعددت أمامهم الأمراء المحليين وقواد الحاميات والماريانو (٢) وأمرت بأن يجهز مصب النهر ، كسور قوى بالسفن الحربية والغلايين والزوارق التى كانت معدة اعدادا تاما من قبل ومن بعد بالشجعان من الرجال الذين يحملون أسلحتهم ومن المشاة من خيرة المصريين الذين كانوا كالأسود المزمجرة فوق الجبال ، أما العربات فكان بها المحاربون الاكفاء وكل الضباط الممتازين ذوى الأيدى القادرة وكانت خيولهم ترتعد كل مفاصلها مستعدة لسحق البلاد الأجنبية تحت حوافرها .

ثم يقارن رمسيس نفسه بعد ذلك بمونت اله الحرب ويعلن ثقته فى قدرته على انقاذ جيشه .

أما عن أولئك الذين وصلوا الى حدودى فليست فيهم بذرتهم .. قلوبهم وأرواحهم انتهت الى الأبد .. أولئك الذين تقدموا من ناحية البحر .. كان اللهب الكامل أمامهم عند مصاب النهر وكان سياج من الحراب يحيط بهم على الشاطىء .

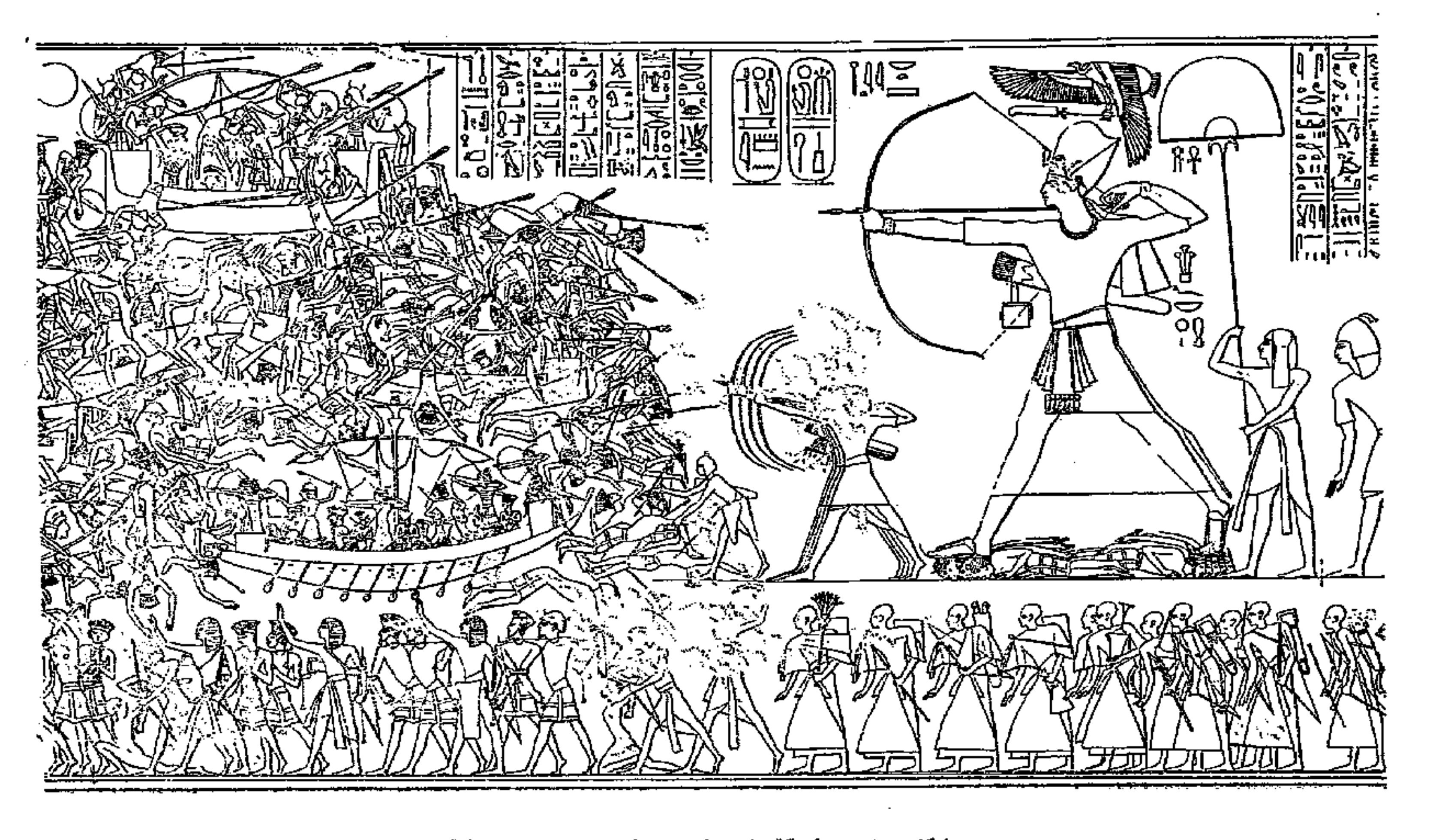
أما عن تفصيلات الهزيمة البحرية فمن الأفضل أن نلجأ الى النقوش أكثر مما نعتمد على الوصف اللفظى وان كانت النتيجة قد وضعت فى الأخيرة بهذه الكلمات الدقيقة (٣) :

---

(١) Palestine and Syria, see Onom, I, 145*

(٢) انظر من قبل صفحة ٢٢٦ .

(٣) Hist. Rec. p. 42



شكل ١١ ـ المعركة ضد شعوب البحر (صورة جزئية)

« جهزت لهم شبكة لاقتناصهم فكان من دخل منهم الى مصـــاب النهر يحصر ويسقط فى داخلها ثم يقيدون فى أماكنهم ويذبحون ثم تقطع جثثهم » وقد عمل الفنان على المزج فى صورة واحدة (١) بين مختلف وجوه العملية فنحن نرى الجند المصريين فى أول الأمر يهاجمون فى غير انزعاج من فوق سفنهم ويرى فى مواجهتهم قارب يحمل جند الأعداء فى أقصى حالات الاضطراب وهم مقبلون عليهم بقيود حديدية وقد سقط اثنان منهم فى الماء ، بينما يتطلع واحد الى الشاطىء يلتمس الرحمة من الفرعون ، وهناك قارب آخر من قواربهم يظهرون فيه وقد انهالت عليهم السهام من ناحية البحر كالمطر ثم يستدير الأسطول المصرى عائدا الى الوطن وهو يحمل العديد من الأسرى المقيدين بغير حول ، وأحدهم يسعى للهرب فيقبض عليه جندى على الشاطىء ؛ وفى الطريق الى الجنوب نشهد قاربا مقلوبا وقد طرح برجاله جميعا الى الماء وكانت هزيمة الغزاة كاملة وكانت تســـع من السفن وحدها كافية لتقص القصة ، ولم يبق الا تصوير تقديم الأسرى الى أمون رع ثم بقية تفاصيل النصر .

ومع ذلك فان متاعب مصر الخارجية لم تكن قد انتهت بعد ؛ ذلك انه فى العام الحادى عشر تجدد الخطر الليبى ويحدد العدو هنا بأنه ال « مشــوش » ونلتقى بتقرير (٢) عما قام به رمسيس بالنســـبة لهذه الشعوب ، فى الجزء الختامى من البردية الكبرى التى نقلنا عنها فى بداية هــذا الفصـــل الجزء المتصل بالعودة الى القــديم والتى سنقتطف بعض ما جاء بها فيما يلى :

« كان الليبــو والمشوش مســتقرين فى مصر وكانوا قد استولوا على كل الرقعة الواقعة غرب حيكوبتاح (منف) حتى قيروبن (٣) ووصلوا الى النهر الكبير (٤) من كل جوانبه ، وكانوا هم أولئك الذين خربوا مدن اقليم اكسويس (٥) مدى بضع سنوات حين كانوا بمصر ... هاك اننى قد قضيت عليهم وذبحتهم بضربة واحدة ، ولقد أذللت المشوش وليبو واسبات ـ وقيقاش وشايتب وهاسا وبقن وجعلتهم غارقين فى دمائهم

---

(١) Nelson in J.N.E.S., II, 40 ff. وجزء منه هنا فى شكل ١١

(٢) B.A.R., IV, §§ 405

(٣) يظن انها قرب « أبو قير » .

(٤) الفرع الكانوبى للنيل ، أبعد الفروع غربا .

(٥) سخا الحالية على الفرع الكانوبى

مكومين بعضهم فوق بعض ، لقد جعلتهم يرتدون عن وطء حدود مصر، ومن بين ما استنقذهم سيفى أخذت اسرى وربطتهم كالطيور أمام خيلى، وكان هناك عشرات الآلاف من نسائهم وأطفالهم ، وكانت تعد مواشيهم بعشرات الآلاف ، واحللت قادتهم فى معاقل تحمل اسمى ، وعينت عليهم قواد جيش ورؤساء قبائل ثم دفعتهم محولا اياهم الى عبيد موسومين باسمى وقد عوملت نساؤهم وأطفالهم بنفس المعاملة ، أما ماشيتهم فقد حملتها الى بيت أمون وجعلتها قطعانا أبدية له » ٠

وهنـاك نصـان كبيران فى مدينة هابو أرخا بالسـنة الحـادية عشرة (١) يتناولان فى افاضة المعركة نفسها ، ولكن لغتهما الفياضـة التى تضم الكثير من الكلمات الأجنبية غير المعروفة لاتقدم معلومات تعدل المعلومات التى نلتقى بها فى الفقرة السابقة ٠ ومع ذلك فهناك شىء واحد أضيف ، ذلك أننا نعلم أن « مشر » رئيس الـ « مشوش » أخـذ اسيرا وان أباه «كبر » التمس الرحمة بغير طائل وقد وصف ذلك الأمر كذلك فى منظر أخاذ (٢) حيث تحصى ايدى المذبوحين وأعضـاؤهم التناسلية وكذا الأسرى والأسلحة التى أخذت كغنيمة والماشية التى ضمت قطعان اله طيبة وتلك التى تم التصرف فيها ، والارقام المسجلة ليست بعيدة التصديق تماما وان كانت ضخمـة ، وهنـاك صورة أخرى (٣) تمثل المصريين يحاربون من قلعتين وهى دلالة واضـحة على أنهم كانوا فى حالة دفاع ٠

وهناك فى مدينة هابو مناظر متعددة لحملات فى آسيا لاتزال تستحق النظر اليها بعين الاهتمام ٠ فعلى أحد الجدران نرى رمسيس الثالث وهو يهاجم مدينتين حيثيتين عينت احداهما بأنهـا « مدينة ارزاوا (٤) » وفى منظر آخر نرى مدينة تونب يعصـف بهـا (٥) ونرى مدينة ثالثة فى أمور على وشك الاستسلام (٦) ، ومن الواضـح أن كل هذه الصور يبدو فيها الخطأ فى تسلسل الاحداث ولابد أنها نسـخت

(١) Hist. Rec., pp. 74, ff; 87 ff.

(٢) Med., Habau (II), pl. 75

(٣) Op. cit., (II) pl. 70

(٤) Op. cit., (II) pl. 87

(٥) Op. cit., (II) pl. 88

(٦) Op. cit., (II) pl. 94

عن أصول ترجع الى عهد رمسيس الثانى وهناك دليل واضح على ان الرسامين فى مدينة هابو استعاروا الكثير مما صوروه من معبد الرمسيوم المجاور ، وانا لنلتقى بما يؤكد ذلك فى البردية السالفة الذكر اذ انه ليس بها ذكر ما لحملة سورية وبالتالى ليس هناك ذكر لحملة ضد الحيثيين ، وكل ماورد بها يشير الى ان رمسيس الثالث « قضى على « السعيريين » ، من قبائل شوسو (١) والشوسو هم من ذكرنا من قبل انهم بدو الصحراء المتاخمين لجنوب فلسطين ، كما ان « جبل سعير » الذى ورد ذكره على مسلة من عهد رمسيس الثانى (٢) هو الجبل الأدومى المشار اليه عدة مرات فى التوراة ، ويبدو ان هزيمة ساكنى الخيام هؤلاء العديمى الأهمية نسبيا ، كانت أقصى ماقام به رمسيس الثالث بعد صراعه ضد جحافل البحر المتوسط وتنهى هذه الاشارة لأكثر من قرنين تاليين قصة محاولة مصر لتحقيق امبراطورية اسيوية ٠

ورغم ان رمسيس الثالث حكم واحدا وثلاثين عاما (٣) وربما احتفل بعيد سد فى بداية عامه الثلاثين الا أن هناك ما يشير الى حدوث بعض الاضطرابات الداخلية وبخاصة قرب نهاية حياته ، وقد تأخرت رواتب التموين الشهرية المستحقة لعمال الجبانة الملكية بصورة تدعو للأسف وأدى هذا الى اضراب لم ينته الا بتدخل الوزير « تو » الذى لم يستطع على أية حال ان يقدم أكثر من نصف المستحق فعلا (٤) ، ولكن الأمر الأشد خطورة هو حدوث مؤامرة هددت حياة الملك نفسه (٥) ٠ ولقد كانت هناك دلائل منذ بداية الحكم على ان المتاعب ستثار حول ولاية العرش ولئن كان حكمنا مستقى من آخر ما سجل من تاريخ فى مدينة هابو فان هذا يعنى ان المعبد استكمل فى العام الثانى عشر ، وانه لمن العجيب أنه رغم أن أبناء الملك صوروا هناك ــ كما هى الحال فى الرمسيوم ــ كما صورت الملكة فى مناسبات قليلة فان خانات الأسماء لم تستكمل وتركت أماكنها شاغرة ٠ ومع ذلك فانه من المؤكد ان الابن الذى خلفه وهو رمسيس الرابع كان يعيش فى هذه المرحلة لأن مومياءه

(١) B.A.R., IV, §§ 404

(٢) Kêmi, V; pl. 3

(٣) J.N.E.S., X, 137 ff; R.A.D., pp. 49 ff.

(٤) انظر المراجع فى آخر الفصل وكذا B.A.R., VI, 416 ff.

(٥) B.A.R., IV, No. 454-6

التى كشف عنها فى مقبرة آمنوفيس الثانى تشير الى انه كان رجلا فى « الخمسين من عمره على الأقل وربما أكثر من ذلك » ولننتقل دون امعان النظر فى هذا الأمر ، وفى أدلة أخرى أكثر ابانة من النوع نفسه تؤدى الى تعقيد تاريخ العهود التالية ، الى القصة المفصلة التى تتردد فى عدة برديات لعل أهمها هى المحفوظة فى متحف برلين . وقد كتبت هذه الوثيقة الرائعة بحروف هيراطيقية كبيرة تتفق ووثيقة من وثائق الدولة البالغة الخطورة والأرجح انها كانت مودعة فى مكتبة المعبد فى مدينة هابو ، وبعد استبعاد مؤقت للمقدمة الطويلة التى ضاع الكثير منها والتى تسبق القصة الرئيسية ننتقل الى المدخل الأول :

« العـدو الأكبر باى بكامون الذى كان كبيرا للأمناء .. استدعى بسبب اتصاله بـ « تيى » ونساء الحريم ولقد تآمر معهن ثم تابع ذلك بأن نقل كلماتهن الى امهاتهن وابنائهن واخواتهن الذين كانوا هناك قائلا : « اجمعوا الشعب وأثيروا الخصـومات » حتى يلعنوا العصـيان ضد مولاهم ، وقد جيء به فى حضرة كبار موظفى القصر للتحقيق وفحصت جرائمه وثبتت ادانته واحاطت جرائمه بعنقه وأمر الموظفون الذين قاموا بالتحقيق بادانته وان تلصق به عقـوبته » وقد عومل تسـعة وعشرون من المجرمين المقسمين الى خمسـة مجاميع بنفس الطريقة ، الى جانب ست من الزوجات لم يحددن تفصيلا ، وهنـاك أمر يدعو للغرابة ذلك ان عددا من اسماء الرجال اخفى عمدا ومن الواضح ان ذلك يرجع الى وجود لفظ ينم عن الطالع فى تركيب أسمائهم ، وهكذا فان أحد السقاة ـ وكان هناك الكثيرون من موظفى البلاط يعملون سقاة فى عهود الرعامسة ـ لم يكن يحمل لقب « مسدسورع » الذى ينسب اليه ، ذلك ان « مسد » تعنى « يكره » ولابد ان الاسم الحقيقى كان « مرسورع » أى « رع يحبه » واما الحريم الذى دبر المؤامرة فقد اطلق عليه اصطلاح « الحريم المرافق » والمحتمل انه حريم لايستقر فى مكان معين مثل الحريم المقيم فى منف أو « مىور » فى الفيوم بل هو حريم يصاحب الملك فى رحلاته ، وقد اشترك فى المؤامرة عدد من حريم الموظفين والناظر (للخاصة) أو نائب الناظر وكاتبان وستة من المفتشين الى جانب زوجات حراس الباب ، واخطر من معظم من تم القبض عليهم قائد جيش كوش الذى كانت اخته قد حرضته ، وهى واحدة من نساء الحريم ولئن كانت خطتها قد نجحت فان نتيجة ذلك كانت نشوب الثورة فى النوبة وبخاصة ان لقيت العون من « بايبيس » . ولعل مما يميز العصر انه كان من بين المتهمين والقضاة على السـواء عدد كبير من

الأجانب : ف « بعل مهر » كان ساميا ، ووصف « انيني » بأنه ليبي واما اسم « بلوكا » فيشير الى ان صاحبه ليكي ، وقد سمح لابرز الشخصيات ، بين من ثبتت ادانتهم أن ينتحروا ، أما الآخرون الذين تركوا بغير ان ينالهم ضر فقد ماتوا طواعية وربما كان ذلك يعني الموت جوعا ، وكانت عقوبة جدع الانف وصلم الاذنين من نصيب أربعة من الموظفين الذين — رغم التعليمات المحددة التي أعطيت لهم — نادموا نساء الحريم وباييس . وهناك رجل واحد هو حامل العلم اطلق سراحه بعد توجيه لوم عنيف له وكان واحدا مع آخرين من بين الأربعة السالفي الذكر ممن كانوا بين القضاة الذين عينوا للتحرى فى أول الأمر ، ومن العجيب الا نعلم سوى القليل عن « تيى » السيدة التى كانت محور المؤامرة وكذا عن ابنها « بنتساويره » وهو الصبى الذى كان يزمع المتآمرون ان يضعوه على العرش والذى لايذكر سوى عرضا عند سرد أسماء من « ماتوا طواعية » .

وهناك أضواء أخرى تلقيها على تدبيرات المتآمرين جزازات من برديات أخرى تشير الى القضية(١) ، فهناك ناظر سابق للماشية دفع أحد الكتاب العلماء الى كتابة صيغ سحرية وان تماثيل شمعية قد صنعت وهربت الى الحريم ، ولكنه يذكر صراحة ان الخدعة لم تنجح وان المجرمين لقوا المصير الذى يستحقونه .

وبقى لنا أن نناقش طبيعة هذه الوثائق العجيبة وقد اتخذ برستد الخطوة الأولى فى الاتجاه الصحيح حيث لاحظ انه حيثما ذكر رمسيس الثالث كان يسبق اسمه النعت « الآله العظيم » الذى ينعت به الملوك المتوفون وانتهى من ذلك الى القول بأنه رغم ان رمسيس قد أمر باجراء المحاكمة الا أن الجراح التى أصيب بها بلغت من الخطورة حدا أودى بحياته قبل أن يقدم المجرمون للمحاكمة ، ومن سوء الحظ أن معلوماتنا عن قواعد اللغة المصرية فى العصر المتأخر لم تكن فى زمن برستد بحيث تكفى لتمكنه من ترجمة المقدمة — التى ضاع الكثير منها فى بردية تورين — ترجمة صحيحة ، وقد استطعنا بفضل جهود دى بك (٢) ان نقرر أن الملك بدلا من ان يعطى هناك الأمر فى صيغة المضارع تبدو رواية النص كله احداثا فى الماضى فى صورة مصطنعة على لسان الملك المتوفى وبعد

---

(١) B.A.R., IV, §§454-6

(٢) J.E.A., XXIII 152 ff.

احصاء القضاة الذين عينهم وذكر الكلمات التى أوصاهم بها يتابع الحديث بقوله :—

وذهبوا اليهم وفحصوهم وأمروا بأن يقتل بايديهم كل من كان سببا فى موتهم وان كنت لا أعرف من هم ٠٠ ثم عاقبوا الآخرين كذلك، وان كنت لا أعرف من هم ولكننى أوصيتهم مشــددا بقولى « حاذروا من ان توقع العقوبة على واحد بغير حق من موظف لا يرأســه » هكذا قلت لهم (للقضاة) وكررت القول مرارا » ٠ واما ما تم فانهم هم الذين قاموا به ، ليقع عبء ما قاموا به على رءوســـهم فانى معفى ومحمى الى أبد الآبدين بوصفى واحدا من الملوك العدول فى حضرة أمون رع ملك الآلهة وفى حضرة أوزوريس حاكم الأبدية ٠

وتبدو هذه الفقرة كانما هى اعتذار من جانب رمسيس الثالث عن العقوبة البالغة الشدة أو ناحية من نواحى الظلم التى حاقت بالمتهمين ، ولابد ان الرواية التى تقدم لنا تمت صياغتها بأمر من رمسيس الرابع ، وسنرى على الفور كيف ان الابن كان مشوقا ليبرر عهد ابيه الراحل كعصر من الرخاء لم تشبه سحابة ٠ وليس هناك مايدعو الى الشك فى ان رمسيس الثالث هو الذى أمر بالمحاكمة ولكن ربما كان التبرير الذاتى الذى وضع هنا على لسانه من صنع خلفه ، وليس هناك اساس وطيد لافتراض ان المؤامرة نجحت تماما أو نجحت نصف نجاح فمومياء رمسيس الثالث التى عثر عليها فى خبيئة الدير البحرى (١) تشير كما يرى ماسبيرو الى انها لرجل بلغ حوالى الخامسة والستين وليس بها ما يدل على وجــود جراح ، بل ليس هنـــاك ما يدعو الى تأريخ المؤامرة بقرب نهاية الحكم فربما حدثت قبل ذلك بكثير اذ انه لا يرد لهـا ذكر فى الوثيقة العظيمة التى سنتناولها الآن بالوصف ٠

تعد بردية هاريس رقم (١) بالمتحف البريطانى واحدة من أروع محفوظات الدولة المصرية (٢) وهى وثيقة يبلغ طولها ١٣٣ قدما وعرضها ١٦٫٥ بوصة وتضم ١١٧ نهرا من الكتابة الهيراطيقية فى افاضة لا تتوافر الا لنسخة اصلية بالغة الاهمية ٠

أما المعلومات المبهمة نوعا والتى وصلت الينا فيما يتصل بالكشف عنها فانها تشير الى انها كانت — شأنها فى ذلك شأن بردية المؤامرة —

(١) P.M., I, 175-6

(٢) الترجمة الكاملة والتحليل فى B.A.R., IV, §§ 151-412

واحدة من وثائق المعبد الكبير فى مدينة هابو · وتلخص المقدمة النعم التى اضفاها رمسيس الثالث على مختلف المعبودات فى الأرض كلها ، وهو يمثل هنا من جديد فى وضوح كملك متوفى يتحدث بضمير المتكلم، وتلى ذلك صــورة بديعــة التلوين تمثل الملك وهو يتعبد أمام أمون رع وموت وخونس المعبودات الرئيسية الثلاث فى عاصمته طيبة ثم يصف بعد ذلك فى رواية طويلة بأسلوب بليغ ملىء بالزهو كل المنشآت ومعدات المعبد والأراضى والسفن وغيرها مما منحه للمدينة · ثم يلى هذا قسم احصائى مطول يقدم ارقاما محددة عن الهبات التى ترد من مختلف المصادر فى كل البلاد طوال مدة حكمه · وبدأ بالموظفين ثم المـــــاشية والكروم والحقــول والسفن والمــدن فى مصر وســورية التى قدمها الملك بنفسه من السنة الأولى حتى الحادية والثلاثين ثم مقدار ما حصل عليه من ضرائب وأخيرا مفردات ما تلقاه بمختلف الوســـــائل وللأغراض الأخرى . ويختتم هذا الجزء من الكتاب بدعاء من رمسيس الثالث يتوسل كمكافأة له ان تضفى النعم والبركات على ابنه المحبوب رمسيس الرابع· ثم يلى ذلك ـ مكتوبا بخط آخر ، بايحاء من كهانة اتوم فى الشمال من غير شك ــ قسم هليوبوليتانى مكون من عدد السطور نفسها وينتهى بنفس الطريقة تماما · ثم يلى ذلك القسم الممفى الموجه الى بتاح والى المعبودات المتصلة بالعاصمة الثالثة الكبرى ، واما بقية المعبودات المحلية فقد تناولها الحديث فى قسم اقصر تبدو أهميته الخاصة فى أنه يبين أى المدائن كانت موضع رعاية خاصــــة من رمسيس الثالث وعلى ذلك فان هذه المقارنة لاتضم اسما لأى مكان يقع الى جنوبى قفط · ثم يلى ذلك ملخص أضيفت اليه ــ وان شابته بعض الاخطاء ــ كل الارقام السابقة ومنه يتضح لنا أن ضيعة أمون رع فى الكرنك كان لها نصيب الأسد· وحتى اذا كان الفرعون يقيم فى أغلب الأمر فى مصر السفلى فان طيبة ظلت المركز الروحى للمملكة وكانت ثروتها ضخمة ·

وتنتهى اللفافة الرائعة بالمامة للأحداث الماضـــية والحاضرة التى أوردنا بعض فقرات منها من قبل (١) · وليس من شك أنهـــا ترجع الى مرحلة السلم التى أعقبت الحروب التى نشبت فى أول الحكم ثم رحلات وصفت بالتفصيل ، واحدة الى بوينى (٢) حيث عادت من هناك ســفن محملة بالمر قدمها الى فرعون بشخصه فى عاصمته السفلى أبناء رؤساء

(١) انظر الصفحات من بداية هذا الفصل ·

(٢) B.A.R., IV, § 407

هذه البلاد البعيدة ثم رحلات للحصول على النحاس (١) من بعض مناجسم لا يمكن تحديدها وعلى الفيروز من المواقع المعروفة بـ سرابيط الخادم (٢) في شبه جزيرة سيناء — وقد أشرنا من قبل ان رمسيس الثالث كان يفاخر بأنه امتنع عن ان يأخذ من المعـــابد رجلا من كل عشرة رجال ليخدم في الجيش كما كانت الحال من قبل في عهود الملوك الاسبقين (٣) ، وهو الآن يحاول ان يدخل في روعنا أمر الهدوء الشامل الذى ساد البلاد جميعا (٤) .

جعلت نساء مصر يسرن في حرية حيثما اردن فلا يضايقهن أحد في الطريق — كان الجند ورجال العربات يجلسون متكاسلين في استرخاء في عهدى وكان الشردن والقحق ينـــــامون الليل في قراهم دون أى خوف .

ولابد انه حدثت مع ذلك اضطرابات داخلية الى جانب المؤامرة الكبرى التى أشرنا اليها من قبل ، فقد حدثت بعض المتاعب في اتريب بسبب وزير اقيل من وظيفته وربما كانت هذه هي المناسبة التى منح فيها « تو » وزارة الارضين (٥) وهو أمر يخالف ما كان معهودا من قبـــل — اما ضرورة الالتفات الى الماضى فقد وجهت الى كافة الضباط والرجال الحربيين في الأرض قاطبة (٦) ، وكانت خاتمة للنص تحرضـــهم على اظهار الولاء للملك الجديد رمسيس الرابع .. وربما كان هـــذا هو الهدف الحقيقى من هذا النص الطويل .

ولعل مما تجدر الاشـــــارة اليه ما قام به رمسيس الثالث من منشآت في نواح أخرى ، فهناك معبد صغير في الكرنك في حالة طيبـــة من الحفظ ، واما مقبرته الضخمة في بيبان الملوك فتختلف عن باقى مقابر العصر بظهور بعض المناظر الدنيوية بها مثل المطبخ الملكى وهناك كذلك صورة مشهورة هى صورة العازف على الجنك .

---

(١) Op. cit., § 408

(٢) Op. cit., §§ 409

(٣) Op. cit., §§354

(٤) Op. cit., § 410

(٥) Op. cit., 361; O. Berlin 10633

(٦) B.A.R., §§ 397 ff.

وقد تبع هذا الاخير من الفراعين العظام ثمانية ملوك(١) كان يحمل كل منهم اللقب اللامع « رمسيس » الذى يرتبط ارتباطا وثيقا بفكرة العظمة الفرعونية حتى انه بينما كان بعـــض خلفائه قد كفوا عن اى دعوى للعرش ظل بعض الموظفين يفخرون بالانتساب الى لقب « ابن الملك رمسيس(٢) » واما ان رمسيس الرابع هو ابن رمسيس الثالث فواضح بالنسبة لكليهما من بردية هاريس ومن شواهد أخرى ولكن الاصرار على أن يضع فى اسمه ولقبه ربة الحق ، بينما هو يشير الى انه قضى على الجور يثير الشبهة فى أن دعواه لم يتم تحقيقهـــا الا ببعض الصعوبة وهناك اثنان من خلفائه على الاقل يبدو انهما كانا اخوين له ٠ وكانت مدد حكم الملوك الثمانية فيما عدا رمسيس التاسع والحـــادى عشر قصيرة ومن ثم فان مجموع مدة الحكم للأسرة يبدو أقل من الرقم الذى يقدمه مانيتو وقد استمرت عادة البدء بحفر مقبرة فى بيبان الملوك عند بداية كل حكم ، وان لم يستطع كل هؤلاء الرعامسة المتأخرين أن يوفقوا الى الدفن فى الأماكن التى أملوا ان يدفنوا بها بل انه فى حالات ثلاثة نجد ان الموميات نقلت من أجل الحفاظ عليها الى مقبرة امنوفيس الثانى(٣) ، والاتجاه العام للمرحلة التالية من التاريخ يشير الى ان المقر الفعلى لهؤلاء الملوك الضئيلى الشأن كان يبدو أكثر رغبة فى الاستقرار فى الدلتا نتيجة لازدياد أهمية وثراء الكاهن الأكبر لأمون رع فى طيبة، وقد أخذت مشروعات المنشآت التذكارية تتضاءل بشكل محسوس ، اما المغامرات الاسيوية فقد انقضى عهدها ولعل آخر مستند فى سيناء يرجع الى عهد رمسيس السادس ، ومن جهة أخرى فان الادارة فى النوبة ظلت تسير على نسق ما كان متبعا منذ القدم وان كان ما يصل الينـــا من أنباء عنها أقل ، ورغم كل هذا الانهيار التدريجى فان حوليات القرن الثانى عشر قبل الميلاد ليست خاوية تماما ، فهناك عدد من النقوش البالغة الأهمية بقيت لنا كما بقيت بضع برديات ولكنها تتصـــــل بموضوعات لا رباط بينها من الناحية المادية والمكانية ، شأنها فى ذلك شأن الفقرات التى ترد فى جرائدنا اليومية ، ومهما يكن من أمر فاننا نرى لزاما علينا ان نتناولها بالتعليق هنا ٠

---

(١) انظر جدول الملوك فى نهاية الكتاب ٠

(٢) انظر المراجع فى آخر الفصل ٠

(٣) Elliot Smith, R.M., Index, The Coffins, P.M., I, 29 No. 35

لم يستغرق حكم رمسيس الرابع أكثر من ست سنوات وبالنسبة لقصر المدة فان قصــة نشاطه فى البناء ليست مما لا يعتد به فحيث لم يقم بالتشـــيد الفعلى نراه يخـلد وجـــوده على الأقل بتكريســـات بالهيروغليفية ، وقد عثر ماريت على لوحتين كبيرتين فى أبيدوس تنبئان عن تقواه غير العادية وعن ولائه للآلهة ، ويلاحظ أن ألفاظهما وتعبيراتهما غير عادية وقد تشيران الى مؤلفهما الملكى ، وهناك نص طويل من السنة الثالثة فى وادى الحمامات يسجل استحضار حجر فاخر من محجره المشـــهور على يد ثمانية الآف اشتركوا فى هذا العمل ، وكان قد طلب قبل ذلك فى العام الأول من كبير كهنة (١) مونت أن يزور الموقع (٢) ثم أرسل فى العام الثانى موظفين أكفاء وكتابا ليتحروا امكانيات اتمام هـذا الأمر وتشير نقوش العـام الثالث الى مشروع على نطاق أوسع (٣) ولم يكن المتخصصون من عمال المحاجر والنحاتين سوى قلة من العدد الكلى • وليس من شك فى أن خمسة الآلاف جندى لم تقم الحاجة اليهم من أجل غرض حربى بل ربما فكر فى استخدامهم لجر هـذه الكتل الضخمة عبر طرق الصحراء الشاقة ، والمشكلة الحقيقية فى هذا النقش الذى يدعو الى الحيرة هى اشارته الى حضور عدد ضخم من أشهر أعلام الأرض الى هذه المنطقة النائية من وادى النيل وعلى رأسهم رعمسة نخته كبير كهنة آمون رع وأما بالنســبة له فنحن نلتمس جانبا من العذر فى أنه شارك بصفته الدينية ثم الادارية كمشرف على الأشغال أو انه كان مسئولا فى الواقع عن المعابد والتماثيل التى كان يهبها الفرعون للآلهة المحلية • ولكن كيف يفسر اصطحاب اثنين من سقاة الملك وكذا المشرف على الخزينة وفوق هؤلاء جميعا رئيسى رجال الضرائب وكل الشخصيات البارزة التى ذكرت بأسمائها ؟ وهنا على كل حال ـ كمـــا هى الحال غالبا مع الوثائق المصرية ـ نلتقى بالمعلومات الثمينة التى نقـدرها حق قدرها مختـلطة بأحاج يجب أن تظل بغير حل •

وعلينا فيما يتصل بوثيقة أخرى هامة من هذا العصر أن نحول أنظارنا بعيدا الى الجنوب الى الفنتين • فهناك بردية مكتوبة كتابة رديئة ولكنها محفوظة حفظا لا بأس به نسبيا فى متحف تورين تذكرنا ـ فى

---

(١) حرفيا : «الخادم الأول للاله» وتترجم عادة ب «الكاهن الأول» راجع صفحة ١٠٤ هامش (٢) •

(٢) P.M., VII, 333

(٣) Bull. Inst. fr. XLIII; 1 ff.

لغة تشبهها وليست أقل ضعفا من بردية سولت بالاتهامات الموجهة ضد عدد من الأشخاص من أبرزهم كاهن فى المعبد الذى يعزى اليه الكثير من السرقات والرشوة وانتهاك حرمة المعابد بالاضافة الى أنه عزى اليه بصورة غير واضحة أمر مجامعة نساء متزوجات ، ومن الاتهامات الشائنة ضد الدين كانت اختلاس وبيع عجول منيفس المقدسة ثم اسهامه فى حمل تمثال الاله ، بينما كانت هنـــاك لا تزال ثلاثة أيام باقيــة من الأيام العشرة للتطهـــير بالنطرون ، وكذا منحه الكثـير من الهبـــات والهــدايا لتابع الوزير حتى يدفع الى القبض على ذلك الذى اتهمـــــه من هيئـة الكهانة ، بينما كان لا يزال هـــذا الأخير فى منتصـف شـــهره المخصص له للخدمة الطقسية . ومن بين الحقائق التى لها دلالتها هنـا اننـا نعلم انه كان من سلطة الوزير أن يعين الكهنة المحليين كما نعلم عن تدخل فرعون نفسه وحقه فى ارســال الخازن الأول لتحرى أمر اختلاس الملابس من خزانة المعبد ، وأخطر من هذا كله هو سرقة الحبوب ، الأمر الذى أثر على كهانة خنوم ، وترجع هـذه الخطورة الى أن هذا الأمر تضمن من غير شك عدة أشخاص فى قبول الرشوة ؛ ذلك أنه كان يجب أن تسلم سبعمائة غرارة سنويا من ضياع الدلتا المملوكة للمعبد . وقد بدأ قائد سفينة تولى أمرها خلفا لقائدها المتوفى فى العام ٢٨ من حكم رمسيس الثالث عملية الاختلاس فى السنة الأولى من حكم رمسيس الرابع وفى مـدى تسع سنوات تالية حتى « السنة الثالثة للفرعون » أى من عهد رمسيس الخامس كانت جملة ما سرقه أكثر من خمسة الآف غرارة .

وتعـد بردية ويلبور العظيمة الموجـودة فى متحف بروكلين (١) والمؤرخة بالعام الرابع من حكم رمسيس الخامس وثيقة رسمية أصيلة ذات اهمية مفردة ويسجل نصـها الرئيسى فى أربع مجموعات متتالية تشغل المجموعة منها عدة أنهر ، رصـدت بها مقاييس وضرائب الحقـول الممتدة قريبا من كروكوديلونبوليس (مدينة الفيـوم) الى الجنوب على بعد قليل من مدينة المنيا الحالية أى مسافة تبلغ ٩٠ ميلا تقريبا ، وقد رتبت الحقول التى حددت أماكنها ومساحتها فى كل حالة تحت عناوين تحمل أسماء الهيئات المالكة المختلفة وهى المعابد الكبرى فى طيبة وهليوبوليس ومنف ويليها عدد من المعابد الأصغر شأنا وبخاصة فى مجاورات قطع الأراضى التى تتملكها ثم يجىء أخيرا ذكر الهيئات المشتركة وهى متباينة ومعقدة بصورة لا تسمح للمسجل هنا أن يذكرها ويحسب الأتاوات

---

(١) أنظر المراجع فى آخر الفصل .

حيوبا وهى يشـــار اليهـا صراحة كضرائب وهى تقـدم فى مجموعتين مميزتين طبقا لمسئولية الهيئات المالكة نفسها أو تبعا لمسئولية المشتغلين الحقيقيين أو الزراع للأرض ، والشطر الأخير من الفقرة أكثر أهمية لأنه يذكر جمهورا من مختلف الملاك أو المستأجرين متضمنا عائلات بأكملها ورجالا من جنس « شردن » وبعض العبيد أحيانا ، وفى فقرة واحدة مثلا نجد جنبا الى جنب مع الأرض التابعة لمعبد سبك رع فى « أناشـــا » بالقرب من مكان يدعى « كيمان روما » قطعا من الأرض مســـاحة كل منها عشرة أورورا تخص ناظر الخزانة المعروف خعمتير وكذا كاهنا معينا وكاتب معبـــد وكاتبا آخر ثم ثلاثة من الجنـــود كلا على حـدة ثم سيدة وأخيرا حامل لواء وهنـــاك نص آخر على الوجه الآخــــر من نفس اللفافة خاص بأكمله بنوع من الأراضى يعرف باســـم أرض « خاتو » الخاصة بفرعون ولم تكن مساحة الأراضى المعينة محددة دائما ونحن نستطيع أن نميز فيها ملكيات أعيدت لغير ما سبب محدد الى املاك فرعون وترك له حق التصرف فيها من جديد ، ورغم الجهود الكبيرة التى كرست لدراسة هذه البردية البالغة الأهمية الا أن الأســـلوب المختصر الذى كتبت به بالاضافة الى أن الكتاب لم يكونوا مختصين بتقديم التفسيرات للأجيال التالية جعل من مشاكلها الرئيسية لغزا لم يتوصل أحد بعد الى حله (١) فلمن كانت تدفع الضرائب ؟ وكيف يستطاع اخفاء التنظيم الذى يوصف هنا بهذا العوز والاعسار الفرعونى الذى طالما شهدناه يترك عمال المقبرة الملكية دون الوفاء بالرواتب المستحقة لهم ؟ — ان هذه المسائل وغيرها من الأمور المشابهة المتصلة بها لا تزال تتطلب الاجابة ، ولكن لدينا ما يدفعنا للظن بأن المعبد الكبير — الكرنك وعلى رأسه كبير كهنة أمون رع — كان المنتفع الرئيسى وليس الفـرعون ، ومن الواضـــح على الأقل أن رئيس جامعى الضرائب « وسرماعرع نخته » كان ابنا للكاهن الأكبر الحاكم اذ ذاك رعمسه نخته ، ونستطيع أن نذكر كتذييل قيم لبردية ويلبور خطابا حفظ لنا فى حالة جيدة يرجع الى عهد رمسيس الحادى عشر بعـد حوالى خمسين عاما ، ونرى عمدة الفنتين يشكو فى هذا الخطاب (٢) الى رئيس جامعى الضرائب فى عصره من أن الضرائب استلبت منه بما يتنافى مع العدالة بالنسبة لرقعتين من الأرض وانه يتنازل من أجل ذلك عن كل مسئولياته .

---

(١) عن المناقشات راجع J.A.O.S. LXX, 299 ff., Bibl. Or. XVI 220 f.

(٢) Rev. d'Eg., VI, 115-24

ومقبرة رمسيس الرابع لها أهمية خاصة حيث وجد تصميم يقدم أبعادها الصحيحة على بردية فى متحف تورين (١) · وقد عثر على مومياء رمسيس الخامس فى مقبرة أمنوفيس الثـانى وهى تشـير الى أنه مات بالجدرى (٢) ، وربما حكم أكثر بقليل من أربع سـنوات وتعد سـنته الرابعة أعلى تاريخ معروف له وقد الحقت مقبرته ، التى لم تكن قـد استكملت فى ببيان الملوك (٣) ، بمقبرة رمسيس السـادس الذى أكمل زخرفتها ، وأما عن هذا الملك الأخير فان آثاره الباقية لا تكشف عن أبعد من السـنة السـابعة للحكم وهناك ما يدل على أية حال انه ، ولو أن مقره المعتاد كان فى الدلتـا الا انه كان يسـتطيع كذلك أن يتطلب الولاء من النوبة · وكان الحاكم هناك لا يزال يحمل لقب ابن الملك فى كوش وقد ذكر شاغل هـذه الوظيفة « سيبيس » مع مولاه فى منطقـة عماره بين الجندلين : الثـانى والثالث (٤) وكانت النوبة قد قسمت منـذ بعيد لأهداف ادارية الى اقليمين هما « واواى » أو النوبة السفلى ثم كوش من بعدها جنوبا وكان نائب الحاكم فى عهد رمسيس السادس فى واواى هو « بنى » الذى كان كذلك عمدة على مدينة عنيبة الهامة (٥) وهو يقـدم فى مقبرته وصفا لتمثال للملك ، أمر بصنعه هناك ثم يشير فى قائمة مفصلة الى الحقـول المخصصة لرعايته ، وقد كوفىء من أجل هـذه الخدمات التى أضاف اليها قبضه على بعض الثوار فى اقليم « اكاتى » لتعدين الذهب باناءين من الفضة للدهون ، وقد زاره فى عنيبة لتقديمها له ابن الملك فى كوش شخصيا بصحبة ناظر الخزانة ·

وفى خـلال ذلك كانت وظيفة كبير كهنة أمون رع فى الكرنك قد أصبحت وراثية وبعد أن كان يتقلدها نسـامون بن رعمسه نخته انتقلت الى الأيدى القوية لابن آخر هو امنحتبه ، وليس لدينا ما يحدد تاريخ وصول امنحتبه الى هذا المركز المرموق ولكننا نراه فى السنة العاشرة من حكم رمسيس التاسع ينتحل لنفسه سـلطانا لم يسـتطع من قبل أحد رعايا فرعون أن يتطاول اليه أو يستمتع به ·· أما أن تنقش صورة أحد الأشراف الكبار فى معبد ، فأمر له سوابقه ففى عهد سيتوس الثانى أمر

---

(١) J.E.A., IV, 130 ff.

(٢) Elliot Smith, R.M.; p. 91

(٣) P.M., I. 9-12, No. 9

(٤) J.E.A., XXV, 143

(٥) P.M., VII, 76; B.A.R., IV, No. 474 ff.

الكاهن الأكبر « روما » المعروف كذلك ب « روى » أن يرسم في الكرنك وهو يلتمس من الاله أمون رع العمر الطويل والسلطان وأن يورث وظيفته لسلالته ٠٠ ولكن أمنحتبة تجاوز هذا بخطوة أبعد ؛ ذلك أن الفن المصرى حرص دائما على وضع حد للتناسب فى حجم الصورة البشرية تبعا لوظيفة وأهمية الأشخاص المراد تصويرهم ، ولكنا نجد هنا ــ للمرة الأولى ــ امنحتبه يرسم بارتفاع قامة فرعون نفسها وهو يقف أمامه وجها لوجه بل انه يرى وهو يتقبل المكافآت فى أبرز مظاهر التكريم وهكذا يبدو واضحا ، لا تخطئه العين ، الادعاء بما يقارب المركز المتساوى ٠ هذا الى أن هذا الادعاء يتفق وما يسنده من حقائق ، فيما يلى ذلك من أحداث تاريخية ٠ فربما كان الملك حاكما لا نزاع فى سلطانه فى الشمال ، أما فى الجنوب فان الحبر الأعظم فى الكرنك كان يتمتع بسلطان أكثر منه ٠

وانه لمن الصدف غير المتكافئة فى الآثار ان أكثر الشواهد المكتوبة تنبثق من أخريات عهود ملوك الأسرة العشرين أكثر منها فى أى عهد آخر من عهود التاريخ المصرى ، وأما مصدرها فالضفة الغربية من طيبة وبخاصة مدينة هابو وقرية دير المدينة المجاورة لها ٠ وقد عثر هناك على كميات وفيرة من البردى ، معظمها قطع متكاملة كشف عنها فى أوائل القرن التاسع عشر وهى مبعثرة اليوم بين المجموعات الكبرى فى أوربا ، وقد استطاع متحف تورين أن يستحوز على نصيب الأسد من الحفائر التى قام بها دروفتى القنصل الفرنسى فى مصر ، والصورة التى تكشف عنها يوميات العمل فى الجبانة تدعو الى القلق الشديد ؛ ذلك أنه كانت تمر فترات طويلة بالعمال فى المقابر الملكية وهم كسالى لا يعملون ٠ وهناك اشارات واضحة (١) أرخ الكثير منها باخريات سنى حكم رمسيس التاسع تنذر بوصول أجانب الى طيبة أو ليبيين أو مشوش وان كنا لا نعرف كيف يجب آن نفهم على وجه التحقيق ، أكانوا غزاة حقيقيين أم هم كانوا سلالة الأسرى الذين أسهموا مع الجيش المصرى والذين استشعروا الآن القوة التى تمكنهم من رفع راية العصيان أو خلق اضطرابات خطيرة على أية حال ؟ ان هذه الأسئلة ستظل بغير جواب مادام يعوزنا الدليل ولكن من الواضح على الأقل ان أثر ذلك على المواطنين كان مبعث كوارث فقد حدث أكثر من مرة أن رواتب العمال تأخرت شهرين وقد أدى العوز والطمع معا الى الجريمة ، وكان أعضاء الأسرة المالكة

---

(١) J.E.A., XII, 275-8 ; XIV, 68

والنبلاء من العهود القديمة قد وسدوا فى مدافنهم ومعهم أغلى مقتنياتهم وكان الاغراء بالنسبة للاحياء لسلب الموتى شديدا ، ولقد كانت سرقة المقابر عادة شائعة منذ أقدم العصور ، ولكن يبدو الآن ان هذه الوسيلة لمنع غائلة الفقر التى انتشرت بحيث أصبح من الضرورى اتخاذ خطى حاسمة لتقديم اللصوص للعدالة ، ومن حسن الحظ أمكن العثور على مجموعة كاملة من البردى محفوظة فى حالة جيدة (١) تلقى ضوءا على القبض والمحاكمات التى بدأت فى العام السادس عشر من حكم رمسيس التاسع واستمرت جيلا كاملا بعد ذلك وربما تخللت هذه الفترة مرحلة سكون ، ولقد قدمنا من قبل وثيقتين من هذه الوثائق البالغة الشهرة وهما برديتا أبوت وأمهرست (٢) وكلتاهما تروى القصة فى أسلوب مميز يدعو للأسى حتى ليبدو للمرء انه يطالع فصول رواية أكثر مما يقرأ مقتطفات تتسم بالوقار من وثائق ادارية رسمية واننا لنلتقى فى القسم الأخير من برديه « ماير أ » بأكمل مثال يوضح لنا الاجراءات الفعلية التى تلت الملخص القضائى للشهود وهاك مثالا لذلك :

جىء بكاتب الجيش عنخ اف ان أمون بن بتاح أم حب وأختبر بالضرب بالعصا ووضعت القيود فى قدميه ويديه واستحلف ألا يقول الا صدقا والا حل به التشويه وقيل له : « اذكر الطريقة التى ذهبت بها الى هذه الأماكن مع أخيك » فقال : « ليؤت بشاهد يقيم الاتهام ضدى » فأعيد اختباره فقال « لم أر شيئا » وعندئذ احتجز حتى يعاد اختباره من جديد وحتى هؤلاء الشهود الذين كانت تتضح براءتهم فيما بعد ويطلق سراحهم كانوا يمرون بهذه المحنة من الجلد على الأقدام .

ولقد كانت هذه محاكمات هامة فى الدولة وكان القضاة يختارون بخاصة لاجرائها من بين أكفأ الموظفين واعلاهم درجة وهم فى عهد رمسيس التاسع الوزير خع أم ويسه الكاهن الأكبر لامون رع فى الكرنك وكاهن « ستم » لمعبد فرعون الجنزى ثم اثنان من السقاة الملكيين الهامين والقائد المشرف على العربات وحامل لواء الأسطول وأخيرا عمدة طيبة بسيور ، العدو اللدود لـ « بويرو » عمدة الضفة الغربية الذى كان قد قام بمحاكمته ولم يوفق كثيرا ليحمله مسئولية السرقات فى المقابر الملكية ، وكانت الهيئة التى تشرف على المحاكمة التالية مكونة تكوينا

(١) انظر من قبل صفحات ١٣٤ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٢ .

(٢) الهامش السابق نفسه .

مشابها وان افتقدت الكاهن الاكبر وربما لأنه كان مشغولا بما هو أهم من ذلك من أمور ، وقد تغيرت هنا أسماء القضاة جميعا وهذا يشير الى انقضاء فترة بين مجموعتى الأحداث ، ورغم أن الفرعون كان بعيدا عن طيبة الا أنه لم يكن قليل الاهتمام بالجرائم التى ارتكبت ضد كنوز من دفنوا من أسلافه وقد صدر أمر المحاكمة باسمه وفى حالة واحدة على الأقل نرى المحكوم عليهم يسـجنون حتى يقررالملك العقوبة التى توقع عليهم ٠

وأما أهمية هذه الأحداث الطيبية بمعنى تاريخى أوسع فمتضمنة فى نطاق الظروف السياسية الكبرى التى أغفلهـا الشـهود عند ادلائهم باعترافاتهم وهى تتردد فى برديات تلك الأيام ٠٠ وبعد أن حكم رمسيس التاسع مدى سبعة عشر عاما أو أكثر خلفه عاشر من يحمل اللقب الذى كان أعلى تاريخ له هو عامه الثـالث ، وقد انتهى خط ملوك الرعامسـة الطويل برمسيس الحادى عشر الذى كان اسمه « ماع رع ستب ان بتـاح » الذى يعيـد لذاكرتنا الحاكم العظيم سيتوس الأول من قرنين سلفا ٠ ولم تخلف سـنواته الاحدى عشرة الأولى وثائق مؤرخة معاصرة ولكن بعض المعلومات التى سجلت بعد ذلك بعشر سنوات لا تدع مجالا للشك فى حالة الاضطراب التى سادت البلاد ، ومن المحتمل أن ترجع الى السنوات الأولى من الحكم حادثة خطيرة الشـأن نعرفهـا عن طريق شهادة حاجب يدعى « حوتنوفه » : ــ

« جاء المتبربرون واستولوا على « تحو » (معبد مدينة هابو) بينما كنت أحرس بعض حمير أبى وقد قبض على واحد منهم يدعى بهتى وأخذنى الى ابب بحجة انى آذيت امنحتبه الذى كان من قبـل كاهنا أكبر لآمون مدى ستة شهور وقد عدت بعد أن انقضت تسعة شـهور كاملة على انزال الأذى بامنحتبه وذلك بعد أن اختلس هـذا الصـندوق الذى يحمل وأشعلت فيه النيران ٠ »

وهناك ذكر فى مكان آخر الى «حرب الكاهن الاكبر» وهو أمر يشير من غير شك الى الحادثة نفسها وهكذا نرى هذا الكاهن الطامع الذى كان بالغ القوة فى عهد رمسيس التاسع يلقى هنا الانتقام الالهى(١) ٠ والحق ان الظروف التاريخية تجعل من المستحيل علينا أن نربط بين هذا الصراع وبين ثورة قامت على يد من يدعى « بنحاسى » ، وفى بردية «مايرا» وهى

---

(١) J.E.A., XII, 254 ff.

وثيقة ترجع الى أخريات عهد رمسيس الحادى عشر نجد بعض اللصوص ثبت بأنهم « قد تم قتلهم على يد بنحاسى » بينما أهلك آخرين فى «حرب المقاطعة الشمالية » ونقرأ كذلك عن لحظة « عصف فيها بنحاسى ب حار داى وهى المدينة التى أطلق عليها اليونان اسم سنيونبوليس عاصمة الاقليم السابع عشر من أقاليم مصر العليا ، ويكتب اسم بنحاسى بطريقة تجعل من المؤكد الجزم بأنه كان عدوا للموالين لطيبة ، ويشير عدم ارداف أى لقب لاسمه الى أنه كان شخصية مشهورة جدا وأغلب الامر انه لم يكن سوى ابن الملك فى كوش والذى كان مســئولا عن جمع الضرائب فى المدن الواقعة الى جنوب طيبة فى العام الثانى عشر والذى أرسل اليه الملك فى العام السابع عشر أمرا قاطعا يطلب اليه فيه أن يتعاون مع الساقى الملكى ينس لصناعة قطعة من الأثاث يحتاج اليها معبد ربة معينة وفى احضار عدد من الاحجار شبه الثمينة تتطلبها المصانع فى العاصمة ، ومن ثم فانه يبدو تبعا لذلك أن ثورته حدثت بعد العام السابع عشر • وهناك اشارة قد تنسب اليه فى خطاب من عصر متأخر نسبيا يظهر فيها انه انسحب الى النوبة وتابع مقاومته وعصيانه هناك •• وأما فيما خلا هــذا فلسنا نعرف عنه شيئا كما لا نستطيع أن يمتد بنا الحدس الى أكثر من أنه كان من قبل من أهالى عنيبة فى نوبيا حيث عثر له هناك على مقبرة كان قد أعدها لنفسه •

وبعد هزيمة بنحاسى انتقل لقب ابن الملك فى كوش وكذا مختلف الوظائف المتصــلة به الى شخصــية أكبر شأنا • وأما المراحل الأولى لحياة حريحور فيلفها الغموض : فوالداه مجهولان ، لانه لم يتعرض مطلقا لذكر اسميهما ، ومن المؤكد أن سلطانه الشامل قام على شغله لوظيفة الكاهن الاكبر للكرنك مادام يسبق لقبه النعت المعروف «الكاهن الاول لأمون رع، ملك الآلهة • وسنراه عن قريب وهو يمارس هذه المهنـــة ، وليس من المحتمل أن مثل هذه الوظيفة الخطيرة التى يتصرف صاحبها فيما جمع من ثروات عبر القرون تظل شاغرة أمدا طويلا ، ومن الطبيعى أن نفترض أن « حريحور » كان الخلف المباشر لأمنحتبة ، ومع ذلك فليس هنــاك من دليل على أنه تنقل فى مختلف مراتب الكهانة التى كانت تنتهى بمنصب الكاهن الاكبر ولذلك فلعله من الخير أن نفترض انه كان أصلا ضابطا فى الجيش ، شأنه فى ذلك شأن الملك حرمحب من قبل • حقا انه اعتاد أن يستخدم ـ كما استخدم من بعده ابنه وحفيده اللذان خلفاه على التوالى ـ لقب قائد الجيش أو «القائد الاكبر لجيش مصر العليا والسفلى» ولكن هذه الوظائف ربما أملتها ضرورات العصر وحدها ؛ اذ أن البـــاعث لها كان

استيلاؤه على ألقــاب التشريف التى كانت لبنحاسى وان كان من غــير المحتمل اطلاقا انه مارس سلطان الحكم فى النوبة وفى وقت لا يستطاع تحديده • كذلك نراه ينتحل لقب وزير وان كان تحت أيدينا ما يدفعنا الى الظن بأن غيره كان يشغل هذه الوظيفة فى الواقع ، وهناك منفذ دقيق ربما كان هو ما مهد لاختيار رمسيس الحــــادى عشر اياه ليصبح كاهنا أكبر ؛ ذلك أن زوجته « نوزمه » التى تحمل بالتبعية كنتيجة زواجه منها لقب ووظيفة كبيرة محظيات أمون رع كانت ابنة لسيدة تدعى «حريرة» كانت تحمل اللقب نفسه وتبعـــا لذلك فأغلب الأمر انهـا كانت أرملة أمنحتبة ،فاذا كان الأمر كذلك فان حريحور يكون قد وصـــل الى مركزه عن طريق الزواج وان كان لشخصيته القوية دور هام فى تعيينه •

ولعلنا نستطيع أن نطالع تطور اطماع هذا الحبر العظيم فى جلاء فى جانب من معبد الكرنك كان قد بدأ فى تشييده رمسيس الثالث تكريما لخونس أصغر أعضــــاء الثالوث الطيبى(١) • ولم ينجح المؤسس الأصلى وابنه رمسيس الرابع الذى خلفه فى أن يكملا أكثر من المصلى ومايحيط به من غرف داخلية وقد توقف البناء حتى عهد رمسيس الحادى عشر حين بدىء ببناء بهو الأعمدة الى الجنوب ، ويرى رمسيس فى مناظر هذا البهو وهو يقدم القرابين للآلهة المحلية بالطريقة التقليدية • ولكننا نشـــهد حريحور فى مناظر أخرى يصل الى مكانة من الاستعلاء لم يحدث من قبل أن شهدناها فى مثل هذه الامور ، انه ليس من غير الطبيعى تمـــاما أن يمثـــل الكاهن الاكبر لامون رع وهو يمارس طقوس البخور أمام تارب المعبود حين تحركه أو وصـــوله خاصـــــة وأن رمسيس يذكر فى الكلمات التى يبـــدى فيها أمون شـــكرانه من أجل الأثر الفاخر الذى أقامه الملك فى المدينة ومع ذلك فاننا نشهد على أربعة من بين الاعمدة الثمانية التى تشغل وسط البهو وحريحور فى وقاحة غير معهودة يمثـــل وهو يمارس طقوســـا أمام أفراد الثالوث ، بل نطالع فى النقوش التكريسية فى أسفل الجدران اسم حريحور وحده بوصفه الواهب وأما شـــــخص الملك فيغفل تماما ، ولما قام حريحور باضافة بهو خارجى مكشوف الى ناحية الجنـــوب ، ربما بعد ذلك بعام أو عامين ، نراه يضع الصل الملكى على جبهته بل يضع التاج المزدوج فوق رأسه وان ظل يرتدى زى الكاهن الاكبر بل أكثر دلالة من ذلك ، أنه بعد أن أغفل أى اشارة لرمسيس انتحـــل الالقــاب الكاملة لفرعون بما فى ذلك لقب حورس الخاص به ثم خرطوشين لاسمه ولقبه

---

(١) P.M., II, 75 ff.

حورس الثور القوى ــ ابن أمون ــ ملك مصر العليا والسفلى سيد الأرضين الكاهن الأكبر لآمون ، الابن الجسدى لرع • ابن أمون ، حريحور » •

ومن هذه الادلة الواضـــحة أصبح من المفهوم لدى قدامى دارسى المصريات ادراك ولاية حريحور للعرش ، كانتصـــار نهـــائى لكهانة أمون وانه لم يزعم العرش لنفسه حتى استطاع موت طبيعى أو غير طبيعى أن يزيح من طريقه آخر الفراعين الشرعيين ، ومع ذلك فان شواهد جديدة أخذت تلقى أضواء تدريجية تدفعنا الى أن نعيد بناء الحقائق فى صورة مغايرة ، ذلك أنه بدلا من التواريخ التى ظلت تسجل كالمعتاد طبقا لسنى حكم الملك تبرز أمامنا حقيقة جديدة خفية يطلق عليها « اعادة الولادات » وان نحن تذكرنا ان المغتصب أمنمس الاول انتحل تعبير « وحم مسوى » أى معبـــد الولادات كاســـم حوريسى له وان ســـتيوس الاول مؤسس الأسرة التاسعة عشرة تقريبا أردف الكلمات نفسها للتاريخ بعاميه : الأول والثانى (صفحة ٢٧٥) فانه من الواضح ان لونا من ألوان النهضة يميزه هذا التعريف ، ومن حسن الحظ اننا نســـتطيع أن نحدد تاريخ الحكم الصحيح هنا فبردية « ما يرأ » المحفوظة فى متحف ليفربول تبـــدأ بذكر «السنة الأولى من اعادة الولادات» وتحصى بالتحديد نفس اللصوص الذين وردوا على القائمة فى خلفية بردية أبوت التى نوقشت كثيرا والتى ارخت بـ « السنة الأولى ، الشهر الأول من فصل الفيضان ، اليوم الثانى الذى يقابل العام التاسع عشر » وقد ثبت بعد تردد ونقاش ان العام التاسع عشر لا يمكن أن ينسب الا الى عهد رمسيس الحادى عشر الذى عرف عنه على أية حال عن طريق لوحة عثر عليهـــا فى ابيـــدوس أنه عاش حتى عامه السابع والعشرين من الحكم ، وانه لمن العسير أن يتناولنا الشك فى ان النهضة المقصودة تشير الى حدث خطير أو اجراء حاسم فى مهام حريحور ، ومن أجل ذلك فان هذا قد حدث بالضرورة خلال عهد آخر الرعامسة بعد أن انقضى ثلثاه ، وقد أثبت هذا الامر آكتشاف حديث نسبيا(١) • فهناك منظر ونص منقوشان على جدران معبد الكرنك يصوران وحيا من النوع الذى أخذ يزداد منذ ذلك العصر ، فقد كان مطلوبا تعيين كاتب المخزن فى الكرنك وقـــدم اسم من يدعى نسامون وتمت موافقة الاله عن طريق «الايماءة الكبرى» أو انحناء قارب أمون رع حين كان يحمل فى الموكب على أكتاف الكهنة ، وأما أهمية هذا الحـــدث فتقع فى شخصية الكاهن الاكبر الذى وضـــع السؤال وكذا فى تاريخ بداية النص • والتـــاريخ

---

(١) Nims, in J.N.E.S., VII, 157 ff.

المسجل هو « العام السابع من اعادة الولادات » .. فى عهد رمسيس الحادى عشر ، أى تبعا لذلك فى العام الخامس والعشرين من حكم ذلك الملك وقد صحبت رقم الكاهن الاكبر الكلمات « حامل المروحة الى يمين الملك ، ابن الملك فى كوش ، الكاهن الاول لامون رع ملك الآلهة ، قائد الجيش الأمير باى عونخ » وكان باى عونخ هذا هو الابن الاكبر لحريحور ، وما دام نيس من المعقول أن يكون حريحور تنحى عن رياسة الكهانة خلال حياته فان معنى ذلك انه مات قبل السنة السابعة من النهضة أو قبل أن يموت مولاه بأكثر من عام على أية حال .

وعلى ضوء هذه الملابسات نجد ان الكهانة الطيبية التى أسسها حريحور تنتحل مظهراً مختلفا الى حد ما ، ومن الواضح أنه وحد كل قوى الدولة فى شخصه ثم سلمها الى سلالته كما تشير الى ذلك ألقابه الحربية والقضائية والادارية والكهنوتية التى حملها كما حملوها ، وأما انتحال التاج المزدوج فعلا فأمر ننكره عليه ، ذلك انه طيلة حياة رمسيس الحادى عشر كان يشار اليه بوصفه الفرعون ، وربما فاخر حريحور داخل أسوار معبد الكرنك الكبير بالألقاب الملكية رغم انه كان له هناك لقب ليس أقل هيبة هو لقب «الكاهن الاكبر لأمون» وفى الحالات القليلة التى نلتقى فيها باسمه خارج الكرنك لا نجد الاسم متضمنا فى خرطوش بل هو لم يجرؤ على استخدام سنى حكم تنسب(١) اليه وربما يشير التاريخ بالسنين الى «اعادة الولادات» والى تحسن ملحوظ فى ظروف البلاد ، ولكن هذا لم يعد رمسيس الى طيبه حيث بقيت مقبرته ناقصة لم تكتمل ، واما فيما يتصل بمقبرة حريحور فان وثائقنا تصمت عن ذكرها ، ولم تكشف الحفائر عن أثر لها فى بيبان الملوك ، ويبدو أن زوجته « نوزمه» التى رزقت منه بتسعة عشر ابنا وخمس بنات عاشت بعده وسنسمع عنها بعد ذلك ، وهناك نص طويل فى الكرنك قد يلقى ضوءا على حياة حريحور ، ولكن ضاعت منه أجزاء كثيرة بحيث لا نستطيع أن نخرج منه بمعلومات أكثر فائدة وتحمل توابيت سيتوس الأول ورمسيس الثانى التى عثر عليها فى خبيئة الدير البحرى بطاقات تشير الى انه فى السنة السادسة (من النهضة من غير شك) أمر حريحور بأن يعاد دفن هؤلاء الملوك من جديد.ومن الواضح أن ذلك لم يكن فى مقرهم الأخير الذى اختاروه لأنفسهم ، وهناك تمثال بالقاهرة ولوحة بمتحف لايدن تعتبران الوثيقتان الباقيتان اللتان لهما بعض الاهمية وذلك بالاضافة الى بردية تقدم صورة عريضة مقنعة عن

---

(١) Gauthier, L.R., III, 232 ff.

المسألة التى طال النقاش حولهـا ، وهل هى تاريخ حقيقى أم أسطورة قامت على أساس من الواقع ؟ والتى جعلت منها هذه المناقشة موضـوعا أكاديميا ضخما ، وربما رضي معظم الدارسين بقرار ليففر من أن « هـذه قصة تاريخية » وقد اشترى هذه الوثيقة الهامة جولنشف عام ١٨٩١ من القاهرة كما اشترى معها كذلك برديتين اثنتين يبدو ان كاتب احداهما على الأقل هو كاتب الوثيقة المذكورة وهى تروى قصة نكبات وناموں ، وهو طيبى أرسل فى مهمة الى سورية عند نهاية الاسرة العشرين وقد أرخت القصة بالعام الخامس الذى يتصل ــ على ضـوء ما قدمنا ــ بالنهضة ، وكان حريحور كاهنا أكبر فى الكرنك ، بينما كان يحكم تانيس نس بانب دد الذى أصبح فيما بعد أول ملك للأسرة الحادية والعشرين طبقا لمانيتو ، وكان الرجلان على علاقة طيبة ولم يكن أحدهما قد انتحل بعد الملكية ؛ وقد ورد ذكر الفرعون الحقيقى ــ أى رمسيس الحادى عشر ــ مرة واحدة فقط فى سياق مبهم ــ وكانت مصر فى هـذه الظروف أضعف من أن تتطلب الاحترام فى الخارج وتنكشف المحادثات التى قام بها وناموں مع الأمراء الذين قابلهم ، عن أمور فى العالم المعاصر لا نظير لها فى كل الآداب التى وصلت الينا من الشرق الأدنى ، ومن أجل ذلك فانه ــ خروجا على مادرجنا عليه ــ سنقدم فى الصفحات التالية ترجمة كاملة للنص :

العام الخامس ، الشهر الرابع من فصل الصيف ، اليوم السادس عشر ، فى اليوم الذى ارتحل « ون أمون » كبير المشرفين على ضيعة أمون سيد عروش الارضين ليحضر الخشب للسفينة الـكبرى لامون رع ملك الآلهة وهى التى على النهر وتسمى «أمون وسرحى» . وفى يوم وصولى الى تانيس مقر « نس بانب دد » و « تنت أمون » أعطيتهما رسائل أمون رع ملك الآلهة وقد قرئت فى حضرتيهما وقالا : « حقا اذا ستفعل كما قال ملك الآلهة أمون رع » .

وقد مكثت حتى الشـــهر الرابع من الصيف فى تانيس (١) ، ثم أرسلنى «نس بانب دد» و «تنت أمون» مع قائد السفينة «منجبيت» وفى الشهر الاول من فصل الصيف نزلت فى بحر سورية العظيم ووصلت الى «دور» مدينة «الزكار»(٢) وأمر أميرها «بدير» بأن يؤتى لى بخمسين رغيفا وجرة نبيذ وفخذ ثور ، وهرب أحد رجال سفينتى بعد أن سرق اناء من

(١) التواريخ المكتوبة فى الأصل يتناولها الشك .

(٢) أنظر صفحة ٢٨٨ .

الذهب يساوى « ٥ دبنات » وأربعة أوان من الفضة قيمتها عشرون دبنا وكيسا به فضة تعدل ١١ دبنا وكان مجموع ما سرقه ٥ دبنات من الذهب، ٣١ دبنا من الفضة وقمت فى الصباح واتجهت الى حيث الأمير وقلت له :

لقد سرقت فى مينائك وأنت أمير هذه البلاد وضابط أمورها فابحث لى عن مالى ؛ لأنه مال أمون رع ملك الآلهة وسيد البـلاد حقا وهو مال «نس بانب دد» وهو يخص مولاى «حريحور» وكذا عظماء مصر الآخرين .. انه مالك كذلك ، وانه مال «وارت» انه مال «ميكامار» انه مال «زكاربعل» أمير جبيل .. فقال لى : « أأنت صادق أم مدع ؟ لأننى لا أعرف شيئا عن هذه الرواية التى تذكرها لى .. لئن كان لصا من بلادى ذلك الذى اتجه الى سفينتك وسرق مالك فانى أعوضك اياه من مخـازنى حتى يعثر على اللص مهما يكن ولكن الواقـع أن الذى سرقك .. هو رجلك وهو يخص سفينتك .. فاقض معى هنا بضعة أيام حتى ابحث عنه .. ومكثت تسعة أيام راسيا فى الميناء ثم اتجهت اليه وقلت له «هاك انك لم تجد مالى» .

***

وتلى ذلك فقرات مشوهة يفهم منها أن «ون أمون» يرغب فى الرحيل مع بعض أصحاب المراكب الذين يزمعون ذلك ولكن الأمير يحرضـه على البقاء موهما اياه انه سيستولى على بضائع المشــبوهين حتى يعثر على اللص .

ولكن « ون أمون » فضل متابعة رحلته ، وبعد أن وصل الى صــور غادرها عند الفجر وسرعان ما وصل الى جبيل حيث أميرها « زكار بعل » ووجد هناك سفينة بها ٣٠ دبنا من الفضة وقال ان هذا المال سيبقى معه حتى يقبض من لجأ اليهم على اللص .

* * *

وارتحلوا وبقيت فى خيمة على الشاطىء فى ميناء جبيل واستطعت أن أصــل الى مكان أخبىء ، فيه « آمون ـ الطريق » (١) ، ووضـعت مقتنياته فيه ... وأرسل الى أمير جبير قائلا : « غادر مينائى » فأرسلت أقول له : « الى أين أذهب ؟ ان وجدت سفينة تحملنى فليعودوا بى الى مصر » وقضيت تسعة وعشرين يوما فى مينائه وكان يرسل الى كل يوم يقول : « اترك مينائى ! » .

---

(١) كان هذا تمثالا للاله كان يظن انه يستطيع أن يضمن نجاح مهمة ونامون ... ويمكن الرجوع الى صفحة ٢٣٧ وذلك عن مناسبات أخرى تردد فيها ذكر التماثيل المسافرة.

وبينما كان يقدم القرابين لالهه آمسك الاله بشــاب من رجاله وأصابه بالخبل فقال له : « احضر الاله هنا واحضر الرسول الذى يحمله • انه أمون الذى ارسله ، انه هو الذى جاء به » وظل المخبول طيلة الليل فى خبله ، فى حين وجدت سفينة متجهة الى مصر وضعت فوقها كل متاعى وكنت أترقب الظلام قائلا : « حين يحل ، سيأتى بالاله اليها وسوف لا تراه عين أخرى • وجاء رئيس الميناء الى قائلا : « انتظر للغد •• هذه هى رغبة الأمير » فقلت له : « ألست أنت الذى كنت تكرر لى كل يوم قولك » اترك مينائى ؟ أولا تقول ابق هنا الليلة حتى تدع السفينة التى أراها مرتحلة ترتحل وعندئذ ستأتى الى مرة أخرى وتطلب الى الرحيل ؟ » وذهب الى الأمير ورد قولى فأرسل الى الأمير قائد السفينة يقول : « انتظر الى الغد هذه هى رغبة الامير » •

ولما جاء الغد أرسل فى طلبى ، وكان الاله يستريح فى الخيمة التى على شاطىء البحر • ووجدته جالسا فى غرفته العلوية وظهره الى النافذة وأمواج البحر السورى العظيم تتلاطم خلف رأسه • قلت له : « ليكن أمون رحيما ؟» وقال لى: «ما المدة حتى الآن» وقال لى: «لنفترض إنك صادق فأين هى رسالة أمون التى فى حوزتك وأين خطاب الكاهن الاول لأمون الذى فى يدك ؟ » فقلت له : « لقد أعطيتها الى « نس بانبدد » و « تنت أمون » فاجتاحه الغضب وقال لى : « والآن : انك لا تحمل رسالة أو خطابا ، ولكن أين سفينة الصنوبر التى أعطــاك اياها «نس بانب دد» وأين بحارتها السوريون ؟ ألم يسلمك لربان هذه السفينة البربرى ليذبحك ويلقى بك فى الماء ؟ فمن أين اذن أتوا بالآلهة ، وأنت كذلك نبئنى من أين أتوا بك؟» هكذا قال لى فأجبته : « أليست سفينة مصرية وبحـارة مصريون الذين يحملون « نس بانب دد » ؟ انه ليس لديه بحـــارة سوريون فقال لى : أليس هناك عشرون قاربا فى مينائى تتـجر مع نس بانب دد وكذا فى صيدا ، ذلك المكان الآخر الذى مررت به ، أليس هناك كذلك خمسون سفينة أخرى تتجر مع « وارا كثير » وتعمل من أجل بيته ؟

فحرت صمتا فى هذه اللحظة الرهيبة :

وتابع هو حديثه قائلا لى : « فى أية مهمة قدمت ؟ » فقلت له : « جئت سعيا وراء الخشب من أجل السفينة العظيمة لأمون رع ملك الآلهة •• ان مافعله أبوك وجدك ستفعله أنت ! » هكذا قلت له فأجابنى قائلا : « حقا لقد فعلا ذلك ، وأنت ان دفعت لى الثمن سأفعل ! وفى الحــق ان قومى قد انجزوا هذا الامر ولكن بعد أن أمر فرعون بارسال ست سفن محملة

بالبضائع المصرية أفرغوها فى مخازنهم ٠٠ وأنت بم جئت لى شخصيا ؟، وأمر أن يؤتى بسجلات آبائه وأن تقرأ محتوياتها أمامى ٠٠ وقد وجد بها أنه دفع ألف دبن من الفضة وسلعا من كل نوع فقال لى : اذا كان حاكم مصر سيد أملاكى وكنت أنا خادمه أيضـــا لم يكن لزاما عليه أن يرسل فضة أو ذهبا حين يقول : نفذ أمر أمون ! على أنها ليست هدية ملك التى أعطوها لوالدى ٠٠ وأنا كذلك لست خادمك ولا خادم من ارسلك وأنا ان أرسلت صرختى الى لبنان(١) فان السماء تنفتح وترى الاخشاب ملقاة على شاطىء البحر ٠٠ أعطنى الاشرعة التى جئت بهـا لتقلع بسفينتك التى تحمل أخشابك الى مصر ٠٠ اعطنى الحبال التى أحضرتها لتربط باحكام أخشــــاب الأرز التى سأقطعها حتى لا تنكسر قاريات الاشرعة فتتحطم وتهلك فى وسط البحر ٠٠ هاك : ان «أمون» يرعد فى السماء وهو الى جانب «ستخ»(٢) ٠ حقا ان أمون أسدى الخير لكل البلاد كما لمصر التى أتيت منها حين اسداه اليها قبل غيرها ٠٠ لأن دقة الحرف فيها قد وصلت الى مقرى ، والعلم جاء منها الى حيث أقيم ٠٠ فما هذه السياحات الزائفة التى دفعت الى القيام بها ! فقلت له : زائفة ؟ ان رحلاتى ليست زائفة ! ليست هناك سفن على النهر لا تخص أمون ! وان البحر له ولبنان التى تزعم أنها بلادك ٠٠ له أيضا ! انها مزرعة لـ « أمون-اوسرحى » سيدة الســـــفائن قاطبة ! حقا إنه أمون رع ملك الآلهـة ذلك الذى قال لمولاى حريحور «ابعث به» وهو الذى جعلنى أحضر بهذا الاله العظيم ٠٠ ولكن انظر الآن ٠٠ لقد جعلت هذا الاله العظيم يقضى تسعة وعشرين يوما راسيا فى مينائك دون علمك ! أليس هو هنا ؟ أليس هو ما كان ؟ وأنت تقف مساوما على لبنان مع ربها أمون ! وأما ما تقوله بصدد الملوك الســـابقين الذين طلبوا الفضة والذهب ليؤتى بها اليهم فانهم لو رزقوا الحياةوالصحة لما جعلوا السلع يؤتى بها ! انهم بدلا من الحياة والصـــحة جعلوا هذه الأشياء ترسل الى آبائك ٠٠ أما أمون رع ملك الآلهة فهو سيد هذه الحياة والصحة وهو كان سيدا لآبائك ٠٠ لقد قضـــوا حياتهم يقدمون القرابين لأمون ، وأنت كذلك خادم لأمون ٠٠ ان قلت « نعم سأفعل ذلك لأمون ٠٠

---

(١) يزعم زكار بعل انه ما عليه الا أن يفتح فمه فتمطر كتلا من الأخشاب ٠

(٢) سوتخ هنا هو اله الرعد ويبدو أن حجة الأمير غير واضحة تماما ، وهى ان وناموں جاء غير مستعد تماما مما قد يعرضه للغرق فلا يملك أمون اذن الا ان يرعد ــ ويسلم زكار بعل بعد ذلك بان أمون وهو الذى برز فى بلاده فى عالم الفن والعلوم وانها انتشرت من هناك الى البلاد الأخرى ولكن أمون بعد أن أعطى ما أعطى ليس له هنا من جدوى ٠

وتتم هذه المهمة فانك ستعيش وستكون موفقا وستحيا فى عافية وستكون خيرا لكل بلادك وشعبك ‥ ولكن لاتستول شرها على متعلقات أمون رع ملك الآلهة ٠ حقا ان الأسد يحب مقتنياته ‥ مر كاتبك ان يأتى الى حتى ارسـله الى « **نس بانب دد** » و « **نت أمون** » **الحكام الذين منحهم أمون شمال الأرض** ، وسيرسلان لك كل ما تحتاج اليه وسأرسل لهم قائلا : « أرسلوها حتى أصل الى الجنوب وسأطلب ارسال كل ما أنا مدين به » ‥ هكذا تحدثت اليه ٠

ووضع خطابى فى يد رسوله ثم وضعوا الخشـب فى قاع المراكب والمقدمة والمؤخرة كذا أربع قطع أخرى ‥ ومجموعها سـبع قطع وأمر بارسالها الى مصر ٠ وذهب رسوله الى مصر وعاد الى فى سورية فى الشهر الأول من فصل الشتاء ، وأرسل معه « نس بانب دد » و « وتنت أمون » أربع جرار من الذهب واناء « كاكمن » من الذهب كذلك ثم خمس جرار من الفضة وملابس من الكتان الملكى عدتها عشر قطع ، وعشر قطع نسيج من كتان الصعيد الرقيـق ، وخمسمائة حصير ، وخمسمائة قطعة من جلود الثيران ، وخمسمائة حبل وعشرين زكيبة من العـدس وثلاثين سلة من السمك ، كما أرسلت (١) الى خمسة أغطية من كتان الصـعيد الرقيق وزكيبة عدس وخمس سلال سمك ‥ وفرح الأمير وخصص ثلاثمائة رجل وثلاثمائة ثور وعلى رأسهم مشرفون لقطع الأخشاب وقطعوها وبقيت ملقاة طيلة الشتاء ٠ وفى الشهر الثالث من الصيف سحبت الى شاطىء البحر وجاء الأمير وشهدها وارسل فى اسـتدعائى وحين جىء بى فى حضرته سقط ظل مروحة اللوتس الخاصة به على ، ولكن « بن أمون » سـاقيه اقترب منى قائلا : « ان ظل فرعون ربك قد سقط عليك » (٢) وغضب منه الأمير وقال دعه وشأنه ٠ وجىء بى فى حضرته وقال لى هاك ان المهمة التى اداها آبائى من قبل أديتها أنا كذلك ولكنك لم تقل لى شخصيا ما فعله آباؤك ؟ ‥ هاك ان آخر كتلة من الخشب قد جىء بها الآن وهى فى مكانها ‥ نفذ رغبتى لشحنهـا فانهـا لك حقـا ‥ ولكن لا تأت لتشاهد أهوال البحر فان كان لك أن تشاهد أهوال البحر فلتشـاهد أهوالى كذلك ‥ حقا اننى لم أفعل بك مافعل برسل « خع أم واسة » حين قضوا سبعة عشر عاما فى هذه الأرض وماتوا فيها ٠ وقال لساقيه : « خذه

(١) تنت أمون من غير شك ٠

(٢) تعبير ينم عن الاهانة من غير شك يعنى ان وئامون وفرعون كانا على السواء «تحت سحابة » ٠

ليشهد قبورهم ! » ولكننى قلت له : لاتدعنى أشهدها وأما بالنسبة لـ « خع أم واسة » (١) فان من أرسلهم لك كانوا رجالا ، وهو نفسه كان رجلا ٠٠ وأنت ليس لديك الآن واحد من مبعوثيه حين تقول اذهب واشهد رفاقك ! الا تسعد حين تفكر فى أن تصنع لك لوحة يسجل فيها : أمون رع ، ملك الآلهة ، ارسل الى مبعوثه أمون الطريق مع مبعوثه البشرى « ون أمون » سعيا وراء الأخشـــاب لأجل القارب العظيم أمون رع سيد الآلهة ، وقد قطعتها وحملتها وزودتها بسفنى وبحارتى وجعلتها تصل الى مصر تلتمس لى من أمون خمسين عاما من الحياة فوق أجلى المحدود ! وسيحدث حين يأتى مبعوث من مصر ملم بالكتابة ويقرأ اسـمك على اللوحــة التذكارية فانك ستتلقى ماء فى الغرب مثل الآلهة الذين هناك ! وقال لى هذا حديث شهادة ما ذكرته لى فقلت له : أما من جهة الأشياء العديدة التى قلتها لى فاننى اذا وصلت الى مقر كاهن أمون الأكبر وشهدت ما قمت به فان ذلك سيعود عليك بالفائدة ٠

وذهبت الى شاطىء البحر حيث الأخشاب وشـهدت احدى عشرة سفينة قادمة وتنتسب الى زاكار وهم يقولون « اسجنوه ولا تدعوا سفينته تتجه الى أرض مصر » فجلست وبكيت وجاءنى كاتب الخطاب لدى الأمير وقال لى : « ماذا يحزنك ؟ » فقلت له : ألست تشهد الطيور المهاجرة مرتين الى مصر ؛ انظر اليها كيف تأتى الى المياه الباردة ! حتام أترك هنا ؟ أو لست ترى من جاءوا ليقبضوا على مرة أخرى ؟ ٠٠ وذهب وأنهى نبأ ذلك للأمير مما قيل له ٠٠ وكان اليما ٠٠ وارســل لى كاتب خطاباته بقدحين من النبيذ ونعجة وجاءنى هذا كذلك بـ « تنتنة » وهى مغنية مصرية قال لها : غنى له ولا تدعى قلبه يمتلىء شجنا ٠ وأرسل الى يقول : كل وأشرب ولا تقلق وستسمع غدا كل ما أقول لك ٠ وفى الصباح استدعى مجلسه ووقف فيه وقال للزكاريين : مامعنى رحلتكم هـــذه ؟ فأجابوه قائلين « جئنا ساعين وراء سفن الحرب التى جهزتها لمصر مع خصـومنا فقال لهم « أنا لا أستطيع أن أسجن مبعوث أمون فى ارضى ٠٠ فلأطلقه ثم تسعون وراءه لسـجنه » وأطلقنى الى ميناء البحـر وساقتنى الريح الى أرض الأشيا (٢) ، وجاء الى القوم هناك ليقتلونى ولكننى استطعت أن

---

(١) ربما رمسيس التاسع ، ومن المؤكد ملك ، وكان رد ونامون على هذه الحجة انه حتى الملوك انفسهم بشر ، اما هو فقى خدمة الاله ٠

(٢) تعرف عادة بانها قبرص ، انظر كذلك Onom, I, 131* وكذا A.N.E.T., 356 No. 3

اشق طريقى فى وسطهم نحو « حانيبا ، أميرة المدينة ولقيتها خارجة من احدى دورها الى دار أخرى وحييتها وقلت للواقفين من حولها : أليس بينكم من يفهم لغـة مصر ؟ وقال أحـدهم : أنا أفهمها • فقلت له : قل لسيدتك حتى «نى» (١) •• والى حيث مقر أمون اعتدت أن أسمع أن الظلم كائن فى كل مدينة ولكن العدالة تقوم فى أرض الأشـيا ، افهناك ظلم يحيق هنا كل يوم ؟ فقالت ماذا تعنى بذلك ؟ فقلت لها : انغضب البحر وساقتنى الريح الى أرضك افتسلميننى لأقتل رغم اننى مبعوث أمون ؟ • اما بالنسبة لى فسيبحثون عنى حتى نهاية الزمان • واما بالنسبة لبحارة أمير جبيل الذين يسعون وراء قتلهم ، أفسوف لا يجد مولاهم عشرة من ملاحيكم ويقتلهم مقابل ذلك ! وأمرت باستدعاء القوم وأصغوا اليها وقالت لى : اقض الليل ••

وأما البقية فمفقودة ولابد أن ونامون نجح فى العودة الى الوطن والا فانه لم يكن يقدر لتقريره أن يكتب •• ونحن نقف الآن على عتاب مصر كدولة تختلف تماما عما عهدناه من قبل ، ولكن علينا قبـل الانتقال الى الأسرة الحادية والعشرين ان نشير الى مجموعة من الخطابات الهامة التى كشف عنها فى أوائل القرن التاسع عشر والتى توجد اليوم مبعثرة بين المتاحف المختلفة والمجموعات الخاصـة • ولعل أجود مانشر لها تم على يد ج • تشيرنى ، وتشير جميعها الى أنها تتصل بحياة وأعمال كاتب المقبرة الملكية فى طيبة ويدعى « دحوتموزة » وابنه « بوته أمون » وأقاربهما وأصدقائهما ، وبعض المحتويات تتناول الشئون المنزلية وان كان بهـا اشارات كثيرة الى الأحداث التاريخية الجارية ، كان ابن حريحور مخلفه باى عونخ قد أصبح كاهنا أكبر لأمون رع ومن المؤكد انه لم يزعم لنفسه ولاية العرش ، وقلما تشـير اليه المراسلات باسـمه ولكن من غير شـك انه المقصـود بلقب « قائد الجيش » واما صـلة القرابة الوطيدة بين هذه الشخصية المرموقة وبين دحوتموزة فترجع الى أن الأخير كان يعمل كوكيل له فى طيبة فى الوقت الذى كان باى عونخ مشغولا بحملة فى الجنوب ، من الواضح انها كانت موجهة ضد ابن الملك السـابق فى كوش المدعو بنحاسى (انظر صـفحة ٣٣٠) ويعبر أقرباء دحوتمـوزه عن قلقهم الشديد على سلامته فى رحلاته لاحضار السلاح ومواد التموين لرئيسه، وهناك حوالى ١٢ خطابا صادرة من باى عونخ نفسـه كتبها سكرتيره فى

---

(١) اختصار من « لى ريسه » أى المدينة الجنوبية ، يعنى طيبة ، وهى التى تنطق خطأ فى التوراه « نو » •

اسلوب قاطع ، وفى ثلاثة خطابات تكاد تكون متشابهة وجهت الى أمه نوزمة والى دحوتموزة والى موظف آخر نرى القائد ينهى اليهم تعليماته بأن يخرسوا أفواه رجلى شرطة من المازوى تهورا فى الحديث ، وذلك بأن يقتلا ويلقى بجثتيهما فى النهر ليلا ؛ وانه ليبدو من المشوق أن نعرف السبب الرئيسى لمثل هذا الأمر المشئوم ، ولكنه يشير على الأقل الى الحالة السيئة التى كانت تمر بها البلاد فى هذه الفترة المضطربة من تاريخ مصر ، وقد أضيفت الى خطاب دحوتموزة بعض كلمات لايمكن أن يفهم منها الا أنها تشير الى غياب رمسيس الحادى عشر اذ جاء فيها : ــ

« أما عن فرعون فكيف سيصل الى هذه الأرض ؟ رئيس من فرعون حتى الآن » ؟

مراجع مختارة

معبد مدينة هابو :

يكاد ينتهي معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاجو من اتمام نشر كامل لهذا المعبد ومن بين المجلدات التسعة التي تم اصدارها حتى الآن نرى ان المجلدين الأول والثانى (١٩٣٠ ، ١٩٣٢) يشغلان بالمناظر التاريخية والنصوص وقد قام بالترجمة **W. F. Edgerton**

Historical Records of Ramses III, Chicago, 1936 فى **J.A. Wilson**

اما المجلدات الخاصة بالعمارة والاعمال البنائية فقد عهد بها الى U. Hölscher

مؤامرة الحريم :

الى جانب بردية تورين بردية « ل ، رولن » التى ترجمها « برستد » و « دى برك » (فى BAR IV, §§ 416 ff. وفى (JEA XXIII, 152 ff.) نلتقى بقطعة لدى Varzy (RAD, p. XVIII) وبعض مقتطفات غريبة فى مقال قديم كتبه **Rifaud** فى Bull. Inst. fr. L. 107 ff. وانظر كذلك **J.E.A.** XLII. 8,9

بردية هاريس الكبرى :

H.D. Schaedel, Die Listen des grossn Papyrus Harris, **Glückstadt**, 1936

خلفاء رمسيس الثالث :

Seele in O. Firchow, Agyptologische Studien, **Berlin**, 1955, pp. 296 ff.
Nims in Bibl. Or. XIV. 137-8
Cerny in JEA, XLIV, 36 f.

لقب « الابن الملكى » ل « رمسيس » :

Petrie, Hist. III, 242

وهناك اضافات ل **Roeder** فى **Pavly-Wissowa**, Reat-Encycl. تحت عنوان « رمسيس » ، عمود ٢٢٥

آثار رمسيس الرابع :

L.-A. Christophe in Cahiers d'histoire égyptienne, III (1950), 47 ff.
W. Helck in ZAS LXXXII, 98 ff. **The great Abydos stelae**
(1) **BAR** IV, §§ 469-71 (2) Bull. Inst. fr. XLV. 155 ff.

فضيحة الفنتين :

النص فى RAD pp. 73 ff. والترجمة قام بها T. E. Peet فى J. E. A. X 116 ff.

وانظر كذلك ماكتبه S. Savneron Rev. d'Eg. VII. 53 ff

بردية ويلبور :

نشرها A. H. Gardiner فى اربع مجلدات Oxford, 1941, 1948-52

امنحتبة ، كبير كهنة امون رع :

G. Lefebvre, Grands prêtres pp. 185 ff., 267 ff.

وكذا لنفس المؤلف :

Inscriptions concernant les grands prêtres d'Amon Romê-Roy et Amenhotep, Paris, 1929.

سرقات المقابر :

T. E. Peet, The Great Tomb-robberies of the Twentieth Egyptian Dynasty. 2 vols., Oxford, 1930

والكتاب يضم بردية امهرست فى مرحلتها الأخيرة حين استكملت ببقية لها عثر عليها فى مرحلة تالية (انظر هامش صفحة ١٦٢) فاصبحت تعرف باسم بردية ليوبولد الثانى التى نشرها J. Capart A. H. Gardiner فى بروكسل عام ١٩٣٩ ، وارجع كذلك الى J. E. A. XXII, 169 ff. وأهم آخر فئة من هذه البرديات هى التى نشرها T. E. Peet تحت اسم « برديات ماير » « أ ، ب » ، لندن ١٩٢٠ ،

بنحاسى ، والى النوبة :

Rec. trav. XXXIX. 219-20

كمتمرد : Peet, Tomb-Robberies, p. 124

فيما بعد بالنوبة Cerny, Late Ramesside Letters, Brussels, 1939, pp. 7-8

مقبرة فى عنيبة : PM VII. 79

حريحور :

Lefebvre, Grands prêtres pp. 205 ff., 272 ff.

فى معبد خونس : PM. II 79-81

الزوجة نوزمة والأسرة : Gauthier LR III. 236 ff.

النهضة :

Cerny in J.E.A. XV. 194 ff.; ZAS LXV 129-30

ونامون :

آخر ترجمة قام بها J.A. Wilson فى ANET, pp. 25-29

واما النص ففى A.H. Gardiner, Late Egyptian Stories pp. 61-76

عن مراسلات الكتاب وحوتموزة وبوتيهامون ، انظر كتاب « شيرنى » عن بنحاسى (المشار اليه اعلاه) وارجع كذلك الى كتاب A. H. Gardiner :

A Political Crime in Ancient Egypt in Journal of Manchester University Egyptian and Oriental Society, 1912-13, pp. 57-64

١٢ مصر تحت وطأة الحكم الأجنبي

وجد الازدواج المميز لأرض الفراعنة ، خلال القرن الحادى عشر قبل الميلاد وما تلاه ، تعبيرا جديدا غير متوقع ، وليست تستطيع المرحلة الرئيسية أن توصف بخير مما شهدناه قد حدث للمعبود سيىء الطالع « ونامون » .. لقد أصبحت مصر الآن تحكم من عاصمتين منفصلتين طيبة فى الجنوب ، وتانيس فى الشمال ، ومن العجيب أن نقر أن العلاقات بين شقى الوادى كانت ودية تعاونية وكانت الدولة لفترة ما قد تعطلت أمورها ، ويعبر ونامون بالقول فى كل مكان لا فى مصر وحدها بأن السيادة للاله الطيبى أمون . وأن الحكام الأرضيين ليسوا سوى بشر ، وعلينا الآن أن نبين كيف تطور الموقف ، فأمر عدم وجود فرعون لم يعد من الممكن أن يظل محتملا لفترة طويلة ، ومن ثم نرى نسبانبدد ويسارع بتأكيد دعواه ، ويعنى اسمه « ذلك الذى يمت الى كبش دجد » و « دجد » هى المدينة الهامة فى وسط الدلتا المعروفة لدى اليونانيين باسم منديس ويبدأ مانيتو أسرته الحادية والعشرين التى تضم سبعة من الملوك التانيسيين بالملك « سمندس » وهذه هى الطريقة التى ينطق بها اسم نسبانبدد ، والتى لا تبعد كثيرا من غير شك عنها ، ولم يكن ل « سمندس » بوصفه مواطنا فى « دجد » حق شخصى فى العرش وانه ليبدو من الواضح أنه بصرف النظر عن خلقه القوى ، يدين بالملكية الى تنتامون ولعل هذا الاسم يروى قصة هذه السيدة ألتى يبرزها ونامون على الدوام شريكه ل «سمندس» اذ من الواضح أنها كانت حلقة الاتصال التى تربط طيبة بتانيس ، ومع ذلك فانه يبدو غريبا أن تتقبل طيبة سيادة تانيس بهذا الخضوع ، والمستند الوحيد الباقى من عهد سمندس نص منقوش على عمود فى محجر بين جبلين(١) مهشم فى معظمه وفيه يروى كيف أن سمندس جلس فى قصره فى منف وهو يفكر فى عمل يشير الى تقواه حتى يناله التمجيد ، وانه حين ينهى اليه الامر بأن بهو الاعمدة الذى شيده توثموزيس الثالث فى الأقصر أغرقه الفيضان حتى السقف ، أرسل ثلاثة آلاف عامل لقطع الحجر الرملى اللازم للترميم ، وهكذا فان سمندس لم ينقل عاصمته الرسمية الى أقصى شمال

(١) B.A.R., IV, No. 627-30

الدلتا فحسب بل انه وجد نفسه طليقا ليباشر عمليات البناء بعيدا فى الجنوب حتى طيبة ولسنا نجد شيئا من هذا يصـــدق على خلفــائه الذين لا يعدو ذكر آثارهم فى مصر العليا أو الوسطى معبدا صغيرا لايزيس عند سفح الهرم الاكبر (١) ومصلى ل « سيامون » فى منف (٢) ثم بعـــض الأشياء غير الهامة عثر عليها فى ابيدوس (٣) ومع ذلك فانه من المؤكد أنهم كان ينظر اليهم بوصفهم الفراعين الشرعيين الوحيدين ، لا من وجهة نظرهم الشخصية فحسب ، بل كذلك من وجهة نظر من جاءوا بعدهم ، ولسنا نرى مانيتو فى تعداده للأسرات بعد ذلك يشير من جديد الى طيبة ويظهر أن كل التواريخ تقريبـا التى وجدت فى النصوص هناك تساير عهود الحكم التانيسى ، ولم يعد الدفن فى بيبان الملوك مما يتلهف عليه الملوك ، وقد كشفت حفائر مونتيه فى تانيس عن مقابر بسوسنس الأول وامنموبى وهما ثانى وثالث ملوك الأسرة ان غضضنا النظر عن نفر كارع (صفحة٦٥) الذى لم يعمر طويلا ، وعلى أية حال فان هذه الأضرحة عبارة عن مبان فقيرة قليلة الأهمية أن قورنت بالمقابر ذات الممرات الهائلة فى غرب طيبة أو بالاهرام الرائعة فى أقدم العصور ، واما الحجاب الذى يغطى انحطاط النظام الجديد فرقيق يحاول أن يغطيه بحلى فاخرة كانت ثمرة صبر طويل قضاه مونتيه فى الحفر ٠

أما فى طيبة فان نظـــام الحكومة الذى خلفه حريحور لأعقابه قد ظل مستمرا مع قليل من التغيير ، وقد تولى منصب كبير الكهنـــة على التوالى باى عونخ ثم بى نوزم الأول ثم ماساهرتا ثم من خبر رع وأخيرا بى نوزم الثانى ، وانتقل من الأب الى الابن فيما عدا من خبررع الذى كان أخوه سلفا له ــ وقد انتحل كل هؤلاء الأحبار الى جانب نعتهم الكهنوتى لقب « القائد الكبير للجيش » أو « القائد الأعلى للجيش فى البلاد جميعا » مما يشـــير بوضوح الى حالة استقرار البلاد ، وأما أن تضاف أحيانا ألقاب « وزير » أو « ابن الملك فى كوش » فليس يعنى ذلك سوى متابعة تقليد من التقاليد ، وليس من شك أنه كانت هناك روابط زواج وصداقة بين العاصمتين جعلت من وجودها المشترك أمرا طبيعيا ــ وربما ضروريا كذلك ــ ولئن كان قد اعترف بالاله أمون فى تانيس فانه ربما من الخطأ أن نستنتج من وراء ذلك مولدا طيبيا لأسماء الفرعونين الشماليين امنموبى

---

(١) P.M., III, 5

(٢) Op. cit., III, 225

(٣) Op. cit., V, 78, 80

وسيامون ولكن كلمة بسوسنس غير المعتادة التي تعني « النجم الذي تألق في طيبة » لا يمكن أن ننكر دلالتها · وكان بي نوزم الاول وحده من بين كبار كهنة أمون المعاصرين هو الذي أكد تأكيدا قاطعا حقه في أن يعتبر فرعونا فانتحل لنفسه لقبا واتخذ اسما ومع ذلك فان الوثائق التي تحمل اسمه تسجله في أغلب الأحايين بغير خرطوش ، ومما يثير أشد العجب أن بسوسنس الأول يستخدم في تانيس نعت « كبير كهنة أمون رع (١) » بل انه في لقب كامل يصف نفسه بكونه « العظيم في ايبت ايسوه » أي الكرنك (٢) ·

كان الدور الذي لعبته المرأة في مصر القديمة دائما دورا كبيرا ، ولكن دورها هنا كان أكبر منه في أي مرحلة مرت بنا من قبل ، فالنصوص تستخدم بطريقة غير عادية نعوتا مثل « ابنة الملك » أو « زوجة الملك العظمى » ولكن محاولة تقديم سلسلة أنساب سليمة أثبتت حتى الآن أنها عمل غير موفق ويجب أن نسلم أن الأبحاث في هذه النقطة لا تزال في مهدها ، ولعل المظهر الذي يدعو للارتباك في هذه المشكلة هو أن اسم الانثى نفسه كانت تحمله عدة اناث مختلفات ــ وقد اكتسب لقب «زوجة الاله آمون» الذي يرجع شطره الأول منزمن بعيد، اكتسب، أهميةسياسية ملحوظة · وان كان ما يعنيه بالضبط لا يزال مبهما · وفي عهد بي نوزم الأول نجد أن ماع كارع التي تحمل هذا اللقب توصف بأنها مجرد طفلة(٣) وان نسب اليها في أغلب الأحايين أنها كانت زوجته وأغلب الأمر أنهـا كانت ابنة ل بسوسنس الأول وهي ليست من غير شك ماع كارع ابنة الملك التانيسي بسوسنس الثاني (٤) التي سجلت حقوقها كوريثة للعرش على نقش طويل في معبد الكرنك (٥) · وليس هذا سوى مثال للصعوبات التي تقوم حول أسماء أميرات مثل خنوتودي ، وايسيمخب وغيرهما · وعلينا أن نشير هنا كذلك الى أن بعض هؤلاء السيدات الملكيات كن ذوات ثروات ليست بالقليلة استطعن أن يستحوزن عليها نتيجة لشغلهن وظائف الكهانة ف « نس خونس » مثلا وهي زوجة «بي نوزم الثاني» الشهورة توصف على التابوت الذي يحمل اسمها (٦) بأنها :

(١) Psus, pp. 16-17

(٢) Op. cit., p. 136, fig. 51

(٣) Rec. trav. XIV, 32

(٤) B.A.R., IV, No. 738-40

(٥) P.M., II, 62

(٦) Daressy, cerc. p. 112

« الرئيسية الأولى لمحظيات أمون رع ، ملك الآلهة ، المشرفة على بيت موت العظمى ، سيدة أشرو ، كاهنة أنحور - شو ابن رع (١) ، كاهنة من ، حورس ، وايزيس فى ايبو (٢) كاهنة حورس سيد زو اف (٣) الأم الالهة ل « خونس الطفل ، الأولى لدى أمون رع ، ملك الآلهة ، رئيسة النبيلات » .

هذا بالاضافة الى ما يشير اليه صف آخر من النقش من أربع كهانات محلية أخرى ومن سوء الحظ أن اسم نس خونس نقش فوق اسم ايسيمخب التى تعد من غير شك صاحبة هذه الألقاب . من أجل ذلك ، ولئن أخذنا الأقاليم المذكورة هنا بنظرة جدية فان هذا يعنى أن النفوذ الطيبى امتد شمالا حتى مصر الوسطى وهو أمر يؤكد ما جاء فى الحيبة (٤) على قوالب من اللبن تحمل اسم كبيرى الكهنة بى نوزم الأول ومن خبر رع ، وسيرد ذكر الحيبة مرة أخرى فيما يتصل بالأسرة الثانية والعشرين ، وتعد هذه التعقيدات مميزة للصعوبات التى صاحبت تفسير مشاكل الأسرة الحادية والعشرين ، ويجب أن تترك محاولات تفسير هذه الأمور الى المستقبل ، فالمادة كثيرة ولكنها مبهمة فى أغلب الأمر ويجب أن نقنع هنا بأن نقدم بيانا عن اكتشافين كبيرين استطاعا أن يغيرا وجهة نظر المؤرخين .

وجدت بعض الآثار التى عثر عليها وترجع الى عهد الأسرة الحادية والعشرين طريقها فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر الى تجار العاديات وكانت من الكثرة والأهمية بحيث أصبح من الواضح أن بعض أهالى القرنة توصلوا الى مقبرة أو خبيئة من نوع غير معتاد (٥) ، ولم يكن من الممكن فى عام ١٨٨١ - أن تقوم تحريات رسمية ، وكان مدير مصلحة الآثار اذ ذاك ج. ماسبرو الذى اهتم بالأمر اهتماما بالغا ، وسرعان ما أحاطت الشبهات وضاق خناقها حول عائلة عبد الرسول ، وقد فشلت كل المحاولات لجعل من وجدوا هذه الآثار يفشون سرها حتى أدرك أكبرهم أن بعض اخوته على وشك فضح الأمر فعول على أن يسبقهم الى ذلك ومن هنا كان الكشف عن ذلك المخبأ العجيب الذى ضم العديد من الموميات

---

(١) فى ثنيس .

(٢) اخميم

(٣) مدينة تقع على بعد قليل من شمال اسيوط .

(٤) P.M., IV, 124

(٥) Op. cit., I, 173, ff.

الملكية التى وصفنا بعضها أو أشرنا اليه فى الصفحات السابقة من هذا الكتاب (١) • كانت هناك بئر عميقة الى جنوب وادى الدير البحرى تؤدى الى ممر طويل ينتهى بحجرة دفن كانت تشغلها من قبل ملكة نصف منسية هى « انحعبى » وقد عثر على توابيت وموميات وأثاث جنزى مكومة بعضها فوق بعض فى غرفة الدفن هذه التى يتعذر تبيان معالمها وقد جيء بها الى ذلك المكان بعد جولات كثيرة قام بها خلفاء حريحور • ونكاد نقرر انه كان يحدث فى أغلب الأمر أن تتعرض أماكن الدفن للملوك العظام من الأسرات السابعة عشرة الى العشرين للاغتصاب والسرقة بمجرد دفنهم وكان يقوم بهذا العمل الأهالى الجشعون فى الجبانة الطيبة ولم يتوقف هذا الانتهاك لحرمة المقابر حتى تدخل كبار كهنة الاسرة الحادية والعشرين وبذل آخر مجهود متحمس من جانبهم • وقد استطاعوا أن يفعلوا ذلك الأمر بثقة أكبر وذلك لأن الحلى الذهبية والمقتنيات الأخرى الثمينة كانت قد اختفت منذ زمن بعيد ولم يكن باقيا ليستنقذ سوى التوابيت والجثث •• ومع ذلك فان استعادة بقايا الكثيرين من هؤلاء الفراعين العظام كان بالنسبة لعصرنا الحديث أمرا يدعو للاثارة بصورة لا نظير لها فى دراسات علم الآثار •• وكانت القدرة على تأمل السحنة الحقيقية لهؤلاء المحاربين المشهورين أمثال توثموزيس الثالث وسيتوس الثانى ميزة سمح بها بالطريق الشرعى للمؤرخ الجاد • وان كانت لا يرضاها اليوم تماما لمن يحاول ذلك لمجرد الفضول • وكان هناك الى جانب الملوك التسعة الذين وجدوا عددا من زوجاتهم الملكات وكذا بعض الأمراء وذوو الشخصيات الاقل شأنا • قد بينت بعض البطاقات المكتوبة بالهيراطيقية على توابيت أو لفائف موميات معينة تواريخ اعادة الدفن والسلطات التى قامت بهذا الأمر •

ولعل أكثر أهمية من وجهة النظر التاريخية البحتة تلك التوابيت السليمة لكبار كهنة الأسرة الحادية والعشرين ونسائهم، وقد زودتنا الكتابة الهيروغليفية بجانب ليس بقليل من المادة التى كانت مثار منافسة والتى وردت فى المقال الوحيد الرئيسى الذى كتبه ماسبرو عن هذا الكشف ، وكان من أواخر الدفنات التى تمت هناك دفن بى نوزم الثانى وزوجته نس خونس التى سلفت الاشارة اليها • وقد غلقت الخبيئة بعد دفنها بالاختام وكان ذلك فى العام العاشر من حكم الملك التانيسى سيامون (٢) ، ولكن

---

(١) انظر صفحة ١٨٢ وما بعدها •

(٢) J.E.A., XXXII, 24 ff

أعيد فتحها من جديد فى عهد الملك شوشنق الاول ليدفن هناك كاهن أمون المدعو جد بتاح أف عونخ (١) ٠

وفى عام ١٨٩١ أى بعد الكشف السالف الذكر بعشر سنوات تقدم الشخص نفسه الذى كشف سر الموميات الملكية ، وهو من مواطنى القرنة ، الى جريبو الذى خلف ماسبرو مديرا لمصلحة الآثار لينهى اليه وجـــود بقعة فى شمال معبد الدير البحرى حيث توجد مقبرة ذات أهمية غـــير عـادية وقد استطاعت بضـع ضربات من المعاول أن تكشف عن بئر تؤدى الى سرداب يبلغ طوله قرابة ٨٠ ياردة يليه آخر الى ناحية الشـــمال أقصر منه فى مستوى أدنى نسبيا ــ وقد عين دارسى ليشرف على عمليـة الحفر ووجد هناك ١٥٣ تابوتا من بينها ١٠١ مزدوجة و ٥٢ مفردة ومعها عدد كبير من الصناديق التى تحوى تماثيل الاوشبتى والتماثيل الاوزيرية الصغيرة كان جانب منها يحوى برديات وأشياء أخرى أقل أهمية ، ولم تكن التوابيت قرب المدخل مرتبة ولكنها وضعت بعد ذلك فى الداخل مرصوصة الى جوار الجدران فى صفوف متقابلة مع ترك ممر فى وسطها وكانت هناك حجرة فى أقصى الداخل خصصت لأسرة الكاهـن الأكبر من خبر رع ولكن السراديب استخدمت بعد ذلك بغير تمييز لأعضاء كهانة أمون رع ٠ وكانت صناديق الموميات عادة على هيئة آدمية تغطيها مناظر دينية متعددة الألوان ونصوص كسيت بطلاء أصفر ــ وهى من وجهة نظر المؤرخ قليلة القيمة الا فيما يتصـل بذكرها لأسماء وألقـاب أصحابها الذين كان من بينهم عدد لا بأس به من النســاء وبخاصة موسيقيات المعبد ٠ ومع ذلك فقد كانت هناك أهمية من ناحية أخرى للأربطة الجلدية والصدريات فوق الموميات وذلك لأنها تصور غالبا الكاهن الأكبر المعاصر أو الأسبق واقفـا أمام أمون أو معبود آخر ، وربما كان أكثر أهمية من تلك النصوص التى كتبت غالبا على قماش الموميات ؛ لأنها تسـجل تاريخ صنعها ٠ وهـكذا فان لدينا هنا مصدرا أوليا لالقاء ضوء على هـــذه الأسرة المعقدة ٠ كـانت الاستعانة بقرارات الوحى فى كل المناسبات هى الميزة البـارزة للادارة الطيبية ابتداء من نهـاية الأسرة العشرين ، ولقـد رأينا كيف أن تعييننا بالمعبد تم بهذه الطريقة فى عهد كبير الكهنة باى عونخ اذ أوقف الاله الكبير أمون رع قارب موكبه ليبوميء بالموافقة حين قدم اليه الاسم الصحيح ٠ وقد حدث فيما بعد حين كانت وراثة الاميرة مارع كارع موضوع جدل(٢)

---

(١) Gauthier, L.R., II, 307

(٢) انظر صفحة ٣٣٢ ــ ٣٣٣ ٠

أن كان آمون رع وبصحبته عضوى ثالوثه الآخرين الالهة موت والاله الطفل خونس هم من أصدروا القرار ، ومرة أخرى كان أول عمل ل « منخبررع » حين أصبح كاهنا أكبر أن يسأل الاله الاعظم ان كان من الممكن أن يصدر العفو عن بعض الأشخاص الذين كان قد تم نفيهم الى الواحات وأن يسمح لهم بالعودة الى طيبة (١) ، ولئن كان الحجم معيارا للأمور فاننا نستطيع أن نقدر ان النص الضخم (٢) المحفور على أحد جدران الكرنك ويتناول محاكمة أحد الموظفين لخيانة كان قد أحيط بأمرها بى نوزم الثانى يشير بالضرورة الى ان للمسألة أهمية غير عادية ونشهد خلال هذه المحاكمة سلسلة كاملة من الأسئلة توجه الى المعبود الذى يبدو أنه كان عازفا عن التقدم فى موكبه السنوى لزيارة الأقصر حتى ينتهى الأمر الى قرار — وكانت الخطوة الأولى تتضمن وضع لوحتين أمامه الواحدة للاثبات والأخرى للنفى ، ان كانت هناك قضية للتحقيق ·· وباختصار — بقدر مايسمح مادتنا المحدودة أن تقدم — لم يكن هناك موضوع يتطلب تدخل الكاهن الأكبر الشخصى دون أن يحسم بوساطة اجابة من الوحى · وهناك بردية طويلة عثر عليها فى خبيئة الدير البحرى (٣) تبين أنه حتى الموتى أنفسهم يمكن محاكمتهم بالوسيلة نفسها ، وهاك قطعتين مختصرتين نوردهما كمثل لما فى هذه البردية :

قال أمون رع ، ملك الآلهة ، الاله العظيم القوى ، الذى كان أول من جاء الى الوجود : سأؤله نس خونس ابنة تحن دحوت فى الغرب ، سأؤلهها فى الجبانة سأجعلها تتلقى ماء فى الغرب ·· سأجعلها تتلقى تقدمات فى الجبانة ·

ثم بعد ذلك بقليل :

سأحول قلب نس خونس ابنة تحن دحوت ، وسوف لا تفعل شرا ضد بى نوزم بن ايسيمخب ، سأحول قلبها وسوف لا أسمح لها أن تبتز حياته ·· سأحول قلبها وسوف لا أسمح لها أن تكون سببا فى أن يحدث له أى شىء يؤذى قلب الحى ·

وهذه العبارة الأخيرة هى أكثر ما جاء هنا أهمية ؛ لأنها تلقى بعض الضوء على العلاقات الزوجية بين الأميرة المعروفة لنا الآن «نس خونس» وبين

(١) B.A.R., IV, 625-8

(٢) أنظر المراجع فى نهاية الفصل وكذلك P.M., II, 61 (58)

(٣) J.E.A., XLI, 83 ff.

زوجها الكاهن الأكبر بى نوزم ، ولكن هناك شيئا أكثر أهمية هو استهلال نفس البردية الذى يبين مدى التغير الضخم الذى تم بالنسبة للعقيدة فى المعبود أكثر مما تذيعه ، وقد استبعدت المسحة الميثولوجية بعنف ، ولئن كانت الطبيعة الشخصية لا تزال واضحة فى اسمه الممجد من زمن طويل فان ما كان يضغط عليه الآن هو « ذلك الذى يجعل البشر يعيشون ويعبر السماء دون اجهاد « وانه ـ رغم شيخوخته ـ يبدأ الصباح كشاب » وبعد ذلك بقليل يقال فى تناقض تام ان « عينه اليمنى وعينه اليسرى هما الشمس والقمر » وقد ضغط كثيرا على جوهره بوصفه الاله البدائى الذى انبثق منه كيان كل اله ، وقد أكد تفرده وطبيعته الغامضة تأكيدا شديدا ، واستخدمت فى ذلك التورية والجناس بين اسمه وبين فعل « أمن » بمعنى « مخبوء » واما وجود الآلهة الأخرى فكان متجاهلا أكثر منه منكرا ولم يضطهدوا كما حدث فى عهد أتون ، والواقع ـ كما لاحظنا من قبل ـ ان زوجته موت والاله سمرى الشاب خونس كانا مستقرين فى منطقة الكرنك غير منفصلين عنه فى الاحتفالات الدينية ولهما قارباهما الخاصان بهما يتبعان قاربه فى مواكب الأعياد ، وسندرك أنه رغم أن الكهانة الطيبية فى هذا المعتقد فى أمون رع المتطور حديثا اقتربت كثيرا من عبادة التوحيد الا أن هذا التوحيد كان ذا طابع يختلف تماما عن التوحيد الذى أعلنه الملك المهرطق اخناتن وانه ليبدو من الاهمية لو استطعنا ان نشخص فى أمانة وثقة البواعث لهذا الاطراء الزائد عن الحد للاله الطيبى القوى أكانت الظروف المضطربة للعصر سببا لهذا الاصطخاب غير العادى فى التدين ؟ أم كان الكهنة تواقين لأن يرفعوا عن كواهلهم كل مسئولية عما قد يؤدى بهم الى متاعب ؟ ومهما يكن من أمر فان المركز الضخم للاله استغل كسلاح نافع فى يد الملكية التانيسية التى أصبحت سيادتها الواقعية بهذه الصفة مقبولة دون خنوع أكثر من اللازم .

ومع أن التتابع والعلاقات المشتركة بين كبار الكهنة الطيبين قامت على دعائم وطيدة الا ان مثل هذا لا يصدق على الحكام التانيسيين ، واما عن الأربعة الأولين فقد نستطيع أن نتقبل ترتيبهم طبقا لمانيتو على الوجه الآتى :

سمندس . بسوسنس ـ نفركيرس ثم امنوفثس . وأما عن أوسوخور الذى يضعه خامس الأسماء فلنا أن نشك فى أنه يمت للأسرة الثانية والعشرين ، واما عن بسيناخس الذى يليه فليس لدينا ما يقابل هذا الاسم بالهيروغليفية ـ ويجب أن يوضع هنا على أية حال سيامون الذى أغلق خبيئة الدير البحرى بالأختام والذى عرف عنه انه حكم حتى

عامه السابع عشر (١) · ويذكر مانيتو فى نهاية الأسرة بسوسنس آخر سنرى الآثار تؤكد وجوده ، وقد ظن فى وقت ما على أية حال أنه هناك بسوسنس ثالث يمكن تمييزه عن بسوسنس الثانى · وتاريخ الأسرة الحادية والعشرين تناوله الكثير من النقاش أكثر مما تناول ترتيب ملوكها ، فافريكانوس يرى أن سمندس حكم ٢٦ سنة كما حكم بسوسنس الأول حتى عامه السادس والأربعين ، وهو يقدم ١٤ سنة ل «بسوسنس» الثانى ومددا أقصر للباقين ·· ولكن المصادر السابقة له لا تتناول بالذكر مدد الحكم الثلاث ، ومن ناحية أخرى نرى قطعة من الكتان وضعت فى غير مكانها تسجل ، كما يشير الى ذلك «دارسى» (٢) ، العام التاسع والأربعين لامنموبى ولكن هذا بعيد الاحتمال جدا لأن مقبرته فى تانيس التى كانت تضم موميات أصلا من أحقر المقابر ولا يمكن مقارنتها بحال بمقبرة بسوسنس الأول المجاورة لها مباشرة (٣) · وليس لدينا فى هذه المرحلة من الزمن أشياء معاصرة تمد لنا يد العون ، ولكن المجموع الذى يقدمه مانيتو وقدره ١٣٠ سنة لا يمكن تخفيضه الا بصعوبة ؛ لأن ذلك يؤدى الى تشويه الصورة التاريخية العامة التى رسمها المتخصصون فى هذه الناحية وأما أننا قلما نسمع بعلاقات مصر بفلسطين والبلاد الواقعة وراءها فى هذه المرحلة ، فان هذه نتيجة طبيعية لانقسامها الداخلى · وكانت اشور كذلك مشغولة تماما بمتاعبها الداخلية واستطاعت فلسطين وسورية أن تنقسم الى ممالك صغيرة ، ناجحة مع ذلك ، مثل فينيقيا وفلستيا واسرائيل ومؤاب وأدوم ولم يكن أمام الواحدة منها خصوم أقوياء سوى جيرانها المتاخمين لها ، وقد استمرت التجارة والروابط الثقافية مع القوى الكبرى فى النيل والفرات وكان الأمر يتطلب تجنب الاحتكاك السياسى أو العمليات الحربية باصرار · وأما القليل الذى نسمعه من هذا النوع فمصدره التوراة ، كما سنرى فورا ·

انتقل الحكم الفرعونى بعد عام ٩٥٠ ق·م بقليل الى يد أسرة من جنس أجنبى ـ وقد ميز حكامهم الأولون أنفسهم بلقب « رؤساء المشوش » التى تختصر غالبا الى « رؤساء ال ما (٤) » وان حللت أحيانا الى « رؤساء الأجانب » ومن الواضح أنهم كانوا أقرباء لأولئك الليبيين

---

(١) Rec. trav. XXX, 87

(٢) Gauthier, L.R., III, 293

(٣) Psus. pp. 173-5

(٤) Nonm., I, 120*

الذين طردهم مرينتاح ورمسيس الثالث بصعوبة ، ومع ذلك فانهم لا يعتبرون غزاة جددا ، ولعل أكثر النظريات تقبلا هو أنهم من نسل الاسرى أو المتطوعين الذين ـ شأنهم فى هذا شأن شردن ـ استقروا بالبلاد ومنحت لهم أراض مشروطة بالتزام الخدمة العسكرية ٠ فاذا كان الأمر كذلك ، فانهم تكاثروا وأصبح لهم من الأهمية ماكمنهم من الوصول الى الحكم بأقل احتكاك ممكن ، وقد فعلوا ما فعله الهكسوس من قبل من ناحية محاولة اظهار أنفسهم كمصريين بالمولد وان احتفظوا فوق رءوسهم بالريشة التى كانت تميز مظهرهم ، ومع ذلك فان عنصرهم الأجنبى كشف عن نفسه بالأسماء البربرية التى انتحلوها مثل شوشنق وأوسوركون وتاكلوث وقد قدم مانيتو هذه الأسماء الثلاثة كأعضاء لأسرته الثانية والعشرين التى تضم ستة ملوك آخرين لم تذكر أسماؤهم كما يقدم افريكانوس مجموع مدة الحكم ١٢٠ سنة ، وقد استطاع دارسو المصريات أن يميزوا خمسة يحملون اسم شوشنق وأربعة يحملون اسم أوسوركون وثلاثة يحملون اسم تاكلوت ٠٠ والفترة كلها يلفها الغموض ويجب أن نقنع هنا ـ كما هى الحال فى مواضيع أخرى ـ باختيار ووصف أبرز الشخصيات والقصص والأحداث الهامة ٠ وأما من الناحية العامة فانه يمكن أن يقال أن مظهر هذه الأسرة الأخيرة ظل شبيها مشابهة قوية بمظهر الاسرة الحادية والعشرين ، وكانت العاصمة الرئيسية فى الشمال اما تانيس أو بوباستس ، وكان كبار الكهنة فى طيبة لايزالون يمارسون سلطانا دينيا لا ينازع ، أما العلاقات بين شطرى الوادى فظلت تتأرجح بين الود والعداء وكان العصر يتسم بالثورات والاضطرابات التى ليس لدى المؤرخ عن تفصيلاتها سوى مصادر ضئيلة رغم المادة القيمة التى وصلت الينا عن طريق اكتشاف هائل سنتناوله بالوصف ٠

كان أوجست مارييت فى عام ١٨٥٠ شابا لا يزال مستقبله كدارس للآثار المصرية غير واضح ، ولكنه سرعان ما وجد الفرصة مواتية فى مهمة الى القاهرة لشراء مخطوطات قبطية للحكومة الفرنسية ، وقد لقى عند وصوله عقبات أخرى تحول دون تحقيق هدفه وان عوضته عن ذلك رحلة سريعة قام بها الى أهرام ومقابر سقارة وقد شهد هناك رأسا من الحجر الجيرى تبرز فوق رمال الصحراء لم تذكره ببعض تماثيل أبى الهول التى كان قد رآها بالاسكندرية فحسب بل كذلك فقرة من سترابو (١٧ : ١ ـ ٣٢) تتحدث عن تماثيل أبى الهول التى تغطيها الرمال والتى تؤدى الى معبد أبيس ـ وقد تحقق لديه أنه على الطريق الى السرابيوم الممفى المشهور فأقنع ماريبت نفسه تماما بضرورة نسيان كل ما يتصل بمهمة

مخطوطاته القبطية واستأجر ثلاثين من العمال الوطنيين وبدأ فى الكشف عن الطريق الذى تغطيه بعض الأكوام العالية ـ وقد كان الشارع بالغ الطول ومرت شهور عدة قبل أن يجد نفسه أمام معبد صغير بناه الفرعون نخت حارحبة (تكتانبوس الثانى) ولم يكن هذا من غير شك الهدف الذى يرنو اليه ، ولكن الحماسة التى أثارها مشروع ماريبت دفع الى منحه اعتمادا جديدا . وفى نوفمبر سنة ١٨٥١ م ـ أى بعد مرور أكثر من عام بعد تركه فرنسا ـ استطاع ماريبت أن يدخل الى السرداب السفلى الذى كانت عجول أبيس مدفونة فيه ؛ وكانت هناك توابيت ضخمة تضم موميات ما لا يقل عن أربعة وستين ثورا . يرجع أقدمها الى عهد امنوفيس الثالث وأما آخرها فيلحق بأعتاب العصر المسيحى . وكانت هناك آلاف اللوحات والأشياء الأخرى التى تنهض دليلا على تقديس الكهنة والمعبدين الآخرين ، ولما كانت هذه الكتابات مؤرخة فان هذا الكشف العظيم استطاع تبعا لذلك أن يؤكد أهميته التاريخية التى لا تقدر . ولقد كان العجل أبيس خلال حياته انبثاقا للاله الممفى بتاح ولكن كانت له كذلك علاقات وارتباطات بأوزيريس والاله الباشق حارختى وعند موته واحلال حيوان حى آخر مكانه كان يدفن فى عظمة كـ أوزيريس أبيس وهو اسم يساوى اسم سرابيس الذى اعتمده البطالمة معبودا رئيسيا لهم ، ولكن أهمية الكشف وعظمته حجبته لسوء الحظ عدم جدواه ، فالسرعة التى تم بها نقل المكتشفات وشحنها الى فرنسا حالت دون الفحص الصحيح ودون النسخ ، ولم تجد الخبرة الفذة أو المال فى تحقيق نشر المكتشفات ؛ الأمر الذى طالما راود ماريبت فى أحلامه ولكنه لم يستطع تحقيقه . ويرجع الى . ماسبرو ، وشاسينا فضل عمل الكثير لمعالجة هذا الموقف (١) . وقد عمل كل منهما من ناحيته وبطريقته الخاصة ليمهد للدارسين الطريق الى المجموعة الضخمة التى لا تزال تضمها جدران اللوفر ومع ذلك فلسنا نستطيع أن ننكر أن جزءا كبيرا من القيمة العلمية لاكتشاف ماريبت العجيب ضاع بصورة لاتستطاع معالجتها .

ومن العجيب أنه لم يوجد بالسرابيوم نص واحد يرجع الى الأسرة الواحدة والعشرين ولكن ما وجد من عهد الأسرة الثانية والعشرين وما تلاها كثير ، ومن أبرز ما وجد لوحة لشخص يدعى حاربسون(٢) الذى يرجع بنسبه خلال ستة عشر جيلا الى سلف ليبى من تاريخ غير معروف يدعى

(١) P.M., III, 205-15

(٢) Op. cit., IV, 209, B.A.R., IV, No. 785

بويوواوا ، وكان حاربسون لا يزال على قيد الحيـــاة ويتمتع بنفوذ حتى نهاية حكم شوشنق الرابع الطويل ، ورغم أنه يزعم هو شخصيا أنه ليس أكثر من كاهن من كهنة نيث فانه يعـد من بين أسـلافه أربعة من الملوك المتتابعين ذكر عن الواحـــد منهم انه ابن لسلفه ، وأقدمهم هو شوشنق الأول مؤسس الأسرة الثانية والعشرين وهو أهم شخصية فى قبيلته ، ونحن نسمع عنه للمرة الأولى فى نص طويل عثر عليه فى أبيدوس (١) حين لم يكن أكثر من « الرئيس العظيم للمشوش ، أمير الأمراء » ومات أبوه نمرات ابن السيدة « محت أم وسخه » وقد جاء ذكر كليهما فى لوحة حاربسون ، فالتمس شوشنق من الملك الحاكم أن يأذن بتشييد مبنى فى أبيدوس لعبادة جنازية كبرى لتمجيده٠وقد أجاب بالموافقة كل من الملك و «الاله العظيم» (أمون من غير شك) ولسنانشك كثيرا فى أن الملك المعنى هنا هو آخر بسوسنس ذلك لأنه من المعروف أن ابن شوشنق وخلفه أو سركون الأول اتخذ من ابنة هذا الحاكم وتدعى ماع كارع (٢) زوجة ٠ وهكذا فان هناك احتمالا شديدا بأن الانتقال من الأسرة الحادية والعشرين الى الثانيــة والعشرين مر فى ســـلام وان كانت هنــاك لوحة من واحة الداخلة (٣) مؤرخة بالعام الخامس من حكم شوشنق تتحدث عن حروب واضطراب فى هذا الاقليم النائى ٠ ونحن نعرف للحاكم الجديد عدة أبناء ويبدو انه منحهم من المراكز ما يؤمن له اســتمرار العهد ، وتقـدم لوحة حاربسونالسيدة «كارعومع» زوجة لشوشنق وآما لأوسركون الأول ولكننا نراها توصف فى مكان آخر بأنها « متعبدة الاله » وهو لقب يمنع قيام أى علاقة زوجيــة ، ومهمـا يكن من أمر فان أوسركون الأول كان ابنـا لسلفه ، وهناك نص طويل كشف عنه فى اهناسية المدينة (٤) ، وهى هرقليوبوليس التى برز اسمها فى العهد الوسيط الأول ، يهمنا من عدة نواح : فهو بالاضافة الى نصفين آخرين يقدم لنا « نمرات » آخر لم يكن « رئيس الجيش كله » و « الرئيس الأكبر للأجانب » (٥) فحسب بل كان كذلك واحدا من الأمراء الذين كان يحلو لهم أن يزعموا أنهـــم من نســـل الرعامسة ، وكانت أمه « بن رش ناس » نفسها ابنة ل « الرئيس العظيم

---

(١) J.E.A., XXVII, 83 ff.

(٢) B.A.R., IV, No. 738 ff.

(٣) J.E.A., XIX, 19 ff.

(٤) انظر المراجع فى آخر الفصل

(٥) اى للمشوش الليبيين

للبلاد الأجنبية (١) » . وقد جاء نمرات هذا لأبيه شوشنق وأنهى اليه أن معبد أرسافس الاله الهرقليوبوليتانى قد جرد من موارده المعتادة من الثيران اللازمة للأضاحي الكثيرة التى تذبح فى كل شهور السنة وقال انه مستعد شخصيا لأن يسهم فى هذا العمل بستين ثورا على الأقل ، ولكن على المدن والقرى وموظفى الحكومة أن يقدموا الباقى . وقد أرفقت بذلك قائمة طويلة فأصدر الملك مرسوما يقضى بتنفيذ ذلك الأمر ويهنىء بهذه المناسبة نمرات على أريحته وكرمه ، ولكن ما سبب هذا العطف الخاص الذى أسبغ على هرقليوبوليس ؟ اننا لا نستطيع أن نقدم اجابة مؤكدة ، ولكن من الواضح أن معظم أسلاف حاربسون ذكورا واناثا كانوا فى كهانة هذه المدينة كما أن حكام طيبائيد (٢) ظلوا قرابة ثلاثمائة عام يختارون من بين سكانها . وهناك نمرات ثالث (٣) كان ابنا لاوسركون يحمل لقب « قائد جيش حاننسو » (هرقليوبوليس) وكان يحمل اللقب نفسه « بكن بتاح » وهو أخ للكاهن الأكبر أوسركون فى عهد شوشنق الثالث (٤) . أمن الممكن أن يكون المشوش الذين وصلوا الآن الى السلطان الملكى كانوا يستقرون من قبل فى هذه النواحى على الطريق المباشر عبر الواحات من موطنهم الليبى الأصلى ؟ ان مانيتو يتحدث عن الأسرة الثانية والعشرين بوصفها بوباستيه وعن الأسرة الثالثة والعشرين بوصفها تانيسية . وهناك أدلة تشير الى علاقة هؤلاء الملوك بتلك المدن الزاهرة فى شرق الدلتا . ومع ذلك فان الافتراض السابق يستحق معاودة التفكير الدقيق . كان هناك ابن ثالث لشوشنق الأول هو أيوبوت عينه كبيرا لكهنة أمون رع فى الكرنك وكسر بذلك تقليد الوراثة المتعارف عليها من قبل بالنسبة لهذا المركز ، وكانت هذه من غير شك حركة حكيمة اذ أن من نتائجها الاشراف المباشر من قبل الملك على هذه الوظيفة البالغة الأهمية . ويبدو أن نفس السياسة اتبعت لعدة أجيال قادمة . واما أن المركز مشحون بالمخاطر فان ذلك يتضح من اللقب . « القائد الأعلى للجيش » فكبار الكهنة لم يكونوا مجرد كهنة بل كانوا كذلك رجالا حربيين . وكان أهم ما قام به ايوبوت ــ أو بالأحرى أبوه ــ تشييد مدخل الى رحبه المعبد الرئيسى فى الكرنك مستمر الى غرب الجدار الجنوبى لبهو الأعمدة الكبير

---

(١) Ann. Serv. XVIII, 246-9

(٢) الاسم الذى كان يطلق فى العصور الكلاسيكية على الاقليم الجنوبى من مصر العليا (المترجم)

(٣) Gauthier, L.R., III, 345

(٤) انظر فيما بعد صفحة ٣٦١ .

وهكذا حصرت البوابة البوباستية ـ كما تسمى عادة ـ بين الصرح الثانى ومعبد لرمسيس الثالث فى طريق البهو الأول الضخم الذى كان شوشنق قد صممه من غير شك منذ البداية والذى لم يقدر له أن يعيش ليتمه • وهناك نص على الصخور فى غرب سلسلة (١) يسجل افتتاح محجر جديد لاحضار الحجر الرملى لهذا الفنـاء المقترح وللصرح وقد أرخ النص بالعام الحادى والعشرين من حكم شـوشنق وهو آخر عام يسـجله له مانيتو ، ولكن من العسير أن نصدق أن الخوة الأولى ، أى بناء البوابة ، لم تتخذ من زمن بعيد • وتصور نقوش جدرانها الحادث الذى يدين له شوشنق الأول ـ شيشق التوراة ـ بشهرته الفريدة له •

كان يؤاب ـ قائد قوات الملك داود ـ قد اجتـاح أدوم قبـل ذلك بنصف قرن • وقتل كل ذكورها بالسيف واستطاع هدد ، وهو طفـل أدومى من الأسرة المالكة ـ أن يهرب الى مصر وحين اشتد ساعده وجـد رضا فى عين فرعون الذى زوجه من تحبنيس (تحفنيس) أخت زوجتـه الملكة • وعاد هدد الى بلاده بغير موافقة فرعون وأصبح العـدو اللدود مدى الحيـاة ل سليمان (ملوك الأول ١١ : ١٤) وقد حدث أمر مماثل لذلك بعد موت سليمان اذ هرب يربعام ـ وهو مدع للعرش ـ الى مصر فى عصر شيشق (الأول ملوك ١١ : ٤٠) ليعود فيما بعد ويصبح ملكا على الأسباط العشرة ، بينما كان على رحبعام بن سليمان أن يقنع بالملكية على يهـوذا ـ وفى الوقت نفسـه كانت العـلاقات بين مصر والبيت المالك الاسرائيلى قد أصـبحت أكثر تقاربا • ويشـير الى ذلك النـص الحرفى لصاحب الحوليات العبرانى بقوله : « وصاهر سليمان فرعون ملك مصر وأخـذ بنت فرعون وأتى بهـا الى مدينـة داود (ملوك الأول ٣ : ١) و « صعد فرعون ملك مصر وأخذ جازر وأحرقها بالنار وقتل الكنعانيين الساكنين فى المدينة ، وأعطاها مهرا لابنته امرأة سليمان (ملوك الأول ٩ : ١٦) وتطالع هذه الأمور كأنما هى تاريخ حقيقى ، ولكننا لا نلتقى بما يؤكدها من الجانب المصرى ، وأما الشك من الناحية التأريخية فانه ـ وان حصر فى حدود ضيقة نسبيا ـ الا أنه يكفى للتشكيك فى أى الفراعين هو المقصود هنا ـ هذا الى أن اسم تحبنيس لاتستطاع مطابقته على نظير له بالهيروغليفية ومع ذلك فعلينـا ألا ننتظر كثـيرا حتى نلتقى بتوافق أصيل فى الأحداث « وفى السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر الى أورشيلم وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل

(١) J.E.A., XXXVIII, 46 ff.

شىء » (ملوك الأول ١٤ : ٢٥ ـ ٢٦) والتاريخ الأكثر ترجيحا هو حوالى عام ٩٣١ ق م • ومن الواضح أن الكاتب لم يفزعه تدنيس المدينة المقدسة بقدر ما ضايقه ضياع دروع الذهب التى صنعها سليمان والتى استبدلت بمثلها من نحاس • وليس هناك ذكر لـ جازر أو أورشليم بين الأسماء الباقية التى تصحب المنظر الكبير فى البوابة البوباستية ، وهى الأسماء التى تقدم بالصورة التقليدية والتى اعتدناها فيمايتصل بحروب توثموزيس الثالث بمعنى أنها توضع على صدور أسرى يقدمهم فرعون فى صورته العملاقة لأبيه أمون رع ، وأما الحصر العددى فمدعاة لليأس ذلك أنه من بين أكثر من ١٥٠ مكانا ذكرت لا نلتقى الا بالقليل محفوظا ليمهد لنا تحديد طرق تدور فى النواحى حول المنطقة الجبلية للسامرية دون الوصول الى مركز المملكة الاسرائيلية بل انه ليست هناك أية اشارة الى أنهم اقتربوا من اليهودية اطلاقا ، ومع ذلك فهناك ما يشير الى غارة على الاقليم الأدومى • وأما الفكرة التى ظلت قائمة طويلا عن أنه يمكن قراءة « حقل ابراهام » فى القائمة فقد صرف النظر عنها نهائيا اليوم وعلى أية حال فان الكشف فى مجدو (١) عن قطعة جاء بها ذكر لـ شوشنق لا يدع مجالا للشك فى صحة الحملة وان ظل الأمر غامضا تماما فيما اذا كانت هذه محاولة لاحياء الأمجاد القديمة أو هى كانت خطة لتدعيم مركز يربعام أو هى غارة سلب ونهب وليست أكثر من ذلك ، ولقد جدد كل من شوشنق وأوسركون الأول علاقات الصداقة بين مصر وأمراء ببلوس ويؤكد ذلك الأمر وجود تماثيل لهما هناك (٢) ربما كانت هدايا أرسلها هذان الفرعونان •

ولسنا نعرف سوى القليل عن أول أوسركون وعن خلفه أول تاكلوث فيما عدا ان الأول حكم ستا وثلاثين سنة على الأقل وأن الآخر ربما حكم قرابة ثلاثة وعشرين عاما ، وان الظلمات حول أحداث التاريخ المصرى لتتكاثف فى هذه المرحلة حتى لا نستطيع أن نلمح قبسا من الضوء يكشف لنا عن تتابعها ، وعلة ذلك أن مركز النشاط قد تحرك الى الدلتا فى الأرض الرطبة التى لم يمكن استنقاذ سوى القليل من آثارها • أما طيبة فانه رغم احتفاظها بكامل أهميتها الا أنها أصبحت متخلفة من الناحية السياسية • ولسنا نستطيع أن نلتقى فى الكتابات المليئة باللغو على تماثيل كبار الطيبيين التى عثر عليها فى الكشف الكبير بالكرنك الذى أشير اليه فى صحفة ٧٢ الا بالقليل جدا الى جانب الملق الذاتى وسلاسل الأنساب العقيمة •

(١) P.M., VII, 381

(٢) Op cit., VII, 388

أما بالنسبة لسنى حكم ملوك الأسرتين : الثانية والعشرين والثالثة والعشرين ، فان مقاييس النيل المسجلة على الرصيف فى واجهة المعبد (١) ذات أهمية يعتد بهـا • وقد قامت فى مصر الوسطى على مسـافة ليست بعيدة الى شمال أوكسرينكوس قلعة بها معبد أسهم فى بنائها شوشنق الأول وأوسركون الأول ويبدو أن الهدف منها كان اقامة نوع من الحدود أو حاجز بين الشمال والجنوب • وكان لهذا المكان الذى ذكرناه من قبل كموقع لد حيبة معبودة برأس الكبش « أمون القنة » وهو يوصف كذلك بالنعت الطريف « أمون العظيم فى زئيره » ••• ولسـنا نلتقى ببعـض التوضيحات حتى نصـل الى عهد أوسركون الثانى حين نلمح فى الظلام بعض الأضواء ، ولسنا نحاول هنا أن نناقش تتابع كبار الكهنة الذين نراهم يكافحون ليؤكدوا استقلالهم عن مواليهم فى تانيس ، وقد كشف مونتيه فى تانيس عن مقبرة أوسركون الثانى وقد نهب اللصوص ثرواتها • وكان الى جانب المقبرة مباشرة تابوت الكاهن الأكبر لأمون رع حارنختى الذى يظهر أنه كان ابنا له • وكان نافيل قد كشف قبل ذلك بخمسين عاما عن بوابة كبيرة من الجرانيت بها نقوش كبيرة القيمة تتناول بالوصف الأحداث الهامة لأعياد « سد » الملكية التى لا تزال معضلة ضخمة حتى اليوم ، وقد احتفل بهـذا العيد فى العـام الثانى والعشرين من حكم أوسركون الثانى حين انتهز الفرصة لاصـدار مرسوم الاعفاء من كل أنواع الخدمة بالنسبة لنسـاء حريم معبـد أمون رع وكذا المعابد الأخرى فى مدينته ، وينتهى النص (٢) الموجز، الهام مع ذلك ، بقوله : —

هاك ان جلالته جد فى عمل خير عظيم لأبيه أمون رع حين أعلن عيد سد الأول لابنه الذى يستقر فوق عرشه فسمح أن يذيع عنه أعمالا كثيرة عظيمة فى طيبـة سيدة الأقواس التسـعة • قال الملك أمام أبيه أمون : « لقد أعفيت طيبه فى ارتفاعها وعرضها بوصفها متطهرة ومزينة لسيدها بحيث لا يكون هناك تدخل فى شئونها من قبـل مفتشى بيت الملك كمـا يعفى أهلوها الى الأبد من أجل الاسم العظيم للاله العظيم الكبير (٣) » •

ولا يمكن أن يفهم هـذا بغير كونه تصريحا باسـتقلال طيـبة ، اما اعترافا بالأمر الواقع أو لأن أوسركون وجد من حسن السياسة أن يقوم بهذا الأمر •

---

(١) Z.A.S., XXXIV, III, ff.

(٢) Festival Hall, pl. 6

(٣) « الاله الكبير » هو اوسركون نفسه •

ولم يسهم الملوك الاربعة التالون لشوشنق الرابع سوى بالقليل فى زخرفة البوابة البوباستية فى الكرنك ، ولم يكن الكاهن الأكبر أوسركون ابن تاكلوث الثـــانى بالرجل الذى يترك جدرانا خالية تغرى الطامعين بشغلها ، ومن أجل ذلك نراه يسجل أعماله وسياسته فى حوالى سبعة وسبعين نهرا بالغ الطول من الكتابة الهيروغليفية فى نصين منفصلين ٠٠٠ وقد جهد كامينوس فى دراسة النسخ التى حصل عليها من المعهد الشرقى لجامعة شيكاجو واستطاع أن يستخلص منها فحواها التاريخية بقـــدر ما تســـــتطيع الطاقة البشرية رغم الفجوات الموجـــودة بالنص التى ليست بأقل ـ كذلك ـ من الفجوات فى معلوماتنا اللغوية ٠ وتبدأ قصة أوسركون فى العـــام الحادى عشر من حكم أبيـــه وكان يعيش اذ ذاك فى الحيبة ٠ وكان ـ كما يقول ـ بعيدا عن أية مطامع شخصية ، وسرعان مااستدعى بوصفه حاكما لمصر العليا ليخمد ثورة كانت قد نشبت فى طيبة، وتوقف فى طريقه اليها عنـــد خمون (هرموبوليس ماجنا) وقدم الولاء لالهها تحوت ، وعمل على ترميم بعض الهيـــاكل المخربة ٠ وعندما وصـــل الى العاصمة الجنوبية رحبت به فرحة المدينة كلها ، وبخاصة هيئة الكهانة ، وسرعان ما أقر النظام هناك وأشـــعل النيران فى المجرمين الذين سـيقوا اليه وأعيد أبناء العظماء الى مراكز آبائهم وأصدرت خمسة مراسيم لصالح معابد الكرنك الخمسة بطرق مختلفة ، وقد تبدو بعض هذه الأعمال الطيبية التى يتحدث عنها أوسركون بالغة التفاهة من وجهة نظر القارىء الحديث مثل منحه زيتا للسراج العظيم حتى يحترق فى معبد آمون رع ، ومثـــل تقديم أوزة كل يوم لكل من معبدين آخرين هما معبد مونت ومعبد أمنوبى وجملتها ٧٣٠ أوزة على مدار السنة ٠٠٠ وكل ذلك قد تم « من أجل حياة وتقـــدم وصحة » أبيه تاكلوث ٠٠٠ وفى بيان من الســـنة الثانية عشرة نرى أوسركون يبز نفســـه فى فيض من الحديث المزوق حين يشـــير الى جر كل المعبودات الرئيسية من هيكل مجمع الآلهة حتى يكشف عن حكمته وفضيلته وربمـــا كانت هناك فترة هدوء مؤقت للخصومة بين الشـــمال والجنوب ويقال ان أوسركون زار طيبة ثلاث مرات فى عام واحد وانه جاء معه بسفن محملة بتقدمات الأعياد ، ولكن ثارت فى العـــام الخامس عشر انتفاضات جديدة « لم يصبه الأعياء من خوض غمارها فحارب فى وسطهم مثل حورس متتبعا خطى أبيه ومرت سنون كان كل امرىء يفترس صاحبه دون أن يعوقه شىء » وأخيرا أقر بأنه لم يعرف طريقة لمعالجة الأمور فى الأرض الا عن طريق التوفيق ٠ وقد وافق أتباعه فرحين على وجهة نظره هـــذه وجهزت بعثة كبيرة فى طيبة فى عدد لا يحصى من الســـفن تحمل

التقدمات من كل الأنواع الى آمون رع ، ويظهر حديث أوسركون الى الاله وهو يتضمن العتاب لأنه جامل الثوار بغير ما ضرورة ولكن هذا لم ينظر اليه كأنما هو في غير موضعه وأمكن بعد ذلك الوصول الى اتفاق بسهولة · وتلى ذلك اشارة موجزة الى متاعب أخرى حين وجد أوسركون نفسه بغير صديق وقد أمكن التغلب على هذا الأمر بتقدمات جديدة للمعبود ولم يتسع جدار البوابة البوباستية الذى يحوى الرواية السابقة لبقية أعمال أوسركون وقد فضل أن يكرس المساحة المحددة الباقية ليحصى فيها الهبات التى قدمها للملك شوشنق الثالث فى عامه التاسع والعشرين ، ولم يكن هذا هو آخر العهد به ، فهناك نص (١) يشير اليه بوصفه الكاهن الأكبر يزور طيبة مع أخيه « بكن بتاح » بعد أن تغلبا على أعدائهما الذين اعترضوا طريقهما ··· ولا بد أنه كان اذ ذاك فى العقد الثامن من عمره ·

وأهمية النص البالغ الطول الذى يروى قصة حياة أوسركون على لسانه أقل فى تعبيرها عن الشخصية الرئيسية التى يدور حولها النص منها فى الابانة عن حالة مصر والصورة التى تقدمها عن مدى الخلاف الذى يمزقها والسعى وراء الاستمساك بسيادة الحكام فى الشمال ، وربما استمرت هذه الحالة حتى نهاية الأسرة وانه لمن اللازم أن نشير الى أن القصة يرويها أوسركون من وجهة نظر واحدة وهو يقدم نفسه عادة بوصفه كبيرا لكهنة آمون رع ، ولكن ما هى الحقيقة التى يمكن أن تلحق بمثل هذا اللقب حين يحمله أمير كان مقره فى أغلب الأوقات فى الحيبة ولا يزور طيبة الا فى أوقات متقطعة ؟ · وفى الوقت نفسه كان لا بد للطقوس اليومية فى الكرنك أن تمارس وانه ليبدو بعيد الاحتمال أنه لم يكن هناك دائما كاهن أكبر فى العاصمة حتى وان كان عليه أن ينسحب حين تجابهه مطامع قوية أو قوة أكبر ، وانا لنقدر أن هذا حدث فعلا بالنسبة ل حارسيسى الذى كان يشغل الوظيفة فى عهد شوشنق الثالث شأنه فى هذا شأن صاحبنا أوسركون (٢) ، ولكن كان هناك اذ ذاك كذلك كاهن أكبر آخر هو حارسيسى الذى خلف فى هذا المنصب أباه شوشنق بن أوسركون الأول (٣) · وهنا نلتقى بواحدة من الصعوبات الرئيسية التى تجابهنا عند دراسة هذه الفترة وتلك هى تردد الأسماء نفسها وتكرارها فى جزءى البلاد وينطبق هذا حتى على الأسماء الملكية فهناك ثمانية من الملوك على الأقل يستخدمون اللقب نفسه الذى انتحله

---

(١) Rec. Trav., XXII, 55, ، . XXXI, ، . XXXV, 138

(٢) Vandier, pp. 567 f.

(٣) Op. cit., pp. 528, 560

رمسيس الرابع وهو » « وسيمارع ستب أن أمن (١) » والمشاكل تبعث على الحيرة الشديدة وهى مع ذلك لا يمكن أن تحل أو تعالج حتى يعاد من جديد جمع النصـوص المبعثرة والمجزأة ثم نسـخها بدقة ونشرها نشرا صـحيحا وحتى ... عندئذ ... من المشـكوك فيه كثيرا أن نخرج من وراء ذلك بصورة متكاملة ، ومثال ذلك ما عثر عليه مونتيه فى تانيس من بقايا تاكلوث الثـانى فى تابوت اغتصب من عهـد الدولة الوسطى مصحوبا بأوانيه الكانوبية وتماثيل الأوشبتى الخاصة به ـ وانا لنشهد قرابة نهاية الأسرة أن المادة التى وجـدت بالسرابيوم ذات عون حقيقى فالنقوش تشير الى تواريخ مولد وموت كثير من ثيران أبيس مع تسجيل أعمارها ٠ وقد أمكن أن نستنتج من وراء ذلك مثلا أن شوشنق الثالث حـكم ٥٢ سـنة على الأقل وأن خلفه كان يدعى بماى (القط) (٢) ومن الملاحظ أن مدد الحـكم خلال عهد الأسرة طويلة وهى حقيقة تبدو أنهـا تتعارض مع تعميمنا من قبل من أن طول مدة الحكم فى مصر يعنى مراحل من التقدم الذى يسـود البـلاد ، ويقـدم مانيتو للأسرة الثانية والعشرين ١٢٠ سنة فقط ، ولكن التاريخ المقبول يجد نفسه مضطرا لأن يسـجل قرنين كاملين أى من ٩٥٠ الى ٧٣٠ ق ٠ م ٠

وتضم الأسرة الثالثة والعشرون لدى مانيتو أربعة ملوك فقط لايمكن التحقق من ثالثهم (بسـامـوس) أما رابعهم « زت » فقـاصر على أفريكانوس ، وربما كان خطأ ٠ وتبدأ الأسرة ب « بتوباستس » الذى يقال انه حكم أربعين عاما ، طبقا لافريكانوس أو ٢٥ عاما فقط طبقـا ليوسبيوس ، وقد ورد اسمه على عدد من الكتابات المنقوشة على الرصيف عند الكرنك ويسـجل أحداها عامه الثالث والعشرين ، وهناك أسـباب جوهرية تدعو الى اعتبار الأسرة الثالثة والعشرين معاصرة للأسرة الثانية والعشرين ، والواقـع ان ثانى الأسـماء يعرف لدينـا ب أوسرخو أو أوسرثون ، والأمر معقد بالنسبة كذلك لوجود بتوباستس آخر له اسـم مغاير (٣) ، وربما نتعرف عليه فى بطل الأسطورة الديموطيقية المتأخرة والتى تحت يدنا عدة نصوص منها ٠ ويبقى لدينا أن نذكر أن هناك ملوكا آخرين مبهمين يحتمل أنهم يمتون الى هذه الفترة ٠ ولكننا لا نعرف أين

(١) Gauthier, L.R., III, 430-1.

(٢) B.A.R., IV, No. 771 ff., 778 ff.

(٣) Gauthier, L.R., III, 397-8.

مكانهم • وربما يرجع ذلك الى ازدياد انقسام البلاد ، وهو أمر سنتناوله بالتفصيل عند وصفنا فورا للمظهر الجديد للتاريخ المصرى •

أما ما دونه مانيتو بعد ذلك كما نقله أفريكانوس فقد بلغ من الايجاز والأهمية بحيث نرى أن ننقله حرفيا « الأسرة الرابعة والعشرون • بوخورس من سايس ٦ سنوات (٤٤)(١) ••• نطق حمل فى عصره ••• ٩٩٠ سنة • الأسرة الخامسة والعشرون من ثلاثة ملوك أثيوبيين •

(أ) سبكون ، الذى أخذ بوخورس أسيرا وحرقه حيا وحكم ثمانى سنوات (١٢) •

(ب) سبيخوس ابنه ١٤ سنة (١٢) •

(جـ) تركوس ١٨ سنة (٢٠) ، الجملة ٤٠ سنة » •

ونحن هنا يشد من عزيمتنا أخيرا بعض المشابهة بالتاريخ الرسمى الموثوق به وان كان علينا بالطبع أن نغض النظر عما جاء فى رواية مانيتو بالنسبة للحمل الذى تنبأ بصوت آدمى والذى تشير اليه بردية ديموطيقية بأنه تنبأ بغزو مصر واستعبادها على يد الأشوريين •• ومن العجيب على أية حال أن مانيتو لايورد ذكرا للمحارب السودانى أو الكوشى « بى عنخى » الذى استطاع حوالى عام ٧٣٠ ق • م • أن يغير فجأة مظهر الشئون المصرية جميعا • وقد كان ابنا لرئيس أو لملك يدعى كشتا (٢) ، كما يبدو أنه كان أخا لشبكو الذى يقدمه مانيتو تحت اسم — « سبكون » ولكن لكى نحصل على فكرة عامة للترتيب الجديد للأمور علينا أن نرجع الى الوراء ٧٠٠ سنة : كانت هناك مدينة أو مستعمرة مصرية قد ازدهرت فى عهد التحامسة بالقرب من الصخرة الضخمة المعروفة باسم « جبل البرقل » وهى ليست شديدة الارتفاع ولكنها تلفت النظر بتفردها فى وسط السهل على مبعدة ميل من النهر (٣) ، وكانت نبتة العاصمة الاقليمية تقع على مسافة قصيرة الى شمال الجندل الرابع عند سفح « الجبل المقدس » كما كان يسميه المصريون وكانت من البعد بحيث تستطيع أن تتطور دون أن تتعرض للأخطار • وكانت فى عهد توت عنخ أمون حد ولاية نائب الملك (٤) ونلتقى فى عهد الرعامسة بمخلفات فى

---

(١) الأرقام بين الاقواس هى التى يقدمها يوسيبيوس •

(٢) J.E.A., XXXV, 149.

(٣) انظر الرسوم الجميلة فى J.E.A. XXXII, pl. II

(٤) B.A.R., II, No. 1022

هذه المنطقة واشـارات كثيرة في النصـوص التي تختفى تماما فى عهد الأسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين ، ومع ذلك فلنا أن نؤكد أن الثقافة المصرية ظلت قائمة هناك فى حالة ركود مصحوبة بالعاطفة المتأججة نحو أمون رع رب طيبة المدينة الأم . وربما كان هذا الولاء هو الذى دفع الى دخول « بى عنخى » المفـاجىء الى بلاد خصـومه الليبيين التى يسودها الاضطراب . وقد استطاع ماريت (١) أن يستنقذ من الخرائب لوحة كبيرة تعد وثيقة من أهم الوثائق فى التـاريخ المصرى تشيع فيهـا حيوية العقل والشعور والتعبير بصورة لا يستطيع أن يقدمها سوى مواطن عن بلده ... ويكشف المنظر العلوى عن المركز الذى أمكن الوصول اليه فى نهاية الحملة اذ يشغل أمون رع وبصحبته الالهة موت وسط المنظر وأمام صورة الاله الجالس يقف بى عنخى . وهناك الى اليمين امرأة تمثل زوجات الملك تتقدم ومن خلفها ملك يدعى نمرات يقود حصانا ويمسك بالصلاصل ، وفى مقدمة الأرضية الى أسفل يقبل الأرض أمام الغـازى ومعبوده الملوك أوسركون ، ويووابت ، بف توعابست ، ومن وراء المعبود خمسة من العظماء يظهرون خشوعهم ومن بينهم اثنان من عمد المدن والى جانبهم اثنـان من « الأمراء العظام لل « ما » يقدمون الخضوع فى مظـاهر التذلل نفسها ويبين النص فى اللوحـة أن كل الدلتا وجزءا كبـيرا من مصر الوسطى كان قد تمزق الى أقاليم منفصلة ولئن وصف حكام أربعة منهم بأنهم ملوك فما ذلك الا لأنهم ــ كما تشـير الى ذلك أسـماؤهم ــ ينتسبون الى الأسرة الثانية والعشرين ، وان كانت الرابطة أبعد من أن تكون واضحة ــ وتبدأ رواية « بى عنخى » المؤرخة بعامه الحادى والعشرين بقوله كيف أن أميرا مغامرا من الدلتا يدعى « تف نخته » اسـتولى على الغرب جميعا حتى اللشت جنوبا وانه أبحر الى الجنـوب على رأس جيش كبير وعند اقترابه فتح رؤسـاء المدن والقرى بواباتهم وجاءوا أذلاء فى أعقابه كالكلاب ، ثم اتجه شرقا ، وبعد أن اسـتولى على المدن الرئيسية على الضفة اليمنى حاصر هرقليوبوليس التى أحاط بها من كل جانب حتى يمنع أى واحد من دخولها أو الخروج منها ... ورغم سوء الأنباء على هذه الصورة فانها لم تزعج بى عنخى الذى يقال فى اللوحة انه « كان شجاعا وضحك وكان قلبه فرحا » ولكن ضباط جيشه فى مصر لم يستطيعوا أن يأخذوا الأمر بمثل البساطة التى نظر بها وسالوه : « أستصمت بحيث تنسى مصر العليا بينما يضغط تفنخته متقدما دون أن يعوقه عائق » » . ثم أخطروه بعـد ذلك بأن نمرات فى حوير ، بالقرب من هيرموبوليس

(١) P.M., VII, 217; B.A.R., IV, No. 796 ff.

ماجنا ، كان قد هدم أسوار مدينة نفروزى المجاورة وأنه تمرد على مولاه وأن تف نختته كافأه بكل ما وجده تحت يديه ٠٠٠ وكان هذا أكثر مما يطيق بى عنخى فكتب الى قواده فى مصر يأمرهم بأن يحاصروا كل اقليم الأرنب ، وأعطى فى الوقت نفسه تعليمات مشددة بالنسبة للخطة التى يجب عليهم أن (١) يتبعوها بأن يتركوا للعدو أن يختار أرض المعركة مؤمنين بأن أمون هو الذى أرسلهم ولكن عليهم كذلك حين يصلون الى طيبة أن يطهروا أنفسهم فى النهر وأن يرتدوا كتانا نظيفا وأن يريحوا القوس ويفكوا السهام وألا يفخروا بقوتهم « لأنه بدونه لا تكون للشجاع جسارته ، انه يقوى الضعيف ، وهكذا تهرب الكثرة أمام القلة ، ويغلب رجل واحد ألف رجل » ٠

وقد ألهبت هذه المشاعر السامية حماسة الفرقة النوبية فانطلقت الى طيبة حيث نفذت كل ما أمرت به وتعرض لهم جحفل ضخم كان يبحر جنوبا ليدخل المعركة ضدهم فهزموه وذبحوا الكثيرين واستولوا على الكثير من السفن والرجال وأرسلوا الى نبته ـ حيث كان جلالته ـ بالعديد من الأسرى ، وعلى أية حال فانه كان يجب أن تسترجع هرقليوبوليس ، وهنا تقدم اللوحة قائمة طويلة تضم حلفاء تف نختته مع ذكر أسماء المدن التى كانوا حكاما عليها ٠ وكان الملك أوسركون ـ كما نتوقع ـ حاكما على بوباستس ـ أما تف نختته فانه يوصف بأنه « كاهن نيث ، سيدة سايس وكاهن ستم للاله بتاح » أى أنه كان الكاهن الرئيسى فى كل من سايس ومنف ٠٠٠ وتلت ذلك مرة أخرى مذبحة كبيرة طورد من هربوا منها وذبحوا فى مجاورات بى بك ٠ ولكن الملك نمرات أبحر جنوبا الى اقليم الأرنب وهو يظن أن عاصمته هرموبوليس ماجنا تصارع قوات جلالته فى الوقت الذى كان الاقليم كله يحدق به من جوانبه الأربعة ومع ذلك فان أنباء الانتصارات الصغيرة التى وصلت الى بى عنخى لم ترضه تماما ٠

« وعندئذ اجتاح الغضب جلالته كفهد وقال : « هل سمحوا بأن يظل هناك أحياء من جيوش مصر السفلى ويتركوا لهارب يهرب ليروى قصة حملته ولا يقتلوهم حتى آخر رجل منهم ؟ اننى أقسمت ما دمت حيا وما دام رع يحبنى وما دام أبى أمون يرعانى أن أبحر شمالا بنفسى وأن أدمر كل ما فعل وأن أجعله يكف عن القتال الى الأبد » ٠

ويتابع بى عنخى القول بأنه سيشارك فى احتفالات العام الجديد فى

(١) J.E.A. XXI, 219 ff.

الكرنك وكذا فى احتفالات عيد فاء وفى حين يذهب أمون فى مركبه الوقور الى الأقصر ويعد قائلا انه فى اليوم نفسه الذى يقود فيه الاله الى قصره :

« سأجعل مصر السفلى تتذوق طعم أصابعى » .

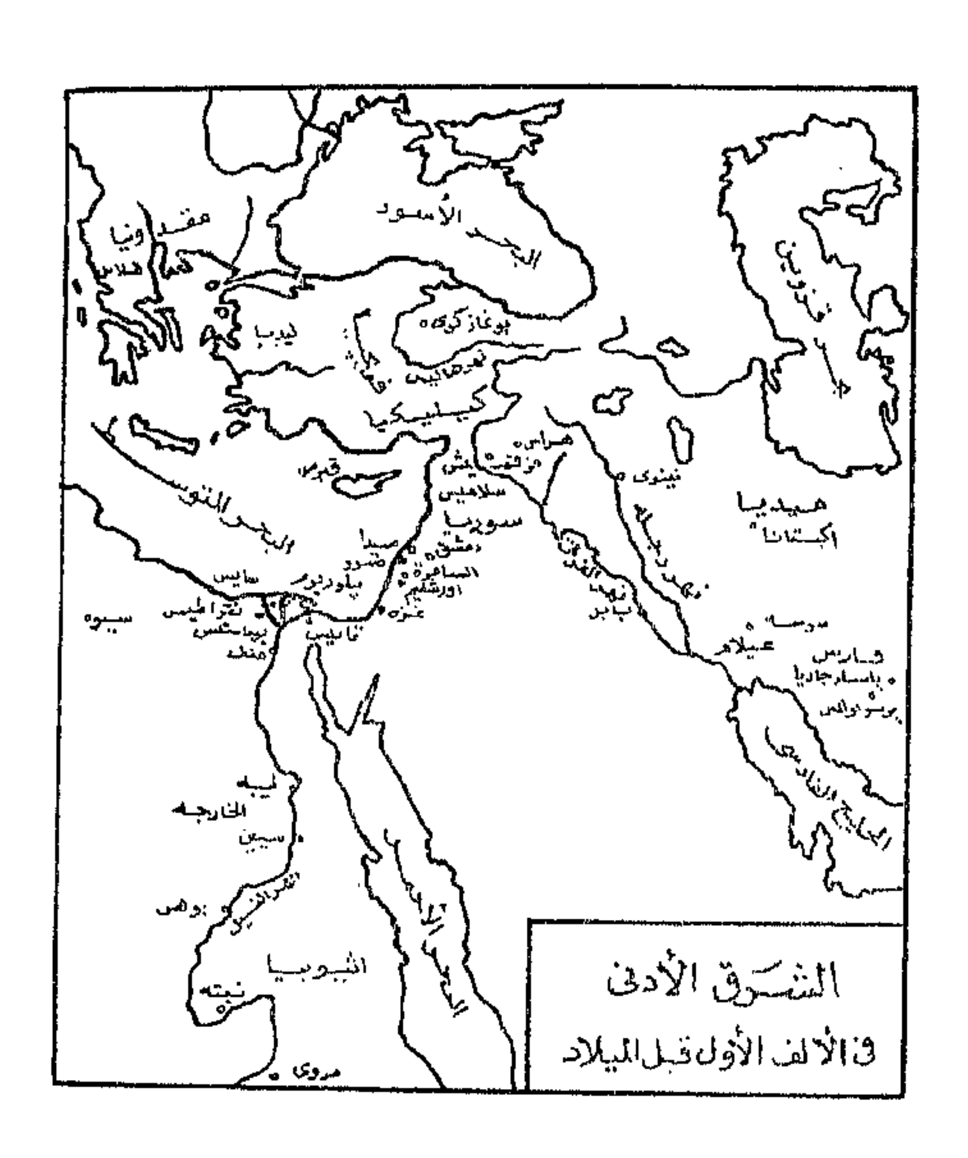
وفى الوقت نفســـه أحاطت الجيـــوش المتقدمة ب أوكسرنيكوس « كفيضان الماء » وشقت طريقها الى الحيبة عن طريق سلم ، ثم عصفت بمدينة حيبوينو ولكن هذا النجاح لم يرض به قلب بى عنخى الذى نفد صبره ـ وكان عليه على أية حال أن ينفذ قســمه الخاص بالمشاركة فى الأعياد الطيبية قبل أن يأخذ سفينته الى هرموبوليس . وحين وصـــل الى هناك ركب عربته ثم أقام خيمته فى جنوب غربى المدينة ثم وجه الى جنده توبيخا عنيفا بسبب تراخيهم ، وذلك قبــل أن يبدأ فى الحصـــار ثم .. « أقام منحدرا ليغطى الأسوار وآلة تعـلو بضاربى الســـهام حين يقذفون سهامهم ، وكذا مقاليع لقذف الأحجار حتى تقتل العديد من الناس منهم كل يوم » .

وسرعان ما بدأت هرموبوليس تفوح رائحتها الكريهة وأخذ أهلوها يلقون بأنفسهم ملتمسين الرحمة من الملك وراح الرسل يدخلون ويخرجون يحملون الهدايا من ذهب وصناديق ملأى بالملابس ، بينما كان التاج على رأس بى عنخى والصل على جبهته يوحيان بغضب دائم ، وعندئذ جاءت زوجة نمرات متوسلة الى زوجات الملك ونساء حريم الملك وبنـــات الملك وأخوات الملك « راجية اياهن أن يتشفعن لدى حورس رب القصر العظيم فى قوته والحاسم فى نصره » ثم يظهر بى عنخى بعد ذلك وهو يؤنب نمرات على عمله العدائى ولم يسع هذا العدو المتذلل الا أن يرد على ذلك باحضار حصان للملك وصلاصل للملكة رسمت فى المنظر فى أعلى اللوحة ، وكان أول عمل يبرز تقوى الملك هو تقديم الأضاحى ل ثوث وبقية الآلهة المحلية ثم قام بعد ذلك بجولة تفتيشية على قصر نمرات والمخازن وأمر بأن تعرض أمامه نساؤه اللواتى لم يجد فيهن من تروقه،ولكن سرعان ما اجتاحه الغضب حين وجد الخيول فى اصطبلات نمرات تكاد تهلك جوعا فأنبه فى قسوة من أجل ذلك ، وتستمر الرواية بالأسلوب والصورة نفســـيهما فيما يتصل باستسلام « بف توعابست » صاحب هرقليوبوليس مصحوبا بحديث تبدو فيه الفصـــاحة ، وكانت اللاهون عند مدخل الفيـــوم هى الاقليم الذى سقط فى يده بعد ذلك بعد أن حذر بى عنخى أهلها من أن يختاروا لأنفسهم الموت بدلا من الحياة ، وكان ابن تف نخته ممن سمح لهم أن يهربوا دون أن ينالهم العقاب ، وتبع ذلك سقوط ميدوم واللشت

ولكن منف تطلبت جهدا أشق غير مكترثة بما أغرى به بى عنخى من ان كل مايرغب فى عمله هو أن يقدم التقدمات لالهها بتاح ومن تأكيده من أنه سوف لا يقتل سوى الثوار الذين خرجوا على الاله ، وأعطى الليل فرصة ل «تف نخته» للتدخل مع ثمانية الآف من خيرة المحاربين ، ولكنه رحل فى سرعة ممتطيا حصـــانه ليلم شعث أمراء الدلتا الذين ظن أنه يستطيع أن يضمهم الى صفه بان يعدهم بالثروات الموجودة فى المدينة ، ولما وصـــل بى عنخى الى منف فى الصـــباح وجد الماء يصـــل الى أسوارها فتحميها كما تحميها التحصينات التى أقيمت بها من جديد ، وقد قامت مناقشات ضخمة حول خير الطرق لمواجهة هـــذا الموقف ولكن بى عنخى أقسم بان عون أمون سيكون سببا فى انتصاره وهو ماحدث فعلا ، ولم ينس الملك واجباته الدينية فطهر نفســه وطهر المكان جميعا بالنطرون والبخور ثم قام بكل الطقوس التى يطلب من الحاكم أداؤها — أما أهالى القرى المحيطة فهربوا الى حيث لا يعــلم أحـــد — وجاء ايوبوت وأمراء آخرون بهدايا ، ليشهدوا طلعة جلالته البهية » .

وأنا لنحتـــاج الى حيز أكبر لنحلل بقية أحداث الحملة التى جاء وصفها فى افاضة وفى تنوع كثير ، ولكننا يجب أن نمسك عن التمادى فى ذلك ولا نروى الا اشارة عابرة عن أعمال بى عنخى فى هليوبوليس أقدس مدائن مصر قاطبة والى المواثيق التى قدمها له بتيزه صاحب اتريب بأنه سوف لا يخفى هو أو واحد من الأمراء الآخرين الأشياء التى يطمع فيها وبخاصة الخيول . وفى نهاية الأمر قدم تف نخته خضوعا تاما قائلا :

« سوف لا أعصى أوامر الملك ، سوف لا أرد ما يقوله جلالته ، سوف لا أسيء الى أى أمير الا بعلمك . سأفعل كل مايقوله الملك » ويجب ألا تحذف فقرة أخيرا مادامت تؤكد الأمر الذى يرويه هيرودوت (٢ — ٣٧) وغيره من الكتاب الكلاسيكيين وان كانت المصادر الوطنية لا تؤكدها ، ذلك أنه حين جاء أميران من الشـــمال وآخران من الجنـــوب كممثلين للبلاد جميعا ليقدموا الولاء ل «بى عنخى» لم يسمح لغير نمرات بدخول القصر لأن الآخرين كانوا قد أكلوا سمكا ومن ثم فهم غير طاهرين ، وان تفصيلا بسيطـــا مثـــل هذا ليذكرنا بأننا نتناول هنا جوا خلقيا وعقليا يختلف تمام الاختلاف عن جونا . وأن الـــكثير مما يرويه ديودور عن الحيـــاة المحـــددة المنظمة للفرعون قد يكون صحيحا كذلك وان كانت ليست لدينا الوسائل للتأكد من ذلك ، ولعله يبدو من الطريف أن نعرف المؤلف الحقيقى لهذه القصـــة الحية التى ترويها لوحة بى عنخى الكبرى ، فمن الواضح أنه كان متضلعا



الشرق الأدنى
في الألف الأول قبل الميلاد
البحر الأسود
مقدونيا
ليديا
بوغازكوى
كيليكيا
قبرص
البحر المتوسط
هراس
سلاميس
سوريا
صيدا
صور
دمشق
السامرة
اورشليم
غزه
سايس
بلوزيوم
نقراطيس
سيوه
منف
نينوى
ميديا
اكبتانا
بابل
عيلام
فارس
باسارجاديا
برسبوليس
الخليج الفارسى
ليبيه
الخارجه
سيين
نبته
مروى
النوبيا

جدا فى أسلوب الدولة الوسطى الذى يمكن ملاحظة الكثير مما اقتبسه منه ، ولكن وراء التعبير الحرفى لا نلبث أن نستشف المزاج النارى للحاكم النوبى وهو مزاج تدخل فى جوهره كذلك التقوى المتعصبة والكرم الحقيقى ، أما أسلافه فمجهولون لدينا ، ولا تقوم وجهة النظر التى تشير الى أنه من الجنس الليبى على أساس قوى بل ان النشاط والاقدام والشخصية التى يشترك فيها هو وخلفاؤه تجعل من المحتمل على أية حال كذلك القول بأنهم مجرد سلالات من الكهنة الطيبيين المهاجرين كما يقترح البعض ، أما أسماؤهم فغريبة وليست مصرية ولابد أن دما جديدا تدفق الى عروقهم من مكان ما ليعطيهم مثل هذا النشاط ، ومن العجيب أنه بعد هزيمة تف نخته يظهر بى عنخى كأنما ينسحب الى بلاده فى نبته ولا يكاد يخلف لنفسه أثرا فى مصر ـ وقد دفن فى « كرو » (١) فى أول هرم حقيقى من سلسلة المقابر التى ترجع لستة أجيال سلفت ٠

وأما تف نخته فيبدو أنه ترك ليباشر مكائده ٠ وهناك لوحة فريدة فى متحف أثينا تمثله كملك يقدم هبة من الأرض الى نيث ربة سايس فى العام الثامن من حكمه ، ولا يشير مانيتو اليه ولكن ديودور وبلوتارك يذكران اسم تنيفاختوس كأب ل بوخوريس وكنصير ومدافع عن الحياة البسيطة ، ولقد رأينا من قبل ما ذكره مانيتو عن بوخوريس الذى كان يرى فيه كتاب يونانيون قاضيا ومشرعا مثاليا ٠ وهو يظهر تحت اسم باكنرنف على لوحة من السرابيوم تسجل دفن أحد عجول أبيس فى عامه السادس (٢) ، ولئن صدقنا ماجاء فى مانيتو فان هذا يكون عامه الأخير٠

ولقد ظهر فى الشرق فى هذا الوقت عدو جديد ٠٠ كانت الممالك الصغيرة فى سورية وفلسطين مدى قرنين قبل ذلك قادرة على حفظ كيانها دون تدخل من الخارج تقريبا ، اما الآن فانها وجدت نفسها أمام أشور المتجددة الطامعة الطاغية ٠ وقد اجتاح تجلات بليسر (٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق٠م) فى عدة حملات الى الغرب دمشق وسبى الى أشور عددا كبيرا من سكانها (٣) ، وفعل مثل ذلك بالنسبة لاسرائيل فخلع ملكها فقح وأحل محله هوشع (٤) (٧٣٢ ق٠م) ومصادرنا عن هذه الأحداث وعن

---

(١) P.M., VII, 197.

(٢) Op. cit., III, 209

(٣) ملوك الثانى ١٦ : ٩ وكذا A.N.E.T., p. 283

(٤) ملوك الثانى ١٥ : ٢٩ ـ ٣٠ وكذا A.N.E.T., p. 284

غيرها من الأحداث التى تقع فى نصف القرن التالى مستقاة من التوراة ومن الكتابات المسمارية (الاسفينية) ولا تشير النصوص المصرية الى أشور وان تعرضت فى النهاية طيبة نفسها لتصبح فريسة مؤقتة لتلك القوة الآسيوية البعيدة .

ومع ذلك فانه كان من الواضح بالنسبة لمصر أن الحكام الصغار فى فلسطين كانوا يلتمسون العون ضد الغزاه الشماليين وفى عهد شلمنصر الخامس وهو ابن تجلات بليسر الذى لم يعش طويلا أعلن هوشع العصيان والثورة (١) وكانت النتيجة المؤسية لذلك أن تم الاستيلاء على السامرة وتدميرها رغم مقاومتها ثلاث سنوات فلم تسقط الا فى عام ٧٢١ ق.م حين جاء سرجون الثانى خليفة شلمنصر و « حمل اسرائيل بعيدا الى أشور » وحبس هوشع وقيده فى السجن . وتشير التوراة الى أن «هوشع» كان قد أرسل رسلا الى «سو» ملك مصر ولم يقدم هدية الى ملك آشور كما كان يفعل من قبل كل سنة . ويميل الباحثون الى أن يقرنوا هذا ال « سو » ب « سيبه » تورتان مصر الذى تشير اليه حوليات سرجون بانه خرج من ربيحو (رفح على حدود فلسطين) مع هنو ملك غزة لكى يقوما بمعركة حاسمة . وكان هنو هذا قد هرب فى عهد تجلات بليسر أمام جيشه « متجها الى مصر » (٢) ثم يحدثنا سرجون عن سيبة بقوله انه اصبح « كراع سرق منه قطيعه فهرب وحيدا واختفى ، اما هنو فقد قبضت عليه وجىء به مقيدا الى مدينتى أشور ثم دمرت ربيحو وحولتها الى أنقاض وحرقتها » (٣) وليس من الممكن أن يكون سو أو سيبه من الناحيتين اللغوية والتاريخية الملك الأثيوبى شبكو ومن ثم فهذه أسماء قواد فى أغلب الأمر ، وهذا يبدو أكثر احتمالا ما دام النص الاشورى يشير بعد ذلك الى قوله « تلقيت الجزية من بيرو صاحب موسرو » (٤) التى لا يمكن أن تعنى شيئا سوى « من فرعون صاحب مصر » .

ولسنا ندرى على وجه التحقيق ان كان « سبكون » (شبكو) قد أخذ بوخوريس أسيرا وحرقه حيا كما يريد مانيتو أن يدخل فى روعنا فليس لدينا الوسيلة للتأكد من ذلك الأمر ، ولكن من المؤكد أن هذا

---

(١) ملوك الثانى ١٧ : ٣ وما بعدها .

(٢) A.N.E.T., p. 283

(٣) Op. cit., p. 285

(٤) Op. cit., p. 286

الأخ الأصغر ل «بى عنخى» فتح مصر كلها وجعل من نفسه فرعونا مصريا حقيقيا عليها ، وتشـــير نصوص سرجون الى عام (٧١١ ق٠م) كتاريخ محتمل (١) وقد حكم شبكو مدى أربعة عشر عاما على الأقل ثم خلفـــه شبتكو (سبيخوس لدى مانيتو) الذى علينا أن نصدق أنه ظل على العرش حتى ولاية تهرقا (تركوس) عام ٦٨٩ ق٠م٠ وهو التاريخ الذى تحدده لوحة لأبيس ، ولئن وضـــعنا موضع التدبر أمر طول هذين الحكمين فانه من العجيب أننا قلما نلتقى باسم شبكو و شبتكو فى الآثار ، ولا يكاد يوجد بموطنهما النوبى سوى هرمين فى الكرو (٢) تم دفنهما فيهما وكذا مقبرة للخيل فى نفس المكان ، وهناك ما يشير الى أن شبكو جعل منف عاصمة له (٣) ، ولكن طيبة تشهد كذلك بنشاطه فى البناء ، فهناك فى الكرنك فى مدينة هابو مصليات شادها هذا الملك نفسه (٤) ، ولم تكن هناك حاجـة تقريبا لهؤلاء الحكام الأثيوبيين لحراسة معبد الههم الذى يوقرونه ، أمون رع مادامت سلطتهم السياسية فى العاصمة الجنوبية كانت ممثلة بصورة أخرى ٠ وهناك مظهر هام فى التاريخ المصرى المتأخر وهو الأهمية التى اكتســـبتها الأميرات الملكيات اللواتى حملن ألقاب « زوجة الاله أمون » و « عابدة الاله » و « يد الاله » وكان اللقب الأول « زوجة الاله » فى العصور السابقة مقصورا على زوجات الفراعين وكان يتضمن من غير شك دلالة دينية لاتزال غير محددة ، ومنذ الأسرة الحادية والعشرين على أية حال نجد أن هذا النعت ينتقل الى ابنة الملك التى أصبحت الزوجة المكرسة للاله الطيبى ، ولم يكن من المسموح به اطلاقا ، بل كان من المحرم عليها أن يتصل بها امرؤ اتصالا جنسيا ، ولدينا مثل لهن ماع كارع التى يظن أنها كانت ابنة للملك التانيسى بسوسنس الأول وقد عثر على مومياتها فى خبيئة الدير البحرى ومعها مومياء وليد مما يرجح أنها ماتت أثنـــاء الوضع بعد أن خرجت على قاعدة العذرية المفروضة عليها ، وعلى أية حال فانه ببداية الســـيادة الأثيوبية أصبح تعيين زوجة الاله أداة استغلتها الظروف السياسية ، ومن هنا جاءت فكرة التبنى لتلعب دورها ٠ وهكذا نرى كاشتا الذى جعل من نفسه قبل بى عنخى سيدا على طيبائيس يفرض على شبن ويبه الأولى ابنة آخر أوسركون أن تتبنى ابنته أومونورتايس الأولى

---

(١) هناك رأى آخر يشير الى عام ٧١٥ ق ٠ م انظر Bull. Inst. fr. LI, 27

(٢) P.M., VII, 196-7

(٣) Op. cit., III, 220, 226

(٤) Op. cit., II, Index, p. 201

ثم أصبحت أمونورتايس هذه أما تتبنى بدورها شبن ويبه أخرى هى ابنة الملك بى عنخى (١) • وكانت زوجة الاله هذه تمارس سلطانا ضخما وكانت تساوى الملك أباها فى كل الأهداف والمقاصد فلم تكن تتملك الضياع الضخمة وتشرف على موظفين خاصين بها فحسب ولكنها كانت لها السلطة التى تخول لها كذلك حق تقديم القرابين للآلهة وهو حق ظل فى الأماكن الأخرى من خصائص الفرعون وحده ، وربما كانت الحدود الوحيدة لنفوذها هو حصرها داخل نطاق طيبة حيث تقضى حياتها وتموت ثم يخصص لها مدفن بالقرب من معبد دير المدينة •

وليس غياب اسمى شبكو وشبتكو من الوثائق الآشورية والعبرانية بأقل حدوثا عن ندرته فى آثارهما بالبلاد التى كانا يحكمانها ، وانه لمن الطريف أن نجد هيرودوت يشير الى شبكوس (٢:١٣٧) كأثيوبى استطاع جيشه أن يسوق فرعونا منافسا له الى مستنقعات الدلتا • وهذا يحدد النقطة التى بدأ المؤرخ اليونانى عندها يظهر بعض الادراك للتسلسل الحقيقى للأحداث وان لم تستطع بياناته أن تتحرر من المظهر الخيالى القصصى الذى كان بالنسبة له ــ كما هو بالنسبة لنا ــ مصدر متعة كبيرة •

وتزداد وثائقنا وفرة بولاية تهرقا للعرش ، وهو أخ وخليفة شبتكو، وقد كشفت حفائر جرفث فى « كوة » وهى تقع بين الجندلين الثالث والرابع عن خمس لوحات كبيرة معظمها فى حالة جيدة تروى أحداث سنى حكمه الأولى والهبات التى قدمها الى المعبد الذى وجدت به • وقد عثر على أجزاء من لوحات هى صورة طبق الأصل من أهم اللوحات فى المطاعنة وقفط وتانيس مما يشير الى أن تهرقا لم ينفر من أن يذيع ثراءه وأعماله • ومن هذه اللوحات نعلم أنه أرسل مع آخرين من أخوة الملك وهو فى سن العشرين من النوبة ليلحق بـ شبتكو فى طيبة حيث نال الرضى والعطف الخاص من هذا الأخير • وانه توج فى منف بعد موت شبتكو وأن أول ما أتاه من أعمال هو تذكره للحالة المحزنة التى كان عليها معبد كوة كما شهده وهو فى طريقه الى مصر ، وكان ترميمه له والهدايا العديدة التى أهالها على الاله المحلى أمون رع مما يشهد بالولاء الذى يستشعره نحو البلد الذى ولد فيه ، ولعله من الطريف بصفة خاصة ماجاء من ذكر

---

(١) Kawa, I, 119-20

« زوجات أمراء مصر الوسـطى » و « أبناء أمراء تحنو »(١) الذين نقلهم الى هنـاك ليعملوا كخدم في المعبد ذلك لأن هذا يتضمن الاشـارة الى انتصاراته على منافسيه الأصليين من الأمراء الليبيين فى الدلتا • وكان عامه السادس من الحكم سنة خير وفير فالنيل ارتفع ارتفاعا عاليا فى مصر نفسـها ، كما سقطت أمطار غزيرة فى النوبة وكان من أثر ذلك زيادة ضخمة في المحصولات ورخاء كبير ، وفى السنة نفسها استقبل فى منف أمه «ابر» التى لم يكن رآها منذ ارتحاله من النوبة ، وليس من شك فى أن كل هـذه الذكريات التى كتبت بالهيروغليفية تطبع فى أذهاننا صـورة جميلة ، ولكن ليست هناك اشـارة الى الكوارث التى كان على تهرقا أن يجابهها فعلا ، وتقوم المبانى التى كرسها فى الكرنك ومدينة هابو شاهدا

على أنه على طول الوادى كانت الأعمـال السلمية تسير قدما حتى خـلال المرحلة التى كانت نذر الخطر الحيوى تهدد البلاد من ناحية الشـمال الشرقى •

ولقد تجددت مشـاعر العداء الكامنة بين القوتين الكبيرتين فى عهد سناخريب (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق • م) الذى بدأت حملته الثالثة باخضـاع مدن الشاطىء الفينيقى • وكانت الثورة قد بدأت تشب على أية حال بعيدا فى الجنوب فقد طرد سكان المدينة الفلسطينية عقرون ملكهم « بادى » بسبب ولائه لأشور ، أما حزقيا صاحب يهوذا الذى استقبله وسجنه فقد أصبح خائفا والتمس العون من مصر(٢) وقـد هزمت القـوات الاثيوبية والمصرية في التكة وأعيد عرش بادى اليه ، واجتيحت الكثير من مدن يهوذا وان لم تؤخذ أورشليم ، وقد اضطر حزقيا لدفع ضريبة ثقيلة حتى يتجنب ذلك الأمر ، ولقد طال الجدل حول الرأى القائل بأن هذه هى المرة الوحيدة التى اصطدم فيها سناخريب بمصر ، ولكن قراءة النص الوارد فى ملوك الثانى ١٩ : ٨ ـ ٢٥ تشير الى اصطدام آخر اذ جاء هناك ان «ترهاقا» ملك اثيوبيا «خرج ليحارب الأشوريين وأن ملاك الرب ضرب العديد منهم فى الليل ولما بكروا صـباحا اذا هم جميعا جثث ميتة » وتشـير الفقرتان التاليتان الى ارتداد سناخريب الى نينوى وبقائه هناك حتى ذبح ، وفى اشارة هيرودوت (٢ : ١٤١) العجيبة ، الطريفة مع ذلك ، الى هـذا الهجوم العقيم على مصر نراه يشير الى أن انسحاب الأشوريين بعد وصولهم

---

(١) Bull. Inst. fr. LI, 28

(٢) A.N.E.T., pp. 287, f.

الى بلوزيوم لم يكن بسبب وباء كما تقرر التوراة بل الى وجود جحافل من الفيران أكلت قسى الغزاة وجعابهم ، وما دام تهرقا لم يخلف شبتكو الا فى عـــام ٦٨٩ ق٠م فانه لا يمــكن أن يكون هو العــدو الذى هزمه سناخريب فى التكه وما دام ليس تحت يدنا ما يجعلنا نعارض فى دقة رواية التــوراة فان علينا أن نفترض أنه استهــدف متابعة النصر بضربة تالية منعتها الظروف على أية حال ٠٠ ولم يقدر للخصمين أن يلتقيا ٠

ولقد كان من الواضح منذ زمن بعيد أنه يجب الوصول الى مايحسم الأمورين العاهلين : الأشورى والأثيوبى اللذين يتساويان فى العناد ٠ ولكن الواقع أنه كان هناك فريق ثالث فى النزاع وكان من المقدر للنصر النهائى أن يعقد له ؛ وكمــا كانت الحال فى عهـــد بى عنخى كانت مصر الســفلى وجانب من مصر الوسطى مقسمتين الى عدد من الامارات الصـــغيرة التى كانت مستعدة للانضمام الى أى من القوتين الكبيرتين التى تستطيع أن تترك لها استقلالها ٠ وقد تابع أسارحدون (٦٨٠ــ٦٦٩ ق٠م) وهو ابن سناخريب سياسة أبيه العدوانية بنجاح كبير ــ ولا تشير المصادر المصرية الى شىء من ذلك ــ أما اللوحات والألواح المنقوشة بالمسمارية فتقدم بيانات تفصيلية عن الحملات حيث تشير الى أنه بعد أن تم اخضاع سورية طارد تهرقا الذى تراجع مترنحا نحو الجنوب ، وهاك واحدة من المقتطفـــات الموجزة من خيرة النقوش المحفوظة (١) ٠

« من مدينة ايشوبرى حتى منف ، مسيرة خمسة عشر يوما ، حاربت كل يوم فى معارك دموية ضد تارقو ملك مصر واثيوبيا الملعون من كافة الآلهة العظام ، وقد ضربته خمس مرات بسنان سهامى وسببت له جراحا ثم حاصرت « منف » مقره الملكى ودمرتها وهدمت أسوارها وأحرقتها » ٠

وبعد أن يذكر الجزية التى حملها معه الى أشور يتابع قوله :

« نفيت كل الاثيوبيين من مصر غير تارك واحـــدا منهم ليقـدم لى الخضــوع وعينت فى مصر فى كل مكان ملوكا جـددا وحكاما وضــباطا ورؤساء موانى وموظفين رسميين والهيئات الادارية » ٠

وحالما خرج أسارحدون ليبدأ حملة جديدة أصــابه المرض فى حران ومات وكان هذا مما مكن تهرقا من أن يستعيد منف ويحتلها حتى طرده منها من جديد اشوربانيبال فى حملته الأولى (٦٦٧ ق٠م) وقد وجد الملك

(١) A.N.E.T., p. 293

الاشورى الجديد ان «الملوك والحكام والوكلاء» الذين عينهم أبوه من قبل كانوا قد هربوا وان الامر يحتاج الى اعادة تعيينهم ٠ ويقدم الرقم الاسطوانى المشهور والمعروف باسم « رسام » قائمة لا تقدر بأسماء هؤلاء الامراء الصغار(١) ٠ وتتناول كل مدن الدلتا الهامة الى جانب مدن أخرى فى الجنوب مثل هرقليوبوليس وهرموبوليس وأسيوط ، وقد تم احتلال طيبه (نى) للمرة الاولى ولو أن استسلامها كان مؤقتا(٢) ٠

« تغلب رعب السلاح المقدس لاشور ، ربى ، على تارقو حيث كان قد اتخذ ملجأ ولم يسمع عنه بعد ذلك ثم جلس على عرش مملكته أورد أمانى ابن شبكو وجعل من طيبة وهليوبوليس قلاعه وجمع قواه المسلحة » ٠

وتتابع القصة القول بأن اوردامانى ، وهو الاسم الذى أطلقه الاشوريون على الملك الاثيوبي تانواتامون ، أعاد احتلال منف وظل بها حتى عاد اشوربانيبال من نينوى وبدأ حملته الثالثة وعندئذ انسحب الاثيوبى أولا من منف ثم من طيبة و « فر الى كبكيبى » وكان هذا آخر ما نسمع عنه فيما يتصل بالنصوص المسمارية ، ويزعم اشوربانيبال أنه « غزا طيبة غزوا شاملا وانه حمل معه الى نينوى جزية ضخمة ومع ذلك فانه يبدو أن هذه كانت آخر مرة يظهر فيها فى مصر (٦٦٣ ق٠م) وقبل أن نتناول بالوصف الترتيبات التى قام بها لانزال الدلتا الى مرتبة العبودية نرى لزاما علينا أن نتابع مصير تانواتامون بقدر ما تستطيع النصوص المصرية أن تلقى ضوءا ٠

فى الوقت الذى عثر فى جبل برقل على النص الكبير ل بى عنخى عثر كذلك على نص من عهد تانواتامون يعرف باسم لوحة الحلم (٣) والاحداث المسجلة بها هى الاحداث نفسها التى سجلتها الرقم الاسطوانية المسمارية التى سلفت الاشارة اليها ، ولكننا نجد أنه من الصعب أن نلتقى بتناقض أشد مما نلتقى به عند عرض الاثنتين ٠٠ فكلتاهما تتحدث عن قصة النصر ولكن المنتصر فى الواحدة اشور بانيبال وفى الاخرى تانواتامون ، ويروى الاثيوبى كيف أنه فى السنة الاولى من حكمه رأى فى الحلم ثعبانين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وقد فسر له الحلم على الوجه الآتى :

---

(١) Op. cit., p. 294

(٢) Op. cit. p. 295

(٣) B.A.R., IV, No. 919 ff.

« مصر العليا تخصك فخذ لنفسك مصر السفلى، ربتا الصل والعقاب ظهرتا على رأسك ، اعطيت لك الارض طولا وعرضا وسوف لايشترك معك أحد فيها » ·

وعندئذ «اعتلى تانواتامون عرش حورس فى هذه السنة وخرج من المكان نفسه كخروج حورس من خميس (١) ، وتقـــدم الى نبته دون أن يعترضه أحد وأقام هناك عيدا كبيرا لامون رع ثم قدم ولاء مماثلا لخنوم فى الفنتين ولأمون رع فى طيبة وقوبل بالترحاب فى كل مكان فى طريقه الى منف بفرح كبير وكذا عند وصوله الى العاصمة الشمالية ·

« وجاء أبناء التمرد والعصيان ليحاربوا جلالته وقام جلالته بمذبحة كبيرة بينهم وأما أعدادهم فليست معروفة » ·

وهكذا عاد تانواتامون الى منف ليتدبر أمر الخطوة التالية ، وعندئذ جاءته رسالة أن الامراء مستعدون أن يقوموا على خدمته ، وحين سأل أن كانوا يريدون أن يحاربوا أو هم يرغبون فى أن يكونوا خدما له وافقوا على الأمر الاخير · وعندئذ سمح لهم أن يدخلوا القصر حيث أنبأهم الملك ان أمون نبته كان قد وعده بالنصر · وكان يتحدث عنهم فى الاجابة عليه أمير بى سوبد وتعهد الجميع أن يخدموه باخلاص ، وبعـــد أن دعاهم الى مائدته سمح لهم أن يعودوا الى مدنهم ليمارسوا أعمالهم الزراعية وعندئذ تفرقوا ·· ثم ينقطع النص فجأة ·

وربما كان هناك كثير من الصدق فى النصين : الاثيوبى والاشورى ولكن الطريقة التى يتشابكان بها لا تبدو واضحة تماما ، وقد ذكر تهرقا وتانواتامون معا على أحد المبانى فى طيبة ، ولكن ليس هناك ما يدعو مع ذلك الى القول بقيام فترة اشتراك فى الحكم ، واما عن نهاية تهرقا فكل ما نعرفه أنه عاد الى نبته ودفن فى نورى (٢) وهى على مسافة قليلة الى الجنوب والأرجح أن احتلال تانواتامون لمنف الذى تم بنجاح ، ثم مهادنته لامراء الدلتا سبقت اندفاع أشوربانيبال جنوبا الى طيبة ولكن لم تكن هذه هى النهاية بالنسبة له ، وكان هناك فى طيبة خلال هـــذه الأيام المليئة بالمتاعب رجل محنك عمل على الاحتفــاظ بالقوة الفعلية الى جانب زوجة الاله شبن ويبة الثانية اخت تهرقا ، وقد ذكر «منتمحية» للمرة الأولى فى

---

(١) المكان فى وسط مستنقعات الدلتا حيث أمضى الاله حورس طفولته ·

(٢) P.M., VII, 223

اسطوانه «رسام» من عهد اشوربانيبال حيث يظهر ك « ملك طيبة » ، وواقع الأمر انه لم يكن سوى «الكاهن الرابع لآمون» وانه كان من سلالة أسرة من كبار أسرات الكهنة ، ومن المؤكد ان نفوذه حجب نفوذ «الكاهن الاكبر» وكان جده يحمل لقب «وزير» أما أبوه نس بتاح فلم يكن سوى « عمدة ني » (طيبة (١)) وله آثار عديدة معظمها فى طيبة بطبيعة الحال ولكن هناك نقشين قصيرين من أبيدوس (٢) يشيران الى أن سلطانه ربما امتد شمالا حتى هذه المدينة ومن أكثر ما نلقـــاه طرافة نص هيروغليفى طويل ــ وان كان مشوها تشويها كبيرا لسوء الحظ ــ يشغل الحوائط الجـانبية لغرفة صغيرة في معبد موت بالكرنك (٣) ، ويرى فى الحائط الخلفي منظر تهرقا وهو يتعبد للآلهة ويتبعه منتمحيه مع أبيه وابنه وهذا يؤكد ان منتمحيه بكل قوته لم يكن يعد نفسه أكثر من واحد من الرعايا الأمناء للملك الأثيوبى ويشيد النص مع ذلك بالمنشآت العديدة المتنوعة والاصلاحات التى تمت ، وهى أمور كانت تنسب فى غير ذلك الزمان الى الفرعون ، أما الملك هنا فيشار اليه اشارة غير مباشرة وينسب منتمحيه لنفسه كل الفضل ، وله الحق فى ذلك من غير شـــك ، أما الاشارات الى حالة البلاد المقلوبة رأسا على عقب فقليلة ومبهمة وليست هنـــاك من غير شك أية اشارة لاحتلال الاشوريين القصير للعاصمة الجنوبية ٠

وقد ثبـــت ناتواتامون على الادعاء بأنه الفرعون الحقيقى لبضـــع سنوات بعد غارة اشوربانيبال الخاطفة على طيبة ، وقد وجدت له عدة نقوش هناك وأحدها يسجل بيع قطعة أرض فى العام الثامن من حكمه(٤) ولابد أنه كان قد انسحب الى نبته قبل ذلك بزمن طويل حيث مات هناك بعد ذلك ودفن فى كرو (٥) ٠٠ وهكذا فان المغامرة الاسيوية انتهت بعد أقل من سبعين عاما ومن الواضح أن كل اتصال مباشر بين المملكتين توقف الآن وان بقيت العلاقات التجارية ، وربما كان الحد الشمالى لمملكة نبته عند بنوبس جنوبى الجندل الثالث وربما كانت الارض بينها وبين أسوان مشاعا تسكنها قبائل متوحشة ، وقد أخذ الاثيـوبيون منذ هذه المرحلة يوجهون أنظارهم نحو الجنوب بدلا من الشمال فأسسوا عاصمة جديدة

---

(١) مقالات كتبها لجران فى Rec,. trav., XXXIII, ff.

(٢) P.M., V, 78

(٣) P.M., II, 92 ; B.A.R., IV, 90l, ff.

(٤) Ann Serv., VII, 226

(٥) P.M., VII, 196

فى مروى قرب التقاء النيل بالعطبرة حيث يمــكن تربية الماشية وانماء المحصولات وحيث توجد موارد الحديد الوفيرة كذلك ، ولئن كانت العلاقات قد بترت بهــذه الصورة بين مصر وأثيوبيا من الناحية السياسية الا أن الثقافة الفرعونية القديمة لم تمت فى الاخيرة الا ببطء شديد فظلت المعابد تمثل على جدرانها المناظر المنقوشة نفسها ، كما صنعت المقابر الملكية على شكل الاهرام وقد عثر على عدد من اللوحات الجميلة مكتوبة بلهجة الدولة الوسطى المصرية مع لوحة بى عنخى فى جبل البرقل وهى تتحدث عن ملك يدعى آسبلتا تقدم وصفا تفصيليا لانتخابه ملكا(١) • وبعد بضعة أجيال نجد نقوشا هيروغليفية مشابهة ولكنها متبربرة الى حد يصعب معه فهمها رغم أنهم كانوا لا يزالون يســتخدمون اللغة المصرية وفى الوقت نفسه كانت قــد تطورت من الهيروغليفية المصرية كتــابة ذات حروف لتسجيل اللغة الوطنية ، وتطور مع هــذا جنبا الى جنب طراز من الكتابة الخطية تتمشى مع الهيروغليفية الوطنية علامة بعلامة ، وقد لعب جرفث أكبر دور لحل رموز هاتين الكتابتين المعروفتين بالمروية ، معا ؛ وليس من مهامنا هنا أن نروى قصة هذا الانهيار التدريجى الذى وصل الى ذروته بتدمير مروى على يد ايزانس الاكسومى حوالى عام ٣٥٠ بعد الميلاد •

---

(١) P.M., VII, 217

مراجع مختارة

الخبيئة الكبرى بالدير البحرى

قام بالكشف وقدم فكرة عامة عنه
G. Maspero, Les Momies royales de Deir el-Bahari, **Cairo,** 1889

G. Elliot Smith, The Royal Mummies, **Cairo,** 1912 : المومياوات الحقيقية

G. Daressy, Cercueils des cachettes royales, Cairo, 1909 التوابيت

J. Cerny, in J.E.A. XXXII, 24-30 مقبرة انحعبى

مقبرة كهنة وكاهنات أمون ، تعريف بها ، : **P.M.** I. 198

قائمة كاملة بالتوابيت وأصحابها ومحتوياتها Ann. Serv. VIII. 3 ff.

خصائص الاسرتين الحادية والعشرين والثانية والعشرين :
Ed. Meyer, Gottesstaat Militärherrschaf tund Ständewesen
in Sitzungsberichte of **Berlin Academy,** 1928

محاكمة موظف عن طريق الوحى :
E. Naville, Inscription historique de Pinodjem III, **Paris,** 1883

لقبا « زوجة الاله » و « عابد الاله » :
M. F. Laming Macadam, The Temples of Kawa, **Oxford,** 1949, I. 119 **ff.**

تانيس :

P. Montet, Le Néevopole royale de Tanis

1 — Les Construction et le tombeau d'Osorkon II, **Paris,** 1947
2 — Les Constructions et le tombeau de Psovsennes, **Paris,** 1951

مختصر وجيز ، قدمه Vandier فى Clio, pp. 534-7

الأسرة الثانية والعشرون :

البوابة البوباستية : Reliefs and Inscriptions at Karnak III, **Chicago** 1954

ترجمة وتعليق قام بها :
R. Caminos, The Chronicle of Prince Osorkon, **Rome,** 1958

E. Naville, The Festival **Hall** of Osorkon II in the Great Temple of Bubastis, **London,** 1892

أهمية هرقليوبوليس :

F. LL. Griffith. Catalogue of the Demotic Papyri in the John Rylands Library, Manchester, 1909, III. 71 ff.

لوحة نمرات ، ابن شوشنق الأول :

P. Tresson in Mélanges Maspero, Cairo, 1935-8 II, p. 817 ff.

سرابيوم ممفيس : PM. III 205-15

مصر وفلسطين :

T. E. Peet, Egypt and the Old Testament, Liverpool, 1922

حملة شوشنق الأول :

D. M. Noth, Die Shoschenkliste in ZDPV LX 277-304

العصر الأثيوبي :

H. von Zeissl, Aethiopen und Assyrer in Aegypten, Gluckstadt, 1955

حفائر قام بها Dows Dunham, G. Reisner في كورو P. M. VII 195 ff.

وفي نوري op. cit. VII. 223 ff. وفي جبل برقل op. cit. VII 203 ff.

حفائر قام به F. LL. Griffith في كاوا op. cit. VII. 180 ff.

وقدم Dows Dunham ملخصا وافيا طيبا عن انجازات الأمريكيين عنوانه :
The Egyptian Department and its Excavations, Boston, 1958, pp. 100 ff.

السجلات الاشورية :

ANET, pp. 282 ff.

Documents from Old Testament Times ed. D. Winton Thomas, London 1958

مردى :

PM VII 235 ff.

Dows Dunham, op. cit. pp. 119 ff.

١٣ التأكيدات الأخيرة للاستقلال

كان سلطان أشور قرابة نهاية حملة أشوربانيبال المصرية فى أقوى مظاهره ، وكان قد هزم أعداءه فى كل الجهات ، ولكنهم كانوا أشــد استمساكا باستقلالهم من أن يسمحوا له بأكثر من حيز ضيق للتنفس . وبدت نذر المتاعب أول ما بدت في عيـلام عدوته التقليدية الى الشرق ، ولم يكد يتغلب على هذا الخطر حتى قام حلف جديد أوسع مدى أسهم فى جانب منه أخوه الخائن شمش شوموكين الحـاكم شبه المستقل لبابل . وكان من الواضح أن اشوربانيبال لا يستطيع أن يسـتعيد سلطانه على الدلتا الا عن طريق ولاء من عينهم نوابا له هناك ، وكان فى استطاعته أن يترك هنـاك عـددا قليلا من الجنـد الآشوريين ، وقد اتبع أسارحدون سياسـة احلال هؤلاء الأمراء الذين لم يكن يثق فيهم بغيرهم ممن وقع عليهم اختيـاره الشخصى وكان من بين هؤلاء الاخـيرين نكو من سايس الذى لايبعد أن يكون من سلالة خصم بى عنخى المدعو تف نختـه ، ولكن سرعان ما أعلن نكو هذا الثورة وأخذ مع غيره أسرى الى نينوى (١) . وقد أدرك أشوربانيبال حين رآه أنه رجل ذو قدرة واقدام فأظهر العطف عليه وأعاده محملا بالثياب والحلى وأشياء أخرى ثمينة .

« وأعدت له سايس كمقر وعاصمة كان قد عينه أبى عليها ملكا وعينت ابنه نابوشزيبانى على اتريب ، وأظهرت نحوه من الود والصـداقة أكثر مما فعل أبى » .

ويجعل مانيتو من نكو الأول هذا الملك الثـالث لأسرته السادسة والعشرين ، ويسبق اسمه باسمين غير محققين هما ستيفناتس ونكبسوس اللذان يعدان مشكلة كذلك ، وهناك أسباب تاريخية قوية تدعو على أية حال لاعتبار رابع الأسماء التى يقدمهـا مانيتو وهو بساميتكوس الأول المؤسس الحقيقى للأسرة ، والاسم كما يبدو من مظهره يشـير الى أنه مصرى ومعناه «بائع المزيج» (٢) وفى الاسم اشارة واضحة الى ما يرتبط

(١) A.N.E.T., p. 295

(٢) المزيج هنا هو المزيج المعروف باسم Negus وهو مزيج من خمر وماء وسكر وجوز الطيب وعصير الليمان (المترجم) .

بقصة هيرودوت (٢ : ١٥١) التى تشير الى استخدامه لخوذته (١) كاناء سكيبة وانا لنراه على لوحة أبيس يأتى عقب، تهرقا مباشرة دون أن يرد ذكر ل «اتانوتامون»(٢) • وهكذا فان مصر فى معظمها اصبحت الآن فى أيدى أمراء مستقلين كان همهم أن يتحدوا ضد الأجنبى أكثر من أن ينغمسوا فى صراع داخلى ، وهكذا نشأ تحت قيادة بسامتكوس ما يعرف بحكم الاثنى عشر الذى يصفه هيرودوت (٢ : ١٤٧) بأسلوبه الروائى المعتاد، وأما ما يذكره المؤرخ اليونانى (٢ : ١٥٢) من أن بسامتكوس ذهب الى سورية هاربا من سبكوس الذى كان قد قتل أباه نكو فمستحيل من ناحية تتابع الأحداث الزمنية ، واما أين ومتى مات نكو (٣) فغير معروف ، وربما كان بسامتكوس هو الابن الذى أطلق عليه الاسم الاشورى نابوشزيبانى ، وعلى أية حال فان تقرير الحملة الثالثة لأشوربانيبال كما يظهر فى اسطوانة (رسم) يشير الى اسم يختلف تماما عن هذا الاسم وعن الاسم فى صورته المصرية ، وقد وردت على الاسطوانة تفصيلات الظروف التى مكنت بسامتكوس من تحرير نفسه من السيطرة الأشورية بصورة تستحق الرعاية والتصديق تماما (٤) ، اذ جاء بها أنه حين هاجمت جيجس ملك ليديا جحافل الكميريين المتوحشة استطاع أن يصدهم بفضل معونة أشوربانيبال ، عندئذ كما يقول أشوربانيبال : —

توقف حضور رسوله الذى ظل يرسله لابلاغى تحياته — لأنه لم يكترث بكلمة أشور الاله الذى خلقنى ، ولكنه واثق فى قوته وقسى قلبه •

وكانت النتيجة أن غزا الكميريون البلاد جميعا ، وتسلطوا عليها وتشير الفقرة نفسها أن جيجس « أرسل قواته الى توشاملكى ، ملك مصر الذى رفع عن عنقه نير سيادتى » •

ونستطيع أن نلتقى باشارة مشوهة عن القوات التى أرسلها جيجس الى مصر عن طريق الأثيوبيين والكاريين الذين يرتدون دروع البرونز

---

(١) F. LL. Griffith, Rylands Papvri III, 44, 201

(٢) B.A.R., IV, No. 959, 62

(٣) هى كذلك بالهروغيليفية وهى بالاشورية نيكو ، اما نخاو التى يوردها مانتو فغير دقيقة •

(٤) D.D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria, II, No. 784-5

والذين ـ طبقا لما ذكره هيرودوت (٢ : ١٥٢) ـ عاونوا بسامتكوس على أن يصبح سيد أمراء الدلتا الآخرين وربما كان هذا هو شغله الشاغل خلال السنوات الأولى من حكمه اذ نحن لا نلتقى بأثر مؤرخ قبل العام التاسع ـ وقد نجح فى العـام المذكور فى بسط سـلطانه على ال « طيبـائيد » بالطريقة نفسها التى اتبعها من قبل الفراعين الآخرين . وهنـاك لوحة كبيرة عثر عليها فى الكرنك (١) . تقص كيف أنه أرسل ابنته الكبرى نيتوكريس لتصبح « زوجة الهية » لأمون خلفا ل « شبن ويبه الثانية » أخت تهرقا وقد وصفت أحداث الرحلة الى طيبة تفصيلا ، وكان سـيد تسيير السفن المدعو سمتووىتفنختة مشرفا على السفن وكان يشغل فى الوقت نفسه منصب عمدة هرقليوبوليس ، وهناك ما يدل كذلك على أن أعضاء آخرين من أسرته كذلك استمتعوا بهذا الامتياز الذى جعل لهم اشرافا على كل الملاحة فى النهر الى الجنوب ، وقـد رأينـا من قبل أنه كانت لهرقليوبوليس أهمية خاصة فى العهـد الليبى ، وقـد استقبلت نيتوكريس لدى وصولها الى طيبة بحفاوة كبيرة أسهمت فيها زوجة الاله القـائمة ، وربما كانت أكثر أهمية على أية حال من الوليمة المتأخرة التى أقيمت لها بهذه المناسبة تلك العطايا والثروات التى انهالت عليها ومن بينهـا على الأقل ١٨٠٠ أرورا من الأرض من سـبعة من أقاليم الصـعيد بالاضافة الى أكثر من ١٤٠٠ من أربع من مقاطعات الدلتـا ومعنى هـذا أنها أصبحت مالكة لحوالى الفين من الفدادين . ولم يكن هذا هو كل شىء ؛ ذلك لأن أهم رجال الكهنة لأمون وعلى رأسهم منتمحية اللين العريكة زودها بمواد تموين وفيرة أضيفت اليها كميات ضخمة من الخبز أسهمت فى تقديمها معابد المدن الرئيسية ، ولسنا بحاجة الى القول بأنه أصبح من الضرورى تعيين وكيل كفء لادارة هذه الثروة وربما كان « ببس » يصبح غير مستحق ليطلق عليه أنه من البشر ، ان هو أحجم عن اغتنام هذه الفرصة وعلى أية حال فان مقبرته فى القرنة(٢) وكذا مقبرة ايبا(٣) وهو وكيل آخر رئيسى فى هذه المرحلة من الحـكم الطويل يعتبران أقل عجرفة من غيرهما من المقابر العديدة التى ترجع للعصر نفسه والتى تقلد أصحابها الوظيفة نفسها .

---

(١) B.A.R., IV, No. 933 ff.

(٢) P.M., I, 165, No. 279

(٣) Ann., Serv V, 94-96 ; Op. cit., I, 69, No. 36

وبعد ستين عاما حين أصبحت نيتوكريس عجوزا تجددت العملية نفسها واضطرت أن تتقبل كخليفة لها فى المستقبل « عنخنس نفرايبرع » ابنة بسامتكوس الثانى وصاحبة أفخم تابوت بالمتحف البريطانى اليوم ، وقد وصلت الى طيبة واستقبلتها هناك أمها التى تبنتها فى العام الأول من حكم أبيها ويبدو أنها منحتها فى الوقت نفسه لقب « الكاهن الأول لأمون » وهى وظيفة لم تحصل عليها من قبل أية « زوجة اله » ومع ذلك فانها لم تصل الى المرتبة الأخيرة التى هى أكثر أهمية حتى ماتت نيتوكريس فى العام الرابع من حكم ابريس وتروى هذه الأحداث جميعا لوحة موجودة الآن فى متحف القاهرة (١) التى تشير الى استقرارها فى الكرنك والى خدمة الكهنة لها ولكنها لا تشير الى الهبات التى برزت بصورة ضخمة واضحة بالنسبة لنيتوكريس .

وتاريخ مصر فى هذه المرحلة يزداد امتزاجا بتاريخ الشرق الأوسط واليونان ومصادرنا الى جانب هيرودوت هى الوثائق بالكتابة بالمسمارية الاسفينية ثم المؤرخ اليهودى جوزيفوس والتوراة ، وليس من مجال هذه المقدمة أن تتناول الأحداث الرئيسية الا بصورة عامة ، وسنركز على مدى ما تسهم به الهيروغليفية فى هذا المضمار بالنسبة للصور العامة ، ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن نتجنب رسم تخطيط للاتجاهات العريضة للتطور ، وربما نمر بسرعة على النصوص التقليدية مثل نص حور (٢) القائد الحربى فى هرقليوبوليس فى المعبد الذى قام فيه بعدد من المنشآت ، ولسنا بحاجة كذلك الى أن نطيل الوقوف عند تمثال نسنيمو (٣) كاهن حورس فى أدفو الذى دفع به بسامتكوس الأول الى الترقى تباعا ليصبح عمدة لثمانى مدن مختلفة ، بعضها فى الدلتا والبعض الآخر فى مصر العليا وان كانت دلالة هذا العمل الهام تحتاج الى ايضاح وهذا هو على أية حال المجال للافاضة فى حقيقتين قريبتين بعضهما من بعض ، هما ازدياد تردد دخول الأجانب الى البلاد ، ودرجة ملحوظة من الرجوع الى القديم تبدو فى الفن وفى النصوص الدينية للعصر ، ويبدو أنه كلما امتزج الدم فى المواطنين زاد الحنين للدولة القديمة حين كان الفراعين مصريين خلصا ، وتبدو آثارهم فى ضخامة يزيد من ابرازها الاضمحلال الذى يعانونه ويمرون به ، وقد تم فى العهد الساوى احياء

---

(١) Ann. Serv., V, 84 ff.

(٢) B.A.R., IV, 967

(٣) Z.A.S., XLIV, 42, ff.

ألقاب الشرف القديمة وأخذ النحاتون والنقاشون ينسخون فى حرية نقوش الدولة القديمة ويبدىء فى نقش المقابر بمقتطفات نقلت عن متون الأهرام ، ومنذ تلك الفترة نلحظ ازديادا واضحا فى التدين المصرى ، وكانت عبادة الحيوان قد امتدت جذورها حثيثا وكانت الاقاليم المتجاورة تحارب بعضها بعضا دفاعا عن حيوانها المفضل المرموق ، وقد ازداد بذل منح الأراضى للمعابد وتقبل الملك عن رضا مثل هذه التضحيات من جانب الملاك بقصد استرضاء الكهانة الوراثية وليس من شك فى أن الاعتبارات السياسية لعبت دورا فى هذا كله لأن بسامتكوس كان بعد هذا كله نصف ليبى واستطاعت العصبية الوطنية الشديدة لدى المواطنين المصريين أن تجد متنفسا عن هذا الطريق ، وانا لنرى ـ أبعد من هذا ـ أن السوريين واليهود يتدفقون الى البلاد وأن الأخيرين ينشئون لأنفسهم مستعمرة فى الفنتين حيث سمح لهم كذلك أن يقيموا بها معبدا لالههم ياهو ، وهو يهوه فى نصوص التوراة (١) ، ويجب أن نشير هنا كذلك الى مختلف طبقات السكان المتوارثة التى يضغط عليها هيرودوت ضغطا واضحا (٢ : ١٦٤ ـ ١٦٨) فمنذ عصر الرعامسة أسهم الليبيون وغيرهم من شعوب البحر المتوسط فى القيام بدور هام بالنسبة للجيوش التى كان يعتمد عليها الحكام المصريون ، وقد منحت لهم أراضى مقابل خدماتهم . وليس من عجب أن نشهد جهودهم توجه الآن للزراعة أكثر ما توجه لشئون الحرب وربما كان هناك جانب كبير من المبالغة والتحريف فيما يذكره هيرودوت بصدد جانب من الأهلين كانوا يعرفون لدى اليونان باسم « ماخيموى » أى « محاربون » وطبقا لما يرويه نجد أن هناك جماعة كانت تدرب من أجل الحرب وحدها ويحرم عليها تعلم أية حرفة أخرى وكانت هذه الجماعة تستقر فى أقاليم مختلفة من الدلتا ومن بينهم الهيروموتيبيون والكلاسيريون وهما شعبتان منفصلتان ، وأما التسمية الأولى فلا نلتقى لها بما يماثلها فى الهيروغليفية ، وأما الثانية فنجدها عدة مرات فى بعض أسماء الأعلام التى تمثل كلمة « شيرى » النصف الثانى منها وتعنى « صغير » ولئن كان هناك مع ذلك قسم خاص من السكان مكرس للحرب تماما ، فمما لا نزاع فيه كذلك أن اليونانيين الذين تعمد بسامتكوس تشجيعهم لعبوا دورا هاما فى الموقف المفعم بالأخطار الخارجية والداخلية ، وقد جاء فى أثر الجيوش التى وجهها جيجس تجار ايونيون أسعدهم كثيرا أن يحلوا فى أرض بمثل هذا

(١) Bibliography, Kienitz, p. 39, No. 2 وانظر كذلك المراجع المختارة فى آخر الفصل .

الخصب والثراء ، وقد رضى بسامتكوس من جانبه أن يحصل على قوات جديدة أثبتت بأسها لنتم الموازنة مع آل « ماخيموى » الذين كانوا تحت النفوذ المباشر للأمراء المحليين فى أقاليمهم الخاصة ، وقد بدت منهم للملك الساوى بخاصة ميزة هامة هى مهارة المستعمرين اليونانيين كتجار ، وكانت سفنهم تحمل القمح المصرى الى بلادهم ويدفعون مقابله فضة وقد تطلب الأمر قيام حاميات على الجبهة الغربية والجنوبية وذلك الى جانب المجهود الحربى الذى نرى أنه أصبح ضروريا على الحدود الشمالية الشرقية ، ويشير هيرودوت (٢ : ٣٠) الى مثل هذه الحاميات فى دافنى عند بلوزيوم ، وأخرى فى ناحية ليبيا عند « ماريا » وثالثة فى الفنتين ، وهو يتابع القول بأن الأخيرة حين لم تصلها الامدادات مدى ثلاث سنوات ثارت وارتحلت الى أثيوبيا التى كانت تستمتع اذ ذاك بشهرة مظهر من مظاهر «الالدرادو » (١) وهو يشير الى أن بسامتكوس لاحقهم وأن لم ينجح فى اقناعهم بالعودة ، ولدينا مصدر بالهيروغليفية عن ثورة مماثلة وارتحال فى عهد ابريس (٢) ولكن « نس حور » المشرف على الحدود الجنوبية استطاع فى هذه المناسبة أن يعمل على اقناع الهاربين بالعودة ٠

وتثبت لوحة لأبيس أن بسامتكوس مات بعد أن حكم اربعة وخمسين عاما وان خلفه هو ابنه نكو الثانى فى عام ٦١٠ ق ٠ م ٠ وكان الملك الجديد لا يكاد يقل عن أبيه اقداما ، ومع ذلك فانه كان أقل منه حظا وليست آثاره الوطنية متعددة جدا ــ كما أنها لا تكشف عن أية بيانات يمكن أن نستقى شيئا من ورائها ، ويعد هيرودوت مصدرنا الرئيسى مرة أخرى عن مشروعاته التى أنجزها فى البلاد ، وقد اضطر الى التخلى عن محاولة جريئة لربط النيل بالبحر الأحمر عن طريق قناة ، ولكن يكاد يكون من المؤكد أن السفن الفينيقية التى أرسلها لتقوم بدورة ملاحية حول أفريقيا قد نجحت فى هذه المهمة ٠ وأنها عادت عن طريق أعمدة هرقل فى العام الثالث من حكمه ويجب علينا ــ كى نتفهم المشروعات الحربية التى وجد بسامتكوس ونكو نفسيهما منغمسين فيها فى الجبهة الشمالية ، أن نقدم فكرة عامة عن الأحداث هناك منذ ولاية أولهما للعرش ، ذلك أنه حين سحب أشوربانيبال المنتصر جيشه من مصر لم يكن من المتوقع الأخذ بالثأر بصورة جدية فى تلك الناحية ، ومع ذلك فانه يبدو أن الجيوش المصرية طاردت الأشوريين المنسحبين الى

---

(١) اصطلاح يعنى الخير العميم والثراء (مروج الذهب)

(٢) B.A.R., IV, No. 989-95

فلسطيا كما حدث قبل ذلك بتسعمائة عام عقب طرد الهكسوس ولسنا نستطيع أن نصدق ما يرويه هيرودوت (٢ : ١٥٧) من محاصرة «أشدود» مدى تسعة وعشرين عاما ، وهي أطول مدة حصار في التاريخ فالرواية لا تكاد تقف على قدميها ، ولكن الخطر بالنسبة لأشور كان يقوم من ناحية الاسكيذيين الذين اكتسحوا البلاد ، ولم يتوقفوا عند الحدود المصرية ــ كما يروى الكاتب اليونانى (١ : ١٠٥) الا بسبب ما قدم لهم بسامتكوس من عطايا وتوسلات ، وعلى أية حال فان الأمر الذى كان أشد بعثا للخوف هو ظهور امبراطورية كبيرة جديدة فى الشمال الغربى من ايران على يد فاروارتس وابنه سياكساريس وقد مات أشوربانيبال فى عام ٦٢٧ ق ٠ م وحدث بعد عام أن « جلس نابوبولا سر على العرش فى بابل » بعد أن هزم الجيش الاشورى هزيمة ساحقة على يد البابليين الذين كانوا يسعون دواما لتأكيد استقلالهم وفشلت كافة المحاولات من جانب الاشوريين لاستعادة الأرض التى فقدوها ، وفى عام ٦١٦ ق ٠ م أصبح من الواضح أمام بسامتكوس أن قيام تحالف بين الميديين والبابليين يغدو أشد خطرا من أى خطر سابق من ناحية الاشوريين ولذلك قرر أن ينحاز الى أعدائه السابقين ، ولكن القرار كان قرارا تعسا لأنه حدث فى عام ٦١٢ ق ٠ م أن سقطت نينوى وتم اجتياحها ونهبها فى صورة كاملة ٠٠ وجهد الملك الأشورى « أشور أوبلط » أن يتابع الصراع من حران الواقعة بعيدا الى الغرب ولكن نتيجته ظلت معلقة لبضع سنوات ، ولسنا نلتقى منذ عام ٦٠٩ ق ٠ م بذكر لهذا الملك الأخير من ملوك أشور ، وقد حل محله الآن نكو كخصم رئيسى ل نابوبولاسر و «حين صعد فرعون نخو ملك مصر ضد البابليين» كما تشير الى ذلك التوراة ٠٠ ذهب الجميع معه فى أول الأمر وقد أخطأ يوشيا ملك يهوذا فى التدخل عند هذه المرحلة الحرجة فقتله نكو فى مجدو (ملوك ثانى ٣٣ : ٢٩ ــ ٣٠) وهناك بقية من نص كتب بالهيروغليفية عثر عليه فى صيدا (١) يشير الى سيطرة الأخير على الساحل الفينيقى وقد يسر له ذلك الأمر امتلاكه لأسطول فى البحر المتوسط ٠ وفى عام ٦٠٦ ــ ٦٠٥ ق ٠ م استولى المصريون على معقل كيموخو وهزموا البابليين فى قوراماتى وهما موقعان على الفرات الى جنوب قرقميش (٢) ، وهناك

---

(١) P.M., VII, 384

(٢) Wiseman, Chronicles, pp. 23, 67

وانظر كذلك المراجع المختارة فى آخر الفصل

كما جاء فى الأخبار البابلية نرى نبوخذ رزر ابن نابوبولاسر « يعبر النهر ليحارب الجيش المصرى الذى كان فى قرقميش ٠ وقد تحارب الجيشان وانسحب الجيش المصرى أمامه ٠ وقد أوقع بهم هزيمة كاملة وضربهم حتى أفناهم ٠٠ وأما بقية الجيش المصرى الذى استطاع أن يفر من الهزيمة ولم تصله امدادات من الأسلحة فان الجيوش البابلية أحدقت بهم وهزمتهم فى ناحية حماة وبهذا لم يستطع رجل واحد أن يهرب الى بلده ٠٠ فى ذلك الوقت استطاع نبوخذرزر أن يغزو كل اقليم أرض خاتى » (١) ٠

أو كما جاء فى الملوك الثانى ٢٤ : ٧

« لم يعد ملك مصر يخرج بعد ذلك من بلاده ، لأن ملك بابل كان قد أخذ ــ من نهر مصر الى نهر الفرات ــ كل ما كان لملك مصر » ٠ وقد حدثت موقعة قرقميش الكبرى فى عام ٦٠٥ ق ٠ م ومات نابوبولاسر بعد ذلك بشهر أو اثنين ، وبعد عودة نبوخذرزر السريعة الى بابل ليمارس سلطانه كملك أخذ طريق الرجوع الى سورية ليقوم بحملة على تلك البلاد ٠ وفى عام ٦٠٤ ق ٠ م هاجم البابليون عسقلون ونهبوها ، وهو أمر ربما دعا الى الاستعانة بفرعون لمد يد المساعدة الى مدينة من مدن الساحل (٢) ، ولكن لدينا ما يدعونا الى تصديق مصدر التوراة فى هذا الصدد مما يجعلنا نعتقد أن الالتماس ظل بغير جواب ، ويبدو أن نبوخذرزر لم يتخل مطلقا عن الأمل فى الوصول الى الحدود المصرية ذلك أنه فى عام ٦٠١ ق ٠ م اتجه الى مصر ولكنه رد عنها بعد أن تكبد الكثير من الخسائر فانسحب الى بلاده ، كما تشير الى ذلك الأخبار البابلية ، وقد أنهى ذلك العداوات المباشرة بين البلدين لبضع سنوات تالية ، وربما كانت هزيمة البابليين سبب ارتداد يهو ياقيم ، ثم تحالفه مع مصر رغم تحذيرات النبى ارميا (٤٦ : ١٤ وما يليها) ٠

وقد خلف نكو الثانى بعد موته عام ٥٩٥ ق٠م ابنه بسامتكوس الثانى وقد كان حكمه قصيرا نسبيا لم يزد عن ست سنوات ولم يقدر حق قدره فى أغلب الأحايين ، والواقع أن عدد الآثار التى تحمل اسمه أو أسماء موظفيه أكثر نسبيا من عدد آثار سلفيه ، وهناك حملة الى النوبة طال الجدل حولها وتجعل لهذا العهد أهمية خاصة ، وأما

---

(١) المرجع السابق الذكر pp. 25, 67-68 وكان الاصطلاح الجغرافى «حاتى»٠فى هذه الفترة بعنى كل سورية وفلسطين ٠ انظر صفحة ٢٥٥ ٠

(٢) Wiseman, p. 28, No. 5

معلوماتنا عن هذه الحملة فمستقاة أصلا من أطول مجموعة للنصوص اليونانية المنقوشة على أحد التماثيل الضخمة لرمسيس الثانى فى « أبو سمبل » (١) والتى يمكن أن تترجم كما يلى :

« حين جاء بسامتكوس الى الفنتين سجل ذلك أولئك الذين أبحروا مع بسامتكوس بن ثيوكليز ، وقد وصلوا الى ماوراء كركيس بقدر ما يسمح النهر ، وكان يقود أولئك الذين يتكلمون بلسان أجنبى بوتاسمتو ، أما المصريون فكان يقودهم اماسيس » ومن المعروف أن كلا من بوتاسمتو وأماسيس كانا يعيشان فى عهد بسامتكوس الثانى ويشغلان مراكز حربية ذات شأن وقد سجلت الحملة النوبية كذلك على لوحتين نالهما كذلك تشويه كبير عثر عليهما فى تانيس والكرنك (٢) ، وأما الأولى فمؤرخة بالسنة الثالثة وتشير الى حاكم وطنى ذبحت قواته وأما الثانية فتشير الى الوصول الى بنوبس . ولكن ان كان مؤكدا بهذه الصورة أن الحملة (أو كانت مجرد غارة ؟) قد استطاعت الوصول الى أبعد مما كان يفترض من قبل فانه ليس من المستبعد -كما يقترح البعض- أن هذه كانت اجابة بسامتكوس على المحاولة الأثيوبية لاستعادة سلطانها على مصر ذلك السلطان الذى كان قد ضاع عقب فرار تانواتامون من طيبة ، ومهما يكن من أمر فان عهده يميزه عداء ملحوظ ضد الأثيوبين من جانب الساويين ، وقد محيت أسماء تهرقا وأسلافه من آثارهم بصورة منتظمة ، وهناك حدث آخر يمثل مشكلة مشابهة هى التى تشير الى حملة على فينيقيا فى بردية ديموطيقية متأخرة ويبدو أن هذا كان عملا سلميا مادام قد استدعى كهنة كثير من المعابد ليسهموا فيه (٣) .

كان الموقف فى الشمال الشرقى يزداد تعقيدا فى الوقت نفسه ، ففى عام ٥٩٠ ق . م نشهد الملك الباغى الميدى سياكسارس يشغل فى حرب قاسية ضد مملكة ليديا المتاخمة وهى حرب تنتهى بعد خمس سنوات بزواج سياسى بين الأسرتين (٤) . ومن الواضح أن نبوخذرزر لم يكن يتطلع الى أى عون من حليفه القوى ، ومع ذلك فانه يبدو أنه كان من المستحيل عليه أن يظل خاملا حين ثار عليه صدقيا ملك يهوذا

---

(١) Kienitz, pp. 41-42

(٢) Bull. Inst. fr., L. 157, f.

(٣) Kienitz, p. 25

(٤) Op. cit., p. 26

فى عام ٥٨٩ ق٠م فسارع فى بداية العام التالى للاحـــداق بالمدينة المقدسة ، ومات بسامتكوس الثانى فى عام ٥٨٩ ق٠م فخـــلفه ابنه ايريس وهو الفرعون حفرع فى التوراة (ارميا ٤٤ : ٣٠) الذى بدأ على الفور اتخاذ سياسة تخالف سياسة المسالمة والدفاع التى اتبعهـا أســـلافه ، ويعتبر النبيـان ارميا وحزقيا أهم مصادرنا الرئيسية فيما يتصل بتدخله فى سورية ، ولقد أنهى نبوخدرزر هـذا الحصار (١) لمجـابهة هذه المحـاولة لتخليص أورشليم ٠ ولـكن الحصار تجـدد بعد ذلك ، وفى عام ٥٨٧ ق٠م سقطت المدينة ودمرت نهائيا وأخذ صدقيا أسيرا الى أريحا ثم سبى الجانب الأكبر من السكان اليهود الى بابل وهرب بعض بقاياهم فيما بعد الى مصر حين أحسوا أن الموقف فى يهوذا أصبح غير محتمل وأخذوا معهم النبى ارميا (ارميا ٤٣ : ٦) واما الدور الذى لعبه ايريس فى هذه العملية كلهـــا فغـامض فالوثائق المصرية صامتة صمتا كاملا فى هذا الصدد ، ويبدو أنه أرسل فى بداية عهده بالحكم جيوشا الى فلسطين لمساعدة اليهود ثم عاد فسحبها ، ويشار كذلك الى هجــوم جيشه على صيدا وهجــوم أسطوله على صور ولكن النصف الأول من هذه الاشــارة لا يتمشى مع بقية الدليــل المقــدم ، بل ربما النصف الثانى كذلك مادام الكاهن المنفى حزقيال (٢٦ : ١ ، وما بعدها ٢٩ : ١٧ وما بعدها) يشـــهد بحصار نبوخدرزر لصور ويشير الى أنه ظل قائمـا مدى ثلاثة عشر عاما دون أن يتمكن من الاستيلاء على هذه الولاية الجزيرة (٢) ٠

وفى عـام ٥٧٠ ق ٠ م انغمس ايريس فى مغـــامرة جديدة تعسة مزعجة ، والرواية هنا لهيرودوت الذى يقص علينا أن اليونانيين أنشئوا فى برقة على الشاطىء الشمالى البعيد لأفريقيا مستعمرة كبيرة ناجحـة وهو أمر لم يرتح له المواطنون الليبيون ولجأ أحد رؤساء الليبيين ويدعى اديكرات الى ابريس يلتمس حمايته (٣) ٠ ولـكن الجيش المصرى الذى وجه الى هذه الناحية لقى هزيمة ساحقة كان ثمنها بالنسبة ل «ابريس» توجيه اللوم له عن حـق ثم فقـدانه لعرشه ؛ وآثار عهــده الذى يبلغ تسعة عشر عاما من الحكم كثيرة نسبيا ، ولكن أهميته كفرعون ضاعت فى غمار الأهمية التى اكتسبها من اغتصب العرش منه ٠

---

(١) Op. cit., p. 28

(٢) Kienitz, p. 29, No. 1

(٣) Hdt., IV, 159

ولئن جردنا رواية هيرودوت عن أماسيس(١) (٥٧٠ ـ ٥٢٦ : ق٠م) من كل الحديث الذى تسرى الحيوية والبهجة فى ثناياه فان مابقى يصلح ليكون تاريخا معقولا ، ولقد كان رجلا من الشعب ألقت اليه المقادير بالتاج المزدوج بفضل انتهاز الفرصة وسخط أبناء جلدته ٠ وكان المواطنون المصريون متفقين جميعا على تدعيم مركزه ، بينما كانت الجيوش الموالية ل ابريس يونانية فى أغلب الأمر وهو أمر تبدو فيه بعض الغرابة لأنه كان الى عهد قريب يشهر الحرب على مستعمرة يونانية ولا يمكن ان تكون الحرب الأهلية التى أعقبت ذلك قد استغرقت أكثر من بضعة شهور وكانت مقصورة على شمال غرب الدلتا ، ويحدد هيرودوت (٢ : ١٦٩) موقع المعركة الحاسمة فى مومفيس وتشير لوحة كبرى من الجرانيت الأحمر تروى قصة نصر اماسيس الى انها هى سخت مافكا بالقرب من الطرانة على الفرع الكانوبى ، ومن أسف أن هذه اللوحة(٢) الهامة لا تستطاع قراءتها تقريبا اذ استعملت حجرا فى بوابة أحد القصور فى القاهرة ، وقد أخذ ابريس حيا الى سايس التى كانت عاصمة له وأصبحت من بعد ، عاصمة لأماسيس ، ويشار الى أن المنتصر عامل اسيره الملكى فى أول الأمر برفق ولكن أسلمه فيما بعد الى غضبة الشعب ، وتؤكد اللوحة الى أنه قام بدفنه بكل التوقير الواجب نحو فرعون ٠

وهناك نص بالمسمارية فى المتحف البريطانى يشير الى أنه حدثت فى العام نفسه وهو العام السابع والثلاثون من حكم نبوخذرزر (٥٦٨ ـ ٥٦٧ ق٠م) بعض العمليات الحربية ضد اماسيس (٣) ، ولكن ليس يبدو من المحتمل ان القوتين دخلتا فى صراع مع بعضهما البعض فى هذه المرحلة أو بعدها حين خلف العاهل البابلى ثلاثة من الملوك الضعاف ثم رابع هو نابونيدس (٥٥٥ ـ ٥٣٩ : ٠م) الذى ساقته المتاعب التى حلت به الى بقعة لاتقع أقرب الى مصر منها الى شمال سورية وأدوم ولقد استطاع اماسيس ان يثبت بوصفه حاكما أنه رجل سلام فقد عقد فى الغرب حلفا مع برقة ، ولئن كان قد استطاع أن يخضع بعض المدن فى جزيرة قبرص فان هذه هى غزوته المفردة ، وليس من شك فى أن

---

(١) يكتبه مانتيو « اموزس » كاسم أول ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، وهو بالمصرية أصلا الاسم نفسه فى الحالين ٠

(٢) Rec. trav., XXII, I, ff.

(٣) Wiseman, pp. 94-95

اعتماده على نشاط اليونانيين وجهودهم آخذ يزداد بحيث كان يراه هو ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها ٠ ولقد أكسبته طبيعته التى تتسم بالفطنة والمسالمة شعبية كبيرة بين الفريقين بحيث استطاع أن يحمل عن جدارة لقب « فل هللين » (محب اليونان) (هيرودوت ٢ : ١٧٨) ٠ وكان من مظاهر هذه العلاقات الطيبة زواجه من « لاديكه » وهى سيدة من برقة ، وكذلك اسهامه فى اعادة بناء معبد دلفى الذى كان قد تهدم ، ومنحه السخية للعديد من المعابد اليونانية ، واما صداقته ب «بوليكراتس» طاغية ساموس الموفق ، المخادع مع ذلك ، فهى موضوع القصة المشهورة عن الخاتم وهى القصة التى يرددها هيرودوت (٣ : ٤١ — ٤٣) ومع ذلك فان شيئا ما كان يجب أن يتم للتخفيف من تحاسد المصريين الوطنيين الذين كان دينه لهم ضخما على أية حال ، ولما كان قد سمح للتجار بالاستقرار فى الدلتا فان اليونانيين أصبحوا قوة يعتد بها تبعا لذلك ومن ثم أوقف أماسيس هذا التطور بأن أمر بأن يقصر نشاطهم على المدينة الكبيرة نوقراطيس (١) ٠ وهى المدينة التى كشف عنها بيترى على مسافة قليلة الى الشمال الغربى من سايس وكان سكانها جميعا من اليونانيين وقد شيدت بها مختلف جماعات المستعمرين المعابد الكبرى فسبقت نوقراطيس بذلك الاسكندرية ولم تقل عنها أهمية فى عصرها ٠ وكان المصريون واليونانيون راضين على السواء ، وكان هذا التصرف من جانب أماسيس عملية بالغة التوفيق من الناحية السياسية وليس من شك فى أنه كان من نتيجة حكمته — ان نحن صدقنا هيرودوت — مقرونة بطبيعته المرحة وخفة روحه ان استطاع أن يحتفظ بالعرش مدى أربعة وأربعين عاما وأفلت بالكاد من الكارثة التى حاقت بعد عام واحد (٥٢٥ ق٠م٠) ببلده ٠

كان توحيد العالم الذى مزقته الحروب المتعاقبة أمرا يجب أن يتم منذ زمن بعيد ، وقد قامت المحاولة فى هذه المرحلة على نطاق كبير ، وقد جاء الحافز من بقعة بعيدة غير متوقعة اطلاقا ٠ وفارس — بمعنى الاسم الاصلى — هى البلاد الواقعة على طول الجانب الشرقى للخليج الفارسى (٢) وتمتد امتدادا كبيرا الى الداخل بعاصمتيها برسوبوليس وباسارجاداى ٠ وقد انبثقت من هذا الاقليم الجبلى الشحيح أسرة

---

(١) P.M., IV, 50

(٢) الخليج العربى

(المترجم)

الاخمينيين الآرية التي برز فيها كيروش الثاني (حوالى ٥٥٨ – ٥٢٩ق٠م) وكانت أول الممالك التي تم اجتياحها هي ميديا التي لم يستطع ملكها استياجس بن سياكسارس الا مقـــاومة طفيفة قبـل أن يتم ابعاده عن عاصمته اكبتانا التي تقع في منتصف الطريق بين سوسة وبحر قزوين ، وأعقب ذلك دور ليديا التي قدر ملكها كرويسوس عاقبة الأمر فسعى وراء التحالف مع مصر وبابل ولاكديمون ، ولكن الاستيلاء على ساردیس (٥٤٦ ق٠م) تم قبل أن يصل المدد المطـــلوب فلم تعد ليديا بعد مملكة منفصلة (هيرودوت ١ : ٧٩ وما بعدها) وهكذا أصبحت مدن الشاطئ الايوني تحت رحمة الحاكم الفارسي وتركهـــا لتصرف قواده وانطلق كيروش ليوجه جهوده في ناحية أخرى وكان من الطبيعي أن تصبح بابل هدفه التـــالي ، ولكنه لم يكن في عجـلة من أمره لمحـــاربتها ، وكان يحكمها الملك المثقف المولع بالآثار نبونيدس بعد ان قضى عشر سنوات في المنفى في تيما ببلاد العرب والتي عاد منها في عام ٥٤٦ ق٠م عندما دعاه رعاياه الذين كان قد طال من قبل خلافهم معه ، وقد تم احتلال بابل في عـــام ٥٣٩ ق٠م٠ وقـد أوحت حـكمة كيروش المميزة له بأن يحفظ على الملك حيـــاته وأن يبعده الى منطقة نائية هي كرمانيا ليصبح حاكما عليهـا أو لتكون منفى له ، ولا بد ان امبراطورية اتسعت أطرافها بهذه الصورة كانت تتطلب دعما أكبر ولذا فانه قلما نسمع عن نشاط حربي جديد لكيروش خلال السنوات القليلة التالية ، وكان يدرك على أية حال أن غزو مصر ضرورة فعهد بهـذا العمل الى ابنه قمبيزس ، واما هو فقد قضى في عام ٥٢٩ ق٠م٠ حين كان يهاجم جحافل الطورانيين على حدوده الشمالية وقد استطاع خلال ثلاثين عاما أن يرتفع من بداية وضيعة لكي يصبح أقوى حاكم عرفه العالم حتى هذه المرحلة ٠

وقد شغلت المشـــاكل المتعلقة بوراثة العرش قمبيزس مدى الثلاث السنوات التالية، وقد أطلق مقتل أخيه سمردس يديه ليتابع تنفيذ المشروع الذي كان عهد به اليه أبوه من قبل ، وقد خضعت فينيقيا طواعية وأمدته بأسطول كانت له أهمية كبرى في عمليـــاته التـالية ، وتخلت قبرص عن حلفهـــا مع أماسيس الذي مات في عـام ٥٢٦ ق٠م٠ وهكذا أفلت من الضربة القاصمة التي حلت بابنه بسامتكوس الثالث قبل أن تقع ببضعة شهور ٠ وقد دارت معركة بلوزيوم (٥٢٥ ق٠م) في ضراوة وعناد شديدين ولكنها انتهت بهرب المصريين في غير نظام الى منف التي استسلمت بعد حصار استغرق بعض الوقت (هيرودوت ٣ : ١٣) وهكذا

انتقلت مصر الى أيدى الفرس الذين يمثلون الأسرة السابعة والعشرين لدى مانيتو .

ولم يستغرق حكم قمبيزس أكثر من ثلاث سنوات أخرى ولم يوفق فى أية حملات أخرى فكر فى القيام بها ، فالحملة ضد القرطاجيين انتهت الى غير نتيجة لأن الفينيقيين أبوا أن يحاربوا ضد أبناء جلدتهم ، أما الحملة التى حفزت اليها مطامع أكبر ضد الاثيوبيين والتى أسهم فيها قمبيز بشخصه فأثبتت فشلا ذريعا بسبب الاهمال فى اعدادها ، وأما القوات التى أرسلت عبر الصحراء الى الواحة التى استشار فيها الاسكندر الأكبر بعد ذلك بقرنين وحى آمون (واحة سيوة) فقد اغرقها طوفان عاصفة رملية فلم يظهر لها أثر ، وقد بلغ غضب قمبيزس من هذا الفشل المتتابع مداه ويقال انه أدى به الى الجنون ومع ذلك فانه استطاع أن يستحوذ على مصر كلها ، ويشير هيرودوت الى أن قمبيز كان وحشا يتسم بالقسوة وعدم التقوى وان جنونه وصل به الى ذروته بقتل العجل المقدس أبيس ومع ذلك فان هذا الأمر بعيد الاحتمال كنتيجة لدليل مستقى من السرابيوم فهناك عجلان مقدسان سجل موتهما فى عهده وسجل على نقوش أحد توابيتهما أن الذى كرسهما لهذا الأمر هو الملك الفارسى نفسه(١) ، والواقع أن الوثيقة اليهودية(٢) المؤرخة بعام ٤٠٧ ق . م تتحدث عن « تدمير كل معابد آلهة مصر فى عهد قمبيزس » ولكن علينا أن ندرك أن السمعة السيئة لهذا الملك كانت قد بلغت اذ ذاك مداها من الانتشار ، وقد يعزى ماتم من خسارة فى هذه الناحية الى الكف عن تقديم المنح الرسمية المادية التى كانت سارية من قبل، وسنرى أن موظفا كبيرا يقدم وجهة نظر أقل قسوة بالنسبة لهذا الغازى وقد حرص هذا الموظف على أن يسجل احتفاظه بما اسدى اليه من معروف ببقائه فى منصبه الهام خلال الحكم التالى ، وقد تركت مصر عند عودة قمبيزس الى آسيا فى عام ٥٢٢ ق.م تحت امرة والى « ستراب » هو ارياندس الذى اتهم فيما بعد بالخيانة وعدم الولاء فأعدم .

وفى الوقت نفسه ادعى « جاوماتا » الماجى أنه سمردس الحقيقى وكسب أعوانا كثيرين فى أنحاء الاقاليم الفارسية . والروايات متباينة

(١) Posener, pp. 30 ff انظر صفحة P. 383

(٢) A.N.E.T., p. 492

فيما يتصل بموت قمبيزس الذى ربما حدث عند عودته الى بلاده ليحارب المدعى · وقد انتقل العرش الى دريوس الأول بن هستاسبس وهو أحد أفراد أسرة كيروش وتم تنظيم الامبراطورية الفارسية خلال حكمه الطويل الذى بلغ ستا وثلاثين سنة (٥٢١ ـ ٤٨٦ ق·م) بادارة بالغة الكمال ومع ذلك فانه قلما نعرف شيئا عن الاحداث فى مصر خلال هذه المرحلة ، وقد شغلت سنى حكمه الأول بقمع مشوب بالقسوة للثورات والاضطرابات التى نشبت فى أعقاب ذبحه لعدوه جاوماتا ولم يكن فى استطاعته أن يقوم بزيارة لمصر الا حين حل عام ٥١٧ ق·م أو حول ذلك ، ولعل مما له أهمية على أية حال من ناحية الاشارة الى اهتمامه بالحضارة القديمة للبلد الذى أصبح واقعا تحت حكمه انه أرسل الى ال « ستراب » فى عامه الثالث يأمره بأن يجمع أعقل الرجال من بين جند بلاده وكهنتها وكتابها ثم كلفوا بكتابة القانون الكامل لمصر حتى عام ٤٤ من حكم آماسيس وهو عمل ظلوا مشغولين به حتى عامه التاسع عشر(١) ، وليس هناك مايدعو للشك فى صحة هذا الأمر الملكى وان كنا لانعرفه الا من نسخة متأخرة جدا على خلفية بردية ديموطيقية تحوى متنوعات ، والواقع أنها تؤكد ما يرويه ديودور (١ : ٩٥) عن دريوس من أنه يعد من بين أكبر من شرعوا القانون فى مصر ، ويعدل هذا الأمر فى الأهمية تلك المعلومات التى نستقيها من عدد ضخم من اللوحات(٢) تؤكد كذلك ما يرويه هيرودوت (٢ : ١٥٨ ، ٤ : ٣٩) عن اتمام دريوس للقناة التى توصل النيل بالبحر الأحمر ، وكان نكو قد اضطر للتخلى عن المشروع ولكن دريوس لم يقم باصلاح القناة كلها فحسب بل استطاع كذلك ان يوجه فيها أربعا وعشرين سفينة محملة بالجزية الى فارس ، وقد أقيمت اللوحات التى تخلد ذلك الأمر على مراحل على طول ضفتى القناة مكتوبة بالهيروغليفية وبالمسمارية وان كانت فى حالة تدعو للأسى ولكنها تروى القصة بصورة لا يمكن أن تخطئها ، وهناك أكثر من دليل يشير الى أن دريوس اتبع فى حكمه لمصر مبدأ اصطناع شرعيته كفرعون يتابع تنفيذ مشروعات أسلافه الساويين وهو وحده من بين ملوك الفرس من تابع أعمال التشييد فى معابد الآلهة المصريين ، فاقامة المعبد الضخم المحفوظ جيدا حتى الآن وهو معبد آمون فى واحة الخارجة(٣) ترجع اليه وحده تقريبا ، وهو

(١) انظر قائمة المراجع فى آخر الفصل

(٢) Posener, pp. 48 ff.

(٣) P.M., VII, 277 ff.

يصطنع هنا — كما فعل قمبيزس من قبل — الالقاب الفرعونية الكاملة، وهناك قائد كانت مهمته أن يستدعى عمد البلاد ليحضروا الهدايا لتحنيط العجل أبيس وكان يحمل نفس اسم الملك اماسيس مسجلة فى خرطوش وان كانت اللوحة تشير الى الغزو(١) ، وهناك كذلك ختم ايبرع المشرف على الاعمال فى الأرض قاطبة كان لقبه مماثلا لنفس اسم الملك(٢) ، وتتتابع نقوشه الصخرية الكثيرة فى وادى الحمامات من آخر سنى حكم اماسيس حتى العام الثلاثين من حكم دريوس ، ولكن التخليد الوحيد بالهيروغليفية عن كل العصر الفارسى ، هو ما نجده فى سيرة حياة أحد الأفراد وهو نقش على تمثال جميل فى الفاتيكان (٣) كان يصاحبه ودجاحارسنه قائدا للسفن التى ترتحل فى البحر فى عهدى أماسيس وبسامتكوس الثالث ولكن رواية عمله التالى تبدأ بوصول الفرس الى بلاده ·

« وجاء الى مصر الرئيس الكبير لكل بلد أجنبية ، قمبيزس ، وكان معه الأجانب من كل البلاد وحين تملك الأرض كلها — استقروا هناك حتى يصبح الحاكم العظيم لمصر والرئيس العظيم لكل بلد أجنبى وأمرنى جلالته أن أكون كبير الأطباء وعيننى الى جانبه كرفيق ومدير للقصر وجعلت كنيته فى لقبه كملك لمصر العليا والسفلى مسوتى‌رع وجعلته يعرف عظمة سايس التى هى مقر نيث العظمى الأم التى ولدت رع والتى كانت أول من بدأت الولادة بعد أن لم تكن هناك ولادة » ·

والفكرة التى تضمنتها الكلمات الأخيرة ، تتوسع بسبب ذكر لمعبد الفعلى لـ نيث وكذا مصليات أخرى فيما كانت تعرف بالعاصمة الساوية ، ثم يتابع المتحدث قوله فى ناحية أخرى من التمثال :

« قدمت ملتمسا الى جلالة ملك مصر العليا والسفلى قمبيزس يتصل بأولئك الاجانب الذين استقروا فى معبد نيث وأمر جلالته أن يبعدوا عنه وان يغدو معبد نيث كما كان من قبل فى كل جلاله وبهائه ، وأمر جلالته ان يطرد من معبد نيث كل الاجانب المستقرين وان تهدم بيوتهم الموجودة فى أحواشه وأن يلقى بمتاعهم خارج أسواره وأمر جلالته بأن ينظف معبد نيث وان يحل به ناسه مع كهانة المعبد وأمر

(١) Posener, pp. 41 ff.

(٢) Op. cit., pp. 88 ff.

(٣) Op. cit., pp. 1 ff.

جلالته ان تمنح الايرادات الى نيت العظمى أم الاله وكذا للآلهة العظام الذين فى سايس كما كانت الحال من قبل وأمر جلالته ان تقام الاعياد والاحتفالات والمواكب التى كانت تقام من قبل . وفعل جلالته هـذا كله لأننى جعلت جلالته يقدر عظمة سايس ، انها مدينة كل الآلهـة وهم يستقرون فوق عروشهم فيها الى الأبد » .

ومن الطبيعى ان «اودجاحاررسنة» اهتم فقط بأن يباهى بنفوذه على مولاه الجديد ولـكن ليس هناك ما يدعونا للشك فى أن قمبيزس رغب ــ حين راقه الأمر ــ أن يمجد آلهة مصر ويشير النص الى أنه تقدم الى الربة وأظهر اتضاعه أمامها كما كان يفعـل كل ملك من قبل ثم أقام لها وليمة بعـد ذلك ــ ومن الواضـح أنه رغم التـحيز البين فى هذه الفقرات فانها يجـب أن توضع مقـابل اللعنـات والشـتائم التى يعد هيرودوت مسئولا عنها ، وانا لنرى آودجاحاررسنة يمس مسا خفيفا أمر « الاضطراب الشديد الذى حل بكل أرض مصر » ولكن هناك ماهو ادعى لاثارة الانتباه فى هـذا النص الفريد وان كان يكفى هنا أن نشير اشارة موجزة الى بيت الحيـاة أو الـ « سكربتوريا » التى أرسـل دريوس ــ وهو فى عيلام ــ اودجاحاررسنة ليعيد تأسيسه فى مصر وقد أمر ان يمون بالموظفين « من اصحاب المراكز على الا يكون من بينهم رجل فقـير » ومن الواضـح ان اودجاحاررسنة كانت صلته بالادارات المتصلة بالطب فهو لم يكن كبير الأطباء فحسب بل ان النص يشير الى هدف الـ « سكربتوريا » الذى كان عليه تأسيسه بأنه « لاحياء كل ما هو معتل » وعلى أية حال فان هذه الجمل تكشف من جديد عن الطريقة المستنيرة التى مارس بها دريوس واجباته كملك على مصر فهو لم يكن مجرد طاغية تواق للسلطان يرضى بأن يترك شئون ولاياته فى أيدى ولاته .

وهنـاك بردية ديموطيقية كبيرة عثر عليهـا فى الحيبة اسـتطاع جريفث أن يفـك رموزها بصـورة تدعو للاعجـاب وهى تعـدل النص السابق أهمية من ناحية تاريخ تلك المرحلة ، وان كانت من طبيعة تختلف تماما عنه ، والبردية عبارة عن شكاية ربما كتبها فى العام التاسع من حكم دريوس كاتب متقدم فى السن من أحد المعابد يدعى بتيزه ، وهـو يشكو من أضرار حاقت به وبأسرته فيما يتصل بكهانة أمون فى موطنـه تويد زوى (الحيبة) وكذا فيما يتصل بكهانة آلهة آخرين حملوا معهم الموارد الرئيسية . والقصة التى يرويها بتيزه بالغة التعقيد والارتباك كما أن الأحداث التى يرويها ترجع الى ما قبل ذلك بمائة وخمسين سنة

الى السنة الرابعة من عهد بسامتكوس الاول ، وكان سلفه من ذلك الاسم يحمل اسمه نفسه قد رمم المعبد المهدم لأمون بالانابة عن ابن عمه وهو بتيزة آخر كان رئيس الأسطول يقيم فى هرقليوبوليس ماجنا وكان الحاكم الفعلى لمصر العليا وقد اسندت الى بتيزه الاول كل الكهانات المذكورة مكافأة له على هذه الخدمات ، ولكن خلفا له بعد أربعة أجيال كانت له قضية قائمة تتصل بجريمة قتل وسجن وكان له العديد من الاعداء من ذوى الشخصيات نجحوا من وقت لآخر بمعونة السلطات العليا القائمة فى أن يحرموا أسرة بتيزه من حقوقها وقد عاونهم فى ذلك آخرون وصفوا عادة بأنهم « الكهنة » ولسنا نستطيع هنا أن نقوم بمحاولة لتقييم الدقة التاريخية لهذا كله ولكن مما ليس يحتمل الجدل أن العالم الذى تتناوله البردية كان عالم اختلاس وابتزاز وفساد . وهناك اشارة تتصل بمصدر آخر تذكر رئيس الأسطول نفسه التقينا بها من قبل (صفحة ٣٨٤) عند الحديث عن الترتيبات لرحلة زوجة الاله « نيتوكريس » الى طيبة ، وبقدر ما كان حكم دريوس يتسم بالتعقل والاستنارة فان امبراطوريته بلغت من الاتساع حدا لا يسمح بأن تظهر عليها على الفور علامات القابلية للانكسار ، وقد ثارت المدن الايونية فى عام ٤٩٩ ق.م. وأصبح الأمر أمر وقت لتقوم الحرب بين فارس واليونانيين الغربيين بعد أن قدمت أثينا وأرتريا العون لهذه المدن الثائرة ولم تلبث الهزيمة المدوية ل أرتافرنيس ابن أخ دريوس فى ماراثون (٤٩٠ ق . م) ان ادت الى انعكاس خطير فى الشرق الأوسط كله ، ففى عام ٤٨٦ ق . م ثار المصريون ولم يقدر لثورتهم أن تخمد نهائيا حتى العام الثانى من حكم اكزركسيس الذى خلف أباه قرابة نهاية عام ٤٨٥ ق.م. ويروى هيرودوت (٧ : ٧) ان الحاكم الجديد « أنزل مصر الى لون من الاستعباد أقسى مما عرفته فى عهد دريوس » ولسنا فى حاجة الى القول بأن اكزركسيس أفاد من سلطانه هناك ليبلغ أهدافه فقد لعب أسطول مصرى ضخم دورا هاما (٧ : ٨٩) قبل معركة سلاميس التى سعى من ورائها للانتقام من اليونانيين .. ولم يفعل اكزركسيس سوى القليل — بل لم يفعل شيئا — لصالح المصريين أنفسهم ، وآثار العهد تكاد تكون بكماء ، فلم تبن معابد ولم يستخدم سوى قلة من المصريين ويبدو أن مصر العليا كانت هادئة تماما خلال تلك السنوات ونستطيع أن ندرك ذلك من وراء زيارات متعاقبة كان يقوم بها فارسى على فترات الى وادى الحمامات بدأت للمرة الاولى من العام السادس من حكم

قمبيزس واستمرت حتى العام الثانى عشر من حكم اكزركسيس(١) ، وهو يشير الى شخصه بوصفه حاكم قفط وربما كان مكلفا بحماية الطريق الى البحر الاحمر ، وقد قام أخوه الاصغر من بعده بزيارات مماثلة فى عهد اكزركسيس وأضاف الى اسمه الفارسى الاسم المصرى الصميم « زيحو » ٠

وقد حدثت حوالى هذه الفترة تغيرات كبيرة فى حضارة أرض الفراعنة التى ظلت حتى اذ ذاك تسير على وتيرة واحدة تقريبا ، وكان الاهلون ـ كما كانت الحال من قبل ـ يمارسون أعمالهم الشخصية بلغتهم مستخدمين فى ذلك أسلوب الكتابة الذى عرفه اليونان تحت اسم « آنكوريالى » أو « ديموطيقى » وكانت مصر حتى الآن ـ فيما يتصل بالحكومة ـ أبعد أقاليم امبراطورية أجنبية كبيرة وقد ترك الملك الفارسى المولى ، المقيم فى سوسة أو بابل الادارة الحقيقية فى يد حاكم محلى يعرف ب « ستراب » (والى) وقد استخدمت الارامية لغة وكتابة فى كل الشئون المكتبية ، وكلمة آرامية اصطلاح سامى شمالى استطاع أن يمتد من غير شك جنوبا فيما بعد ، بعد ان انتشر انتشارا عريضا حتى وصل الى ميزوبوتاميا مع المسبيين هناك مثل اليهود المنفيين الذين سمح لهم كيروش أن يعودوا الى موطنهم الأصلى ، وقد حل هذا المصطلح تماما محل العبرانية فى فلسطين ، وليس لنا أن نتخيل أن استخدام الآرامية فى مصر كان مقصورا على اليهود وان كانت هذه الانطباعة قد يدعو اليها ما عثر عليه من العديد من البرديات الكثيرة الهامة فى الفنتين الى شمال الجندل الاول مباشرة ، والحق يقال ان الاشخاص الذين تناولهم الحديث فيها كانوا جميعا أو فى معظمهم يهودا ، ولكنهم كانوا أيضا أعضاء فى حامية الحدود ومن ثم فانهم يعملون فى خدمة النظام الفارسى ٠ ولعل أكثر الأدلة ابانة على أية حال أن الآرامية كانت هى الوسيط فى تنفيذ أوامر الادارة الفارسية مجموعة من الخطابات وجه معظمها الوالى ارسامس الذى كان يباشر سلطاته خلال كل الربع الأخير من القرن الخامس الى أتباعه فى مصر ٠ وقد صدرت هذه الخطابات المكتوبة على الجلد من مقر الوالى الذى ربما كان مدينة منف ، وقد اشتراها تاجر لم يستطع ، أو لم يشأ أن يكشف عن المكان الذى عثر عليها فيه ٠

ولسنا نعرف سوى القليل أبعد من ذلك عن مصر فى القرن الخامس

---

(١) Posener, pp. 123, 178

عن غير طريق المؤرخين اليونانيين الذين لا نجد فى رواياتهم سوى ما يتصل بعلاقاتها بالأثينيين وقد أعقب الاضطرابات التى تلت مقتل أكزركسيس الاول (٤٦٥ ق٠م) شغب شديد فى شمال غرب الدلتا ، فقد ثار ايناروس(١) بن بسامتكوس ــ والاسمان مصريان وان كان ثيوسيدس (١ : ١٠٤) يطلق عليه لقب ملك الليبيين ــ وجعل من حصن ماريا الذى لا يبعد كثيرا عن الاسكندرية قاعدة له ، وقد حدث أول صدام بالفرس عند بابريمس وهو مكان لا يمكن تحديده تماما ويقع ناحية الغرب على أية حال ، وقد هزمت القوة التى تحركت تحت امرة الوالى اخمنيس ــ شقيق اكزركسيس ــ وقتل هو ، واما بقية الجيش فانسحبت الى منف وتحصنت بها واستطاع ايناروس بذلك أن يضع يده على الدلتا كلها ولكن يبدو انه لم يعلن نفسه ملكا ، وكان الخلاص الذى لا مناص منه من الحكم الفارسى يراود النفوس من بعيد ، وقد سعى ايناروس الى تحقيقه عن طريق التماس عون الأثينيين الذين كانوا اذ ذاك قد تفوقوا فى حروبهم ضد الفرس فى قبرص ، وقد تم عن طريق هذا العون الاستيلاء على ثلثى منف أو « الحائط الابيض » ٠٠ كما أشار اليها ثيوسيدس عن حق ــ ولكن الثلث الباقى ظل فى قبضة الفرس حتى تمكن القائد الفارسى ميجابيزوس أن يرد المحاصرين الذين وجدوا أنفسهم بدورهم محاصرين فى جزيرة فى المستنقعات تدعى « بروزوبيتس (٢) » ولكن نصر ميجابيزوس لم يتحقق حتى عام ٤٥٤ ق٠م٠ وقد استطاعت قلة من الأثينيين أن تهرب كما أمكن القضاء على عدد من السفن جاءت متأخرة لتمد يد المساعدة ، وقد سقط ايناروس نفسه فى أيدى الفرس ثم صلب (٣) ، ومع ذلك فان هذه لم تكن خاتمة الثورة فقد ظل أحد القادة ويدعى « أميرتايوس » وهو اسم مصرى بحت كذلك ــ بعيدا عن الهزيمة فى أقصى الركن الغربى من الدلتا ، وقد استدعى بدوره الأثينيين من جديد ليعاونوه وتحركت بعض سفنهم فعلا ، ولكن موت القائد اليونانى «سيمون» فى قبرص كان سببا فى عودتها (٤) ٠ وقد أعلنت الهدنة عقب ذلك بين أثينا وفارس (٥) وانتهى أمر تدخل الأولى فى الشئون المصرية (٤٤٩ ــ ٤٤٨ ق٠م) ٠

---

(١) Kienitz, P. 69, From Thuc, I, 104; Hdt. III, 12; VII, 7

(٢) Thuc, I, 109

(٣) Thuc, I, 110

(٤) Thuc, I, 112; Hdt., II, 140; III, 15

(٥) Keinitz pp. 72-3 وانظر كذلك C.A.H., V, 469-71

وقد ساد السلام مصر جميعها فيما عدا غرب الدلتا وقد قوبل بالترحاب الأجانب من كل البقاع وبخاصة اليونانيين الذين اتسعت تجارتهم بحيث لم تعد نقراطيس أهلا للاحتفاظ بمركزها الاحتكارى وفقدت بذلك أهميتها الملحوظة وقد قام هيرودوت بعد عام ٤٥٠ق٠م بقليل بجولة فى مصر ، ولئن كانت الدعاوى الملفقة بغير شك التى تشير الى أن فلاسفة القرن السادس أمثال « ثاليس » و « بيثاجوراس » قد أخذوا الكثير من حكمتهم من مصر فان هذا يدعونا لأن نرتاب كذلك فيما يتصل ب « ديموقريطس » الأبديرى و « افلاطون » ولسنا نستطيع مع ذلك الا القول بأن البلاد كانت مفتوحة أمامهم ، وقد نشأت من غير شك بعض الكراهية ضد الاجانب بل ربما حدثت ثورة صغيرة ضد الحكام الاجانب، ولكن الامر فى مصر العليا بخاصة كان يتطلب اختلافات فى الجنس والدين ليحيل أى قلق الى اشعال ثورة ، وقد تم أمر مماثل لهذا فى جزيرة الفنتين فى عام ٤١٠ ق ٠ م ٠ ذلك أن من كانوا يعبدون ياهو (صفحة ٣٨٧) كانوا يعيشون ملاصقين لكهنة الاله خنوم ذى رأس الكبش وقد أفاد الكهنة الوطنيون من وجود الوالى ارساميس بعيدا فى الخارج ليقدموا رشوة للقائد المحلى فيداراناج وكانت نتيجة ذلك هدم المعبد اليهودى تماما ، وقد عوقب فيداراناج ومع ذلك مر وقت طويل قبل أن يعاد بناء المعبد ، وتشير البردية الآرامية التى تتناول هذا الامر الى شكوى أرسلت الى باجواس حاكم اليهودية تلتمس اعادة البناء ويبدو أنها لقيت قبولا (١) ٠

والسنوات الاربعون التى تنتهى بموت دريوس الثانى فى عام ٤٠٤ ق٠م خالية تماما من أية اشارة تتصل بمصر ، ولسنا نراها تدخل فى خضم الأحداث حتى ولاية اكزركسيس الثانى حين تعاود الظهور على مسرح الشرق الاوسط ، وينهى مانيتو عند هذه النقطة الاسرة السابعة والعشرين من الحكام الفرس ويجعل أسرته الثامنة والعشرين تحوى ملكا واحدا هو امرتايوس الساوى الذى يحتمل أنه كان من أقرباء امرتايوس الذى حمل من قبل لواء الصراع لذى بدأه ايناروس بعد أن قبض أعداء الاخير عليه ، ويشير المؤرخون اليونانيون الى الفرعون الجديد اشارة تحتمل الشك ف « ديودورس (١٤ : ٣٥) ٠ وهو عهدتنا هنا ـ يطلق عليه خطأ « بسامتكوس ، من نسل بسامتكوس المشهور » وتشير القصة هنا الى أنه بعد معركة سيناكسا (٤٠١ ق٠م)

---

(١) A.N.E.T., p. 492

التى هزم فيها الأمير المتمرد كيروش ثم قتل ، وهرب صديقه القائد البحرى تاموس ــ الذى كان قد عينه حاكما على ايونيا ــ الى مصر فرارا من انتقام والى اكرزكسيس الثـــانى المدعو تسافرينس ، وقد نقل معه كل سفنه ولكن امرتايوس ــ ان كان هو بسمتكوس الذى يشير اليه ديودورس ــ قتــل تاموس ، وتشـــير رواية مصرية من العصر المتأخر أن امرتايوس اعتدى بصورة ما على أحكام القانون ومن أجل ذلك لم يسمح لابنه أن يخلفه وانا لنلاحظ أن الاعتقاد بأن النجاح فى الدنيا والسلوك القويم مرتبطان بعضهما ببعض أوثق ارتباط يلقى صدى فى تلك البردية السرية العجيبة التى تحمل تسمية غير دقيقة هى « الاخبار الديموطيقية ، وهى البرديـة نفسها التى عرفنا منها أمر استرداد قمبيزس للمنح التى كان قد وهبها للمعابد (صفحة ٣٩٤) وكذا أمر داريوس بتسجيل قوانين البــلاد كتابة (صفحة ٣٩٥) وعلى أية حال فان ما يعنينا هنا ما جاء على الوجه الرئيسى للبردية وهو عبارة عن خليط من تواريخ تقاويم واعياد واشـــــارات جغرافية ربما لا تكون لها قيمة أو معنى بالنسبة لنا بغير ما تعنيه أو تشير اليه من تنبؤات تصحب كل فقرة وهى ذات أهمية تاريخية كبيرة بقدر ما تشير فى تتابع سليم الى مجموعتين من الملوك « جاءوا بعد الميديين » (أى بعد الفرس) من أمير تايوس حتى تيوس ، ثانى ملوك الاسرة الثلاثين طبقا لمانيتو ويزعم النص التكهنى بهذه الصورة ايجاد صلة سببية ونتيجة بين السلوك الذى يتسم بالفضيلة وبين الحياة الناجحة على الارض وهو من ثمار تفكير كهانة القرن الثانى قبل الميلاد . ويشير مانيتو الى أن أمير امرتايوس حكم ست سنوات وربما كان هذا صحيحا مادامت البردية الآرامية من الفنتين تشير الى وعد بسداد أحد الديون مؤرخ بالعام الخامس(١) له ، ولسنا نجد اشارة له بعد ذلك الا فى خطاب من المصدر نفسه يذكر اسمه فى اتصال وثيق باسم نفريتس خلفه المبـــاشر .. ولسنا نجد له آثارا خلفها .. وهكذا فاننا لا ندرى من أين جاء الى العرش وكيف فقده .

ومن هذه المرحلة حتى غزو الاسكندر الاكبر فى عام ٣٣٢ ق.م نجد ان الهدف الوحيد لسياسة مصر الخارجية هو الدفاع عن استقلالها ضد امبراطورية ظلت تتشبث بفكرة انها ليست سوى اقليم ثائر ــ ولقد كانت سياسة مصر هذه ناجحة فيما عدا فترة عشر سنوات قرب النهاية

---

(١) Kraeling, p. 283

وكانت هناك عقبة دائمة على أية حال هي المنافسة بين مختلف عائلات أمراء الدلتا ، وقد برزت الأسرة التاسعة والعشرون ــ طبقا لمانيتو ــ (وآثارها منتشرة فى مصر حتى طيبة جنوبا) من المدينة المشهورة مندس وهى تضم أربعة ملوك حكموا قرابة عشرين عاما (٣٩٩ ــ ٣٨٠ ق٠م) وكان يحمل أول الملوك ــ كما يحمل آخرهم ــ اسم نفريتس الذى يعنى بحرفيته « عظماؤه مفلحون » وقد حكم نفريتس الاول ست سنوات بينما لم يحكم نفرتيس الثانى سوى أربعة شهور ، وهناك اختلاف بين قائمة مانيتو وبين « الاخبار الديموطيقية » يسبب ارتباكا بين بعض المهتمين بالدراسات المصرية ذلك أن مانيتو يضع اخوريس (وهو هكور أو هجور بالمصرية) قبل بساموثس (ابن موت) بينما تعكس البردية هذا الترتيب ٠ والحل المحتمل هنا هو ان العام الاول للملكين واحد ومن ثم فان الرأيين صحيحان ، ول « بساموتس » آثار وحيدة فى الكرنك نقش عليها اسم « اخوريس ، والذى حكم عاما واحدا بينما نجد ل « اخوريس » آثار عديدة منتشرة فى أنحاء مصر تشير الى أنه حكم مدى ثلاثةعشر عاما ولئن كنا أطلنا بعض الشىء بالنسبة لهؤلاء الفراعين غير الهامين فان ذلك بسبب ما ذكرته « الاخبار الديموطيقية » من ناحية الاحكام الخلقية التى سلفت الاشارة اليها وذلك لأنها تعكس بالتأكيد تاريخا صحيحا ٠ وهكذا فانه يقال عن أخوريس انه استطاع أن يبلغ هذا المدى من الحكم « لأنه كان كريما بالنسبة للمعابد » ولكنه « خلع لأنه خالف القانون ولم يكترث باخوانه » ٠

ونحن ندين للمصادر اليونانية بمعلومات أقل ابهاما فنعرف من اكسنفون (Anab. I. 4-5) ان فارس جمعت جيشا قويا فى فينيقيا كان الهدف منه من غير شك اخضاع مصر (١) ولكن المشروع لم يتحقق بسبب مغامرة كيروش الخطرة التى لم تكلل بالنجاح وكان من أثر ذلك ان وجدت المدن اليونانية فى آسيا الصغرى ، التى ظاهرته ــ نفسها فى خطر محقق ، وقد خرجت اسبارطة ــ وان كانت تحس بعظم ما هى مدينة به لكيروش ــ لانقاذها بانضمامها الى مواطنيها الذين كانوا لا يزالون شديدى البأس (٤٠٠ق٠م) وقد استغرق الصراع عشر سنوات . وسعت اسبارطة فى عام ٣٩٦ ق ٠ م ٠ للتحالف مع مصر وسرعان ما لبت مصر النداء ، ويرى ديودروس (١٤ : ٧٩) ان المصرى نفريوس (أى نفرتيس الاول) استجاب الى دعوة الملك الاسبارطى

(١) Kienitz, p. 76

اجسيلاوس بأن وضع تحت تصرفه نصف مليون مكيالا من الحبوب ومائة سفينة من ذوات الثلاثة الصفوف من المجاديف ، وقد اشترط أن يحضر لأخذ هذه المنحة الطيبة الاسطول الاسبرطي ، ولكن قبل أن يصل الاسطول الاسبرطي الى رودس كانت تلك الجزيرة قد سقطت في أيدي الفرس وهكذا فان قائدهم البحري كونون الاثيني استطاع أن يستحوذ على كل ما أسهمت به مصر ٠

ولم يمض سوى قليل حتى اعتلى اخوريس العرش (٣٩٣ ق٠م) وأدرك ان الحلف مع اسبارطة أثبت عدم جدواه فتطلع الى السعي وراء عون آخر وجده في عقد معاهدة مع ايفاجوراس الملك القوي الطموح في سلاميس في قبرص الذي كان قد استطاع قبل ذلك أن يجعل من نفسه سيدا على الكثير من المدن الأخرى في الجزيرة ـ وكان ايفاجوراس صديقا للقائد البحري كونون ومن ثم فان الارتباط به يحمل في ثناياه الارتباط المباشر باثينا ، وكانت الحرب وقت ذاك قد اجهدت كلا من فارس وأسبرطة وتمت معاهدة صلح انتالكيداس في عام ٣٨٦ ق٠م أطلقت بمقتضاها يد فارس كل المدن اليونانية في آسيا الصغرى مقابل الحكم الذاتي المستقل في كل الولايات الهلينية الاخرى ٠ (١) وكان من أثر ذلك ان وجد اخوريس وايفاجوراس نفسيهما وحيدين كما وجد ارتكزركسيس نفسه حرا في التعامل مع من يشاء ، وكانت مصر أول من هاجم ، وكانت قد أصبحت اذ ذاك قوية وغنية ، وترك خبرياس ـ من خيرة قادة العصر ـ اثينا ليدخل في خدمة اخوريس ولسنا نعرف سوى القليل عن هذه الحرب فيما عدا انها أمتدت حتى عام (٣٨٣ق٠م٠) وان ايزوكراتس الأثيني مؤلف المقطوعات القصيرة أشار اليها باحتقار ٠ وقد اثبت ايفاجوراس قدرته على مد يد العون فتحرك بجيوشه الى معسكر العدو واستولى على صور وبضعة مدن فينيقية أخرى ولكن حظه تعثر فحوصر في مدينته سلاميس بعد أن هزم في معركة بحرية هامة وقد ظل يتحدى الفرس أكثر من عشر سنوات ، وكان اختلاف الثوار فيما بينهم مما جعلهم يقبلون خضوعه على أسس مشرفة (٣٨٠ ق٠م)(٢) وبعد أن قضى وقتا طويلا كمولى مخلص للملك الفارسي راح فريسة مؤامرة ، ولئن صدقنا ما جاء في « الاخبار الديموطيقية » فان سوء الطالع ، أصاب أخوريس في النهاية ذلك انه بعد حكم نفريتس الثاني

---

(١) Op. cit., p. 84

(٢) Kienitz, pp. 86-87

مدى أربعة شهور انتقلت الملكية الى يد قائد من سبنيتوس (سمنود) وتضم الأسرة الثلاثون ـ طبقا لمانيتو ـ ثلاثة ملوك يتشابه اسم الأول والأخير منهم (نكتانبس أو نكتانبوس) ويمكن التفرقة بينهما عن طريق الاختلاف اللفظى بينهما نخت نب أف ونخت حارحبى ولقد أصبح من المؤكد اليوم رغم ما ثار من قبل من اختلاف حول اسبقية أحدهما على الآخر أن أسبقهما لولاية العرش هو نخت نب أف (١) وقد تترك كثرة آثاره(٢) التى خلفها فكرة عن سلم متصل وتقدم • وقد قام بتشييد أقدم المبانى فى فيله وقد خلد ذكراه فى ادفو ما منحه من أراض كثيرة لمعبد حورس • وهناك لوحة كبيرة فى الاشمونين (هرموبوليس ماجنا)(٣) تسجل الاضافات الضخمة لمعابد الآلهة تحمت عاواى والثامون البدائى وتوت المزدوج العظمة نفسه ، كما ان هناك نقشا مكتوبا فى عناية ودقة عثر عليه فى نقراطيس يخلد فرض ١٠٪ ضريبة على الواردات الى هذه المدينة وعلى البضائع التى تصنع بها وان يخصص الايراد من هذه الضريبة للآلهة نيت فى سايس • ولكن هناك قصة تختلف تماما يقدمها لنا المؤرخون اليونانيون الذين يعد ديودروس مرة أخرى أول ممثليهم فى هذا الصدد (١٥ : ٤١ ـ ٤٣) فهو يشير الى أن ارتكزركسيس الثانى (٤٠٤ ـ ٣٥٨ ق•م) كان لا يزال يحكم فى فارس وانه كان لايزال على تصميمه من ناحية اذلال مصر بارجاعها الى حالة التبعية السابقة ، وعلى أية حال فان استعداداته للغزو كانت تتقدم فى بطء شديد ، وقد أصر فى أول الأمر على أن تستدعى اثينا قائدها القوى «خبرياس» من مصر وقد قنع بعد ذلك بأن يشغل وظيفة حربية فى بلاده ، وقد ظلت الامور كذلك حتى كان عام ٣٧٣ ق•م• حين خرجت الجحافل الفارسية الضخمة ويقودها الوالى فارنابازوس وقائد اليونانيين المتطوعين ايفيكراتس من عكا• وحين وصلوا الى بلوزيوم أدركوا أن الهجوم من هذه الناحية لاطائل من ورائه وأن واحدا من مصبات النيل الاقل تحصينا قد يؤدى الى الهدف المطلوب ، وقد استقر الرأى على ذلك وأمكن كسر الاستحكامات على الفرع المنديسى ، وقتل الكثير من المصريين أو أسروا ، وعمل ايفيكراتس وكان ذلك ضد رغبة فارنابازوس ـ على الاندفاع نحو منف ، وبينما كان الصراع بين القائدين يؤخر المجهود الفارسى واستطاعت قوات نخت نب أف أن تلم شملها وأن تحيط الغزاة المحاصرين من جميع النواحى • وجاء

---

(١) Vandrier, pp. 624-5; Kienitz, p. 199

(٢) مذكورة فى المصدر السابق PP. 199-212

(٣) Ann. Serv. LII, 375 ff.

فيضان النيل حليفا مسعدا فتحولت بعض أجزاء الدلتا الى مستنقعـات مما اضطر الفرس الى الانسحاب ، وهكذا أفلتت مصر ٠

وقد تميزت السنوات التالية بحركات تمرد من جميع الولاة فى كل الانحاء واستطاع خلالها نخت نب أف أن يؤمن نفسه بالعطايا من الذهب يمنحها لمختلف المحاربين ، وقد خلفه عند موته عام ٣٦٣ق٠م ابنه تيوس (تاخوس(١) كما يسميه بعض الكتاب اليونانيون) ، وكان والد نخت نب أف يحمل الاسـم نفسه ، ويبدو ان الوقت كان مناسبا لهجـوم مباشر على الفرس (٢) ، ووصل الملك الاسبرطى العجوز اجيسلاوس الى مصر يصحبه ألف جندى مدججون بالسلاح حيث لحق به الأثينى خبرياس، وقد أصر تيوس فى الهجوم على فينيقيا ، الذى تلا ذلك (٣٦٠ق٠م) ، أن يتولى قيادة جنده من المصريين وقد أغضب اجيسلاوس ما أظهرته هيئته العجيبة وتصرفـاته من اثارة للضحك فساند نخت حارحبى الصغير الذى كانت تعده جمـاعة كبيرة من الأتباع منافسا ل تيوس وقد انتهت الحملة كلها الى لا شىء وعاد نخت حارحبى الى مصر كفرعون وهرب تيوس الى فارس حيث عاش هناك ومات فى المنفى ٠

ولئن نظرنا الى الأمور من وجهة النظر المصرية نجـد أن حكم نخت حارحبى (٣٦٠ ـ ٣٤٣ ق٠م) يكاد يبدو مطابقا لحكم نخت نب أف ، فلقد حكم كل منهما مدى ثمانية عشر عاما ، وكان نشاط كل منهما البنـاء ضخما (٣) ، ولكن كانت هناك فى ألوقت نفسه احداث تكاد تهز العالم فى حيز الغيب٠٠ ثم بدأت تدب حياة جديدة فى كيان الامبراطورية الفارسية المهتزة بولاية ارتكزركسيس الثالث أوخوس (٣٥٨ ق٠م) فأعيد النظـام بين ولاة آسيا الصغرى ولكن النشاط المطلوب لهذا الجهد حال دون التفكير فى أى هجوم على مصر ومع ذلك فان اوخوس أصبح مستعدا لذلك الامر فى عام ٣٥٠ق٠م ، وليست لدينا تفصيلات عن ذلك ولكن الحرب انتهت بفشل ذريع كان من نتيجته أن قامت الثورات ضد الاحتلال الفارسى فى كل مكان وكانت فينيقيا وقبرص فى مقدمة الثائرين وكان الجند اليونانيون والقواد اليونانيون قبل ذلك بزمن طويل هم العماد الاكبر للطرفين ولكن مصر كانت أهم ما يتطلعون اليه بسبب الذهب والحبوب التى كانت تستطيع أن تقدمها فى وفرة ومن ثم كان اعادة اخضاعها أمرا بالغ الضرورة ، ومع ذلك فانه

(١) زيحو بالمصرية

(٢) Diod., XV, 90, 92

(٣) Kienitz, pp. 193-212; 214-230

كان يجب الانتهـــاء أولا من فينيقيا وفلسطين · كانت صيدا هي مركز الثـــورة وكانت قد قامت بما يدعو لأخذ الثأر حين وجهت ضربة عنيفة للمحتلين الفرس وخشي الصيدونيون مغبـة الأمر فالتمسوا عون مصر ، ولكن نخت حارحبي قنع بارسال فرقة محدودة من اليونانيين المتطوعين تحت قيـــادة منتور الروديسي · ويقص ديودروس (١٦ : ٤٠ ـ ٥١) أحداث السنوات القليلة التالية في تفصيل سنوجزه هنـــا : كانت استعدادات أوخوس على نطاق واسع ، ولكنه استطاع حتى قبل وصول القوات الضرورية جدا من المدن اليونانية في اليونان وآسـيا الصغرى أن يوقع عقوبة فظيعة على صيدا التى تآمر مليكها الخائن « تنس » مع منتور لتسليم المدينة بينما أحرق المواطنـون سفنهم كما فضل الكثيرون أن ينتحروا محترقين في لهب بيوتهم ·

وفي خريف ٣٤٣ ق٠م خرج الجيش الفارسي في حملته الخطيرة ضد مصر وكان على رأسه الملك نفسه · وكانت بلوزيوم أول مدينـــة مصرية تعرضت للهجوم ولكنها قاومت مقاومة شديدة ، وكان أوخوس قد وضع خطته على أية حال على أســاس دخول الدلتـا في الوقت نفسه من ثلاثة أماكن مختلفة وقد تم له الدخول بالقرب من أحد مصـــــاب النيل الغربية وكان فصل الفيضان قد انتهى فلم يعد هناك خوف من أن تتكرر المأساة التى حدثت منذ ثلاثين عاماً ، وقد لازم النحس المدافعين منــذ البداية فقد خرج متطوعو اليـونان تحت قيـادة كلنياس الكوسى يهاجمون من القلعة المجاورة ولكنهم هزموا ، أما هو فقتل واجتاح الرعب نخت حرحبي فبدلا من أن يثبت في مكانه تراجع الى منف التى أعدها لمقاومة الحصار ، ولكن بلوزيوم كانت قد سقطت في الوقت نفسه واستسلمت حاميتها حين وعد بأنه سيعامل بالحسنى من يفعل ذلك وقد تكرر تأكيد هذا الوعد في كل مكان وسرعان ما جد المصريون واليونان في المنافسة في الاسبقية في الافادة من مظهر الرحمة هذا · وأما الجيش الثـــالث تحت قيادة منتور صديق أوخوس الحميم وحليفه باجواس فقــد وفق كذلك وكان استيلاء القوات المشـتركة على بوباستيس حدثا هاما سرعان ما استسلمت بعده مدن أخرى في الدلتا وأصبحت مصر الآن تحت رحمة أوخوس وأدرك نخت حارحبي عقم الموقف فجمع ما اســـتطاع جمعه من مقتنيات وارتحــل جنوبا الى أثيوبيا ولم يســمع عنه بعد ذلك ، وهكذا استطاعت مهارة أوخوس الحربية وحنكته الســياسية أن تعيد مصر الى حظيرة فارس من جديد · ونحن نورد هنا نص مارواه ديودروس(١٦:٥١) في هذا الصدد :

بعد أن اســـتولى أرتكزركسيس على مصر ودمر أسوار معظم المدن

الهامة استطاع أن ينهب المعابد وأن يجمع كمية كبيرة من الفضة والذهب وأن ينقل الوثائق المكتوبة من المعابد القديمة التى أعادها فيما بعد باجواس الى الكهنة المصريين مقابل مبالغ ضخمة ثم كافأ بسخاء اليونانيين الذين صحبوه فى حملته كلا بما يستحق ثم سرحهم الى بلادهم وجعل من فرنداتس واليا على مصر وعاد بجيشه الى بابل وهو يحمل معه مقتنيات وأسلاب بعد أن ذاعت شهرة انتصاراته ٠

وليس من شك فى أن يد الغازى كانت ثقيلة على البلد المهزوم وانا لنجد صدى العصر الوسيط الاول فى « الاخبار الديموطيقية » ولكن ليس هناك من سند يجعلنا نصدق ما يرويه الكتاب المتأخرون فى نسبتهم الى أوخوس نفس اتهام انتهاك حرمة المقدسات الذى نسبوه من قبل الى قمبيزس فلقد كان هذا الملك الفارسى أعقل من أن يقدم على ذلك ، ورغم ذلك فانه لم يقدر لهذه القوة الضخمة أو الهيبة التى اكتسبها أن تعمر طويلا فقد دس له السم فى عام ٣٣٨ ق ٠ م صفيه باجواس ووضع فى مكانه ابنه الأصغر ارسس الذى قتله باجواس أيضا بعد ذلك بعامين وقد جلس على العرش من بعد أرسس أحد أقربائه البعيدين دريوس الثالث كودومانوس ، وهو آخر الاخمينيين ، وقد سارع بتسميم باجواس هذا المجرم المتسلط الذى لقى جزاءه الحق ، ويعد ديورس الثالث خاتمة الاسرة الحادية والثلاثين التى أضافها المؤرخون المتأخرون الى أسرات مانيتو الثلاثين ، وقد ظل حكمه على مصر اسميا مدى أربع سنوات وقد قدر للامبراطورية الفارسية أن تختفى قبل أن تحل نهاية هذه السنوات الاربع ، وبدأ العالم القديم عصرا جديدا ٠

* * *

كان من هدف هذا الكتاب ــ من الناحية النظرية ــ التركيز فى عرض تاريخ مصر على المصادر المصرية وحدها ، ولكن اظهر الفصلان الأخيران استحالة المضى فى ذلك ، ورواياتنا للاحداث فيهما تتصل بمجريات الامور فى الدلتا التى تعد نقوشنا الهيروغليفية منها بالغة الندرة كما ان النقوش المسمارية التى أشرنا اليها هى دائما عبارة عن تقارير حوليات بينما تشير استشهاداتنا اليونانية ــ رغم أنها لا تكف عن الأوصاف المزوقة حيث يكون ذلك مناسبا ــ الى انها دائما فى أغلب الأمر من عمل مؤرخين محترفين جادين ــ وباستعراض الامور على هذه الصورة ، برجعة الى الوراء ، نستطيع أن نقدر قيمة المعلومات التاريخية من مصدر غير محايد ٠

والواقع ان عصر الاحتلال الفارسى ليس قاصرا تماما من الناحية التاريخية وتزويدنا بمعلومات عنها ، ولكن تقديم مثلين يستطيع أن يصور

الصعوبات التي نلقاها في محاولتنا لاستخدامهما والانتفاع بهما ، فهناك لوحة فى نابلى (١) — عثر عليها أصلا فى بومبيى — تحوى تاريخ حيـاة « سمتاوى تف نختته » الذى كان يشغل وظائف كهانة هامة فى المقاطعة السادسة عشرة من مقاطعات الصعيد ، ويشير اسمه والدعوات التى يقدمها الى ارسافس ، المعبود برأس الكبش فى هرقليوبوليس انه يمت الى أسرة سلفت الاشارة اليها عدة مرات من قبل (صفحات ٣٨٣ — ٣٩٨) وهو هنا يتحدث الى الهه :

« أنا خادمك وقلبى موال لك ، لقد ملأت قلبى بك ولم أزرع أية مدينة غـير مدينتك أنا لم أتردد عن أطرائها لـكل الناس ، وكان قلبى يسعى وراء الحق فى بيتك ليل نهار ، لقد فعلت لى أشياء خيرا منها مليون مرة ، لقد وسعت خطاى فى النصر ، وكان قلب الاله الطيب راضيا بما أقول ، لقد رفعتنى من بين الملايين حين أدرت وجهك عن مصر وأحللت حبى فى قلب أمير آسيا فشـكر رجال بلاطه الاله بسببى ، لقد عينتنى فى وظيفة المشرف على كهنة الالهة سخمة (أىطبيب) فى مكان شقيق أمى المشرف على كهنة سخمة فى مصر العليا والسفلى نخت حنب • لقد حميتنى فى محاربة اليونان حين رددت آسيا وذبحوا الملايين بجـوارى ولم يرفع أحد ذراعه ضدى ، كانت عيناى تتبعان جلالتـك فى نومى وأنت تقول لى : « توجه مسرعا الى هرقليوبوليس : هاك اننى معك » لقـد اخترقت بلاد أجنبية وحـدى وعبرت البحر ولم ينل منى الخوف لأننى كنت أتذكرك ، أنا لم أخالف ما قلت ووصلت الى هرقليوبوليس ولم تنزع شـعرة واحـدة من رأسى •

ونصف هـذه الرواية مرة أخرى السـمعة الطيبة التى عرفت عن الأطباء المصريين ولكنها تفقد نصف قيمتها لأنه ينقصها تحديد زمانها من الناحية التاريخية ، وقد اختلف المؤرخون فى هذه الناحية فهناك «ارمان» يرى أنهـا ترجع الى عصر ماراتون ، بينما يرى « تريسون » — آخر من ناقش الموضوع — ان لها صلة وثيقة بالمعركة بين اليونان والفرس التى كسبها الاسـكندر فى جاوجاميلا ••• وهكذا نرى الخلاف بينا ويدخل فى المناقشة آخرون يدلون بآرائهم مما يجعل من المستحيل بالنسبة لنا أن ننتهى الى قرار حاسم •

وهناك مشـكلة معقدة يدعـو لاثارتها « خباباش » الذى انتحل لقب فرعون • فلدينا تابوت أبيس مؤرخ من عامه الثانى وكذا عقد زواج لـكاهن طيبى صـغير مؤرخ بالعـام الأول ، ومما يدعو للاهتمام كذلك

(١) Bull Inst. Fr, XXX, 369 ff.

معلومات عنــه جاءت فى لوحة ترجــع الى عام ٣١١ ق ٠ م ٠ حين كان بطلميوس الأول ســوتير لا يزال واليا على مصر ، والنقش من الناحيــة الشــكلية يتناول الثناء على انجــازات بطلميوس العظيمة ولــكن هدفه الرئيسى هو تسجيل اعادة رقعة من الأرض الى كهنة بوتو كانت لهم منذ أزمان موغلة فى القــدم ثم استولى عليها أكزركسيس الذى وصف بكونه عدوا وشريرا ٠ وقد أصغى خبباش الى شكوى الكهنة ولما ذكر بأن الاله حوريس طرد أكزركسيس وابنه من مصر عقابا لهما استجاب الى الملتمس كما فعل بطلميوس فيــما بعد ٠ وهنا ــ كمــا نرى ــ مفتاحان للمركز التاريخى ل «خبباش» فمن الواضح أولا أنه جاء فى عهد بعد عهد أكزركسيس ثم يقال عنه ثانيا انه أصدر قراره بعد أن قام باستكشاف مصاب الدلتا التى قد يظن أن الآسيويين (أى الفرس) قد يهاجمون مصر عن طريقها ، وهناك مفتاح ثالث هو أن عقــد الزواج الســالف الذكر تم توقيعه من مســجل العقود نفســه الذى وقع وثيقة أخرى فى عام ٣٢٤ ق ٠ م ٠ وهكذا قدمنا عدة نظريات مختلفة ولكن كل ما يمكن أن نقــوله مطمئنين أن خبباش كان واحدا من آخر ــ ان لم يكن آخر ــ الحكام غير الفارسيين وغير اليونانيين استطاع أن ينتحل لقب فرعون الوطنى المولد ، ولــكن اسمه مع ذلك غريب مستهجن تماما ٠

كان الحدث الضخم الذى قرر مصير مصر وحدد نوع حكومتها خلال القرون الثلاثة التالية هو غزو الاسكندر الاكبر لها فى عام ٣٣٢ق٠م ٠ ولقد كان ظهور مقدونيا كقوة متسلطة على العــالم أمرا بدىء فى ادراكه منذ عام ٣٣٨ق٠م حين استطاع اليونانى (وهو أمر يحتمل الشك) فيليب الثــانى أن يقضى على كل مقــاومة بهزيمته اثينا ثم طيبة عنــد خيرونيا وتأسيس العصبة الهلينية التى كان عليها أن تلم شمل اليونانيين تحت امرته ، ولكن لم يستطع أحد اذ ذاك أن يتنبأ بالانتصارات الباهرة التى استطاعت خلال عشر سنوات أن تجعل من ابنه الصغير الاسكندر سيدا على العــالم الشرقى كله بغير منازع ــ ويبدو أن الاسكندر نفسه كذلك لم يكن يدرك أهدافه تماما حتى غزا آسيا الصــغرى واضطر داريوس الى الهرب فى معركة ايســوس على بعــد خمسة عشر ميــلا الى شمال الاسكندرونة الحالية (٣٣٣ ق٠م) وحتى هذه المرحلة لم يكن فكره يتجه فى أول الأمر لمطارده العاهل الفارسى بله لاخضاع سورية ومصر ٠ وكان حصار صور عملية طويلة مرهقة ولكن لم يكن هناك شىء يعوق مسيره بعد التغلب على هذه العقبة حتى وصل الى غزة التى قاومت فى اســتماتة ، وحين وصل الى مصر فى عــام ٣٣٢ ق٠م استسلم الوالى الفــارسى دون مقاومة وأسرع الاسكندر جنوبا نحــو منف وقدم التضحيات الى العجل

ابيس حيث اعترف به فرعونا ثم عاد بعد ذلك الى الشـاطىء وهناك على شاطىء البحر المتوسط بالقرب من قرية تدعى راكوتيس قام بتخطيط مدينة المستقبل العظيمة ، مدينة الاسكندرية قبل ان يبدأ زيارته المشهورة الى وحى آمون فى واحة سيوه . ولسـنا ندرى على وجه التحقيق ان كانت قد خطرت ببال الاسكندر اذ ذاك فكرة محددة عن تأليهه ولكن هذا الأثر المهيب فى حيـاته كان نتيجة محتـومة للتراث المصرى العتيـق ذلك أن الفرعون كان بالضرورة ابنا لأمون ومن ثم فهو نفسه اله . وقد أطال الاسكندر مكثه فى مصر بقدر ما مكنه من تعيين حكام وطنيين حتى يستطيع جمع الضرائب تحت اشراف مستشاره المالى «كليومنيس» (من نقراطيس) ومن تكوين جيش صغير تحت امرة صديقه بطلميوس ثم سارع بعد ذلك للذهاب لتصفية الامبراطورية الفارسية ولاستكشاف أقاليمها بعيدأ حتى الهند ، واما مصيره بعد ذلك فليس من اختصاصنا هنا فى هذا الكتاب ، مهما يكن هناك من اغراء لمتابعة كفاح مثل هذا الاشعاع الذى لا نظير له ، ولقد سقط فريسة للمرض بعد عودته الى بابل عام ٣٢٣ ق.م ومات هناك فى قصر نبوخذرزر ولم يكن قد بلغ بعد الثالثة والثلاثين من عمره ، قبل أن يتم العام الثالث عشر من حكمه .

من الطبيعى ألا ينتهى تاريخ مصر هنا والواقع أنه يدخل هنا فى مرحلة جديدة ولكن الصورة المتتابعة التى كانت كل ما استطعنا تقديمه يجب أن تختتم فى مكان ما ومن الخير أن نتـوقف هنا قبل أن نبدأ أسرة جديدة طويلة هى أسرة البطالمة ، كانت مصر تحت حكمها بلدا من نوع آخر ، فكانت الادارة يونانية وان أخذ الاهلون يتـابعون الى حـد كبير حياتهم ويكتبون بلغتهم ويرعون عاداتهم التقليدية ، وقد احتفظ الحكام الذين يتحدثون اليونانية واللاتينية فى البلاد خلال العهود البطلمية والرومانية بمظهرهم السياسى المتعالى كفراعين أصليين وبعبادة الآلهة الاقدمين للبلاد وباسترضاء الكهانات بامدادها بالمال لبناء وتوسيع المعابد الكبرى ، وانه ليبدو مضحكا أنه يغض النظر هنا تماما عن الأوصاف المتصلة بهذه الآثار المحفوظة حفظا رائعا مثل معبدى ادفو ودندرة ، وأن نفشل فى أن نضم صوتنا الى صيحات الالم والعويل على معابد نوبيا التى توشك على الغرق لمصلحة الاجيال النامية الجائعة ، وان نمر مر الكرام فلا نشير بأكثر من لمحة خاطفة الى النقوش البالغة الاهمية مثل حجر رشيد ومرسوم كانوب ولكن .. ان كان النقاد الشبان الذين نكتب لهم بخاصة يلوموننا من جراء حذف مثل هذه الاشياء فان علينا ان نذكرهم انه لا يزال امامنا وعد نفى به ، فلا يزال هناك ما قبل التاريخ ، ثم تاريخ الاسرتين الأوليين لمصر نناقشه قبل ان نضع قلمنا .

مراجع مختارة

للعصر كله :

F. K. Kienitz, Die politische Gescichte Agyptens vom 7 bis zum 4 Jahrhvndert vor der Zeitwende,(Berlin, 1953

Cambridge Ancient History vols. III, IV, V

H. R. Hall, The Ancient History of the Near East, 8th. ed. London, 1932

اليهود فى الفنتين : الى جانب مؤلفات « كينتز » التى سلفت الاشارة اليها يمكن الرجوع الى :

E. G. Kraeling, The Brooklyn Museum Aramaic Papyri, New Haven, 1953

الأسرة السادسة والعشرون ، تاريخ

R. A. Parker in Mitt. Kairo, XV, 208-12 ; JEA XXXI. 16 ff.

نكو الثانى ، القناة العقيمة الموصلة الى البحر الاحمر :

Hdt. II 158

الدوران حول افريقيا — Hdt. IV. 42

امازيس وابريس — Hdt. II. 161-3

تاريخ امازيس وصفته — Hdt. II. 172-82

Hdt. I. 95 ff.

ظهور ميديا

الملكان البابليان بابوبولاسر ونبوخدرزر

D. J. Wiseman, Chronicles of Chaldaean Kings, London, 1956 pp. 5 ff.

Kienitz, pp. 18 ff.

ظهور فارس :

CAH IV. I ff.

كيروش الاكبر ، اسطورة مولده وتنشئته — Hdt. I, 107 ff.

الصفات المميزة للفرس واحداث الحكم بما تخللها من فترات طويلة من الانحراف :
Hdt. I. 131 to end

الأسرة السابعة والعشرون

النصوص الهيروغيليفية ، نشرها وترجمها — O. Posener,
La première domination Perse en Egypte, Cairo, 1936

قمبيرس :
CAH IV. 15 ff.
Kienitz pp. 55 ff.
Hdt. III. 1 ff.

اللغة الرسمية المستخدمة
G. R. Driver, Aramaic Documents of the fifth century B.C. Oxford, 1957

داريوس : CAH IV, Ch. 7

التشريع للقانون المصرى W. Spiegelberg, Die sogenannte demotische Chronik
Leipzig, 1914, pp. 30 ff.

التماس بتيزه
F. LL. Griffith, The Demotic Papyri in the John Rylands Library, Manchester, 1909 vol. III, pp. 60 ff.

وقام بالتفسير G. A. Wainwright فى Bull. Rylands Libr. XXVIII no. 1, 1944

الأسرات الثامنة والعشرون الى الثلاثين

العلاقات مع فارس ، نقلا عن المصادر اليونانية نجدها فى Kienitz, pp 76-112

الآثار والكتابات op. cit. pp. 190-230

مناقشة مستفيضة للتواريخ op. cit. 166-80

الأسرة الحادية والثلاثون

ارتكزركسس الثانى يغزو مصر (الاحتلال الفارسى الثانى)
CAH VI. pp. 21-24 ; 151-4

البرديات والنقوش Kienitz p. 231

كباباش والمشاكل التى دارت حوله op. cit., pp. 185 ff., 232

الاسكندر الأكبر وغزو مصر
CAH VI, pp. 154-6 ; 373-9

خلفاؤه :
E. Bevan, A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, London, 1927

الكتاب الثالث

عود إلى بدء

١٤ ماقبل التاريخ

ليس هناك ماهو أشق على المؤرخ من أن يتتبع الانبثاق التدريجي لحضارة ما ، خاصة ولأن هذا يخص بالضرورة عصورا كانت الوثائق المكتوبة خلالها معدومة أو بالغة الندرة، وفي الوقت نفسه ليست هناك مشكلة تعتبر أكثر اثارة للاهتمام ، وللقارىء بعض العذر في الشكوى لو ان هذا الكتاب غض النظر عن أية محاولة لمجابهتها ؛ واما أن مثل هذه المحاولة اجلت لما بعد الانتهاء من تقديم تفصيلات عن الاسرات المانيتونية فان هذا له مبرراته من ناحية تاريخ العلم لدينا ، فمنذ حوالى سبعين عاما كان من العسير أن نشير الى أية آثار مصرية أقدم من عهد بناة الاهرام الذى يقابل الاسرة الرابعة عند مانيتو ، وكان قد عثر من قبل على أدوات باليوليتية ولكنها كانت تختلف قليلا عن نظائر لها عثر عليها فى أوربا ولم يكن فيها ما يشير الى مصريتها ، أما منيس وخلفاؤه المباشرون فقد عرفناهم من قبل عن طريق الكتاب الكلاسيكيين وحدهم وعن طريق القوائم الملكية الوطنية وأما وراء منيس ففراغ مطلق ، وقد بدأ ملء هذا الفراغ فى ١٨٩٤ – ١٨٩٥ حين قام بيترى وكويبل بالحفر عند نقادة بالوجه القبلى وبالقرب منها(١) فعثرا على جبانه شاسعة بها هياكل أشخاص القوا على جنوبهم كأنما هم فى حالة نوم ومعهم – ضمن أشياء أخرى – أوان فخارية رسمت عليها طرز هندسية عجيبة ورسوم فجة لحيوانات ومراكب ، وكان من رأى

(١) W.M., F. Petrie and J.E. Quibell, Naqada and Ballas, London, 1896

المكتشفين اللذين اكتنفتهما الحيرة أن هـذه المخلفات لا يمكن أن تكون مصرية وذكرا أدلة ثبت فيما بعد عدم صحتها وهى ان هذه المخلفات ترجع الى تلك الفترة المظلمة التى اعقبت الاسرة السادسة ولم يكد يمر اثنا عشر شهرا حتى استطاع العالم المعروف لما قبل التاريخ دى مورجان أن يبعد نهائيا ماسبق تخيله عن «الجنس الجديد» (١) ٠ وقد أجريت اختبارات غير منتظمة على عدد من المواقع فى مصر العليا واستطاعت أن تميط اللثام عن دفنات وفخار من أنواع قريبة الشـبه جدا وتصحبها دائما كميات من الادوات الظرانية كما انها تشترك جميعا فى عدم وجود أدوات من المعدن، وسرعان ما أدرك بيترى خطأه وكان من أثر الابحاث التالية له ولمساعديه وكذا أبحاث عدد من العلماء من مختلف الدول الاخرى ان تطورت دراسة عصر ما قبل الاسرات الى دراسة مثمرة جدا وان كانت فى الوقت نفسه بالغة التعقيد كفرع من دراسة علم المصريات ، وقـد حدث فى السنوات نفسها بالصدفة البحتة ان ظهرت الكشوف الاولى لآثار الأسرات الاولى الى الثالثة وكان بيترى وكويبيل هنا كذلك من بين أوائل البـاحثين ٠ وفى الوقت نفسه بدأ الجيولوجيون يبحثون فى أعماق الماضى البعيد ولكن الامر تطلب بعض الوقت حتى استطاعت بحوثهم أن تتصل اتصالا أوثق ببحوث الدارسين الذين تركز اهتمامهم فقط حول أقدم مخلفات الجنس البشرى، وبرغم انه لا تزال بالقصة فجوة ضخمة الا اننا نستطيع أن نقدمها مع ذلك فى صورة متتابعة ٠

فى زمن بعيد ، ممعن فى القدم ٠٠ ربما منذ خمسين مليونا من السنين ، كان كل مايعرف الآن بمصر وكذا أجزاء كبيرة من شمال افريقية وبلاد العرب غارقا تحت سطح البـحر ، وخـلال ذلك العصر المعروف بالطباشيرى أرسبت طبقات الحجر الرملى النوبى ومن فوقها أوائل الحجر الجيرى والطفل ٠٠ وبعد مرحلة طويلة عادت الارض للظهور ، ولكن ليطغى عليها البحر من جديد متقدما من ناحية الشـمال ٠٠ وقد أدخلت هذه الاسطورة الطويلة عصرا استغرق دهرا طويلا ترسب فيه الحجر الجيرى الايوسينى المسمى بالنوموليتى تبعا للبقايا البحرية المتحجرة التى تظهر به ، وتبعت ذلك مرحلة تكون فيها منخفض البـحر الاحمر ، وكان من نتائج الالتواءات على الجانبين تلك الجبال الشـاهقة فى شـبه جزيرة سينا وفى الصحراء الشرقية ٠ ولم يبدأ النيل الذى نعرفه اليوم يشق مجراه ويحفر واديه حتى مسـتوى الفيض الحالى الا فى نهـاية عصر

(١) Recherches sur les origines d'Egypte, 2 vols., Paris, 1896-7

البليوسين ولم تكن الدلتا قد ظهرت بعد وكان يشـغل مكانها خليج من البحر المتوسط ، وقرب نهاية عصر البليوسين التـالى حدثت حركة رفع هائلة سبقها امتلاء مجرى النيل بالحصى والرمال التى كانت تجرفها اليه المجارى الفرعيـة التى تتـدفق على جانبيه ، وبدأ النيـل ينحت مجراه النهائى فى هذه الركامات مخلفا طبقات متتالية تحددها مستويات الحصى كلما عمق مجراه · والخمس مسطحات العليا من بين هذه وهى التى تنتقل خلالها من البليوسين الى البليوستسين ليست بها أدوات حجرية أو أية مخلفات أخرى لانسان ما قبل التاريخ ولكن المسطحين التـاليين يكشفان عن أيدى فئوس من الظران شديدة الشبه بنظائر لها من عصر الجليد الأخير التى كشف عنها فى أوربا حتى أصبح من المعتـاد أن تطلق عليها أسماء شيلية واشولية وهى الاســماء التى استخدمت أول ما استخدمت فى فرنسا ، وأما المسطحان التاليان فقد ظهرت بهما أدوات من الطراز المعروف اليوم بالليفالوازى(١) ، وعلى مسافة لا تبعد كثيرا الى أسفل نصل الى مســتوى الفيض فى هـذه الايام الذى يستقر فوق ترسبات هائلة من الغرين مما يشير الى انه بعد أن حدث التحات الى عمق بعيد جاءت فترة ترسيب غيرت من مجرى النهر السفلى · وقد قام الدكتوران : ساندفورد واركل بدراسات واسعة كرست لهذه التحركات على طول مجرى النهر فى البلاد ومن نتائج هذه الدراسات ان مختلف البقايا الباليوليتية المتأخرة المعروفة بالسبيلية (نسبة لقرية سبيل من مجاورات كوم امبو) ، وفىخلال العقد الثامن من القرن الماضى أمكن التقاط عدد من الادوات التى ترجع الى العصرين الباليوليتى والنيوليتى من فوق سطح الصحراء العالية ، ولكن الأمر كان يتطلب كشـفا منظما واستطاعت الآنسـتان : كارتون تومسون وجاردنر مع آخرين القيام بأبحاث فى الفيوم والواحة الخارجية وتمكنتا من أن تحددا العـلاقة الدقيقة بين مختلف مظـاهر الانســان الباليوليتى والمراحل المتتابعة فى تكوين وادى النيل، وقد جازف أحد الجيولوجيين(٢) الحذرين بالتخمين حين اقترح ان الثقـافة السبيليه انتهــت قرابة عام ٨٠٠٠ ق·م أى قبل أن تبدأ الفترة التى نعالجها فى هذا الكتاب بحوالى خمسة آلاف عام ·

بينما كانت أوربا لا تزال فى قبضة الجليد وكان انسان نياندرثال يكافح من أجل كيان ضئيل كصياد وباحث عن طعام من الاعشاب كان

(١) الموستيرى لدى قدامى الباحثين ·

(٢) J. Ball, Contributions, pp. 29, 176

جانب كبير من شمال أفريقيا يزخر بسكانه بسبب الامطار المستمرة ٠ وحيث نجد الآن صحراء لا ماء فيها كانت هناك اذ ذاك كفاية من النبات والحيوان طعاما ليقيم اود الحياة الانسانية ، وانه من العسير أن نقرر أى نوع من الرجال كانوا أولئك الذين يسعون وراء الصيد أو ينبشون سعيا وراء الجذور ، ولكن قليلا من العظام المتحجرة التى كشف عنها فى قاو الكبير يشير الى ان أصحابها ربما لم يختلفوا عن الجنس الذى سكن فى النواحى نفسها حتى زمن الاسرات وحين كان عصر البليوستسين يقترب من نهايته والنيل يعمق مجراه ويضيق مسراه كلما تقدم ، كان تقدم الجفاف فى المرتفعات مما يدفع بالناس والحيوان الى أن يقتربوا من النهر حيث كان الترسب السنوى لطمى النيل يشجع على قيام حياة زراعية أكمل وأكثر استقرارا ٠٠ وهكذا بدأ العصر الأكثر تقــدما للانسان المعروف باسم النيوليتى ٠

وقد رأى علماء ما قبل التاريخ انهم سواء تطلعوا الى أوربا وافريقيا أو أى مكان آخر فى العالم فان المصطلحات باليوليتى ونيوليتى تفى تماما بالغرض الذى يتوخونه ، وتشير هــذه المصطلحات الى مراحل من التطور البشرى وليس الى تواريخ ٠ فهناك مثــلا بعض انتــاج السكان الأصليين لأواسط استراليا نستطيع أن نطلق عليه انه لا يزال فى الباليويتى أو فى مرحلة العصر الحجرى القديم ، بينما الـ «ماوريس» المثقفون كانوا منذ أقــل من قرنين لم يخرجوا بعد من العصر النيوليتى أى العصر الحجرى الحديث ٠ ويقصــد بهــذه الاصطلاحات الاشارة الى طبيعة الادوات التى يستخدمها أصحابها فهى فى الحالة الاولى أدوات من الحجر غير المصقول غير المهذب وهى فى الثانية من الحجر المصقول المهذب ، ولكن اصطلاح نيوليتى يحمل كذلك معنى آخر أو هو يحمل فى طياته ميزة اضافية مميزة هى عدم وجود الادوات النحاسية بل عدم وجود النحــاس أو استخدامه فى غرض من الاغراض ٠٠ ولقــد رأينــا حتى الآن ان الثقــافة السبيلية (الباليوليتية المتأخرة) أفسحت المجــال للتجمعات الغرينية تحت النيل وبهذه الطريقة ضاعت من أعيننا تماما المرحلة النيوليتية فى أقسى مايعنيه هذا الاصطلاح ، ويمكن تحديد المرحلة بين بدايتها وبين المظهر التاسى ــ البدارى الذى ستبدأ به قصتنا بحوالى ثلاثة آلاف ســنة أو أكثر اتخذ خلالها وادى النيل حجمه الحالى وما يقارب منــاخه الذى نعرفه له اليوم بينما أصبحت الصحراء المحيطة ــ كما سلفت الاشارة ــ أقل قابلية للسكنى مخلفة مصر بذلك أشبه بواحة كبيرة استطاعت حضارة مفردة أن تتطور فيها دون أن تلقى ما يقطع عليها سلسلة التطور ٠

وانه لمن الأفضل قبل أن نناقش أمر أقدم المحلات النيوليتية بمصر العليا ان نذكر بعض المواقع ومعظمها فى الشمال حيث لم يوجد بها أى أثر لاستخدام المعـدن وأكبر هذه المواقع هو مرمدة بنى سلامة الواقعة على مبعدة ثلاثين ميلا الى الشمال غرب القاهرة على حافة الصحراء ، وقد قامت بأعمـال الحفر هنا بعثتان : احداهما نمسـوية والأخرى سويدية واستطاعتا ان تكشفا عن مجموعة قروية كانت تسـكن فى أكواخ من القصب الذى يغوص جانب منه تحت مستوى الأرض ، وكانوا يخزنون حبوبهم قريبة منهم فى صوامع من سلال القش المغطـاة بالطين ، وكانوا يعرفون النسيج بدليل العثور على قطع من القماش وكذا فلكات الغزل .
أما الحلى فقليلة ولكن هناك دمالج من العاج وعقودا من العظم والاصداف . أما الفخار فشأنه شأن فخار مرحلة ما قبل الاسرات الذى كان يصنع قبل معرفة عجلة الفخار وكان فى أغلب الأمر غير مصقول وغير مزخرف ، ومن علائم الامعان فى القدم دفن الميت بين أكواخ الأحياء أو فى داخلها ــ وليس فى مقـابر ــ وهناك أقلية تنـادى على أية حال بأن ما عثر عليه فى مرمدة ليسـت له الأولوية من الناحية الزمنية بل ان هـذه الاولوية من حق حضارة متأخره ازدهرت حين شـاع استخدام الأدوات المعدنية فى مصر العليا ، وقد رد على هذا الرأى بأن هناك موقعا فى الشمال برزت به هذه المظاهر نفسها وهو الموقع الذى قامت بالحفر فيه مس كاتون تومسون الى شمال بركة قارون (الفيوم ــ نيوليتى أ) وهو يقع مرتفعا فوق البحيرة بحيث اننـا ان نسبناه الى تاريخ متأخر فان هذا لا يتمشى مع المستويات الحضارية الأخرى فى الموقع نفسه .

ولندع أمر المناقشات فى مثل هـذه الامور للمتخصصين ، ولنلق نظرة الى الجنـوب الى المنطقة الواقعة بين أسـيوط واخميم فهنا فى ديرتاسا والبدارى على الضفة الشرقية قام « ج. برنتون » باجراء حفائر كشف فيهـا عن مقابر ومساكن قرية زعم انها تقـارب عصر مرمدة ، والموقعان قريبان بعضهما من بعض وقد اختلطت القطع التى عثر عليها فى دير تاسا بنظائرها فى البـدارى حتى انه ليشـك فى امكان التمييز بين المرحلتين ، ولئن كانت تاسا مرحلة منفصلة حقا فان ما يميزها فعلا هو عدم وجود المعدن بتاتا ثم المظهر البدائى لفخارها وللقطع الاخرى ، ويميز فخار البدارى كمال الصناعة بصورة لا نشهدها بعد ذلك فى وادى النيل وخير أنواع فخارها بالغ الدقة وتظهر به موجات خفيفة لا تظهر بعد ذلك الا نادرا ، وهنـاك أوان باللون البنى والاحمر تظهر بهـا التموجات أو لا تظهر وهى مسودة عند الحافة من الداخل مما يعد من المميزات البارزة

للمرحلة التالية وأكثر الأوانى شـــيوعا المفلطح ، وأما الحافة والمقابض فنادران جدا . وهناك بعض ملاعق من العاج وأمشاط تبدو وكأنما هى دخيلة على مثل تلك العصـــور البعيدة ، ومن بين تماثيل النساء العارية الثلاثة نلاحظ ان اثنين منها على الأقل يبدوان فى صورة منتظمة خيرا من نظائرهما فى المرحلة التـــالية ، مرحلة عمرة ، ويوحى العثـــور على عدد قليل من حبات النحاس ومخـــارز النحاس بتفضيل استبدال استخدام اصطلاح نيوليتى باصطلاح شالكوليتى (أو انيوليتى) من الآن فصاعدا . وهو الاصطلاح الذى يطلق على تلك العصور التى استخدم فيها النحاس والظران معا ، ويجب علينا أن نشير هنا الى ان الظران ظل يستخدم فى أدوات الاحتفـــالات التقليدية دهرا طويلا بعد أن اســـتخدم النحاس فى استخدام الادوات والاسلحة ولدينا من عهد الاسرة الثانية عشرة مناجل خشبية ذات أسلحة وأســـنان من الظران . أما التوقيت الدقيق لهذه المرحلة المبكرة من الحضارة المصرية فأمر اعتبر منذ بعيد خارجا عن البحث وسيظل كذلك حتى تغدو صلاحية واستخدام الطريقة الجـــديدة للفحص بواسطة الراديو كربون فوق كل شك . وفى الوقت نفسه نجد أن بيترى يستخدم بديلا لها يبـــدو ممـــا لا يبعث على الاطمئنان بالنسبة للدارس السطحى ومع ذلك فانها لقيت ترحيبا اجماعيا من أولئك الذين وضعوها موضـــع الاختبار العملى ، وهذه الطريقة المشـــهورة المعروفة بـ « التوقيت المتتابع » (١) وقد بدأ بما ظنه تطورا لا نزاع حوله فيما يتصل بالمقابض المتموجة للأوانى ابتداء من مقابض حقيقية حتى أصبحت مجرد زينة وقد عين توقيتا متتابعا لكل مرحلة ثم طبق ذلك على مجموعات من طرز أخرى من الادوات التى عثر عليها مع مثـــل هـــذه الأوانى وأخيرا عقد مقارنة لأوضاع التوقيت المتتابع بالنسبة للمحتويات فى كل مجموعة مقبرة . ثم حاول تثبيت الموقع الزمنى النسبى له ككل . وقد بدأ بيترى توقيته المتتابع عند رقم ٣٠ تاركا الارقام قبل ذلك لما يمكن أن يكشف عنه فيما بعد سابقا لهذا الرقم وينتهى توقيته المتتـــابع عند رقم ٧٧ الذى يتفق وبدء الاسرة الاولى ، وتقع المخلفات التى عثر عليها فى البدارى خارج نطاق هذه الارقام ومن ثم فانها تعطى لهـــا الارقام ٢١ ــ ٢٩ التى احتفظ بها لمثل هـــذه الطوارىء ، وقد عثر فى نقادة على قبور من فترتين مميزتين أشار اليها الدارسون الأجانب بخاصة بوصفها نقادة(١) (توقيت متتابع ٣٠ ــ ٣٩) ونقادة (٢) (توقيت متتابع ٤٠ ــ ٦٢) وقد استبدل هذان

(١) شرحها لأول مرة فى كتابه Diospolis Parva, London 1901, pp. 4, ff.

الاصطلاحان على أية حال ب عمرة(١) ، جرزة • وعمرة موقع بالقرب من أبيدوس ، لوحظ فيه عدم امتزاج طرازى الانتاج ، والأمر كذلك بالنسبة لجرزه(٢) ، ولعصر عمرة عدة طرز من الفخار تميزها بالاضافة الى ماسلفت الاشارة اليه عن الفخار ذى الحافة السوداء الذى يعد أكثر الطرز شيوعا ، وقد سادت الفكرة القائلة بأن الحافة السوداء والداخل الاسود يرجعان لوضع الاوانى مقلوبة أثناء الاحراق ، أما الأجزاء العليا فيرجع لونها الاحمر الى تأكسدها نتيجة لتعرضها للهواء ، وقد بينت التجارب على أية حال ان الاثر الذى ينتج الحافة السوداء يمكن الوصول اليه على مرحلتين وعلى ذلك فان وجود فخار كله أحمر مصقول فى الوقت نفسه لا يدعو للعجب، وما يميز فخار عمرة ذلك الطراز المعروف ب «الخطوط البيضاء المتقاطعة» وهو يحوى فخارا أحمر مصقولا مزينا بصبغة بيضاء شاحبة ، أما الزخارف الهندسية الطريفة الشائعة فتتم عن طريق خطوط متقاربة متوازية أو على شكل شبكة وقد يصحبها أحيانا صور حيوانات أو رجال أو أشجار ، ولكن الاكثر ندرة هو الأوانى السوداء وبها زخارف محفورة منقوشة باللون الابيض • والأوانى الحجرية شائعة كذلك فى هذه المرحلة ولم تستخدم الاحجار الصلبة كالجرانيت والبازلت فقط بل استخدمت كذلك أحجار أقل صلابة مثل الستياتيت والمرمر ، وهناك تماثيل من الفخار والعاج تمثل رجالا مغمدة قضبانهم ونساء يسترن أعضاءهن كذلك، ولعل مايدعو للغرابة هو العاج فهو أحيانا من قطع مسطحة وأحيانا أخرى أنياب يظهر فيها الرجال بلحى مدببة بغير اشارة الى أجسامهم وأعضائهم وبعض النساء بهن وشم وبعضهن قبيحات الصورة بشكل واضح ، أما الامشاط ذات الاسنان الطويلة فأجزاؤها العلوية على شكل طيور أو حيوانات •• ولا يبقى لدينا بعد حذف الاشارة الى الادوات الأقل وضوحا من ناحية المظاهر المميزة الا أن نذكر ندرة القاشانى ، وقد أضيفت هنا الى حبات وعقود النحاس ، الدبابيس • وقد عثر مرة أو اثنتين على ما يشير الى استخدام الذهب •

وبحلول عصر جرزة طرأ تغيير ضخم يبدو أكثر وضوحا مرة أخرى فى الفخار فقد حل محل الابيض ذى الخطوط المتقاطعة لون برتقالى يميل الى الصفرة ، به زخارف بخطوط متعرجة حمراء أو بحلزونات أو تظهر به

---

(١) P.M. V, 106-7 ; D. Randall-Maciver and A.C. Mace, El Amrah & Abydos, London, 1902.

(٢) قام الحفر فيها G.A. WainWright انظر Petrie, Wainwright and Mackay, the Labyrinth, Gerzeh and Mazgounah.

قوارب ذات مجاديف كثيرة وبالقارب غرفتان وما يشبه سارية العلم أو اللواء وبها ، أو ليس بها ، صفوف من البشروش ، وأحيانا صور لرجال وحيوانات ، وليس هناك فى كل تاريخ الفخار نـوع غيره قل أن تخطئه العين أو أكثر وضوحا وابرازا لفترة محدودة ، وقد كشف ف٠و٠ جرين فى هيراقونبوليس عن مقبرة ذات جدران ملونة من الواضـح أنهـا من الطراز نفسه(١) ٠ وتبدأ الأوانى ذات الأيدى المموجة ــ وهى التى يرى لها بيترى أهمية كبـيرة ــ فى الظهـــور فى عصر عمرة عند رقم ٣٥ من التوقيت المتتابع ولكنها تخص فى أغلب الامر عصر جرزة ٠ وأما الأوانى الحجرية فقد استخدمت فيهـــا بعض المواد ذات مظهر أكثر بريقا ، ومن بينهـــا الديوريت والسربانتين ، وهنـــاك فارق بين عصرى جرزة وعمرة نلحظه فى رءوس الدبابيس فهى فى الاول على شكل القرص بأطراف حادة جدا وهى فى الثانى على شكل الكمثرى والرمزان الهيروغليفيان [رمز] و [رمز] يبينان الفرق ، وهنـــاك تطور آخر له أهمية كبرى وهو زيادة استخدام النحاس الذى يســـتخدم الآن فى الاسلحة والادوات كمـــا يستخدم فى أدوات الزينة ٠

وقـــد عثر على مراحل البـــدارى وعمرة وجرزة فى ترتيب طبقات الحمامية بالقرب من البـــدارى ومن ثم فليس هنـــاك من شـك فى ان الاصطلاحات تشير الى فروق زمنية ومـع ذلك فان المصطلحـــات نفسها تستخدم كذلك لوصـف الترتيب المحلى ، وقـد وجدت أمثلة للمراحل الثلاثة فى نوبيا السفلى وفيما وراءها وان كانت عرضة لأن تتقاعس الى الوراء كلما تقدمت مصر نفسها نحو مظاهر جديدة ، وفيما عدا نوبيا نجد ان المخلفـات البدارية يعثر عليها فى هيراقونبوليس فى جنوب المحاسنة الى شـــمال ابيدوس ، والعمرية من ارمنت الى نجـع الدير على الضفة الشرقية مقابل المحاسنة واما الجرزية فعلى نطاق أوسع وذلك لان قرية جرزة تقـع على مبعدة أكثر من مائتى ميل الى الشمال بالقرب من ميدوم وأنه ليبدو بعيدا عن التعقل أن نؤكد قيام تشابه تام فى مصر العليا كلها فى زمن معين ولكن ليست هناك اختلافات محلية ملحوظة جدا تعارض مثل هذا الافتراض ؛ ومن ناحية أخرى فان هناك ما يدعو الى مقارنة حضارة مصر العليا فيما قبل الاسرات بحضارة مصر السفلى كمـــا تمثلها مرمدة والفيوم والمعادى (قرب القاهرة) والعمرى (قرب حلوان) وبخـــاصة لان

---

(١) J.E. Quibell and F.W. Green, Hierakonpolis, II. London, 1902, pls. 75-79

اختلاف الجنس هنا يمكن تمييزه . والواقع ان الدليل الانثروبولوجى من مرمدة ليس مقنعا تماما ومع ذلك فان المتخصصين أحسوا بأنهم على حق حين أعلنوا وجود قوم هناك طوال القامة نسبيا وسعة جماجمهم أكثر بكثير مما هى لدى الجنوبيين(١) . وكان هؤلاء الاخيرون ذوى رءوس طويلة (دوليكوكيفالى بالاصطلاح العلمى) ودون المستوى العادى فى القامة ولكن لهم ملامح زنجية يمكن تمييزها فى أغلب الأمر ـ ومهما يكن القول عن الشماليين فانه من الاسلم أن نصف سكان مصر العليا بأنهم من العنصر الافريقى بالضرورة وهى ميزة ظلوا يحتفظون بها رغم التأثيرات الاجنبية التى كانت تحل بهم من وقت لآخر .

ولنرجع الى المظهر الزمنى للمراحل الثلاث فنقول انه من الأسف ان بعض الاثريين لا يزالون يستخدمون المصطلحات مثل «حضارة عمرة» وهى مصطلحات تحمل فى ثناياها معنى انفصال رئيسى فى التطور ، كما تميز بين عصرى : مصر الرومانية ومصر الاسلامية ، والواقع انه مهما يبدو التغير واضحا من مرحلة لأخرى فان استمرار التطور ككل يجب أن نضغط عليه بقدر ما نستطيع ولكن دون أن ننكر البواعث الخارجية التى قد تمس الحاجة اليها لتحرك كل خطوة هامة الى الامام . ونحن نورد هنا حجتين للتدليل على هذا الاستمرار ، احداهما عامة والاخرى خاصة .. ففى خلال الفترة كلها نجد القبور عبارة عن خنادق ضيقة ذات شكل بيضاوى أو مستطيل توسد فيها الاجساد على الجانب الأيسر وتوضع الركبة فى مستوى قريب من الوجه وتوجه الرأس غالبا الى ناحية الجنوب أكثر مما توجه الى الشمال وكان يدفن مع الميت أغلى مقتنياته وكذا الادوات التى تمكنه من أن يمارس حياته المعتادة فى العالم الآخر . ولا تتعارض هذه الوحدة التى تلازم الترتيبات الجنزية التغيرات التى كانت تدخل عليها من عصر لآخر كما حدث بالنسبة للحصير الذى استخدمه البداريون فى جوانب قبورهم حين استبدل به ألواح خشبية توضع فى الجوانب والسقف وهو تجديد تطور بمرور الزمن الى التابوت فى عصر الاسرات وقد ظل دفن القرفصاء قائما بالنسبة للفقراء مدى قرون كثيرة بعد أن كان التحنيط والدفن فى مقابر حجرية فخمة سمة الأغنياء .

وهناك دليل أكثر وضوحا على مدى الاستمرار الحضارى نشهده فى اللوحات الحجرية الرقيقة المسطحة التى استخدمت لصحن الدهنج الذى كان يستعمل زينة للعيون وحماية سحرية لها ، وانا لنلتقى بمثل هذه

---

(١) أنظر آخر الفصل للرجوع الى وجهة نظر Derry

اللوحات لا فى دير تاسا وحدها ، بل فى مرمدة كذلك وهى فى الموقعين من أبسط طراز مستطيل أو بيضاوى ولكنها لم تكن قد صنعت بعد من الادواز ذى اللون الذى يميل الى الخضرة والذى أصبح شائعا فيما بعد٠ولدينا من عصر عمرة أقدم نماذج الاشكال المعينة والبيضية التى تطورت فيما بعد تطورا ذائعا وقـد ظهرت الى جانبها كل الأشكال الغريبة وبعضها يمثل أسماكا وبعضها الآخر سلاحف أو حيوانات من ذوات الاربع كعجل البحر والتيتل ، واللوحات التى تعـلو قمتها من الركنين رأسان للطيور ذات أهمية خاصة ؛ لأن هذا التماثل أصبح فيما بعد واحدا من أوضح الدلالات على التأثيرات الميروبوتامية ، وقرابة نهاية عصر جرزه نجد رسوما بالنقش الغائر تظهر لأول مرة ولكنها لا تشغل سوى حيز ضئيل من السطح وهى رسوم رمزية لا تزال تسـتعصى على أية محاولة قامت لتفسيرها ٠ ومن الواضح ان لدينا هنا أصول اللوحات الرائعة المنحوتة التى لم يبق منها سوى ثلاث عشرة بما فى ذلك بعض القطع المكسورة(١) ، وتشير الدقة التى تمت بها صياغتها الفنية وكذا النقوش التى تملأ ساحتها كلها ثم حجم أكبرها الى انهـا قطع نذرية لم تشـكل بقصد استعمالها ٠ وقد جرى التفكير حين عثر على أول نمـاذجها انهـا ليست صناعة مصرية على الاطلاق ، ولكن هذه الشكوك تلاشت بعد الكشف فى عـام ١٨٩٧ عن قطعتين أخريين فى معبـد هيراقونبوليس احداهمـا هى لوحة نعرمر المشهورة(٢) ، التى سنناقش أمرها فيما بعد ، وأصبح من الواضح الآن ان هذه اللوحات التذكارية ترجع الى آخر عصـور ما قبل الاسرات ان لم ترجع فى بعض الحالات الى عصر ما قبيل الاسرات ولعـل أهم تجديد فيها هو نماذج الكتابة الهيروغليفية بها وهو شحيح وان كان غير قابل للشك ٠

وقد اخترنا من بين هـذه اللوحات الخـلابة التى ترجع الى أواخر عصر ما قبل الاسرات واحدة (انظر لوحة ١٩(٣)) لم يقع الاختيار عليها بسبب تفوقها من الناحية الفنية ، فهناك غيرها أكثر جاذبية ولكن لأنها ذات دلالة أوضح فقد ظهر بوجهها سبعة مستطيلات ذات ركائز تمثل من غير شك المدائن المقهورة تشق فيهـا مخلوقات رمزية طريقها بالفئوس ؛ والهيروغليفية ـ وهى فى الغالب مفردة ـ داخل المستطيلات قصد بها من

(١) P.M., V, 104 ff; 194

(٢) Op. cit., V, 193

(٣) Op. cit., V, 195; No. 6

غير شـك ذكر أسـماء الأماكن ، وقد ظن البعض ان المهاجمين (باشق ، أسد ، عقرب ٠٠٠الخ) يقصد بهم وصف المظاهر المختلفة لنفس الزعيم المنتصر(١) ، ولكن من المؤكد أن الاكثر احتمالا انها تميز أقاليم متميزة تحارب معا كحلف وعلينا أن نلاحظ بخاصة لواءى الطائرين يحطمان قلعة فى الركن السفلى الايسر التى قد تمثل المقـاطعة القفطية فيما بعد وهى خامس مقـاطعات مصر العليا ، وأما الوجه الآخر فظهر به ثيران وحمير وخراف تسير فى أمان متجهة الى اليمين ولكل نوع منها نهر خاص به ، أما فى نهاية اللوحة من أسفل فأشجار يفترض نيوبرى انها أشجار زيتون (وقد عارضه بشدة فى ذلك ل٠ كيمز)(٢) والى جانب الاشجار توجد علامة

التى يرى زيته عن حق انها تعنى بلاد جحنو(٣) (تحنو) وهى أرض الليبيين المعروفين باسم جحنيو (تحنيو) ٠ وليس يحتـاج الأمر الى كثير من البراعة للقول بأن الماشية عبارة عن غنيمة وان الاشجار يستخرج منها زيت جحنو (تحنو) الذى كانت له قيمة كبيرة ٠

ويبدو ان التفسير على هذه الصـورة له ما يؤيده وان كان هناك اختلاف هام وذلك عن طريق تلك اللوحة الكاملة تقريبا والمعروفة باسم لوحة الصيد (٤) ٠ فهنا نشهد عددا من الرجال يحملون أقواسا وحرابا وبوميرانج وانشوطة ويبدون وهم يهاجمون حيوانات الصحراء بنجاح ٠ وفى المنظر أسدان مرشوقان بالسـهام ووعل علقت الانشوطة بقرونه ، وحيوانات أخرى من بينها نعامة وأرنب صحراوى يعدوان مسرعين هربا ولكن لعل أهم ما يلفت النظر بالاضافة الى رمزين هيروغليفيين خفيين ـ هو تسليح الرجال ، فهم ملتحون ـ شأنهم فى هذا ـ شأن الاعداء المنهزمين فى لوحة نعرمر (لوحتا ٢١ ، ٢٢) وفى شـعورهم ريش(٥) وهناك ذيول متصلة بنقبهم القصـيرة ، وكانت الذيول ميزة خاصة بالفراعين أنفسهم ولم تعرف لدى غـيرهم الا فى صور الليبيين المقهـورين المرسومة على

(١) Z.A.S., LII, 56

(٢) Bull. Inst. Fr., XXXI, 121 ff.

(٣) انظر الهامش رقم ٢

(٤) P.M., V, 104 No. 3

(٥) عدم وجود الريشة فى لوحة نعرمر ومع الرؤساء الأسرى الذين سنشير اليهم هى علامة الهزيمة ، انظر الفقرة فى صفحة ٢٩٩ ٠

جدار(١) يؤدى الى معبـــد هـــرم الفرعون ســاحورع من ملوك الاسرة الخامسة(٢) ، ولنفس هؤلاء الرؤساء الذين يضعون قضبانهم داخل غمد كذلك خصلة شـــعر غريبة صغيرة فوق مقـدم رءوسهم تذكرنا بالصل (الكوبرا) على جبهة فرعون ، أفمن الممكن أن يكون ملوك ما قبل الاسرات فى مصر السفلى أو فى غرب الدلتـا من أصل ليبى فعـــلا ، وان حكام الارضين المتحدتين فيما بعد ورثوا عنهم الذيل والصل وهما الوحدتان غير المتوقعتين اطلاقا فى شعارات الملكية ؟ ولكن هناك افتراضات أخرى هى أنه ربما كان الرؤساء الليبيون لدى ساحورع يقلدون الملوك المصريين أو ان غرابة أطوار الزى المشـــار اليه ليست مقصورة على الليبيين أو مصر السفلى بل كانت افريقية واسعة الانتشار ، والكلمة المصرية لنوبيين وكذا الكلمة للجنود عامة تخصص (صفحة ٣٧) بصورة رجل يضع ريشة فوق رأسه وقد نبهنا من قبل أن تماثيل عمرة التى عثر عليها فى مصر العليا تمثل غمد القضيب ومن ثم فان كل ما نود أن ننهى به هذا الأمر هو انه فيما يتصـــل بالتسليح ــ وهو أمر ليس من الضرورى أن يخص جنسا معينا بالذات ــ توجد قرابة بين الليبيين والمصريين والنوبيين تؤكد وصفنا لأقدم حضارة قامت فى وادى النيل بأنها يجب أن تكون افريقية.

وتختلف لوحة الصيد عن لوحة القاهرة فى ذكر أرض تحنو وسكانها الليبيين كأنما هم رياضيون سعداء وليسوا أعداء منهزمين . وقد ناقش رانكه(٣) أمر تاريخ اللوحة على أساس الصور المرسومة فيها التى تبدو فى مظهر يشيع فيه الانطلاق وعدم النظام ممايخالف مادرج عليه المصريون فيما بعد من ناحية تمثيل صور الرجال والحيوانات على خطوط مستقيمة تماما كما هى الحال فى قطعة القاهرة وفى لوحة نعرمر وربما كانت هناك قوة أكثر فى مزاعم رانكه عن أصول شمالية للوحة على أساس ما يقدمه فيما يتصـــــل بخطوط الرسم من ناحية ، ولسبب الالوية التى يمسكها ثلاثة من الصيادين من ناحية أخرى ، ويبدو ان هذه تمثل رموزه «الغرب» و «الشرق» وقد استطاع الباحث البارع كورت زيته(٣) أن يجد مايؤكد أن هذه كانت ترمز أصلا

(١) L. Borchardt, Das Grabdenkmal des konigs sahurê', II, Leipzig 1913, pls. I; 5

(٢) فى المقال المذكور فى P.M., V. 104, No. 3.

(٣) Nachr. Göttingen, 1922; 197 ff.

الى جانبى الدلتا المتقابلين ، ومع ذلك فان الهدف من منظر الصيد ، ككل ، لا يزال غامضا ما دام من المستحيل أن نتقبل اقتراح رانكه - الخطير - من ان حيوانات الدلتا البرية أصبحت خطرا مهددا ، وان الشرق والغرب تكاتفا على وضع حد لوحشيتها ٠

وتذكرنا الاشـارة الى الالوية على لوحة الصيد الى انه ليس هناك تفسير حتى الآن للالوية في سفن فخار جرزه ، وقد استطاع نيوبرى ان يرتب مجموعة منه وسعى وراء التدليل على ان معظمها على الأقل كانت شعارات لمقاطعات الدلتا أو اقاليمها وهناك بعض الشك فى أنها كانت تقابل اعلامنا الوطنية اليوم وان الهدف منها كان الاشارة الى ان هذه الجماعة المحلية أو تلك تتملك السفن ، ومع ذلك فان محاولات نيوبرى للتعرف عليها(١) غير صحيحة فى معظمها ونحن لانزال نجهل أية مقاطعات معينة هي المقصودة ؛ وهناك شيء آخر أقل غموضا هو ما يقابل ذلك من ألوية على واحـدة من اللوحات الزخرفية(٢) التى يشـــغل أجزاءها العلوية « ثور قوى » يطعن حتى الموت رجلا مستلقيا من الطراز نفسه الذى أشرنا اليه من قبل كـ « ليبى » والثور هنا هو الملك سواء ملك مصر العليا أو السفلى أو ملك كليهما مادامت هذه الصفة تستخدم دواما للملك الحاكم ، وهناك الى أسفل - مربوط بغير شك بهيكل اسير منهار - حبلٌ يمسك ايدى خارجة من خمسة الوية من النوع نفسه الذى نجده فيما بعد كعلامات للمقاطعات ، ولعلَّ أيسر مانتعرف عليه منها هو لواء

مقاطعة اخميم وهو تاسع اقاليم الوجه القبلى ورمزه (٣) واما

هدف اللوحة فواضح حيث انها تسجل المذبحة أو القبض على مصريين من الدلتا أو اعداء ليبيين على يد زعيم من مصر العليا على رأس حلف من بضعة اقاليم ٠

على هذه الصورة نستطيع ان ندرك الاتجاه العام للوحات التى تظهر بها صور حربية ولعل أهم مايسترعى النظر فيها هو انها تتناول جميعا أمر حروب ضارية وهى ليس بها مايشير الى التحام بغزاة من الشرق فيما عدا واحدة هى القطعة المشهورة المعروفة بمقبض سكين جبل العرق فى اللوفر(٤) ، وهى قطعة من العـاج المثلث فيهـا مطاردة

(١) Ann, arch. and Anthrop, Liverpool, V, 132 ff.

(٢) P.M., V, 105, No. 4

(٣) أنظر فيما بعد شكل ١٢ ، فى الوسط ٠

(٤) Op. cit., V, 107

الصيد على أحد وجهيها ومثلت معركة على الوجه الآخر (لوحة ٢٠) ويشاهد فوق منظر الصيد رجل يلبس عباءة ويقف بين أسدين يبدو انه استأنسهما ، اما المتحاربون على الوجه الآخر فيستخدمون أسلحة من العصى ويبدون فى المظهر نفسه الذى نشهده فى اللوحات • ولكن يوجد الى أسفلهم صفان من المراكب يفصلهما محـــاربون مذبوحون ويظهر بالصف العلوى مقدمات السفن ومؤخراتها راسية بل تظهر كذلك ساريات يعلوها الهلال من الطراز نفسه الذى نعرفـــه فى صنـــاعة ميزوبوتاميا منذ عهد بالغ القدم ، وصورة البطل الواقف بين اسدين تشير الى طراز سومرى حقيقى يرتدى ثوب معبود بابلى قديم ويضع على رأسه نفس مايضع المعبود ، ونحن ندين لفرانكفورت الذى استكملت بحوثه الرائعة عن هذه العلاقات الاجنبية بحوث غيره ، ندين له بجدول مفيد عن النقاط التى تتناول الارتباط بين الحضارتين(١) ، وهو يوافق على القول بان المظهر البابلى حين بلغ التشابه اقصاه كان فيما يطلق عليه « عصر جمدة نصر » وهو يقابل تقريبا بدء الأسرة الأولى فى مصر • واذن فان الكتابة الهيروغليفية ظهرت أول ما ظهرت فى مصر • وان كان يمكن ترسم خطاها فى ميزوبوتاميا قبل ذلك ، أما المقارنات فليست موضع تساؤل وهى تبدو أنها نمت نموا طبيعيا على الأرض البابلية ولكنها أجنبية على الروح والتراث المصريين • ومن أجل ذلك اختفت فعـــلا بعد بضـــعة قرون ، وللمقابر الكبرى من اللبن (انظر شكل ١٥) ذات الدخلات والخرجات التى ترجع الى الأسرات من الأولى الى الثالثة نظائر تسبقها من طرازها فى ميزوبوتاميا ، وكذلك الأمر بالنسبة للاختام الاسطوانية التى يمكن تحديد وصولها الى مصر قبل الأسرة الأولى • أما الحيوانات المركبة والاخرى المجنحة والنسور التى لها رءوس الافاعى فليست مصرية فى طبيعتها وهى قاصرة فى أغلب الأمر على اللوحات ومقابض السكاكين • اما الرقاب الملفوفة بعضها على بعض التى نراها فى لوحة نعرمر وبعض قطع أخرى فليس من شك فى أنهـا ميزوبوتامية الفكرة وان كانت مصرية التنفيذ والأمر كذلك بالنسبة للمجاميع المرتبة فى تباين مثل الرزاف على لوحة أخرى ومثل الأسود فى سكين جبـــل العرق •

فكيف يمكن تفسير هذا التأثير الميزوبوتامى من الناحية التاريخية؟ أيمكن أن ينظر اليه ببســـاطة كأنما هو استمرار لضغط ربما بدأ منذ

---

(١) A.J.S.L., LVIII, 355.

عصر عمرة ثم عجل به وضخم ؟ . اننا لاننوى هنا ان نناقش أقدم الارتباطات التى تجدها باومجارتل – مع غيرها من الباحثين – بين الفخار الايرانى ونظائره المعاصرة فى مصر من عصور ما قبل الأسرات ولكننا نقترح أن يكون الأمر ليس أقل من تسرب صناع ميزوبوتاميين الى مصر استطاعوا أن يكونوا مقدمة – قبيل الأسرة الأولى – لهذه التجديدات المعمارية والفنية الصارخة التى حددناها من قبل . ومن الواضح أن العلاقات التجارية غير المباشرة تكفى ، بينما نرى من ناحية أخرى أن غزوا فعليا أمر أكثر من ان نتقبله . واذن فعلينا أن نعترف بجهلنا بمثل هذه الأمور ، وألا نحاول أن نصدر حكما نقضى به بين أولئك الذين يدافعون عن وجهة نظر الوصول من البحر الأحمر الى وادى الحمامات ثم الى مدينة قفط(١) ، وأولئك الذين يميلون الى الطريق الشمالى من ناحية فلسطين(٢) ، ومع ذلك فانه يبدو انه لا بأس من القول بأننا نرى التأثير الميزوبوتامى الذى أمكن اثباته يكفى تماما لأن يشيع الحركة فى هذا التقدم السريع الذى خلق لمصر حضارة خاصة رائعة من أشكال وصور لم ترض أن تبتعد عنها كثيرا فيما بعد .

ولئن القينا نظرة عامة على عصر ماقبل الأسرات ككل فاننا نلقى عقبة خطيرة هى عدم قدرتنا على تحديد مداه ، وهى بالضبط نفس عدم القدرة التى دفعت بيترى الى اختراع طريقته المعروفة بـ « التوقيت المتتابع » ومع ذلك فانه لم يسعه هو وغيره الا ان يلقى بدلوه فى بئر الحدس والتخمين فيما يتصل بهذا الأمر ، ولعل أعلى افتراض هو ما يقدمه بيترى نفسه (٣) ، الذى يشير الى مخلفات الفيوم كأنما ترجع الى ٩٠٠٠ ق.م والبدارى الى ٧٤٧١ ق.م ومنيس الى ٤٣٢٦ ق.م ، ولقد أشرنا من قبل (صفحة٧٢) وما بعدها الى الأسباب التى تدعونا الى رفض التاريخ الأخير واعتباره مستحيلا، أما المكتشف العظيم. ريزنر(٤) فقد انتقل الى الطرف الآخر المضاد فلم يقدر لعصر ما قبل الأسرات أكثر من ١٠٠٠ سنة والمسألة هامة لأنها تثير مشكلة نوع الحياة الممكنة فى مختلف المراحل ، فلئن كانت

---

(١) Baumgartel متابعة ليترى فى صفحة ٤٤ من مؤلفهاورأيها فى الصفحة السابقة

(٢) Engelbach in Ann. Serv., XLII, 201 f.

(٣) The making of Egypt, p

(٤) The Development of the Egyptian Tomb, Cambridge, Harvard Univ. Press, 1936, p. 343

الأمطار الغزيرة لاتزال موسمية على الصحراء المتاخمة للنيل فان العصر النيوليتى - وربما حتى المرحلة التاسية - ظل يتطلع الى المرتفعات أكثر مما يهتم بوادى النيل وذلك بالنسبة لانتاج الحبوب ، ثم هناك المشكلة التى نلقاها من ناحية الوادى نفسه ، فكم استغرق من الزمن لينظم آثار الفيضان حتى يحول اقليما من غابة أو مستنقعات الى أرض تنبت حبوبا ؟ اننا نشير مؤكدين الى أمر واحد هو اننا نخطىء تماما اذا تخيلنا مظهر الوادى فى عصر ماقبل الأسرات بأنه كان يشبه مانشهده اليوم ، انه كان من غير شك اشبه بأعالى النيل فى السودان فى الوقت الحاضر بمستنقعاته التى تزخر بالبردى وتبتلى بالتماسيح كما أنها مأوى لكل المخلوقات الوحشية من مختلف الأنواع وحين استحدثت عمليات الصرف ازدادت الأرض الزراعية وتناقصت مناطق المستنقعات وأصبحت قاصرة على حافة الصحراء - كما هاجرت الحيوانات تدريجيا الى الجنوب ومعها البردى واللوتس ، وليس هناك تحت ايدينا على أية حال ما يمكننا من ان نتتبع هذا التطور خطوة خطوة .

د

مراجع مختارة

ماقبل التاريخ :

من بين التراث الضخم بين ايدينا لا نستطيع الا ان نقدم احدث ما كتب فى هذا الميدان وآخر ما نشره السير فلندرز بيترى عن نتائج بحوثه النهائية نلتقى به فى كتاب

The Making of Egypt, **London,** 1939

وهناك كتاب اعيد طبعه ل

E. J. Baumgartel هو The Cultures of Prehistoric Egypt, **Oxford,** 1955

وبالفرنسية :

E. Massoulard, Préhistoire et Protohistoire d'Egypte, **Paris,** 1939

J. Vandier, Manuel d'archéologie égyptienne vol. I, Paris, 1952

C. Bachatly, Bibliographie de la préhistoire égyptienne (1869-1938), **Cairo,** 1942

ومن بين مساعدى « بيترى » الذين اسهمت الحفائر التى أجروها فى زيادة معلوماتها نخص بالذكر **G. Brunton** **G. A. Wainwright**

ومن الحفارين الألمان **A. Scharff, H. Junker**

جيولوجيا :

J. Ball, Contributions to the Geography of Egypt, **Cairo,** 1939, ch. II

وبالنسبة للمستويات انظر op. cit. ch. III واما عن الجازات
K. S. Sandford and W. J. Arkell

فراجع **ibid., p. 41 n.,** ، واما عن بحوث **Miss Caton Thompson** and **Miss Gardner**

فانظر op. cit. pp. 184-6

مرمدة بنى سلامة :

انظر تقارير « هرمان يونكر » التى أشار اليها « بشتل » op. cit., pp. 33-34

وعن الملخص والمناقشة راجع **Vandier,** op. cit. I. 95 ff.

واما عن راى Baumgartel المتعارض فيمكن الرجوع الى op. cit. pp. 14 ff. ; 120 ff.

دير تاسا :

G. Brunton, Mostgeddu and the Tasian Culture, London, 1937
Vandier, op. cit. I, 167 ff.

البداري :

G. Brunton, Qau and Badari, 3 vols. London, 1927-30.
Brunton & Caton Thompson, The Badarian Civilisation, London, 1928
Vandier, op. cit. F, 191 ff.

لوحات الاردواز (النماذج المبكرة)

W. M. F. Petrie, Prehistoric Egypt Corpus, London 1921, Pts. 52-59

(النماذج المتأخرة الزخرفية)

Petric, Ceremonial Slate Palettes, London, 1953

الاختلاف الجثماني بين الشماليين والجنوبيين : D. E. Derry وقد ناقشه Vandier
في ميدان ما عثر عليه في op. cit. I. 11-13

١٥ الأسرتان الأوليان لدى مانيتو

خاتمة

استطاعت الأعوام الخالدة والتي منحت علماء الدراسات المصرية أول لمحة عن عصر ماقبل الأسرات ان تضعهم كذلك وجها لوجه أمام أوائل الأسرات للمرة الأولى وكان السبق في هذا الميدان ل « أملينو » وهو عالم فى الدراسات القبطية لم تكن له خبرة سابقة بأعمال الحفر ، واستطاع عن طريق اعتمادات خاصة أن يبدأ عمليات الحفر في ابيدوس عام ١٨٩٥ واتجه في عمله الى ناحية الغرب حتى وصل الى منخفض فى الصحراء يعرف بأم العقاب (أم الأوانى) الذى سمى كذلك لكثرة ما يغطى سطحه من الخاف لا حصر له(١) ـ وفى هذه البقعة النائية على مسافة ميل من الأرض الزراعية وصل الى مجموعة من حفر المقابر المبنية باللبن والتى ثبت بعد ذلك أنهـا تخص ملوك الأسرتين : الأولى والثـانية وكان عدتها طبقـا لحصره ست عشرة مقبرة وكانت ـ كما رأى ـ تحمل أسماء ملكية كلها من طراز اللقب الحوريسى (صفحة ٦٨ـ٦٩) ولم يكن بينها وحد يقارب الأسماء التى قدمها مانيتو أو جاءت بقوائم الملوك وقد انتهى من وراء ذلك بطبيعة الحال الى القول بأن ملوكه الجدد هم « اتباع حورس » الذين تضعهم بردية تورين للملوك كاسلاف ل ـ مينيس والذين يصفهم مانيتو بأنهم انصاف آلهة أو « مانيس » وسرعان مانحت هذا الخطأ دراسات أدق لعلماء نابهين فى اللغة ولقد أجريت حفائر املينو اجراء رديئا وكان ما نشر عنها سيئا كذلك ومن حسن الحظ أن تمكن بيترى عام ١٨٩٩ من الحصول على حق الكشف ثانية عن هذه المنطقة وقد أمكن نشر النتائج الرائعة لهذه الحفائر فى عدة مقالات عنيت بنشرها على التوالى فى سرعة نموذجية جماعة Egypt Exploration Fund ومن سوء الحظ ان الجبانة كانت

---

(١) P.M., V, 78 ff.

قد تعرضت قبل املينو بزمن طويل لعملية نهب محزنة مما زاد الارتباك • وينسب حرق الاخشاب التى تحدد جوانب المقابر وكذا القطع الكثيرة المهشمة الى اقباط القرن الخامس أو السادس • ومع ذلك فانه رغم هذه الصعاب جميعا استطاع بيترى الى جانب عمل تخطيط للمقابر ان يرفع كمية كبيرة جدا من القطع الهامة بما فيها أوان حجرية عليها كتابات وكذا أختام جرار وألواح من الابنوس والعاج وكذا لوحات ذات حجم كبير نقشت نقشا رائعا •

وفى الوقت نفسه عكف الدارسون فى أوربا على معالجة الكتابات التى عثر عليها املينو ، وكان جريفث(١) فى انجلترا وزيته فى ألمانيا من بين أول من أدركوا أنهم أمام بقايا الأسرتين : الأولى والثانية لدى مانيتو • وهناك مقال كبير القيمة جدا نشره زيته(٢) (١٨٩٧) اثار الانتباه بخاصة الى حقيقة انه فى بعض الحالات يصحب اللقب الحوريسى للملك كنية أخرى يسبقها لقب مصر العليا والسفلى أو يلحق بهذه الكنية « لقب السيدتين » (صفحة ٦٨) وان هذه الكنيات الثانوية هى التى تقابل ما جاء فى قوائم الملوك من عهد الرعامسة وكذا لدى مانيتو • وقد تعرضت هذه الكنيات الثانوية بطبيعة الحال الى بعض التحوير بمرور الزمن ومع ذلك فانه لم يكن من العسير ادراك هذا التفاوت • وهكذا فان اوسافيس الذى يجعل منه مانيتو خامس ملوك الأسرة الأولى يمكن تتبعه حتى نصل الى مجموعة هيروغليفية قد تقرأ « زمتى » ، بينما سادس الملوك لدى مانيتو وهو ميبيس كما يكتب أصلا من غير شك « مربى بيا » ، واما السابع وهو « سممبسس » لدى مانيتو فيبدو فى هيئة كهنوتية تمسك عصا فى أم القعاب كما يمسك صولجانا فى قائمة ملوك أبيدوس(٣) فبينما نجد ثامن ملوك الأسرة ، وآخرهم يستخدم « قاعا » كلقب حورسى وأحيانا كاسم شخصى ويختفى فى قائمة أبيدوس وفى بردية تورين بطريقة أمكن الكشف عنها تحت اسم قبح • وقد أمكن التمست لحسن الحظ من التتابع التاريخى لهؤلاء الملوك الأربعة عن طريق اناءين حجريين منقوشين كشف عنهما بعد ذلك بعدة سنوات(٤) وانا ننتهز هذه الفرصة

---

(١) فى Petrie, Royal Tombs انظر المراجع فى نهاية الفصل

(٢) Z.A.S., XXXV, I, ff.

(٣) Ann. Serv. XLIX, 284 ff.

(٤) C.M. Firth, J.E. Quibell, The Step Pyramid, Cairo, 1935, Pls. 88., I; 105. 3

لنشير الى أن نقل الهيروغليفية الخاصة بهذه العصور البعيدة أمر بالغ الصعوبة حتى لنجد الكثير من الأسماء يتناولها مختلف الباحثين بصور متباينة كما سيتضح من لقبين حوريسيين من عهد الأسرة الأولى • فاللقب الذى يخص رابع ملوك الاسرة يقرؤه بيترى كأنما هو « زت » مما يجعل صاحبه كما هو واضح هنا يتساوى بالآلهة الصل التى ربما كان نطق اسمها أقرب الى ادجو منه الى وادجى كما يرى البعض ، ومن ناحية أخرى فلو كان خامس الملوك لدى بيترى وهو « دن » يشير اليه زيته — ويوافقه جمهرة من الباحثين على ذلك — كأنما هو « اوديمو » ، ومعناها « ساكب الماء » فان ذلك يرجع الى ان هذا أمر نظرى وربما كان من الخير الاحتفاظ بالقيمة المتعارف عليها لهاتين العلامتين الهيروغليفيتين اللتين يكتب بهما الاسم •

اما المشاكل المتصلة بالملوك الاربعة الاولين فى الأسرة الأولى وعلى رأسهم مينيس فحلها أقل يسرا وهى تتطلب بعض النظر أكثر مما اكتفينا به بالنسبة للأربعة الأخيرين ومن ثم فانه من المرغوب فيه ان نشير هنا الى بعض ما جاء خاصا بالحفائر السابقة لحفائر بيترى الحاسمة فى أبيدوس • ففى عام ١٨٩٧ كان كويبل شريك بيترى يحفر فى الكاب وهو موقع هام على الضفة الشرقية الى شمال ادفو حيث الالهة المحلية العقاب « نخبة » التى اسهمت مع الكوبرا « ادجو » من بوتو فى الدلتا فى شرف منح الملك لقبه المعروف ، لقب « السيدتين » وكان من المتوقع بالنسبة لعراقة وقدم هذا اللقب أن يعثر هناك على أشياء هامة ولكن النتائج التى وصل اليها كويبل كانت ميئسة ، ومع ذلك فان النجاح الذى كان ينتظره فى العام التالى فى الكوم الأحمر الذى يقع مقابلها عبر النهر تقريبا كان نجاحا مثيرا • وكان من المعروف ان هذا الموقع هو الذى يقابل نخن القديمة التى ورد ذكرها فى القاب عدد من موظفى الدولة القديمة وهو المعروف لدى اليونان باسم هيراقونبوليس بسبب الاله الباشق حورس الذى كان المعبود الرئيسى هناك • وكانت مكافأة البحث اللوحة الاردوازية للملك نعرمر التى تردد ذكرها كثيرا فى الفصل السابق والمصورة فى شكلى ٢١ ، ٢٢ • وان الأمر لايحتاج الا لقليل من الفطنة لندرك ان هذه القطعة هى حلقة تصل بغير منازع بين أواخر عصر ماقبل الأسرات وأوائل عصر الأسرات — فى فنها ورسومها ، والموضوعات التى تتناولها تشير فى وضوح الى أنها آخر مثال لمجموعة اللوحات المعروفة للقارىء الآن ، ومن ناحية أخرى نجد ان اللقب الحوريسى نعرمر سرعان مايظهر كذلك فى أم القعاب •• ولكن قبل ان نتمادى فى الحديث عن

نعرمر — وقراءة الكلمة ليست مؤكدة تماما —(١) يجب ان نشير الى بعض النقوش الذى تتناول ملكا اسبق يجب أن نشير اليه ب « الملك العقرب » مادامت تنقصنا أية مماثلة نطقية . وليس لدينا من آثاره سوى تقدمات نذرية عثر عليهـا في معبـد هيراقونبوليس وذلك بالاضافة الى اشارات مبهمة على اناء من طره(٢) من الحجر الجيرى الصلب عليها مناظر بالنقش البارز . والمنظر الرئيسى منظر احتفالات كما هى الحال بالنسبة للقطع التى تخلد ذكريات احداث الأسرة الأولى يرى الملك فى وسط المنظر وهو يمسك فأسا بكلتا يديه ويرتدى نقبة مربوطة الى أعلى كتفه الأيسر ويتدلى من الزنار ذيل ثور وهو من الخصائص المعروفة للملكية . وعلى رأسه تاج مصر العليا وتعد الرسوم العلوية من أكثر الأشياء أهمية من الناحية التاريخية ويبدو فيها موكب من الالوية الحربية تعلوها شـعارات الأقاليم أو المقاطعات المختلفة ومن بينها رمز « مين » وحيوان « ست » وقد علق طائر الزقزاق معلقـا من عنقه بحبل يدور حوله ، ميتا أو يبـدو كميت (شكل ١٢) .



شكل ١٢ — الأقاليم تقبض على طيور النباح

(١) Ann. Serv. XLIX, 217 ff., 547.

(٢) Junker, Turah. p. 7

ويواجهها فى الناحية المضادة موكب من الالوية ذات الاقواس التى تتصل بها بالطريقة نفسها ولكن ليس من بينها سوى لواء واحد كامل ٠٠ والمعنى العام واضح : فالملك عقرب زعم انتصاره على الاقواس التسعة أى الشعوب المختلفة فى مصر وعلى حدودها وكذا على جانب من سكان مصر يتردد ذكره فيما بعد كثيرا وهم المعروفون بال « ارخيه » أو « قوم الزقزاق » الذين يرى فيهم جمهرة علمــاء الدراسات المصرية سكان الدلتا الذين تم اخضاعهم ، وان مما له دلالة على أية حال هو انه رغم اتساع تطاق الانتصارات التى يفاخر بها العقرب فانه لايزعم انه كان ملكا على مصر الموحدة وقد احتفظ بهذا الشرف ل نعرمر الذى يلبس التاج الأبيض لمصر العليا على أحد وجهى لوحته ، بينما نراه على الوجه الآخر ، وكذا على رأس دبوس له نفس الأهمية ، يضع التاج الأحمر لمصر السفلى ومن الواضح انه كان أول ملك مصرى يفعل ذلك ٠ ومما له قيمة كبرى تلك الحقيقة التى تجعل من نعرمر نفس شخصية مينيس ولسنا بحاجة الى التعليق فى افاضة كبيرة على المناظر التى تفسر نفسها الى حد كبــير ومع ذلك فهناك ظاهرتان باللوحة ، لهما من الأهمية ما يجعلنا لانستطيع ان نمر عليهما دون تعليق فالى يمين صورة نعرمر ذى الذراع المرفوعة ليضرب عدوه الذى يمسك بناصيته توجــد مجموعة سحرية من الرموز مرتبطة بعضها ببعض ككل ٠ ومن الواضح انه — حتى هذه المرحلة — لم يكن العلماء فى البلاد قد طوروا بعد قوة كتابة جمل كاملة وكان أقصى ما يفعلون هو عرض مجموعة من الصور يستطيع المشاهد ان يترجمها الى كلمات ٠ ومن الواضح ان صقر حورس يمثل نعرمر وليس الحبل المتصل برأس عدو ملتح وتمسك به يد الصقر بحاجة الى تعليق ٠ أما الشيء الذى يشــبه المســند وتبرز منه رأس السجين فمن الواضح انه يمثل موطنه الأصلى : واما نباتات البردى الستة التى تبدو نامية فتمثل مصر السفلى الذى يعتبر البردى رمزا لها ٠ وهكذا فان المجموعة كلها تعنى ان «الاله الصقر حوريس (أى نعرمر) يقود أسيرا من سكان أرض البردى » وربما لا يبدو غريبا أن نترجم الرســم الذى يشغل وسط الوجه الخلفى كانما يرمز الى اتحاد نصفى مصر فالحيوانان الســنوريان برقبتيهما الطويلتين يبــدوان كانما يصــدهما عن محاربة بعضهما رجل ملتح فى كل من الناحيتين ٠ ويشاهد نعرمر الى أعلى كملك

على مصر السفلى وهو يستعرض ثمار نصره فأمامه ألوية حلفائه ثم سفينة يبدو أنها جاءت به الى المكان الذى لايزال يرى فيه أعـداءه ممددين على الأرض بعد أن قطعت رءوسهم ٠ ويمكن أن تفهم هذه اللوحة النذرية التى أجيد تصويرها وتنفيذها بأنها تخلد تخليدا صادقا الاحداث نفسها التى قامت عليها شهرة مينيس كمؤسس للملكية الفرعونية ٠

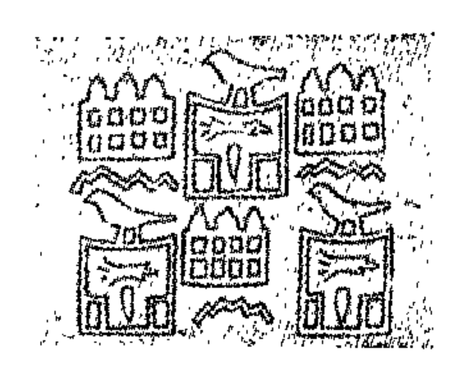
ومع ذلك فان حقيقة شـخصية مينيس لا تزال موضوع نقاش بين الباحثين وليس من نافلة القول ان نسـتعرض الحجج التى يدلى بهـا أصحاب النظريات المختلفة ٠ فمن بين أختام الجرار التى عثر عليها فى أم القعاب واحد يحمل علامات دون أن يسبقها قب وقد عثر عليه مجاورا للقب نعرمر الحوريسى(١) وقد اتخذ هـذا كدليل على أن نعرمر ومينيس يعدان شخصية واحدة ٠ والأمر نفسه ــ نلقاه ينطبق كذلك على حورس جر وحورس ادجو (وهو زت، الملك الثعبان لدى بيترى) بالنسبة للملكين المعروفين تحت اسمى ايتى وايتا فى قائمة ابيدوس ، ولكن من سوء الحظ ــ كما يشير الى ذلك جريفث وزيته ــ ان مثـل هذا الدليل يقدم لنا نقبين واضحين لحورس مما لا نجد أيا منهما فى قوائم الملوك ٠٠ وهناك اعتراضات أخرى من النوع نفسه ، وتبعا لهذا فان مثل هذا المعيار عديم القيمة وان كان استبعاده لا يثبت أن نعرمر ليس هو مينيس ٠ ولعل من أهم ما عثر عليه لوحة من العاج تقدم صورة لها فى شكل ١٤ (٢) ٠ وقد عثر عليها دى‌مورجان فى‌عام ١٨٩٧ فى‌مقبرة ضخمة ذات‌دخلات وخرجات فى نقادة فى المنطقة التى أجرى بها فلندرز بيترى من قبل كشوفه عن عصر ماقبل التاريخ٠وليس هناك مجال للشك فى طبيعة هذه القطعة فهى بطاقة قصد بها أن تشير الى تاريخ ومحتويات اناء كانت معلقة به ٠ ويرى فى وسط الصف العلوى الاسم الحوريسى للملك عحا (المحارب) الذى نلتقى

(١) R.T., II, pl. 3, 19

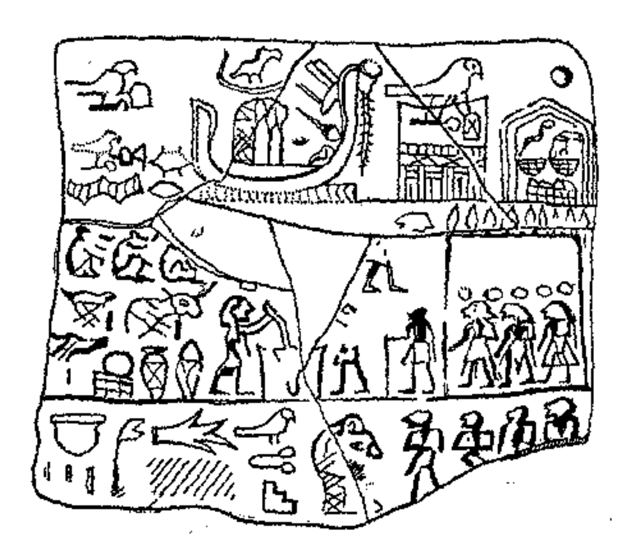
(٢) Petrie, Royal Tombs; II, 13, 93 وانظر كذلك شكل ١٣
Ann. Serv. XXXIII, pls, 1, 2 كما ترى هنا بما عثر على اجزاء منها فيما بعد
P.M., V, 118,

به كذلك على اختــام جرار في المقبرة وفي عــدة أماكن أخرى · وتوجد خلف ال «سرخ» (صفحة ٦٩) سفينة كان يفترض من غير شك أن يسافر عليها الملك · وترى في المقدمة مجموعة من الكتابات الهيروغليفية داخل ما يشبه الكشك أو الجوسق وقد ركزت حول هذه المجموعة مختلف آراء الباحثين · وليس الأمر موضع نقاش فيما يتصل بالعقاب والصل فوق العــلامتين على شكل السلة فهما يكونان معــا لقب « السيدتين » الذى ـ كما شهدنا من قبل ـ كان يستخدم لتقديم الأسماء الشخصية لملوك الأسرة الأولى وليس من الحــكمة أن ننكر ـ كمــا فعــل عــدد كبير من الباحثين ـ ان الكلمة الهيروغليفية المرسومة تحتهما هى رقعة الداما التى تقرأ «من» ، أو أنها تشير الى الاسم الشخصى لـ «مينيس» ·

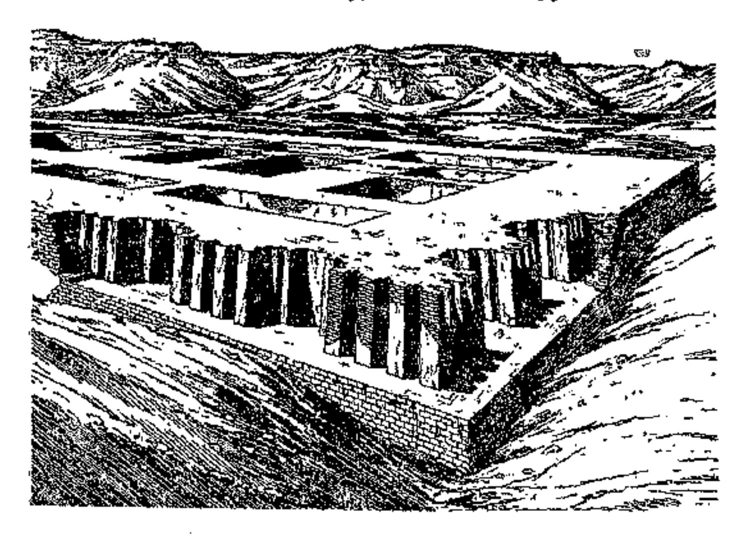
وكان بورخارت أول من أدرك هــذه الحقيقة الأخيرة ولكنــه قفز للأسف الى الخاتمة بأن زعم بأن عحا ومينيس يعنيان شيئا واحدا ،وهى وجهة نظر وافق عليها زيته كذلك وكنتيجة لهذا اعتبر مقبرة نقاده مقبرة لـ « مينيس » نفسه · ولكن هناك اعتراضين خطيرين على هذا التفسير : فهو أولا يتجاهل المبنى على شكل الجوســق الذى كتب بداخله اســـم مينيس ، وهو ثانيــا يضرب صــفحا عن حقيقة صارخة هى أن اللقب بالهيروغليفية للسيدتين يواجه ناحية اليمين، بينما القاعدة العامة دائما هى



شكل ١٣ ـ الختام يفترض انها للملك « مينس »



شكل ١٤ ـ لوحة مرحمة تحمل اسم « مينس »
(حوليات مصلحة الآثار ـ الجزء ٣٣ ، لوحات ١ ، ٢)



شكل ١٥ ـ تكسية التجاويف في المقبرة الكبرى في نقادة

أن يواجه لقب حورس واسم الملك الشخصى احدهما الآخر • ويضاف الى هذين الاعتراضين اعتبار آخر هو أن السجل العلوى يجب أن يخلد حادثا بارزا يمكن من ورائه تذكر السنة التى تم فيها صنع اللوحة ، وهنا يجب أن نشير فى الختام بأن عحا يرى وهو يزور مكانا له صلة ب « مينيس » ويشير « جردسلوف » (١) الذى ينسب اليه فضل الاصرار على هذه الأمور متابعا فى ذلك افتراضات نيوبرى فقرة فى متون الاهرام يوصف فيها الملك وهو يشيد المبانى المؤقتة المطلوبة من أجل جنازة ملكية •• وربما كان هذا هو الاحتفال الفعلى الذى يوصف فى هذه اللوحة • ونستطيع هنا – اذن – رغم عدم وجود دليل على أن نعرمر هو مينيس – أن نؤكد أن مينيس ليس هو عحا ولكنه كان سلفا له• والاختيار قائم من غير شك بين نعرمر وعحا اللذين يشترك لقبهما الحوريسيان فى خاصية ابراز الصقر فى صورة جاثمة وكان يستقر عادة فوق قاعدة مقعرة تشبه القارب، بينما يرسم الصقر لدى ملوك الأسرة الأولى بعد ذلك واقفا فوق خط مستو هو قمة أل « سرخ » وهناك حجة أخرى تدعو الى استبعاد افتراض كون عحا هو مينيس ذلك انهما لو كانا شخصية واحدة فاننا كنا نتوقع أن نجد عحا مذكورا فى هيراقونبوليس ، بينما لا نجد له فى الواقع أثرا هنا • ونستطيع أن نشير هنا كذلك اشارة عابرة الى ملك غامض يدعى (كا) نلتقى بلقبه الحوريسى فى أم القعاب وفى أماكن أخرى قليلة وهو يكتب بالصيغة الاركيه التى أشرنا اليها ولكن أحدا لم يحاول الاشارة اليه فى الأمر الذى نناقشه هنا •• ولذا فمن الآمن أن نصرف النظر عن مثل هذا الافتراض •

ان الاجماع الذى تلقاه الفكرة التى ينادى بها المحدثون من المؤرخين من أن مينيس هو أول الفراعنة يلقى تأكيدا فعلا من حجر بالرمو المشهور (صفحة ٨٠) فالصف العلوى من الصدر يقدم الأسماء المكتوبة الغريبة الشكل لعدد من الملوك ليس لدى صاحب الحوليات من بيانات أخرى عنهم • وليس من شك فى أن الصف الثانى يبدأ بـ « مينيس » وان كانت الناحية التى ذكر بها مفقودة • والمشابهة الموجودة بالنسبة لملكين آخرين من الأسرة الأولى والمسجلة فى القطعة الكبيرة بمتحف القاهرة يجعل من المؤكد تقريبا القول بأن اسميه : الحوريسى والشخص ، كانا موجودين مصحوبين كما يبدو كذلك باسم أمه • أما خانات السنين أسفل العنوان

---

(١) Ann. Serv., XLIV, 279 ff.

فتشير فى كل عام من أعوام حكمه الى أهم حدث تم بها وان كان يغلب أن صاحب هذه الأخبار ربما لجأ الى الخيال حين كان يتحدث عن هذه العصور المعنة فى القدم • وانه ليبدو مما يثير الانتباه أن نعرف ان كان قد ذكر أمر توحيد الأرضين صراحة فهذا كان على أية حال الاجراء الحاسم فى أعين المصريين ، ذلك الاجراء الذى حدد أول التاريخ الانسانى ، وانا لنجد له ذكرا فى الكلمات « توحيد مصر العليا والسفلى ، الطواف حول الجدران » الذى يميز فى حجر بالرمو وغيره العام الاول لحكم كل ملك ، وكان هذا يشير فى جلاء الى الاحتفال الذى يؤكد شرعيته كخلف لمؤسس أسرته • واما الجدران المشار اليها هنا فهى حوائط منف التى ينسب هيرودوت تأسيسها الى مينيس (٢ : ٩٢) والتى يشير اليها ديودور كذلك (١ : ٥٠) مع بعض الاضطراب • وهناك كذلك حجر رشيد الذى يشير الى منف ويتحدث عن الاحتفالات المعتادة التى يقوم بها الملك حين يتسلم وظيفته الكبيرة • وهكذا فان انتقال المقر الملكى من مكان ما فى الجنوب الى هذا المركز الممتاز من ناحية الموقع عند رأس الدلتا يجب أن ينظر اليه كمناسبة مباشرة لارساء دعائم المملكة المزدوجة • وقد ناقش زيته الأعمال الهامة التى نسبها هيرودوت الى مينيس بكثير من البراعة وهى عبارة عن انشاء جسر ضخم يحمى منف من غائلة الفيضان وكذا بناء معبد بتاح الى جنوب الأسوار المحصنة ويؤكد هذا الأمر الأخير لوحة من الأسرة التاسعة عشرة تشير الى بتاح مينيس (١) وهناك حقائق أخرى لا يمكن احصاؤها هنا تربط ما بين مينيس ومنف •

أما أهمية هذه المدينة العظمى فى عهد الأسرة الأولى فقد ضغط عليها عن طريق الحفائر التى اجريت عند طرف الصحراء الغربية على مبعدة ثلاثة أميال الى الشمال ، فالصف الطويل من المساطب من اللبن التى اخذ ر• ب• ايمرى فى الكشف عنها منذ عام ١٩٣٥ تختلف عن نظائرها التى كشف عنها بيترى فى ابيدوس بسبب تعقيدها الكبير وهى تكاد تبلغ ضعفها من ناحية الحجم •

ويشير تكوينها ـ كما تبين الرسوم وكذا ما عثر عليه بها ـ الى أنها تخص الأسرة الأولى ، واقدم تاريخ لها يرجع الى عهد عحا • ونستطيع أن نلاحظ تطورا سريعا لم يتناول على أية حال الخصائص الرئيسية • ويضم المستطيل الكبير المصنوع من اللبن الذى تظهر به خصائص تكسية واجهة

(١) Z.A.S., XXX, 43 ff.

القصر (شكل ١٥) من الخارج عددا من المخازن المستطيلة التى صنعت مماثلة حول حجرة دفن تبلغ ضعف مساحتها كانت تعمق بمرور الزمن ويستطاع الوصول اليها الآن عن طريق درج يبدأ عند ، أو بالقرب من ، السور • وفى أقدم ماتشهده من أمثلة لا نجد ما يصل بين الغرف وبعضها بعضا مما يشير الى أن محتوياتها كانت تخزن بها قبل أن يشيد المبنى العلوى • وفى النهاية تختفى الغرف ويحل محلها غرفة دفن أكبر حجما(١) وهناك أرضيات وسقوف خشبية كما أن هناك ما يشير الى استخدام الأحجار وقد ظهرت على الجدران أحيانا بعض الرسوم الهندسية الملونة •

ولعل الناحية الهامة بالنسبة للمؤرخ هى تشابه المخلفات فى جزئى البلاد • ان هناك حقا بعض الاختلافات بين الشمال والجنوب ولعل أكبرها هو عدم وجود التقاسيم المميزة لواجهة القصر فى ابيدوس وان كنا نجدها فى المقبرة الكبيرة بنقادة • ويلاحظ اختلاف كبير من الناحيتين بين مقبرة ومقبرة • واما من الناحية الأثرية فان التشابه يكاد يصل الى حد التماثل والأمر كذلك من ناحيـة الأثاث والأوانى الحجريـة والأدوات واللوحات أو البطاقات المستخدمة لتسجيل التاريخ • والتشـابه واضح بخاصة فى أختام الجرار ؛ اذ أن نفس الرسوم والتركيبات الهيروغليفية موجودة فى كل من منف وابيدوس ، ولسنا نطمع فى دليل على قيام الوحدة فى البلاد• وهناك ما يدل كذلك على عادات مشابهة تنحو الى تأييد الارتباط بالحضارة الميزوبوتامية التى تناولناها فى الفصـل السـابق • وتحيط بالكثير من المقابر الكبرى صفوف طويلة من غرف الدفن يجاور بعضها بعضا وتنهض محتوياتها دليلا على تضحية الخدم أو غيرهم من المخلوقات الحية ليصحبوا سيدهم فى العالم الآخر • وفى احدى المقابر التى كشف عنها ايمرى فى شمال سقارة ــ وهى تنسب الى ملكة تدعى مرت نيت ، وان كان الدليل واهيا ــ عثر على هياكل عظمية لذكور بالغين موسدين القرفصاء ووجوهم جميعا الى ناحية واحـدة ولعل من الطريف أن ننقل بالنص كلمـات المكتشف (٢) :

«•• لم يلاحظ وجود أثر للعنف على البقايا التشريحية• ولايشير وضع الهياكل بأية حال الى وجود حركة بعد الدفن ومن ثم فانه يبدو من المحتمل

---

(١) راجع الرسوم التخطيطية فى Emery, Great Tombs (p. 428), I, pp. 2-18; II, pls. 1, 2, III, pl. 2

(٢) Op. cit., II, 142

انه حين تم دفن هؤلاء الأفراد فان ذلك حدث بعد موتهم وليس هناك ما يشير الى دفنهم أحياء وعدم وجود آثار للعنف يوحى بأنهم قتلوا بالسم قبل الدفن ٠

ويتابع ايمرى القول بأن القطع التى عثر عليها فى هذه المقابر السليمة توحى بقيام حرف محددة وهو يشير فى احدى المناسبات الى وجود نماذج لقوارب ، كما يشير فى حالة أخرى الى وجود أزميل نحاسى فى اناء من المرمر ٠ أما فى أبيدوس فان ما يقابل هذه القبور الفرعية يحوى لوحات غير مصقولة بها أسماء للأشخاص تصحبها أحيانا علامات هيروغليفية للدلالة على الجنس والحالة ٠٠٠ وما الى ذلك ٠ وكثرة شاغليها من النساء وبعضهن من سبايا الحروب وهناك أحيانا العديد من الأقزام وكذا قلة من الكلاب وهناك لقب يتردد كثيرا على اختام الجرار يبدو انه يشير الى ان بعض المدفونين كانوا من طبقة أعلى من طبقة الخدم وفى احدى الحالات (١) التى نجد لها مثيلا أكثر دلالة كذلك لدى ايمرى (٢) نلاحظ أن اللوحة الكبيرة فى الحالتين ــ وهما مؤرختان من عهد الملك قاعا ــ سجلت بها ألقاب يبدو أنها تخص شخصية لها وزن أكبر ٠

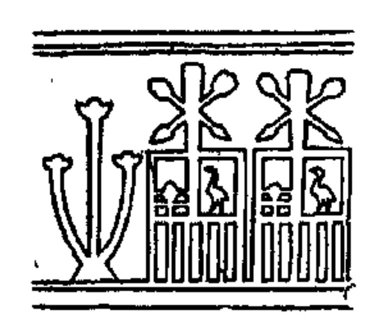
وأمام مثل هذه المعلومات عمن كانوا لا يزيدون عن أتباع فى معظم الأمر نرى الحنق يحتوينا حين تصبح معلوماتنا ضئيلة بالنسبة لأولئك الذين ضحى هؤلاء بحياتهم فى سبيلهم ٠ فليست هناك واحدة من غرف الدفن المركزية فى المساطب الكبيرى الا جردت من شاغلها الأصلى ولم يبق بها سوى أختام جرار أو بعض نقوش على الجرار وما أشبه ذلك مما نتخذه أساسا لافتراضاتنا ٠ ورغم الاثارة العميقة التى توحى بها مكتشفات أيمرى الا أنه ثبت كذلك انها لا تقوم على أساس قوى تماما ٠ ذلك أن كشوف أبيدوس استطاعت أن تقنع الباحثين بالعثور على أماكن الدفن الحقيقية لأوائل الفراعين وقد بدا تأكيد هذا عن طريق الدليل المستقى من مانيتو من ان الأسرتين : الأولى والثانية من أصل ثينى، وكانت المدينة المصرية ثينة من المواقع القريبة من أبيدوس ولكن ضخامة وفخامة المقابر الممفية أثارت الشكوك فى أن المقابر الحقيقية للعصر مكانها هنا ، وزاد الأمر تعقيدا وجود مصاطب منعزلة أخرى ليست أقل أهمية ــ ترجع

---

(١) Petrie, Royal Tombs I, pl. 30

(٢) Emery, Op. cit., III, pl. 39

الى العصر نفسه ، فى طرخان على بعد بضعة أميال الى جنوب اللشت ، وفى الجيزة ثم أبعد من ذلك شمالا فى أبو رواش . أفمن الممكن ألا تكون هذه فعلا الا مقابر نبلاء يفوقون من ناحية الفخامة سادتهم الذين كانوا لهم بمثابة الموالى ؟ لقد كانت هذه هى الانطباعة الأولى الواضحة التى انبثقت عند الكشف عن « مسطبة بواجهة قصر » ضخمة فى شمال سقارة كانت فاتحة للكشف عن مجموعة المقابر . وقد نسب ايمرى هذه المسطبة الى رجل من رجال الادارة الاقليمية يدعى « حماكا » بفضل ما عثر عليه بها من كثير من ختام الجرار ومع ذلك فان الـ « حورس دن » خامس ملوك الأسرة الأولى أمكن تمييزه كذلك على أختام الجرار التى تشير كذلك الى « حامل ختم ملك مصر السفلى » الذى يحمل اسما يدخل فى تركيبه اسم الالهه نيث . ولقد عثر كذلك على حماكا مرتبطا بالملك « دن » فى أبيدوس . ومن ثم فانه ليست هناك شبهة من شك فى أهميته ولكن لنا أن نجزم هنا بأن أختام الجرار عديمة الجدوى فى أغلب الأمر من ناحية كونها دليلا على ملكية المقبرة فلئن كانت لها هذه الدلالة ــ كما يحدث غالبا ــ فانها حين تشير الى اسم الملك . تصبح دليلا على التاريخ . ولتوضيح ذلك علينا أن نتذكر مقبرة نقاده التى عثر بها على لوحة مينيس (صفحة ٤٣٦ ومابعدها) وهى مقبرة أصغر من المقبرة التى تنسب الى حماكا ولكنها أكبر من ثلاثة أمثال أضخم المقابر الملكية المزعومة فى أبيدوس . ومقبرة أبيدوس التى يشك بيترى فى نسبتها الى الملك عحا عبارة عن غرفة مفردة قليلة الأهمية لا يكاد تصدق انها له . وأختام حورس ــ عحا فى نقادة عديدة ونرى الـ « سرخ » يوجد وحده أحيانا ، وتصحبه فى أحيان أخرى العلامة الهيروغليقية لـ « حت » وأحيانا ثالثة نجد معه ثلاثة طيور متماثلة وما دامت هذه الطيور لا توجد الا على عدد من الأوانى الحجرية فان الافتراض قام على أساس انها تقدم اسم أحد النبلاء الذى هو صاحب المقبرة ... ولكن ... هناك اثنان آخران مرشحان لهذه الملكية : أولهما عحا نفسه وثانيهما الملكة نيت حتبو ، وقد كتب اسم الملكة بطريقة بالغة الطرافة فقد وضعت كلمة ، « حتبو » داخل « سرخ » ويعلوها السهمان المتقاطعان وهما طريقة التعبير الأركية لكتابة اسم نيث الهه مدينة سايس فى مصر السفلى (شكل ١٦) . والمشابهة تامة مع لقب حورس الفرعونى ولكننا حين نجد فى كل من أبيدوس وسقارة اسم ملكة أخرى ، أو أميرة ، هى مرنيت وكذا مقطع ــ « نيث » فى أبيدوس فى أسماء بعض الاماء المضحيات فان الافتراض المعقول عندئذ هو أن العلاقات الدبلوماسية كانت قد تمت بين السيدات الملكيات من سايس وبين الملك الغازى من مصر العليا وليس من شك فى أن ملكة المستقبل



شكل ١٦ سرخ الملكة حتبو

قد صحبتها نساء أخريات كمحظيات فليس من غير المحتمل تبعا لذلك أن تكون مقبرة نقادة هي مقبرة زوجة عحا ... ومع ذلك فلم اختيرت لدفنها هذه البقعة البعيدة ؟ واما افتراض كون المقبرة ل « عحا » نفسه كما ظن في أول الأمر حين فكر في أن عحا هو مينيس فانه أمر يبدو غير مقبول بعد أن كشف ايمرى في سقارة عن مقبرة فسيحة ضخمة تشير أختام الجرار بها في معظم الأمر الى اسم « حورس عحا » وحده أو مصحوبا بالعلامة سالفة الذكر « حت » أو بكلمات هيروغليفية يبدو أنها تقرأ « ابن ايزيس » وان كان مما يثير الدهشة أن تكون زوجة أوزوريس سميت بهذا الاسم فعلا في ذلك التاريخ البعيد وهكذا فان أغلب الأمر أن مقبرة سقارة تخص عحا . وقد ناقشنا أمر المقابر الثلاثة التي يجبهنا بها مكتشفوها . وقد استطاعت حفائر ايمرى الموفقة توفيقا كبيرا ان تميط اللثام عما لا يقل عن أربع عشرة مسطبة ضخمة بواجهة قصر تمتد في صف على طول حافة المنحدر وقد عثر بها جميعا على أختام جرار لملوك الأسرة الأولى تشير الى تواريخ تقريبية . وفيما عدا نعرمر نلتقي بالملوك جميعا فيما عدا سممبسس ، وتشير قطعة حجر بالرمو بالمتحف المصرى الى انه لم يحكم أكثر من تسع سنوات . ويعتقد ايمرى انه اكتشف المقابر الفعلية للملوك الستة الآخرين ابتداء من عحا ، وما دام لدينا ما يجعلنا نعتقد أن مينيس تحرك من الجنوب ليجعل من منف عاصمة له فان نظرية ايمرى محتملة جدا . ولكن اسم « جر » يتردد في مقبرتين ، كما يتردد اسم « دن » في أربع مقابر أو خمس ، أما المقبرة الكبيرة المعروفة ب « جيزه ٥ »(١) فهناك من الحجج ما يعدل الحجج التي

(١) Petrie, Gizeh and Rifeh, London, 1907 ; pp. 2 ff.

تشير الى مقبرة سقارة رقم ٣٥٠٤ من أنها خاصة ب « ادجو » الملك الثعبان . وهناك مقبرتان ربما كان من الصواب ترجيح أنهما للملكتين كما انه من الممكن بعد ذلك كله ان تكون مقبرة حماكا التى تنسب اليه خاصة به والاحتمال نفسه قائم كذلك بالنسبة لأحد العظماء ويدعى مسابو من عهد «عنز ايب» (١) وان لم يكن كذلك بالنسبة للأمير « مركا » من عهد قاعا (٢) وليس هناك فى مقبرة واحدة من بين المقابر الاربع عشرة ما يؤكد نسبتها تأكيدا قاطعا ، بل ان هناك بعض الباحثين الذين يرون فى ابيدوس الجبانة الملكية الحقيقية ويقدمون كدليل تلك اللوحات الحجرية الفخمة التى كانت قائمة أمام غرف الدفن العظيمة والتى تعد لوحة الملك الثعبان الموجودة الآن فى اللوفر ، أروعها جميعا . وربما ظن المصريون أنفسهم فى العهد المتأخر أن ملوكهم الأوائل كانوا مدفونين هناك ؛ لأنهم وضعوا فى مقبرة جر الأبيدوسية تابوتا ضخما يمثل الاله أوزوريس النموذج الأصلى لكل الفراعين المتوفين(٣) ويعتقد ايمرى — وهناك الكثير مما يمكن أن يقال بصدد رأيه — ان قبور أبيدوس عبارة عن قبور تذكارية وفقا للنظرية القائلة بأنه يجب أن يكون للفرعون قبران منفصلان كملك على مصر العليا وكملك على مصر السفلى . وقد رأينا ملكا مصريا يشيد لنفسه هرمين ضخمين فى مكانين متقاربين وهو سنفرو (صفحة ٩٥) ونستطيع فيما يتصل بالقبور التذكارية أن نحيل القارىء بالدليل المكتوب الى ما ذكرناه من قبل عن الملكة تتى شيرى (صفحة ١٩٢) . ويبرز على قمة المتشككين فى نظرية ايمرى العالم هـ . كيس وقد نشر مقالا (٤) حاول به القضاء على الدليل الذى يقوم على معيار الحجم مشيرا الى انه لا يمكن أستخلاص حجة من وراء عدم وجود القبور الفرعية للأتباع الذين يضحى بهم ثم يضغط على أمر وجود مقابر مماثلة لمقابر سقارة من حيث البناء والمحتويات فى أماكن أخرى . وقد ظن فى وقت ما أن الاكتشاف الرائع لرءوس ثيران مصنوعة كنماذج من الطين موضوعة على رفوف حول مقابر سقارة وقد ثبتت بها قرون ثيران حقيقية ربما يوحى بالاشارة الى مقابر ملكية ولكن اتضح أن هناك من بين الأمثلة الثلاثة اثنين ثبت أنهما لملكتين وليس هناك من دليل على أن

---

(١) Petrie, Royal Tombs, I, 27, 64

(٢) انظر هامش ٢ صفحة ٤٤٢ .

(٣) P.M., V, 79

(٤) O.L.Z., 1957, pp. 12-20; also 1959, pp. 566-701

النموذج الثالث للملك . ولسنا نستطيع أن نترك موضـوع الاكتشافات العظيمة التى قام بهـا ايمرى دون الاشـارة الى الجمال الرائع لكثير من القطع التى عثر عليها فصناعة الأوانى الحجرية والدقة الفنية التى تبدو بها تفوق كل نظائر لها فيما بعد ، وهناك ظاهرة عجيبة لايمكن تفسيرها هى أن المقابر فى كل من سقارة وأبيدوس قد تعرضـت جميعا للتدمير عمدا عن طريق الحرق وهو أمر لا يصدق على مقابر الاسرة الثانية .

أما الأحداث التى اختيرت كوسيلة للتأريخ سواء على اللوحات أو على حجر بالرمو فهى فى أغلب الأمر ذات طابع دينى . وكان كل عام ثان يشهد مناسبة « متابعة ال حورس » التى تذكرنا من غير شك ـ سواء أكانت تعنى انتقالا ملكيا فعليا على النهر أم احتفـالا للذكرى ـ بتلك الرحلات والأسـفار التاريخية التى كان يتقدم فيها الملك نحو الشمـال ليعمل على توحيد الأرضين كما يتضح من لوحة نعرمر حيث يرى الملك بها وهو يضع على رأسه تاج مصر السفلى ، بينما تظهر الألوية الحربية التى تصـحبه وكأنما هى آلهة المقـاطعات المختلفة المتحـالفة معه . وهناك سؤالهم ل «أتباع حورس» ـ هؤلاء سلفت الاشـارة اليهم فى أول هـذا الفصل ـ . وهناك نوع آخر من الأحداث «غير متوقع تماما» كان يعد بالنسبة لأوائل الفراعين من غير شك ذا أهمية كبرى ليصبح اسما للسنة ، وهو صياغة تمثال ضخم للعبادة عبروا عنه باصطلاحات مثل « ولادة أنوبيس » «ولادة مين» وكلمة «ولادة» تعني الاعتقاد بأن هذه التماثيل أصبحت تدب فيها الحياة حقا بعد اجراء احتفال « فتح الفم » عليها . ويظهر أن افتتاح أو زيارة منشآت معينة كان يبدو كذلك أمرا كبيرا كذلك فى عيون المسئولين عن ايجاد تسميات للسنين . أما الحملات الحربية فقلما كان يشار اليها . وقد ذكرت قطعة القاهرة لحجر بالرمو اشارة الى ما حدث فى عهد الملك « جر » من « ضرب ستيه » وهو اصطلاح جغرافى علينا أن نشير اليه بأن يقابل أسـيا تقريبـا ، ونحن نطالع فى عهـد ملك متأخر عن « ضرب الايونيتو » (١) وهذا اصطلاح مبهم كذلك يشـير الى الشـعوب القاطنة فى شـمال شرق الدلتا . وهناك لوحة رائعـة جـدا كانت من متعلقات مجموعة ماك جريجور من قبل (٢) تمثل الملك دن يقوم بذبح آسـيوى يسكن فى الصحراء الرملية التى هى سيناء وليست بالنصوص الهيروغليفية بها أية صعوبة فى الترجمة فقراءتها واضـحة وتعنى « أول مرة لضرب

(١) Pal. recto, 3, 2

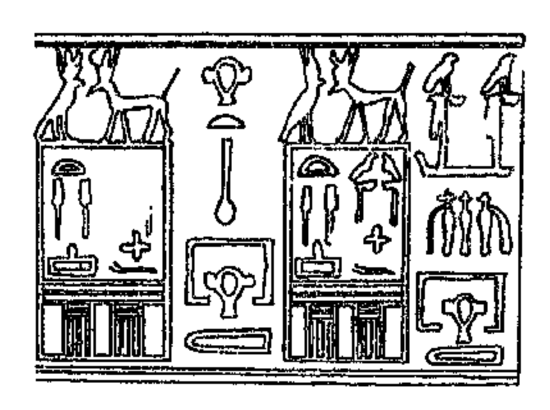
(٢) Z.A.S., XXXV, 7

الشرقيين » وربما كان أكثر أهمية من هذه الاشارة لما لا يبدو أكثر من حادثة جانبية هو الدليل على التطور السريع للتعبير الهيروغليفي • وقد أمكن قبل نهاية الأسرة الأولى نقل فحوى جمل بأكملها بتتابع العلامات المنفصلة وقد ظهر تقدم ملحوظ لهذه المرحلة في لوحة نعرمر •

وتضم الأسرة الثـــانية لمانيتو تسعة من المـــلوك من تينيس وهى تقدم مشاكل أكبر تعقيدا من الأسرة السابقة • ونحن نستطيع التعرف على أربعة من الأســـماء المانيتونية رغم التشويه المحزن فى قوائم ملوك الرعامسة رغم ان الأمر احتاج الى دراســة فيها كثير من البراعة لاظهار كيف ان « تلاس » لدى مانيتو هو « ونج » الذى لا يعرف الا عن طريق قطع من أوان مكســورة كانت مخزونة فى السراديب الســفلية للهرم المدرج • وتحصى قوائم الملوك أحد عشر ملكا مقـابل الملوك التسعة لدى مانيتو ولكن ليس من بين هؤلاء سوى أربعة يجدون لهم سندا من الآثار• وترتيب الملوك الخمسة الأول معروف على وجه التأكيد ولكن البقايا الاثرية لدينا تتجاهل « بوييثوس » و « كايبخوس » وتقدم لنا بدلا منهما حوتب سخموى » و « نب رع » • واما الاســم الأول فهام اذ يعنى « هدأت القوتان» وسنجد الدليـل فورا على أن هذا الاصطلاح يتضمن العودة الى المجرى الطبيعى للأمور بعد فترة ســابقة من الشغب أو الاضــطراب • وهكذا يمكن تخيل سبب الانتقال من الأسرة الأولى الى الأسرة الثانية • رغم أن بوييثوس ليس معروفا فى الهيروغليفية المعاصرة فاننا نجد صيغة « بد جاو » التى تقدمها قوائم الملوك لنا على لوح كتابة من الدولة القديمة أمام خمسة ملوك معروفين تماما من ملوك الأسرتين : الرابعة والخامسة(١) ومع الملك الثالث من الاسرة الثـانية نصل الى تتابع لثـلاثة ملوك هم بنوثريس وتلامس سثينيس تتفق فيما يتصل بهم من الآثار وقوائم الملوك ومانيتو وذلك لأنه من الواضح أن بنوثريس امتــداد للاسم المعادل له بالهيروغليفية الذى يقرأ «نوتيرن» وان فضل بعض الباحثين قراءته «نى نوتر» أو « نتريمو » • وأما فيما يتصل بـ « تلاس » فقـد عرضنا له من قبـل وأما «سثينيس» فهو من غير شك الـ « سند » الذى سنعود اليه فيما بعد وهو اسم بالغ الغرابة ما دام يعنى « المذعور » وسنلتقى بهؤلاء الأعضاء الخمسة من ملوك الأسرة الثانية فيما بعد فى التذييل ولكننا نستطيع أن نضيف هنا أن « نى نوتر » يجيء على رأس العمود الرابع من حجر بالرمو بصورة توحى بأنه لم يحكم أقل من ثلاثين عاما •

---

(١) Z.A.S., XLVIII, 113



شكل ١٧ ـ سرخ الملك خع سخموى

والأسماء الستة الباقية فى قوائم الملوك تعد سرا مبهما فيما عدا اسم « نب كا » وذلك لأنه لم يوجد اثر لأحدهم في أى مكان آخر • وربما كان نفر كارع (وهو نفركيرس لدى مانيتو) وهميا ؛ لأن الاشارة الى اله الشمس فى نهايته تبدو كأنما تشير الى عصر لاحق وقد كان هناك فعلا ملوك أطلق عليهم هذا اللقب فى الأسرات : السادسة والسابعة والحادية والعشرين • ولسنا بحاجة كذلك الى أن يشغلنا أمر « عاكا » الذى يبدو انه النطق الصحيح فى بردية تورين وهى مناسبة مفردة ربما كانت نتيجة اضطراب من نوع ما • ومن ناحية أخرى فانه لا يمكن التجاوز بسهولة عن « نفر كاسكر » و « حوجفا » و « ببى » من تراث الرعامسة ويزداد الأمر أهمية ان أدركنا أن بردية تورين تنسب اليهم مدد حكم ثابته • ولا يمكن الا افتراض أنهم شغلوا العرش حقيقة وان دعواهم اليه أمر رأى مانيتو ومن سبقوه أحقيتهم فيه عن فراعنة جنوبيين آخرين تجاهلوهم • ولكن فلنلق نظرة الآن على هؤلاء الفراعين الأربعة على الأكثر ـ والذين ربما كانا اثنين فقط ـ فقد كشف بيترى فى أم العقاب فى طرفين متقابلين من جبانة ما قبيل الأسرات عن قبر صغير لملك يدعى « خع سخموى » وكان « سرخ » الملك السابق تعلوه علامه حيوان ست بدلا من الصقر المعتاد حورس أما « سرخ » « خع سخموى » فعليه حيوان ست وصقر حورس متقابلان وجها لوجه ويلبس كل منهما التاج المزدوج لمصر العليا ومصر السفلى (شكل ١٧)

ولا تدع الايضاحات ــ التى قدمناها من قبل أو التشابه فى مسألة الملكة نيت حتبو التى علقنا عليه فى الصفحات السابقة ــ مجالا للشك فى معنى هــذا الاجراء الذى تم فى لقب خع ســخموى نفسه وباضافة « نب وى حوتب ايم أف » الذى يتبعه كجزء من اللقب ٠ وترجمــة التركيب كله تصبح « اضاءت القوتان ، السـيدان على ســلام فيه » وبمعنى آخر ان الملك خع سخموى يجســد فى ذاته الآن الالهين اللذين كانت العــدواة قائمة بينهما عن طريق انكار « بريب سن » لسلفه التراثى فى ســبيل العدو اللدود لذلك المعبود ٠ ومن الواضــح ان ألوانا من الاضــطرابات الشديدة نشأت من وراء هذه الحركات الثورية ولكن من المســتحيل أن نشخص طبيعتها ٠ ولقد كان حورس يرتبط بخاصــة فى الماضى البعيد بالدلتــا بينما كانت عبادة ست محليــة بالقرب من نقاده (أومبوس) فى مصر العليا ، ومع ذلك فانه من المستحيل أن نترجم الأحداث كأنما هى صراع بين الأرضــين كان من اثره أن اكتفى بريب سن بأن يصــبح حكمه مقصورا على مصر العليا فلو انه كان هناك مثل هذا الصراع بين الشــمال والجنــوب ألم يكن فى مقدور بريب سن أن يؤكد زعمه بأنه تجسيد لحورس الأكثر قوة ؟ وهناك مشكلة أبعد من هــذه هى انه أطلق على حيــوان ست فى بعض الأختام الخاصــة ب « بريب سن » اســم «أش» (١) ومن المعروف ان هذا يخص المقابل الليبى لد «اومبوى» ٠ وقد سلفت الاشارة من قبل الى أن مجموعة الملوك هذه قد تتضمن اثنين فقط بدلا من أربعة وعلينا أن نتابع هــذا الافتراض الآن فقــد عثر فى قبر بريب سن على أختام جرار ل « حورس سخم يب » وقــد ظن فى بادىء الأمر أن « سخم يب » هو اللقب الحوريسى ل « بريب سن » نفسه وان كان يعارض مثــل هــذا الافتراض وجود ست على ال « سرخ » فى معظم الأختام وكذا على لوحتين جميلتين من الجرانيت عثر عليهما عند مدخل غرفة الدفن ٠ وقد كشفت حفائر تالية على مسافة قصــيرة عن ملك هو « سخم يب بر ان ماعة » الذى عرف عنه الآن انه سلف « بريب سن » ثم عثر فيما بعد على اللقب نفسه كاملا على بعض القطع فى الهرم المدرج٠ وهناك كثير من الاحتمال لما يفترضه « جرد سلوف »(٢) من ان « سخم ايب بر ان ماعه » هو فى الواقع لقب «بريب سن» قبــل أن يتخلى عن ارتباطه بحورس ليصــبح المتعبد المتحمس ل ست ٠ أما الحورس خع سخم الذى تقتصر آثاره على هيراقونبوليس فأكثر صــعوبة فهى تتضــمن

(١) « اورشا » انظر Borchardt, Sahurê' p. 74 وكذا J.E.A., XIV, 220 ff.

(٢) Ann. Serv., XLIV, 295

لوحة مكسورة واناءين حجريين كبيرين ثم تمثالين جالسين احداهما من الحجر الجيرى والآخر من الاردواز ، والتمثال الاردوازى مكتمل أكثر من الآخر ولكن نصف الوجه ضاع ، بينما تكشف ملامح التمثال من الحجر الجيرى عن تفصيلات أدق (وهو موجود الآن فى أوكسفورد) . أما الوضع والطراز والصناعة فتكاد تشير الى أنها من المستحيل أن ترجع الى بداية الأسرة الثانية بل انها تؤيد مكان هذا الملك فى نهـايتها . وتزين قواعد التمثالين زخارف من صور محفـورة لأعداء مذبوحين فى كل مظهر يمكن تصوره مما يمثل الألم والعذاب وقد قدم احصاء بعددهم البالغ ٤٧٢٠٩ . أما اللوحة فتكشف عن ماهية هؤلاء الأعداء ذلك لأن رأسا ملتحيا (فوقه ريشة) تتصل بما يشـــبه الدعامة البيضـاوية التى شهدناها فى لوحة نعرمر وهى تشير فى وضوح الى الأعداء الليبيين .

أما الرسم الذى يظهر كخـدوش على سطح الأوانى فيمثــل الربة العقاب نخبة ربة الكاب تقدم الى خع سخم رمز توحيد الأرضين ، ويستقر مخلباها الخلفيان فوق خرطوش دائرى بداخله علامات « بش » وأغلب الأمر ان « بش » هذا هو الاسم الشخصى لخع سخم أكثر منه اسم بلد أو رئيس منهزم . ويشغل الجانب الأيمن من الرسم التعبير بالهيروغليفية عن « سنة » مصحوبا بالكلمات « محـاربة وضرب الشـماليين » والملك يلبس فى هـــذه القطع جميعـا تاج مصر العليـا ... ولـكن لنعـد الى مشكلتنا :

ما هى عـــلاقة خع سخم الهيراقونبوليسى ببريب سن من ناحية وبخع سخموى من ناحية أخرى ؟ ان أكثر الافتراضات تقبلا اليوم هى أن خع ســـخم هو الخلف المبـــاشر لـ بريب سن الذى لا نلتقى باســـمه فى هيراقونبوليس وانه استطاع أنيسترجع الدلتا وانخلفه كان خعسخموى . ولكن ، أمن الممكن لهذا الملك الأخير - ان كان قد سبقه آخر ممن يعبدون حورس - أن يضمن اسمه مايشير الى النزاع السابق بينحورس وست؟ انه لا يمكن التسليم بأن حورس خع ســخم وحورس ست خع سخموى هما شخص واحد فمعنى ذلك الافتراض بأنه فضل انتحـال الصورة الثانية من لقبه والصراع مــع بريب سن لا يزال عالقا فى ذهنه ولـكن يقوم فى وجه ذلك أمر وجود آثار خاصة بـ خع سخموى فى هيراقونبوليس متميزة عن آثار خع ســخم وأهمهـا قطعة كبـيرة لكتف بوابه (١) من الجرانيت الوردى يظهر فى خلفيتها منظر يمثل احتفال تأسيس هام . وهناك

(١) J.E.A., XX, 183-4; Heirakonpolis, I, pl. 2

كذلك الاعتراض الذى يحول دون اعتبار خع سخم ملكا منفردا يتوسط بين خع سخموى و زوسر مؤسس الأسرة الثالثة بسبب العثور على ختم فى مقبرة خع سخموى فى أبيدوس(١) يذكر اسم ملكة هى «حب ان ماعه» ك « أم أطفال الملك » وان حب ان ماعه هذه نفسها يطلق عليها لقب « أم ملك مصر العليا والسفلى » على ختم فى المقبرة الكبرى فى بيت خلاف بالقرب من ابيدوس حيث دفعت أهمية زوسر هناك الى افتراض انه صاحبها ٠ (٢) وقد افترض (٣) تبعا لذلك ان خع سخموى و « حب ان ماعه » كانا الأبوين الفعليين لزوسر ، والافتراض فيه كثير من الاغراء ولئن صح فان هذا يدعونا الى التساؤل عن سبب قيام أسرة جديدة فى هذه المرحلة ٠ وقبل أن نترك موضع خع سخموى يجب أن نذكر أمر تسجيل صنع تمثال نحاسى له فى العمود الخامس من حجر بالرمو (٤) وكذا أمر الكشف فى ببلوس(٥) عن قطعة من البرشيا تحمل اسمه ٠ ولقد أشرنا من قبل عدة مرات أنه ليست هناك أهمية كبيرة لما يعثر عليه من قطع صغيرة فى نواح بعيدة ولكن هناك بعض الادلة القوية على قيام صلات ، ودية أو غير ذلك ، بين أواخر ملوك الاسرة الثانية وبين الشمال ٠فليست هناك أختام تضفى على بريب سن لقب « قاهر البلاد الاجنبية » فحسب بل هناك كذلك ما يدعو الى الظن بأنه هو الذى أدخل عبادة ست فى شمال الدلتا (٦) وقد تحدثنا من قبل عن لوحة خع سخم المكسورة التى عثر عليها فى هيراقونبوليس (٧) ومما تشير اليه بوضوح ذلك الصراع مع عدو ليبى ٠ ولسنا نستطيع على أية حال أن نقدم شيئا محددا أبعد من ذلك عن أحداث تلك الفترة المضطربة ٠٠ وأما ان ملوكها لم يسارعوا بالانهيار وضياع السمعة فأمر يتضح من نقوش بعض المساطب فى سقارة من عهد الاسرة الرابعة فهناك واحدة لمن يدعى « شيرى » الذى يردف الى اسمه ألقاب « المشرف على كهنة بريب سن فى الجبانة ، فى بيت سند

---

(١) R.T., II, pl. 24, No. 210

(٢) J. Garstang, Mohasna and Bêt Khallaf, London, 1905, pl. 10 No. 7.

(٣) Sethe in op. cit., pp. 22-23

(٤) J.E.A., I, 233-5

(٥) P.M., VII, 390

(٦) Ann. Serv., XLIV, 295-8

(٧) Hierakonpolis, II, pl. 58

وفي كل أماكنه » (١) وهناك أشياء أخرى تثير حـــيرة أكبر هى عبارة عن بضع قطع مكسورة من مقبرة كاهن للملك « نب كا » الذى تصفه بردية تورين وجدول ملوك ابيدوس كأنما يســبق زوسر (٢) مباشرة . ويرد ذكر هذا الملك كذلك فى قصة السحرة التى أشرنا اليها من قبل (صفحة ١٠١) حيث يشار على أية حال فيها أن حكمه يقع بين حكمى الملكين زوسر وسنفرو . ومن ثم فان «نب كا » المذكور لايمكن أن يكون سلفا لزوسر ما لم يكن منافسا ل «خع سخموى» استطاع أن يتفوق عليه . وأمر التسعة عشر عاما التى ننسب اليه كمدة حكم تثير مشكلة كذلك . ويمكن الرجوع فى هوامش قوائم الملوك فيما بعد الى الأحداث القريبة التى ينسبها مانيتو الى ملوك الاسرة الثانية ولسنا بحـــاجة الى ترديد القول بأن هذه الاحداث مستقاة من الادب الاسطورى الذى كان ــ من الواضح ــ واحدا من المصادر الرئيسية التى أوحت الى هذا المؤرخ المصرى .

ولسنا تستطيع أن نصدق أن مجموع سنى الحكم للأسرة الأولى يبلغ ٢٥٣ سنة . وأن مجموع سنى الحكم للأسرة الثانية يبلغ ٣٠٢ سنة، وهى الأرقام التى يقدمها مانيتو . وعلينا أن نضغط من جديد على أمر عدم احتمال صحة ال ٤٥٠ سنة التى يقدمها حجر بالرمو لمجموع حكم الأسرتين معا . وعلى أية حال،فسواء أطالت المرحلة أم قصرت فانه يكفى انها طبعت حضارة مصر القديمة بطابع خاص استطاع منذ ذلك الوقت أن يميز بقاياها وآثارها بوضوح عن بقايا وآثار البلاد المجاورة . وقد استطاعت جهود بيترى الرائعة وكذا جهود المجموعة الممتازة من الحفارين بعد ذلك ان تمكن الباحثين من أن يتتبعوا خطوة بخطـوة التطورات المـادية التى حولت الحضارة شبه البربرية الى حضارة مصقولة صقلا كبيرا ذات قوة هائلة وأن كانت التطورات الثقافية والدينية للعصر نفسه ظلت مخبوءة بالنسبة لغيـاب الأدلة المكتوبة المناســبة حتى الأسرة الخامسة . وحين استطاعت متون الأهرام فى نهاية الأمر ، وكذا مادة أخرى تماثلها ، أن تكشف عن بعض نواحى الفكر المصرى أخذنا نتساءل الى أى مدى يمكن أن نميط اللثـام ونزيل الابهام عن هذه المجموعة المختلطة المعقدة فى المراحل المتعددة التى جعلت من مصر ماصارت عليه فى هذه المرحلة . ولكن علينا قبل أن نناقش بعض وجهات النـظر التى أشرنا اليهـا فيما يتصل بهذا الموضوع ان نشير الى ما قاله المصريون أنفسهم عن ماضيهم البعيد .

(١) Ann. Serv., XLIV, 294

(٢) Äg. Inschriften aus den kön. Museen zu Berlin, I; Leipzig, 1913,

ليست هناك حقيقة جلية قاطعة ترجع الى ما قبل عصر الرعامسة حين استطاعت بردية تورين (صفحة ٦٦) أن تمدنا بما يتفق وما قدمه مانيتو · وانا لنرى أقدم الملوك فى المصدرين يمتون الى التاسوع الأكبر وهو اسرة المعبودات التسعة التى تربطها متون الأهرام (١٠٦٤) ربطا مؤكدا بلاهوت هليوبوليس ، ومن أجـــل هذا كان يجب أن تبدأ القائمة باله الشمس رع ــ أتوم ولكن مانيتو ــ الذى يتحفظ هنا فقط ــ يضع هيفاستوس ، أى بتاح منف ، قبل هليوس مشيرا الى أن هذه الرواية المعينة جمعت فى الأسرة السادســة التى جاء ملوكها من هذه المدينة · ويأتى بعد اجاثو دايمون (اله الهواء شو) ــ وهو غير موجود فى البردية ــ متحدا معه ، كرونوس (اله الأرض ، جب) ثم اوزيريس ثم تيفون (ست) قاتل اوزيريس ثم حورس المنتقم لأبيه · وفى كلا المصدرين لا يرد ذكر للالهات تفينس ونوت وايزيس ونفتيس لانهن اناث ولكن التراث القديم يدخلهن فى التاسوع الأكبر كزوجات لأربعة من الذكور وان كان لا ينسب لهن مدد حكم خاصة بهن · ولسنا بحاجة الآن للاشارة أكثر من ذلك بالنسبة لهؤلاء الحكام الاسطوريين تماما · ولقد خلفهم لدى مانيتو عدد من الملوك وصفوا بأنهم أنصاف آلهة و « الموتى » (نكيوس) باليونانية ، Manès باللاتينيـــة) ثــم تبعهــم مينس البشرى على رأس الأسرة الأولى · وتذكر برديه تورين التى وضـــعت « حورس الالهة » بعد ست مباشرة ، حورس آخر فى نهاية الأسرة الالهية ثم حورس ثالث فيما بعد · وهناك بعد ذلك عدد من السطور المهشمة تختم بـ « اتباع حورس » الذين ذكرناهم وقد وصفوا بأنهم « الأرواح المبجلة » وهم الاسلاف المباشرون لـ مينيس · وقد استطاع زيته ان يحدد تماما ماهية الـ « شمسو حور » (اتباع حورس) فذكر أنهم ملوك كل من هيراقونبوليس وبوتو(١) ولكنه حذف سهوا أقوى دليل على مزاعمه ، وكان هذا الدليل ــ كما ذكره جريفث مشافهة الى مؤلف الــكتاب ــ فى بردية بالهيروغليفية من العصر الرومانى تضم من غير شك مجموعة من الحكم المتوارثة المعروفة لدى المثقفين من عصر كيوبس (٢) وهنا نجد قائمتين جنبا الى جنب لـ (١) « أرواح بى (بوتو) اتباع حورس كملوك لمصر السفلى » (انظر صفحة ٤٥٥) أو (٢) « أرواح نخن (هيراقونبولسيس) اتباع حورس كملوك لمصر العليا » (صفحة ٤٥٥) ·

---

(١) Beiträge, pl. 3 ff. انظر كذلك ما سبق فى p. 70, No. 1

(٢) Two Hieroglyphic Papyri (Egypt Exploration Fund) London, 1889 ; pl. 9, fragm. 10

وانه ليبدو من المستحيل أن نجد ما هو أكثر دقة مما يذكرنا بهذا المظهر الختامي لتاريخ ماقبل الأسرات الذى بدأ من هيراقونبوليس وانتهى بغزو مصر السفلى على يد مينيس ثم توحيد الأرضين • ونجد فى البردية المذكور ان الكلمة التى تقابل « ملك مصر العليا » (نسوت) تكتب بالطريق المعتاد بالقصبة • أما الكلمة التى تقابل « ملك مصر السفلى » (بيتى)فتكتب ابالنحلة ومما يشير الى النصر المؤكد لمينيس انه فى لقب « انسبيا » للفراعين يتقدم رمز القصبة فى الكتابة الهيروغليفية كما يحدث تماما فى لقب « نبتى » ــ من الألقاب الملكية حيث نجد الأسبقية للربة العقاب (من الكاب) على الربة الصل ادجو (من بوتو) • ومهما يبدو الأمر غريبا بالنسبة للقراء الذين ليسوا على دراية بالعادات المصرية فان مثل هذه الأسبقية فى كتابه الكلمة يجب أن تفهم بوصف أن لها دلالة تاريخية حقيقية • وأخيرا فلئن تناول الشك أحدا فى حقيقة سلسلة ملوك بوتو فى عصر ما قبل الاسرات فانه يجب أن يقتنع بما جاء فى متون الأهرام (١٤٨٨) من اشارة الى « ملوك مصر السفلى (بيتيو) الذين فى بى (بوتو) » وان مصر العليا وليست مصر السفلى هى التى منحت اللغة كلمة نسوت ليكنى بها عن « الملك » •

وتعزز هذه الحقائق جميعا ، كما توسع ، من النتائج التى أدت اليها كشوف كويبل فى هيراقونبوليس : فلقد كانت مملكتا نخن وبى المنفصلتين حقيقتين لا يتناولهما الشك ، والأمر كذلك بالنسبة لتوحيدهما على يد مينيس • ومع ذلك فانه تبقى بعد ذلك على أية حال بعض الصعوبات التى لا نستطيع أن ننحيها جانبا ببساطة • وقد أشار • ويلسون (١) الى كيف انه لم يكن من المناسب لكل من هيراقونبوليس وبوتو أن تصبح مقرا ملكيا دائما ، فالاولى تقع فى بقعة مجدبة غير خصبة قريبة من الحد النهائى لمصر العليا ، أما الثانية فموقعها يكاد يشبه موقع

(١) J.N.E.S., XIV, 210 ff.

جزيرة وسط المستنقعات الكائنة فى شمال غرب الدلتا · ويرى ويلسون أن المدينتين ربما أصبحتا مدينتين مقدستين ، وربما مراكز حج · وهناك نظرية كسبت لها الكثير من المناصرين أخيرا علينا أن نحاربها فى صعوبة وتزعم هذه النظرية أن كل الحديث عن الأرضين ومقارنة مصر العليا ومصر السفلى وتنـــاقض السـيدتين ·· والمصطلحات الاخرى من النوع نفسه ليست أكثر من وهم مرجعه ما يفترض بين انعطاف العقل المصرى انعطافا متأصلا الى مقابلة عقيدتين مزدوجتين · وليس من الضرورى أن ننكر غرام الشعوب القديمة بعبارات المقارنة أو المقابلة مثل « السـمـاء والأرض » و « الرجل والمرأة » و « الأرض السوداء والأرض الحمراء » (انظر صفحة ٤٣). ولكن اعتبار الحقائق المتصلة بالمملكتين كأنما هي وهم يعنى معاندة الادراك السليم للأمور · وهناك وجه آخر للنزاع نفسه (١) أقل غرابة وان كان خطأ كذلك ــ وهو يرتكز على المظهر غـير الحقيقى لمنـاقع الدلتا فى القرون السابقة ل مينيس · اننا لا ننكر انه لابد أن الأمر كان بالغ الصعوبة لنمو المدن الهامة قبل انشاء السدود ووسائل الرى الأخرى وان نموها كان محدودا ومع ذلك فان امكانية قيام مملكة فى مصر السفلى يمكن اثباتها بسهولة ، ذلك أن الجانب الغربى من الدلتا بخاصة ، كانت به مدن هامة منذ الأسرة الأولى فقد أشير ــ الى معبد نيت فى سايس على لوحة من عهد عحا (٢) وهناك أخرى من عهد جر (٣) تشير الى مبنى فى دب وهى أحد المرتفعين اللذين يكونان مدينة بوتو · هذا الى نقش فى الهرم المدرج لزوسر(٤). يسجل أمر احتفال له علاقة بمدينة ليتوبوليس (اوسيم) الواقعة على بعد بضعة أميال الى شمال القاهرة · وتعنى الكميات الضخمة من الماشية التى تم الاستيلاء عليها كما هى مبينة فى لوحة اردوازية الى كثرة عدد الأهلين من أصحابها ومن الواضح انه كان لأقاليم الدلتا الكثيرة التى يشرف من الناحية الادارية عليها النبيل الثرى « متن » (٥) قرابة نهاية الأسرة الثالثة ماضيها البعيد قبل ذلك · أما أوزيريس ك «سيد جدو» (بوسيريس فى وسط الدلتا) فربما لم يعرف بهذا اللقب قبل الأسرة

---

(١) أنظر المراجع فى آخر الفصل

(٢) R.T., II, pl. 3 A, 5

(٣) Schott, Hierglyphen, in Abhandlungen of the Mainz Academy, 1950, pl. 7, fig. 15

(٤) J.E.A., XXX, pl. 3; fig. 3

(٥) B.A.R., I, §§ 172-4

السادسة بكثير ولكننا نجد هذا المركز الديني المشـــهور يرد في متون الأهرام (٢٨٨) مع المدينة المعروفة كذلك ب « جدة » « مندس » ولسنا نتـــوقع على أية حال أن نجـــد في وثائق أقدم ما يشير الى وجودها · ولا تستطيع كذلك أن تلقى المحاولة لتبيان أن هليوبوليس لم تكن عاصمة مملكة ماقبل التاريخ صدى لدى الكثيرين من المؤيدين حتى وان كان اثبات أن مثل هذه المملكه كانت قائمة فعلا وترتكز على أساس مستقر · وأخيرا فان كتابة لقب « انسبيا » بكلمتين مختلفتين ل « ملك » ولقب «نبتي» برتبتين محليتين متقابلتين ليس بحـــاجة الى ما يفسره للدلالة على أن المملكتين كانتا على أهمية واتساع متساويين ، وكل ما نستطيع أن نؤكده هو قيامهما معا في وقت واحد ·

ويؤكد الشك فيما يتصل بعدة فترات أسبق — لا بفترة واحدة — كتاب مشهور ل «كورت زيتة» حاول استخلاص ما وصل فيه من نتائج من النصـــوص الدينية · وقد عرض حججه في منطق ووضـــوح يسترعيان الاعجاب · ومع ذلك فان زملاءه أجمعوا على احساسهم بان القصة التى يقدمها ، ككل ، بعيدة عن أن تصدق ومن ناحية أخرى فان مايؤكده «كيس» فى كتاب لايقل عن كتاب «زيته» من ناحية قوته العلمية أنه ليست هناك نتائج تاريخية يمكن الاطمئنان اليها بالنسبة للعصور السابقة عن مملكتى هيراقونبوليس وبوتو هو أمر نعده في غير موضعه · فأسطورة أوزيريس التى لا نرى أنفسنا بحاجة الى تكرار سطورها الرئيسية بالغة الأهمية ونحن نلتقى بها في صور مختلفة بحيث لا نستطيع أن نجتنب القول بانها تضم الى حد ما عنصرا من الحقيقة التاريخية وان كان علينا أن نحذر كثيرا من أمر المغالاة في تكوين التفصيلات من الناحية النظرية · ومن بين العوامل الرئيسية الثلاثة التى تتضمنها نجد أن الاله ست هو وحده الذى تدعو طبيعته واصله على الأقل الى المناقشة وهو الاله نفسه الذى قرنه اليونانيون بآلههم تيفون بسبب مظهره المتهيج ·

ولسنا بحاجة هنا الى ان نناقش أمر مظهره الغريب [hieroglyph] الذى لا يشـــير الى أى حيوان موجود · واما انه كان الاله المحلى ل امبـوس ([hieroglyphs] بالهيروغليفية) المقابلة لقوص فى الاقليم الخامس من أقاليم مصر العليا فأمر تشير اليه كنيته الدائمة «الاومبوى سيد مصر العليا» ويمكن تتبعها حتى متون الأهرام (٢٠٤) ولا تبعد امبوس أكثر من ميلين أو

ثلاثة أميال عن نقادة التى عثر بها بيترى على كمية ضخمة من جبانات ما قبل التاريخ وانه ليبدو من الطبيعى ان نربط ما بين الصراع بين حورس وست وذلك العصر الذى ازدهرت فيه تلك الحضارة فبلغت قمتها ٠ وأما المشاكل المتصلة بالاله الصقر حورس فأضخم ، ذلك انه حين توضع صورته فى مقابل صورة ست فى الكتابة أو حين يوضعان وجها لوجه فى الصورة الانسانية لا يبدو من الواضح أن نعده ممثلا لمصر السفلى وقد كشف زيته فى هذه الناحية عن خطئه فيما يتصل بهذه الحقائق على أية حال ٠ ذلك انه رأى ان مدينة دمنهور الواقعة بين القاهرة والاسكندرية تعنى « مدينة الصقر » وقد خرج من وراء ذلك برأيه القائل بأن مكان ولادة الاله الصقر كان هناك وهو افتراض يتضمن وجود مكان هناك يدعى « بحدة » يذكر غالبا مرتبطا بحورس على غرار ما ترتبط اومبوس ب بست ٠ ولكن ثبت (١) ان « بحدة » كانت تقع عند تل البلامون وهى مكان مبهم كان يعتبره المصريون أقصى مدنهم الشمالية ، بينما مصادر تراثية أخرى تشير الى « شميس » ، وهى مكان آخر فى المناقع ، كانما هى مربى طفولة حورس ٠ والمناسبة الوحيدة التى لا تحتمل شكا فى القصة الاوزيرية من الناحية التاريخية هى هزيمة ست على يد حورس التى تعنى ــ اذا ما ترجمت الى غير فحواها الدينية ــ هزيمة قوة كبيرة فى الجنوب على يد قوة أكبر من الشمال ٠ وقد خلد انتصار حورس بوضع صورته فوق الـ « سرخ » فى أول الألقاب الملكية وكذا باستخدام العلامة الهيروغليفية كمخصص (صفحة٣٨) للقب أى معبود مذكر مهما يكن ٠ ومما له دلالة كذلك ان اسم حورس يتقدم كذلك حين نلتقى باصطلاحات متقابلة مثل « تلال حورس » و « تلال ست » أو حين يستخدم صقر حورس أو حيوان ست كصور لكلمة « نب وى » أى « السيدان » وهذه الخاصيات الهجائية هى عكس ما عرفناه من قبل مما جرت به العادة فيما يتصل بألقاب « نبتى » و « انسبيا » بالنسبة لملوك الأسرة الأولى ٠ وهكذا فانه من الواضح أن الألقاب المتطورة تؤلف بين ما يذكرنا بفترتين متميزتين من عصر ما قبل الأسرات وان أقدمها هى فترة انتصار حورس على ست أو ــ فى كلمات أخرى ــ تغلغل مصر السفلى الى مصر العليا ٠

---

(١) J.E.A., XXX, 23 ff.

وأما أن الصراع كان عنيفا فأمر تزكيه الاسطورة التى تجعل ست يحرم حورس من عينه وان كان حورس قد ثأر لنفسه باصابة ست بضرر أشد • وعلى أية حال فان النتيجة كانت فى صالح حورس اذ أخذ مكان ست وامتص شخصية عدوه • وتشير الى ذلك بوضوح فقرة فى متون الأهرام (١٤١ وما بعدها) بل ان هناك ما هو أكثر دلالة وهو لقب الملكة « تلك التى تشهد حورس وست » الذى عثر عليه فى مقبرة جر • وهذا التاريخ المبكر ينحى بعيدا الافتراض القائم على التسرع والذى يصور الصراع بين الالهين كانما انبثق من الناحية التاريخية من الأحداث التى سلفت الاشارة اليها والتى تتصل ب «بريب سن» و «خع سخمون» • ولئن تقبلنا حقيقة لا تكاد تنكر ، مؤداها اخضاع مصر العليا لقوة شمالية قرن حاكمها نفسه ب حورس فان الأثر الحتمى لهذا يكون نوعا من الاندماج فيما قبل الأسرات بين الأرضين وانها لحقيقة يجب عدم التقليل من شأنها • انه بعد أن توالى عشرة على الأقل من ملوك مصر السفلى فى الصف العلوى من حجر بالرمو نجد القطعة الكبرى فى القاهرة تسجل ستة من الملوك أو أكثر يضعون التاج المزدوج فوق رءوسهم • والأمر يحتمل الشك فى أن يكون زيته قد أدرك فى هذه الملاحظة التى يقدمها برستد السيادة الهليوبوليتانية التى اعتقد انها أعقبت انتصار الاله الصقر والتى افترض قيام مذهب التاسوع الأكبر وتطوره خلالها ومع ذلك فانه لم يكن ليجد هناك على الأقل أى تعارض مع الصورة الاخاذة التى أعاد تكوينها ، ويجب أن نلاحظ أن مذهب التاسوع الأكبر يتضمن الأسطورة الأوزيرية التى يجب أن نعود اليها مادمنا لم نذكر شيئا حتى الآن عن اوزيريس نفسه • ويرى زيته فى أوزيريس ملكا قديما تتعلق بقصة موته المؤسى الأسطورة كلها ومع ذلك فليس هناك شىء يمكن أن يكون أقل تأكيدا (١) ويجب أن يترك الأمر لمن يكتبون عن الديانة المصرية حتى يناقشوا أصل آله لم يوجد له من أثر حتى عصر متون الأهرام • ودوره فى الاسطورة دور فرعى تماما كانما صنع ليضغط على سوء طبيعة ست المهزوم وعلى فضيلة حورس ابنه والمنتقم له • ولا تنسب اليه حتى العصور الكلاسيكية ، كملك يحكم ، أية أعمال خيرة أو أية مغامرات حربية ، وهو فى كل مكان ملك ميت أو ملك وقاض للموتى(٢) وهو يقدم لنا على التوالى ــ وهو أقدم فى هذه الناحية من غير شك ــ كأنما هو

(١) J.E.A., XLVI, 102

(٢) Op. cit., 80 ff.

الزراعة التى يقضى عليها مياه الفيضان التى تنبثق منه بصورة خفية والتى تتجدد فى السنة التالية ٠ وهكذا فاننا لا نستطيع أن نستخلص لأهدافنا التاريخية من وراء الاسطورة الأوزيرية شـــيئا سـوى الذكرى الغـامضة لصراع استطاعت من ورائه مصر السـفلى أن تسيطر على مصر العليا ٠ وسواء أكان هذا متصلا بصورة ما بالتأثير الميزوبوتامى ـ الذى اعتبرناه أمرا مؤكدا ـ أم لم يكن فان هذا الأمر يجب أن يظل واضحا ولكن من الأوفق أن نتذكر أمر الاختلاف فى الجنس الذى يبدو حقيقة ثابتة تماما ٠ ولم تتح لغير دكتور د٠أ٠ درى فرصة خير مما أتيحت له ليفحص الجماجم والمظاهر الجثمانية الأخرى فى قسمى البلاد ولقد أكد فى ابانة أن هناك « جنسا آخر » بالاضافة الى ما يكشف عنه البقايا التى عثر عليها من عصر ما قبل الأسرات « استطاع أن يحتل مصر فى أوائل عصـــور الأسرات » ٠

اننا نقترب من نهاية تأملاتنا ، ويجب أن نعـود فى كلمات قليلة أخيرة الى نظرية زيته عن فترة هليوبوليتانية تطورت خلالها كل المذاهب الرئيسية فى الديانة المصرية ٠ ان هذه النظرية لا يمكن أن تدحض عن يقين ولكن الكثير يمـكن أن يقـال عن وجهة نظر كيس المضـــادة من أن الأسرات المانيتونية الأولى كانت المهد الرئيسى للتطورات الثيولوجية التى عرفت فى متون الأهـرام ٠ ولم يكن القـوم الموهوبون المسـئولون عن الانجازات الكبرى التى سجلناها فى هذا الفصل بمقصرين أو متهاونين فيما يتصل بأمور الادراك أو الخيال ٠٠ ولكننا نعاود الدخول بهذا الجدل فى ميدان الحدس الذى لا يمكن اثباته وسوف لا يضيق القارىء بأن يخلف ميدانا يعز فيه للأسف الدليل الذى يقف فى طريقه على أرض صلبة ٠

خاتمة

ان الكاتب يدرك تماما ان هو أعاد النظر الى محتويات هذا الكتاب ضآلة مدى ما استطاع أن يشق طريقه الى صميم الموضوع ٠٠ وكم كان يتوق لو استطاع أن يرسم صورة شاملة لأعظم حضارة قديمة فى العالم ولكن الحيز والوقت حالا دون ذلك ٠٠ وهكذا فان ما تناوله الحديث عن فنون مصر القديمة وحرفها وعن أعظم ما قدمت ٠٠ قليل ، وقليل هو كذلك ما قيل عن دينها بما فيه من اغراء بسبب غموضــه وحتى رغم غثاثته أو محاليته كما انه لم يكن من الممكن أن نتناول بالحديث أمر الموميات والتحنيط النواحى الجانبية للثقافة المصرية التى تروق أكثر ما تروق للجماهير من زائرى المتاحف ٠ ولقد أبرزنا عرفاننا للمكتشفين والدارســين الذين أماطوا اللثام عن كثير من أحداث الماضى حتى بدأ الكتاب وكأنما كتب عن الباحثين فى الدراسات المصرية بقدر ما تناول دراسة المصريات نفسها ولكن هذا لم يأت عفوا فنحن نعلن صراحة أن هدفنــا هو الدعايــة وان أطماعنا لا تتحقق الا بنجاحنا فى كسب متطوع جديد فى الميدان الخلاب للبحث الذى نعمل فيه ٠

مراجع مختارة

ام القعاب :

E. Amélineau, Les Nouvelles fovilles d'Aby dos, 4 vols., **Paris,** 1899-1905

W. M. F. Petrie, Royal Tombs of the Earliest Dynasties 2 vols., **London,** 1900-1 , Abydos, I, II, III, **London,** 1902-4

كوم الأحمر :

J. E. Quibell & F. W. Green, Hierakonpolis, 2 vols. **London,** 1900-2

نقادة (المقبرة الملكية) :

J. de Morgan, Recherches sur les origines de l'Egypte, **Paris,** 1897, II, ch.4

سقارة :

W. B. Emery, The Tomb of Hemaka, **Cairo,** 1938

, Hor-Aha, Cairo, 1939

, Greut Tombs of the First Dynasty 3 vols.

1 **Cairo, 1949**

2 **London, 1954**

3 **London, 1958**

الظاهر اللغوية :

K. Sethe, Beiträge zurältesten Geschichtes, **Leipzig,** 1950 in Untersuchungen zur Geschichte und Altertum skunde Agyptens, III

الأسرة الثانية

مناقشات عريضة Vandier, op. cit. 3rd ed. pp. 163 ff.

انكار جود مملكة منفصلة ل « بوتو » فى عصور ما قبل الاسرات :

H. Frankfort, Kingship and the Gods, Chicago, 1948, pp. 19 ff.

انكار وجود مملكة هليوبوليتانية سابقة

E. J. Baumgartel, The Cultures of Prehistoric Egypt (revised edition) **Oxford,** 1955, pp. 3 ff.

نظرية تتصل بتاريخ ما قبل الأسرات

K. Sethe, Ungeschichte und älteste Religion der Agypter, **Leipzig,** 1930

ووجهة النظر المعارضة لدى H. Kees فى

Der Götterglavbe im Alten Agypten, Leipzig, 1941

وهناك موجز طيب عن الحقائق المركبة المتصلة باوزيريس فى

H. Bonnet, Reallexikon der ägyptischen Religions geschichte, **Berlin,** 1952 pp. 568 ff.

أوائل عصر الأسرات

الأسرة الأولى

مانيثو « ثمانية ملوك من ثينيس » (١) ، تاريخ افتراضى من ٣١٠٠ + ١٥٠ ق ٠ م ٠

مانيثو :

(١) مينيس(٢) أ ٦٢ سنة ، ى ٦٠ سنة
(٢) اثوثس(٣) أ ٥٧ سنة ، ى ٢٧ سنة

(٣) كنكنيس أ ٣١ سنة ، ى ٣٩ سنة
(٤) ونفيس(٤) أ ٢٣ سنة ، ى ٤٢ سنة
(٥) اوسفايس أ ى ٢٠ سنة
(٦) مييبس أ ى ٢٦ سنة
(٧) سممبسيس (٥) أ ى ١٨ سنة
(٨) أ بيينخيس
ى أوبيينثيس } ٢٦ سنة

قوائم الملوك :

منى أ ١ ، س ــ م ٠ ، ت ٢ ــ ١١
تتى أ ٢ ، س ــ م ٠ ، ت م
أتى أ ٣ ، س ــ م ٠ ، ت ٢ ــ ١٢ ، ب أتيت
اتا أ ٤ ، س ــ م ٠ ، ت ٢ ــ ١٥ (؟)

زمتى (؟) أ ٥ ، س م ٠ ، ت ٢ ــ ١٦
مربيابى أ ٦ ، مربيابى س أ ، ت ٢ ــ ١٧
صورة كاهن أ ٧ ، ب ، س ــ م ، سمسم
ت ٢ ــ ١٨
قبح أ ٨ ، س ٢ ، ت ٢ ــ ١٩
أ م ٠ ، بيونوتزه س ٣ ، ت ٢ ــ ٢٠

المجموع أ ٢٥٣ سنة ، ى ٢٥٢ سنة

---

(١) يستخدم مانيثو الصفة « ثينيت » ولكن الموصوف «تينيس» لا يوجد فى اليونانية ران تحقق فى الأصل المصرى ، وهى قرب جرجا الى شمال أبيدوس ٠

(٢) أ ، « قتله عجل البحر ومات » ٠

(٣) أ ، «بنى القصر فى منف ، وأعماله التشريحية متعددة لأنه كان طبيبا» ٠

(٤) أ ، « حدثت فى عهده مجاعة فى مصر ، شيد أهراما بالقرب من كوكومى » ٠

(٥) أ ، « حلت بمصر كارثة ضخمة فى عهده »

تذييل

ملوك مصر طبقا لمانيتو وقوائم الملوك والآثار

أضيفت أسماء الملوك التى استخدمها علمـاء الدراسات المصرية الآخرون بين أقواس • يشار الى نص أفريكانوس المنقول عن مانيتو بـ « أ » والى نص يوسبيوس بـ « ى »

تحت عنوان قوائم الملوك ، يشار الى قائمة ابيدوس بـ أ
والى قائمة سقارة بـ س
والى بردية تورين بـ ت
والى حجر بالرمو بـ ب
والأرقام التى تصحبها تحدد مكانها بالقائمة
« م » تعنى محذوف

فى « ت » لم تسجل سوى السـنين وقد أغفلت الشـهور والأيام كقاعدة •

ملوك ما قبل الأسرات (ليسوا فى مانيتو)

ب ، صدر الحجر ، الصف العلوى ، ٧ أسماء تماما منها ٢ محفوظان جزئيا

وجميعهم يضعون تاج مصر السفلى وهناك ما يشـــير الى وجود مخصصات عند كل نهـاية ، ليس بقطعه القاهرة أى اسم ولكن من بين المخصصات العشرة يلبس ٦ التاج المزدوج لمصر الوحدة (١)

عن الملك عقرب انظر بداية الفصل ١٥
عن كا انظر الفصل ١٥ كذلك

(١) Bull. Inst. Fr., XXX, 709 ff.

الملوك التالون يقابلون على الآثار الملوك فى القوائم الملكية السابقة ؛ وكما أشير فى النص فى الفصل ١٥ كان اللقب الحوريسى يستخدم عادة وان صحبه أو حل محله أحيانا لقب « ملك مصر العليا والسفلى » (لقب انسبيا ويختصر الى أ) و / أو لقب «السيدتين» (نبتى ويختصر الى ن) وهناك بعض الصعوبات فقط فى تحديد شخصية الأربعة الأسماء الأولى وبخاصة مينيس ٠

اللقب الحوريسى	لقب انسبيا ـ و / أو نبتى	الاسم (اللقب) فى القوائم الملكية
نعرمر	من ن	منى
عحا	ـــــــ	تتى
جر (زر) ب	اتيت ، ب	اتى
أدجو (زت ، وادجى)	اترتى (؟) (١) ن	أتا
دن (وديمو)	زمتى (؟) (١)	زمتى (؟)
عنجيب (انزيب)	مربى بيا أ	مربيابى
ـــ (؟) ب (٢)	صورة كاهن ، ن ، أن ،	سمسم
قاعا(٣)	قاعا ، ن ، أن ، أو (سن) ، ن	قبح

(١) J.E.A., XLIV, 38

(٢) ليس « سخم خى »

(٣) Ann. Serv., XLIV, 281, fig. 28

الأسرة الثانية

مانيتو « تسعة ملوك من تينيس »

مانيتو	قوائم الملوك	مدة الحكم في بردية تورين
(١) بويثوس(١) أ ٣٨ سنة	بدجاو ، أ ٩ س ت ـ م .	
(٢) كايبخوس(٢) أ ٣٩ سنة	ككاو ، أ ١٠ ، س ٤ ، ت ٢ ـ ٢١	مفقود
(٣) بنوثرس(٣) أ ٤٧ سنة	بنوت جرن أ ١١ ، س ٥ ، ت ٢ ـ ٢٢	»
(٤) تلاس أ ١٧ سنة	ودجناس(٤) أ ١٢، س ٦، (ت٢ـ٢٣)	»
(٥) سثنيس أ ٤١ سنة	سندى أ ١٣ ، س ٧ ، (ت ٢ ـ ٢٤)	»
(٦) خيريس أ ١٧ سنة		
	عكا ت ٢ ـ ٢٥ ، أ س ـ م .	
(٧) نفرخريس (٥) أ ٢٥ سنة	نفر كارع س ٨ ، أ ت ـ م.	
(٨) سيسوخريس(٦) أ ى ٤٨ سنة	نفر كاسكر س ٩ ، ت ٣ ـ ١ ، أ ـ م .	٨ سنة
	حوزفا، س ١٠ ت ٣ ـ ٢ ، أ ـ م .	١١ سنة
	ببى ، س ١١ ، ببتى ت ٣ ـ ٣ ، جاجاى ، أ ١٤	٢٧ سنة
	نب كا (٧) أ ١٥ ، ت ٣ ـ ٤ ، س ـ م .	١٩ سنة
(٩) خنيرس ، ٣٠ سنة		

مدة الحكم : أ ٣٠٢ سنة ، ى ٢٩٧ سنة

(١٠) يضيف مانيثو كرقم ١ للاسرة الثالثة « نخروفيس(٨) بمدة حكم قدرها ٢٨ سنة ويبدو انوجوده موضع شك كبير .

---

(١) أ ، « انفتحت هوة في عهده في بوباستس وهلك الكثيرون »

(٢) أ ، « عبد في عهده الثيران ابيس في منف ، ومنيفس في هليوبولس ، والعنزة المنديسية » كآلهة .

(٣) أ ، « قرر في عهده أن يكون للنساء حق تولي العرش » .

(٤) أنظر الفصل الخامس عشر ، والصفحة التالية تحت رقم ٥

(٥) أ ، « يقال ان في عهده فاض النيل ممزوجا بالعسل على مدى أحد عشر يوما ».

(٦) أ ، « كان ارتفاع قامته ٥ ذراع ، ٣ قبضات »

(٧) انظر الفصل ١٥ .

(٨) أ ، « ثار في عهده الليبيون ضد مصر واستسلموا ذعرا حين خسوف القمر فجأة »

تابع

الأسرة الثانية

تذكر الآثار بخلاف نب كا فى نهاية الأسرة أرقام ٣ ، ٤ ، ٥ من التراث المانيتونى وتحل محل رقميه ١ ، ٢ ملكين آخرين معروف مكانهما تماما .

اللقب الحوريسى	لقبا انسبيا ونبتى	اللقب فى قوائم الملوك
حوتب سخموى (١) (٢)	حوتب(٢) أ ن	
نب رع أو رع نب (١) (٣)	نوب نوفر (٣) أ	
نينوتير أو نوتيرن (١)	نينوتير (٤) أو نوتيرن أن	= بانوتيرن
ب صدر ٤	ونج (٥) أو ، أن	= ودجناس
	سند أ (٦)	= سندى

لا يوجد للملوك الستة التالون ذكر فى قوائم الملوك على أية آثار معاصرة لهم وقد أحل محلهم :

اللقب الحوريسى	لقب انسبيا ونبتى
(أ) سخم يب – برن ماعة (٧)	سخم يب برن ماعة ، أن (٨)
لقب ست	بريب سن (١) (٤) (١٠)
(ب) بريب سن (١) (٩)	

---

(١) هذه الأسماء الثلاثة معا على تمثال القاهرة ، انظر
L. Borchardt, Statuen, Berlin, 1911, Nr. I

(٢) الاثنان معافى Ann. Serv. III, 187 ومنفصلان ، حوتب سخموى ، R.T. II 8.8-10 حوتب Ann. Serv. XXVIII Pl. 2-1

(٣) نب رع Ann. Serv. III, 188 نوب نوفر Op. cit. XXVIII pl. 2, 7-8 تأكيد شخصيته غير محقق .

(٤) مكانه بعد نب رع ، انظر R.T., II, pl. 8, 12

(٥) Ann. Serv. XLIV, 288-291

(٦) Ibid, 292-4

(٧) Petrie, Abidos, III, pl. 9, 3; وكذلك بدون بدن ماعة R.T., II, pl. 21, 164 ff.

(٨) Ann. Serv., XXVIII, pl. 2, 2, 3

(٩) R.T., II, pls. 21, 22

(١٠) R.T., II, pl. 22, 190

لقب حورس وست

(جـ) خع سخموى ـ نب وى حوتب ايم اف (١)

خع سخموى ـ نب وى حوتب ايم اف ، ان (٢)

لقب جورس

(د) خع سخم (٣)

راجع النص لامكان أن يصبح (أ) هو الاسم القديم لـ (ب) وامكان أن (جـ) هو الاسم الأسبق لـ (د) ٠

الدولة القديمة

الأسرة الثالثة

مانيتو « تسعة ملوك من منف » تاريخ افتراضى من ٢٧٠٠ق٠م٠

مانيتـــو	قوائم الملوك	مدة الحكم طبقا لبردية تورين
(١) نخروفيس (٤) ٢٨ سنة		
(٢) تـوزورثـروس (٥) ٢٩ سنة	= ٠٠٠ زوسرزا ، أ ١٦ ، زوسر س ١٢	
	زوســـر ـ ا ت (؟) ، ٣ ـ ٥ (٦)	١٩ سنة
	نتى ، أ ١٧ ، زوسر تتى ، س ١٣ ، زوسر تى ، ت ٣ ـ ٦	٦ سنوات
	ســـجس ، أ ـ ١٨ ، نب كارع ، س ١٤ ، ٠٠ (جفا ؟) ، ت ٣ ـ ٥	٦ سنوات

(١) R.T., II, pl. 23, 191-200 وحذف نبوى حوتب ايم اف pl. 24

(٢) R.T., II, pl. 23, 201

(٣) Quibell, Hierakonpolis, I, pls. 36-40 واللوحة Op. cit., II, pl. 58

(٤) منقول للاسرة الثانية ليترك زوسر ، كاول ملوك الأسرة الثالثة كما هو فى تورين ٠

(٥) أ ، (الذى كان من رجاله ايموتس) وعرف (عند) المصريين كاسكليبيوس بسبب مهارته الطبية ، والذى اخترع البناء بالحجر المنحوت ، وقد كرس اهتمامه كذلك للكتابة » ٠

(٦) مكتوب بالحبر الأحمر ٠

(٣) توريس ٧ سنوات
(٤) مسوخرس ١٧ سنة
(٥) سوفس ١٦ سنة
(٦) توسرتاسس ١٩ سنة
(٧) أخس ٤٢ سنة
(٨) سفورس ٣٠ سنة
(٩) كرفريس ٢٦ سنة
المجموع ٢١٤ سنة

نفر كارع ، ١٩٢ ،
س ت — م ٠
حونى ، س ١٥ ، أ — م٠
حو ٠٠ ، ت ٣ — ٨ ٢٤ سنة

لا تعرف الآثار من بين الملوك المذكورين عاليه سوى الأول (زوسر ، اللقب الحوريسى نترى خى) والأخير (حونى ، اللقب الحوريسى غير معروف) ٠ انظر النص السابق فيما يتصل بالثلاثة الآخرين الذين لهم ألقاب حوريسية هى سخم خى، خاع با ، زانخت ٠

الأسرة الرابعة

مانيثو « ثمانية ملوك من منف ينتسبون لفرع مختلف » ، تحت عنوان « قوائم الملوك » تعنى هـ تتابع خمسة من الملوك فى هذه الأسرة مسجلين فى نقش صخرى ، ربما من عهد الأسرة الثانية عشرة ، عثر عليه فى وادى الحمامات (١) ويبدأ التاريخ الافتراضى للأسرة الرابعة من ٢٦٢٠ ق ٠ م ٠

مانيثو	قوائم الملوك	هيرودوت	بردية تورين
(١) سورس ، ٢٩ سنة	= سنوفرو ، أ ٢٠ س ١٦ ، ت ٣ ـ ٩		٢٤ سنة
(٢) سوفس (٢) ، ٦٣ سنة	= خوفو (بدلا من خنوم خوفوى) أ ، ٢١ ، س ١٧ ، (٣ ـ ١٠) ، ج أ	كيوبس	٢٣ سنة
	رع جدف ، أ ٢٢ ، س ١٨ ، ت (٣ ـ ١١) ح ٢		٨ سنة
(٣) سوفس ، ٦٦ سنة	= رعخع اف أو خع اف رع ، أ ٢٣ ، س ١٩ ، ت ٣ ـ ١٢ ، ح ٣	كفرن	مفقود
	حار جدف (٣) ، أ س ـ م ح ٤ ، (ت ٣ ـ ١٣)		مفقود
	رع با اف (٣) ، أ س ت ـ م هـ ٥		محذوف
(٤) منكيرس ، ٦٣ سنة	ـ من كاو رع ، أ ٢٤ ، س ٢٠، ت (٣ـ١٤ ؟)	ميسرينوس	١٨ سنة (٤)

---

(١) Bull., Soc. fr. d'Eg., No. 16 (1954) pp. 41 ff.

(٢) ا ، « شيد الهرم الأكبر الذى يقول هيرودوت أن كيوبس هو الذى بناه ، كان سوفس يحتقر الآلهة ، وقد الف الكتاب المقدس الذى حصلت عليه فى مصر مقدرا قيمته الكبرى »

(٣) يعرفون فى الأدب المتأخر كامراء فقط ، لاكملوك ٠

(٤) ينسب الى ميسرينوس عن طريق البحث ، ربما ٢٨ سنة وليس ١٨

(٥) راتويسيس ، ٢٥ سنة ت (٣ ــ ١٥ ؟) ٤ سنة

(٦) بكيرس ، ٢٢ سنة أ ــ م ٠ ، س كان أربعة مهشمة الآن ، ت (٣ ــ ١٦ ؟) ٢ سنة

(٧) سبركيرس ، ٧ سنة شبسكاف (١) ، أ ٢٥ ، س ــ م ٠ ، ت ــ م ٠ ؟

(٨) ثاميتش ، ٩ سنة

المجموع ٢٧٧ سنة ٠

منذ هذه المرحلة يصبح اللقب الحوريسى على الآثار أقل أهمية من الاسم الذى يكتب بانتظام داخل خرطوش والذى يوجد غالبا كمقطع فى أسماء الأقارب ورجال البلاط والملوك التالون وحدهم هم الذين نجدهم ٠

اللقب الحوريسى	الاسم	هيرودوت
نب ماعه	سنوفرو	
مدجدو (٢)	خوفوى	كيوبس
خبر(٣)	رع جدف	
وسريب	خع اف رع	كفرن
كاخه (٤)	من كاورع	ميسرينوس
شبسس خى (٥)	شبسسكاف	

(١) يسبق وسركاف أول ملوك الأسرة الخامسة ، ومقبرته ذكرت سابقا ٠

(٢) أو مدجورو كلقب نبتى ، Wb. II, 192, II

(٣) Gauthier, L.R., I, 84

(٤) Ann. Serv., XLV, 53

(٥) مصحح Urk, I, 160

الأسرة الخامسة

مانيثو « ثمانية (١) ملوك من الفنتين » ، يخلط يوسبيوس هـــذه الأسرة بالأسرة السادسة ، التاريخ الافتراضي من ٢٤٨٠ ق ٠ م ٠

مانيثـو	قوائم الملوك	بردية تورين
(١) وسركيرس، ٢٨ سنة	= وبركاف ، أ ٢٦، س ٢٥ ، ت ٣ـ١٧؟	٧ سنة
(٢) سفريس ، ١٣ سنة	(٣ – ١٨) = ســـارحـــورع، أ ٢٧ ، س ٢٦ ، ت	١٢ سنة
(٣) نفركريس ، ٢٠ سنة	= كاكاى ، أ ٢٨ ، نفر اير كارع ، س ٢٧ ، ت (٣ – ١٩)	مفقود
(٤) سسريس ، ٧ سنة	= شبسس كارع ، س ٢٨ ، أ – م ٠ ، ت (٣ – ٢٠)	٧ سنوات
(٥) خيريس ، ٢٠ سنة ؟	= رع نفرآف ، أ ٢٩ ، خع نفررع ، س ٢٩ ، ت (٣ – ٢١)	س + ١ سنة
(٦) رثوريس ، ٤٤ سنة؟	= نى وسررع ، أ ٣٠ ، س – م ٠ ت (٣ – ٢٢)	١١ سنة
(٧) منكريس ، ٩ سنة	= من كاو حور أ ٣١ ، س – ٣٠ ، ت ٣ – ٢٣	٨ سنة
(٨) تانكريس ٤٤ ســـنة	= جدكارع ، أ ٣٢ ، ماع كارع ؟ س ٣١، جد ، ت ٣ – ٢٤	٢٨ سنة (٢)
(٩) أونوس ٣٣ ســـــنة	– ونيس ، أ – ٣٣ ، س ٣٢ ، ت ٣ – ٢٥ ت ٣ – ٢٦ « مجموع الملوك من منيتى (؟) الى (ونيس) »	٣٠ سنة
المجموع : ٢٤٨ سنة –		مفقود

يستخدم بعض هؤلاء الملوك على الآثار اسما يدخل فى تركيبه اسم رع اله الشـــمس الذى كان مؤذنا باللقب الأخير ، وكان يوضـــع داخل خرطوش ، أما الاسم الشخصى ، أو الاسم ، فاستعماله أقل ٠

---

(١) يحصى تسعة عدا ٠

(٢) تشير احدى البرديات التى جاء ذكرها سابقا جد كارع « للمرة السادســـة عشرة » وهذا يعنى ٣٢ سنة

اللقب الحوريسي	لقب رع	الاســم
أرماعه	ــــــــ	وسر كاف
نب خاعو	ساحورع	
وسر خاعو	نفر ايو كارع	كاكاى
؟	(شبسس كارع) (١)	ايزى (٢)
نفر خاعو	ــــــــ	رع نفراف
ستبيتووى	نى وسر رع	ابنى
منخـــاعو	ــــــــ	منكاوحور (٣)
جد خاعو	جد كارع	ازوزى
ود جتووى	ــــــــ	ونيس

الأسرة السادسة

مانيثو « ستة ملوك من منف » ، تاريخ افتراضى من ٢٣٤٠ ق٠م٠

مانيثـو	قوائم الملوك	بردية توريـن
(١) اوثـويـــس (٤) ، ٣٠ سنة	ـ تتى ، أ ٣٤ ، س ٣٣ ت (٤ ـ ١)	مفقود
	ـ وسر كارع ، أ ٣٥ ، س ـ م ٠ ، ت (٤ ـ ٢)	مفقود
(٢) فيوس ، ٥٣ سنة	ـبيوبى ، س ٣٤ ، مريرع ، أ ٣٦ ، ت (٤ ـ ٣)	٢٠ سنة
(٣) متوســـوفيس ، ٧ سنة (٥)	ـ مرفوع ، أ ٣٧ ، س ٣٥ ، ت (٤ ـ ٤)	٤٤ ؟ سنة
(٤) فيوبس ، ٩٩ سنة	ـ مرنرع ، أ ٣٧ ، س ٣٥ ، ت (٤ ـ ٥)	٩٠سنة + س
(٥) منثسـوفس (٦) ، ١ سنة	ـ مـرنـرع ـ عنتى ام زا اف أ ٣٩ ، ت (٤ ـ ٦)	١ سنة

---

(١) لم يعرف من عهده سوى جعل ، Gauthier, L.R., I, 119

(٢) Z.A.S., I, 3

(٣) صورة اخرى : « حوريكاو » ، Z.A.S., XLII, 8

(٤) أ ، « قتل بيد حرسه »

(٥) أ ، « بدا يحكم وهو فى السادسة واستمر فى الحكم حتى المائة » ٠

(٦) يقرأ مانيثو الصقر فى القارب (عنتى) خطأ كأنما هو مونت ٠

(٦) نتـــوكريس (١) ، ــ نيتوقرتى ، ت ٤ ــ ٧ (أو ٤ ــ ٨ ؟) ؟
١٢ سنة ، أ ؟

المجموع : ٢٠٣ ت ٤ ــ ١٤ « (مجمـــوع) الملوك ١٨١ سنة
(من تتى الى ٠٠٠)

الخمسة الأوائل من هؤلاء الملوك يعرفون بالأسماءالآتية على الآثار ٠

اللقب الحوريسى	لقب رع	الاســـم
سحتب تووى	—	تتـــى
	وسر كارع (٢)	———
مرى تووى	نفر زاحور (٣) ثم مريرع فيما بعد	بيوبى (ببى الأول)
عنخ خاعو	مرنرع	عنتى ام زا اف
نثير خاعو	نفر كارع	بيوبى (ببى الثانى)

وهناك فى بردية تورين خمسة ملوك بعد نيتوقرتى وذلك قبل تقديم المجموع الختامى للأسرة السادسة ، ولكن لم يحفظ سوى الثلاثة الأسماء الأولى ومدد الحكم الأربعة الآخيرين على الوجه التالى :

اللقب	الاســـم	قائمة الملوك	بردية تورين		
مفقــود	نفركا ، طفل٠٠	ت ٤ ــ ٩	مفقــود		
			يوم	شــهر	سنة
مفقــود	نوفه	ت ٤ ــ ١٠	١	١	٢
قاكرع (٤)	ابى	ت ٤ ــ ١١	—	٢	٤
مفقــود	مفقــود	ت ٤ ــ ١٢	١	١	٢
مفقــود	مفقــود	ت ٤ ــ ١٣	½(؟)	—	١

أما خلفـــاء مرنوع ــ عنتى أم زا اف فى قائمة ابيدوس فلا يمـــكن مقارنتهم على وجه التأكيد بأى من هؤلاء وقد وضعوا فيما بعد فى الأسرة الثامنة ٠ وقد ذكر ملكان فى أودى الحمامات همـــا اتى وامحوتب (٥) وربما كانا معاصرين للأسرة السادسة ٠

---

(١) أ ، ى « انبل وأحب نساء عصرها ، ذات بشرة بيضاء ، وهى التى بنت الهرم الثالث » ربما كان لقبها هو المذكور فى هامش الصفحة التالية رقم ٢ ٠

(٢) خاتمان اسطوانيان ، Hayes, Scepter I, P. 125

(٣) Z.A.S., XLIV, 129 ; LIX 71 ; Vandier, p. 232

(٤) هرم مهشم فى سقاره ٠ انظر Vandrier, p. 234

(٥) Op. cit., pp. 233 f.

الأسرة السابعة

مانيثو « سبعون ملكا من منف حكموا سبعين يوما » أ ٠٠ يبدو أن هذه الأسرة كلها غير شرعية ٠

العصر الوسيط الأول

الأسرة الثامنة

مانيثو «سبعة وعشرون ملكا من منف حكموا ١٤٦ سنة» وكذا أ ، اما ى فيشير الى ان خمسة ملوك حكموا مائة عام وليست هناك اســماء مذكور ٠ في الكتاب عن الثمانية عشر خلفا ل « بيوبى الثانى » حيث وردت اسماؤهم وألقابهم فى قائمة أبيدوس ، والهامش هنا يذكر النقوش والقطع التى وجدت والتى تثبت كيانهم ٠

أ ٣٩، مرنرع عنتيءام زا اف (١)　　أ ٤٠ نتير كارع　　أ ٤١ منكارع (٢)

أ ٤٢ نفر كارع　　أ ٤٣ نفـــر كارع نبى　　أ ٤٤ جد كارع شماع
أ ٤٥ نفر كارع خندو(٣)
أ ٤٦ مرنحور　　أ ٤٧ سنفر كا (٤)　　أ ٤٨ نيكارع(٤)　　أ ٤٩ نفر كارع ترور(٥)
أ ٥٠ نفر كاحور　　أ ٥١ نفر كارع ببى ســـونب　　أ ٥٢ سنفر كاعانو
أ ٥٣ قا ؟ كاورع (٦)
أ ٥٤ نفر كاورع　　أ ٥٥ نفـــر كاو حـــور (٧)　　أ ٥٦ نفر اير كارع

---

(١) انظر كذلك فى الاسرة السادسة ٠

(٢) وبما كان لقبا لنتيو كريس طبقا ل (نيوبرى) J.E.A., XXIX, 51 ff.

(٣) على اسطوانة خشنة J.E.A., XII, 92, fig. 6

(٤) معا على لوحة من الذهب في المتحف البريطاني تحت رقم ٨٤٤٤ ٠

(٥) على ختم أو جعل ، انظر Petrie, Scarabs and Cylinders, pl. 10. 7, 10

(٦) وبما لقب ايبى ، انظر الاسرة السادسة تحت ت ٤ ــ ١١

(٧) فى المراسيم التى عثر عليها فى قفط ، J.E.A., XXXII, 5, 6, j to 9 اللقب الحوريسى نتيرى باو ٠

وهناك ملك لامكان له ذكر في مرسوم فقط له لقب وادج كارع (١)
وهناك لقبان حوريسيان من نفس المصدر وربما هما لسلف وخلف
أ ٥٥ وهما على التوالى خاع (باو) ودمدج أيب تووى (٢) .

الأسرة التاسعة

مانيثو أ ، ى « تسعة عشر ملكا من هرقليوبوليس حكموا ٤٠٩ عاما (٣) أولهم اختويس وكان أبعث للرعب من كل من سبقوه وقد صنع الشر لكل من في مصر ولكنه راح فيما بعد فريسة للجنون ثم افترسه تمساح » .

الأسرة العاشرة

مانيثو « تسعة عشر ملكا من هرقليوبوليس حكموا ١٨٥ عاما »

وقد أخذت الأسرة التاسعة والعاشرة هنا معا ، ولا تشير اليهما القوائم الملكية في ابيدوس أو سقارة ، وقد أشارت بردية تورين مرة الى ثمانية عشر ملكا وجاء المجموع فى ٥ ــ ١٠ ومن بين هؤلاء ثالثهم نفر كارع ٤ ــ ٢٠ وليس اختوى سوى الرابع (٤ ــ ٢١) ثم يجيء بعد ذلك خمسة مهشمة أسماؤهم ولا يستطاع قراءتها . وهناك قطعة (رقم ٤٨) تكرر ذكر نفر كارع واختوى ولا يمكن أن تمت الى العمود الخامس حيث وضعت هناك خطأ .

أما الآثار فلا تضيف الا القليل الى الملوك الثلاثة الملقبين ب اختوى والى مريكارع (٤) الذى ناقشناه من قبل فى صلب الكتاب .

(١) URK., I, 306, 13

(٢) J.E.A., XXXII, 21-23

(٣) ى = ٤ ملوك ، ١٠٠ سنة .

(٤) انظر كذلك Gauthier LR. I. 209 f.

الدولة الوسطى

الأسرة الحادية عشرة

مانيثو « ستة عشر ملكا من ديوسبوليس (طيبه) حكموا ٤٣ سنة وجاء من بعدهم امنمس ، ١٦ سنة ٠ وتقدم بردية تورين ستة أســماء عنوانها بالأحمر (٥ ــ ١١) لم يحفظ منها سوى الآخيرين ٠ أما قائمتا ابيدوس وسقارة فتعترفان بهذين الملكين فقط ٠ ولئن أردنا الافادة كذلك من قائمة الكرنك والآثار فان التتابع يمكن أن يرتب على الوجه الآتى (١) ٠

اللقب الحوريسي	اللقب	الاســم	قوائم الملوك	بردية تورين
		انيوتف (٢)	ت (٥ ــ ١٢)	مفقــود
سهر تاوى	ــ	انيوتف الأول	ت (٥ ــ ١٣)	مفقـود
واح عنخ	ــ	انيوتف الثانى	ت (٥ ــ ١٤)	٤٩ سنة
نخت نب تب نوفة	ــ	انيوتف الثالث	ت (٥ ــ ١٥)	٨ (أو ١٨) سنة
سعنخ تووى أيب (٣) نب حد جه سامتاوى	نب جبت رع(٤)	منتحوتبة الأول	ت (٥ ــ ١٦) ، أ ٥٧ ، س ٣٧	٥١ سنة
سعنخ تو ان	سعنخ كارع	منتحوتبة الثانى	ت (٥ ــ ١٧) ، أ ٥٨ ، س ٣٨	١٢ سنة
نب تاوى	نب تاوى رع	منتحوتبة الثالث	ت أ س ــ م ٠	م ٠

وتقدم بردية تورين مجموعا قدره ١٤٣ سنة للأسرة الحادية عشرة فاذا رجعنا الى عــام ١٩٩١ ق٠م٠ المنسوب الى امتمس الأول فان بداية هذه الأسرة تكون في عام ٢١٣٤ ق٠م٠

(١) Mitt. Kairo, XIV, 42 ff.

(٢) أمير وراثى فقط ، هو انتف لدى قدامى علماء الدراسات المصرية ٠

(٣) من الواضح ان هذه هى القـــاب حوريسيه متميزة لثلاث مراحل من عهــــد منتحوتبه الاول ، وهو منتو حوتب لدى قدامى علماء الدراسات المصرية ٠

(٤) راجع P. 120 للتهجئة المخالفة فى المرحلة الاخيرة ٠

الأسرة الثانية عشرة

مانيتو « سبعة ملوك من ديوسبوليس » ، انظر الأسرة ١١ فيما يتصل بامنمس الأول ، ت ٥ ـ ١٩ لها عنوان :

« (ملوك ٠٠٠ الـ) العاصمة ات تووى » ٠

مانيتو	قوائم الملوك	بردية تورين
أمنمس ، ١٦ سنة	ـ سحتب ايبرع ، أ ٥٩ ، س ٣٩ ، ت ٥ ـ ٢٠	٩ (٢) سنة
(١) سسونخوزيس (١) ، ٤٦ سنة	ـ خبر كارع ، أ ٦٠ ، س ٤٠ ، ت ٥ ـ ٢١	٤٥ سنة
(٢) امانمس (٢) ، ٣٨ سنة	ـ نوب كاورع ، أ ٦١ ، س ٤١ ، ت (٥ ـ ٢٢)	١٠ + (أو ٣٠ + ؟)
(٣) سسبزوسترس (٣) ، ٤٨ سنة	ـ خع خبرع ، أ ٦٢ ، س ٤٢ ، ت (٥ ـ ٢٣)	١٠ سنة
	ـ خع كاورع ، أ ٦٣ ، س ٤٣ ، ت (٥ ـ ٢٤)	٣٠ (+ س)
(٤) لا خاريس (٤) ، ٨ سنة	ـ نما عرع ، أ ٦٤ ، س ٤٤ ، ت (٥ ـ ٢٥)	٤٠ (+ س)
(٥) أمريس ، ٨ سنة		
(٦) امنمس ، ٨ سنة	ـ ماع خرورع ، أ ٦٥ ، س ٤٥ ، ت ٦ ـ ١	يوم ٢٧ ، شهر ٣ ، سنة ٩
(٧) سسكميو فرس (٥) ، ٤ سنة	ـ سبك كارع ، أ ـ م ٠ ، س ٤٦ ، سبك نفرورع ، ت ٦ ـ ٢	يوم ٢٤ ، شهر ١٠ ، سنة ٣

المجموع أ ـ ١٦٠ سنة
ى ـ ٢٤٥ سنة ٠

يوم	شهر	سنة
١٦	١	٢١٣

ت ٦ ـ ٣ تختتم هكذا : مجموع ، ملوك العاصمة (ات تووى ، ٨ ملوك)

---

(١) أ ، ى « ابن امانمس » ٠

(٢) أ ، ى « قتله خصيانه » ٠

(٣) أ ، ى « اخضع كل آسيا فى تسع سنوات وكذا اوربا حتى تراقية وشاد فى كل مكان مايخلد حالة السكان وحفر على اللوحات اعضاء الرجال للنبلاء منهم واعضاء النساء للخسيسين حتى ينال التقدير لدى المصريين « كالاول من بعد أوزيريس » ٠

(٤) يقدم الاسم فى غير هذا المكان فى صور مختلفة ، واقربها الى الهيروغليفية هو « لابارس » انظر كذلك Waddell, p. 224 No. I ويعلق عليه مانيثو بقوله لقد بنى اللابيرت فى اقليم ارسينوى كمقبرة لشخصه ٠

(٥) أ ـ « اخته » (أى اخت رقم ٦) ٠

عدتها ٢١٣ سنة ، ١ شهر ، ١٦ يوما ٠ أما أ ٦٥ ، س ٤٦ يتبعهما مباشرة نب بحتى رع ، أى اموزس الأول من الأسرة الثامنة عشرة وتشير الآثار الى اشتراك فى الحكم للملوك الثلاثة الاولين وهناك دلالات كذلك على تتابع الاشتراك فى الحكم بالنسبة لـ أمنمس الثالث والرابع وكذا لـ امنمس الثالث والملك الانثى سبك نفرو ٠

لقب حورس	الاسم واللقب	أعلى تقدير لمدة الحكم	الاشتراك يبدأ فى العام	التاريخ المحتمل ق ٠ م (١)
(١) وحام مسوى	سحتب ايبرع امنمحيه (١)	٣٠	٢١	١٩٩١ ــ ١٩٦٢
(٢) عنخ مسوى	خبر كارع سنوسرة (١)	٤٤	٤٣	١٩٧١ ــ ١٩٢٨
(٣) حنكماعة	نوب كاورع امنمحيه (٢)	٣٥	٣٢	١٩٢٩ ــ ١٨٩٥
(٤) سشمونووى	خاع خبررع سنوسرة (٢)	٦		١٨٩٧ ــ ١٨٧٧
(٥) نتير خبرو	خاع كاورع سنوسرة (٣)	٣٣		١٨٧٨ ــ ١٨٤٣
(٦) عاو	نماع رع امنمحية (٣)	٤٥	٤٣ (؟)	١٨٤٢ ــ ١٧٩٧
(٧) خبر خبرو	ماع خرورع امنمحية (٤)	٦		١٧٩٨ ــ ١٧٩٠
(٨) مرت رع	سبك كارع سبك نفرو			١٧٨٩ ــ ١٧٨٦

والأرقام التى تقدمها الآثار تتفق تقريبا بما جاء فى بردية تورين ٠

العصر الوسيط الثانى

عن الأسرات ١٣ ــ ١٧ لدى مانيتو ارجع الى صفحة 197ومايليها ٠ ليست هناك أسماء الا للملوك الهكسوس ٠ فيتجاهل أ ، س هذا العصر تماما ٠ يقدم ك عددا من الأسماء ولكن فى تتابع مضطرب ٠ والملوك فى بردية تورين (ت) مذكورون هنا كاملين باضافة أسماء من مصادر أخرى وضعت بين أقواس ( ) ، النجمة ✻ تشير الى أن أصحابها معروفون لدينا عن طريق الآثار كذلك أو عن طريق قطع أخرى ٠ سجلت مدد الحكم طبقا لـ ت حيث أنها محفوظة هناك ٠

---

(١) Parker, p. 69 وكذا أيضا Edgerton فى J.N.E.S., I, 307 ff.,

٦ ــ ٥ (سخم) رع ــ خوتووى (امنمحيه ــ سبك حوتبه) (١) ، ك *
يوم شهر سنة
(ظل فى) الحكم ٢٤ ٣ ٢

٦ ــ سخم كارع أ (امنمحيه ــ سونبى) اف * ؟ ــ ٠٠٠٠٠٠ غير مشغول ، ٦ سنوات

٦ ــ ٧ رع ؟ (أ) امنمحيه * ؟ (٢) ٣٠٠٠٠٠٠ سنة

٦ ــ ٨ سحتب ايب رع * ؟ (٣) ٠٠٠ ١ (سنة) (هناك آخر يحمل نفس الاسم ٦ ــ ١٢)

٦ ــ ٩ افناى

٦ ــ ١٠ سعنخ ايبرع (امنى ــ انيوتف ــ امنمحيه*) ، ك (هناك آخر يحمل الاسم نفسه ٨ ــ ١٨)

٦ ــ ١١ سمنكارع

٦ ــ ١٢ سحتب ايب رع (٣) (هناك آخر يحمل الاسم نفسه ٦ ــ ٨)

٦ ــ ١٣ سوادج كارع (هناك آخر يحمل الاسم نفسه ٨ ــ ٦)

٦ ــ ١٤ نجم ايب رع

٦ ــ ١٥ رع ؟ سبك (حوتبه) (١ ؟) ابن نن (؟) ٠٠٠ ، ٢ (سنة)

٦ ــ ١٦ رن (سو) نب ، ٤ شهور

٦ ــ ١٧ أويب رع ٠٠ ٧ (شهور ؟) (هناك آخر يحمل نفس الاسم ٨ ــ ١٢)

٦ ــ ١٨ سجفاكارع (كاى ــ امنمحيه *) ٠٠٠ سنوات

٦ ــ ١٩ سخم رع ــ خوتووى ــ سبك حوتبه (الثانى ؟) (وجف) ، ك* ؟ ٠٠٠ سنوات

٦ ــ ١٨ سجفاكارع (كاى ــ امنمحيه *) ٠٠٠ سنوات

٦ ــ ٢١ (سمنخ) كارع ، القائد *

٦ ــ ٢٢ ٠٠٠٠٠ كا (رع) انيوتف * ؟

٦ ــ ٢٣ ٠٠٠ يب ؟ ست

---

(١) لمناقشة الموضوع راجع Vandier, p. 322-3.

(٢) Op. cit., pp. 323-4.

(٣) Op. cit., p. 325.

٦ ــ ٢٤ سخم كا ؟ رع (١) ــ سبك حوتبه (الثالث ؟) * ، ٣ سنوات، ٢ (شهر)

٦ ــ ٢٥ خع (سخم) رع ــ نفر حوتب ، ابن حاعو نخ اف ، ك *

شهر سنة

١ ١١ ٠٠٠

٦ ــ ٢٦ رع ؟ سى حتحور ٠٠٠٠ ٣ (شهر ؟)

٦ ــ ٢٧ خاع نفر رع سبك حوتبه (الرابع ؟) ، ك *

		يوم	شهر	سنة
٧ ــ ١	خاع حوتب رع (سبك حوتبه الخامس؟) ،	٢٩	٨	٤
٧ ــ ٢	واح ايب رع ياع يب *	٢٨	٨	١٠
٧ ــ ٣	مرنفر رع * ، ظل فى (الحكم)	١٨	٨	٢٣
٧ ــ ٤	مر حتب رع (اناى) ، ك * ،	٩	٢	٢
٧ ــ ٥	سعنخ رع ان سوادج تو	(٠٠٠)	٢	٣
٧ ــ ٦	مر سخم رع اند ، * ك	١	١	٣

٧ ــ ٧ سوداج كارع حورى خمسة أعوام وثمانية (شهور ؟)

٧ ــ ٨ مركا (و؟) رع ــ سبك (حوتبه) ، ك* ، سنتان وأربعة (شهور؟)

٧ ــ ٩ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠١١ (شهرا ؟)

٧ ــ ١٠ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ثلاثة (شهور ؟)

٧ ــ ١١ ، ١٢ مفقود ٠

٧ ــ ١٣ ٠٠٠٠ موزة

٧ ــ ١٤ رع ٠٠٠٠ ماعة ايبى *

٧ ــ ١٥ رع ٠٠٠٠ وبن حور ٠٠٠

٧ ــ ١٦ رع ٠٠٠٠٠ كا

٧ ــ ١٧ ــ ٢١ مفقود

٧ ــ ٢٢ مر خبر رع

٧ ــ ٢٣ مركا (رع)

---

(١) ربما ينقح الى الاسم المشهور « سخم رع سوادج تووى » ٠

٧ ــ ٢٤ ــ ٢٧ مفقود
٨ ــ ١ نحاسى * ٠٠٠٠ سنوات ، ٣ (شهور ؟)
٨ ــ ٢ خاع تى رع ٠٠٠ (سنوات) ، ٣ (شنهور؟)

	يوم	شهر	سنة
٨ ــ ٣ نب فاو رع	١٥	٥	١

	يوم	شهر	سنة
٨ ــ ٤ سحب رع ، جلس على العرش	١	٠٠	٣

٨ ــ ٥ مر جفا رع ، ٣ سنوات
٨ ــ ٦ سوادج كارع ، ١ سنة (هناك آخر يحمل نفس الاسم ١ ــ ١٣)
٨ ــ ٧ نب جفا رع ، ١ سنة
٨ ــ ٨ وبن رع ، ٠٠٠ (١ ؟) سنة ٠٠٠

	شهر	سنة
٨ ــ ٩ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ،	١	١

٨ ــ ١٠ ٠٠٠٠٠ (جفا ؟ رع) ، ٤ سنوات
٨ ــ ١١ ٠٠٠ (و) بن (رع) ، ٣ (سنوات)
٨ ــ ١٢ أويب رع ٠٠٠ (هناك آخر يحمل نفس الاسم ٦ ــ ١٧) غير (مشغول) ، ١٨ يوما
٨ ــ ١٣ هريبرع ٢٩٠٠٠٠٠
٨ ــ ١٤ نبسنرع ٠٠٠ ٥ (شهور) ٢٠ يوما ، غير مشغول ، ٠٠٠
٨ ــ ١٥ ٠٠٠٠ رع ٠٠٠٠٠ ٢١ (يوما)
٨ ــ ١٦ سخبر ان رع ، ٢ سنة ، ١ (يوما ؟)
٨ ــ ١٧ جد خرو رع ، ٢ سنة ، ٥ (يوما ؟)
٨ ــ ١٨ سعنخ ايب رع ٠٠٠ ١٩ (يوما) (هناك آخر يحمل نفس الاسم ٦ ــ ١٠)
٨ ــ ١٩ نفدتم رع ٠٠٠٠٠ ١٨ (يوما)
٨ ــ ٢٠ سخم ٠٠٠٠ رع ، ظل فى (الحكم) ٠٠٠ ، شهور
٨ ــ ٢١ كاكمورع ٠٠٠٠٠ سنوات
٨ ــ ٢٢ نفر ايب رع * ٠٠٠٠ سنوات
٨ ــ ٢٣ يا ٠٠٠٠٠٠٠ سنوات
٨ ــ ٢٤ خاع ٠٠٠٠٠٠ رع ٠٠٠٠

٨ ـ ٢٥ عا كارع ٠٠٠٠٠٠٠٠٠

٨ ـ ٢٦ سمن ٠٠٠ رع ٠٠٠٠٠٠٠

٨ ـ ٢٧ جد ٠٠٠٠٠ رع

وهناك أربعة أو خمسة أسماء مفقودة

أما القطع المرتبة كأعمدة ٩ ، ١٠ فيضم معظمها أسماء مهشمة أو غريبة وبخاصة : ١٧ ـ ٢٢ ، ١٠ : ١ ـ ١١ التى تبدو من الواضح وهمية ولا تخص ملوكاحقيقيين ٠ ومن بين الملوك الحقيقيين الملوك التالون:

٩ ـ ٧ سنفر (كا ؟) رع ، ﻫ

٩ ـ ٨ من ٠٠ رع

٩ ـ ٩ جد ٠٠ رع

٩ ـ ١٤ انك ٠٠

٩ ـ ١٥ انب ؟ ٠٠

٩ ـ ١٦ اب ٠٠

٩ ـ ٢٩ ٠٠ كا (رع ؟) نب ان ناتى

٩ ـ ٣٠ ٠٠ كا (رع ؟) ببنم

وقد وضعت فى العمود ١٠ بصفة تجريبية القطعة الهامة التى تخص الهكسوس :

١٠ ـ ٢٠ (رئيس البلاد الأجنبية) خامودى (١)

١٠ ـ ٢١ (مجموع ، رؤساء) البلاد الأجنبية ٦ ومدة حكمهم ١٠٨ سنة (٢)

وما تم تركيبه كعمود (كنهر) ١١ يضم قطعتين تقدم السفلى منهما أكثر بقليل من مدد حكم خمسة من الحكام هى على التوالى ٢ ، ٢ ، ٤ ، ٣ ، ٣ ، سنوات٠ أما الجزء العلوى من العمود فيقرأ هكذا :

١١ ـ ١ سنجم ٠٠ رع ٣ سنوات

١١ ـ ١ سخم ٠٠رع ١٦ سنة

---

(١) ليس فى خرطوش ٠

(٢) رقم ١٠٠ مؤكد اما رقم ٨ فاقل تأكيدا ٠

١١ ـ ٣ سخمس ٠٠ رع ١ سنة

١١ ـ ٤ سوادج (ان ؟) رع ١ سنة

١١ ـ ٥ نبيرى (ار) آو (١) * ٩ (؟) ٢ سنة

١١ ـ ٦ نبيتاو ٠٠

١١ ـ ٧ سمن ٠٠ رع ٠٠ سنوات

١١ ـ ٨ سوسر ٠٠ رع ١٢ سنة ٠٠ غير مشغول ٠٠ أيام

١١ ـ ٩ سخم رع ـ شد ويسه ٠٠ سنوات

ثم خمسة أسماء مفقودة

١١ ـ ١٥ (المجموع) ، ٥ ملوك ٠٠

١١ ـ ١٦ وسر ٠٠ رع

١١ ـ ١٧ وسر

أما فيما يتصل بملوك الهكسوس فانظر التفصيلات تحت العنوان الخاص بهم وكذا صفحات 149-50, 155-726 واما فيما يتصل بالملوك الذين ينسبون الى الأسرة السابعة عشرة فذلك :

(أ) لأن لهم توابيت وأشياء أخرى عثر عليها فى طيبه

(ب) لأنهم ذكروا فى سرية التفتيش من عهد رمسيس التاسع

(ج) لأنه يمكن التعرف عليهم من وراء أسماء وردت فى بردية تورين ٠

أما التتابع فغير مؤكد الا فيما يتصل بالأرقام ٩ ـ ١١ التى تسبق الأسرة الثامنة عشرة مباشرة ٠ وهناك قطع عثر عليها تحمل أسماءهم (أنظر Vandier pp. 318-21) وأما المناقشات المتصلة بهم ففى نفس المرجع pp. 296-7, 328-33

١ـ سخم رع واح خاع رع حوتبه ، جـ = ت ١١ ـ ١ ؟

٢ ـ سخم رع وادج خاعو سبك أم ساف ، حـ = ت ١١ ـ ٢ ؟

٣ ـ سخم رع ـ سمنتووى جحوتى ، أ ، حـ = ت ١١ ـ ٣ ؟

٤ ـ سوادج ان رع نب ايريراو ، أ ، حـ = ت ١١ ـ ٥

٥ ـ نوب خبر رع انيوتف ، أ ، ب

---

(١) انظر فيما يتصل بلوحة يظهر فيها اسم هذا الملك سوادج ان رع كما هى الحال فى ١١ ـ ٤ ٠

٦ ــ سخم رع وب ماعة انيوتف عو ، أ ، ب
٧ ــ سخم رع هر حيما ع انيوتف ، أ
٨ ــ سخم رع شد تووى سبك ام ساف أ ، ب ، حـ = ت ١١ــ٩؟
٩ ــ سنخت ان رع ؟ تاعو ، أ ، ب
١٠ــ سقنن رع تاعو ، أ ، ب
١١ــ وادج خبر رع كاموزه ، أ ، ب ...

ويمكن الرجوع الى المصادر المذكورة فى آخر الفصل السابع من هذا الكتاب عن بقية ملوك العصر الوسيط الثانى ٠

ملوك الهكسوس

يشير افريكانوس الى الأسرة الخامسة عشرة لدى مانيتو كأنما تضم ستة من الأجانب من فينيقيا ، استولوا على منف ، وأسسوا كذلك مدينة فى المقاطعة السيثروية اتخذوها كقاعدة لهم اخضعوا مصر منها « ثم يذكر ستة ملوك فهم » يختلفون اختلافا يسيرا من ناحية الشكل والترتيب عما اورده جوزيفوس (انظر p. 156) وهم ٠

١ ــ سايتيس ، ١٩ سنة
٢ ــ بنون ، ٤٤ سنة
٣ ــ بخنان ، ٦١ سنة
٤ ــ ستآن ، ٥٠ سنة
٥ ــ ارخليس ، ٤٩ سنة
٦ ــ افوفيس ، ٦١ سنة

واذا استثنيا ما جاء فى ت (انظر الصفحتين السابقتين) فان قوائم الملوك لا تورد ذكرا لهم ، ولكن القائمة المفية للكهنة (انظر pp. 50, 160 تقدم اسم عقن (؟ = عقننرع) خلفا لـ ايبى (؟ = ت ٧ ــ ١٤) ثم بعد خمسة من الكهنة نلتقى بـ « شارك » وآخيرا بـ « ابوب » قبل امازيس من الأسرة الثامنة عشرة مباشرة ٠

وأما الآثار فلا تكشف الا عن أربعة أسماء لها قيمتها :

الاسم واللقب

عاقنن رع ابوبى	بدون تاريخ
نب خبش رع ابوب	»
سوسر ان رع خايان	»
عاوسر رع ابوبى	التاريخ الوحيد ٣٣ سنة

الدولة الحديثة

الأسرة الثامنة عشرة

الاسم المستخدم في هذا الكتاب	الاسم واللقب	أعلى مدة حكم	التاريخ الافتراضي ، قبل الميلاد
اموزيس	نب بحتي رع عاحموزه	٢٢	١٥٧٥ ـ ١٥٥٠
امنوفيس ١	زسر كارع امنحتبه	٢١ (١)	١٥٥٠ ـ ١٥٢٨
توثموزيس ١	عاخبر كارع دحوتموزه	٤ (أو ٩) ؟	١٥٢٨ ـ ١٥١٠
توثموزيس ٢	عاخبر ان رع دحوتموزه	١٨ (٢)	١٥١٠ ـ ١٤٩٠
حاشبسوه	ماع كارع حاشبسوه	٢٠	١٤٩٠ ـ ١٤٦٨ (٣)
توثموزيس ٣	من خبرو رع دحو تموزه	٥٤	١٤٩٠ (٤) ـ ١٤٣٦
امنوفيس ٢	عا خبرو رع امنحتبه	٢٣ (٥)	١٤٣٦ ـ ١٤١٣
توثموزيس ٤	من خبرو رع دحوتموزه	٨ (٦)	١٤١٣ ـ ١٤٠٥
امنوفيس ٣	نب ماع رع امنحتبه	٣٧	١٤٠٥ ـ ١٣٦٧
امنوفيس ٤	نفر خبرو رع ـ وع ان رع ـ امنحتبه	١٧	١٣٦٧ ـ ١٣٥٠
اخناتون	اخناتن		
سمنخ كارع	عنخ خبرو رع سمنخ كارع	٣	١٣٥٠ ـ ١٣٤٧
	نفر نفرو اتن ـ مر واع انرع		١٣٤٧ ـ ١٣٣٩
توت عنخ اتن	نب خبرو رع توت عانخ اتن	٩	
توت عنخ امون	توت عانخ امون		
اى	خبر خبرو رع اتنوتي ـ آى	٤	١٣٣٩ ـ ١٣٣٥
خرمحاب (٧)	زسر خبرو رع حارمحاب	٢٧ (٨)	١٣٣٥ ـ ١٣٠٨ ؟

(١) انظر I. 175, No. 3

(٢) Ann. Serv., I, 99

(٣) حوالى ٢٢ سنة كاشتراك مع توثموزيس الثالث ·

(٤) Parker, in J.N.E.S., XVI, 42

(٥) URK. IV, 1545

(٦) Op. cit., IV, 1545

(٧) بتوسط ما بين الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة

(٨) انظر P. 242, No. 1

مانيثو : جـ = جوزيفوس ، أ = افريكانوس ، ى = يوسبيوس

أ « ١٦ ملكا من ديوسبوليس » ، ى « ١٤ ملكا من ديوسبوليس »

شهر سنة

جـ تثموزس (١) الذى طرد الرعاة من مصر ٤ ٢٥ ، أ أموس ، ولا تحدد مدة الحكم ، ى اموزس ٢٥

جـ ابنه خبرون ١٣ سنة ، أ خبروس ١٣ سنة ، ى ، خبرون ١٣ سنة

شهر سنة

جـ امنوفس (٢) ٧ ٢٠ ، أمنوفثس ٢٤ (٢١) سنة، ى امنوفس ٢١ سنة

شهر سنة

جـ اخته امسس (٣) ٩ ٢١ ، أ ، امنسس ٢٢ سنة ، ى ــ م .

شهر سنة

جـ ابنها ميفريس ٩ ١٢ ، آ ، مسافريس ١٣ سنة ، ى مفريس ١٢سنة

شهر سنة

جـ ابنه ميفرموثوسس(٤) ١٠ ٢٥ ، أ،ى مسفراجموثوسس (٥) ٢٦سنة

شهر سنة

جـ ابنه ثموزس (٦) ٨ ٩ ، أ ، ى توثموزس ٩ سنة

شهر سنة

جـ ابنه امنوفس (٧) ١٠ ٣٠ ، أ ، ى امنوفس ٣١ سنة (٨)

شهر سنة

جـ ابنه اورس (٩) ٥ ٣٦ ، أ، أورس ٣٧ سنة، ى أورس٣٦ أو ٣٨سنة
ثم تلى ذلك اسماء هي موضع شك لأسلاف اورس (= حارمحاب) الذى يظهر من جديد تحت اسم يكتب بصيغة اطول هى هارماييس :

---

(١) خلطا بخطأ بـ اموزس

(٢) امنوفس الاول .

(٣) حاشبسوه ؟

(٤) توثموزس الثالث .

(٥) أ . في عصره حدث فيضان عصر دوكاليون .

(٦) توثموزس الرابع .

(٧) امنوفس الثالث .

(٨) « ذاع صيته بأنه ممنون وانه التمثال الناطق « أ ، ى » .

(٩) حار محاب .

شهر سنة
ج ابنته آكنخيريس ١ ١٢ ، أ، اخريس ٢٣ سنة ، ى اكنخيرسس (١٢ سنة)
ج اخوه رثوتس ٩ سنة ، أ ، راوثس ٦ سنة ، ى ـ م .
شهر سنة
ج ابنه آكنخيريس ٥ ١٢ ، أ ، خبريس ١٢ سنة ى ، اخريس ٨ سنة .
شهر سنة
ج ابنه اكنخيريس الثانى ٣ ١٢ ، أ، اخريس ١٢ سنة، ى خريس ١٥ سنة
شهر سنة
ج ابنه هارمايس (١) ١ ٤ ، أ ، ارميسس ٥ سنة ، ى ارمايس ٥ سنة
وينهى مانيتيو الأسرة الثامنة عشرة ـ كما نقل ذلك عنه ج بأربعة خلفاء لـ هارماييس (= حازمحاب) كان يجب أن يضعهم فى الأسرة التاسعة عشرة حيث سيرد ذكرهم هناك . وقد أشرنا من قبل فى p. 156 ان مقتطفات ج عن مانيتو قدمت مستهدفة تدعيم وجهة نظر الأخير لما جاء فى التوراة عن الخروج وطرد الهكسوس فى عهد تثموزس مشيرة الى نفس الحادثة التاريخية ، وهى وجهة نظر لا يوافق عليها كتاب « راولى » p. 130 N. 2 ونحن نقرر هنا أن المقتطفات المطوله فى هذا الصدد تضم قصصا شعبية كثيرة يشيع فيها الخيال الضخم من الواضح أن الكثيرين من أمثال المؤرخ اليهودى صدقوها .

الأسرة التاسعة عشرة

الاسم المستخدم فى هذا الكتاب	الاسم واللقب	أعلى مدة حكم	التاريخ الافتراضى قبل الميلاد
رمسيس الاول	من بحتى رع رعمسه	٢	١٣٠٨
سيثوس الاول	من ماع رع ستى مرنبتاح	١١ (٢)	١٣٠٩ ـ ١٢٩١
رمسيس الثانى	وسى ماع رع ستب ان رع رعمسة ميامون	٦٧	١٢٩٠ (٢) ـ ١٢٢٤
مرنبتاح (٣)	بينرع مرامون مرنبتاح حوتب حيماعة	١٠	١٢٢٤ ـ ١٢١٤
سيثوس الثانى	وسى خبرو رع ستب ان رع ستى مرنبتاح	٦	١٢١٤ ـ ١٢٠٨

---

(١) لوحة من جبل البرقل Z.A.S., LXIX, 74
(٢) Parker فى I.N.E.S., XVI 43
(٣) يعرف فى اغلب الامر كـ « منفتاح » انظر مانيثو فيما بعد ، وكذا O.L.Z. VI, 224

الاسم المستخدم في هذا الكتاب	الاسم واللقب	أعلى مدة حكم	التاريخ الافتراضي قبل الميلاد
امنمسه (١)	من مي رع ستب ان رع امنمسه حقاويسه	–	–
سبتاح	سخاع ان رع ستب ان رع رعمسة سبتاح	(١)	(١٢٠٨)
سبتاح (متأخر)(٢)	اخ ان رع ستب ان رع مرنبتاح سبتاح	٦	١٢٠٨ – ١٢٠٢
توسرة	ست رع مرى امون توسره ستب تنموت	٨ ؟	١٢٠٢ – ١١٩٤

وقد اعقبت الفرعون الانثى فترة قصيرة لم يكن فيها ملوك ٠

الاسرة الثامنة عشرة (تتمة) والاسرة التاسعة عشرة لدى مانيثو

ج = جوزيفوس أ ـ افريكانوس ى = يوسبيوس

يلى هرمايس (أنظر الصفحة السابقة) فى أ ، ى عند نهاية الاسرة الثامنة عشرة :

شهر سنة

ج ابنه رمسيس (٣) ٤ ١ ، أ ، رمسيس ١ سنة ، ى ـ م ٠

شهر سنة

ج ابنه حرمسيس ميامون (٤) ٢ ٦٦ ، أ ـ م ٠ ، ى رمسيس ٦٨ سنة٠

شهرسنة

ج ابنه امنوفيس (٥) ٦ ٢٩ ، أ ـ امنوفاث ١٩ سنة،ى أمنوفس٤٠ سنة

ج ابنه سيثوس (٦) ويسمى كذلك رمسيس برزت قدرته فى العربات والاسطول (١٠ سنوات) ، أ ، ى ـ م ٠

تبدأ الاسرة التاسعة عشرة لدى مانيتو عند هذه النقطة ، أ ، من ديوسبوليس ٧ (٦) ملوك ، ى من ديوسبوليس ٥ ملوك ٠

---

(١) مختصر جدا ، قبل أو خلال حكم سيتوس الثانى ٠

(٢) J.F.A., XLIV, 12 ff.

(٣) رمسيس الاول ٠

(٤) رمسيس الثانى ٠

(٥) مرنبتاح ٠٠

(٦) سيثوس الثانى ٠٠

أ سيتوس (١) ٥١ سنة ، ى سيثوس ٥٥ سنة
أ ربساكيس (٢) ٦١ سنة ، ى مبسيس ٦٦ سنة
أ امنفثس (٣) ٢٠ سنة ، ى امنفثس ٤٠ سنة
أ رمسيس (٢) ٦٠ سنة ، ى ـ م ٠
أ امنمنيس (٣) ٥ سنة ، ى ـ امنميس ٢٦ سنة
أ ، ى ثوريس (٤) (ذكرت كملك) ٧ سنوات

الأسرة العشرون

الاسم المستخدم في هذا الكتاب	الاسم واللقب	أعلى مدة حكم	التاريخ الافتراضي قبل الميلاد
ستنت نختته	وسى خاعورع ـ مرامون ستب ان رع ست نختته ـ مرر رع ـ مرامون	٢	١١٨٤ ـ ١١٨٢
رمسيس الثالث	وسى ماع رع ـ مرامون رعمسة ـ حقا اون	٣٢	١١٨٢ (٥) ـ ١١٥١
رمسيس الرابع	حقا ماع رع (٦) ستب ان أمون رعمسة حقا ماعه ـ مرامون	٦	١١٥١ ـ ١١٤٥
رمسيس الخامس	وسى ما رع سخبر ان رع رعمسه امنحي خوبشي اف ـ مرامون	٤	١١٤٥ ـ ١١٤١

---

(١) سيتوس الأول .

(٢) سيثوس الثاني ، انظر الصفحة السابقة رقم ٦ ، مختلطا برمسيس الثاني .

(٣) امنمسة ؟

(٤) الملكة توسره : «المسمى بوليبوس (هومر) زوج ـ الكساندرا والذى تم الاستيلاء على طروادة فى عصره . والتاريخ المقدر لهذه الحادثة الأخيرة يقع فى عام ١١٨ ق.م.

(٥) ادوارد ماير وآخرون ، ١٢٠٠ ق.م. ، اما Rowton فى J.E.A., XXXIV, 72 فلا يضع الولاية على العرش قبل ١١٧٠ ق.م.

(٦) وسى ماعورع ـ عند بداية الحكم .

الاسم المستخدم في هذا الكتاب	الاسم واللقب	أعلى مدة حكم	التاريخ الافتراضى قبل الميلاد
رمسيس السادس	نب ماع رع مرامون رعمسه امنحي خوبش اف نوتي حقا أون	٧ (١)	١١٤١ ـ ١١٣٤
رمسيس السابع(٢)	وسى ماع رع ـ مرامون ـ ستب ان رع رعمسه ايتامون نوتي حقا اون	ـــــ(٥)	١١٣٤
رمسيس الثامن(٤)	وسى ماع رع اخ ان امون رعمسه ستي خوبش اف مرامون	ـــــ(٣)	١١٣٤
رمسيس التاسع	نفر كارع ستب ان رع رعمسه خع أم ويسته مرر أمون	١٧	١١٣٤ ـ ١١١٧
رمسيس العاشر	خبر ماع رع ستب ان رع رعمسه امنحي خوبش آف مر أمون	٣	١١١٧ ـ ١١١٤
رمسيس الحادى عشر	من ماع رع ستب ان بتاح رعمسة خع أم ويسة مرر أمون نوتي حقا اون	٢٧	١١١٤ ـ ١٠٨٧

وفي العام التاسع عشر من حكم رمسيس الحادى عشر بدأ العصر المختصر المعروف باسم « اعادة الولادات » الذى انتحل الملكية فيه مؤقتا حريحور ، الكاهن الأكبر لـ أمون رع ·

الأسرة العشرون لدى مانيثو : ١٢ ملكا من ديوسبوليس ، أ ، « حكموا ١٣٥ سنة » « ى » حكموا ١٧٨ سنة ولا تورد أية أسماء ·

---

(١) Varille, Karnak, I, pl. 68 with p. 22

(٢) من الممكن تغيير الترتيب داخليا ، Bibl. Or. XIV, 138

(٣) مشكوك فيه ، انظر J.E.A., XI, 72 ff.; XIV, 60

العصر المتأخر للأسرات

الأسرة الحادية والعشرون

التواريخ الافتراضية : ١٠٨٧ ــ ٩٤٥ ق٠م٠

يعد مانيتو هنا المصدر الرئيسى وهو يذكر سبعة ملوك من تانيس

أفريكانوس	الاســـم واللقب
سمندس ، ٢٦ سنة	حدج خبر رع ــ ستب ان رع نس بانب دد مر امون
بســوســنس (الأول) ، ٤٦ سنة (١)	عاخبر رع ستب ان امون بسيب خاع ام نى ــ مر امون
نفر خريس ، ٤ سنوات	نفر كارع ــ حقاويسة (٢) امنمنيسو (؟) مر امون
امنوفثيس ، ٩ سنوات	وسى ماع رع ستب ان أمــون امنمــوبى مر امون
أو سخور ، ٦ سنوات	غير محــدد
بسناخيس ، ٩ سنوات	غير محــدد
بسوسنس (الثانى) ، ١٤ سنة (٣)	تيت خبرو رع ستب ان رع (٤) بسيب خاع ام نى مر امون

المجموع ١٣٠ سنة كما جاء عن مانيثو ولــكن « أ » يجعه من المجموع ١١٤ ، ومما لا شك فيه أن الملك سيامون ينتســب الى هذه الأسرة ، وألقابه : نوته خبر رع ستب ان أمون سيامون ــ مرامون ، وأعلى تاريخ له هو ١٧ (٥) ٠

(١) هو كذلك لدى أ ، أما (ى) فيصير الى ٤١ سنة

(٢) أنظر p. 317 وكذا أيضا Ann. Serv., XLVII, 207-211

(٣) ى ٣٥ سنة

(٤) Gauthier L.R., III, 301 ولكن يشار هناك كذلك الى بسوسنس ثالث

(٥) Op. cit., III, 294 ff.

ويمكن الرجوع الى (صفحة) فيما يتصل بكبار كهنة أمون رع المعاصرين وكذا Gauthier, LRIII 229-85 أما التواريخ التى تصحبهم فيبدو انها خاصة بملوك تانيس ولكن هناك تاريخا واحدا يخص بالتأكيد الكاهن الأكبر من خبر (١) ٠

(١) Op. cit., III, 265

الأسرة الثانية والعشرون

التواريخ الافتراضية ٩٤٥ ــ ٧٣٠ ق٠م٠

مانيثو طبقا ل افريكانوس : الأسرة ٢٢ « تسعة ملوك من بوباستس هم (١) سسونخس ، ٢١ سنة (٢) اوسرثون ، ١٥ سنة (٣ ، ٤ ، ٥) ثلاثة آخرون ، ٢٥ سنة (٦) تكلوثس ، ١٣ سنة (٧ ، ٨ ، ٩) ثلاثة آخرون ، ٤٢ سنة ، المجموع ١٢٠ سنة » ٠

ويقدم يوسبيوس الأول تحت اسـم سسمونخوسس ثم يحذف (٣ ، ٤ ، ٥) و (٧ ، ٨ ، ٩) تاركا تاكلوثس ثالث الأسـماء وآخر الأسرة ٠

ويقابل هؤلاء على الآثار :

الاسم المستخدم في هذا الكتاب	الاسم واللقب	أعلى مدة حكم
شوشنق الأول (١)	(١) حدج خبر رع ــ ستب أن رع ــ شوشنق مرأمون	٢١
اوسركون الأول	(٢) سخم خبر رع ــ ستب ان رع اوسركون مرأمون	٣٦
تكلوت الأول	(٣) وسى ماع رع تكلوت	٧ ؟ ٢٣ ؟ (٢)
اوسركون الثانى	(٤) وسى ماع رع ستب ان أمون أوسركون مرأمون	٢٩
تكلوت الثانى	(٥) حـدج خبر ستب ان رع تكلوت سيسى مرأمون	٢٥ (٣)
شو شنق الثالث	(٦) وسى ماع رع ستب أن أمون شوشنق سى باست مرأمون	٣٩
بمـــاى	(٧) وسى ماع رع ستب أن آمون بماى مرأمون	٦
شوشنق الرابع	(٨) عا خبر رع شوشنق	٣٧

(١) تنطق هكذا فى الاشورية وليس شيشونق ، اما التوراه فتورده خطا شيشق (ملوك الأول ١٤ : ٢٥) ٠

(٢) وانظر كذلك Gauthier, L.R., III, 333, No. 3

(٣) اشتراك فى حكم مع اوسركون الثانى من العام الثالث والعشرين للأخير ، انظر كذلك B.A.R., IV, No. 697.

ويؤكد الترتيب من (١) ـ (٤) لوحة حاربسون (p. 326) ولكن مونتيه يضع مجهولا بعد اوسركون الأول وهو حقا خبر رع ـ ستب ان رع ـ شوشنق ـ مرامون ٠

الذى عثر على تابوته الفضى وموميائه فى تانيس (١) ويمكن مؤقتا ان يعرف هذا الملك بأنه شوشنق الثانى فى مكان الملك الذى يحمل هذا الرقم من قبل (٢) والذى تقوم حوله عدة مشاكل ٠٠ هذا اذا لم يكن هو فعلا شوشنق الأول ٠ وكان تكلوت الثانى (٥) ابنا لـ اوسركون الثانى كما أن شوشنق الثالث هو بالتأكيد خلف تكلوت الثانى ٠ أما فيما يتصل بمدة حكم شوشنق الثالث وقدرها ٥٢ سنة فيحسن الرجوع الى p. 334 واما عن التوقيت الخاص بالأسرات الثانية والعشرين الى الخامسة والعشرين فيحسن الرجوع الى Ed. Meyer, Geschichte des Altertums, II, 56 ff.

---

(١) Montet, Osorkon, II, p. II ; Psu., pp. 37 ff.

(٢) Gauthier, L.R., III, 350

الأسرة الثالثة والعشرون

تواريخ افتراضية ٨١٧ ؟ ـ ٧٣٠ ق٠م٠

مانيثو ـ طبقا لأفريكانوس ـ أربعة ملوك من تانيس (١) بتوباتيس (١) ، ٤٠ سنة (٢) اوسرخو (٢)، ٨ سنوات (٣) بساموس، ١٠ سنوات ، زت ، ٣١ سنة ، المجموع ٨٩ سنة

ويحذف يوسيبيوس « زت » ويقدم (١) بتوباسس ، ٢٥ سنة (٢) اوسرثون ، ٩ سنة (٣) بساموس ، ١٠ سنة ٠

أما نقوش الرصيف عن الكرنك فتسجل عدة تواريخ للملك بتوباستس أعلاها هو العام ٢٣ واما اسمه ولقبه فهو « وسى ماعرع ستب ان أمون بدوباست مرامون » ولم يمكن تحديد الملوك الآخرين لدى مانيثو فى الهيروغليفية على وجه التحقيق ٠ويعارض فانديبه Clio, 567 ff. معارضة طفيفة ما يراه أ ٠ ماير ويقترح أن تبدأ ولاية بتوباسس للعرش فى عام ٨١٧ ق٠م٠ ويعنى ذلك تداخلا كبيرا ما بينهما وبين الأسرة الثانية والعشرين ٠

وفى المرحلة السابقة لدخول بى عنخى (٧٣٠ ق٠م٠) يوضع خمسة ملوك ذوو مدد حكم قصيرة ، من بينهم اثنان باسم اوسركون ، ونرى نقوش الرصيف تجعل السنة السادسة عشرة ل بتوباست ملاصرة للسنة الثانية للملك ايوبوتى الذى يذكرنا اسمه ب « ايووابت » الذى ورد على لوحة بى عنخى (p. 336)

---

(١) أ ، اقيمت فى عهده الاحتفالات الاولمبية للمرة الأولى ومن ثم فان التاريخ يكون ٧٧٦ ـ ٧٧٥ ق ٠ م

(٢) أ ، ى « يطلق عليه المصريون هرقل »

(٣) Gauthier, L.R., III, 409

الأسرة الرابعة والعشرون

التواريخ الافتراضية ٧٢٠ ـ ٧١٥ ق٠م

يرى مانيثو (كما سلفت الاشارة فى p. 335) انها تتكون من بوخوريس من سـايس وهو ابن تخناكتس طبقـا لما جاء فى بلوتارك De Iside, ch. 8 أو ابن تنيفاخثوس طبقا لما جاء فى ديودور (1,45) وقد حكم ست سنوات (أ) أو ٤٤ سنة (ى) ٠

ويقابله فى الآثار

شبسس رع تف نخته (٧) والتاريخ الوحيد له هو العام الثـامن

واح كارع باكن رن اف (٢) والتاريخ الوحيد له هو العام السادس وانظر فيما بعد تحت عنوان الأسرة الخامسة والعشرين ٠

(١) Op. cit., 410

الأسرة الخامسة والعشرون

مانيثو « ثلاثة ملوك اثيوبيون » : (١) سبكون (١) وقد حكم أ « ٨ سنوات ، ى ــ ١٢ سنة (٢) سبكوس ، أ ١٤ سنة ، ى ١٢ سنة (٣) تركوس أ ١٨ سنة، ى تراكوس ــ٢ سنة · وأفراد الأسرة جميعاوعدتهم تسعة مبينون ادناه ولكن أول من حكم منهم مصر جميعا هو شبكو ، وأما فيما يتصل بصلاتهم وقراباتهم فانظر J.E.A., XXXV, 141 ff.

الاسم المستخدم في هذا الكتاب	مانيثو	الاسم واللقب	أعلى مدة حكم	التواريخ الافتراضية قبل الميلاد
(١) كاشتا (والد ٢ ، ٣)	—	كاشتا	—	—
(٢) بى عنخى (والد ٤ ، ٥)	—	وسى ماع رع / سنفر رع (٢)	٢١	٧٥٠ ــ ٧٣٠

وعند هذه المرحلة يحشر تف نخته وبوخوريس من الأسرة الرابعة والعشرين متدخلين مع رقمى ٢ ، ٣ على التوالى ·

الاسم المستخدم في هذا الكتاب	مانيثو	الاسم واللقب	أعلى مدة حكم	التواريخ الافتراضية قبل الميلاد
(٣) شبكو (أخ ٢)	سبكون	نفر كارع / واح ايب رع (٢) شبكو	١٥	٧١٦ ــ ٦٩٥
(٤) شبتكو (أخ ٥)	سبخوس	جد كاو رع / من خبر رع (٢)شبتكو	٣	٦٩٥ ــ ٦٩٠
(٥) تهرقا (أن ٢)	تركوس	خونفرتيم رع تهرقا	٢٦	٦٨٩ ــ ٦٦٤ (٣)
(٦) تانوات أمون(٤) (ابن ٢)	—	باكارع تانو تامون	٨	٦٦٤ ــ ٦٥٦

ومنذ حوالى ٦٦٨ ق·م· كان حكم تهرقا يتبادل فى منف مع نكو (من سايس) الذى كان يسنده الملكان الأشوريان اسارحدون واشور بانيبال (٥) ·

---

(١) أ ، ى « اخذ بوخوريس اسيرا وأحرقه حيا » ·

(٢) للاسباء المتتابعة أنظر Z.A.S., LXVI, 95-96

(٣) هذان التاريخان مؤكدان

(٤) اوردمانى بالاشورية

(٥) A.N.E.T., pp. 294, 297

الأسرة السادسة والعشرون

مانيثو ، « تسعة ملوك من سايس » .

الاسم المستخدم فى هذا الكتاب	افريكانوس	يوسبيوس	هيرودوت (٢ : ١٥٧ وما بعده) سنى الحكم
	—	(١) امـيرس الاثيوبى ، ١٢ سنة	
—	(١) ستفناتيس، ٧ سنة	(٢) ستيفيناتس ، ٧ سنوات	
—	(٢) نخبسوس ، ٦ سنة	(٣) نخبسوس ، ٦ سنوات	
نكو الأول	(٣) نكاو ، ٨ سنوات	(٤) نكاو ، ٨ سنوات	
بسامتكوس الأول	(٤) بسامتكوس، ٥٤ سنة	(٥) بسامتكوس ، ٤٥ سنة	
نكو الثانى	(٥) نكاو الثانى (١) ، ٦ سنوات	(٦) نكاو الثانى ، ٦ سنوات	٥٤ سنة
بسامتكوس الثانى	(٦) بساموتس الثانى ، ٦ سنة	(٧) بساموتس الثانى ويسمى كذلك بسامتكوس ، ١٧ سنة	١٦ سنة
			٦ سنة
ابريس	(٧) وافرس ، ١٩ سنة (٢)	(٨) وافرس ، ٢٥ سنة	٢٥ سنة
امازس	(٨) اموزس ، ٤٤ سنة	(٩) اموزس ، ٤٢ سنة	٤٤ سنة
بسامتكوس الثالث	(٩) ابسامكرتيس ، ٦ شهور	—	٦ شهور
	المجموع ١٥٠ سنة ٦ شهر	المجموع ١٦٣ سنة	

(١) أ ، ى « استولى على اورشليم وأخذ يواخاز اسيرا الى مصر »

(٢) أ ، ى هرب اليه بقية اليهود حين استولى الاشوريون على اورشليم .

ومن بين هؤلاء من نجد لهم آثارا :

الاسم المستخدم فى هذا الكتاب	الاسم واللقب	طول مدة الحكم مستقاة من ألواح الأبيس وغيرها	التواريخ ق.م(١)
نكو الأول			
بسامتكوس الأول	واح ايب رع بسمتك	٥٤	٦٦٤ ـ ٦١٠
نكو الثانى	وحم ايب رع نكو	١٥	٦١٠ ـ ٥٩٥
بسامتكوس الثانى	نفر ايب رع بسمتك	٦	٥٩٥ ـ ٥٨٩
ابريس	حا عاع ايبرع واح ايبرع	١٩	٥٨٩ ـ ٥٧٠
امازس	خنم ايبرع عاحوزه سىنيت	٤٤	٥٧٠ ـ ٥٢٦
بسامتكوس الثالث	عنخ كا ان رع بسمتك	١	٥٢٦ ـ ٥٢٥
	المجموع ١٣٩ سنة		

(١) Parker فى Mitt Cairo, XV, 212

الأسرة السابعة والعشرون

مانيتو « ثمانية ملوك من الفرس » ، يشار الى من عشر على أسمائهم مكتوبة بالهيروغليفية ، بالعلامة *

افريكانوس	يوسيبيوس	التواريخ ق ٠ م ٠
(١) قمبيزس (١) ، ٦ سنوات	(١) قمبيزس (١) ، ٣ سنوات	٥٢٥ ـ ٥٢٢
	(٢) ماجى ، ٧ شهور	٥٢١ ـ ٤٨٦
(٢) داريـــوس * (ابن هستاسبس) ، ٣٦ سنة	(٣) داريوس ، ٣٦ سنة	٤٨٦ ـ ٤٦٦
(٣) اكزركسس الاكبر ، ٢١ سنة	(٤) اكزركسس (ابن دريوس) ٢١ سنة	
(٤) ارتبانوس (٢) ، ٧ شهور		
(٥) ارتكزركسس * ٤١ سنة	(٥) ارتكزركسس طويل اليد، ٤٠ سنة	٤٦٥ ـ ٤٢٤
(٦) اكزركسس ، شهران	(٦) اكزركسس الثانى،شهران	
(٧) سوجديانوس ، ٧ شهور	(٧) سوجديانوس ، ٧ شهور	
(٨) داريوس (ابن اكزركسس) ١٩ سنة	(٩) داريوس (ابن اكزركسس) ١٩ سنة	٤٢٤ ـ ٤٠٤
شهر سنة	شهر سنة	
المجموع ٤ ١٢٤	المجموع ٤ ١٢٠	

لم يحدث مطلقا أن زار ارتكزركسس مصر والأمر كذلك بالنسبة لداريوس الثانى الذى يبدو انه أمر ، على أية حال ، بتشييد بعض المبانى فى معبد هيبس فى الواحـة الخارجة (٣) ٠ أما عن ارتكزركسس الثانى (٤٠٤ ـ ٣٥٨ ق٠م) فارجع الى صفحتى 372, 375

(١) أ ، ى « اصبح ملكا على مصر فى العام الخامس من حكمه على الفرس »

(٢) رجل من رجال البلاط وقاتل اكزركسس بن داريوس ٠

(٣) Kienitz, p. 73, No. 8

الأسرة الثامنة والعشرون

مانيثو « اميرتيوس (ى : ــ تايوس) من سايس ، ٦ سنوات » حوالى ٤٠٤ ــ ٣٩٩ ق٠م٠ وليس هناك ما يشير اليه بالهيروغليفية وان عثر عليه فى برديات ديموطيقية وارامية (١) ٠ ويقابلة باليونانية امونورتايس ٠

الأسرة التاسعة والعشرون

مانيثو « أربعة ملوك من منديس » توجد علامة * فوق من عثر على اسمائهم فى الآثار :

انريكانوس ويوسبيوس	الاسم اللقب	أعلى سنى الحكم	التواريخ ق ٠
(١) نفريتس ، ٦ سنوات	* (١) ــ نف عاورود	٤	٣٩٩ ــ ٣٩٣
(٢) بساموثس ، ١ سنة	* (٢) وسى رع ستب ان بتاح بثمن موت	ــ	(٣٩٣)
(٣) اخورس ، ١٣ سنة	* (٣) خنم ماعة رع ستب ان خنوم هكور	٦	٣٩٣ ــ ٣٨٠
(٤) نفريتس (الثانى) ، ٤ شهور	(٤) ــ نفر عاورود (ديموطيقى فقط)	ــ	ــ
(٥) موثس ، سنة واحدة	يوسبيوس فقط وربما لم يحكم اطلاقا	ــ	ــ

المجموع ٢٠ (٢١) سنة

---

(١) انظر صفحتى 372-3

(٢) يضع مانيو « اخوريس » قبل « بساموثس » ، انظر p. 373

الأسرة الثلاثون

مانيثو « ثلاثة ملوك من سبنيتوس »

الاسم المستخدم فى هذا الكتاب	افريكانوس	الاسم واللقب	أعلى مدة حكم	التواريخ ق . م .
نخت نب اف	نكتانبس ١٨ سنة	خبر كارع نخت نب اف	١٦	٣٨٠ (١) – ٣٦٣
تيوس أو تاخوس	تيوس عامان	ايرماع ان رع ، زجو ستبب ان انحور	–	٣٦٢ – ٣٦١
نخت حار حبى	نكتانبس ١٨ سنة	سنجم ايب رع – ستبب ان انحور ، نخت حار حبى	١٨	٣٦٠ – ٣٤٣
	المجموع ٣٨ سنة			

الأسرة الحادية والثلاثون

« ثلاثة ملوك من الفرس » اضيفت هذه الأسرة الى مانيتو الأصلى على يد مؤرخ متأخر ، والنص الذى يقدمه يـ سبيوس هنا أكثر كمالاً من نص افريكانوس (أ)

١ – فى السنة العشرين من حكم اوخس على الفرس حكم على مصر مدى ست سنوات (أ عامان)

٢ – ومن بعده ارسيس بن اوخس ، ٤ سنوات (أ ٣ سنوات)

٣ – ومن بعده دريوس (الثالث) ، ٦ سنوات (أ ٤ سنوات) ألذى اخضعه اسكندر المقدونى .

وقد خلف ارتكزركسس الثالث أباه ارتكزركسس الثانى فى عام ٣٥٨ ق . م وغزا مصر فى عام ٣٤٣ ق . م وبعد مقتل أوخس فى عام ٣٣٨ ق.م. خلفه ابنه الأصغر ارسس الذى قتل بدوره فى عام ٣٣٦ ق.م. وقد خلف أرسس فى عام ٣٣٥ (٣) ق.م داريوس الثالث كودومانوس . ووصل الاسكندر بشخصه الى مصر فى نهاية عام ٣٣٢ ق.م. (٤)

---

(١) Kienitz, pp. 173-5

(٢) Loc. cit.

(٣) Op. cit., p. 110

(٤) Op. cit., p. 112

محتويات الكتاب

الكتاب الأول

تمهيـــد

الـكتاب الثانى

من بناة الأهرام الى الاسكندر

الموضوع الصفحة

الكتاب الثالث

قائمة اللوحات

لوحة صدر الكتاب

١ ــ عظمة مصر

تمثال جالس ل ٠ « أمنمس الثالث » من الجرانيت الرمادى القاتم ، أجزاؤه السفلى من الوسط فما دون مكسورة ، الارتفاع قدم واحدة وثلاث بوصـات ونصف ، متحف موسـكو ٠ نشره ف ٠ ف ٠ بافلوف وم ماتيو فى :

Monuments of Ancient Egyptian art in the meuseums of U.S.S.R., Moscow, 1958, Pls. 18-20.

٢ ــ النيل فى مصر العليا
منظر يطل على الغرب الى اتجاه تلال طيبة

٣ ــ حجر بالرمو ، الصدر
عن هـ ٠ شيفر فى Abn. Berlin, 1902.

٤ ــ الهرم المدرج للملك زوسر
الوسط واليسار ، جزء من معبد ــ الهرم المرمم ، تصوير ج ٠ ف ٠ لاور ٠

٥ ــ أهرام الجيزة
منظر مأخوذ من الجو يطل على الشمال الشرقى : الهرم الثالث ٠ هرم ميسرينوس فى صـــدر الصورة ، الأهرام الأصغر حجما ربما كانت أهرام الملكات زوجاته ٠
فى الخلفية مصاطب نبلاء الهرم الأكبر ٠

٦ ــ ميسرينوس وزوجته الملكة ٠
تمثال من الاردواز من هرم الملك ، ارتفـــاعه أربع أقدام وسبع بوصات من منشـورات P.M. 122.7 تصـوير متحف بوستن للفن

٧ ـ أهرام أبو صير
من ترميم واعادة بناء ل . بورخارت في :
: Das grabdenkmal des königs Ne-user, re', Leipzig 1907.
يرى معبد شمس من بعيد .

٨ ـ الاستعدادات لوليمة لصاحب المقبرة
نقش على الحجر الجيرى من مصطبة من الأسرة الخامسة فى متحف ليدن
نشره
A.E. Holwerda & P.A.A. Boeser. فى Die Denkmäler des alten reichs

٩ ـ الدير البحرى من الجو
معبد حاشبسوه الى اليمين ، معبد منتحوتية الأول الى اليسار
صورة من مصلحة الطيران المصرية

١٠ـ حملة الحراب والسهام
نماذج خشبية ملونة من أسيوط ، المتحف المصرى ، نشرها
M.E. فى Grébaut le Musée Egyptien, I, Cairo 1890-1900

١١ـ فى داخل مقبرة « نخت »
نقوش ملونة جدارية من طيبة الغربية من عهد الأسرة ١٨
نشرتها N. de G. Davies فى
The tomb of Nakht at Thebes, New-York, 1917. لوحة 7
تصوير متحف متروبوليتان للفن ، نيويورك

١٢ـ تمثالا امنوفيس الثالث العملاقان
طيبة الغربية ، تمثال ممنون الصوتى الى اليمين ، وترى على
معبده سلسلة مقابر الشيخ عبد القرنة .

١٣ـ الوزير رعموزه يقدم الزهور الى أمون رع .
حكم أمنوفيس الثالث قبل الهرطقة . نشرتها N. de G. Davies
فى The Tomb of the Vizier Ramose, London, 1941.
لوحة ٤٦ 1941
تصوير متحف متروبوليتان للفن ، نيويورك .

١٤ـ تمثال من الحجر الرملى لاخناتون
من معبده فى الكرنك ، ارتفاعه حوالى ١٣ قدما . متحف القاهرة .

Alfred, New Kingdom art in Ancient Egypt, نشره

London, 1951.

لوحة ١٠٢ تصوير المتحف المصرى بالقاهرة ٠

١٥ـ لوحة من الحجر الجيرى من العمارنة

(أ) اخناتون يتعبد الى أتون ، المتحف المصرى
نشرها C. Aldred فى كتابه السالف الذكر لوحة ١٠٥

(ب) اخناتون كرب أسرة ، متحف برلين ، المصدر السالف الذكر لوحة ٣ صور باذن من A. Tiranti Ltd.

١٦ـ مقبرة توت عنخ أمون

الغرفة الجانبية كما رئيت للمرة الأولى ٠ تمثالا الملك يحرسان المدخل الى غرفة الدفن التى كانت مغلقة بفاصل من الجص المختوم ٠ الى الأمام الصندوق الرائع وعليه نقوش المعارك الحربية والصيد ، الى اليسار صناديق أخرى وكراس ومتكأ خاص بالاحتفالات ٠

عن
Howard Carter, the Tomb of Tutankhamen, London 1923
لوحة ١٦ من الجزء الأول تصوير H. Burton من معهد جريفث ، أوكسفورد ٠

١٧ـ تمثال من الجرانيت الأسود لرمسيس الثانى

ارتفاعه مع القاعدة ثمانية أقدام ٠ يقف الى جانب الساق اليسرى تمثال صغير للملكة نوفريتارى مرى أن موت ٠ ربما كان مصدر التمثال من الكرنك ٠ موجود حاليا بمتحف تورين ٠ تصوير اندرسون ٠ هناك مناظر أخرى نشرها

Fr. W. von Bissing, Denkmäler Agyptischer Sculptur, Munich, 1914.

لوحات ٤٨ ، ٤٩ ٠

١٨ـ صالة الأعمدة فى الكرنك ٠

من عصر رمسيس الثانى أصلا ٠ نقلا عن Jéquier, Les Temples Ramessides et Saites, Paris, 1922. لوحة ٤

١٩ـ لوحة زحنو (تحنو) ٠

من الاردواز ، من قبل الاسرات ، متحف القاهرة ٠ منشورات

P.M.V. 105.6 ; W.M.F. Petrie, Ceremonial Slate Palettes, London, 1953. Pl. G.

تصوير المتحف المصرى بالقاهرة ٠

٢٠ـ مقبض سكين جبل العرق

من العاج من عصر ما قبل الاسرات ٠ موجودة حاليا بمتحف اللوفر٠
نشرها G. Bénédite فى Monuments E. Piot, Paris 1916
تصوير P.M. V. 107. (Archives photos, Paris)

٢١ـ لوحة نعرمر (الصدر)

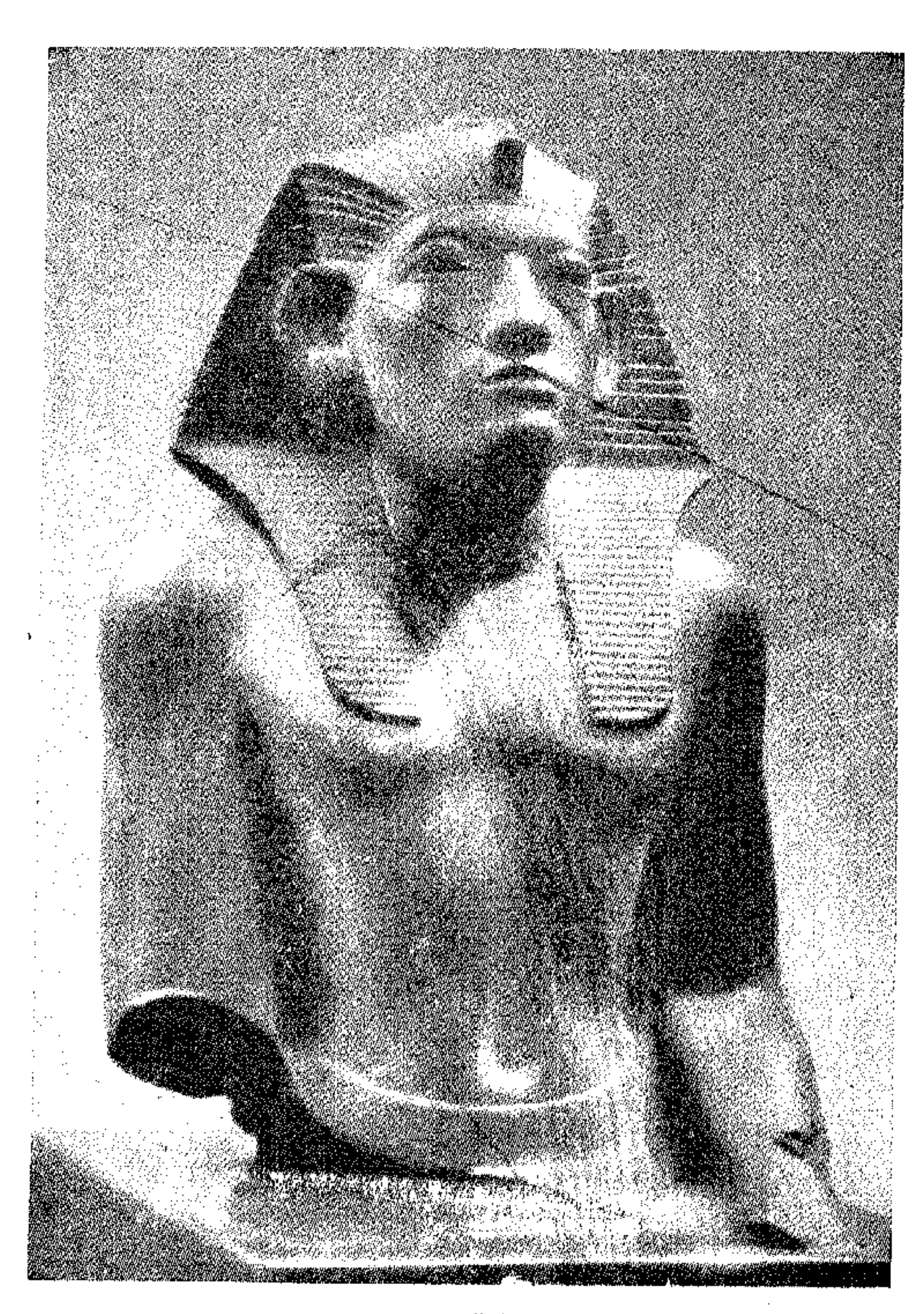
من الاردواز ، عثر عليها فى هيراكونبوليس ، موجودة حاليا بالمتحف المصرى نشرت فى W.M.F. Petrie P.M.V. 105, 193 ;
السالف الذكر ، لوحة J

٢٢ـ لوحة نعرمر (الظهر)

أنظر لوحة ٢١ ، W.M.F. Petrie والمرجع السالف الذكر لوحة K ، موجودة حاليا بالمتحف المصرى ٠

قائمة الأشكال فى النص

قائمة الخرائط

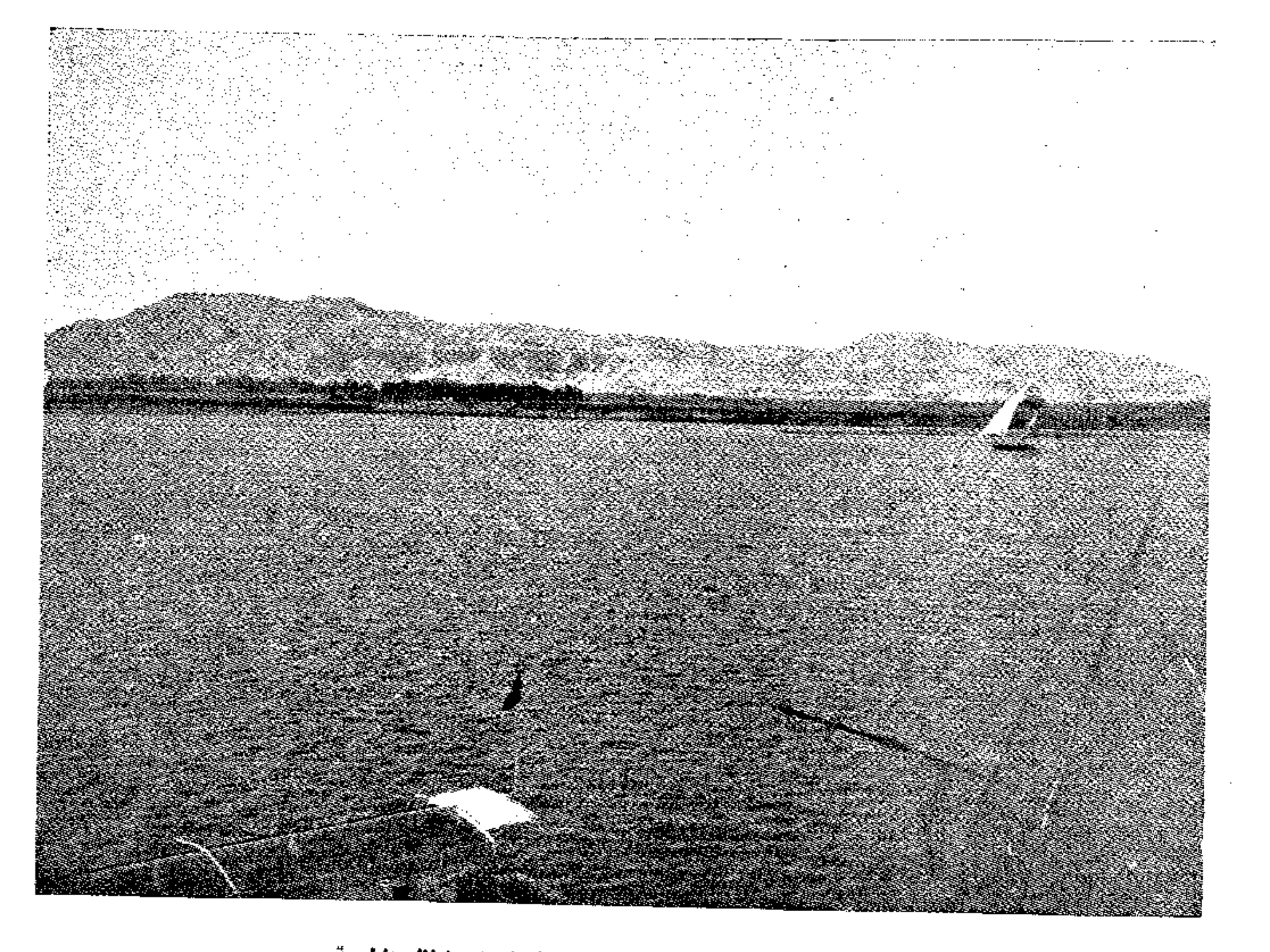


عظمة مصر

تمثال جالس لـ « أمينيمس الثالث » من الجرانيت الرمادى القاتم

(متحف موسكو)

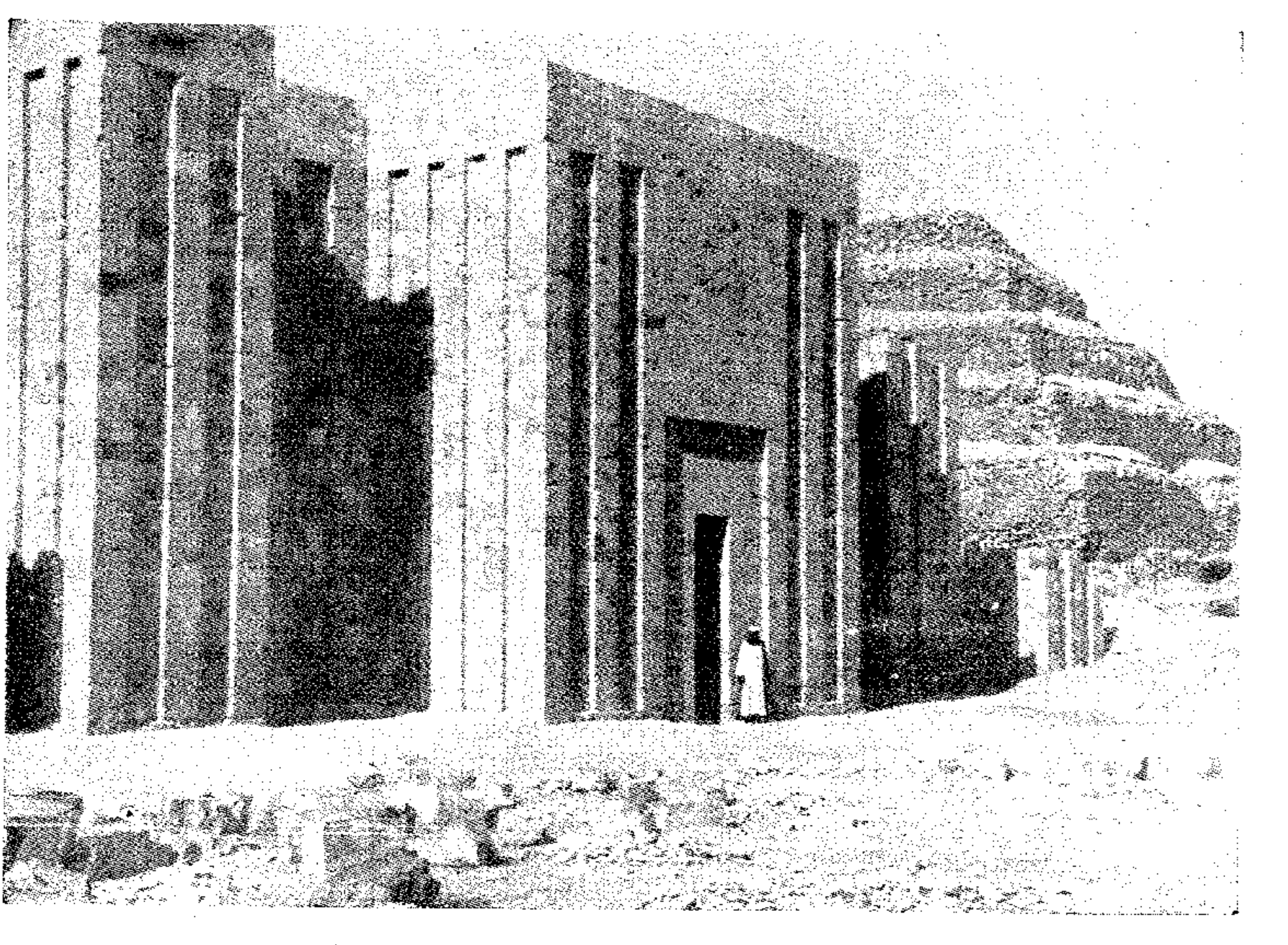
(اجزاء التمثال السفلي من الوسط فما دون مكسورة)



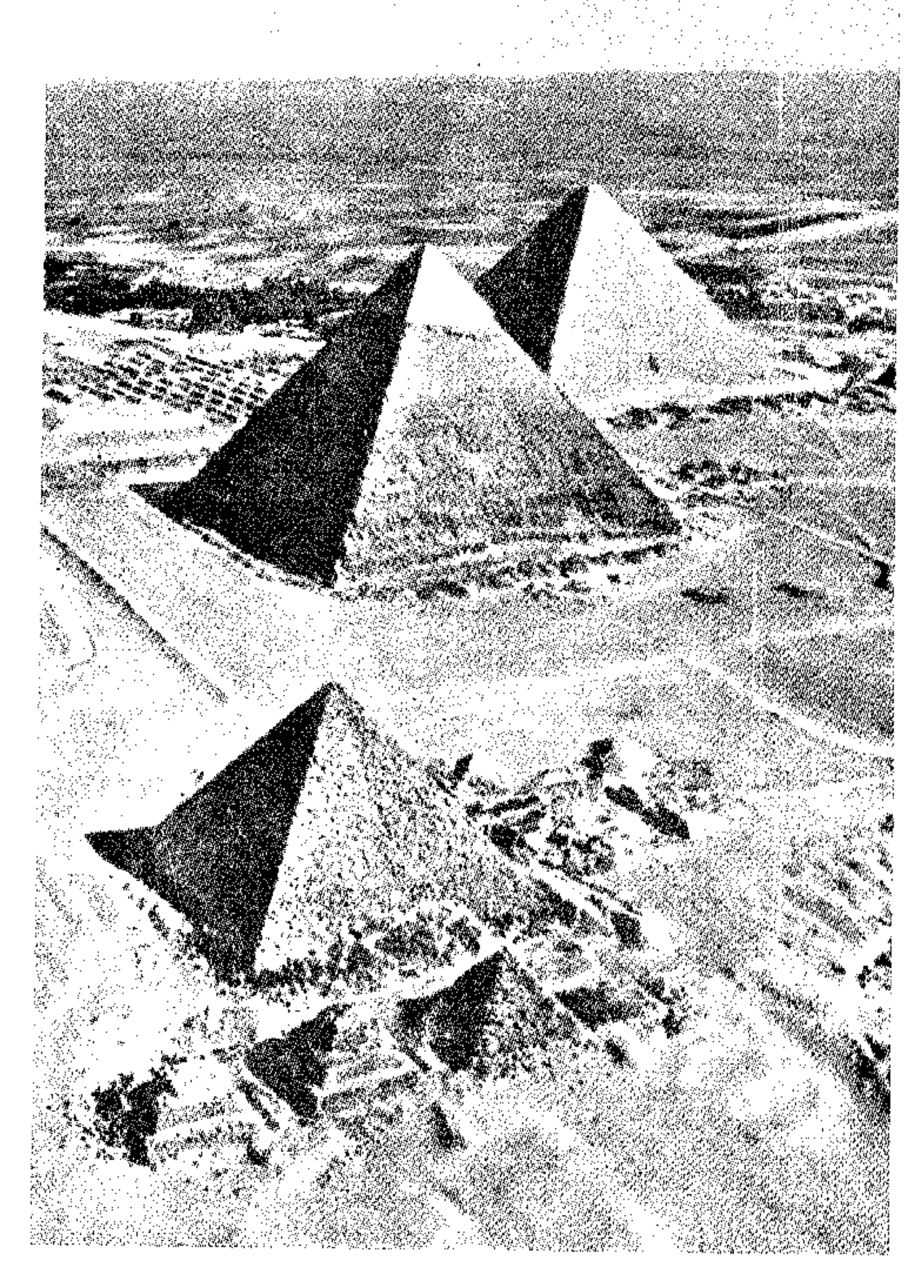
النيل فى مصر العليا ، منظر يطل غربا على التلال الطيبية



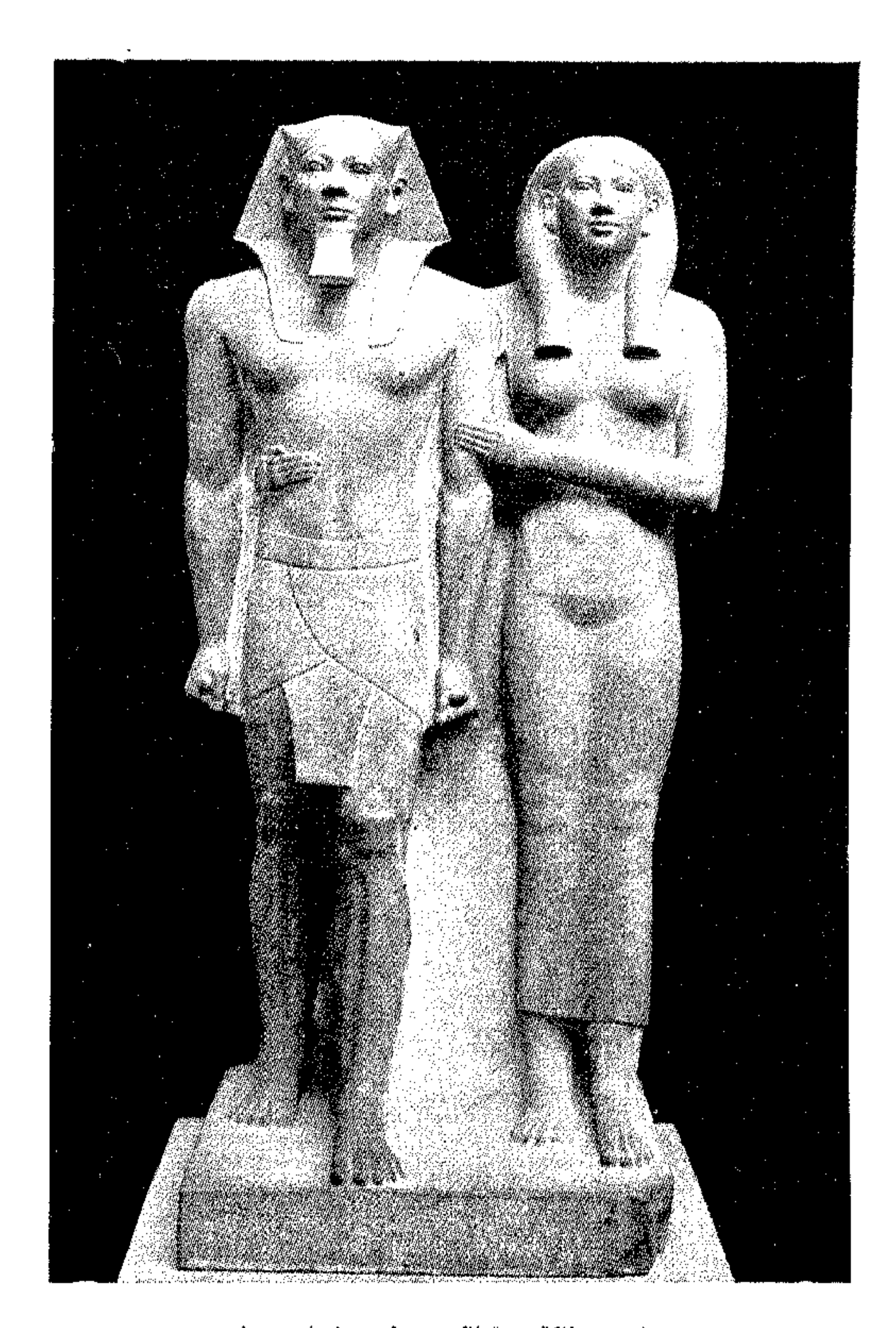
حجر بالرمو (الصدر)



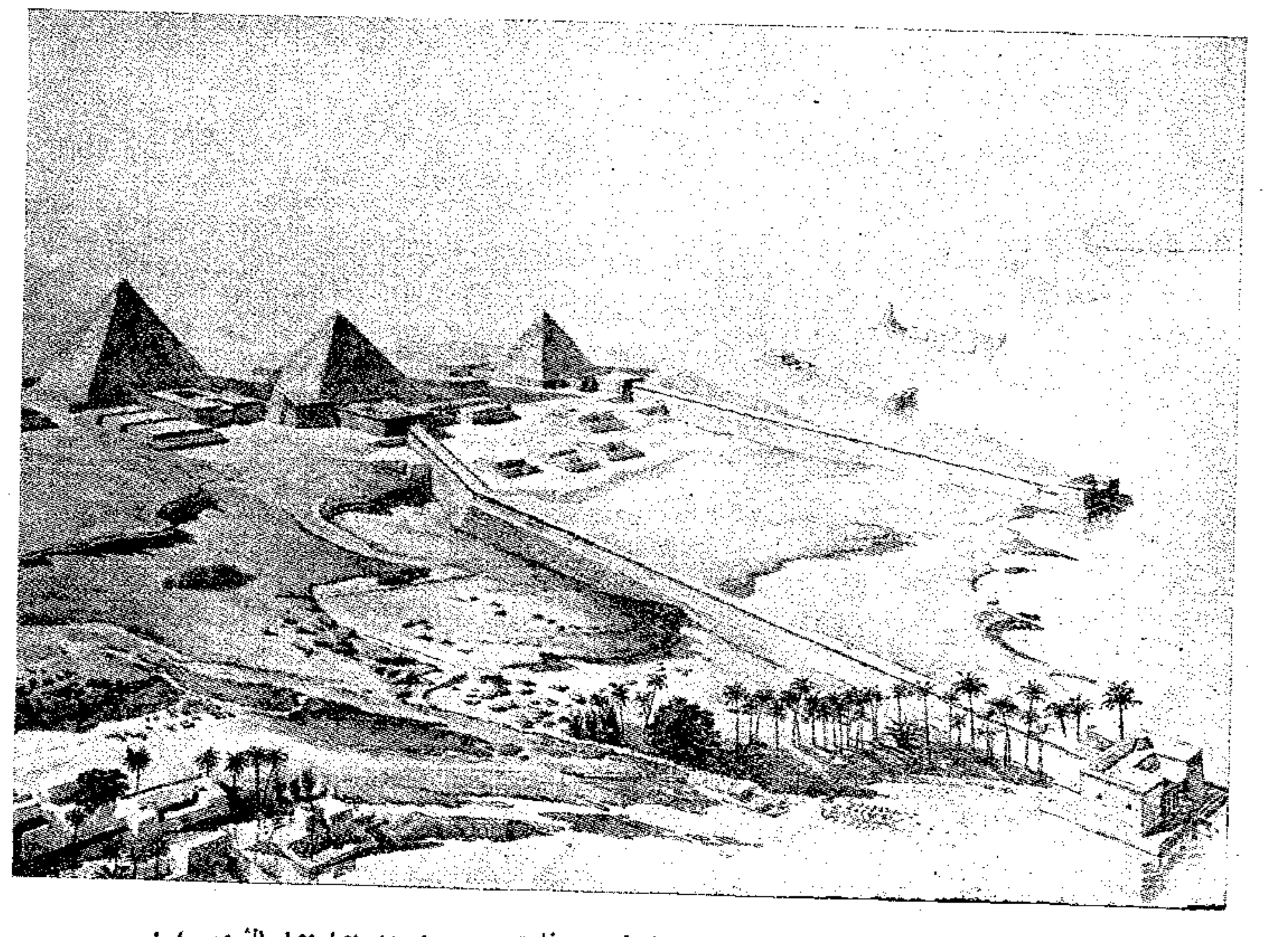
الهرم المدرج للملك زوسر (فى الوسط واليسار جزء من معبد ـ الهرم المرمم



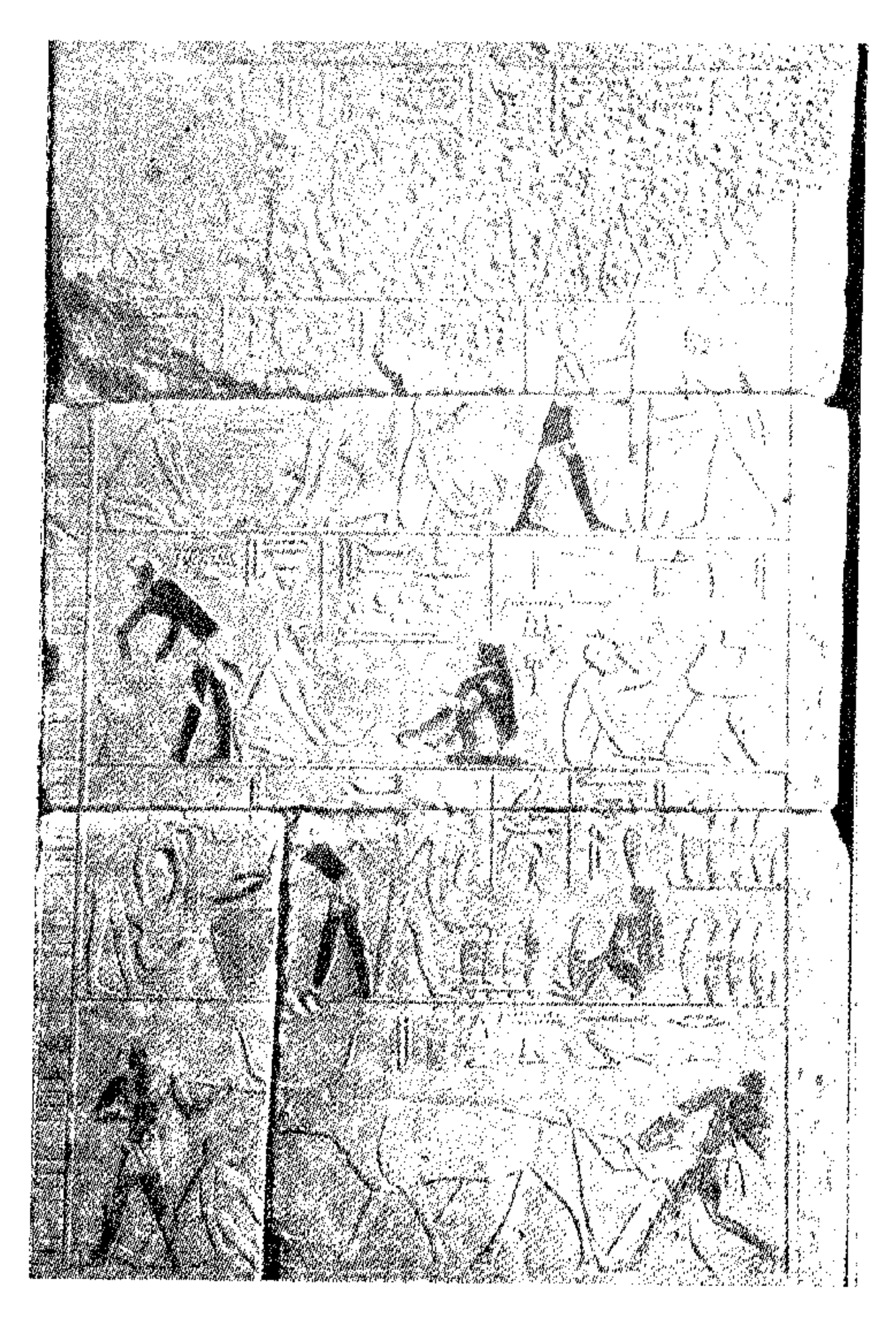
اهرام الجيزة ـ منظر من الجو من ناحية الشمال الشرقى ، ويرى الهرم الثالث ، هرم يسرينوس فى المقدمة ، واما الاهرام الصغيرة فربما كانت اهرام زوجاته الملكات . ومن وراء الهرم الاكبر توجد مساطب النبلاء .



ميسرينوس وزوجته الملكة (تمثال من الوردواز في متحف بوستن)



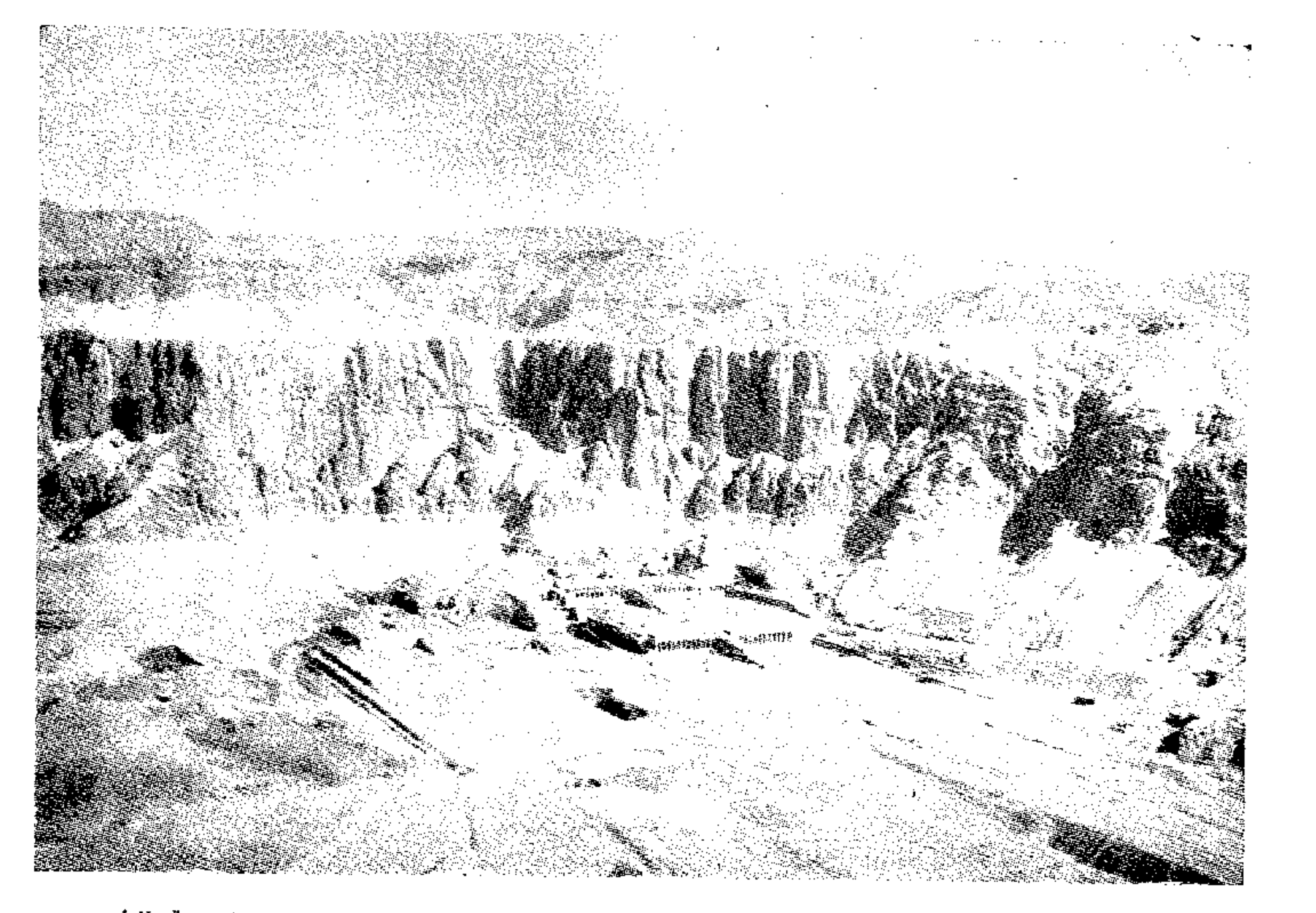
أهرام أبوصير ـ احياء ، واعادة بناء ، من عمل ل. بورخارت . (يرى من بعيد معبد الشمس) .



اعداد اولیمة صاحب المقبرة

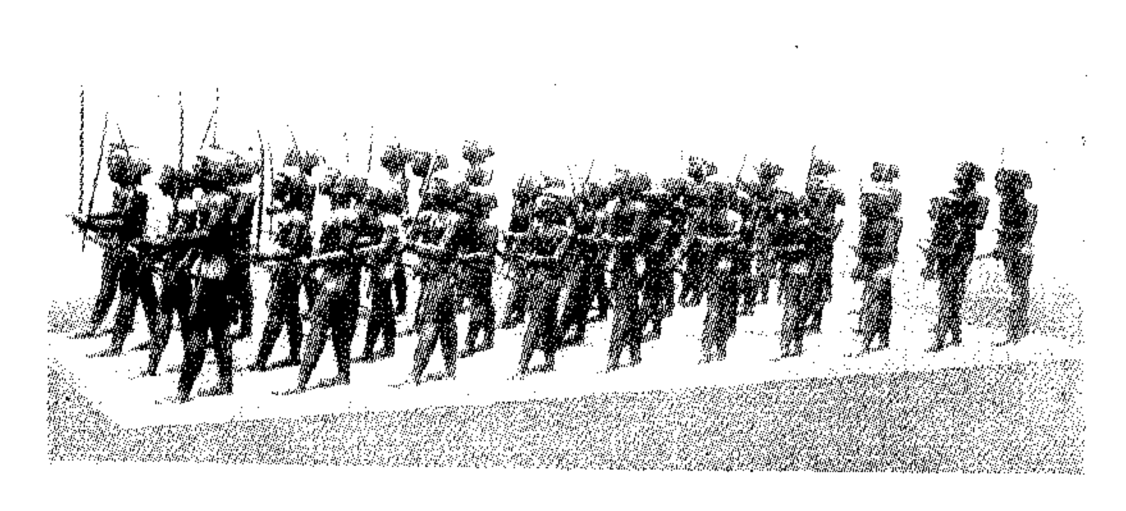
نقش على الحجر الجيرى من مسطبة من عهد الاسرة الخامسة

(متحف ليدن)



الدير البحرى (صورة مأخوذة من الجو)   الى اليمين : معبد حاتشبسوة ، والى اليسار : معبد منتوحتبة الاول

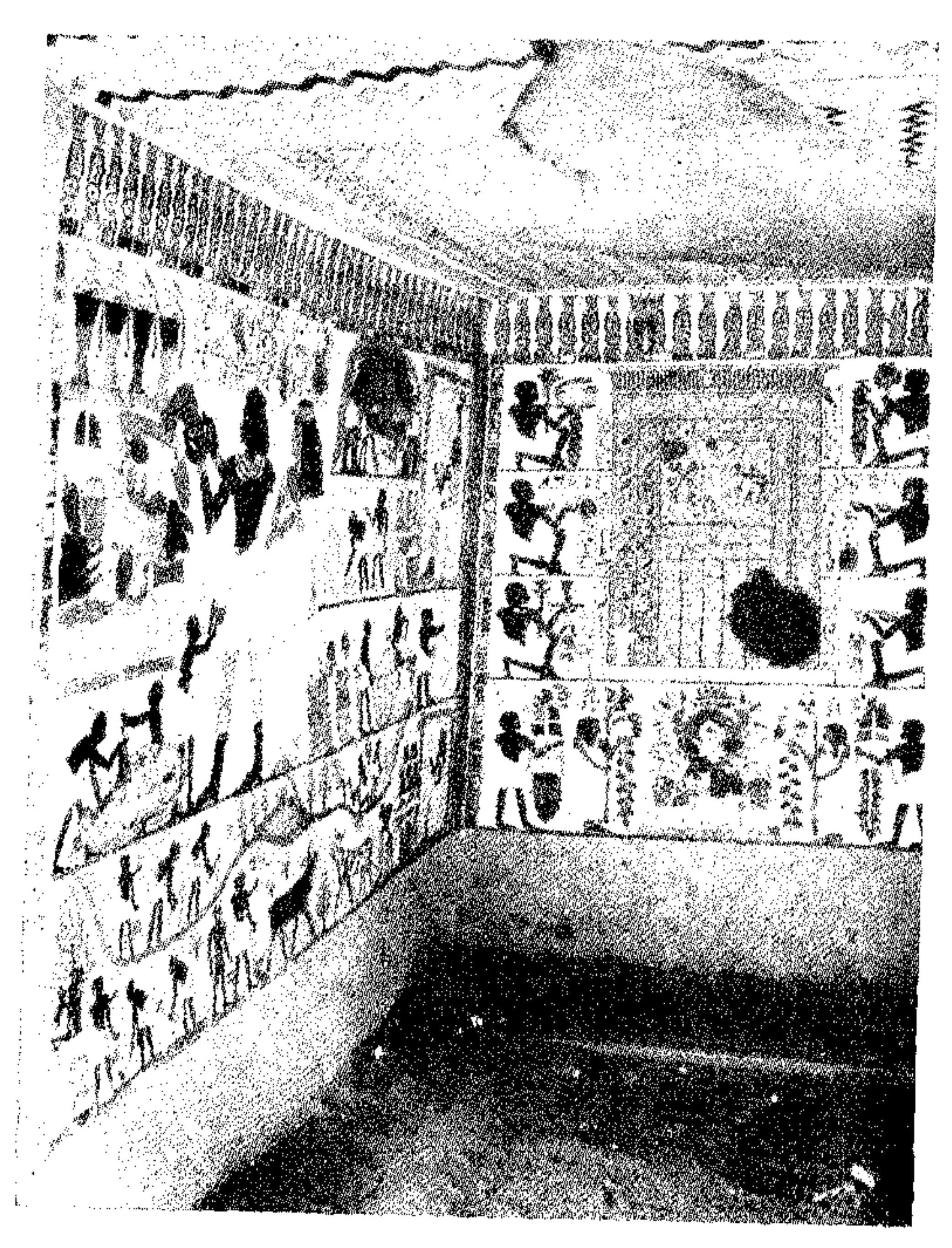




حملة الحراب وقاذفو السهام

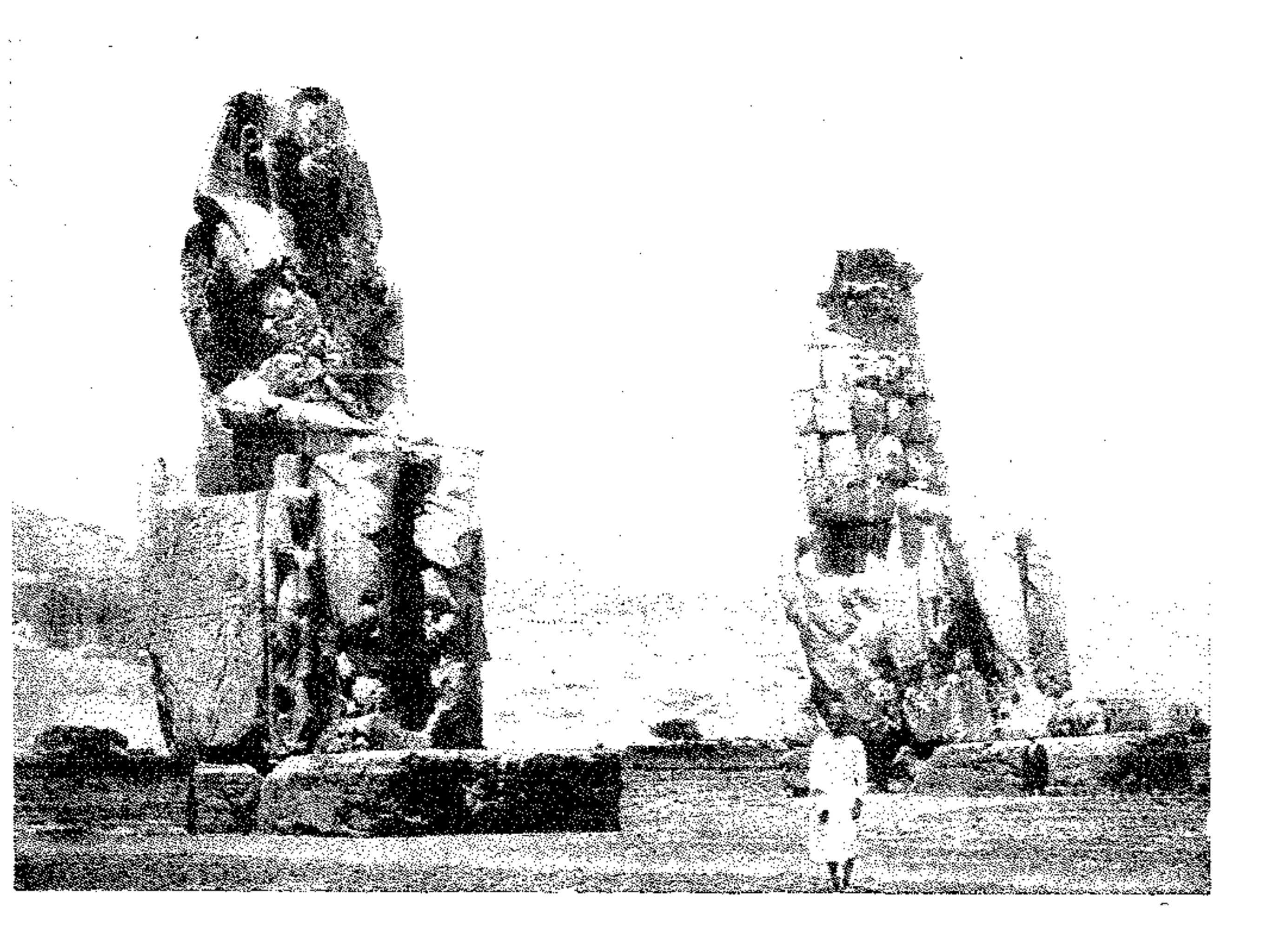
نماذج خشبية ملونة من عهد الاسرة الحادية عشرة

(متحف القاهرة)



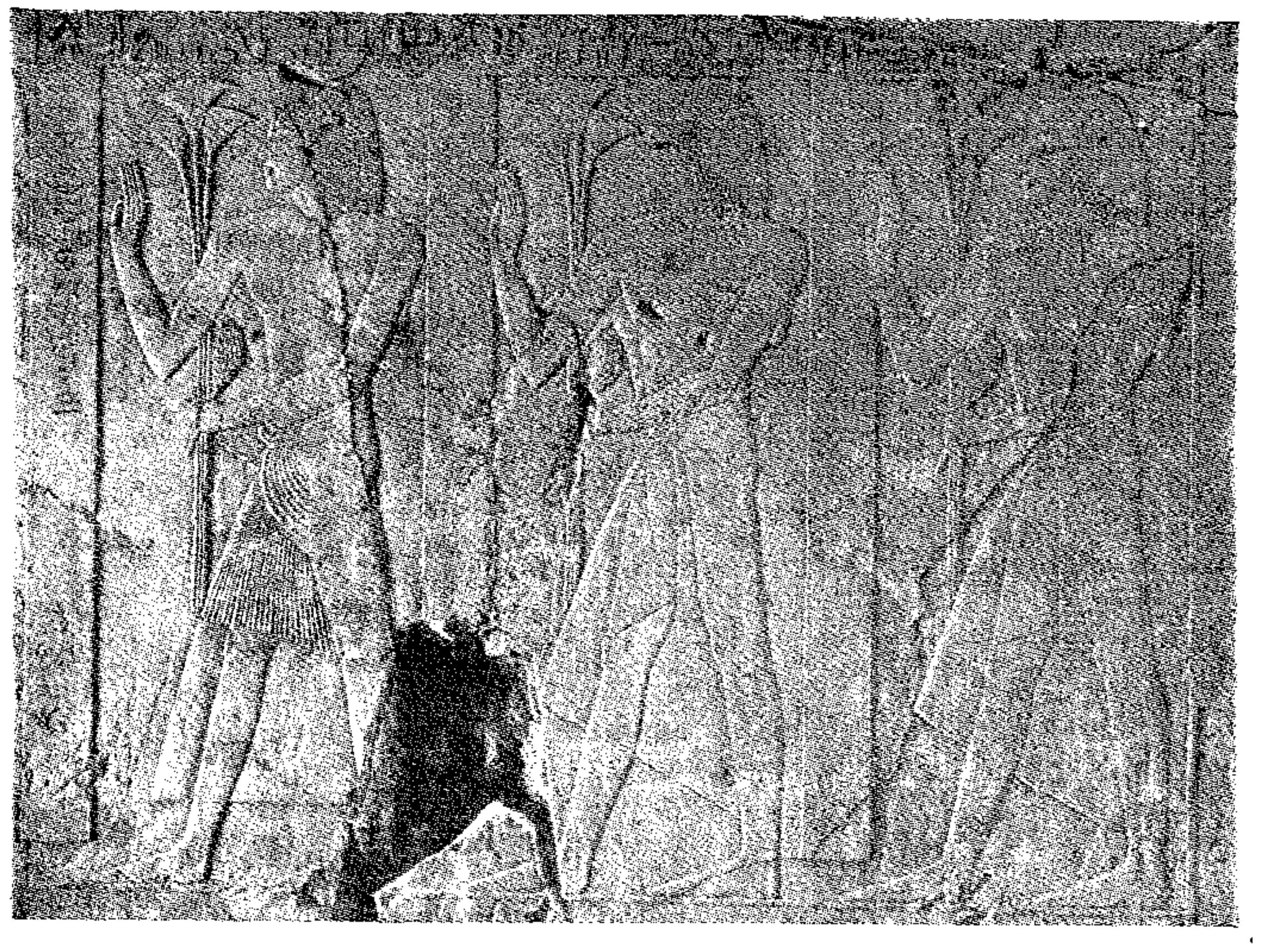
مقبرة نخت من الداخل

تصوير على الحائط ، من طيبة الغربية ، الاسرة ١٨



تمثالا امنوفس الثالث العملاقان

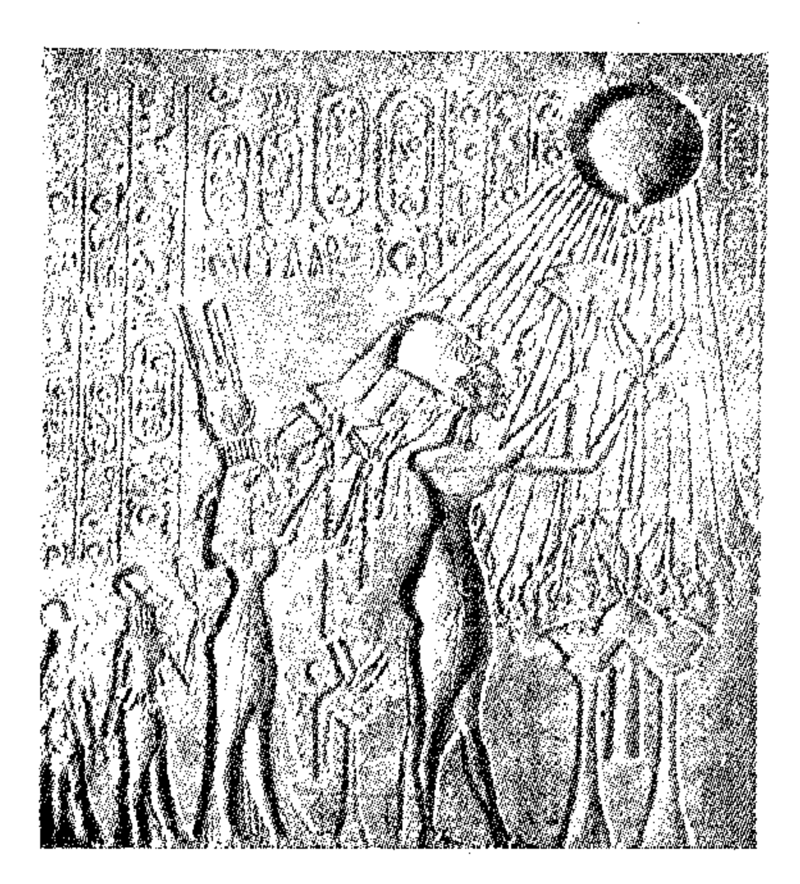
طيبة الغربية : الى اليمين ، ممنون ذو الصوت ، وترى من بعيد المقابر السردابية فى « الشيخ عبد القدنة » .



الوزير رعموزه يقدم زهورا الى آمون رع (عهد امنوفيس الرابع قبل الهرطقة)



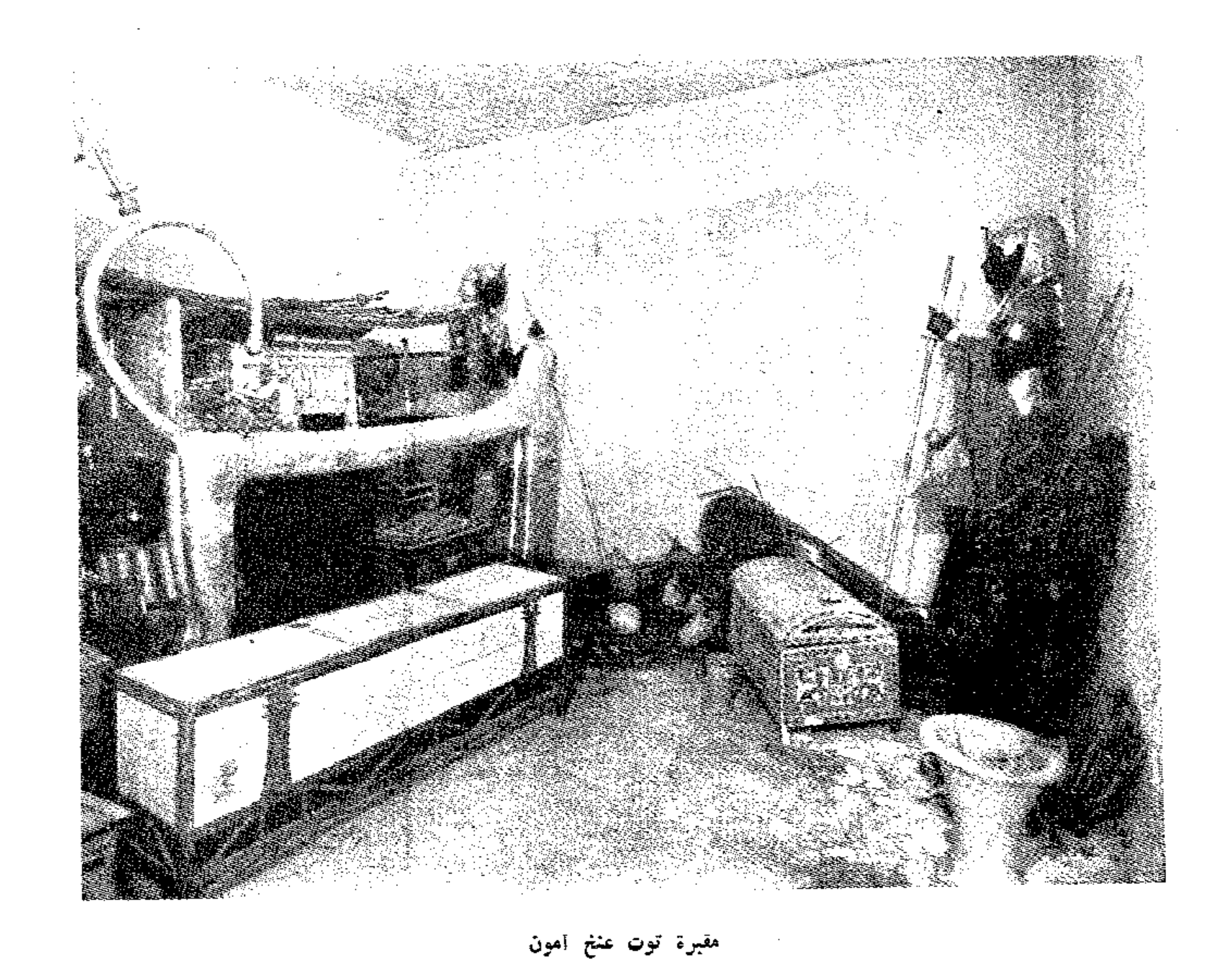
تمثال من الحجر الرملي لـ اخناتن
من معبده في الكرنك ، ارتفاعه حوالي ١٣ قدما



أ ـ اخناتن يتعبد امام اتون

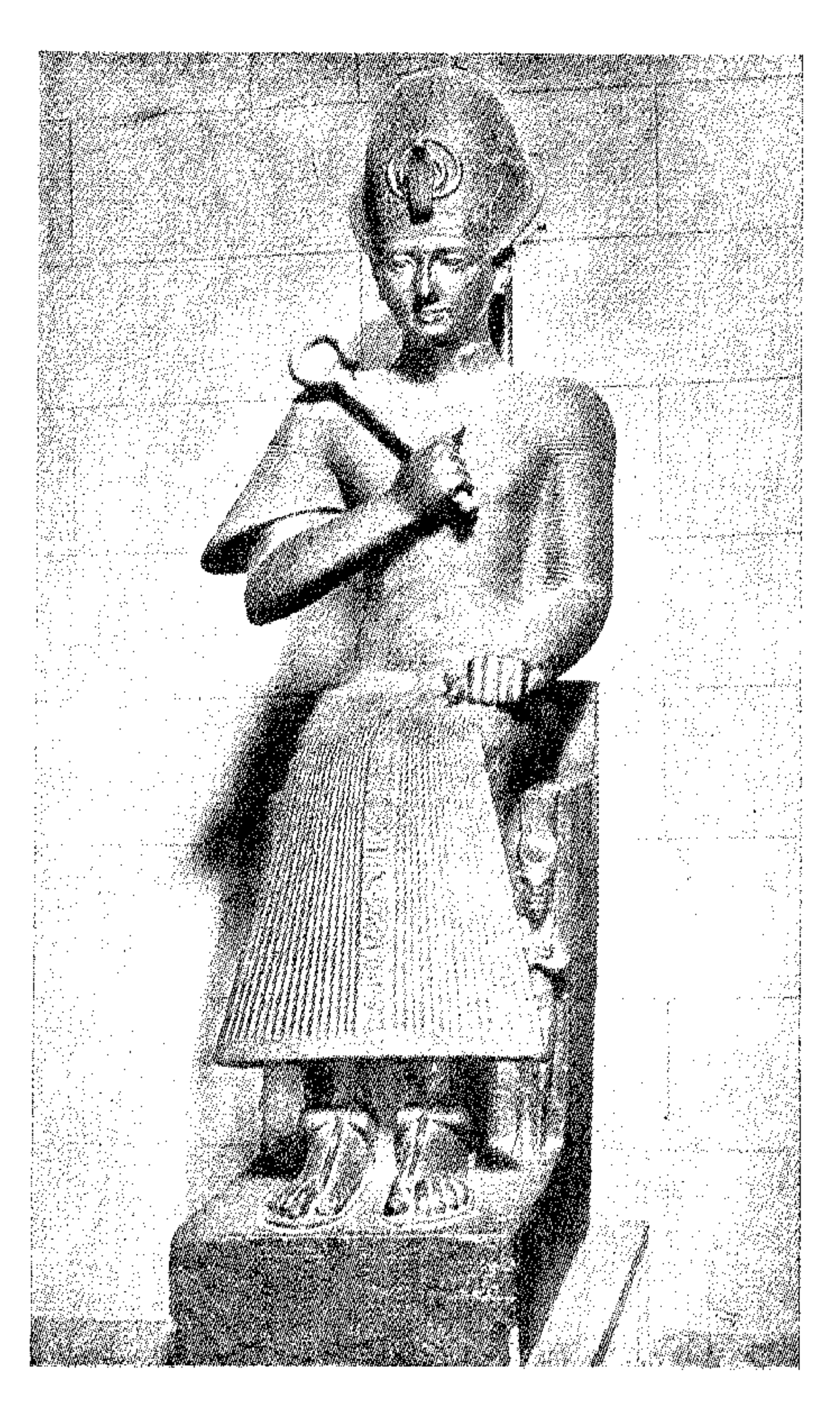


ب ـ اخناتن كرب اسرة
لوحة من الحجر الجيرى من العمارنة

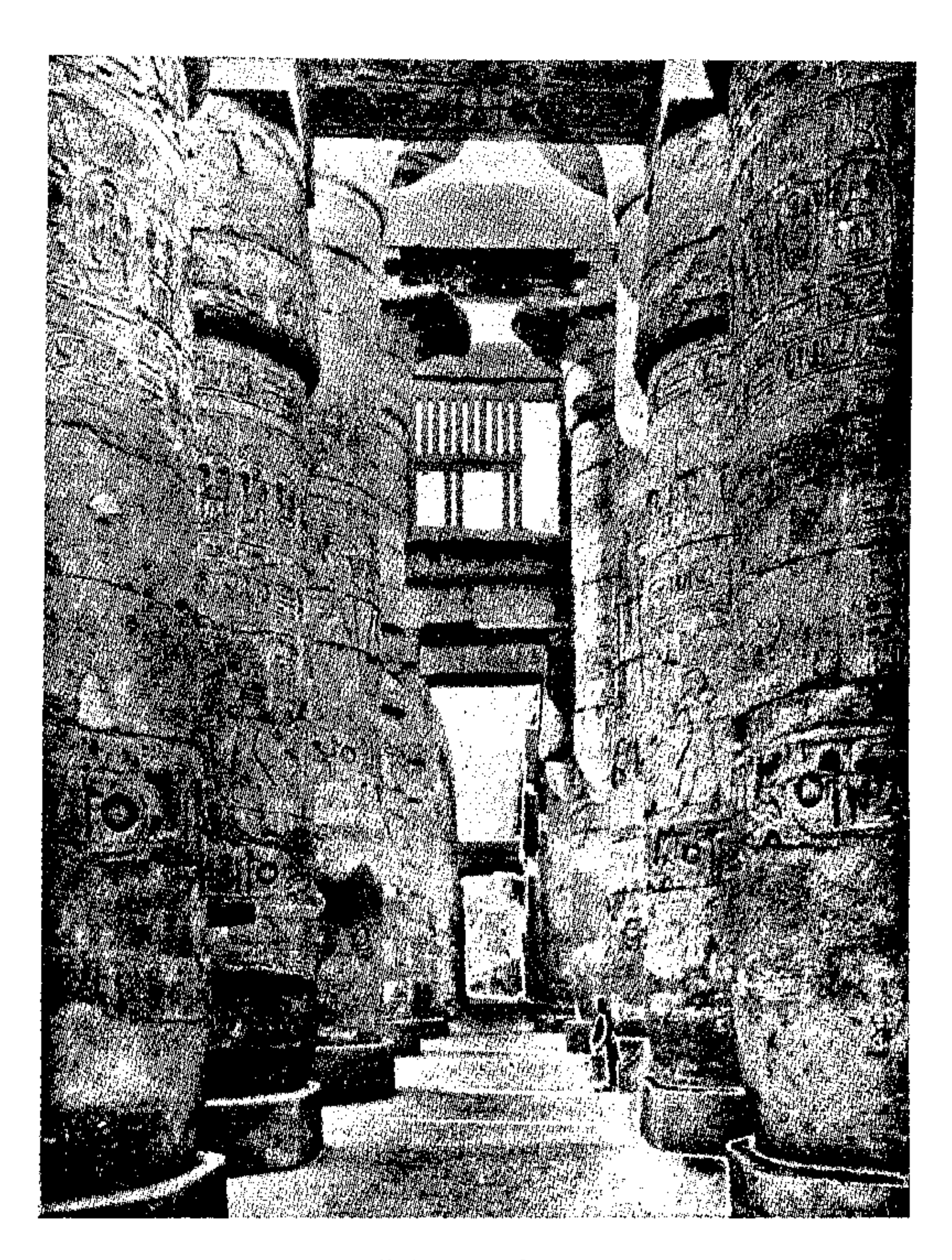


مقبرة توت عنخ آمون

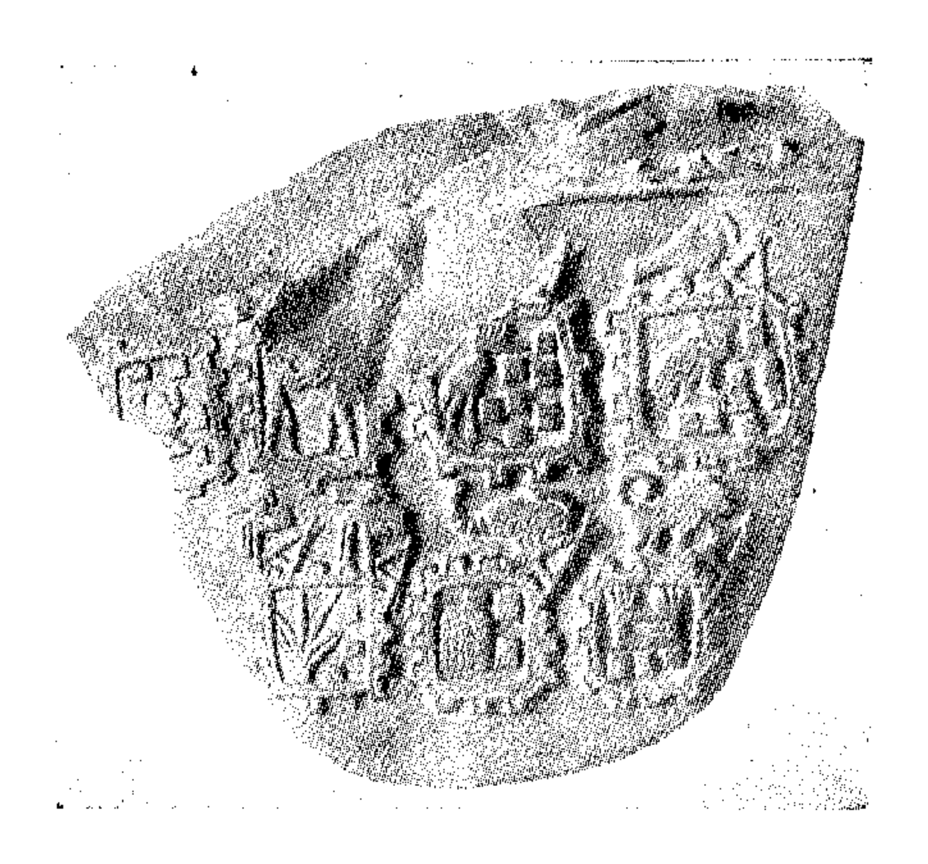
الحجرة الجانبية كما شوهدت للمرة الاولى ، تمثالان للملك يحرسان مدخل غرفة المدفن التى كانت مغلقة بحاجز من الجص عليه الاختام . ويرى الى الامام صندوق فاخر عليه رسوم لمناظر الحرب والصيد ، والى اليسار صناديق اخرى ومقاعد وشكاً خاص بالاحتفالات .



تمثال لرمسيس الثاني من الجرانيت الاسود
ربما كان في الكرنك ، متحف تورين



بهو الأعمدة في الكرنك





لوحة تحنو

من الاردواز ، ماقبل الاسرات ، متحف القاهرة

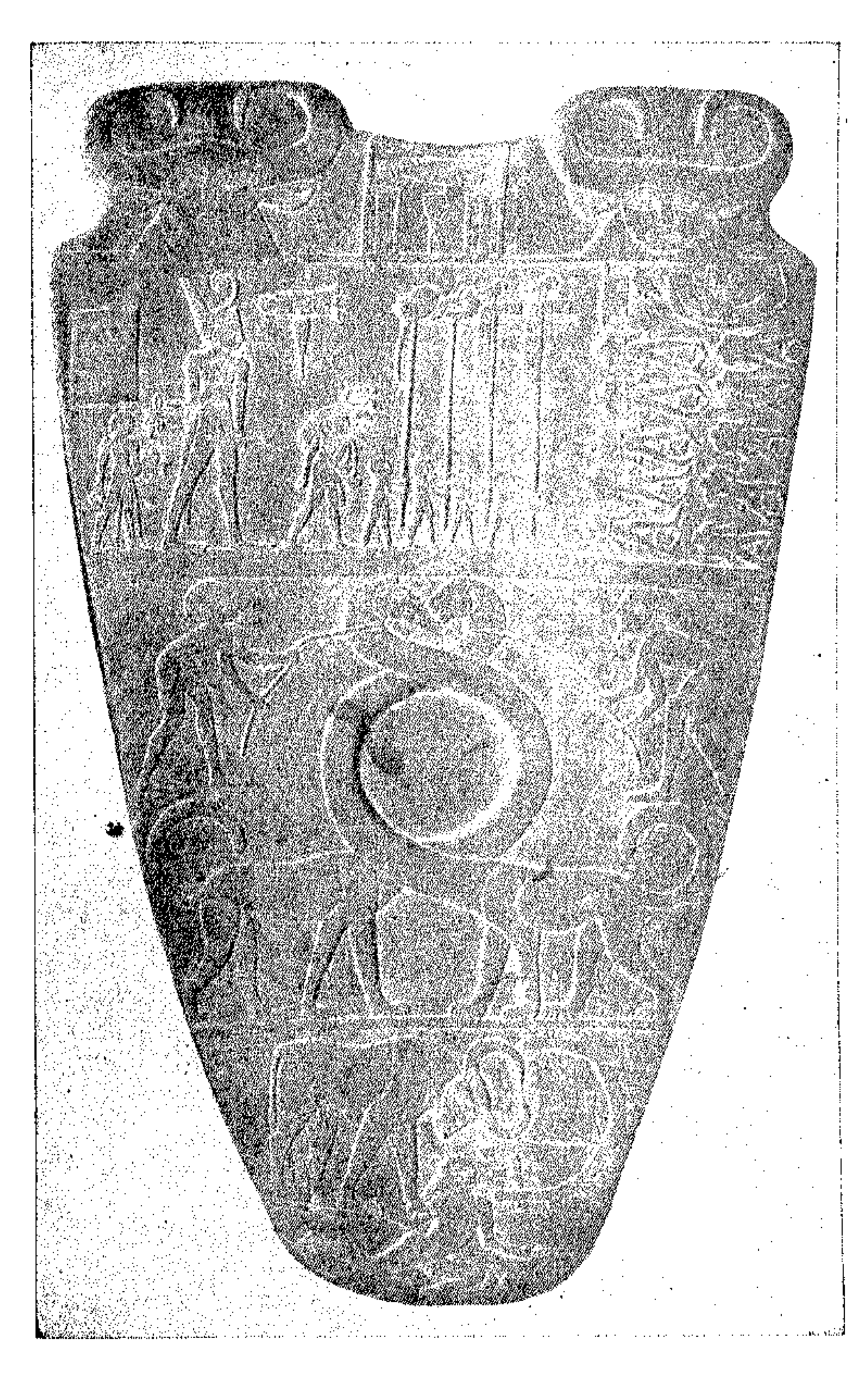



مقبض سكين جبل العرق

من العاج ، ماقبل الاسرات ، بمتحف اللوفر حاليا



لوحة لنعرمر (الصدر)
من الاردواز ، من هيراقونبوليس من عهد الاسرة الاولى
(متحف القاهرة)



لوحة لنعرمر (خلفية)
انظر لوحة ٢١

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧١/٦٠٠٩

الثمن ١٥٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب